٢٦٦

النصف الأول من تفسير القرآن للعلامة النسفي وهو المسمى بالمدارك نفع الله به آمين

نصف الاول من النسفي

Süleymaniye Kütüphanesi
Kısmı AMCA ZADE Hüseyin Pş.
Yeni 37
Eski Kayıt No.

47

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنزه بذاته عن اشارة الاوهام المقدس بصفاته عن ادراك العقول
والافهام المتصف بالالوهية قبل كل موجود الباقي بنعت السرمدية
بعد كل محدود الملك الذي طمست سبحات جلاله الابصار المتكبر الذي
ازاحت سطوات كبريائه الافكار القديم الذي تعالى عن مائلة الحدثان
العظيم الذي تنزه عن مماسة المكان المتعالي عن مضاهاة الاجسام ومشابهة الانام
القادر الذي لا يشار اليه بالتكييف التام الذي لا ينال عن التخييل والتكلف العليم
الذي خلق الانسان وعلمه البيان الحكيم الذي نزل القرآن شفاء للارواح والابدان
والصلوة والسلام على المستل من ارومة البلاغة والبراعة المحتل في بحبوحة الفصاحة
والفصاحة محمد المبعوث الى خليقته الداعي الى الحق وطريقته صلى الله عليه وعلى آله و
شيعته وعلى الآخذين بعهوده وشرعته قال مولانا الشيخ الامام المعظم
والحبر الهمام المقدم استاذ اهل الارض محيي السنة والفرض كشاف حقائق اسرار التنزيل
مفتاح دقائق اسرار التاويل ترجمان كلام الرحمن صاحب علم المعاني والبيان
الجامع بين الاصول والفروع المرجوع اليه في المنقول والمسموع حافظ الملة والدين
شيخ الاسلام والمسلمين وارث علوم الانبياء والمرسلين اكمل فحول المجتهدين قدوة
قروم المحققين ذو السعادات والكرامات ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي
متع الله الاسلام بطول بقائه والمسلمين بيمن لقائه قد سألني من تتعين اجابته كتابا وسطا
في التاويلات جامعا لوجوه الاعراب والقراءات متضمنا لدقائق علم البديع والاشارات
حاليا باقاويل اهل السنة والجماعة خاليا عن اباطيل اهل البدع والضلالة ليس بالطويل
الممل ولا بالقصير المخل وكنت اقدم فيه رجلا واؤخر اخرى استقصارا للقوة البشرية عن درك
هذا الوطر واخذا سبيل الحذر عن ركوب متن الخطر حتى شرعت فيه بتوفيق الله
تعالى والعوائق كثيرة واتممته في مدة يسيرة وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التاويل
فهو حسبي لكل عسير وهو على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير

سورة فاتحة الكتاب

مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلوة ثم نزلت ثانية
بالمدينة حين حولت القبلة الى الكعبة وتسمى ام القرآن للحديث ولاشتمالها على المعاني
التي في القرآن وسورة الوافية والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب
كنز من كنوز عرشي وسورة الشفاء والشافية لقوله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب شفاء من كل
داء وسورة المثاني لانها تثنى في كل صلوة وسورة الصلوة لما يروى ولانها تكون واجبة
او فريضة وسورة الحمد والاساس فانها اساس القرآن قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا
اعتللت او اشتكيت فعليك بالاساس وآيها سبع بالاتفاق بسم الله الرحمن الرحيم
قراء المدينة والبصرة والشام على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور
وانما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ولهذا
لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى
وعليه الشافعي واصحابه ولذا يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع الامر بتجريد
القرآن ولنا حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى
قسمت الصلوة اي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فاذا قال العبد
الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى
اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد
واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ما سأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي
ولعبدي ما سأل فالابتداء بقوله الحمد لله دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة واذا
لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها اجماعا والحديث مذكور في صحاح المصابيح
وما ذكروا لا يضرنا لان التسمية آية من القرآن انزلت للفصل بين السور عندنا
ذكره فخر الاسلام في المبسوط وانما يرد علينا ان لو لم نجعلها آية من القرآن وتمام تقريره
في الكافي وتعلقت الباء بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء به
كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل
وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له وانما
قدر المحذوف متأخرا لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به وكانوا
يبدءون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى فوجب ان يقصد الموحد

معنى اختصاص اسم الله بالابتداء وذا بتقديمه وتاخير الفعل في اقرا باسم ربك لانها اول
سورة نزلت في قوله وكان الامر بالقراءة اهم وكان تقديم الفعل
اوقع ويجوز ان يحمل اقرا على افعل القراءة وحققها كقولهم فلان يعطي ويمنع غير
متعد الى المقروء به وان يكون باسم ربك مفعول اقرا الذي بعده واسم الله
يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا
باسم الله اقرا وفيه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وبنيت
الباء على الكسر لانها لازمة للحرفية والجر فكسرت لتشابه حركتها عملها والاسم من الاسماء
التي بنوا اوائلها على السكون كالابن والابنة وغيرهما فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة
تفاديا عن الابتداء بالساكن واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شيء ومنهم
من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم وهو من الاسماء المحذوفة
الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت
واشتقاقه من السمو وهو الرفعة لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره وحذفت
الالف في الخط هنا واثبتت في قوله تعالى اقرا باسم ربك لانه اجتمع فيها مع انها
تسقط في اللفظ كثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عن حذفها
وقال عمر بن عبد العزيز لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور
الميم والله اصله الاله ونظيره الناس اصله الاناس حذفت الهمزة وعوض منها
حرف التعريف والاله من اسماء الاجناس يقع على كل معبود بحق
او باطل ثم غلب على المعبود بالحق كما ان النجم اسم لكل كوكب
ثم غلب على الثريا واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على
غيره وهو اسم غير صفة لانك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا تقول
شيء رجل وتقول اله واحد صمد ولان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف
تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات لبقيت غير جارية على اسم موصوف
بها وهذا لا يجوز ولا اشتقاق لهذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد بن الحسن
والحسين بن الفضل وقيل معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى
واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ينتظمهما معنى التحير والدهشة
وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال
وفشا الباطل وقل النظر الصحيح وقيل هو من قولهم اله يأله الها اذا عبد

وهو مصدر بمعنى مألوه اي معبود كقوله هذا خلق الله اي مخلوقه وتفخيم لامه اذا كان
قبلها فتحة او ضمة وترقيقها اذا كان قبلها كسرة ومنهم من يرققها بكل حال ومنهم
من يفخمها بكل حال والجمهور على الاول والرحمن فعلان من رحم وهو الذي
وسعت رحمته كل شيء كغضبان من غضب وهو الممتلئ غضبا وكذا الرحيم
فعيل منه كمريض من مرض وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم لان في الرحيم
وفي الرحمن زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ولذا جاء في الدعاء
يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وقالوا
الرحمن خاص تسمية لانه لا يوصف به غيره عام معنى لما بينا والرحيم بعكسه لانه يوصف
به غيره ويخص المؤمنين ولذا قدم الرحمن وان كان ابلغ والقياس الترقي
من الادنى الى الاعلى يقال فلان عالم نحرير لانه كالعلم لما لم يوصف به غير الله ورحمة
الله انعامه على عباده واصلها العطف واما قول الشاعر في مسيلمة وانت غيث
الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم ورحمن غير منصرف عند
من زعم ان الشرط انتفاء فعلانة اذ ليس له فعلانة ومن زعم ان الشرط وجود فعلى
صرفه اذ ليس له فعلى والاول اوجه الحمد الوصف بالجميل على التفضيل
وهو رفع بالابتداء واصله النصب وقد قرئ به باضمار فعله لانه من المصادر المنصوبة
بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا والعدول عن
النصب الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره وخبره لله واللام تتعلق
بمحذوف اي واجب او ثابت وقيل الحمد والمدح اخوان وهو الثناء و
النداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته
على شجاعته وحسبه واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان
والجوارح قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد
باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه الحديث الحمد راس الشكر ما شكر
الله عبد لم يحمده وجعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان اشيع لها من الاعتقاد
وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال ونقيض الحمد
الذم ونقيض الشكر الكفران وقيل المدح ثناء على ما هو له من اوصاف الكمال
ككونه باقيا قادرا عالما ازليا والشكر ثناء على ما هو منه من اوصاف الافضال
والحمد يشملهما والالف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافا للمعتزلة ولذا قرن

باسم الله تعالى لانه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال وهو بناء على مسئلة خلق الافعال وقد
حققته في مواضع. رب العالمين الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني
رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب
ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوه الرب الا
في الله وحده وهو في غيره مع التقييد انه ربي احسن مثواي ارجع الى ربك وقال
الواسطي هو الخالق ابتداء والمربي غذاء والغافر انتهاء وهو اسم الله الاعظم والعالم كل ما خلق
علم به الخالق من الاجسام والجواهر والاعراض او كل موجود سوى الله تعالى سمي به
لانه علم على وجوده وانما جمع بالواو والنون مع انه يختص بصفات العقلاء او ما في حكمها
من الاعلام لما فيه من معنى الوصفية وهي الدلالة على معنى العلم. الرحمن الرحيم ذكرهما
دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة اذ لو كانت منها لما اعادهما لخلو الاعادة
عن الافادة. مالك عاصم وعلي ملك غيرهما وهو المختار عند البعض لاستغنائه عن
الاضافة ولقوله لمن الملك اليوم ولان كل ملك مالك وليس كل مالك
ملكا ولان امر الملك ينفذ على المالك دون عكسه وقيل المالك اكثر ثوابا لانه اكثر حرفا وقرأ ابو حيوة
والحسن رضي الله عنهما ملك بلفظ الفعل ونصب يوم. يوم الدين اي يوم الجزاء ويقال كما تدين
تدان اي كما تفعل تجازى وهذه اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع كقولهم
يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك الامر كله في يوم الدين والتخصيص بيوم الدين
لان الامر فيه لله وحده وانما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع ان اضافة اسم الفاعل اضافة
غير حقيقية لانه اريد به الاستمرار فكانت الاضافة حقيقية فساغ ان يكون صفة
للمعرفة وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا اي مالكا للعالمين ومنعما
بالنعم كلها ومالكا للامر كله يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد
في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء
عليه. اياك عند الخليل وسيبويه اسم مضمر والكاف حرف خطاب عند سيبويه ولا محل له
من الاعراب وعند الخليل هو اسم مضمر اضيف اياه اليه لانه يشبه المظهر لتقدمه على
الفعل والفاعل وقال الكوفيون اياك بكمالها اسم وتقديم المفعول لقصد الاختصاص
والمعنى نخصك بالعبادة وهي اقصى غاية الخضوع والتذلل ونخصك بطلب المعونة وعدل
عن الغيبة الى الخطاب للالتفات وهو قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب
الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم

بريح طيبة وقوله الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك
بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك
من نبإ جاءني وخبرته عن ابي الاسود فالتفت في الابيات الثلاثة حيث لم يقل ليلي
وبت وجاءك والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من اسلوب
الى اسلوب ادخل في القلوب عند السامع واحسن تطرية لنشاطه واملأ لاستلذاذ اصغائه
وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح الا للحذاق المهرة والعلماء النحارير وقليل ماهم
ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء واجرى عليه تلك الصفات
العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات
فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين
لا غيرك وقدمت العبادة على الاستعانة لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة اقرب
الى الاجابة او لنظم الآي كما قدم الرحمن وان كان الابلغ لا يقدم واطلقت
الاستعانة ليتناول كل مستعان فيه ويجوز ان يراد الاستعانة به وبتوفيقه على
اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم
فقالوا اهدنا الصراط المستقيم اي ثبتنا على المنهاج الواضح كقولك للقائم قم حتى اعود اليك
اي اثبت على ما انت عليه او اهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال وهدى
يتعدى الى مفعول بنفسه فاما تعديته الى مفعول آخر فقد جاء متعديا بنفسه كهذه الآية
وقد جاء متعديا باللام وبالى كقوله تعالى هدانا لهذا وقوله هداني ربي الى صراط مستقيم
والسراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسرط السابلة اذا سلكوه والصراط من قلب السين
صادا ليجانس الطاء في الاطباق لان الصاد والضاد والطاء والظاء حروف الاطباق
وقد يشم الصاد صوت الزاي لان الزاي الى الطاء اقرب لانهما مجهوران وهي قراءة حمزة
والسين قراءة ابن كثير في كل القرآن وهو الاصل في الكلمة والباقون
بالصاد الخالصة وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل
والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام. صراط الذين انعمت عليهم بدل من
الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل وفائدته التاكيد والاشعار بان الطريق
المستقيم تفسير صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة
على ابلغ وجه واكد وهم المؤمنون او الانبياء عليهم السلام او قوم موسى قبل ان يغيروا
غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين انعمت عليهم على ان المنعم

هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة للذين يعني انهم جمعوا
بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال
وانما ساغ وقوعه صفة للذين وهو معرفة وغير لا يتعرف بالاضافة لانه اذا
وقع غير بين المتضادين وكانا معرفتين تعرفت بالاضافة نحو عجبت
من الحركة غير السكون والمنعم عليه والمغضوب عليه متضادان ولان الذين
قريب من النكرة لانه لم يرد به قوم باعيانهم وغير المغضوب عليهم
قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل بالاضافة فكل واحد منهما فيه ابهام
من وجه واختصاص من وجه فاستويا وعليهم الاولى محلها النصب على المفعولية
ومحل الثانية الرفع على الفاعلية وغضب الله ارادة الانتقام من المكذبين وانزال
العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده وقيل
المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى
لقوله قد ضلوا من قبل ولا زائدة عند البصريين للتوكيد وعند الكوفيين
هي بمعنى غير آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد اسم للامهال
وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وهو مبني
وفيه لغتان مد الالف وقصرها وهو الاصل والمد باشباع الهمزة قال ويرحم الله
عبدا قال آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا وقال عليه السلام لقنني جبريل
آمين عند فراغي من فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب
وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف سورة البقرة وهي مائتان وست وسبع آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ونظائرها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فالالف تدل
على اوسط حروف قال واللام تدل على الحرف الاخير منه وكذلك ما اشبهها و
الدليل على انها اسماء ان كلا منها يدل على معنى في نفسه ويتصرف فيها بالامالة والتفخيم
والتعريف والتنكير والجمع والتصغير وهي معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو من الاسماء
حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه مبنية لانها كالاصوات نحو غاق في حكاية
صوت الغراب ثم الجمهور على انها اسماء السور وقال ابن عباس رضي اقسم الله بهذه الحروف وقال
ابن مسعود رضي الله عنه انها اسم الله الاعظم وقيل انها من المتشابهات التي لا يعلمها الا الله
وما سميت معجمة الا لاعجامها وابهامها وقيل ورود هذه الاسماء على نمط التعديد كالايقاظ

لمن تحدى بالقرآن وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن
آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان
يستيقنوا ان لم يتساقط مقدرتهم دونه ولم يظهر عجزهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات
المتطاولة وهم امراء الكلام الا لانه ليس من كلام الخالق القوى والقدر وهذا القول
من خلاف ما لقبوك بمنزلة وقيل انها وردت السور مصدرة بذلك ليكون اول
ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك
ان النطق بالحروف نفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب
بخلاف النطق باسامي الحروف فانه مختص بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم
منهم فكان مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة فكان حكم النطق
بذلك مع اشتهار انه صلعم لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله الا قاصيص المذكورة في القرآن
التي لم يكن قريش ومن يضاهيهم في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من
جهة الوحي شاهد بصحة نبوته واعلم ان المذكورة في الفواتح نصف اسامي الحروف
المعجم وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين
والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد
حروف المعجم وهي مشتملة على انصاف اجناس الحروف فمن المهموسة نصفها الصاد
والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء
والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف
والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين
والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها
الالف والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء
والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف
واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون
ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء وغير المذكور من هذه الاجناس
مكثورة بالمذكورة منها وقد علمت ان معظم الشيء ينزل منزلة كله فكأن الله تعالى
عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكر من التبكيت لهم
والزام الحجة اياهم والفاتحات مفرقة على السور لان اعادة التنبيه على ان المتحدى مؤلف
منها لا غير اوصل الى الغرض وكذا كل تكرير ورد في القرآن فالمطلوب منه تمكين

المكور في النفوس ونقريب ولم تجئ على وتيرة واحدة بل اختلف اعداد حروفها مثل ص وق ون وطه وطس ويس وحم والم والر وطسم والمص والمر وكهيعص وحم عسق فوردت على حرف وحرفين وثلاثة واربعة وخمسة كعادة افتنانهم في الكلام وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف فسلك في الفواتح هذا المسلك والم آية حيث وقعت وكذا المص والمر لم تعد آية وكذلك الر لم تعد آية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية وص وق ون ثلاثتها لم تعد آية هذا عند الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية وهذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور وتوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى مابعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله الم الله اي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو ولهذه الفواتح محل من الاعراب فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام وهو الرفع على الابتداء او النصب والجر لصحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة والمفردات المعددة ذلك الكتاب اي ذلك الكتاب الذي وعدوا به على لسان موسى وعيسى عليهما السلام او ذلك اشارة الى الم وانما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة لان الكتاب ان كان خبرا كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير وان كان صفة فالاشارة به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا ووجه تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل لا ريب لا شك وهو مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس وينغص بالقلوب من نوائبه والمنفي الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير

لان

لان المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه لا ان احدا لا يرتاب ولذا لم يقل لا فيه ريب كما قيل لا فيها غول لان المراد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق لا باطل كما يزعم الكفار ولو اولي الظرف لقصد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه ريب لا فيه كما في قوله لا فيها غول ففيه تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على ريب ولا بد للواقف ان ينوي خبرا والتقدير لا ريب فيه فيه هدى فيه باشباع كل ها كناية بكى وافقه حفص فيه مهانا وسواه اصل كقولك مررت به ومن عنده وفي داره ماله لا يبالي في داره ومن عنه وجبان للتقل فيه وقال سيبويه والهاء اذا لها ما قال مؤد الى الجمع بين ثلاثة احرف سواكن الياء قبل الهاء المتحركة في كلامهم بمنزلة الساكنة لان الهاء خفية والخفي قريب من الساكن والياء بعدها والهدى بعدها مصدر على فعل كالبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وانما قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون لانه كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ولانه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وكقول ابن عباس رضي الله عنهما اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض فسمى المشارف للقتيل والمرض قتيلا ومريضا ولم يقل هدى للضالين لانهم فريقان فريق علم بقاءهم على الضلالة وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فهو هدى لهؤلاء فحسب فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام وقيل هدى للمتقين مع انه تصدير للسورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن بذكر اولياء الله والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى ففاؤها واو ولامها ياء فاذا بنيت من ذلك افتعل قلبت الواو تاء وادغمتها في التاء الاخرى فقلت اتقى والوقاية فرط الصيانة وفي الشريعة من يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك ومحل هدى الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او النصب على الحال من الهاء في فيه والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من الحروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف عطف وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة

لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه
بذلك الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف
من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص
انقص مما للباطل والشبهة وقيل لعالم فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا ثم اخبر عنه
بانه هدى للمتقين مقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت
هذا النظم الرشيق من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المطلوب بالطف وجه وفي الرابعة
الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وكان نعته هداية وايراده
منكرا ففيه اشعار بانه هدى لا يكتنه كنهه والايجاز في ذكر المتقين كما مر الذين في موضع
رفع او نصب على المدح اي هم الذين يؤمنون او اعني الذين يؤمنون او هو مبتدا وخبره
اولئك على هدى او جر على انه صفة للمتقين وهي صفة واردة بيانا وكشفا للمتقين كقولك زيد
الفقيه المحقق لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من الايمان الذي هو اساس الحسنات
والصلوة والصدقة فانهما امهات العبادات البدنية والمالية والعيار على غيرهما الا ترى ان النبي عليه السلام
سمى الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام
فكان من شانهما استتباع سائر العبادات ولذا اختصر الكلام بان استغنى عن عد الطاعات
بذكر ما هو كالعنوان لها مع ما في ذلك من الافصاح عن فضلهما على سائر العبادات او صفة مسرودة
مع المتقين تفيد غير فائدتها كقولك زيد الفقيه المتكلم الطبيب فيكون المراد بالمتقين الذين
يجتنبون السيئات يؤمنون يصدقون وهو افعال من الامن وقولهم آمنه اي صدقه وحقيقته
آمنه التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى اقر واعترف بالغيب ما غاب عنهم مما انبا
به النبي عليه السلام من امر البعث والنشور والحساب وغير ذلك فهو بمعنى الغائب تسمية بالمصدر
من قولك غاب الشيء غيبا هذا ان جعلته صلة للايمان وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة
والخفاء اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب والايمان الصحيح ان يقر
باللسان ويصدق بالجنان والعمل ليس بداخل في الايمان ويقيمون الصلوة اي يؤدونها فعبر عن
الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت وهو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح
لوجودها فيها او اريد باقامة الصلوة تعديل اركانها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة
من قامت السوق اذا نفقت لانه اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يتوجه اليه
الرغبات واذا اضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه والصلوة فعلة من صلى

كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقته صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل
ذلك في ركوعه وسجوده وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع الساجد ومما رزقناهم
اعطيناهم والمعنى الذي ينفقون يتصدقون ادخل من التبعيضية صيانة لهم عن التبذير
المنهي عنه وقدم المفعول دلالة على كونه اهم والمراد به الزكوة لاقترانه بالصلوة التي هي اختها او هي وغيرها من الانفاق
في سبل الخير لمجيئه مطلقا وانفق الشيء وانفد اخوان كنفق الشيء ونفد وكل ما جاء مما فاؤه
نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ودلت الآية على ان الاعمال ليست من الايمان
حيث عطف الصلوة والزكوة على الايمان والعطف يقتضي المغايرة والذين يؤمنون هم مؤمنوا
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا بكل وحي انزل من عند الله وايقنوا
بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات ثم ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا
في جملة المتقين وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكانه قيل هدى للمتقين وهدى
للذين يؤمنون بما انزل اليك او المراد به وصف الاولين ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات
كقولك هو الشجاع والجواد وقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم والمعنى
انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه بما انزل اليك يعني القرآن والمراد جميع القرآن لا
القدر الذي سبق انزاله وقت ايمانهم لان الايمان بالجميع واجب وانما عبر عنه بلفظ الماضي
وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه
منتظر النزول جعل كان كله قد نزل وما انزل من قبلك يعني سائر الكتب المنزلة على
النبيين وبالآخرة هي تانيث الآخر الذي هو ضد الاول وهي صفة والموصوف محذوف
وهو الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن
نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام هم يوقنون الايقان اتقان العلم بانتفاء الشك
والشبهة عنه اولئك على هدى الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدا والا
فلا محل لها ويجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان ترفع الثاني على الابتداء
واولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لا يؤمنون
بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون
الفلاح عند الله ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه
وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا
بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى

هدى من ربهم اوتوه من عنده ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لايبلغ كنهه كانه قيل على اى هدى
ولحقه لعدو وتعبير على الحق اى على الحق عظيم واولئك هم المفلحون اى الفائزون بالمطلوب الناجون
عما هربوا فان المفلح درك البغية والمفلح الفائز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر والتركيب
دال على معنى الشق والفتح وكذا اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى وجاء بالعطف
هنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون لاختلاف
الخبرين المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه بالبهائم ثم فكانت الثانية مقررة للاولى
فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد
وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك
فانظر كيف كرر الله تعالى التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق
شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره فيه تنبيه على انهم كما ثبت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة
لهم بالفلاح وتعريف المفلحين فيه دلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم
يفلحون في الآخرة كما ان بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من
هو فقيل زيد التائب اى هو الذي اخبرت بتوبته وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك
مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك في تقديم ما قدموا اللهم زينا بلباس
التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة لما قدم ذكر اوليائه بصفاتهم
المقربة اليه وبين ان الكتاب هدى لهم قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة
المردة الذين لا ينفعهم الهدى بقوله ان الذين كفروا الكفر ستر الحق بالجحود والتركيب
دال على الستر ولذلك سمي الزارع كافرا وكذا الليل ولم يات بالعاطف هنا كما في قوله
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لان الجملة الاولى هنا مسوقة لذكر الكتاب
لا خبر عن المؤمنين وسيقت الثانية للاخبار عن الكفار بكذا فبين الجملتين تفاوت
في المراد وهما على حد لا مجال للعطف فيه ولئن كان مبتدا على تقدير فهو كالجاري
عليه والمراد بالذين كفروا اناس باعيانهم لا يؤمنون كابي جهل وابي لهب واضرابهما
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم بهمزتين كوفي وسواء بمعنى الاستواء
وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى الى كلمة سواء اى مستوية
وارتفاعه على انه خبر ان وانذرتهم مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين
كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او يكون سواء خبرا وانذرتهم
ام لم تنذرهم في موضع الابتداء اى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة

خبر

خبر لان والفائدة الاخبار عن الفعل مع انه خبر ابدا لانه من جنس الكلام المهجور فيه جانب
اللفظ الى جانب المعنى والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام
راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك
اللهم اغفر لنا ايتها العصابة اى ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك جرى
على صورة النداء ولا نداء والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي لا يؤمنون جملة مؤكدة
للجملة قبلها او خبر لان والجملة قبلها اعتراض او خبر بعد خبر والحكمة في الانذار مع العلم بالاصرار
اقامة الحجة وليكون الارسال عاما وليثاب الرسول ختم الله على قلوبهم قال الزجاج الختم
التغطية لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه وقال
ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير يعني ان الله طبع عليها
فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الايمان وحاصل الختم
والطبع خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة في قلبه
وعند المعتزلة اعلام محض على القلوب بما يبصره الملائكة انهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم
وقال بعضهم ان اسناد الختم الى الله تعالى مجاز والخاتم في الحقيقة الكافر الا انه تعالى لما كان
هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب يقال بنى الامير المدينة لان للفعل
ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده
الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء مجازا لمضاهاتها الفاعل في ملابسته كما يضاهي
الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه وهذا فرع مسئلة خلق الافعال وعلى سمعهم
وحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا لامن اللبس
ولان السمع مصدر في اصله يقال سمعت الشيء سمعا وسماعا والمصدر لا يجمع لانه اسم جنس
يقع على القليل والكثير ولا يحتاج الى التثنية والجمع فلمح الاصل وقيل المضاف محذوف
اى وعلى مواضع سمعهم وقوى وعلى اسماعهم وعلى ابصارهم غشاوة بالرفع خبر ومبتدا
والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي كما ان البصيرة نور القلب وهو ما يستبصر
به ويتامل وكانهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للابصار والاستبصار والغشاوة
الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة
والقلادة والاسماع داخلة في حكم الختم لا في حكم التغشية لقوله وختم على سمعه وقلبه
وجعل على بصره غشاوة ولوفاقهم على الوقف على سمعهم دون قلوبهم ونصب المفضل غشاوة
باضمار جعل وتكرير الجار في قوله وعلى سمعهم دليل على شدة الختم في الموضعين

قال الشيخ ابو منصور الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينطق في نفسه وعمي من المخلوقات عن آثار
الحدث ليعلم ان لا بد من صانع جعل كان على القوم وسمعه غشاوة وان لم يكن ذلك حقيقة وهذا
دليل على ان الاسماع عند داخله في حكم التغشية والآية حجة لنا على المعتزلة في الاصلح فانه اخبر
انه ختم على قلوبهم ولا شك ان ترك الختم اصلح لهم ولهم عذاب عظيم العذاب مثل النكال
بناء ومعنى لانك تقول اعتذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه والفرق بين العظيم
والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون
الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى
التنكير ان على ابصارهم نوعا من التغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله
ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم من العذاب لا يعلم كنهه الا الله ومن الناس من يقول آمنا
بالله وباليوم الآخر افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم
ثم ثنى بالكافرين الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالمنافقين الذين آمنوا
بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم اخبث الكفرة لانهم خلطوا بالكفر استهزاء وخداعا ولذا نزل
فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقال مجاهد اربع آيات من اول
السورة في نعت المؤمنين وآيتان في ذكر الكافرين وثلاث عشرة آية في المنافقين
نعى عليهم فيها نكرهم وخبثهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم
وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين من آخرها
معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت
همزته تخفيفا وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله
انسان واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن
لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول فانك تقول صفة لما كانه قيل ومن
الناس ناس يقولون كذا وانما خصوا الايمان بالله وباليوم الآخر وهو الوقت الذي
لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية او الوقت المحدود
من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانهم اوهموا في هذا المقال
انهم احاطوا بجانبي الايمان اوله وآخره وهذا لان حاصل المسائل الاعتقادية يرجع الى
مسائل المبدأ وهي العلم بالصانع وصفاته واسمائه ومسائل المعاد وهي العلم بالنشور والبعث
من قبور والصراط والميزان وسائر احوال الآخرة وفي تكرير الباء اشارة الى انهم ادعوا
كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام وللمطابق قوله وما هم بمؤمنين

وهو في ذكر شأن الفاعل لا الفعل قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهو في ذكر شأن الفعل لا الفاعل
لان المراد انكار ما ادعوه ونفيه على ابلغ وجه وآكده وهو اخراج ذواتهم من ان يكون طائفة من المؤمنين ونحوه
قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها فهو ابلغ من قولك وما يخرجون منها
واطلق الايمان في الثاني بعد تقييده في الاول لانه يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه ويحتمل
ان يراد نفي اصل الايمان وفي ضمنه نفي المذكور اولا والآية تنفي قول الكرامية ان الايمان هو الاقرار باللسان
لا غير لانه نفى عنهم اسم الايمان مع وجود الاقرار منهم ويؤيد قول اهل السنة انه اقرار باللسان وتصديق
بالجنان ودخلت الباء في خبرها مؤكدة للنفي لانه يستدل بها السامع على الجحد اذا غفل عن اول الكلام
ووحد اللفظ فلما قيل يقول وجمع وما هم بمؤمنين نظرا الى معناه يخادعون الله اي رسول الله
فحذف المضاف كقوله واسأل القرية قاله ابو علي ومعناه اي يظهرون غير ما في نفوسهم فالخداع اظهار
غير ما في النفس وقد رفع منزلة النبي عليه السلام حيث جعل خداعه خداعه وقوله
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقيل معناه يخادعون الله في زعمهم
لانهم يظنون ان الله ممن يصح خداعه وهذا المثال يقع كثيرا لغير اثنين نحو قولك عاقبت اللص وقد
قرئ يخدعون الله وهو بيان ليقول او مستأنف كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين
وما منفعتهم في ذلك فقيل يخادعون ومنفعتهم في ذلك متاركتهم عن المحاربة التي كانت مع
سواهم من الكفار واجراء احكام المؤمنين عليهم ونيلهم من الغنائم وغير ذلك قال صاحب
الوقوف الوقف لازم على مؤمنين لانه لو وصل لصار التقدير وما هم بمؤمنين مخادعين فينتفي
الوصف كقولك ما هو برجل كاذب والمراد نفي الايمان عنهم واثبات الخداع لهم ومن جعل
يخادعون حالا من الضمير في يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول آمنا مخادعين او
حالا من الضمير في بمؤمنين والعامل فيها اسم الفاعل والتقدير وما هم بمؤمنين في حال خدا
عهم لا يقف والاول الوجه والذين آمنوا اي يخادعون رسول الله والمؤمنين باظهار الايمان واضمار
الكفر وما يخدعون الا انفسهم اي وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا
انفسهم وحاصل خداعهم وهو العذاب في الآخرة يرجع اليهم فكانهم خدعوا انفسهم وما يخادعون
ابو عمرو ونافع ومكي لمطابقة وعند الاولين ان خدع وخادع بمعنى واحد والنفس ذات
الشيء وحقيقته ثم قيل للقلب والروح النفس لان النفس بهما وللدم نفس لان قوامها
بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه والمراد بالنفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع
لاحق بهم لا يعدوهم وما يشعرون ان حاصل خداعهم يرجع اليهم والشعور علم الشيء علم
حس من الشعار وهو ثوب يلي الجسد ومشاعر الانسان حواسه لانها آلات الشعور والمعنى ان لحوق

مرد ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له في قلوبهم مرض
اي شك ونفاق لان الشك تردد بين الامرين والمنافق متردد في الحديث مثل المنافق
كمثل الشاة العائرة بين الغنمين والمريض متردد بين الحياة والموت ولان المرض ضد
الصحة والفساد يقابل الصحة فصار المرض اسما لكل فساد والشك والنفاق فساد
في القلب فزادهم الله مرضا اي ضعفا عن الانتصار وعجزا عن الاقتدار وقيل
المراد خلق النفاق في حالة البقاء بخلق امثاله كما عرف في زيادة الايمان ولهم
عذاب اليم فعيل بمعنى مفعل اي مولم بما كانوا يكذبون كوفي اي بكذبهم في قولهم
آمنا بالله وباليوم الآخر فالفعل بمعنى المصدر والكذب الاخبار عن الشيء
على خلاف ما هو به يكذبون غيرهم اي بتكذيبهم النبي فيما جاء به وقيل هو مبالغة في
كذب كما بولغ في صدق فقيل صدّق ونظيرهما بان الشيء وبيّن واذا قيل لهم معطوف
على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض
لكان صحيحا والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به وضده الصلاح
وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن
لان في ذلك فسادا في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع
والمنافع الدينية والدنيوية فكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار
ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يودي
الى هيج الفتن بينهم قالوا انما نحن مصلحون بين المومنين والكافرين بالمداراة يعني ان صفة
المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد
لان انما لقصر الحكم على شيء ولقصر الشيء على حكم كقولك انما ينطلق زيد وانما زيد
كاتب وما كافة لانها تكفها عن العمل الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون
انهم مفسدون فحذف المفعول للعلم به الا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي
لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على حرف النفي لاعطاء
افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا يقع الجملة
بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم قد رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين
ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة من جهة الاستيناف وما في الا وان من التاكيد وتعريف
الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن
الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء نصحهم من وجهين احدهما تتبع ما كانوا

10

عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد وثانيهما تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي
الاحلام فكان من جوابهم ان سفهوهم لتمادي جهلهم وفيه تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة
وانما صح اسناد قيل الى لا تفسدوا وآمنوا مع ان اسناد الفعل الى الفعل لا يصح لانه اسناد
الى لفظ الفعل والممتنع اسناد الفعل الى معنى الفعل فكانه قيل واذا قيل لهم
هذا القول ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما كافة كما في ربما
او مصدرية كما في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما آمن الرسول ومن معه
وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه اي كما آمن اصحابكم واخوانكم او
للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية او جعل المومنون كانهم الناس على
الحقيقة ومن عداهم كالبهائم والكاف في كما في موضع النصب
لانه صفة مصدر محذوف اي ايمانا مثل ايمان الناس ومثله كما آمن السفهاء
والاستفهام في انؤمن للانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس وانما سفهوهم وهم
العقلاء المراجيح لانهم لجهلهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب
متن الباطل كان سفيها والسفه سخافة العقل وخفة الحلم الا انهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون انهم هم السفهاء وانما ذكر هنا لا يعلمون وفيما تقدم لا يشعرون لانه قد ذكر السفه وهو جهل
فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له ولان الايمان يحتاج فيه الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر
المعرفة اما الفساد في الارض فامر مبني على العادات فهو كالمحسوس والسفهاء خبر ان وهم
فصل او مبتدأ والسفهاء خبره والجملة خبر ان واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وقرأ ابو حنيفة
رضي الله عنه واذا لاقوا يقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه الآية الاولى في بيان مذهب
المنافقين والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون مع المومنين من الاستهزاء
بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم واذا خلوا الى شياطينهم خلوت
بفلان واليه اذا انفردت معه وبالى ابلغ لان فيه دلالة الابتداء والانتهاء اي اذا خلوا من المومنين
الى الشياطين ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في
تمردهم وهم اليهود وعن سيبويه ان نون الشيطان اصلية بدليل قولهم تشيطن وعنه
انه زائدة واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل ومن
اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم وانما خاطبوا المومنين
بالجملة الفعلية وشياطينهم بالجملة الاسمية محققة بان لانهم في خطابهم مع المومنين
في ادعاء حدوث الايمان لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان اما لان انفسهم لا تساعدهم

عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ
التوكيد والمبالغة وكيف يطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار واما
خطابهم مع اخوانهم فهم كانوا عن رغبة وكان متقبلا منهم رائجا عنهم فكان
مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد وقوله انما نحن مستهزءون توكيد لقوله انا معكم
لان معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزءون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ
بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او استيناف
كانهم اعترضوا عليهم بقولهم حين قالوا لهم انا معكم ان كنتم معنا فلم توافقون
المؤمنين فقالوا انما نحن مستهزءون والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء
وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على مكانه الله يستهزئ بهم اي يجازيهم على
استهزائهم فسمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه فسمي جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن
الجزاء سيئة واعتداء وهذا لان الاستهزاء على الله تعالى لا يجوز من حيث الحقيقة لانه من باب
العبث وتعالى عنه قال الزجاج هو الوجه المختار واستيناف قوله الله يستهزئ بهم
من غير عطف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء
الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال والذل والهوان ولما
كانت نكايات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل الله يستهزئ بهم
ولم يقل الله مستهزئ بهم ليكون طباقا لقوله انما نحن مستهزءون ويمدهم يمهلهم عن
الزجاج في طغيانهم في غلوهم في كفرهم يعمهون حال اي يتحيرون ويترددون
وهذه الاية حجة على المعتزلة في مسئلة الاصلح اولئك مبتدأ خبره الذين اشتروا الضلالة
بالهدى اي استبدلوها به واختاروها عليه وانما قال اشتروا الضلالة بالهدى
ولم يكونوا على هدى لانه في قوم امنوا ثم كفروا او في اليهود الذين كانوا مؤمنين
بمحمد عليه السلام فلما جاءهم كفروا به او جعلوا لتمكنهم منه كان الهدى قائما منهم
فتركوه بالضلالة وفيه دليل على جواز البيع تعاطيا لانهم لم يتلفظوا بلفظ الشراء
ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيار وسمى ذلك شراء فصار دليلا لنا
على ان من اخذ شيئا من غيره وترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه وان لم يتكلم به
والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله فاستعير للذهاب عن الصواب
في الدين فما ربحت تجارتهم الربح الفضل على راس المال والتجارة صناعة التاجر

وهو الذي يبيع ويشتري للربح واسناد الربح الى التجارة من اسناد المجازي ومعناه فما ربحوا
في تجارتهم اذ التجارة لا تربح ولما وقع شراء الضلالة بالهدى مجازا اتبعه ذكر الربح والتجارة
ترشيحا كقوله ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري
شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر وما كانوا مهتدين
لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر والمعنى ان مطلوب
التجار سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوهما فراس مالهم الهدى ولم يبق لهم
مع الضلالة واذا لم يبق لهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بالاغراض الدنيوية
لان الضال خاسر ولانه لا يقال لمن لم يسلم راس المال قد ربح وقيل الذين صفة اولئك
فما ربحت تجارتهم الى اخر الاية في محل الرفع خبر ولما مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا لما جاء بحقيقة وصفهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب الامثال
في ابراز خفيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق تاثير ظاهر ولقد كثر ذلك في الكتب
السماوية ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في اصل كلامهم هو المثل وهو النظير يقال
مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل
ولم يضربوا مثلا الا قولا فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير وقد يستعار المثل للحال او الصفة
او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال
الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك
من العجائب قصة الجنة العجيبة الشان ثم اخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى اي الوصف
الذي له شان من العظمة والجلالة ووضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي
خاضوا فلا يكون تمثيل الجماعة وقوله الجمعة دليل على ان من كانت من صفاته
لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء بالواحد او قصد جنس المستوقدين او اريد فوج الذي
استوقد نارا على ان ذوات المنافقين لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة
بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ومعنى استوقد وقد ووقود النار سطوعها وارتفاع
جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما
اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة ومصداقه قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث
للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء وجواب فلما ذهب الله بنورهم
وهو ظرف زمان والعامل فيه جوابه مثل اذ وما موصولة وحوله نصب على الظرف

أو نكرة موصوفة والتقدير فلما أضاءت شيئاً ثابتاً حوله وجمع الضمير وتوحيده بالحمل على اللفظ تارة
وعلى معنى أخرى والنور ضوء النار وضوء كل نيّر ومعنى أذهبه أزاله وجعله ذاهباً
ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فكان
أبلغ من الإذهاب ولم يقل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت لأن ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه
دلالة على الزيادة والمراد إزالة النور عنهم رأساً ولو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة
والمراد بقاء ما يسمى نوراً ألا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عرض ينافي
النور وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله
لا يبصرون وترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد فإذا علق بشيئين كان مضمناً معنى
صيّر فيجري مجرى أفعال القلوب ومنه وتركهم في ظلمات أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب
الجزأين والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح لا من قبيل المقدر المنوي
كأن الفعل غير متعد أصلاً وإنما شبهت حالهم بحال المستوقد لأنهم غب الإضاءة
وقعوا في ظلمة وحيرة نعم المنافق خابط في ظلمات الكفر أبداً ولكن المراد ما استضاؤوا به قليلاً
من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق المفضية
بهم إلى ظلمة العقاب السرمد وللآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة
بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة
التي اشتروها بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم صم بكم عمي أي
هم صم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن
ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم وطريقته
عند علماء البيان طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للأسخياء إلا أن هذا في الصفات
وذلك في الأسماء وفي الآية تشبيه بليغ في الأصح لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون
والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلواً عنه
صالحاً لأن يراد المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام فهم لا يرجعون
لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها لتنوع الرجوع إلى الشيء
وعنه أو أراد أنهم متحيرون بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون
أم يتأخرون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ثنى الله تعالى في شأنهم بتمثيل
آخر لزيادة الكشف والإيضاح وشبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد ناراً وإظهاره
الإيمان بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وشبه دين الإسلام بالصيب لأن

القلوب

القلوب تحيى به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد
والوعيد بالرعد والبرق وما يصيبهم من الإفزاع والبلايا من جهة أهل الإسلام بالصواعق
والمعنى كمثل ذوي صيب فحذف مثل لدلالة العطف عليه وذوي لدلالة يجعلون عليه
والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء بهذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فهذا تشبيه أشياء بأشياء إلا أنه لم
يصرح بذكر المشبهات كما صرح في قوله وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا
الصالحات ولا المسيء وقول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب
والحشف البالي بل جاء به مطوياً ذكره على سنن الاستعارة والصحيح أن التمثيلين من جملة
التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به بيانه أن العرب تأخذ
أشياء فرادى معزولاً بعضها من بعض لم تأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس
وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى
مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فالمراد والغرض تشبيه حال اليهود
في جهلها بما معها من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده
حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدفه من الكد والتعب
وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فالمراد قلة بقاء زهرة الدنيا
بقاء كقلة بقاء الخضر فهو تشبيه كيفية بكيفية فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة
شيئاً واحداً فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة
شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل وكذلك
من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والتمثيل الثاني
أبلغ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر ولذا أخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ
وعطف أحد التمثيلين على الآخر بأو لأنها في أصلها لتساوي الشيئين فصاعداً كقولك جالس
الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما سيان في استصواب أن تجالسهما ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثماً أو
كفوراً أي الآثم والكفور سيان في وجوب العصيان فكذا معناها أن كيفية قصة المنافقين
مشبهة بكيفيتي هاتين القصتين وأن القصتين سواء في استقلال كل واحدة منها بوجه التمثيل
فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وإن مثلتها بهما جميعاً فكذلك والصيب المطر الذي يصوب من السماء أي ينزل
ويقع ويقال للسحاب صيب أيضاً وتنكير صيب لأنه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في
التمثيل الأول والسماء هذه المظلة وعن الحسن أنها موج مكفوف والفائدة في ذكر السماء والصيب
لا يكون إلا من السماء أنه جاء بالسماء معرفة فأفاد أنه غمام أخذ بآفاق السماء ونفى أن يكون من سماء

اي بافق واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء ففي التعريف مبالغة
كما في التنكير صيب وتركيبه وبناؤه وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها ياخذ ماءه وقيل
انه ياخذ ماءه وقيل من البحور يرتفع وظلمات مرفوع بالجار والمجرور لانه قد قوي لكونه صفة
لصيب بخلاف ما لو قلت ابتداء فيه ظلمات ففيه خلاف بين الاخفش وسيبويه والرعد
الصوت الذي يسمع من السحاب لاصطكاك اجرام السحاب او ملك يسوق السحاب والبرق
الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع والضمير في فيه يعود الى الصيب فقد جعل الصيب
مكانا للظلمات فان اريد به السحاب فظلماته اذا كان اسحم مطبقا سحمته وتطبيقه مضمومة اليها
ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه لتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل
وجعل الصيب مكانا للرعد والبرق على ارادة السحاب ظاهر وكذا ان اريد به المطر لانهما ملتبسان به
في الجملة ولم يجمع الرعد والبرق لانهما مصدران في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت
برقا فروعي حكم الاصل بان ترك جمعهما ونكرت هذه الاشياء لان المراد انواع منها كانه قيل
فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف يجعلون اصابعهم في آذانهم الضمير لاصحاب
الصيب وان كان محذوفا كما في قوله او هم قائلون لان المحذوف باق معنى وان سقط
لفظا ولا محل ليجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة
والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في
آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقال يكاد البرق يخطف ابصارهم
وانما ذكر الاصابع ولم يذكر الانامل و[illegible] الاصبع وهو الذي يجعل في الاذن اتساعا
كقوله فاقطعوا ايديهما والمراد الى الرسغ ولان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر
الانامل والمراد بذكر الاصبع الخاص بعينها الاذن لان السبابة فعالة من السب فكان
اجتنابها اولى بآداب القرآن ولم يذكر المسبحة لانها مسبحة لانها مستحدثة غير مشهورة من الصواعق
متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم والصاعقة قصفة رعد
تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة
لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو
النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او
بالاحراق حذر الموت مفعول له والموت زوال الحياة او عرض لا يصح معه احساس
معاقب للحياة والله محيط بالكافرين يعني انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به
فهو مجاز وهذه الجملة اعتراض لا محل لها يكاد البرق يخطف نصب لانه خبر كاد كلما اضاء

ابصارهم الخطف الاخذ بسرعة وكاد يستعمل لتقريب الفعل جدا وموضع يخطف نصب لانه خبر كاد
كلما اضاء لهم كل ظرف وما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف اضاء لهم
فيه والعامل فيه جوابها مشوا فيه اي في ضوئه وهو استئناف ثالث كانه جواب لمن يقول
كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين
بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا
من البرق خفقة مع خوف ان تخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا
خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين واضاء متعد اي كلما نور لهم ممشى ومسلكا
اخذوه والمفعول محذوف او غير متعد اي كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره والمشي
جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو واذا اظلم عليهم قاموا
اظلم غير متعد وذكر مع اضاء كلما ومع اظلم اذا لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود
من امكان المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف قاموا وقفوا وثبتوا
في مكانهم ومنه قام الماء جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم
بوميض البرق ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه اي ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم
لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب
كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا
ولو اراد الله ان يتخذ ولدا ان الله على كل شيء قدير اي ان الله قادر على كل شيء لما عدد الله فرق
المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم وما اختصت به
كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور فقال يا ايها الناس
قال علقمة ما في القرآن يا ايها الناس فهو خطاب لاهل مكة وما فيه يا ايها الذين آمنوا فهو خطاب لاهل
المدينة وهذا خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع لنداء البعيد واي والهمزة للقريب ثم استعمل
لمناداة من غفل وسها وان قرب ودنا تنزيلا له منزلة من بعد واذا نودي به القريب المفاطن فذلك
للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا وقول الداعي يا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصار
منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط مع فرط التهالك على استجابة
دعوته واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس
ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه
يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه يا اي والتابع له صفته نحو يا زيد الظريف الا ان
ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها

لتأكيد معنى النداء والعوض عما يستحقه أي من الإضافة وكثر النداء في القرآن على هذه الطريقة
لأن ما نادى الله به عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده أمور عظام وخطوب جسام يجب عليهم
أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم إليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ اعبدوا
ربكم وحدوه قال ابن عباس رضي الله عنه كل عبادة في القرآن فهو توحيد الذي خلقكم
صفة موضحة مميزة لأنهم كانوا يسمون الآلهة أربابا والخلق إيجاد المعدوم على تقدير
واستواء وعند المعتزلة إيجاد الشيء على تقدير واستواء ومبناه على أن المعدوم شيء عندهم لأن الشيء ما
أن يعلم ويخبر عنه عندهم وعندنا هو اسم للموجود وخلقكم بالإدغام أبو عمرو والذين من قبلكم أخرج عليهم
بأنه خالقهم وخالق من قبلهم لأنهم كانوا مقرين بذلك فقيل لهم إن كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبدوه
ولا تعبدوا الأصنام لعلكم تتقون أي اعبدوا على رجاء أن تتقوا فتنجوا بسببه من العذاب ولعل
للترجي والإطماع ولكنه إطماع من كريم فيجري مجرى وعده المحتوم وفاؤه وبه قال سيبويه وقال قطرب
هو بمعنى كي أي لكي تتقوا الذي جعل لكم الأرض أي صير ومحل الذي نصب على المدح أو رفع بإضمار
هو فراشا بساطا تقعدون عليها وتنامون وتتقلبون وهو مفعول ثان لجعل وليس فيه دليل على أن
الأرض مسطحة أو كروية إذ الافتراش ممكن على التقديرين والسماء بناء سقفا لقوله وجعلنا السماء
سقفا محفوظا وهو مصدر سمي به المبني وأنزل من السماء ماء مطرا فأخرج به بالماء ثم خروج الثمار
بقدرته ومشيئته وإيجاده ولكن جعل الماء سببا في خروجها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر
على إنشاء الكل بلا سبب كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له في إنشاء الأشياء مدرجا لها
من حال إلى حال ونقلا من مرتبة إلى مرتبة حكما وعبرا للنظار يجيئون الاستبصار ومن في من الثمرات
للتبعيض أو للبيان رزقا مفعول له إن كانت للتبعيض ومفعول به لأخرج إن كانت للبيان وإنما
قيل الثمرات دون الثمر والثمار وإن كان الثمر المخرج بماء السماء كثيرا لأن المراد جماعة الثمر ولأن الجموع
يتعاور بعضها موضع بعض لالتقائها في الجمعية لكم صفة جارية على الرزق إن أريد به العين وإن جعل
اسما للمعنى وهو مفعول به كأنه قيل رزقا إياكم فلا تجعلوا لله أندادا وهو متعلق باعبدوا أي اعبدوا
ربكم فلا تجعلوا له أندادا لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا تجعل له ندا ولا شريكا ويجوز أن يكون
الذي رفعا على الابتداء وخبره فلا تجعلوا ودخول الفاء لأن الكلام يتضمن الجزاء أي الذي خلقكم
بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال
إلا للمثل المخالف المناوي ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه وأنتم تعلمون
أنها لا تخلق شيئا ولا ترزق والله الخالق الرازق أو مفعول تعلمون متروك أي وأنتم من أهل
العلم وجعل الأصنام لله أندادا غاية الجهل والجملة حال من الضمير في فلا تجعلوا ولما احتج عليهم

بما يثبت الوحدانية ويبطل الإشراك بخلقهم أحياء قادرين وخلق الأرض التي هي مكانهم ومستقرهم وخلق
السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار وما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين
المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل من الثمار رزقا لبني آدم فهذا كله
دليل موصل إلى التوحيد مبطل للإشراك لأن شيئا من المخلوقات لا تقدر على إيجاد شيء منها عطف
على ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوة محمد عليه السلام وما يقرر إعجاز القرآن فقال وإن كنتم في ريب
مما نزلنا ما نكرة موصوفة أو بمعنى الذي على عبدنا محمد عليه السلام والعبد اسم لمملوك من جنس العقلاء
والملوك موجود فيها الاستيلاء وقيل نزلنا دون أنزلنا لأن المراد النزول على سبيل التدريج و
التنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله لم ينزل
هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات عقيب آيات على حسب النوازل وعلى سنن ما نرى عليه أهل
الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا شيئا فشيئا لا يلقي الناظم ديوان شعره
دفعة ولا يرمي الناثر بخطبته ضربة فلو أنزله الله لأنزله جملة قال الله تعالى وقال الذين كفروا
لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على تدريج
فأتوا بسورة أي فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من أصغر السور
والسورة طائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات وواوها إن كانت أصلا فإما أن تسمى بسورة
المدينة وهي حائطها لأنها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لأنها محتوية
على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها وإما أن تسمى بالسورة التي هي
الرتبة لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي أيضا في نفسها مرتبة طوال وأوساط
وقصار أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين وإن كانت منقلبة عن همزة فلأنها قطعة وطائفة من القرآن
كالسؤرة التي هي البقية من الشيء وأما الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سورا فهي كثيرة ولذا أنزل الله
التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون
في كل فن كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم منها أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع و
اشتمل على أصناف كان أحسن من أن يكون بيانا واحدا ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو بابا
من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب
بطوله ومن ثم جزأ القراء القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا ومنها أن الحافظ إذا
حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم
عنده ما حفظه ويجل في نفسه ومنه حديث أنس رضي الله عنه كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران
جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة أفضل من مثله متعلق بسورة وصفة لها

والصفى لما نزلنا اى بسورة كاينة من مثله بنى فاتوا بسورة ما هو على صفته بالبيان الغريب وعلو الطبقة
فى حسن النظم او لعبدنا اى فاتوا ممن هو على حاله من كونه امياً لم يقرا الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا
قصد الى المثل ونظيره سالك ورد الضمير الى المنزل اولى لقوله فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور
مثله على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولان الكلام مورد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا
وذلك ان الحديث فى المنزل لا فى المنزل عليه وهو مسوق اليه فان المعنى فان ارتبتم فى ان القرآن منزل
من عند الله فاتوا انتم بشئ مما يماثله وقضية الترتيب لو كان الضمير مردوداً الى رسول الله ان
يقال وان ارتبتم فى ان محمداً منزل عليه فهاتوا قرآناً من مثله ولان هذا التفسير يلايم قوله وادعوا شهداءكم
جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة من دون الله اى غير الله وهو متعلق بشهداءكم اى ادعوا الذين
اتخذتم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق او من يشهد لكم بانه مثل
القرآن ان كنتم صادقين ان ذلك مختلق وانه من كلام محمد وجواب الشرط محذوف
يدل عليه ما قبله اى ان كنتم صادقين فى دعويكم فاتوا بسورة من مثله واستعينوا بآلهتكم على
ذلك فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة لما ارشدهم الى الجهة
التى منها يتعرفون صدق النبى عليه السلام قال لهم فاذا لم تعارضوه وبان عجزكم ووجب تصديقه
فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وعاند وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون
المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن تفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله ولما كان العجز عن المعارضة
قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واعتمادهم على الاعتناء بسوق الكلام
معهم على حسب حسبانهم بحئ بان الذى للشك دون اذا الذى للوجوب وعبر عن الاتيان
بالفعل لانه فعل من الافعال والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التى تعطيك اختصارا اذ لو لم يعدل عن لفظ
الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله ولا محل لقوله
ولن تفعلوا لانها جملة معترضة وحسن هذا الاعتراض ان لفظ الشرط للتردد بنفسه ولن تفعلوا ولا
ولن اختان فى نفى المستقبل الا ان فى لن تاكيدا وعن الخليل اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها
نونا وعند سيبويه حرف موضوع لتاكيد نفى المستقبل واما علم انه اخبار عن الغيب على ما هو به
حتى صار معجزة لانهم لو عارضوه بشئ لاشتهر كيف والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه وشرط فى
اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله لانهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق الرسول
عليه السلام واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد وابوا الانقياد استوجبوا النار فسبب ترك العناد
وهو من باب الكناية وهى من شعب البلاغة وفائدة الايجاز الذى هو من حلية
القرآن والوقود ما يرفع به النار يعنى الحطب واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح وصلة الذى

والتى

والتى يجب ان تكون معلومة للمخاطب فيحتمل ان يكونوا سمعوا من اهل الكتاب ومن رسول الله او سمعوا
قبل هذه الآية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة وانما جاءت النار منكرة ثمة ومعرفة هنا لان
تلك الآية نزلت بمكة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا ومعنى قوله وقودها الناس والحجارة
انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها تتقد بالناس والحجارة وهى حجارة الكبريت فهى اشد توقدا وابطأ
خمودا وانتن رائحة والصق بالبدن او الاصنام المعبودة فهى اشد تحسرا وانما قرن الناس بالحجارة لانهم
قرنوا بها انفسهم فى الدنيا حيث عبدوها وجعلوها لله اندادا وهو قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم اى حطبها فقرنهم بها محماة فى نار جهنم ابلاغا فى ايلامهم اعدت للكافرين هيئت
لهم وفيه دليل على ان النار مخلوقة خلافا لما يقوله جهم سنة الله فى كتابه ان يذكر الترغيب
مع الترهيب تنشيطا لاكتساب ما يزلف وتثبيطا عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم
ولو عدهم تنشيطا لاكتساب ما يزلف وتثبيطا عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم
بالعقاب قفاه بذكر للمؤمنين واعمالهم وتبشيرهم بقوله وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات
والمامور بقوله وبشر الرسول صلى الله عليه وسلم او كل احد وهذا احسن لانه يوذن بان الامر
لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به وهو معطوف على فاتقوا
كما تقول يا بنى تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بنى اسد باحسانى اليهم وجملة وصف ثواب
المؤمنين معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كقولك زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا
بالعفو والاطلاق والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولهذا قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرنى بقدوم فلان
فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذى اظهر سرور نفسه بخبره دون الباقين ولو قال اخبرنى مكان
بشرنى عتقوا لانهم اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب
اليم فمن العكس فى الكلام الذى يقصد به الاستهزاء الزايد فى غيظ المستهزأ به كما يقول الرجل
لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك والصالحة نحو الحسنة فى جريها مجرى الاسم والصالحات
كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس والآية حجة على من جعل
الاعمال ايمانا لانه عطف الاعمال الصالحة على الايمان والمعطوف غير المعطوف عليه ولا يقال انكم تقولون
يجوز ان يدخل المؤمن الجنة بدون الاعمال الصالحة والله تعالى بشر بالجنة لمن آمن وعمل صالحا
لان البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الاعمال الصالحة بالايمان ولا تحصل لصاحب الكبيرة البشارة
المطلقة بل يثبت بشارة مقيدة بمشية الله ان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة
ان لهم جنات اى بان لهم وموضع ان وما عملت فيه النصب بنزع الخافض عند سيبويه خلافا للخليل
وهو كثير فى التنزيل والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف والتركيب دائر على معنى

الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجُنّة والجانّ والجَنان وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان
والجنة مخلوقة لقوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة خلافا لبعض المعتزلة ومعنى جمع الجنة
وتنكيرها ان الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة ومعنى جمع الجنة وتنكيرها
ان الجنة اسم لدار الثواب مراتب بحسب اعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك
سر هو مدلول التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة
الجنان تجري من تحتها الانهار الجملة في موضع النصب صفة لجنات والمراد من تحت اشجارها
كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وانهار الجنة تجري في غير اخدود وان
البساتين ما كانت اشجارها مظلة والانهار في خلالها مطردة والجري الاطراد والنهر المجرى الواسع
فوق الجدول ودون البحر كالنيل لمصر واللغة العالية النهر ومدار التركيب على السعة واسناد
الجري الى الانهار مجازي وانما عرف الانهار لانه يحتمل ان يراد بها انهارها فعوض التعريف باللام
تعريف الاضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار
من ماء غير آسن الآية والماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى ولذا قرن الله الجنات بذكر الانهار
الجارية وقدمه على سائر نعوتها كلما رزقوا صفة ثانية لجنات او جملة مستأنفة لانه
لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنان اشباه ثمار جنات
الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي
اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي اي كلما رزقوا من الجنان
من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك ومن الاولى والثانية كلتاهما
لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدأ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدأ من ثمر ونظيره
ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه
فتقول من الرمان وليس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة وانما المراد نوع من انواع
الثمار رزقنا اي رزقناه فحذف العائد من قبل اي من قبل هذا فلما قطع عن الاضافة بني وهو
هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة
تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته والضمير في به يرجع الى المرزوق في الدنيا والآخرة
جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوا في الدارين وانما كان ثمار
الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن اجناسا اخر لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل
واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا شاهد ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة
وتفاوتا بينا كان استعجابه به اكثر واستغرابه اوفر وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة

يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وعلى ان ذلك التفاوت العظيم
هو الذي يستملي تعجبهم في كل اوان اولى الرزق كان هذا اشارة اليه والمعنى ان ما يرزقونه
من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى
بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه
عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة
الى فيه حتى يبدلها الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة الاولى قالوا ذلك وقوله واتوا به متشابها
جملة معترضة للتقرير كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا
ومنه وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون ولهم فيها ازواج ازواج مبتدأ ولهم
الخبر وفيها ظرف للاستقرار مطهرة من مساوي الاخلاق لا طمحات ولا مرحات او مما يختص
بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من البول والغائط وسائر الاقذار
والادناس ولم يجمع الصفة كالموصوف لانهما لغتان فصيحتان ولم يقل طاهرة لان مطهرة
ابلغ لانها تكون للتكثير وفيها اشعار بان مطهرا طهرهن وما ذاك الا الله عز وجل وهم فيها خالدون
الخلد البقاء الذي لا ينقطع وفيه بطلان قول الجهمية فانهم يقولون بفناء الجنة واهلها لانه تعالى
وصف بانه الاول والآخر وتحقيق وصف الاولية بسبقه على الخلق اجمع فيجب تحقيق
وصف الآخرية بالتأخر عن سائر المخلوقات وذا انما يتحقق بعد فناء الكل فوجب
القول به ضرورة ولانه تعالى باق واوصافه باقية فلو كانت الجنة باقية مع اهلها لوجب
التشابه بين الخالق والخلق وذا محال قلنا الاول في حقه هو الذي لا ابتداء لوجوده والآخر
هو الذي لا انتهاء له وفي حقنا الاول هو الفرد السابق والآخر هو الفرد اللاحق واتصافه
بهما لبيان صفة الكمال ونفي النقيصة والزوال وذا في تنزهه عن احتمال الحدوث
والفناء لا فيما قالوا وانى يقع التشابه في البقاء وهو تعالى باق لذاته وهو واجب الوجود
وبقاء المخلوق وهو جائز الوجود لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه
وضرب به مثلا فضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزل ان الله لا يستحيي ان
يضرب مثلا ما بعوضة اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك ما يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها
واصل الحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم لا يجوز على القديم
التغير والخوف والذم ولكن الترك لما كان من لوازمه عبر به عنه ويجوز ان يقع هذه العبارة
في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت
فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع

وفيه لغتان التعدي بنفسه وبالجار يقال استحييته واستحييت منه وهما محتملتان هنا وضرب
المثل صنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وما ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما
وزادته عموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم
كانه قال لا يستحيي ان يضرب مثلا البتة وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب
ومثلا حال من النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين على ان ضرب بمعنى جعل واشتقاقها من البعض
وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض
في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت فما فوقها فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت
فيه مثلا وهو القلة والحقارة او فما زاد عليها في الحجم كانه اراد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل
بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة ولا يقال كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية
في الصغر لان جناح البعوضة اقل منها واصغر درجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثلا للدنيا فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق الضمير للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي
لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب من ربهم في موضع النصب على الحال
والعامل معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله
بهذا مثلا ويوقف عليه اذ لو وصل لصار ما بعده صفة له وليس كذلك وفي قولهم ماذا اراد
الله بهذا مثلا استحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو يا عجبا لابن عمرو هذا
تحقير له ومثلا نصب على التمييز او على الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية واما حرف فيه
معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول
زيد ذاهب فاذا قصدت توكيده وانه لا محالة ذاهب قلت اما زيد فذاهب ولذا قال سيبويه
في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير يفيد كونه توكيدا وانه في معنى الشرط
وفي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون
احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بليغ بعلمهم انه الحق ونعي على الكفار وزين اغفالهم
حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي وما استفهاما
فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولين اسما واحدا للاستفهام فيكون كلمة واحدة
فما على الاول رفع بالابتداء وخبره ذا مع صلته اي اراد والعائد محذوف وعلى الثاني
منصوب المحل باراد والتقدير اي شيء اراد الله والارادة مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك
ومال اليه قلبك وهي عند المتكلمين معنى يقتضي تخصيص المفعولات بوجه دون
وجه والله تعالى موصوف بالارادة على الحقيقة عند اهل السنة وقالت معتزلة بغداد انه

لا يوصف

لا يوصف بالارادة على الحقيقة فاذا قيل اراد الله كذا فان كان فعله فمعناه انه فعله وهو غير ساه
ولا مكره عليه وان كان فعل غيره فمعناه انه امر به يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى
التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به
كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة
واهل الهدى كثير في انفسهم وانما يوصفون بالقلة بالقياس الى اهل الضلالة ولان القليل
من المهتدين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم
قل وان كثروا والاضلال خلق فعل الضلال في العبد والهداية خلق فعل الاهتداء هذا
هو الحقيقة عند اهل السنة وسياق الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة من الكفار واستغربوه من ان يكون
المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب لان التمثيل انما يصار
اليه لما فيه من كشف المعنى وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به
مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك الا ترى ان الحق لما كان واضحا جليا
تمثل له بالضياء والنور وان الباطل لما كان بضد صفته تمثل له بالظلمة ولما كانت
حال الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت
مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا
لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق
في قوله سائق للمثل على قضية مضربه وبيان لان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والنظر في
الامور بناظر العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا انه الحق وان الكفار الذين غلب الجهل على
عقولهم كابروا وعاندوا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك
سبب هدى المؤمنين وضلال الفاسقين والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون
الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد
واضعف من فراشة وآكل من السوس واضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض
ولكن ديدن المحجوج المبهوت ان يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وانكار اللائح وما يضل به الا
الفاسقين هو مفعول يضل وليس منصوبا على الاستثناء لان يضل لم يستوف مفعوله
والفسق الخروج عن القصد وفي الشريعة الخروج عن الامر بارتكاب الكبيرة وهو النازل
بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيمر عليك ما يبطله ان شاء الله تعالى
الذين ينقضون عهد الله النقض الفسخ وفك التركيب والعهد الموثق والمراد بهؤلاء الناقضين
لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفرة جميعا وعهد الله ما ركز في عقولهم

من الحق على التوحيد كأنه امره ووصاهم به ووثقه عليهم او اخذ الميثاق عليهم بانه اذا بعث اليهم
رسول الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره او اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم بعضهم
على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذى اخذه على جميع
ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة
ويقيموا الدين وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه من بعد ميثاقه وهى احكام
الشئ والضمير للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان
الميعاد بمعنى الوعد اى الله لهم بعد توثقته عليهم ومن لابتداء الغاية ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
هو قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاجتماع على الحق
فى ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل الاستعلاء
وما نكرة موصوفة او بمعنى الذى وان يوصل ويفسدون فى الارض بقطع السبيل والتعويق
عن الايمان اولئك مبتدأ ثم فصل والخبر الخاسرون اى المغبونون حيث استبدلوا النقض
بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله معنى
الهمزة التى فى كيف مثله فى قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان
وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح والواو وكنتم
امواتا نطفا فى اصلاب آبائكم للحال وقد مضمرة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل ويقال
لعادم الحيوة اصلا ميت ايضا كقوله بلدة ميتا فاحياكم فى الارحام ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم
يحييكم للبعث ثم اليه ترجعون تصيرون الى الجزاء او ثم يحييكم فى قبوركم ثم اليه ترجعون
للنشور وانما كان العطف الاول بالفاء والبواقى بثم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بلا تراخ
واما الموت فقد تراخى عن الحيوة والحيوة الثانية كذلك تتراخى عن الموت ان اريد النشور وان اريد احياء
القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور وانما انكر اجتماع الكفر
مع القصة التى ذكرها لانها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ولانها تشتمل على نعم جسام
حقها ان تشكر ولا تكفر هو الذى خلق لكم ما فى الارض اى لاجلكم ولانتفاعكم فى دنياكم
ودينكم اما الاول فظاهر واما الثانى فالنظر فيه وما فيه من العجائب الدالة على صانع قادر حكيم عليم
وما فيه من التذكير بالآخرة لان ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها تذكر عقابها وقد استدل
الكرخى وابو بكر الرازى والمعتزلة بقوله خلق لكم على ان الاشياء التى يصح ان ينتفع بها خلقت مباحة فى
الاصل جميعا نصب على الحال من ما استوى الى السماء الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود

اى قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوى
على شئ ومنه قوله ثم استوى الى السماء اى اقبل وعمد الى خلق السموات بعد خلق ما فى الارض من غير ان
يريد فيما بين ذلك خلق شئ آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير
فسويهن مبهم يفسره سبع سموات كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء ولفظها واحد
ومعناها الجمع لانها فى معنى الجنس ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام
خلقهن ثم مناسبا بان فضل خلق السموات على خلق الارض ولا تناقض بين هذا وقوله والارض بعد ذلك
دحاها لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الارض فى موضع
بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى
موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وهو بكل شئ عليم
من ثمة خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما فى الارض على حسب حاجات اهلها
ومنافعهم وهو واخواته مدنى غير ورش وابو عمرو وعلى جعلوا الواو كانها من نفس الكلمة
فصارت بمنزلة عضد فهم يقولون فى عضد عضد بالسكون ولما خلق الله تعالى الارض اسكن فيها الجن
واسكن فى السماء الملائكة فافسدت الجن فى الارض فبعث اليهم طائفة من الملائكة فطردتهم الى جزائر
البحار ورؤس الجبال واقاموا مكانهم فامر نبيه عليه السلام ان يذكر قصتهم فقال واذ قال
ربك للملائكة اذ نصب باضمار اذكر والملائكة جمع ملاك كالشمائل جمع
شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع انى جاعل اى مصير من جعل الذى له مفعولان وهما فى الارض
خليفة وهو من يخلف غيره فعيلة بمعنى فاعلة وزيدت الهاء للمبالغة والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا
سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته ولم يقل خلائف وخلفاء لانه اريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره
عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابى القبيلة فى قولك مضر وهاشم او اريد من
يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك او خليفة الله فى الارض وكذلك كل نبى قال الله تعالى
انا جعلناك خليفة فى الارض وانما اخبرهم بذلك ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به
فيعرفوا حكمته فى استخلافهم قبل كونهم او ليعلم عباده المشاورة فى امورهم قبل ان يقدموا عليها وتعجب
من ان يستخلف مكان اهل الطاعة وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن
المشاورة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية
وهو الحكيم الذى لا يجهل وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او من جهة اللوح او قاسوا احد الثقلين
على الآخر ويسفك الدماء اى يصب والواو فى ونحن نسبح للحال كما تقول اتحسن الى فلان
وانا احق منه بالاحسان بحمدك فى موضع الحال اى نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك كقوله

وقد دخلوا بالكفر اى كافرين ونقدس لك ونطهر انفسنا لك وقيل التسبيح والتقديس
بمعنى الله من السوء من سبح فى الارض وقدس اذا ذهب فيها وابعد قال انى اعلم ما لا تعلمون اى
اعلم من الحكم فى ذلك ما هو خفى عليكم يعنى يكون فيهم الانبياء والاولياء والعلماء
وما بمعنى الذى وهو مفعول اعلم والعائد محذوف اى ما لا تعلمونه بالحجازية وابو عمرو وعلم
آدم هو اسم اعجمى واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر واشتقاقهم آدم من الادمة او
اديم الارض كاشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس الاسماء
كلها اى اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء
اذ الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الراس شيبا ولا يصح ان يقدر وعلم
آدم مسميات الاسماء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه لان التعليم تعلق بالاسماء لا
بالمسميات لقوله انبئونى باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم ولم يقل انبئونى بهؤلاء وانبئهم بهم ومعنى
تعليمه اسماء المسميات انه اراه الاجناس التى خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه
كذا وعن ابن عباس رضى الله عنهما علمه اسم كل شئ حتى القصعة والمغرفة ثم عرضهم على الملائكة
اى عرض المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنباهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت
فقال انبئونى اخبرونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فى زعمكم انى استخلف فى الارض
مفسدين سفاكين للدماء وفيه رد عليهم وبيان ان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التى هى
اصول الفوائد كلها ما يستاهلون لاجله ان يستخلفوا قالوا سبحانك تنزيها لك ان يخفى عليك
شئ او عن الاعتراض عليك فى تدبيرك وافادتنا الآية ان علم الاسماء فوق التخلى بالعبادة فكيف
بعلم الشريعة وانتصابه على المصدر تقديره سبحت الله تسبيحا لا علم لنا الا ما علمتنا وليس فيه علم الاسماء
وما بمعنى الذى والعلم بمعنى المعلوم لنا الا الذى علمتنا انك انت العليم غير المعلم الحكيم فيما قضيت
وقدرت والكاف اسم ان وانت مبتدا وما بعده خبره والجملة خبر ان او انت فصل والخبر
العليم الحكيم خبران قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم سمى كل شئ باسمه
قال الم اقل لكم انى اعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون تسرون واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم اى اخضعوا له واقروا بالفضل له وعن ابى بن كعب وعن ابن
عباس رضى الله عنهم كان ذلك انحناء ولم يكن خرورا على الذقن والجمهور على
ان المامور به وضع الوجه على الارض وكان السجود تحية لآدم عليه السلام فى الصحيح
اذ لو كان لله تعالى حين امرهم بسجدة لا ينبغى لما امتنع عليه ابليس وكان سجود التحية
جائزا فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان رضى الله عنه حين اراد ان يسجد له

لا ينبغى لمخلوق ان يسجد لاحد الا لله فسجدوا الا ابليس الاستثناء متصل لانه كان من الملائكة كذا
قال على وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم ولان الاصل ان الاستثناء يكون من جنس المستثنى
منه ولهذا قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك وقوله وكان من الكافرين وقيل الاستثناء منقطع
لانه لم يكن من الملائكة خلقوا من النور ولانه ابى وعصى واستكبر والملائكة خلقوا من النور ولانه
بل كان من الجن بالنص وهو قول الحسن وقتادة رحمهما الله ولانه خلق من نار والملائكة خلقوا
من النور ولانه ابى وعصى واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما امرهم ولا يستكبرون عن عبادته
ولانه قال افتتخذونه وذريته اولياء من دونى ولا نسل للملائكة وعن الجاحظ ان الجن
والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين
فهو جن ابى امتنع مما امر به واستكبر تكبر عنه وكان من الكافرين وصار
من الكافرين بابائه واستكباره ورده الامر لا بترك العمل بالامر لان ترك السجدة لا يخرج من الايمان
ولا يكون كفرا عند اهل السنة خلافا للمعتزلة والخوارج او وكان من الكافرين
فى علم الله اى وكان فى علم الله تعالى وهى مسالة الموافاة وقلنا يا آدم اسكن
امر من سكن الدار يسكنها سكنى اذا اقام فيها ويقال سكن المتحرك سكونا انت وزوجك الجنة
هى جنة الخلد التى وعدت للمتقين للنقل المشهور واللام للتعريف وقالت المعتزلة كانت بستانا
باليمن لان الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها قلنا انما لا يخرج منها من دخلها جزاء وقد دخل
النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ثم خرج ويكلفون بالمعرفة والتوحيد وكلا منها
من ثمارها فحذف المضاف رغدا وصف المصدر اى اكلا رغدا واسعا حيث شئتما
وبابه بغير همز ابو عمرو وحيث للمكان المبهم اى اى مكان من الجنة شئتما ولا تقربا هذه الشجرة
اى الحنطة فلذا قيل كيف لا يعصى الانسان وقوته من شجرة العصيان او الكرمة لانها اصل كل فتنة
او التينة فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهى من الظالمين من الذين ظلموا
انفسهم او من الضارين انفسهم فازلهما الشيطان عنها عن الشجرة اى حملهما الشيطان على الزلة بسببها
وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها او فازالهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما فازالهما حمزة وزلة
آدم بالخطا فى التاويل اما بحمل النهى على التنزيه دون التحريم او بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله
تعالى اراد الجنس والاول الوجه وهذا دليل على انه يجوز اطلاق اسم الزلة على الانبياء
عليهم السلام كما قال مشايخ بخارى رحمهم الله فانها اسم لفعل يقع على خلاف الامر
من غير قصد الى الخلاف كزلة الماشى فى الطين وقال مشايخ سمرقند رحمهم الله لا نطلق اسم
الزلة على افعالهم كما لا نطلق المعصية وانما يقال فعلوا الفاضل وتركوا الافضل

فتوبوا عليه فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة
في عنها وقد توصل الى اذلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم لانه منع عن دخولها على جهة
التكرمة كدخول الملائكة لا عن دخولها على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وروي انه
اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل قام عند الباب فنادى
وقلنا اهبطوا الهبوط النزول الى الارض والخطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية
والصحيح لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما
الانس كلهم ويدل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو المراد به ما عليه الناس
من التباغي والتعادي وتضليل بعضهم لبعض والجملة في موضع الحال من الواو في اهبطوا
اي اهبطوا متعادين ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع بالعيش
الى حين الى يوم القيامة او الى الموت قال ابن آدم رحمه الله اورثتنا تلك الاكلة حزنا
طويلا فتلقى آدم من ربه كلمات اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها ونصب آدم
ورفع كلمات مكي على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به وهن قوله تعالى ربنا ظلمنا
انفسنا فان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية
السبيل الى التنصل من الذنوب وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان احب الكلام الى الله تعالى ما قاله
ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت
ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني
بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في من روحك الم تسبق رحمتك غضبك الم تسكني جنتك
وهو تعالى يقول له بلى قال فلم اخرجتني من الجنة قال بشؤم معصيتك قال فلو تبت اراجعي انت
اليها قال نعم فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول واكتفى بذكر توبة آدم لان حواء كانت تبعا له
وقد طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك انه هو التواب الكثير القبول
للتوبة الرحيم على عباده قلنا اهبطوا منها جميعا حال اي مجتمعين وكرر الامر بالهبوط
للتاكيد ولان الهبوط الاول من الجنة الى السماء والثاني من السماء الى الارض اولما
نيط به من زيادة فاما يأتينكم مني هدى اي رسول ابعثه اليكم او كتاب انزله
عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة فمن تبع هداي
اي بالقبول والايمان فلا خوف عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على ما خلفوا والشرط
الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك فلا
خوف عليهم في كل القرآن يعقوب والذين كفروا وكذبوا باياتنا

اولئك مبتدأ والخبر اصحاب النار اي اهلها ومستحقوها والجملة في موضع الرفع خبر المبتدأ اعني
والذين هم فيها خالدون يا بني اسرائيل هو يعقوب عليه السلام وهو لقب له ومعناه
في لسانهم صفوة الله او عبد الله فاسرا هو العبد او الصفوة وايل هو الله بالعبرية وهو غير منصرف
لوجود العلمية والعجمة اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ذكرهم النعمة ان لا
يخلوا بشكرها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من
فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وما انعم به عليهم
من ادراك زمن محمد عليه الصلوة والسلام المبشر به في التوراة والانجيل واوفوا اوفى
ووفى لغتان يقال وفيت بالعهد فانا واف به واوفيت بالعهد فانا موف به والاختيار اوفيت
وعليه نزل التنزيل بعهدي بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي او من الايمان بنبي
الرحمة والكتاب المعجز اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم
والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا وعن قتادة وقال اهل الاشارة اوفوا بعهدي في دار
محنتي على بساط كرامتي بسرور رؤيتي واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك
زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد واياي منصوب
بفعل مضمر دل عليه ما بعده وتقديره فارهبوا اياي فارهبون وحذف الاول لان الثاني
يدل عليه والفاء بتنصب بقوله فارهبون لاخذه معموله وهو الياء المحذوفة وكسرة النون دليل
الياء كما لا يجوز نصب زيدا في زيد فاضربه بضرب الذي هو ظاهر وآمنوا بما انزلت يعني القرآن مصدقا
حال مؤكدة من الهاء المحذوفة كانه قيل انزلته مصدقا لما معكم من التوراة يعني في
العبادة والتوحيد والنبوات وامر محمد عليه السلام ولا تكونوا اول كافر به اي اول من كفر به
او اول حزب او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به وهذا تعريض بانه كان يجب
ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته والضمير به يعود الى القرآن ولا تشتروا ولا تستبدلوا
باياتي بتغييرها وتحريفها ثمنا قليلا قال الحسن هو الدنيا بحذافيرها وقيل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم
خافوا عليها الفوات لو اتبعوا رسول الله واياي فاتقون فخافوني فارهبوني فاتقوني بالياء في الحالين
وكذلك كل ياء محذوفة في الخط يعقوب ولا تلبسوا الحق بالباطل لبس الحق بالباطل خلطه والباء
ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء اذا خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس
منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة
كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا
الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا

بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وجاز ان يكون مجزوما
لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتهم في التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في
التورية صفة محمد او حكم كذا وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لان الجهل
بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا الصلوة واتوا الزكوة اي صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين
منهم لان اليهود لا ركوع في صلوتهم اي اسلموا وعملوا عمل اهل الاسلام وجاز ان يراد بالركوع
الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بالصلوة مع المصلين يعني في الجماعة اي صلوها مع المصلين
لا منفردين اتأمرون الناس للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم بالبر اي سعة الخير
والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار
يأمرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون
بالصدقة ولا يتصدقون واذا اوتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وتنسون انفسكم وتتركونها من
البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت اي تتلون التورية وفيها نعت محمد عليه السلام او فيها الوعيد
على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم
استقباحه عن ارتكابه وهو توبيخ عظيم واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع
بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب
ودفع الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ومراعاة الآداب والخشوع واستحضار
العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات والارض او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر
عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة
عند وقوعها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وصلى ركعتين
ثم قال واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل
لشهر رمضان شهر الصبر وقيل الصلوة الدعاء اي استعينوا على البلاء بالصبر والالتجاء الى
الدعاء والابتهال الى الله في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك
كبر علي هذا الامر الا على الخاشعين لان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها
فتهون عليهم الا ترى قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه
ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفسر يظنون بيتيقنون لقراءة عبد الله يعلمون اي يعلمون انه لا بد
من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه
مشقة خالصة والخشوع الاخبات والتطامن واما الخضوع فاللين والانقياد وقيل لقاء
بالرؤية وملاقوا ربهم بمعاينة بلا كيف وانهم اليه راجعون لا يملك امرهم في الآخرة

احد سواه يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم التكرير للتوكيد واني
فضلتكم عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس
يقال رأيت عالما من الناس والمراد الكثرة واتقوا يوما اي يوم القيامة فهو مفعول به لا ظرف لا تجزي
نفس مؤمنة عن نفس كافرة شيئا اي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق التي لزمتها وشيئا مفعول به او مصدر
اي قليلا من الجزاء والجملة منصوبة المحل صفة ليوما والعائد منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه
ولا يقبل منها شفاعة ولا تقبل بالتاء مكي وبصري والضمير في منها يرجع الى النفس المؤمنة اي لا تقبل
منها شفاعة للكافرة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا
وهو كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وتشبث المعتزلة بالآية في نفي الشفاعة للعصاة مردود
لان المنفي شفاعة الكفار وقد قال عليه السلام شفاعتي لاهل الكبائر من امتي من كذب بها لم ينلها ولا يؤخذ
منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدى ولا هم ينصرون يعاونون وجمع لدلالة النفس المنكرة على النفوس
الكثيرة وذكر لمعنى العباد او الاناسي واذ نجيناكم من آل فرعون اصل آل اهل ولذا
يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر كالملوك واشباههم فلا يقال آل الاسكاف
والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس يسومونكم حال من آل
فرعون اي يولونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء
العذاب ويريدونكم عليه ومساومة البيع من ابدائه ومطالبته وسوء مفعول ثان ليسومونكم وهو مصدر
السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده
وافظعه يذبحون ابناءكم بيان لقوله يسومونكم ولذا ترك العاطف ويستحيون نساءكم
يتركون بناتكم احياء للخدمة وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يزول ملكه
بسببه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله وفي ذلكم
بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون ونعمة ان اشير به الى الانجاء من ربكم صفة لبلاء عظيم
صفة ثانية واذ فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك وقرئ فرقنا اي فصلنا
يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثنى عشر على عدد الاسباط بكم البحر
كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم او فرقناه بسببكم او فرقناه ملتبسا بكم
فيكون في موضع الحال روي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا فنحن لا نرضى حتى نراهم فاوحى الله
ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم فانجيناكم
واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه ولا تشكون فيه ولما قال واذ واعدنا موسى
لان الله تعالى وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور وعدنا حيث كان بصري لما دخل

بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التورية وضرب
ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقال اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي واربعين مفعول ثان
لواعدنا لا الظرف لانه ليس معناه واعدنا في اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل اي الها فحذف المفعول الثاني
اتخذتم وبابه بالاظهار مكي وحفص من بعده من بعد ذهابه الى الطور وانتم ظالمون بوضعكم العبادة
غير موضعها والجملة حال اي عبدتموه ظالمين ثم عفونا عنكم محونا ذنوبكم عنكم من بعد ذلك من بعد
اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون لكي تشكروا النعمة في العفو عنكم واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان
يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التورية ونظيره رأيت الغيث
والليث يريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من
العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفلاق البحر
او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه لعلكم تهتدون لكي تهتدوا واذ قال موسى لقومه الذين
عبدوا العجل يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل معبودا فتوبوا الى بارئكم هو الذي
خلق الخلق بريا من التفاوت وفيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم
ابرياء من التفاوت الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة والبلادة فاقتلوا انفسكم قيل
هو على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة
فقتل سبعون الفا ذلكم التوبة والقتل خير لكم عند بارئكم من الاصرار على المعصية فتاب عليكم
انه هو التواب المفضال بقبول التوبة وان كثرت الرحيم بعفو الحوبة وان كبرت والفاء
الاولى للتسبيب لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا
انفسكم اذ الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم والثالثة متعلقة بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد
تاب عليكم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة عيانا وانتصابها على المصدر
كما ينصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال من نرى اي ذوي جهرة فاخذتكم الصاعقة
اي الموت قيل هي نار جاءت من السماء فاحرقتهم وروي ان السبعين الذين كانوا مع موسى
عند الانطلاق الى الجبل قالوا له نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء فارنا الله جهرة فقال
موسى سألته ذلك فابى علي فقالوا انك رأيت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبعث الله
عليهم صاعقة فاحرقتهم وتعلقت المعتزلة بهذه الآية في نفي الرؤية لانه لو كان جائز الرؤية
لما عوقبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت قلنا انما عوقبوا بكفرهم لان قولهم انك
رأيت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم ولانهم امتنعوا عن الايمان بموسى بعد ظهور
معجزته حتى يروا ربهم جهرة والايمان بالانبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح

الآيات

الآيات عليهم ولانهم لم يسألوا سؤال مسترشد بل سؤال تعنت وعناد وانتم تنظرون
اليها حين نزلت ثم بعثناكم احييناكم واصل البعث الاثارة من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث
بعد الموت وظللنا عليكم الغمام وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم
السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم
لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن الترنجبين وكان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر
الى طلوع الشمس لكل انسان صاع والسلوى كان يبعث الله عليهم الجنوب فتحشر عليهم
السلوى وهي السماني فيذبح الرجل ما يكفيه وقلنا لهم كلوا من طيبات لذيذات وحلالات
ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون انفسهم مفعول يظلمون وهو خبر
كانوا واذ قلنا لهم بعدما خرجوا من التيه ادخلوا هذه القرية اي بيت المقدس او اريحا والقرية
المجمع من قريت لانها تجمع الخلق امروا بدخولها بعد التيه فكلوا منها من طعام القرية وثمارها حيث
شئتم رغدا واسعا وادخلوا الباب باب القرية او باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم
لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام وانما دخلوا الباب في حياته ودخلوا بيت
المقدس بعده سجدا حال وهو جمع ساجد امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا
وقولوا حطة فعلة من الحط كالجلسة وهي خبر مبتدأ محذوف اي مسألتنا حطة وامرك حطة
والاصل النصب وقد قرئ به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات وقيل امرنا حطة
اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها وعن علي رضي الله عنه هو بسم الله الرحمن الرحيم وعن عكرمة
رضي الله عنه هو لا اله الا الله نغفر لكم خطاياكم جمع خطيئة وهي الذنب نغفر مدني تغفر
شامي وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة
ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم
فيه حذف وتقديره فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى
الى مفعول واحد بنفسه والى آخر بالباء فالذي مع الباء متروك والذي بغير باء موجود يعني
وضعوا مكان حطة قولا غيرها اي امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس
معناه معناها امروا به ولم يمتثلوا امر الله وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية
حطا سمقاثا اي حنطة حمراء تهكما بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون
من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا رجزا عذابا وطاعونا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة
في تقبيح امرهم وايذان بانزال الرجز عليهم لظلمهم من السماء صفة لرجزا بما كانوا
يفسقون بسبب فسقهم روي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل

سبعون الفا واذ استسقى موسى لقومه موضع اذ نصب كانه قيل واذكروا اذ استسقى اى استدعى
ان يسقى قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر عطشوا فى التيه فدعا لهم موسى عليه السلام بالسقيا
فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روى انه حجر طورى حمله معه
وكان مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين وكانوا
ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او للجنس اى اضرب الشىء الذى يقال له الحجر وهذا اظهر فى الحجة
وابين فى القدرة فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اى فضرب فانفجرت اى سالت بكثرة او فان ضربت
فقد انفجرت وهى على هذا فاء فصيحة لا تقع الا فى كلام بليغ منه اثنتا عشرة عينا على عدد الاسباط
وقرى بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان وعينا تمييز قد علم كل اناس كل سبط مشربهم
عينهم التى يشربون منها وقلنا لهم كلوا واشربوا من المن والسلوى واشربوا من ماء العيون
من رزق الله اى الكل مما رزقكم الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين لا تفسدوا فيها والعثى اشد الفساد
مفسدين حال مؤكدة اى لا تتمادوا فى الفساد فى حال فسادكم لانهم كانوا متمادين
فيه واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى وانما قالوا على طعام
واحد وهما طعامان لانهم ارادوا بالواحد ما لا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم
عليها كل يوم لا يبدلها يقال لا يأكل فلان الا طعاما واحدا ويراد بالوحدة نفى التبدل والاختلاف
او ارادوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف وكانوا من اهل الزراعات
فارادوا ما الفوا من البقول والحبوب وغير ذلك فادع لنا ربك سله وقل له اخرج لنا يخرج لنا
يظهر لنا ويوجد مما تنبت الارض من بقلها وهو ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول
كالنعناع والكرفس والكراث ونحوها مما يأكله الناس وقثائها بمعنى الخيار وفومها هو الحنطة
او الثوم لقراءة ابن مسعود رضى الله عنه وثومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو ادنى
اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار بالذى هو خير انفع واجل
اهبطوا مصرا من الامصار اى انحدروا اليه من التيه وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهى
اثنا عشر فرسخا فى ثمانية فراسخ او مصر فرعون وانما صرفه مع وجود السببين وهما التعريف والتانيث
لانه اراد البلد او لسكون وسطه كنوح ولوط وفيهما العجمة والتعريف فان لكم ما سالتم اى فان الذى سالتم
يكون فى الامصار لا فى التيه وضربت عليهم الذلة والمسكنة اى الهوان والفقر يعنى جعلت الذلة
محيطة بهم مشتملة عليهم فيها كما يكون فى القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب
كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة وفقر اما على الحقيقة واما لتصاغرهم
وتفاقرهم خيفة ان يضاعف عليهم الجزية عليهم الذلة عن وعلى وكذلك كان قبل

الهاء باء ساكنة وبكسر الهاء والميم غيرهم وباؤوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا
بان يقتل به لمساواته له اى صاروا احقاء بغضبه وعن الكسائى رجعوا ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب
الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين
ما لهم نافع وكذا به اى ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود شعيا وزكريا
ويحيى عليهم السلام والنبى من النبأ لانه مخبر عن الله تعالى فعيل بمعنى مفعل او بمعنى مفعل او من نبا
اى ارتفع والنبوة المكان المرتفع بغير الحق عندهم ايضا فانهم لو انصفوا لم يذكروا شيئا
يستحقون به القتل عندهم وهو فى محل النصب على الحال من الضمير فى يقتلون اى يقتلونهم مبطلين
ذلك تكرار للاشارة بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب ارتكابهم انواع المعاصى
واعتدائهم حدود الله فى كل شىء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل كانوا يعتدون
فى السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على ان ذلك بسبب عصيانهم
واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل
الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون
والذين هادوا تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل فى اليهودية وهو هايد والجمع هود والنصارى
جمع نصران كندمان وندامى يقال رجل نصران وامراة نصرانة والياء فى نصرانى للمبالغة كالتى فى
احمرى سموا نصارى لانهم نصروا المسيح والصابئين الخارجين من دين مشهور الى غيره من
صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة وقيل
هم يقرؤون الزبور من آمن بالله واليوم الآخر من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا وعمل صالحا فلهم
اجرهم ثوابهم عند ربهم فى الآخرة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومحل من
الرفع ان جعلته مبتدأ وخبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه
فخبر ان فى الوجه الاول الجملة كما هى وفى الثانى فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا
ميثاقكم بقبولكم ما فى التوراة ورفعنا فوقكم الطور اى الجبل حتى قبلتم واعطيتم
الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاء بالالواح فراوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت
عليهم وابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال
لهم موسى ان قبلتم والا القى عليكم حتى قبلوا وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم
من الكتاب اى التوراة بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما فى الكتاب
وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين ثم توليتم
ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به من بعد ذلك من بعد القبول فلولا فضل الله عليكم ورحمته

بتأخير العذاب عنكم وبتوفيقكم للتوبة لكنتم من الخاسرين الهالكين في العذاب ولقد
علمتم عرفتم فيتعدى إلى مفعول واحد الذين اعتدوا منكم في السبت هو مصدر سبتت
اليهود إذا عظمت يوم السبت وقد اعتدوا فيه أي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة
وتعظيمه فاشتغلوا بالصيد وذلك أن الله تعالى نهاهم أن يصيدوا في السبت ثم ابتلاهم
فما كان يبقى حوت في البحر وشرعوا إليها جداول فكانت الحيتان تدخل إلا أخرج خرطومه
يوم السبت فإذا مضى تفرقت فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا إليها الجداول فكانت الحيتان
تدخل يوم السبت لأمنها من الصيد وكانوا يسدون مشارعها من البحر فيصطادونها
يوم الأحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم فقلنا لهم كونوا بتكويننا إياكم
قردة خاسئين خبر أن أي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها
يعني المسخة نكالا لما عبرة تنكل من اعتبر بها أي تمنعه لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها
من الأمم والقرون لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها
من بلغتهم من الآخرين وموعظة للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم
أو لكل متق سمعها وإذ قال موسى لقومه أي واذكروا إذ قال موسى وهو معطوف على نعمتي
في قوله اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم كأنه قال اذكروا ذاك واذكروا إذ قال
موسى وكذلك هذا في الظروف التي مضت أي اذكروا نعمتي واذكروا وقت إنجائنا
إياكم واذكروا واذكروا وقت فرقنا واذكروا نعمتي واذكروا وقت استسقاء موسى ربه
لقومه والظروف التي تأتي إلى قوله وإذ ابتلى إبراهيم ربه إن الله يأمركم أن أي بأن
تذبحوا بقرة قال للمفسرين قد من الله أرواحهم أول القصة مؤخر في التلاوة وهو قوله
وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وذلك أن رجلا موسرا اسمه عاميل قتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب
مدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فأمرهم الله أن تذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم
بقاتله قالوا أتتخذنا هزوا أي أتجعلنا مكان هزؤ أو أهل هزؤ أو الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء هزؤا
بسكون الزاي والهمز حمزة وبضمتين والواو حفص عنهما بالتثقيل والهمز قال أعوذ بالله
العياذ واللياذ من واد واحد أن أكون من الجاهلين لأن الهزؤ في مثل هذا من
باب الجهل والسفه وفيه تعريض لهم أي أنتم جاهلون حيث تنسبوني إلى الاستهزاء قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي سؤال عن حالها وصفتها لأنهم كانوا عالمين بماهيتها لأن ما وإن كان
سؤالا عن الجنس وكيف عن الوصف ولكن قد يقع ما موقع كيف وذلك أنهم تعجبوا من بقرة
ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان وما هي خبر ومبتدأ

قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض مسنة وسميت فارضا لأنها فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها
وارتفع فارض لأنه صفة لبقرة وقوله ولا بكر فتية صغيرة عطف عليه عوان نصف بين ذلك بين الفارض
والبكر ولم يقل بين ذينك مع أن بين يقتضي شيئين فصاعدا لأنه أراد بين هذا المذكور وقد يجري الضمير
مجرى اسم الإشارة في هذا قال أبو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد
توليع البهق إن أردت الخطوط فقل كأنها وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كأن
ذلك فافعلوا ما تؤمرون أي تؤمرونه بمعنى تؤمرون به أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية
المفعول بالمصدر كضرب الأمير قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها موضع ما رفع لأنه مبتدأ
لأن معناه الاستفهام تقديره ادع لنا ربك يبين لنا أي شيء لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء
فاقع لونها الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه أي أخلصه يقال في التوكيد أصفر فاقع
وهو توكيد لصفراء وليس خبرا عن اللون إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل ولا فرق بين
قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها وفي ذكر اللون فائدة التوكيد لأن اللون اسم الهيئة وهي
الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده تسر الناظرين لحسنها
والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء
قل همه لقوله تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال عن حالها
وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي عليه السلام لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها
لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم إن البقر تشابه علينا إن البقر الموصوف
بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون إلى البقرة المراد ذبحها
أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل وإن شاء الله اعتراض بين اسم إن وخبرها وفي الحديث
لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد أي لو لم يقولوا إن شاء الله قال إنه يقول إنها بقرة لا
ذلول تثير الأرض لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب وإثارة
الأرض ولا تسقي الحرث ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الأولى نافية والثانية
مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير الأرض أي تقلبها للزراعة وتسقي الحرث
على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية مسلمة عن العيوب
وآثار العمل لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها
وظلفها وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية إذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت
بالحق أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي إشكال في أمرها حينئذ وبالهمز بغير همز أبو عمرو وقد
نحوها فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها فذبحوها وما كادوا يفعلون

لئلا ثمنها او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة
فاتى بها الغيضة قال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت
من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها دنانير وكانت البقرة اذ
ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة وهذا البيان من قبيل تقييد المطلق
فكان نسخا والنسخ قبل الفعل جائز وكذا قبل التمكن منه عندنا خلافا للمعتزلة واذ قتلتم نفسا
بتقدير واذكروا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها فاختلفتم واختصمتم في
شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض
فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع واصله تدارأتم ثم ارادوا التخفيف
فقلبوا التاء دالا ليصير من جنس الدال التي هي فاء الكلمة ليمكن الادغام ثم سكنوا الدال اذ شرط
الادغام ان يكون الاول ساكنا وزيدت همزة الوصل لانه لم يمكن الابتداء بالساكن فادارأتم وتغيير
عن ابي عمرو والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما
واعمل مخرج على حكاية ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف
والمعطوف عليه وهما ادارأتم فقلنا والضمير في اضربوه يرجع الى النفس والتذكير بتاويل
الشخص او الانسان او الى القتيل لما دل عليه ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة وهو لسانها
او فخذها اليمنى او عجبها او العظم فضربوه فحيي فحذف ذلك للدلالة كذلك يحيي الله الموتى
عليه روي انهم لما ضربوه قام باذن الله وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا
وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك وقوله كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للمنكرين في
زمن النبي عليه السلام واما ان يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك
يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته دلائله على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون
تعملون على قضية عقولكم وهي ان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء جميعها
لعدم الاختصاص والحكمة في ذبح البقرة وضربه ببعضها وان قدر على احيائه بلا واسطة
التقرب به والاستشعار بحسن تقديم القربة على الطلب والتعليم لعباده ترك التشديد
في الامور والمسارعة الى امتثال امر الله تعالى من غير تفتيش وتكثير سؤال وغير ذلك
وقيل لما امروا بذبح البقرة دون غيرها من البهائم لانها افضل قرابينهم ولعبادتهم العجل فاراد
الله تعالى ان يهون معبودهم عندهم وكان ينبغي ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض
البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها
ولكنه تعالى انما قص قصص بني اسرائيل تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم

عليها

عليها ولان القصتين وان كانتا متصلتين فمستقل كل واحدة منها بنوع من التقريع فالاولى لتقريعهم
على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة
وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت
قصة واحدة ولذهب المراد في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة
برأسها ان وصلت بالاولى بضمير البقرة لا باسمها الصريح في اضربوه ببعضها ليعلم انهما قصتان فيما يرجع
الى التقريع وقصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة وفي هذه القصة تنبيه الى ان من اراد
احياء قلبه بالمشاهدات فليمت نفسه بانواع المجاهدات معنى ثم قست قلوبكم من بعد
ذلك اشارة الى احياء القتيل والى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة فهي كالحجارة فهي في قسوتها
مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف تقديره او مثل اشد قسوة فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهي في انفسها اشد قسوة يعني ان من عرف حالها شبهها
بالحجارة او بجوهر هو اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة وانما
لم يقل اقسى لكونه ابين وادل على فرط القسوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد
كريم وعمرو اكرم وان من الحجارة بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة لما يتفجر منه الانهار ما بمعنى
الذي في موضع النصب وهو اسم ان واللام للتوكيد والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وان منها
لما يشقق اصله يتشقق وبه قرأ الاعمش فقلبت التاء شينا وادغمت فيخرج منه الماء يعني ان
من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض
فينبع منه الماء ايضا وقلوبهم لا تندى وان منها لما يهبط يتردى من علو الجبل من خشية الله قيل
هو مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به
وقيل المراد به حقيقة الخشية على معنى انه يخلق فيها الحياة والتمييز وليس شرط خلق
الحياة والتمييز في الجسم ان يكون على بنية مخصوصة عند اهل السنة وعلى هذا قوله لو انزلنا
هذا القرآن على جبل الآية يعني وقلوبهم لا تخشى وما الله بغافل عما تعملون وبالياء مكي وهو
وعيد افتطمعون الخطاب لرسول الله عليه السلام والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان
يؤمنوا لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم يعني اليهود والواو في وقد كان فريق
منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله اي التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم
وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا
فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا اي المنافقون او اليهود الذين آمنوا اي المخلصين من اصحاب محمد عليه السلام

قالوا اى المنافقون آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا
الى بعض الى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله
عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بالذى انزل
ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك
تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد وقيل عند اضمار المضاف اى
عند كتاب ربكم وقيل ليجادلوكم ويخاصموكم بما قلتم لهم عند ربكم في الآخرة
يقولون كفرتم به بعد ان وقفتم على صدقه افلا تعقلون ان هذه حجة عليكم حيث تعترفون به
ثم لا تتبعونه اولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك
اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم ومن اليهود اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا
التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا امانى الا ما هم عليه
من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا تمسهم النار الا اياما معدودة او الا اكاذيب مختلقة
سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد ومنه قول عثمان ما تمنيت منذ اسلمت
او الا ما يقرؤن من قوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل
اشيا اخذوها من احبارهم والاستثناء منقطع وان هم وما هم الا يظنون
لا يدرون ما فيه فيجحدون نبوتك بالظن ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم ثم العوام الذين
قلدوهم وبكت على الخبث ويل واد في جهنم للذين يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تلفيقا
او نفسهم من غير ان يكون منزلا وذكر الايدى للتاكيد وهو من مجاز التاكيد ثم
يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا عرضا يسيرا فويل لهم مما كتبت ايديهم
وويل لهم مما يكسبون من الرشى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة اربعين
يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف سنة
وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا اى خبرا اليكم انه لا يعذبكم
الا هذا المقدار فلن يخلف الله عهده متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله
عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام اما ان تكون معادلة اى اتقولون على الله ما تعلمون
ام تقولون على الله ما لا تعلمون او منقطعة اى بل اتقولون على الله ما لا تعلمون بلى اثبات لما بعد
النفى وهو لن تمسنا النار اى بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة شركا
عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما واحاطت به خطيئته سدت عليه طريق النجاة بان مات على شركه فاما اذا مات
مومنا فاعظم الطاعات وهو الايمان معه فلا يكون الذنب محيطا به فلا يتناوله النص وبهذا

التاويل يبطل تشبث المعتزلة والخوارج وقيل استولت عليه كما يحيط العدو ولم ينفص عنها بالتوبة
خطيئته مدنى فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل الميثاق العهد المؤكد
غاية التاكيد لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهى كما تقول تذهب الى فلان تقول له
كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهى لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء
فهو يخبر عنه ويعضده قراءة ابى لا تعبدوا وعطف وقولوا والقول مضمر وقيل
لان بنى اسرائيل اسم ظاهر والاسماء الظاهرة كلها غيب ومعناه ان لا تعبدوا فلما حذفت
ان رفع وبالوالدين احسانا اى وتحسنون او احسنوا عطف الامر وهو قولوا وقوله وذى
القربى القرابة واليتامى جمع يتيم وهو الذى فقد اباه قبل الحلم الى الحلم لنهيه عليه السلام لا يتم
بعد البلوغ والمساكين جمع مسكين وهو الذى اسكنته الحاجة وقولوا للناس حسنا قولا هو
حسن في نفسه لافراط حسنه حسنا حسن وعلى واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم عن الميثاق
ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم
الاعراض عن المواثيق والتولية واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون
انفسكم من دياركم اى لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا
او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم
على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كما تقول فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها او وانتم
تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء استبعاد
لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم انتم مبتدا
وهؤلاء بمعنى الذين تقتلون انفسكم صلة هؤلاء وهو لا مع صلته خبر انتم وتخرجون فريقا منكم
من ديارهم غير مراقبين ميثاق الله تظاهرون عليهم بالتخفيف كوفى اى تتعا
ونون والتشديد بدغمهم من خفف فقد حذف احدى التائين ثم قيل هى الثانية لان
الثقل بها وقيل الاولى ومن شدد قلب التاء الثانية ظاء وادغم بالاثم والعدوان بالمعصية
والظلم وان ياتوكم اسارى تفادوهم اسارى تفدوهم ابو عمرو اسارى تفدوهم
مكى وشامى اسرى تفدوهم حمزة اسارى تفادوهم على فدا وفادى بمعنى واسارى حال وهو
جمع اسير وكذلك اسرى والضمير في وهو محرم عليكم للشان او هو مبهم تفسيره اخراجهم
افتؤمنون ببعض الكتاب يعنى فدا الاسرى وتكفرون ببعض يعنى القتال والاجلاء قال السدى
اخذ الله عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة وفداء الاسرى

فاعرضوا عن كل ما امروا الا الفداء فما جزاء من يفعل ذلك منكم هو اشارة الى الايمان ببعض والكفر
ببعض الا خزي فضيحة وهوان في الحيوة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وهو الذي
لا روح فيه ولا فرج او الى اشد من عذاب الدنيا وما الله بغافل عما تعملون وبالياء نافع وابو بكر
اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة اختاروها على الآخرة اختيار المشتري فلا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم ولقد آتينا موسى
الكتاب التورية آتاه جملة وقفينا من بعده بالرسل فقفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب
وقفاه به اذا اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من الرسل وهم يوشع واشمويل وشمعون
وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا
ويحيى وغيرهم عليهم السلام وآتينا عيسى ابن مريم عيسى بالعبرية الخادم ووزن مريم عند النحويين
مفعل لان فعيلا لم يثبت في الابنية البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه
الابرص والاخبار بالمغيبات وايدناه بروح القدس اي الطهارة وبالسكون حيث كان مكي اي
بالروح المقدسة كما يقال حاتم الجود ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب او بجبريل لانه
ياتي بما فيه حيوة القلوب وذلك لانه رفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله او بالانجيل كما قال في
القرآن روحا من امرنا او باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره افكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى تحب انفسكم استكبرتم تعظمتم عن قبوله ففريقا كذبتم كعيسى ومحمد عليهما السلام و
فريقا تقتلون كزكريا ويحيى عليهما السلام ولم يقل قتلتم لوفاق الفواصل ولان المراد وفريقا تقتلونه
بعد لانكم حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة والمعنى ولقد آتينا
يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم
عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم وقالوا قلوبنا
غلف جمع اغلف اي هي خلقة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من
الاغلف الذي لم يختن بل لعنهم الله بكفرهم رد الله ان يكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت
على الفطرة والتمكن من قبول الحق فانما طردهم بكفرهم وزيغهم فقليلا ما يؤمنون فقليلا صفة
مصدر محذوف اي فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل
القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف وقرئ به جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلوم
فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره او اوعية للعلم فلو كان ما جئت به حقا لقبلنا ولما
جاءهم اي اليهود كتاب من عند الله اي القرآن مصدق لما معهم من كتابهم
لا يخالفه وكانوا من قبل يعني القرآن يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون

على المشركين اذا قاتلوهم اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التورية
ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد و
ارم فلما جاءهم ما عرفوا ما موصولة اي ما عرفوه وهو فاعل جاء كفروا به بغيا وحسدا
وحرصا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة
على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد او للجنس ودخلوا فيه دخولا اوليا وجواب لما
الاولى مضمر وهو نحو كذبوا او انكروا او كفروا جواب الاولى والثانية لان مقتضاهما واحد
وما في بئسما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم اي باعوا والمخصوص
بالذم ان يكفروا بما انزل الله يعني القرآن بغيا مفعول له اي حسدا وطلبا لما ليس لهم
وهو علة اشتروا ان ينزل الله لان ينزل وعلى ان ينزل اي حسدوا على ان ينزل الله من فضله هو
الوحي على من يشاء من عباده وهو محمد عليه السلام فباؤا بغضب على غضب فصاروا احقاء
بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه او كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام
او بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك وللكافرين عذاب مهين
مذل [illegible] ابو عمرو وينزل بالتخفيف مكي وبصري واذا قيل لهم لهؤلاء اليهود
آمنوا بما انزل الله يعني القرآن او هو مطلق يتناول كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل
علينا اي التورية ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية
وهو الحق من ربهم مصدقا لما معهم غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التورية
فقد كفروا بها ومصدقا حال مؤكدة قل فلم تقتلون انبياء الله اي فلم قتلتم فوضع المستقبل
موضع الماضي ويدل عليه قوله من قبل ان كنتم مؤمنين اي من قبل محمد اعتراض عليهم
بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية لا تسوغ قتل الانبياء قيل قتلوا في يوم
واحد [illegible] نبي في بيت المقدس ولقد جاءكم موسى بالبينات بالآيات التسع وادغم
الدال في الجيم حيث كان ابو عمرو وحمزة وعلي ثم اتخذتم العجل الها من بعده من بعد
خروج موسى الى الطور وانتم ظالمون حال اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها
او اعتراض اي وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور كرر
ذكر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست في الاولى خذوا ما آتيناكم بقوة
واسمعوا ما امرتم به في التورية قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك وطابق قوله جوابهم
من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع
طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل

الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب والمضاف وهو الحب محذوف
بكفرهم بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه قل بئسما يأمركم به ايمانكم بالتوراة
لانه ليس في التوراة عبادة العجل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم وكذا اضافة الايمان اليهم
ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم قل ان كانت لكم الدار الآخرة
اي الجنة عند الله ظرف ولكم خبر كان خالصة حال من الدار الآخرة اي سالمة لكم ليس
لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا من
دون الناس هو للجنس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فيما تقولون لان من ايقن انه من
اهل الجنة اشتاق اليها تخلصا من الدار ذات الشوائب كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة
ان كل واحد منهم يحب الموت ويحن اليه ولن يتمنوه ابدا بما هو نصب على الظرف اي
لن يتمنوه ما عاشوا بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من الكفر بمحمد وتحريف كتاب الله وغير ذلك
وهو من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله فلن تفعلوا ولو تمنوا لنقل
ذلك كما نقل سائر الحوادث والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم احرص الناس
مفعولا وجدهم واحرص على حياة التنكير يدل على ان المراد حياة مخصوصة وهي
الحياة المتطاولة ولذا كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحياة ومن الذين اشركوا
محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس نعم قد دخل الذين اشركوا
تحت الناس ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد كما ان جبريل وميكائيل
خصا بالذكر وان دخلا تحت الملائكة او اريد واحرص من الذين اشركوا
فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة
ولا يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد في الحرص
من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ وانما زاد
حرصهم على الذين اشركوا لانهم علموا انهم صائرون الى النار لعلمهم
بحالهم والمشركون لا يعلمون ذلك وقوله يود احدهم لو يعمر الف سنة بيان
لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم
كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو قول الاعاجم
زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس
يود احدهم على حذف الموصوف والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود
لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو بمزحزحه من العذاب لاحدهم

وقوله ان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وجوز ان يكون مبهما
وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء قال جامع العلوم وغيره لو يعمر بمعنى ان يعمر
فلو منا نائب عن ان وان مع الفعل في تأويل المصدر وهو مفعول يود اي يود احدهم
تعمير الف سنة والله بصير بما يعملون اي بعمل هؤلاء الكفار ويجازيهم عليه وبالتاء يعقوب قل
من كان عدوا لجبريل بفتح الجيم بلا همز غيرهم ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة ومعناه
عبد الله لان الجبر هو العبد بالسريانية وايل اسم الله روي ان ابن صوريا من احبار اليهود
حاج النبي عليه السلام وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك
وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من
يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم
فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي ذنب تقتلونه فانه نزله فان جبريل نزل
القرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته
كانه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه
وخص القلب لانه محل الحفظ كقوله نزل به الروح الامين على قلبك وكان حق
الكلام ان يقال على قلبي ولكن جاء على حكاية كلام الله تعالى كما تكلم به وانما استقام
ان يقع فانه نزله جزاء للشرط لان تقديره ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته
حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله
ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم وقيل جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا
لجبريل فليمت غيظا فانه نزل الوحي على قلبك باذن الله بامره مصدقا لما بين يديه وهدى
وبشرى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال بصري وميكائل
باختلاس الهمز كميكاعل مدني وميكائيل بالمد وكسر الهمز مشبعة غيرهم وخص
الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر اذ التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير
في الذات فان الله عدو للكافرين اي لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم
لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر كعداوة الانبياء ومن عاداهم عاداه الله ولقد انزلنا
اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون المتمردون من الكفرة اللام للجنس
والاحسن ان يكون اشارة الى اهل الكتاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن صوريا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت الواو في
اوكلما للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا عهدا

نبذه نقضه ونقضه وقال فريق منهم لأن منهم من لم ينقض بل أكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به ولما جاءهم رسول من عند الله محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب أي التوراة والذين أوتوا الكتاب اليهود كتاب الله يعني التوراة لأنهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها أو كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين أي نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه سخر الجن والإنس والريح وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه ولكن بالتخفيف الشياطين بالرفع شامي وحمزة وعلي يعلمون الناس السحر في موضع الحال أي كفروا معلمين الناس السحر قاصدين به إغواءهم وإضلالهم وما أنزل على الملكين الجمهور على أن ما بمعنى الذي وهو منصوب عطف على السحر أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين أو على ما تتلو أي واتبعوا ما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت علمان لهما وهما عطف بيان للملكين والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا إن كان فيه رد ما لزم في شرط الإيمان ومن تجنبه أو تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا قال الشيخ أبو منصور رحمه الله القول بأن السحر كفر على الإطلاق خطأ بل يجب البحث عن حقيقته فإن كان في ذلك رد ما لزم في شرط الإيمان فهو كفر وإلا فلا ثم السحر الذي هو كفر يقتل عليه الذكور لا الإناث وما ليس بكفر وفيه إهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ويستوي فيه الذكور والإناث وتقبل توبته إذا تاب ومن قال لا تقبل فقد غلط فإن سحرة فرعون قبلت توبتهم وقيل أنزل أي قذف في قلوبهما مع النهي عن العمل وقيل إنهما ملكان اختارتهما الملائكة لتركب فيهما الشهوة حين عيرت بني آدم فكانا يحكمان في الأرض ويصعدان بالليل فهويا زهرة فحملتهما

على شرب الخمر فزنيا فرآهما إنسان فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذبان منكوسين في جب ببابل وهي بابل لتبلبل الألسن بها وما يعلمان من أحد وما يعلم الملكان أحدا حتى يقولا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا إنما نحن فتنة ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر بتعلمه والعمل به على وجه يكون كفرا فيتعلمون منهما الضمير عطف على قوله يعلمون الناس السحر أي يعلمونهم فيتعلمون من السحر والكفر اللذين دل عليهما قوله كفروا ويعلمون الناس السحر أو على مضمر والتقدير فيأتون فيتعلمون والضمير لما دل عليه من أحد أي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين بأن يحدث الله تعالى عنده النشوز والخلاف ابتلاء منه وللسحر حقيقة عند أهل السنة كثرهم الله تعالى وعند المعتزلة هو تخييل وتمويه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله بعلمه ومشيئته ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم في الآخرة وفيه دليل على أنه واجب الاجتناب كتعلم الفلسفة التي تجر إلى الغواية ولقد علموا أي اليهود لمن اشتراه أي استبدل ما تتلوا الشياطين على كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به أنفسهم باعوها وإنما نفى العلم عنهم بقوله لو كانوا يعلمون مع إثباته لهم بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي لأن معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم لا يعلمون ولو أنهم آمنوا برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لما تركوا العمل بالعلم والمعنى لأثيبوا من عند الله ما هو خير وأوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو لما فيها من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها ولم يقل لمثوبة الله خير لأن المعنى لشيء من الثواب خير لهم وقيل لو بمعنى التمني كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا كان المسلمون يقولون لرسول الله إذا ألقى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله أي راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناه وهو انظرنا من نظره إذا انتظره واسمعوا وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين ولليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه

عذاب اليم مولم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم
وبالتخفيف مكي وابو عمرو من خير من ربكم من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان
اهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة
والله يختص برحمته من يشاء يعني انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان
ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء والله ذو الفضل العظيم فيه اشعار بان
ايتاء النبوة من الفضل العظيم ولما طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يأمر اصحابه ثم ينهاهم
عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا نزل ما ننسخ من آية او ننسها تفسير النسخ لغة
التبديل وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق الذي في تقديرنا وهامنا استمراره بطريق التراخي
فكان تبديلا في حقنا بيانا محضا في حق صاحب الشرع وفيه جواب عن البداء الذي يدعيه منكروه
اعني اليهود ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم في نفسه لم يلحق به ما ينافي النسخ من توقيت او تابيد
ثبت نصا او دلالة وشرطه التمكن من عقد القلب عندنا دون التمكن من الفعل خلافا للمعتزلة ويجوز
نسخ الكتاب والسنة متفقا ومختلفا ويجوز نسخ التلاوة وهما الحكم والحكم دون التلاوة والتلاوة
دون الحكم ونسخ وصف في الحكم مثل الزيادة على النص فانها نسخ عندنا خلافا للشافعي
والانساء ان يذهب بحفظها عن القلوب او ننسأها مكي وابو عمرو اي نؤخرها من نسأت اذا اخرت
نأت بخير منها نأت بآية خير منها للعباد اي بآية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك اذ لا فضيلة
لبعض الآيات على البعض الم تعلم ان الله على كل شيء قدير اي قادر فهو يقدر
على الخير وعلى مثله الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها وهو اعلم
بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ وما لكم من دون الله من ولي يلي امركم ولا نصير ناصر
يمنعكم من العذاب ام تريدون ام منقطعة ومعناه بل اتريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل
موسى من قبل روي ان قريشا قالوا يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا ارض مكة فنهوا
ان يقترحوا عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه السلام حين قالوا اجعل لنا الها ومن يتبدل
الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء
السبيل قصده ووسطه ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم ان يردوكم من بعد
ايمانكم كفارا حال من كم اي يردونكم عن دينكم كافرين نزلت حين
قالت اليهود للمسلمين بعد وقعة احد الم تروا الى ما اصابكم ولو كنتم على الحق لما هزمتم
فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم حسدا مفعول له اي لاجل الحسد وهو الاسف على الخير
عند الغير من عند انفسهم يتعلق بود اي ودوا من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل

التدين والميل مع الحق او ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم اي بعد علمهم بانكم على الحق او بحسدا
اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح
عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي الله بامره بالقتال ان الله على كل شيء قدير فهو
يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير من حسنة صلوة
او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل عامل
الصبر وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اي اهل الكتاب من اليهود
والنصارى اي وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل
الجنة الا من كان نصارى فلف بين قولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله
وامنا من الالتباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما صاحبه
الاخرى قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء
وهود جمع هائد كعائذ وعوذ ووحد اسم كان لفظ من وجمع الخبر لمعناه تلك امانيهم اشارة
الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان
يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم والامنية افعولة
من التمني مثل الاضحوكة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهات
منزله هات بمعنى احضر وهو متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك
امانيهم اعتراض ان كنتم صادقين في دعواكم بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم
الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن مصدق بالقرآن
فله اجره جواب من اسلم فهو كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط وبلى رد لقولهم عند ربه
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء اي على شيء يصح ويعتد به والواو في وهم يتلون الكتاب للحال
والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من
حمل التوراة او الانجيل وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للآخر
كذلك مثل ذلك القول الذي سمعت به قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اي الجهلة الذين لا علم
عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم
لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
ان بين اليهود والنصارى بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به ومن اظلم ممن منع مساجد
الله ان يذكر فيها اسمه موضع من رفع على الابتداء وهو استفهام واظلم خبره والمعنى

وأي أحد أظلم وأن يذكر ثاني مفعولي منع لأنك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا أن نرسل وما منع
الناس أن يؤمنوا ويجوز أن يحذف حرف الجر مع أن أي من أن يذكر وأن تنصبه مفعولا له
بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وأن مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم
والسبب فيه طرح النصارى في بيت المقدس الأذى ومنعهم الناس أن يصلوا فيه ومنع المشركين
رسول الله أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وإنما قيل مساجد الله وإن كان المنع على مسجد
واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام لأن الحكم ورد عاما وإن كان السبب خاصا كقوله ويل لكل
همزة والمراد به الأخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر والمراد بمن العموم كما أريد العموم
بمساجد الله أولئك المانعون ما كان لهم أن يدخلوها أي ما كان ينبغي أن يدخلوا مساجد الله
إلا خائفين حال من الضمير في يدخلوها أي على التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن
يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق إلا ذلك لولا
ظلم الكفرة وعتوهم وروي أنه لا يدخل بيت المقدس إلا أوجع ضربا ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه
كقوله وما كان لكم أن تؤذوا لهم في الدنيا خزي قتل وسبي أو ذلة بضرب الجزية الذي
ولهم في الآخرة عذاب عظيم أي النار ولله المشرق والمغرب أي بلاد المشرق والمغرب كلها له
هو مالكها ومتوليها فأينما تولوا شرط ففي أي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر
القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والجوار
فثم وجه الله أي جهته التي أمر بها ورضيها والمعنى أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في البيت المقدس
فقد جعلت لكم الأرض مسجدا فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فإن التولية
ممكنة في كل مكان إن الله واسع عليم أي هو واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده وهو عليم
بمصالحهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وقيل
عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وهو حجة على
الشافعي رحمه الله فيما إذا استدبر وقيل فأينما تولوا للدعاء والذكر وقالوا اتخذ الله ولدا يريد
الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله وقالوا إشارة فإثبات الواو باعتبار أنه قصة معطوفة على ما قبلها
وحذفه باعتبار أنه استئناف قصة سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والأرض
أي هو خالقه ومالكه ومن جملته المسيح وعزير والولادة تنافي الملك كل له قانتون منقادون لا يمتنع
منهم على تكوينه ومشيئته والتنوين في كل عوض عن المضاف إليه أي كل ما هو في السموات والأرض
أو كل من جعلوه لله ولدا له قانتون [illegible] بديع السموات والأرض

أي مخترعها ومبدعها لا على مثال سبق وكل من فعل ما لم يسبق إليه يقال له أبدعت ولهذا قيل
لمن خالف السنة والجماعة مبتدع لأنه يأتي في دين الإسلام بما لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون
رضي الله عنهم وإذا قضى أمرا أي حكم أو قدر فإنما يقول له كن فيكون من كان التامة أي احدث
فيحدث وهذا مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولا قول ثم وإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور
وأراد كونه فإنما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كالمأمور المطيع الذي
يؤمر فيمتثل ولا يكون منه إباء وأكد بهذا استبعاد الولادة لأن من كان بهذه الصفة من القدرة كانت
صفاته مباينة لصفات الأجسام فلا يتصور التوالد منه والوجه الرفع في فيكون كقول العامة
على الاستئناف أي فهو يكون أو على العطف على يقول ونصبه ابن عامر على لفظ كن لأنه أمر وجواب
الأمر بالفاء نصب وقيل إن كن ليس بأمر حقيقة إذ لا فرق بين أن يقال وإذا قضى أمرا
فإنما يكونه فيكون وبين أن يقال فإنما يقال له كن فيكون وإذا كان كذلك فلا معنى للنصب وهذا لأنه
لو كان أمرا فإما أن يخاطب به الموجود والموجود لا يخاطب بكن أو المعدوم والمعدوم لا يخاطب
وقال الذين لا يعلمون من المشركين أو من أهل الكتاب ونفى عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به
لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا أو تأتينا
آية جحودا لأن يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها كذلك قال الذين من قبلهم
مثل قولهم تشابهت قلوبهم أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى قد بينا الآيات لقوم يوقنون لقوم ينصفون
فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والإذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها إنا أرسلناك بالحق بشيرا
للمؤمنين بالثواب ونذيرا للكافرين بالعقاب ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ولا نسألك عنهم ما لهم
لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم وهو حال كنذيرا وبشيرا أو بالحق أي غير مسؤول أو
مستأنف كقوله نافع ولا تسأل على النهي ومعناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان
سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه وقيل نهى الله تعالى نبيه عن السؤال عن أحوال الكفرة
حين قال ليت شعري ما فعل أبواي ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم كأنهم قالوا
لن نرضى عنك وإن أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا إقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم في
الإسلام فحكى الله عز وجل كلامهم قل إن هدى الله الذي رضي لعباده هو الهدى إلى الإسلام
هو الهدى كله وليس وراءه هدى والذي تدعون إلى اتباعه ما هو بهدى إنما هو هوى ألا ترى إلى قوله
ولئن اتبعت أهواءهم أي آراءهم الزائغة التي هي أهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم أي من العلم
بأن دين الله هو الإسلام أو من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة ما لك من الله
من عذاب الله من ولي ولا نصير ناصر الذين مبتدأ آتيناهم الكتاب صلته وهم مؤمنو أهل

الكتاب وهو التوراة او الانجيل او اصحاب النبي عليه السلام والكتاب القرآن يتلونه حال مقدرة
لانهم لم يكونوا تالين له وقت ايتائه ونصب على المصدر حق تلاوته اى يقرؤنه حق قراءته في الترتيل واداء
الحروف والتدبر والتفكر او يعملون به ويؤمنون بما في مضمونه ولا يغيرون ما فيه من نعت النبي عليه السلام
اولئك مبتدأ خبره يؤمنون به والجملة خبر الذين ويجوز ان يكون يتلونه خبرا والجملة خبرا آخر ومن
يكفر به فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم اى انعامها عليكم واني فضلتكم على العالمين وتفضيلي اباكم على عالمي زمانكم واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون هم رفع
للابتداء والخبر ينصرون والجمل الاربع وصف ليوما اى واتقوا يوما لا تجزي فيه ولا يقبل فيه ولا تنفعها
فيه ولا هم ينصرون فيه تكرار كاتين الايتين لتكرر المعاصي منهم وختم قصة بني اسرائيل بما بدأ به
واذ اى واذكروا اذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اختبره بأوامر ونواهي والاختبار منا لظهور
ما لم نعلم ومن الله لاظهار ما قد علم وعاقبة الابتلاء ظهور الامر الخفي في الشاهد والغائب جميعا
فلذا يجوز اضافته الى الله تعالى وقيل اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد
الامرين كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة رضي الله عنه
ابراهيم ربه برفع ابراهيم وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما اى دعاه بكلمات من الدعاء فعل
المختبر هل يجيبه اليهن اولا فاتمهن اى قام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط
وتوان ونحوه وابراهيم الذي وفى ومعناه في قراءة ابي حنيفة رضي الله عنه فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه
شيئا والكلمات على هذا ما سأل ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين
لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا والكلمات على القراءة المشهورة خمس في الراس الفرق وقص
الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في الجسد الختان وتقليم الاظفار ونتف
الابط وحلق العانة والاستنجاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي ثلاثون سهما من الشرائع عشر في براءة
التائبون الاية وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الاية وعشر في المؤمنين والمعارج
الى قوله يحافظون وقيل هي مناسك الحج قال اني جاعلك للناس اماما هو اسم من يؤتم به
اى يأتمون بك في دينهم قال ومن ذريتي اى واجعل من ذريتي اماما يقتدى به وذرية اولاده
ذكورهم واناثهم فيه سواء فعلية من الذر اى الخلق فابدلت الهمزة ياء قال لا ينال عهدي
الظالمين بسكون الياء حمزة وحفص اى لا يصيب الامامة اهل الظلم من ولدك اى اهل الكفر اخبر
ان امامة المسلمين لا تثبت لاهل الكفر وان من اولاده المسلمين والكافرين قال الله تعالى وباركنا
عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين والمحسن المؤمن والظالم الكافر

قالت

قالت المعتزلة هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة قالوا وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام
انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب
ظلم ولكنا نقول المراد بالظالم الكافر هنا اذ هو الظالم المطلق وقيل انه سأل ان يكون ولده نبيا
كما كان هو فاخبر ان الظالم لا يكون نبيا واذ جعلنا البيت اى الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا مثابة
للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه وامنا وموضع امن فان الجاني
يأوي اليه ولا يتعرض له حتى يخرج وهو دليل لنا في الملتجئ الى الحرم واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وعنه عليه السلام انه اخذ بيد عمر فقال
هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل
مصلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه وقيل الحرم كله مقام ابراهيم واتخذوا شامي
ونافع بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به و
اسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل امرناهما ان طهرا بيتي مدني وحفص
اى بان طهرا او اى طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس والخبائث كلها للطائفين الدائرين حوله
والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اى اقاموا لا يبرحون او المعتكفين وقيل للطائفين النزاع
من البلاد والعاكفين والمقيمين من اهل مكة والركع السجود والمصلين جمع راكع وساجد واذ
قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا اى اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا آمنا ذا امن كعيشة راضية
او آمنا من فيه كقولك ليل نائم وهذا مفعول اول وبلدا مفعول ثان وآمنا صفته وارزق اهله
من الثمرات لانه لم يكن لهم ثمرة من آمن منهم بالله واليوم الآخر من اهله بدل البعض
من الكل اى وارزق المؤمنين من اهله خاصة قاس الرزق على الامامة فخص المؤمن به
قال الله تعالى جوابا له ومن كفر اى وارزق من كفر فامتعه قليلا تمتيعا قليلا
او زمانا قليلا الى حين اجله فامتعه شامي ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير
المرجع الذي يصير اليه النار فالمخصوص بالذم محذوف واذ يرفع حكاية حال ماضية ابراهيم
القواعد هي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ورفع الاساس البناء
عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر
من البيت بيت الله وهو الكعبة واسماعيل هو عطف على ابراهيم وكان ابراهيم يبني واسماعيل
يناوله الحجارة ربنا اى يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله
في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا تقبل منا تقربنا اليك ببناء هذا البيت انك انت السميع
لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا وفي ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام تفخيم لشأن

المبين ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من قوله اسلم وجهه لله
او مستسلمين يقال اسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا او اذعانا لك
ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين وقيل
اراد بالامة امة محمد عليه السلام وانما خصا بالدعاء ذريتهما لانهم اولى بالشفقة قوا انفسكم واهليكم
نارا وارنا مناسكنا منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا
متعبداتنا في الحج او عرفناها وواحد المناسك منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد
ولهذا قيل للعابد ناسك وارنا مكي قاسه على فخذ في فخذ وابو عمرو يشم الكسرة وتب
علينا ما فرط منا من التقصير او استتبنا لذريتنا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث
فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم فبعث الله فيهم محمدا عليه السلام قال عليه السلام انا دعوة
ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل
وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة السنة وفهم القرآن
ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الانجاس انك انت العزيز الغالب الذي لا يغلب الحكيم
فيما اوليت ومن يرغب عن ملة ابراهيم استفهام بمعنى الجحد وانكار ان يكون في العقلاء من
يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم والملة السنة والطريقة كذا الزجاج الا من في محل الرفع
على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد
الا زيد والمعنى وما يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه اي جهل نفسه اي لم يتفكر في نفسه
فوضع سفه موضع جهل وعدي كعدي او معناه سفه في نفسه فحذف في كما حذف
من في قوله واختار موسى قومه وعلى من قوله ولا تعزموا عقدة النكاح والوجهان
عن الزجاج وقال الفراء هو منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة ولقد
اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين بيان لخطأ راي من رغب عن ملته
لان من جمع كرامة الدارين لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف لاصطفيناه
او انتصب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى
الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله له ربه اسلم اذعن واطع او اخلص دينك له قال
اسلمت لرب العالمين اي اخلصت او انقدت ووصى واوصى بهذه ونافع بها بالملة او بالكلمة و
هي اسلمت لرب العالمين ابراهيم بنيه ويعقوب هو معطوف على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى
ووصى بها يعقوب بنيه ايضا يا بني على اضمار القول ان الله اصطفى لكم الدين اي اعطاكم الدين الذي
هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن الا وانتم مسلمون فلا يكن موتكم

الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا
كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في صلوته ام كنتم
شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى
الحاضر بن يعقوب عليه السلام اذ حضر الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى
ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي او متصلة ويقدر قبلها محذوف
والخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية
ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال بدل من اذ الاولى والعامل فيهما شهداء او ظرف لحضر
لبنيه ما تعبدون ما استفهام في محل النصب بتعبدون اي اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء
او هو سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب من بعدي اي من بعد موتي
قالوا نعبد الهك واله آبائك اعيد ذكر الاله لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار
ابراهيم واسمعيل واسحاق عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل من جملة آبائه وهو عمه لان
العم اب قال عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية
كاذبة او نصب على الاختصاص اي نريد باله آبائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل
نعبد او جملة معطوفة على نعبد او جملة اعتراضية مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم
ويعقوب وبنوهما الموحدون امة قد خلت مضت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
اي ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك
انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك لافتخارهم بآبائهم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون
بسيئاتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى اي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى وجزم
تهتدوا لانه جواب الامر قل بل ملة ابراهيم اي بل نتبع ملة ابراهيم حنيفا حال من المضاف اليه كقوله رأيت
وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق وما كان من المشركين تعريض
باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابراهيم وهو على الشرك قولوا خطاب للمؤمنين
او للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل آمنا بالله وما انزل الينا اي القرآن
وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط السبط الحافد وكان الحسن
والحسين رضي الله عنهما سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذراري
ابنائه الاثني عشر ويعدى انزل بالى وبعلى مثلا ورد هنا بالى وفي آل عمران بعلى وما اوتي موسى
وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون مخلصون
اي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحدي معنى الجماعة

و لذا صح دخول بين عليه. فان امنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا فهذا الآية مشكل لانه يوجب
ان يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك فقيل الباء زايدة ومثل صفة لمصدر محذوف تقديره فان
امنوا ايمانا مثل ايمانكم والهاء يعود الى الله عز وجل وزيادة الباء غير عزيز قال الله تعالى والذين
كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها والتقدير جزاء سيئة مثلها كقوله في الآية الاخرى وجزاء
سيئة سيئة مثلها وقيل المثل زيادة اي فان آمنوا بما آمنتم به يؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
بما آمنتم به وما بمعنى الذي بدليل قراءة ابي بالذي امنتم به وقيل الباء للاستعانة كقولك
كتبت بالقلم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وان تولوا عما تقولون لهم
ولم ينصفوا او وان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها فانما هم في شقاق اي فما هم
الا في خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق في شي فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار
رسوله عليهم وقد انجز وعده بقتل بعضهم واجلاء بعض ومعنى السين ان ذلك كاين
لا محالة وان تاخر الى حين وهو السميع لما ينطقون به العليم بما يضمرون من الحسد و
الغل وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم او وعد لرسول الله اي يسمع ما تدعو
ويعلم نيتك وما تريد من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك
الى مرادك صبغة الله دين الله وهو مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله وهي فعلة
من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله
لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء
اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فاذا فعل الواحد منهم بولده ذلك
قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا امنا بالله
وصبغنا الله بالايمان ولم نصبغ صبغتكم وجي بلفظ الصبغة للمشاكلة كقولك لمن
يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرم ومن احسن من الله صبغة
تمييز اي لا صبغة احسن من صبغته يريد الدين او التطهير ونحن له عابدون عطف على
آمنا بالله وهذا العطف يدل على ان قوله صبغة الله داخل في مفعول قولوا آمنا اي قولوا هذا
وهذا ونحن له عابدون ويرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم او نصب
على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التيامه وانتصابها
على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قل اتحاجوننا في الله اي
تجادلوننا في شان الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد
لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو

ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء
من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وكما ان لكم اعمالا فلنا كذلك
ونحن له مخلصون اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان وانتم به مشركون والمخلص احرى
بالكرامة واولى بالنبوة من غيره ام تقولون بالتاء شامي وكوفي غير ابي بكر وام على هذا معادلة للهمزة
في اتحاجوننا يعني اي الامرين تاتون المحاجة في حكم الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء
او منقطعة اي بل اتقولون غيرهم بالياء وعلى هذا لا يكون الا منقطعة ان ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ثم امر نبيه عليه السلام ان يقول مستفهما
رادا عليهم بقوله قل انتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم
شهادة الله عنده انه شهد بها وهي شهادته وهم عالمون بها او انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم
منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وساير شهاداته ومن في قوله
من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له في انها صفة لها وما الله بغافل عما تعملون
من تكذيب للرسل وكتمان الشهادة تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسالون عما كانوا يعملون كررت للتاكيد ولان المراد بالاول الانبياء عليهم السلام
وبالثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الخفاف
الاحلام واصل السفه الخفة وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ او المنافقون
لحرصهم على الطعن والاستهزاء او المشركون لقولهم قبل وقوعه رغب عن قبلة آبائه
ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم وفائدة الاخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس
اذ المفاجاة بالمكروه اشد واعداد الجواب قبل الحاجة اليه اقطع للخصم فقبل الرمي يراش
السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعنون بيت المقدس والقبلة الجهة التي يستقبلها
الانسان في الصلوة لان المصلي يقابلها قل لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم طريق مستو اي يرشد من يشاء الى قبلة الحق وهي الكعبة التي امر بالتوجه اليها
او الاماكن كلها لله فيامر بالتوجه الى حيث شاء فتارة الى الكعبة وطورا الى بيت المقدس لا اعتراض
عليه لانه المالك وحده وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم فالكاف للتشبيه
وذا جي بالكاف واللام للفرق بين الاشارة الى القريب والاشارة الى البعيد والكاف للخطاب
لا محل لها من الاعراب امة وسطا خيارا وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل
والاوساط محمية اي كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الامم او عدولا لان الوسط عدل

بين الاطراف ليس لا بعضها اقرب من بعض اى كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم امة وسطا بين الغلو والتقصير فانكم لم تغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالالوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنى وعيسى بانه ولد الزنى لتكونوا شهداء غير منصرف لمكان الف التانيث على الناس صلة الشهداء ويكون الرسول عليكم شهيدا عطف على لتكونوا روى ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسال عن حال امته فيزكيهم فيشهد بعدالتهم والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع في الاشياء المعروفة ولما كان الشهيد كالرقيب جي بكلمة الاستعلاء كقوله تعالى كنت انت الرقيب عليهم وقيل لتكونوا شهداء ان كم ويعلم بعدالتكم واستدل الشيخ ابو منصور بالاية على الاجماع حجة لان الله تعالى وصف هذه الامة بالعدالة والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فاذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله واخرت صلة الشهادة اولا وقدمت اخرا لان في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اى وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فالتي كنت عليها ليست بصفة القبلة بل هي ثاني مفعولي جعل روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود ثم حول الى الكعبة الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه اى وما جعلنا القبلة التي تجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد فقد ارتد عن الاسلام عند تحويل القبلة قال الشيخ ابو منصور رحمه الله معنى قوله لنعلم اى لنعلم كائنا موجودا ما قد علمنا انه يكون ويوجد فالله تعالى علم في الازل بكل ما اراد وجوده انه يوجد في الوقت الذي شاء وجوده فيه ولا يوصف بانه علم في الازل بانه موجود كائن لانه ليس بموجود في الازل فكيف يعلمه موجودا فاذا صار موجودا يدخل تحت علمه الازلي فيصير معلوما له موجودا كائنا والتغير على المعلوم لا على العلم او لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز او ليعلم رسول الله والمومنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه او هو على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر ذوب الذهب فلنلقه في النار لنعلم ايذوب وان كانت

على الناس في الدنيا ... الاشهاد ... ويكون الرسول عليكم شهيدا

اى التحويلة او الجعلة او القبلة وان هي المخففة واللام في لكبيرة اى لثقيلة شاقة وهي خبر كان فارقة الا على الذين هدى الله اى هداهم الله فحذف العائد اى الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلوتكم الى بيت المقدس سمى الصلوة ايمانا لان وجوبها على اهل الايمان وقبولها من اهل الايمان واداؤها بالجماعة دليل الايمان ولما توجه رسول الله عليه السلام الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت ثم علل ذلك فقال ان الله بالناس لرؤوف مهموز مشبع حجازي وشامي وحفص رؤف غيرهم بوزن فعل وهما للمبالغة رحيم لا يضيع اجورهم والرافة اشد من الرحمة وجمع بينهما كالرحمن الرحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة موافقة لابراهيم ومخالفة لليهود لانها ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرهم ومزارهم ومطافهم فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس قبلة ترضيها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله وحكمته فول وجهك شطر المسجد الحرام اى نحو وشطر نصب على الظرف اى اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اى في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة متعسر على النائي وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين روى انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وحيث ما كنتم من الارض واردتم الصلوة فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله انه يصلي الى القبلتين من ربهم وما الله بغافل عما يعملون بالياء مكي وابو عمرو ونافع وعاصم وبالتاء غيرهم فالاول وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود والاباء والثاني وعد للمومنين بالثواب على القبول والاداء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب اراد ذوي العناد منهم بكل اية برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وجواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا اضطربوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم ووحدت القبلة وان كان لهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة لاتحادهما في البطلان وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون

في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك فاليهود تستقبل بيت المقدس و
النصارى مطلع ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم اي من بعد
وضوح البرهان والاحاطة بان القبلة هي الكعبة وان دين الله هو الاسلام انك اذا لمن الظالمين
لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحق و
تحذير لمن يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وفخم الخطاب في الظاهر للنبي عليه السلام
والمراد امته ولزم الوقف على الظالمين اذ لو وصل لصار الذين آتيناهم الكتاب
صفة للظالمين وهو مبتدا والخبر يعرفونه اي محمدا عليه السلام او القرآن او تحويل القبلة والاول
اظهر لقوله كما يعرفون ابناءهم قال عبد الله بن سلام انا اعلم به مني بابني فقال له عمر ولم قال لاني لست
اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه وان فريقا منهم اي الذين لم
يسلموا ليكتمون الحق حسدا وعنادا وهم يعلمون لان الله تعالى بينه في كتابهم
الحق مبتدا خبره من ربك واللام للجنس اي الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت
انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل او للعهد
والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله او خبر مبتدا اي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر او حال
فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة
وقرئ بها والضمير في هو لكل وفي موليها للوجهة اي هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين او هو
الله تعالى اي الله موليها اياه وقرئ هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى ولكل امة قبلة يتوجه
اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا الخيرات واستبقوا اليها غيرهم من امر القبلة وغيره اينما تكونوا
انتم واعداؤكم يأت بكم الله جميعا يوم القيامة فيفصل بين المحق والمبطل او ولكل منكم يا امة محمد
وجهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الفاضلات من الجهات
وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا
يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام ان الله على
كل شيء قدير ومن حيث خرجت اي ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر
المسجد الحرام اذا صليت وانه اي وان هذا المامور به للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون
وبالياء ابو عمرو ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة
فكرر عليهم ليثبتوا على انه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها لئلا يكون
للناس عليكم حجة اي قد عرفكم الله جل ذكره امر الاحتجاج في القبلة بما قد بين في قوله

ولكل وجهة هو موليها لئلا يكون للناس لليهود عليكم حجة في التولية خلاف ما في التوراة وتحويل
القبلة واطلق اسم الحجة على قول المعاندين لانهم يسوقونه مساق الحجة الا الذين ظلموا منهم
استثناء من الناس اي لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا
الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء عليهم
السلام او معناه لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة
ابراهيم واسماعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع
الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم ثم استثناء منقطع منبها بقوله فلا تخشوهم فلا تخافوا
مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم
اي عرفتكم لئلا يكون عليكم حجة ولاتم نعمتي عليكم بهدايتكم الى الكعبة ولعلكم تهتدون ولكي
تهتدوا الى قبلة ابراهيم الكاف في كما ارسلنا فيكم اما ان يتعلق بما قبله اي
ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول
او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب
فعلى هذا يوقف على تهتدون وعلى الاول لا رسولا منكم من العرب يتلو عليكم
القرآن آياتنا يقرأ عليكم القرآن ويزكيكم ويعلمكم الكتاب القرآن والحكمة السنة
والفقه ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ما لا سبيل الى معرفته الا بالوحي فاذكروني اذكركم
بالمغفرة او بالثناء والعطاء او بالسؤال والنوال او بالتوبة وعفو الحوبة او بالاخلاص
والخلاص او بالمناجاة والنجاة واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا
نعمائي يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر فيه ينال كل فضيلة والصلاة فانها تنهى
عن كل رذيلة ان الله مع الصابرين بالنصر والمعونة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله نزلت
في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا اموات اي هم اموات بل احياء اي هم احياء ولكن
لا تشعرون لا تعلمون ذلك لان حياة الشهيد لا تعلم حسا عن الحسن ان الشهداء احياء عند
تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون
غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها
وليسوا فيها ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون على
ما انتم عليه من الطاعة ام لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وقلل
ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه ويريهم ان رحمته
معهم في كل حال واعلمهم بوقوع البلوى قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم عليها من الخوف

خوف العدو والله والجوع اى القحط او صوم رمضان ونقص من الاموال بموت المواشي
او بالزكوة وهو عطف على شئ او على الخوف اى وشئ من الاموال والانفس بالقتل
والموت او بالمرض والشيب والثمرات ثمرات الحرث او الاولاد لان الولد ثمرة الفؤاد و
بشر الصابرين على البلايا او المسترجعين عند البلايا لان الاسترجاع تسليم واذعان وفي
الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا
يرضيه وطفي سراج رسول الله صلعم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال
نعم كل شئ يؤذي المؤمن فهو له مصيبة والخطاب لرسول الله او لكل من يتأتى منه البشارة
الذين نصب صفة للصابرين ولا وقف عليه بل يوقف على راجعون ومن ابتدأ بالذين
وجعل الخبر اولئك يقف على الصابرين لا على راجعون والاول اوجه لان الذين وما بعده
بيان للصبر اذا اصابتهم مصيبة مكروه اسم فاعل من اصابته شدة اى لحقته ولا وقف
على مصيبة لان قالوا جواب اذا واذا وجوابها صلة الذين انا لله اقرار له بالملك وانا اليه
راجعون اقرار على نفوسنا بالهلك اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
الصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة لقوله رأفة ورحمة
رءوف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اى رحمة واولئك هم المهتدون
لطريق الصواب حيث استرجعوا واذعنوا لامر الله قال عمر رضي الله عنه نعم العدلان ونعم
العلاوة اى الصلوة والرحمة والاهتداء ان الصفا والمروة هما علما ان للجبلين من شعائر الله
من اعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت قصد الكعبة او اعتمر
زار الكعبة فالحج القصد والزيارة ثم غلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما
في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان فلا جناح عليه ان يطوف بهما اى يتطوف
فادغم التاء في الطاء واصل الطوف المشي حول الشئ والمراد منه السعي بينهما قيل كان
على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا في
الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية
اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل
فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح بقوله فلا جناح وهو دليل على انه ليس بركن كما قال مالك
والشافعي رحمهما الله ولذا فهمه ومن تطوع خيرا اى الطواف بها متبع بانه ليس بركن ومن
يطوع حج وعلى اى يتطوع فادغم التاء في الطاء فان الله شاكر مجاز على الطاعة عليم
بالاشياء صغيرها وكبيرها ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التوراة من البينات

من الآيات الشاهدة على امر محمد عليه السلام والهدى والهداية الى الاسلام او صفة عليه السلام
من بعد ما بيناه اوضحناه للناس في الكتاب في التوراة لم ندع فيه موضع اشكال فعمدوا الى ذلك
المبين فكتموه اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن فهم الملائكة و
المؤمنون من الثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وترك الايمان واصلحوا ما افسدوا من حالهم
وتداركوا ما فرط منهم وبينوا واظهروا ما كتموا فاولئك اتوب عليهم اقبل توبتهم وانا التواب
الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين
ولم يتوبوا اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ذكر لعنتهم احياء واموات والمراد
بالناس المؤمنون او المؤمنون والكافرون اذ بعضهم يلعن بعضا يوم القيامة قال الله
كلما دخلت امة لعنت اختها خالدين حال من هم في عليهم فيها في اللعنة او النار الا
انها اضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون من الانظار
اى لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد فرد في الالهية
لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته وهو مرفوع
لانه بدل من موضع لا اله ولا يجوز النصب هنا لان البدل يدل على ان الاعتماد على
الثاني والمعنى في الاية على ذلك والنصب يدل على ان الاعتماد على الاول الرحمن الرحيم
اى المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شئ سواه بهذه الصفة فما سواه اما نعمة واما منعم عليه
وهو خبر مبتدأ او على البدل من هو لا على الوصف لان المضمر لا يوصف ولما تعجب المشركون
من اله واحد وطلبوا آية على ذلك نزل ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار في اللون والطول والقصر وتعاقبهما في الذهاب والمجيء والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس ومن يجيء وما انزل الله
من السماء لابتداء الغاية وفي من ماء لبيان الجنس لان ما ينزل من السماء مطر وغيره
ثم عطف على انزل فاحيا به بالماء الارض بعد موتها بيبسها ثم عطف على فاحيا
وبث فرق فيها في الارض من كل دابة في كل ما يدب وتصريف الرياح الريح حين وعلى
اى وتقليبها في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة
ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر المذلل
المنقاد لمشيئة الله فيمطر حيث شاء بين السماء والارض في الهواء لآيات لقوم يعقلون يتفكرون
بعيون عقولهم ويعتبرون فيستدلون بهذه الاشياء على قدرة موجدها وحكمة مبدعها
ووحدانية منشئها وفي الحديث ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها

ومن الناس اى ومع هذا البرهان النير من الناس من يتخذ من دون الله اندادا امثالا
من الاصنام يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع
له اى يحبون الاصنام كما يحبون الله يعنى يسوون بينهم وبينه في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله
ويتقربون اليه وقيل يحبونهم كحب المؤمنين الله والذين آمنوا اشد حبا لله من المشركين
لآلهتهم لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بحال والمشركون يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد
فيفزعون اليه ويخضعون له ولو يرى ترى نافع وشامى على خطاب الرسول او كل مخاطب
الرسول او كل مخاطب اى لو ترى ذلك لرايت امرا عظيما الذين ظلموا اشارة
الى متخذى الانداد اذ يرون يرون شامى العذاب ان القوة لله جميعا حال وان الله شديد
العذاب شديد عذابه اى ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله
على كل شىء من الثواب والعقاب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين
اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة
فحذف الجواب لان لو اذا جاء فيما يشوق اليه او يخوف منه قلما يوصل بجواب ليذهب القلب
فيه كل مذهب ولو يليها الماضى ولذا اذ وضعها ليدل على الماضى وانما دخلتا على المستقبل هنا
لان اخبار الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه كالماضى اذ تبرأ مدغمة الذال فى التاء حيث
وقعت عراقى غير عاصم وهو بدل من اذ يرون العذاب الذين اتبعوا اى المتبوعون وهم الرؤساء
من الذين اتبعوا من الاتباع ورأوا العذاب الواو للحال اى تبرؤوا فى حال رؤيتهم العذاب
وتقطعت عطف على تبرأ بهم الاسباب الوصل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد
من الانساب والمحاب وقال الذين اتبعوا اى الاتباع لو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا فنتبرأ
نصب على جواب التمنى والمعنى ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا الآن كذلك مثل ذلك الاراء
الفظيع يريهم الله اعمالهم اى عبادتهم الاوثان حسرات عليهم ندامات وهى مفعول ثالث
ليريهم ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم
وما هم بخارجين من النار بل هم فيها دائمون ونزل فيمن حرموا على انفسهم البحائر ونحوها
يا ايها الناس كلوا امر اباحة مما فى الارض من للتبعيض لان كل ما فى الارض ليس بماكول
حلالا مفعول كلوا او حال مما فى الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان طرقه التى يدعوكم اليها وبسكون الطاء ابو عمرو وغير عباس ونافع وحمزة وابو بكر والخطوة
فى الاصل ما بين قدمى الخاطى يقال اتبع خطواته اذا اقتدى به واستن بسنته انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة لا خفاء به وابان متعد ولازم ولا يبينا فصل من الآية فهو عدو والذين كفروا

اوليا

اولياؤهم الطاغوت اى الشيطان لانه عدو للناس حقيقة ووليهم ظاهرا فانه يريهم فى الظاهر الموالاة
ويزين لهم اعمالهم ويريد بذلك هلاكهم فى الباطن انما يأمركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه
وظهور عداوته اى لا يأمركم بخير قط انما يأمركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد
فى القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد وان تقولوا فى موضع
الجر بالعطف على بالسوء اى بان تقولوا على الله ما لا تعلمون هو قولكم هذا حلال وهذا
حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه واذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات قيل هم
المشركون وقيل هم طائفة من اليهود لما دعاهم رسول الله الى الايمان واتباع القرآن
قالوا بل نتبع ما الفينا وجدنا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم فرد الله عليهم بقوله اولو كان
آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه اتتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون
شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال ومثل الذين كفروا المضاف
محذوف اى ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق يصيح والمراد بما لا يسمع الا دعاء و
نداء البهائم والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان فى انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة
ودوى الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التى لا تسمع
الا دعاء الناعق ونداءه الذى هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئا آخر كما يفهم العقلاء
والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعى بالضان والنداء ما يسمع والدعاء قد يسمع وقد
لا يسمع صم خبر مبتدا مضمر اى هم صم بكم خبر ثان عمى عن الحق خبر ثالث فهم لا يعقلون الموعظة
ثم بين ان ما حرمه المشركون حلال بقوله يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
من مستلذاته او من حلالاته واشكروا لله الذى رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم
تختصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم ثم بين المحرم فقال انما حرم عليكم الميتة وهى كل
ما فارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح وانما لاثبات المذكور ونفى ما عداه اى ما حرم عليكم الا الميتة
والدم يعنى السائل لقوله فى موضع آخر او دما مسفوحا وقد حلت الميتتان والدمان
بالحديث ولحم الخنزير يعنى الخنزير بجميع اجزائه وخص اللحم لانه المقصود بالاكل وما
اهل به لغير الله اى ذبح للاصنام فذكر عليه غير اسم الله واصل الاهلال رفع الصوت اى رفع
الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى فمن اضطر الى بكسر
النون بصرى وحمزة وعاصم لالتقاء الساكنين اعنى النون والضاد وبضمها غيرهم لضمة
الطاء غير حال اى فاكل غير باغ للذة وشهوة ولا عاد متعد مقدار الحاجة وقول من قال غير باغ

على الامام ولا عاد في سفر حرام ضعيف لان سفر الطاعة لا يبيح بلا ضرورة والحبس
في الحضر يبيح بلا سفر ولا بغيه لا يخرج عن الايمان فلا يستحق الحرمان ثم المضطر يباح له قدر
ما يقع به القوام ويبقى معه الحياة دون ما فيه حصول الشبع لان الاباحة يباح له قدر ما يقع
به القوام ويبقى معه الحياة دون ما فيه حصول الشبع للاضطرار فيتقدر بقدر ما تندفع
الضرورة فلا اثم عليه في الاكل ان الله غفور للذنوب الكبائر فانى يؤاخذ بتناول
الميتة عند الاضطرار رحيم حيث رخص ونزل في رؤساء اليهود وتغييرهم نعت
النبي عليه السلام واخذهم على ذلك الرشا ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب من صفة
محمد عليه السلام ويشترون به ثمنا قليلا اي عوضا او ذا ثمن اولئك ما ياكلون في
بطونهم ملأ بطونهم تقول اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اكل ما يتلبس اداه
بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي
بدل منه قال ياكلن كل ليلة اكافا اي ثمن الاكاف فضما اكافا لتلبسه به بكونه ثمنا له
ولا يكلمهم الله يوم القيامة كلاما يسرهم ولكن بنحو قوله اخسؤوا فيها ولا تكلمون ولا يزكيهم
ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم او ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم حرف النفي
مع الفعل خبر اولئك واولئك مع الخبر خبر ان والجمل الثلاث معطوفة على خبر ان فقد
صار لان اربعة اخبار من الجمل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب
بالمغفرة بكتمان نعت محمد عليه السلام فما اصبرهم على النار فاي شيء صبرهم على عمل يؤدي
الى النار وهذا استفهام معناه التوبيخ ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك
العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا اي اهل الكتاب
في الكتاب هو الجنس اي في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل
لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق
كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه لفي شقاق بعيد عن الهدى ليس البر ان تولوا الى
ليس البر توليتكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب والخطاب لاهل الكتاب لان قبلة النصارى
شرق بيت المقدس وقبلة اليهود مغربه وكل واحد من الفريقين يزعم ان البر التوجه
الى قبلته فرد عليهم بان البر ليس فيما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر من آمن بالله
او ذا البر من آمن بالله والقولان على حذف المضاف والاول اجود والبر اسم للخير ولكل
فعل مرضي وقيل الخطاب للمسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل
ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن

البر

البر الذي يجب الاهتمام به بر من آمن وقام بهذه الاعمال ليس البر بالنصب على انه خبر ليس واسمه
ان تولوا حمزة وحفص ولكن البر نافع وشامي وعن المبرد ولو كنت ممن يقرأ القرآن
لقرأت ولكن البَرّ وقرئ ولكن البار واليوم الآخر اي يوم البعث والملائكة والكتاب
اي جنس كتب الله او القرآن والنبيين وآتى المال على حبه اي حب الله او حب المال
او حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه ذوي القربى اي القرابة
وقدمهم لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك
صدقة وصلة واليتامى والمراد الفقراء من ذوي القربى واليتامى وانما اطلق لعدم
الالتباس والمساكين جمع المسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر
وابن السبيل المسافر المنقطع وهو جنس وان كان مفردا لفظا وجعل ابنا للسبيل
لملازمته له او هو الضيف والسائلين والمستطعمين وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين
حتى يفكوا رقابهم او في فك الاسارى واقام الصلوة المكتوبة وآتى الزكوة المفروضة
قيل هو تاكيد للاول وقيل المراد بالاول نوافل الصدقات والمبار والموفون
عطف على من آمن بعهدهم اذا عاهدوا الله او الناس والصابرين نصب على المدح والاختصاص
اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال في الباساء الفقر والشدة
والضراء المرض والزمانة وحين الباس وقت القتال اولئك الذين صدقوا اي اهل هذه
الصفة هم الذين صدقوا في الدين واولئك هم المتقون روي انه كان بين حيين من احياء
العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر
بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله عليه السلام حين جاء الله بالاسلام فنزلت يا ايها
الذين آمنوا كتب اي فرض عليكم القصاص وهو عبارة عن المساواة واصله من قص اثره واقتصه
اذا اتبعه ومنه القاص لانه يتبع الآثار والاخبار في القتلى جمع قتيل والمعنى فرض عليكم
اعتبار المماثلة والمساواة بين القتلى الحر بالحر مبتدأ وخبر اي الحر ماخوذ او مقتول
بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى وقال الشافعي رحمه الله لا يقتل الحر بالعبد لهذا النص وعندنا
يجري القصاص بين الحر والعبد بقوله تعالى ان النفس بالنفس كما بين الذكر والانثى وبقوله
عليه السلام المسلمون تتكافا دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة
لو قتلوا واحدا قتلوا به وبان تخصيص الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع آخر بل يبقى الحكم فيه موقوفا
على ورود دليل آخر وقد ورد كما بينا فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء
اليه باحسان قالوا العفو ضد العقوبة يقال عفوت عن فلان اذا صفحت عنه ولم

يعتقدا انهم عباد الله مكرمون مطيعون

عن ان نعاقبه وهو يتعدى الى الاول باللام فتقول عفوت له عن ذنبه ومنه الحديث
عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق وقال الزجاج من عفي له اى من ترك له القتل بالدية
وقال الازهري العفو في اللغة الفضل ومنه يسألونك ماذا ينفقون قل العفو ويقال عفوت لفلان
بمالي اذا افضلت له واعطيته وعفوت له عما لي عليه اذا تركته ومعنى الآية عند الجمهور فمن عفي له
من جهة اخيه شيء من العفو على ان الفعل مسند الى المصدر كما في سير بزيد بعض السير والاخ
ولي المقتول وذكر بلفظ الاخوة بعثا له على العطف لما بينهما من الجنسية والاسلام ومن
ومن هو القاتل للمفعول عاجني وترك المفعول الآخر استغناء عنه وفصل اقيم له مقام
عنه والضمير في له واخيه لمن وفي اليه للاخ او للمتبع الدال عليه فاتباع لان للعفو فليتبع الطالب
القاتل بالمعروف بان يطالبه مطالبة جميلة وليؤد اليه المطلوب اى القاتل بدل الدم اداء باحسان
بان لا يمطله ولا يبخسه وانما قيل شيء من العفو ليعلم انه اذا عفي عن بعض الدم او عفى عنه بعض
الورثة تم العفو وسقط القصاص ومن فسر عفي بترك جعل شيئا مفعولا به وكذا من فسره باعطي
يعني ان الولي اذا اعطي له شيء من مال اخيه يعني القاتل بطريق الصلح فليأخذه بمعروف من غير تعنيف
وليؤده القاتل اليه بلا تسويف وان تعلق الاتباع بانه خبر مبتدأ محذوف اى فالواجب اتباع ذلك الحكم
المذكور من عفو واخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة فانه كان في التوراة القتل لا غير وفي
الانجيل العفو بغير بدل وابيح لنا القصاص والعفو واخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيرا والآية
تدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن للوصف بالايمان بعد وجود القتل ولبقاء الاخوة الثابتة بالايمان
ولاستحقاق التخفيف والرحمة فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل
غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة ولكم في
القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة اذ القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد
جعل ظرفا للحيوة وفي تعريف القصاص وتنكير الحيوة بلاغة بينة لان المعنى ولكم في هذا الجنس
من الحكم الذى هو القصاص حيوة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا
فكان في القصاص حيوة واى حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل
لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه
من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص سبب حيوة نفسين يا اولي الالباب يا ذوي العقول
لعلكم تتقون القتل حذرا من القصاص كتب فرض عليكم اذا حضر احدكم الموت اى اذا
دنا منه وظهرت اماراته ان ترك خيرا مالا كثيرا لما روى عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد
ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال وفاعل

كتب الوصية للوالدين والاقربين وكانت الوصية للوارث في بدء الاسلام فنسخت بآية المواريث
كما بيناه في شرح المنار وقيل هي غير منسوخة لانها نزلت في حق من ليس بوارث بسبب الكفر
لانهم كانوا حديث عهد بالاسلام ولا يسلم ابواه وقرابته والاسلام قطع الارث فشرعت الوصية
فيما بينهم قضاء لحق القرابة ندبا على هذا لا يرادي بكتب فرض بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي
للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المتقين
على الذين يتقون الشرك فمن بدله فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع
من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه اى الايصاء فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم التبديل
الا على مبدله دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريان عن الحيف ان الله سميع لقول الموصي
عليم بجور المبدل فمن خاف علم وهذا شايع في كلامهم يقولون اخاف ان يرسل
السماء يريدون الظن الغالب الجاري مجرى العلم من موص كوفي غير حفص جنفا
ميلا عن الحق بالخطاء في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم
الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان
تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل
لا يؤثم وفصل بهذا حال حيوة الموصي اى من حضر وصيته فرآه على خلاف الشرع
فنهاه عن ذلك وحمله على الصلاح فلا اثم على هذا الموصي بما قال ولا ان الله غفور رحيم
يا ايها الذين آمنوا كتب اى فرض عليكم الصيام هو مصدر صام والمراد صيام شهر رمضان
كما كتب اى كتابة مثل ما كتب فهو صفة مصدر محذوف على الذين من قبلكم
على الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام الى عهدكم فهو عبادة قديمة والتشبيه باعتبار
ان كل واحد صوم ايام اى انتم متعبدون بالصيام في ايام كما تعبد من كان قبلكم لعلكم
تتقون المعاصي بالصيام لانه اكف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين
اذ الصوم شعارهم وانتصاب اياما بالصيام اى كتب عليكم ان تصوموا اياما معدودات
موقتات بعدد معلوم او قلائل واصله ان المال القليل يقدر بالعدد لا الكثير فمن كان منكم
مريضا يخاف من الصوم زيادة المرض او على سفر راكب فعليه عدة اى فافطر فعليه صيام
عدد ايام فطره والعدة بمعنى المعدود اى امر ان يصوم اياما معدودة مكانها من ايام اخر سوى ايام
مرضه وسفره واخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الالف واللام لان الاصل في فعلى صفة
ان يستعمل في الجمع بالالف واللام كالكبرى والصغرى والصغر وعلى الذين يطيقونه
وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع

من بر او صاع من غيره وطعام بدل من فدية طعام مساكين مدني وابن ذكوان وكان ذلك
في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار
والفدية ثم نسخ التخيير بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ولهذا كرر قوله فمن كان منكم
مريضا او على سفر لانه لما كان مذكورا مع المنسوخ لئلا يدل على بقاء هذا الحكم وقيل
معناه لا يطيقونه فاضمر لا القراءة حفصة كذلك وعلى هذا لا يكون منسوخا فمن تطوع
خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع او الخير خير له تطوع بمعنى يتطوع حمزة وعلي
وان تصوموا ايها المطيقون خير لكم من الفدية وتطوع الخير وهذا في الابتداء وقيل
وان تصوموا ايها السفر والمرضى خير لكم لانه اشق عليكم ان كنتم تعلمون شرط
محذوف الجواب شهر رمضان مبتدا خبره الذي انزل فيه القرآن اي ابتدي فيه انزاله وكان
ذلك في ليلة القدر او انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام
او هو بدل من الصيام او خبر مبتدا محذوف اي هي شهر والرمضان مصدر رمض
اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف
والنون وسمي بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته او لانهم سموا الشهور
بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فان قلت ما وجه ما جاء
في الحديث من صام رمضان ايمانا واحتسابا مع ان العلم هو مجموع المضاف والمضاف اليه
قلت هو من باب الحذف لا من الالتباس القرآن حيث كان غير مهموز مكي
وانتصب هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان على الحال اي انزل وهو هداية
للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق
والباطل ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل
من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه
فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب
على الظرف وكذا الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان
للشهر ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فعدة مبتدا والخبر محذوف
اي فعليه عدة اي صوم عدة يريد الله بكم اليسر حيث اباح الفطر بالسفر والمرض ولا يريد بكم
العسر ومن فرض الفطر على المريض والمسافر حتى لو صاما يجب عليهما الاعادة فقد عدل
عن موجب هذا النص ولتكملوا العدة عدة ما افطرتم بالقضاء اذا زال المرض والسفر والفعل
المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم

ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة
عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا
علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص
وهذا نوع من اللف لطيف المسلك وعدى التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد وقيل لتكبروا الله اي
اي لتعظموه حامدين على ما هداكم اليه ولتكملوا بالتشديد ابو بكر ولما قال اعرابي لرسول الله
عليه السلام اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه نزل واذا سألك عبادي عني فاني قريب
علما واجابة لتعاليه عن القرب مكانا اجيب دعوة الداع اذا دعان الداعي دعاني في الحالين
سهل ويعقوب ووافقهما ابو عمرو ونافع غير قالون في الوصل غيرهم بغير ياء في الحالين ثم اجابة
الدعاء وعد صدق من الله لا خلف فيه غير ان اجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة فاجابة
الدعوة ان يقول العبد يا رب فيقول الله لبيك عبدي وهذا موعود موجود لكل مؤمن
وقضاء الحاجة اعطاء المراد وذا قد يكون ناجزا وقد لا يكون بعد مدة وقد يكون في الآخرة وقد
يكون الخير له في غيره فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم
اذا دعوني لحوائجهم وليؤمنوا بي واللام فيهما للامر لعلهم يرشدون لتكونوا على رجاء
من اصابة الرشد وهو ضد الغي كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب
والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد حرم عليه الطعام والشراب
والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ
يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي عليه السلام واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا
بذلك فنزل احل لكم ليلة الصيام الرفث اي الجماع الى نسائكم عدي بالى لتضمنه معنى
الافضاء وانما كنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يقل الافضاء الى نسائكم استقباحا
لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان
ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه بقوله هن لباس
لكم وانتم لباس لهن وقيل لباس اي ستر عن الحرام ومن لباس لكم
كاللباس لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة
والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذا رخص لكم في مباشرتهن علم الله
انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بالجماع وتنقصونها حظها من الخير والاختيان
من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور
وعفا عنكم ما فعلتم قبل الرخصة فالآن باشروهن جامعوهن في ليالي الصوم وهو امر

اباحة وسميت المجامعة مباشرة لالتصاق بشرتيهما وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدّر
الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن
لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل او وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلّله دون ما لم يكتب
لكم من المحل المحرم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض
سواد ما يبدو من بياض من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود من الخيط الاسود
سواد ما يمتد من سواد الليل شبههما بخيطين ابيض واسود لامتدادهما من الفجر بيان ان
ان الخيط الابيض من الفجر لا من غيره واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان
للآخر او من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله وبهذا من الفجر اخرجه من باب الاستعارة
وصيّر تشبيها بليغا كما ان قولك رأيت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها وعن
عدي بن حاتم قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي فنظرت
اليهما فلم يتبين لي الابيض من الاسود فاخبرت النبي عليه بذلك فقال انك لعريض القفا اي
سليم القلب لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته انما ذاك بياض النهار وسواد الليل
وفي ظاهره ثم اتموا الصيام الى الليل اي الكف عن الاشياء دليل على جواز النية بالنهار في
صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل الى الفجر وعلى نفي الوصال وعلى وجوب الكفارة بالاكل
والشرب وعلى ان الجنابة لا تنافي الصوم ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد
معتكفون فيها بيّن ان الجماع يحل في ليالي رمضان لكن لغير المعتكف والجملة في موضع الحال
وفيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد تلك
الاحكام التي ذكرت حدود الله احكامه المحدودة فلا تقربوها بالمخالفة والتغيير كذلك يبين
الله آياته شرايعه للناس لعلهم يتقون المحارم ولا تأكلوا اموالكم بينكم اي لا يأكل
بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه وتدلوا بها الى الحكام اي ولا تلقوا
بها فهو مجزوم داخل في حكم النهي يعني ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم
فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع
العلم بان المقضي له ظالم قال عليه السلام للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي
ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء
من حق اخيه فلا يأخذن منه شيئا فان ما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد
منهما حقي لصاحبي وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى الحكام السوء على وجه الرشوة يقال
ادلى دلوه اي القاها في البئر للاستقاء وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية

مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه بالتوبيخ احق قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما بال الهلال
يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على
حالة واحدة كالشمس فنزل يسألونك عن الاهلة جمع هلال سمي به لرفع الناس اصواتهم
عند رؤيته قل هي مواقيت للناس والحج اي معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم
ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك
ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا
دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل
ويخرج وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فنزل وليس البر بان تأتوا
البيوت من ظهورها اي ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولا خلاف في رفع البر هنا لان الا ثم
تحتمل الوجهين كما بينا بخلاف الرفع والنصب ثم ومن لا تحتمل الا وجها واحدا وهو الرفع
اذ الباء لا تدخل الا على خبر ليس ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله البيوت وبابه
مدني وبصري وحفص وهو الاصل مثل كعب وكعوب ومن كسر الباء فلمكان الياء بعدها
ولكن هي توجب الخروج من الكسر الى الضم وكأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة
في نقصانها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الا حكمة فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة
تفعلونها مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا هذا وجه اتصاله بما قبله ويحتمل ان يكون ذلك
على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت الحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون
هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره
والمعنى ليس البر وما ينبغي ان يكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك
ولم يجترئ على مثله واتوا البيوت من ابوابها وباشروا الامور من وجوهها التي يجب
ان يباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب الاعتقاد بان جميع افعاله حكمة وصواب من غير اختلاج
شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه لعلكم تفلحون لتفوزوا بالنعيم السرمد
وقاتلوا في سبيل الله المقاتلة في سبيل الله الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم
يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين
كافة وقيل هي اول اية نزلت في القتال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف
او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان
والنساء او الكفرة كلهم لانهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم في حكم المقاتلة ولا تعتدوا بابتداء القتال

أو يقتل من لم يقتل منهم من النساء والشيوخ ونحوهما أو بالمثلة إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم
حيث ثقفتموهم وجدتموهم والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة وأخرجوهم من حيث
أخرجوكم أي من مكة وقد فعل الله تعالى فتح مكة بهذه الآية وقد فعل رسول الله صلعم بمن لم يسلم منهم
يوم الفتح والفتنة أشد من القتل أي شركهم بالله أعظم من القتل الذي يحل بهم منكم وقيل الفتنة
عذاب الآخرة وقيل المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان فيعذب به أشد عليه من القتل
وقيل لحكيم ما أشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت فقد جعل الإخراج من الوطن من الفتن
التي يتمنى فيها الموت ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم في الحرم فعندنا
يقاتلون في الأشهر الحرم لا في الحرم إلا أن يبدؤوا بالقتال فيه فحينئذ نقتلهم وإن كان لا على وجه
واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل في الأمكنة كلها ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه خص الحرم إلا عند البداءة منهم كذا في شرح التأويلات كذلك جزاء الكافرين مبتدأ
وخبر ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم حمزة وعلي فإن انتهوا عن الشرك والقتال فإن الله
غفور لما سلف من طغيانهم رحيم بقبول توبتهم وإيمانهم وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة شرك وكان تامة وحتى بمعنى كي أو إلى أن ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب
أي لا يعبد دونه شيء فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين فإن امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم
فإنه لا عدوان إلا على الظالمين ولم يبقوا ظالمين أو فلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين
سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه قاتلهم المشركون
عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم
القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتككم
حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص أي وكل حرمة يجري فيها القصاص
من هتك حرمة أي حرمة كانت اقتص منه بأن تهتك حرمة له فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم
نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم من شرطية والباء غير زائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم أو زائدة وتقديره
عدوانا مثل عدوانهم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم
فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم واعلموا أن الله مع المتقين بالنصر وأنفقوا في سبيل الله تصدقوا
في رضى الله وهو عام في الجهاد وغيره ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أي أنفسكم والباء زائدة أو ولا
تلقوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده إذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك
الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الهلاك أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع

عياله أو عن الإخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو والتهلكة والتهلك والهلاك
واحد وأحسنوا الظن بالله في الإخلاف إن الله يحب المحسنين إلى المحتاجين وأتموا الحج والعمرة
لله وأدوهما تامين بشرائطهما وفرائضهما لوجه الله بلا توان ونقصان وقيل الإتمام يكون بعد الشروع
فهو دليل على أن من شرع فيهما لزمه إتمامهما وبه نقول إن العمرة تلزم بالشروع ولا يتمسك الشافعي رحمه الله
بالآية على لزوم العمرة لأنه أمر بإتمامها وقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع أو إتمامهما أن تحرم
بهما من دويرة أهلك أو أن تفرد لكل واحد منهما سفرا أو أن تنفق فيهما حلالا أو أن لا تتجر معهما فإن
أحصرتم يقال أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز وحصر إذا حبسه عدو أو سجن
وعندنا الإحصار يثبت بكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما لظاهر النص وقد جاء في الحديث
من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل وعند الشافعي رحمه الله الإحصار بالعدو وحده وظاهر
النص يدل على أن الإحصار يتحقق في العمرة أيضا لأنه ذكر عقيبهما فما استيسر من الهدي فما تيسر
يقال يسر الأمر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية يعني فإن منعتم من
المضي إلى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم إذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير أو بقرة
أو شاة وما رفع بالابتداء أي فعليكم ما استيسر أو نصب فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤوسكم حتى
يبلغ الهدي محله الخطاب للمحصرين أي ولا تحلقوا حلق الرأس حتى تعلموا أن الهدي الذي بعثتموه إلى
الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب نحره فيه وهو الحرم وهو حجة لنا في أن دم الإحصار لا يذبح إلا في
الحرم على الشافعي رحمه الله إذ عنده يجوز في غير الحرم فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه إلى الحلق
أو به أذى من رأسه وهو القمل أو الجراحة ففدية فعليه إذا احتلق فدية من صيام ثلاثة أيام أو صدقة
على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر أو نسك شاة وهو مصدر أو جمع نسيكة فإذا أمنتم
الإحصار أي فإذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة فمن تمتع استمتع بالعمرة إلى الحج واستمتاعه بالعمرة
إلى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها إلى الله قبل انتفاعه بالتقرب إلى الحج وقيل إذا حل من عمرته انتفع باستباحة
ما كان محرما عليه إلى أن يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك يؤكل منه ويذبح
يوم النحر فمن لم يجد الهدي فصيام ثلاثة أيام في الحج فعليه صيام ثلاثة أيام في وقت الحج وهو أشهره
ما بين الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج وسبعة إذا رجعتم إذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج تلك
عشرة كاملة في وقوعها بدلا عن الهدي أو في الثواب أو المراد دفع الإيهام فلا يتوهم أن الواو بمعنى
الإباحة كما في جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى أنه لو جالسهما أو واحدا منهما كان ممتثلا ذلك
إشارة إلى التمتع والقران لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام عندنا وعند الشافعي رحمه الله إلى الحكم الذي هو وجوب
الهدي أو الصيام ولم يوجب عليهم شيئا لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام هم أهل المواقيت ومن دونها

للمكة واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه
الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران اشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم
وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة وفائدة توقيت الحج بهذه الاشهر ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها
وكذا الاحرام عند الشافعي وعندنا ان الاحرام ينعقد لكنه مكروه وجمعت لبعض الثالث او لان اسم
الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله فقد صغت قلوبكما فمن فرض الزم على نفسه
بالاحرام فيهن الحج في هذه الاشهر فلا رفث من الجماع او ذكره عند النساء او الكلام الفاحش
ولا فسوق من المعاصي والسباب لقوله عليه السلام سباب المؤمن فسق او التنابز بالالقاب
لقوله تعالى بئس الاسم الفسوق ولا جدال في الحج ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما
امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة
والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرا ابو عمرو
وابن كثير الاولين بالرفع حملا لهما على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث
بالنصب على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج ثم حث على الخير
عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق
البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة فقال وما تفعلوا من خير يعلمه
الله واعلم بانه عالم به يجازيكم عليه وتزودوا قيل نزلت في اهل اليمن كانوا لا يتزودون
ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فنزل فيهم فتزودوا وتزودوا
واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى اي الاتقاء عن
الابرام والتثقيل او تزودوا للمعاد باتقاء المحظورات فان خير الزاد اتقاؤها واتقون وخافوا
عقابي فان مقتضى العقل يا اولي الالباب يا ذوي العقول يعني ان قضية اللب تقوى الله تعالى
ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له وقيل في قوم زعموا ان لا حج لجمال وتاجر وقالوا
هؤلاء الداج وليسوا بالحاج ليس عليكم جناح ان تبتغوا في مواسم الحج فضلا من ربكم عطاء
منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة والكراء فاذا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء
وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول من عرفات هي علم للموقف سمي
بجمع كاذرعات وانما سمي بها لان ابراهيم عليه السلام لما راها عرفها وقيل التقى فيها آدم وحواء
فتعارفا وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده فاذكروا
الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وبصلوة المغرب والعشاء عند المشعر الحرام
هو قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة والمشعر المعلم لانه معلم

ووصف بالحرام لحرمته وسميت المزدلفة وجمعا لان آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف
اليها اي دنى منها او لانه يجمع فيها بين الصلوتين او لان الناس يزدلفون الى الله تعالى اي يتقربون بالوقوف فيها
واذكروه كما هديكم ما مصدرية او كافة اي اذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم
كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف
تذكرونه وتعبدونه وان مخففة من الثقيلة واللام فارقة ثم افيضوا من حيث افاض الناس ثم لتكن افا
ضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة قالوا هذا امر لقريش بالافاضة من عرفات الى جمع وكانوا
يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ويقولون نحن قطان حرمه فلا نخرج منه وقيل الافاضة من عرفات
مذكورة وهي الافاضة من جمع الى منى والمراد بالناس على هذا ابراهيم ويكون الخطاب للمؤمنين واستغفروا
الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم او من تقصيركم في اعمال الحج ان الله غفور رحيم
بكم فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم التي امرتم بها في الحج ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم
اي فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم آباءكم والمعنى فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكرها
ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعدون
فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا اي اكثر وهو في موضع جر عطف على ما اضيف
اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا وذكرا من
الناس من يقول فمن الذين يشهدون الحج من يسال الله حظوظ الدنيا فيقول ربنا آتنا في الدنيا اجعل
ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة والمعنى وماله في الآخرة من خلاق نصيب لان همه مقصور
على الدنيا اللذة بالآخرة والمعنى اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله
الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين اي من الذين قيل فيهم ومنهم من
الذين يشهدون الحج من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة نعمة وعافية او علما وعبادة وفي الآخرة
حسنة عفوا ومغفرة او المال والجنة او ثناء الخلق ورضاء الحق او الايمان والامان او الاخلاص والخلاص
او السنة والجنة او القناعة والشفاعة او المرأة الصالحة والحور العين او العيش على سعادة والبعث
من القبر على بشارة وقنا عذاب النار احفظنا من عذاب جهنم او عذاب النار امرأة السوء
اولئك الداعون بالحسنيين لهم نصيب مما كسبوا من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي
هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا وسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب
ويجوز ان يكون اولئك للفريقين وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب
يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب
الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر من نقمته وروى
عام

انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار لمحة واذكروا الله في ايام معدودات
هي ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار فمن تعجل فمن عجل في النفر
او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين
يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تاخر في يومين من هذه الايام الثلاثة
فلم يمكث حتى يرمي في اليوم الثالث واكتفى برمي في يومين من هذه الايام الثلاثة فلا اثم عليه
فلا يأثم بهذا التعجيل ومن تاخر حتى رمى في اليوم الثالث فلا اثم عليه لمن اتقى الصيد او الرفث
والفسوق اي هو مخير في التعجل والتاخر وان كان التاخر افضل فقد يقع التخيير بين الفاضل والافضل
كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل كان اهل الجاهلية فريقين
منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتاخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما واتقوا الله في
جميع الامور واعلموا انكم اليه تحشرون حين يبعثكم من القبور كان الاخنس بن شريق حلو المنطق
اذا لقي رسول الله الان له القول وادعى انه يحبه مسلم وقال يعلم الله اني صادق فنزل فيه ومن الناس
من يعجبك يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس قوله في الحيوة الدنيا في
متعلق بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا انه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا ولا يريد به الاخرة
او يعجبك اي يعجبك حلو كلامه في الدنيا لا في الاخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة
ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك وهو الد الخصام
شديد الجدال والعداوة للمسلمين والخصام المخاصمة والاضافة بمعنى في لان افعل يضاف
الى ما هو بعضه يقول زيد افضل القوم ولا يكون الشخص بعض الحدث فتقديره الد ذوي الخصومة والخصام
جمع خصم كصعب وصعاب والتقدير وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى عنك وذهب
بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف فانه كان بينه وبينهم خصومة
فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم ويهلك الحرث والنسل اي الزرع والحيوان او واذا
كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد
واذا قيل له للاخنس اتق الله في الافساد والاهلاك اخذته العزة بالاثم حملته النخوة وحمية الجاهلية على الاثم
الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه او بالباء للسبب اي اخذته العزة من اجل الاثم الذي في قلبه وهو الكفر
فحسبه جهنم اي كافيه ولبئس المهاد الفراش جهنم ونزل في صهيب حين اراده المشركون على
ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم واتى المدينة او فيمن يامر بالمعروف وينهى
عن المنكر حتى يقتل ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد
حيث اثابهم على ذلك يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم وبفتح السين حجازي وعلي وهو الاستسلام

الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه او الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم
او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته حال من السلم في ادخلوا اي جميعا
او من السلم لانها تؤنث كانهم امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها او في شعب الاسلام وشرائعه
كلها وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم ولا تتبعوا خطوات الشيطان وساوسه
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم ملتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات
الحجج الواضحة والشواهد اللائحة على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب
لا يمنعه شيء من عذابكم حكيم لا يعذب الا بحق وروي ان قاريا قرا غفور رحيم فسمعه اعرابي
لم يقرأ القرآن فانكر وقال ليس هذا كلام الله اذ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل والعصيان لانه
اغراء عليه هل ينظرون ما ينتظرون الا ان ياتيهم الله اي امره وباسه كقوله او ياتي امر ربك
فجاءهم باسنا او المأتي به محذوف بمعنى ان ياتيهم الله بباسه لدلالة عليه بقوله ان الله عزيز في ظلل
جمع ظلة وهي ما اظلك من الغمام السحاب وهو للتهويل اذ الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب
كان الامر افظع واهول والملائكة اي وياتي الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم او المراد حضورهم يوم القيامة
وقضي الامر واتم امر اهلاكهم وفرغ منه والى الله ترجع الامور اي انه ملك العباد بعض
الامور فترجع اليه الامور يوم النشور ترجع الامور حيث كان شامي وحمزة وعلي سل امر للرسول
فنقلت فتحة الهمزة الى السين بعد حذفها واستغني عن همزة الوصل فصار سل وتقديره يا رسول
او لكل احد وهو سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيامة بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة على
ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام وكم استفهامية او خبرية
ومن يبدل نعمة الله هي آياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها
ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات
الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام من بعد ما جاءته من بعد ما عرفها وصحت عنده لانه اذا لم يعرفها فكانها
غائبة عنه فان الله شديد العقاب لمن استحقه زين للذين كفروا الحيوة الدنيا المزين هو الشيطان
زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها او الله تعالى خلق
الشهوات فيهم ولان جميع الكائنات منه ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا
ويسخرون من الذين آمنوا كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين كابن مسعود وعمار وصهيب ونحوهم
اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا عن الشرك وهم
هؤلاء الفقراء فوقهم يوم القيامة لانهم في جنة عالية وهم في نار هاوية والله يرزق من يشاء بغير
حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من اراد التوسعة عليه كما وسع على قارون ومنها التوسعة

منكم

عليكم من الله لحكمه وهي سند لجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المومنون احق بها كان الناس امة
واحدة متفقين على دين الاسلام من آدم الى نوح عليهما السلام او هم نوح ومن كان معه في السفينة فاختلفوا
فبعث الله ويدل على حذفه قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقراءة عبد الله كان الناس امة
واحدة فاختلفوا وقوله وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا او كان الناس امة واحدة
كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم مبشرين بالثواب للمومنين ومنذرين بالعقاب للكافرين — النبيين ه
وهما حالان وانزل معهم الكتاب اي مع كل واحد منهم كتابه بالحق بتبيان الحق ليحكم الله او الكتاب او
النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه في دين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف
فيه في الحق الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب
من بعد ما جاءتهم البينات على صدقه بغيا بينهم مفعول له حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا
وقلة انصاف منهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف
فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بعلمه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ام حسبتم
ام منقطعة لا متصلة لان شرطها ان يكون قبلها همزة استفهام كقولك اعندك زيد ام عمرو اي ايهما عندك وجوابه
زيد ان كان عنده زيد وعمرو ان كان عنده عمرو اما المنقطعة فتقع بعد الاستفهام وبعد الخبر ويكون بمعنى بل
والهمزة والتقدير بل احسبتم ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه
الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله والمومنين على الثبات والصبر
مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة
الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم اي ولم ياتكم وفي لما معنى التوقع اي
ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا مضوا اي حالهم التي هي مثل في الشدة من قبلكم من
النبيين والمومنين مستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم
الباساء اي البوس والضراء المرض والجوع وزلزلوا وحركوا بانواع البلايا وازعجوا ازعاجا شديدا
شبيها بالزلزلة حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اي الغاية التي قال الرسول ومن معه من المومنين
متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان
الشدة فقيل لهم الا ان نصر الله قريب اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر يقول بالرفع نافع على
حكاية حال ماضية نحو شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه وغيره بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال
لان ان علم له ولما قال عمرو بن الجموح وهو شيخ كبير وله مال عظيم ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها نزل يسالونك
ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل فقد تضمن
قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو

بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها وما تفعلوا من خير في التطوع فان
الله به عليم فيجزي عليه كتب عليكم القتال فرض عليكم جهاد الكفار وهو كره لكم من الكراهة
فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط
كراهتهم او هو فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وعسى ان
تكرهوا شيئا وهو خير لكم فانكم تكرهون الغزو وفيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما
الشهادة والجنة وعسى ان تحبوا شيئا وهو القعود عن الغزو وهو شر لكم لما فيه من الذل والفقر
وحرمان الغنيمة والاجر والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك فبادروا الى
ما يامركم به وان شق عليكم ونزل في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا المشركين
وقد اهل هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن
فيه الخائف يسالونك عن الشهر الحرام اي يسالك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام قتال — الشهر ه
فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن
منهم قل قتال فيه كبير اي اثم كبير قتال مبتدا وجاز وهو نكرة لانها قد وصفت
بفيه واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد — بالكفر ه
عن سبيل الله اي منع المشركين رسول الله واصحابه عن البيت عام الحديبية وهو مبتدا وكفر به
اي بالله عطف عليه والمسجد الحرام عطف على سبيل الله اي وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام
وزعم الفراء انه معطوف على الهاء في به اي كفر به وبالمسجد الحرام ولا يجوز عند البصريين
العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار فلا تقول مررت به وزيد ولكن تقول وبزيد
ولو كان معطوفا على الهاء هنا لقيل كفر به وبالمسجد الحرام واخراج اهله اي اهل المسجد
الحرام وهم رسول الله والمومنون وهو عطف عليه ايضا منه من المسجد وخبر الاسماء الثلثة
اكبر عند الله اي مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطا والبناء على الظن والفتنة
الاخراج او الشرك اكبر من القتل في الشهر الحرام او تعذيب الكفار المسلمين اشد قبحا من قتل هؤلاء
المسلمين في الشهر الحرام ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم الى الكفر وهو اخبار
عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل
نحو فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم وقوله ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم — كي يردوكم
كقولك لعدوك ان ظفرت بي فلا تبق علي وانت واثق بانه لا يظفر بك ومن يرتدد منكم
عن دينه ومن يرجع عن دينه الى دينهم فيمت وهو كافر اي يمت على الردة فاولئك
حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لما يفوتهم بالردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات

الاسلام وفي الآخرة من الثواب وحسن المآب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وبها
احتج الشافعي رحمه الله على ان الردة لا تحبط العمل حتى يموت وقلنا قد علق الحبط بنفس الردة بقوله
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله والاصل عندنا ان المطلق لا يحمل على المقيد وعنده يحمل عليه فهو بنى على هذا
ولما قالت السرية ايكون لنا اجر المجاهدين في سبيل الله نزل ان الذين آمنوا والذين هاجروا تركوا
مكة وعشائرهم وجاهدوا في سبيل الله مع المشركين ولا وقف عليه لان اولئك يرجون رحمة الله خبر ان
من نحو طلب ومن خاف موت والله غفور رحيم نزل اربع آيات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل
والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ونفرا من الصحابة قالوا
يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل يسألونك عن الخمر والميسر فشربها قوم و
تركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف جماعة فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون
اعبد ما تعبدون فنزل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك جماعة
فلما سكروا منها تخاصموا وتضاربوا فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل انما الخمر والميسر
الى قوله فهل انتم منتهون فقال انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت
مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في البحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم ارعه والخمر ما غلا واشتد
وقذف بالزبد من عصير العنب وسميت بمصدر خمره اذا ستره لتغطيتها العقل والميسر القمار
مصدر من يسر كالموعد من فعله يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة
بلا كد وتعب او من اليسار لانه سلب يساره وصفة الميسر انه كانت لهم عشرة اقداح سبعة منها
عليها خطوط وهي الفذ وله سهم والتوأم وله سهمان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله اربعة والنافس
وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة اغفال لا نصيب لها وهي المنيح والسفيح والوغد فيجعلون
الاقداح في خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل قدحا منها فمن خرج له قدح
من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له
لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون
بذلك ويذمون من لم يدخل فيه وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما والمعنى يسألونك
عما في تعاطيهما بدليل قوله قل فيهما اثم كبير بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش والزور
وعلي ومنافع للناس بالتجارة في الخمر والالتذاذ بشربها وفي الميسر بارتفاق الفقير ونيل المال
بلا كد واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما لان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام
من وجوه كثيرة ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو اي الفضل اي انفقوا ما فضل عن قدر الحاجة
وكان التصدق بالفضل فاذا كان صانعا امسك قوت يومه وتصدق بالفضل فنسخت بآية الزكوة

العفو ابو عمرو فمن نصبه جعل ماذا اسما واحدا في موضع النصب بينفقون والتقدير
قل ينفقون العفو ومن رفعه جعل ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته فذا بمعنى الذي وينفقون صلته
اي ما الذي ينفقونه فجاء الجواب العفو اي هو العفو فاعراب الجواب كاعراب السؤال ليطابق
الجواب السؤال كذلك الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين
يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا اي في امر الدنيا والآخرة وفي يتعلق بتتفكرون
اي تتفكرون فيما يتعلق بهما من الدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم او تتفكرون في الدارين
او تؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يتعلق بيبين اي يبين لكم الآيات في امر الدارين
وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ولما نزل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا
اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم وذكروا ذلك لرسول الله فنزل ويسألونك
عن اليتامى قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم
خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين
ومن حق الاخ ان يخالط اخاه والله يعلم المفسد لاموالهم من المصلح لها فيجازيه على
حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت
وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت
عباده ويحرجهم حكيم لا يكلف الا وسعهم وطاقتهم ولما سال مرثد النبي عليه السلام عن ان يتزوج
عناق وكانت مشركة نزل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي لا تتزوجوهن يقال نكح
اذا تزوج وانكح غيره زوجه ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولو كان الحال
ان المشركة تعجبكم وتحبونها ولا تنكحوا المشركين ولا تزوجوهم مسلمة كذا قال الزجاج وقال
جامع العلوم حذف احد المفعولين والتقدير ولا تنكحوا من المشركين حتى يؤمنوا ولعبد
مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم ثم بين علة ذلك فقال اولئك وهو اشارة الى المشركات
والمشركين يدعون الى النار اي الكفر الذي هو عمل اهل النار فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا
والله يدعو الى الجنة والمغفرة اي واولياء الله فهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة
وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم باذنه اي بعلمه او بامره ويبين آياته
للناس لعلهم يتذكرون يتعظون كانت العرب لم يواكلوا الحائض ولم يشاربوها
ولم يساكنوها كفعل اليهود والمجوس فسال ابو الدحداح رسول الله عن ذلك
وقال يا رسول الله كيف نصنع بالنساء اذا حضن فنزل ويسألونك عن المحيض هو مصدر
يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي

من يبتلى به فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوهن اى فاجتنبوا مجامعتهن وقيل ان النصارى كانوا
يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين
ثم عند ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله يجتنب ما اشتمل عليه الازار بالاقتصاد بين الامرين وعند محمد رحمه الله لا يجب
الا اعتزال الفرج وقالت عائشة رضي الله عنها يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك ولا تقربوهن مجامعين
او لا تقربوا مجامعتهن حتى يطّهّرن بالتشديد كوفي غير حفص اى يغتسلن واصله يتطهرن فادغم التاء
في الطاء لقرب مخرجيهما غيرهم يطهرن اى ينقطع دمهن والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا له ان يقربها في اكثر
الحيض بعد انقطاع دمها وان لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف وفي اقل منه لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها
وقت الصلاة عملا بقراءة التشديد والحمل على هذا اولى من العكس لانه حينئذ يجب ترك العمل باحداهما
لما عرف وعند الشافعي رحمه الله لا يقربها حتى تطهر وتطّهر دليله قوله فاذا تطهرن فاتوهن فجامعوهن
فجمع بينهما من حيث امركم الله من المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما ارتكبوا
ما نهوا عنه او العوادين الى الله تعالى وان زلّوا فزلّوا والمحبة لمعرفته بعظم عفو الله حيث لا ييأس ويحب
المتطهرين بالماء او المتنزهين من ادبار النساء او من الجماع في الحيض او من الفواحش كان اليهود
يقولون اذا اتى الرجل امرأته باركة اتى الولد احول فنزل نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز
شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور والولد بالنبات ووقع
قوله نساؤكم حرث لكم بيانا وتوضيحا لقوله فاتوهن من حيث امركم الله اى ان المأتى الذي امركم
به هو مكان الحرث لا مكان الفرث تنبيها بان المطلوب الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة
فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا المطلوب فأتوا حرثكم اى فأتوهن جامعوهن متى شئتم
او كيف شئتم باركة او مستلقية او مضطجعة بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وهو تمثيل
اى فأتوهن كما تأتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اى جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون
جهة وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فأتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة
والتعريضات المستحسنة وعلى كل مسلم ان يتأدب بها ويتكلف مثلها في المحاورات والمكاتبات
وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه او هو طلب
الولد او التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه صائرون اليه
فاستعدوا للقائه وبشر المؤمنين بالثواب يا محمد والملجا يسألونك ثلاث مرات بلا واو
ثم مع الواو ثلاثا لان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول كان في احوال متفرقة فلم يؤت
بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد
فجيء بحرف الجمع لذلك ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة ويطلق على

ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيتعرض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة
دون الخير وكان الرجل يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان
الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اى حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كقوله
عليه السلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان
لايمانكم اى للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس واللام يتعلق بالفعل اى ولا تجعلوا
الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اى ولا
تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو
الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو ان
يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه والامر بخلافه والمعنى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم وعند الشافعي
رحمه الله هو ما يجري على لسانه من غير قصد للحلف نحو لا والله وبلى والله ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم بما اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف
ما يقوله وهو اليمين الغموس وتعلق الشافعي رحمه الله بهذا النص على وجوب الكفارة في الغموس لان كسب
القلب العزم والقصد والمؤاخذة غير مبينة هنا وبينت في المائدة فكان البيان ثمة بيانا هنا وقلنا
المؤاخذة هنا مطلقة وهي في دار الجزاء والمؤاخذة ثمة مقيدة بدار الابتلاء فلا يصح حمل البعض على البعض
والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم للذين يؤلون يقسمون وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما يقسمون
من نسائهم يتعلق بالجار والمجرور اى للذين كما تقول لك مني نصرة ولك مني معونة اى للمولين من نسائهم
تربص اربعة اشهر اى استقر للمولين تربص اربعة اشهر ولا يتعلق بيؤلون لان آلى يعدى بعلى يقال آلى فلان على
امرأته وقول القائل آلى فلان من امرأته وهم توهمه من هذه الآية ويمكن ان تقول عدي بمن لما في هذا
القسم من معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مولين فان فاءوا في الاشهر لقراءة عبد الله فان
فاءوا فيهن اى رجعوا الى الوطء عن الاصرار بتركه فان الله غفور رحيم حيث شرع الكفارة وان
عزموا الطلاق بتركه الفيء فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع لايلائه عليم بنيته وهو وعيد على اصرارهم
وتركهم الفيئة وعند الشافعي رحمه الله معناه فان فاءوا وان عزموا بعد مضي المدة لان الفاء للتعقيب
وقلنا قوله فان فاءوا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب
المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول والمطلقات
اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء يتربصن بانفسهن خبر في معنى الامر واصل الكلام
وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة

لي امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحو قولهم في الدعاء
رحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه
على المبتدأ مما زاده ايضا فضل تأكيد لان الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية
وفي ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان انفس النساء طوامح الى الرجال
فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص ثلثة قروء جمع قرء او قرء
وهو الحيض لقوله عليه السلام دعي الصلاة ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان
وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن
ثلثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان المطلوب من العدة استبراء الرحم والحيض
هو الذي يستبرأ به الارحام دون الاطهار ولان المطلوب من العدة [illegible] الطهر ولذلك
كان الاستبراء من الامة بالحيضة ولانه لو كان طهرا كما قال الشافعي رحمه الله لانقضت العدة بقرئين
وبعض الثالث فانتقص العدد عن الثلاثة لانه اذا طلقها في آخر الطهر فذا محسوب من العدة
عنده واذا طلقها في آخر الحيض فذا غير محسوب من العدة عندنا والثلاثة اسم خاص لعدد
مخصوص لا يقع على ما دونه ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وانتصاب ثلثة
على انه مفعول به اي يتربصن مضي ثلثة قروء او على الظرف اي يتربصن مدة ثلثة قروء وجاء
التمييز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء لاشتراكهما في الجمعية اتساعا ولعل القروء كانت
اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل ولا يحل لهن
ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم الحيض او منهما وذلك اذا ارادت
المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك
تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ثم عظم فعلهن فقال
ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر لان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وبعولتهن
البعولة جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع احق بردهن اي ازواجهن اولى برجعتهن وفيه
دليل على ان الطلاق الرجعي لا يحرم الوطء حيث سماه زوجا بعد الطلاق في ذلك في مدة
ذلك التربص والمعنى ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها
وكان هو احق منها لا ان لها حقا في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن
واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق
على الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك الضرار مثل الذي يجب لهم عليهن
من الامر والنهي بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلف

احد الزوجين صاحبه ما ليس له والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب بالواجب في كونه حسنة لا
في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق
بالرجال وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة بالقيام بامرها وان اشتركا في اللذة والاستمتاع
او بالانفاق وملك النكاح والله عزيز لا يعترض عليه في اموره حكيم لا يأمر الا بما هو صواب وحسن
التطليق
الطلاق مرتان الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق
دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين
اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين وهو دليل لنا في ان الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة في طهر
واحد لان الله تعالى امر بالتفريق لانه وان كان ظاهره الخبر فمعناه الامر والا يؤدي الى الخلف في خبره
تعالى لان الطلاق على وجه الجمع قد يوجد وسئل قالت انصارية ان زوجي قال لا ازال اطلقك
ثم اراجعك فنزلت الطلاق مرتان اي الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلث فامساك بمعروف
برجعة والمعنى فالواجب عليكم امساك بمعروف او تسريح باحسان بان لا يراجعها حتى تبين
بالعدة او قيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث ونزل في جميلة وزوجها ثابت بن قيس بن
شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وقد اعطاها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في
الاسلام ولا يحل لكم ايها الازواج او الحكام لانهم الآمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون
والمؤتون ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا مما اعطيتموهن من المهور الا ان يخافا الا يقيما حدود
الله الا ان يعلم الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث
من نشوز المرأة وسوء خلقها فان خفتم ايها الولاة وجاز ان يكون اول الخطاب للازواج
وآخره للحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها
فيما اعطت فيما افتدت به فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر الا ان
يخافا حمزة على البناء للمفعول وابدال ان لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال نحو خيف
زيد تركه اقامة حدود الله تلك حدود الله اي ما حد من النكاح واليمين والايلاء والطلاق والخلع
وغير ذلك فلا تعتدوها فلا تجاوزوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
الضارون انفسهم فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فان قلت الخلع طلاق عندنا وكذا عند
الشافعي في قول فكان من تطليقة رابعة قلت الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة وهذا
بيان لذلك اي فان طلقها الثالثة ببدل فحكم التحليل كذا فلا تحل له من بعد اي من بعد تطليقه
الثالثة حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل
كالتزوج وفيه دليل على ان النكاح ينعقد بعبارتها والاصابة شرطت بحديث العسيلة

كما عرف في اصول الفقه والتغيير فيه انه لما اقدم على فراق ولم يبق للندم مخلصا لم تحل له الا بدخول فحل عليها ليمتنع عن ارتكابه فان طلقها الزوج الثاني بعد الوطء فلا جناح عليهما على الزوج الاول وعليها ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله وتلك حدود الله يبينها وبالنون المفضل لقوم يعلمون يفهمون ما بين لهم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اي فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا مفعول له او حال اي مضارين وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن او لتلجئوهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك يعني الامساك للضرار فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا يقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة النبي عليه السلام وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم وهو حال واتقوا الله فيما امتحنكم به واعلموا ان الله بكل شيء عليم من الذكر والانتهاء والاتعاظ وغير ذلك وهو ابلغ وعد ووعيد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فدل سياق الكلامين على افتراق البلوغين لان النكاح يعقبه هنا وذا يكون بعد العدة وفي الاولى الرجعة وذا يكون في العدة فلا تعضلوهن فلا تمنعوهن والعضل المنع والتضييق ان ينكحن ازواجهن من ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن وفيه اشارة الى انعقاد النكاح بعبارة النساء والخطاب للازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما ولا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج سموا ازواجا باعتبار ما يؤول اليه او للاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن الذين كانوا لهن ازواجا سموا ازواجا باعتبار ما كان نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول او للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين اذا تراضوا بينهم اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط او بمهر المثل والكفؤ لان عند عدم احدهما للاولياء ان يتعرضوا والخطاب في ذلك

للنبي عليه السلام او لكل واحد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فالمواعظ انما تنجع فيهم ذلكم اي ترك العضل والاضرار ازكى لكم واطهر اي لكم من ادناس الآثام او انكى واطهر افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك والوالدات يرضعن اولادهن خبر في معنى الامر المؤكد كيتربصن وهذا الامر على وجه الندب وعلى وجه الوجوب اذا لم يتقبل الصبي الا ثدي امه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستئجار واراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع حولين ظرف كاملين تامين وهو تأكيد لانه مما يتسامح فيه فانك تقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن توجه اليه الحكم اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع والحاصل ان الاب يجب عليه ارضاع ولده دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام ما دامت زوجة او معتدة وعلى المولود له اي الاب الذي يولد له الولد والتقدير على الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية كعليهم في المغضوب عليهم وانما قيل على المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم اذ الاولاد للآباء والنسب اليهم لا اليهن فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكر باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا رزقهن وكسوتهن بالمعروف بلا اسراف ولا تقتير او تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضار لا تكلف نفس الا وسعها وجدها وقدر امكانها والتكليف الالزام ما يؤثر في الكلفة وانتصاب وسعها على انه مفعول ثان لتكلف لا على الاستثناء وقد دخلت الا بين المفعولين لا تضار مكي وبصري بالرفع على الاخبار ومعناه النهي وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء او بفتحها الباقون لا تضار على النهي والاصل تضارر اسكنت الاولى وادغمت في الثانية فالتقى ساكنان ففتحت الثانية لالتقاء الساكنين والدة بولدها اي لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا مولود له بولده اي ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها او يأخذه منها وهي تريد ارضاعه واذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد او تضار بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به

بان ينزعه من يدها او ينقص حقها فتقصر في حق الولد وانما قيل بولدها وبولده
لانه لما نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث
عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف
والمعطوف عليه اى وعلى وارث الصبي عند عدم الاب مثل ذلك اى مثل الذي كان على ابيه في
حيوته من الرزق والكسوة واختلف فيه فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعندنا من كان ذا رحم
محرم منه لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وعلى الوارث ذي الرحم المحرم مثل ذلك وعند
الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد فان ارادا يعني الابوين فصالا فطاما صادرا عن تراض منهما
وتشاور بينهما فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد
والتشاور استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته وذكره ليكون التراضي عن تفكر
فلا يضر الرضيع فسبحان الذي ادب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما لما للاب النسبة
والولاية وللام الشفقة والعناية وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى لاولادكم عن الزجاج
وقيل استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعدى
الى مفعولين اى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين يعني غير الام عند
اباءها او عجزها فلا جناح عليكم اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه من الاجرة
اتيتم مكي من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله كان وعده مأتيا اى مفعولا والتسليم ندب
لا شرط للجواز بالمعروف متعلق بسلمتم اى سلمتم الاجرة الى المراضع بطيب نفس وسرور
واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه اعمالكم فهو يجازيكم عليها والذين يتوفون
منكم تقول توفيت الشيء واستوفيته اذا اخذته وافيا تاما اى يستوفى ارواحهم
ويذرون ويتركون ازواجا يتربصن بانفسهن اى وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن
اى بعدهم او معنا يتربصن بعدهم بانفسهن فحذف بعدهم للعلم به وانما احتيج الى
تقديره لانه لابد من عائد الى المبتدأ في الجملة التي وقعت خبرا يتوفون المفضل يتوفون
اجالهم اربعة اشهر وعشرا اى وعشر ليال والايام داخلة معها ولا يستعمل التذكير
فيه ذهابا الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت لخرجت من كلامهم فاذا بلغن
اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة والحكام فيما فعلن في انفسهن
من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والله بما تعملون خبير عالم بالبواطن ولا
جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء الخطبة الاستنكاح والتعريض ان تقول لها انك
لجميلة او صالحة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس

نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان اتزوجك والفرق بين الكناية
والتعريض ان الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به
على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك
قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا فكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض او اكننتم في انفسكم
او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذ
كرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن
سرا جماعا لانه مما يسر اى لا تقولوا في العدة اني قادر على هذا العمل الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان
تعرضوا ولا تصرحوا والا متعلق بلا تواعدوهن اى لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة
غير منكرة ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي
عن عقد النكاح لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد
عقدة النكاح او ولا تقطعوا عقدة النكاح لان حقيقة العزم القطع ومنه الحديث لا صيام لمن
لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام او ولا تعزموا على عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب
اجله حتى تنقضي عدتها وسميت العدة كتابا لانها فرضت بالكتاب يعني حتى يبلغ التربص المكتوب
عليها اجله اي غايته واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه
ولا تعزموا عليه واعلموا ان الله غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة ونزل فيمن طلق امرأته ولم
يكن سمى لها مهرا ولا جامعها لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء شرط
ويدل على جوابه لا جناح عليكم والتقدير ان طلقتم النساء فلا جناح عليكم ما لم تمسوهن
ما لم تجامعوهن وما شرطية اى ان لم تمسوهن تماسوهن حمزة وعلي حيث وقع لان الفعل
واقع بين اثنين او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض
الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير الموطوءة لها نصف المسمى ان سمي لها مهر وان لم يسم لها
مهر فليس لها نصف مهر المثل بل تجب المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان
طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمه
ومتعوهن معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن ومتعوهن والمتعة درع و
ملحفة وخمار على الموسع الذي له سعة قدره مقداره الذي يطيقه قدره فيهما كوفي غير ابي بكر وهما
لغتان وعلى المقتر الضيق الحال قدره ولا تجب المتعة عندنا الا لهذه وتستحب لسائر المطلقات
متاعا تاكيد لمتعوهن اى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا
اى متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على المسلمين او على الذين يحسنون

الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين لقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وليس
هذا الاحسان هو التبرع بالنيل عليه لوجوب المتعة واجبة ثم بين حكم التي سمى لها مهرا في الطلاق قبل
فقال وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ان مع الفعل بتاويل المصدر في موضع الجر اي من قبل
مسكم اياهن وقد فرضتم لهن موضع الحال لهن فريضة مهرا فنصف ما فرضتم الا ان يعفون
يريد المطلقات وان يعفون في موضع النصب على الاستثناء كانه قيل فعليكم نصف ما فرضتم
في جميع الاوقات الا وقت عفوهن عنكم من المهر والفرق بين الرجال يعفون والنساء يعفون
ان الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل
مبني لا اثر فيه للعامل او يعفو عطف على محله الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج كذا فسره علي رضي الله عنه
وهو قول سعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابي حنيفة والشافعي في الجديد رحمهم الله
وهذا لان الطلاق بيده فكان ابقاء العقد بيده والمعنى ان الواجب شرعا هو النصف الا ان تسقط
هي الكل او يعطي هو الكل تفضلا وعند مالك والشافعي رحمهما الله في القديم هو الولي قلنا
هو لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف يجوز حمله عليه وان تعفوا مبتدا خبره اقرب للتقوى
والخطاب للازواج والزوجات على سبيل التغليب ذكره الزجاج اي عفو الزوج باعطاء
كل المهر خير له وعفو المراة باسقاط كله خير لها او للازواج ولا تنسوا الفضل التفضل بينكم اي
ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير فيجازيكم على تفضلكم حافظوا
على الصلوات داوموا عليها بمواقيتها واركانها وشرائطها والصلوة الوسطى بين الصلوات
اي الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها
بالفضل وهي صلوة العصر عند ابي حنيفة والجمهور لقوله عليه السلام يوم الاحزاب
شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي
شغل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب وفي مصحف حفصة والصلوة الوسطى صلوة العصر ولانها
بين صلوتي الليل وصلوتي النهار وفضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وقيل
صلوة الظهر لانها في وسط النهار او صلوة الفجر لانها بين صلوتي النهار وصلوتي الليل او صلوة المغرب
لانها بين صلوتي الاربع والمثنى ولانها بين صلوة مخافتة وصلوة جهر او صلوة العشاء لانها بين وترين
او هي غير معينة كليلة القدر ليحافظوا الكل وقوموا لله في الصلوة قانتين حال اي مطيعين خاشعين
او ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما او مطيلين القيام فان خفتم فان كان
بكم خوف من عدو او غيره فرجالا حال اي فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او ركبانا
وحدانا بايماء ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله فصلوا صلوة

الا

الامن كما علمكم اي ذكرا مثل ما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا وصية لازواجهم بالنصب شامي وابو عمرو وحمزة وحفص اي فليوصوا
وصية وعن الزجاج غيرهم بالرفع اي فعليهم وصية متاعا نصب بالوصية لانها مصدر او تقديره
يمتعون متاعا الى الحول صفة لمتاعا غير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل
من متاعا والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم
بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك مشروعا في اول
الاسلام ثم نسخ بقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا الى قوله وعشرا والناسخ متقدم
عليه تلاوة ومتاخر نزولا كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء فان خرجن
بعد الحول فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس
بمنكر شرعا والله عزيز حكيم فيما حكم وللمطلقات متاع اي نفقة العدة بالمعروف حقا نصب على
المصدر على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون في موضع الرفع لانه خبر
لعل وان اريد به المتعة فالمراد غير المطلقة المذكورة وهي على سبيل الندب الم تر تقرير لمن
سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من
لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم
من قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم بدعاء حزقيل
عليه السلام وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله
ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف في موضع النصب على الحال وفيه دليل على الالوف الكثيرة
لانها جمع كثرة وهي جمع الف لا آلف حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي فاماتهم و
وانما جي به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته وتلك
ميتة خارجة عن العادة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر
فاولى ان يكون في سبيل الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وهو معطوف
على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم احياهم او كان معنى قوله فقال لهم الله موتوا فاماتهم
كان عطفا عليه معنى ان الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به كما بصر اولئك
وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا
ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلك
والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله
وهو قوله وقاتلوا في سبيل الله فحض على الجهاد بعد الاعلام بان الفرار من الموت

لايعني وهذا الخطاب لامة محمد عليه السلام او لمن احياهم واعلموا ان الله سميع بسمع مايقوله المتخلفون
والسابقون عليم بما يضمرونه من ذا الذي مَن استفهام في موضع رفع بالابتداء ذا خبره الذي نعت لذا او بدل منه
يقرض الله صلة الذي في ماينفقه في سبيل الله قرضا لان القرض مال يقبض بدله مثله من بعد
سمي به لان المقرض يقتطعه من ماله فيدفعه اليه والقرض القطع ومنه المقراض وقرض الفار والانوار
فنبههم بذلك على انه لايضيع عنده وانه يجزيهم عليه لامحالة قرضا حسنا بطيبة النفس من المال الطيب
والمراد النفقة في الجهاد لانه لما امر بالقتال في سبيل الله ويحتاج فيه الى المال حث على الصدقة لتهيئة
اسباب الجهاد فيضاعفه له بالنصب عاصم على جواب الاستفهام وبالرفع ابو عمرو ونافع وحمزة
وعلي عطفا على يقرض او هو مستانف اي فهو يضاعفه فيضعفه مكي اضعافا في موضع المصدر كثيرة
لايعلم كنهها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض ويبسط يقتر الرزق على عباده ويوسعه
عليهم فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لايبدلكم الضيقة بالسعة ويبصط حجازي وعاصم وعلي
واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا الاشراف لانهم يملؤن القلوب جلالة والعيون
مهابة من بني اسرائيل من للتبعيض من بعد موسى من بعد موته ومن لابتداء الغاية اذ قالوا حين قالوا
لنبي لهم شمعون او يوشع او اشمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا امير نصدر عنه
في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره نقاتل بالنون والجزم على الجواب في سبيل الله قال نقاتل قال
هل عسيتم حجازي ان كتب عليكم القتال شرط فاصل بين اسم عسى وخبره وهو ان
لا تقاتلوا والمعنى هل قاربتم ان لاتقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لاتقاتلون وتجبنون فادخل
هل مستفهما عما هو متوقع عنده واراد بالاستفهام التقرير والتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب
وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا الواو واو الحال وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون بين
مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين فقالوا اذا بلغ الامر منا هذا المبلغ
فلابد من الجهاد فلما كتب عليهم القتال تولوا اعرضوا عنه
الا قليلا منهم وهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم
على ظلمهم بترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت هو اسم اعجمي كجالوت وداود
ومنع من الصرف للتعريف والعجمة ملكا حال قالوا انى يكون له الملك علينا اي كيف ومن اين
وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له ونحن احق بالملك منه الواو للحال ولم يؤت سعة من المال
اي كيف يتملك علينا والحال انه لايستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولابد للملك من مال
يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا وهو
كان من سبط بن يامين وكان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه
ملكا

ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم
الطاء بدل من التاء لمكان الصاد الساكنة اي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على
حكمه ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة فقال وزاده
بسطة مفعول ثان في العلم والجسم قالوا كان اعلم بني اسرائيل بالحرب والديانات في وقته واطول
من كل انسان براسه ومنكبه والبسطة السعة والامتداد والملك لابد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل
مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والله يؤتي ملكه
من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء ايتاءه وليس ذلك بالوراثة والله واسع اي واسع
الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه
للملك فيه طلبوا من نبيهم اية على اصطفاء الله طالوت وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم
التابوت اي صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني
اسرائيل ولا يفرون فيه سكينة من ربكم سكون وطمانينة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى
وثيابه وشيء من التوراة ونعلا موسى وعمامة هرون مما ترك ال موسى وال هرون اي مما تركه
موسى وهرون والال مقحم لتفخيم شانهما تحمله الملائكة يعني التابوت وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت
به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه والجملة في موضع الحال وكذا فيه سكينة ومن ربكم نعت لسكينة ومما ترك
نعت لبقية ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين اي في رجوع التابوت اليكم علامة ان الله قد ملك
طالوت عليكم ان كنتم مصدقين فلما فصل طالوت بالجنود خرج بالجنود عن بلده للجهاد
وبالجنود في موضع الحال اي مختلطا بالجنود وهم ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسالوا ان يجري
الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم مختبركم اي يعاملكم معاملة المختبر بنهر وهو نهر فلسطين ليتميز
المحقق في الجهاد من المعذر فمن شرب منه كرعا فليس مني فليس من اتباعي واشياعي
ومن لم يطعمه لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه فانه مني وبفتح الياء مدني وابو عمرو واستثنى الا
من اغترف من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة عن الاستثناء
الا انها قدمت للعناية غرفة بفتح الغين حجازي وابو عمرو بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف
ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه فشربوا منه اي فكرعوا
الا قليلا منهم وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فلما جاوزه اي النهر هو طالوت والذين امنوا
معه اي القليل قالوا لا طاقة لنا اليوم اي لاقوة لنا بجالوت هو جبار من العمالقة من اولاد
عمليق بن عاد وكان في بيضته ثلثمائة رطل من حديد وجنوده قال الذين يظنون انهم
ملاقوا الله يوقنون بالشهادة فيه القليل قالوا للكثير الذين اجرموا والذين يظنون هم

القليل الذين ثبتوا معه وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منها اسودت
شفاههم وغلبهم العطش كم من فئة قليلة كم خبرية وموضعها رفع بالابتداء غلبت خبرها فئة كثيرة
باذن الله بنصره والله مع الصابرين بالنصر ولما برزوا لجالوت وجنوده خرجوا لقتالهم
قالوا ربنا افرغ علينا صبرا على القتال وثبت اقدامنا بتقوية قلوبنا والقاء الرعب
في صدور عدونا وانصرنا على القوم الكافرين اعنا عليهم فهزموهم اي طالوت والمؤمنون
جالوت وجنوده باذن الله بفضله وقتل داود جالوت كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت
مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحي الى نبيهم ان داود هو الذي
يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت
انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته ثم حسده
واراد قتله ثم مات تائبا وآتاه الله الملك في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت
بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع
وكلام الطيور وغير ذلك ولولا دفع الله الناس هو مفعول به بعضهم بدل من الناس
دفاع مدني مصدر دفع او دافع ببعض لفسدت الارض اي ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض
ويكف فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها من الحرث والنسل او ولو لا
ان الله ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الارض بغلبة الكفار وقتل الابرار وتخريب البلاد
وتعذيب العباد ولكن الله ذو فضل على العالمين بازالة الفساد عنهم وهو دليل على المعتزلة
في مسئلة الاصلح تلك مبتدأ خبره آيات الله يعني القصص التي قصها من حديث الالوف واماتتهم
وتمليك طالوت واظهاره على الجبابرة على يد صبي نتلوها حال من آيات الله والعامل فيه معنى
الاشارة او آيات الله بدل من تلك ونتلوها الخبر عليك بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب
لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب او سماع
من اهل تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكر قصصها في هذه السورة
من آدم الى داود او التي ثبت علمها عند رسول الله عليه السلام فضلنا بعضهم على بعض بالخصائص
وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستوون في صفة الايمان ويتفاوتون في الطاعات
بعد الايمان ثم بين ذلك بقوله منهم من كلم الله حذف العائد من الصلة اي منهم
من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم مفعول اول درجات
مفعول ثان اي بدرجات او الى درجات بعضهم ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد
تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد عليه السلام لانه هو المفضل

عليهم

عليهم بالرسالة الى الكافة وبانه اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف
او اكثر واكبرها القرآن لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر وفي هذا الابهام تفخيم وبيان انه العلم
الذي لا يشتبه على احد والمتميز الذي لا يلتبس وقيل اريد به محمد وابراهيم وغيرهما من اولي
العزم من الرسل عليهم السلام وآتينا عيسى ابن مريم البينات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
وغير ذلك وايدناه بروح القدس قويناه بجبريل او بالانجيل ولو شاء الله ما اقتتل الذين
من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الظاهرات
ولكن اختلفوا بمشيتي ثم بين الاختلاف فقال فمنهم من آمن ومنهم من كفر بمشيتي يثبت
جواب امور رسلي على هذا الدين يجمع لاحد منهم طاعة جميع امته في حياته ولا بعد
وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد اي لو
شئت ان لا يقتتلوا لم يقتتلوا اذ لا يجري في ملكي الا ما يوافق مشيتي وهذا يبطل قول المعتزلة لانه
اخبر الله انه لو شاء ان لا يقتتلوا لم يقتتلوا وهم يقولون شاء ان لا يقتتلوا فاقتتلوا ولكن الله يفعل
ما يريد اثبت الارادة لنفسه كما هو مذهب اهل السنة يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم
في الجهاد في سبيل الله او هو عام في كل صدقة واجبة من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه
اي من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم ولا شفاعة
الا للكافرين فاما المؤمنون فلهم شفاعة او الا باذنه والكافرون هم الظالمون انفسهم بتركهم
التقديم ليوم حاجتهم او والكافرون بهذا اليوم هم الظالمون لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح مكي وبصري
الله لا اله الا هو لا مع اسمه وخبره وما ابدل منه من موضعه في موضع الرفع خبر المبتدا
وهو الله الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه لا تاخذه
سنة نعاس وهو ما يتقدم النوم من الفتور ولا نوم عن المفضل السنة ثقل في الراس
والنعاس في العين والنوم في القلب فهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك
استحال ان يكون قيوما وقد اوحي الى موسى قل لهؤلاء اني امسك السموات والارض بقدرتي
فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه ليس لاحد ان يشفع عنده لاحد الا باذنه وهو بيان لملكوته وكبريائه
وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيامة الا اذا اذن له في الكلام وفيه رد لزعم الكفار
ان الاصنام تشفع لهم يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم
والضمير لما في السموات لان فيهم العقلاء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلومه يقال
في الدعاء اللهم اغفر علمك فينا اي معلومك الا بما شاء الا بما علم وسع كرسيه السموات

والارض اى علمه ومنه الكراسة لتضمنها العلم والكراسى العلما او ملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك
او عرش كذا عن الحسن او هو سرير دون العرش وفى الحديث ما السموات السبع فى الكرسى
الا كحلقة او قدرته بدليل قوله ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض
وهو العلى فى ملكه وسلطانه العظيم فى عزه وجلاله او العلى المتعالى عن الصفات التى لا تليق به
العظيم المتصف بالصفات التى تليق به فهما جامعان لكمال التوحيد وانما ترتبت الجمل فى اية الكرسى بلا حرف
عطف لانها وردت على سبيل البيان فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه
عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق والخامسة
لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره وانما فضلت هذه الاية حتى ورد فى فضلها
ما ورد منه ما روى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسى فى دبر كل صلوة
مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا
اخذ مضجعه امنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال سيد البشر ادم وسيد
العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال
وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة
وسيد البقرة اية الكرسى وقال ما قرئت هذه الاية فى دار الا هجرتها الشياطين ثلثين
يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وقال من قرا اية الكرسى عند منامه
بعث الله ملكا يحرسه حتى يصبح وقال من قرا الايتين حين يمسى حفظ بهما
حتى يصبح وان قراهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى اية الكرسى واول حم المومن الى اليه المصير
لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان
ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبه يعلم ان اشرف العلوم علم التوحيد لا اكراه فى الدين
اى لا اجبار على الدين الحق وهو الاسلام وقيل هو اخبار فى معنى النهى وروى انه كان لانصارى
ابنان فتنصرا فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الانصارى يا رسول الله ايدخل بعضى النار وانا انظر فنزلت فخلاهما قال ابن مسعود
وجماعة كان هذا فى ابتداء الاسلام ثم نسخ بالامر بالقتال قد تبين الرشد من الغى قد تميز
الايمان من الكفر بالدلايل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام ويومن بالله
فقد استمسك تمسك بالعروة اى المعتصم والمتعلق الوثقى تانيث الاوثق اى الاشد من الحبل الوثيق
المحكم لا انفصام لها لا انقطاع للعروة وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد
المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين

عقدا

عقدا وثيقا لا تحله شبهة والله سميع لاقواله عليم باعتقاده الله ولى الذين امنوا ارادوا ان يومنوا
اى ناصرهم ومتولى امورهم يخرجهم من الظلمات من ظلمات الكفر والضلالة وجمعت لاختلافها
الى النور الى الايمان والهداية ووحد لاتحاد الايمان والذين كفروا مبتدا والخبر اولياؤهم
الطاغوت خبره يخرجونهم من النور الى الظلمات وجمع لان الطاغوت فى معنى الجمع والذين صمموا على
الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولى المومنين يخرجهم من الشبهة فى الدين ان وقعت لهم بما يهديهم
ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم
من نور البينات الذى يظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ثم عجب نبيه عليه السلام وسلاه بمجادلة ابراهيم عليه السلام نمروذ الذى كان يدعى الربوبية بقوله الم تر الى
الذى حاج ابرهيم فى ربه فى معارضة ربوبية ربه والهاء فى ربه يرجع الى ابراهيم او الى
الذى حاج فهو ربهما ان اتاه الله الملك لان اتاه الله الملك يعنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر فحاج لذلك
وهو دليل على المعتزلة فى الاصلح او حاج وقت ان اتاه الله الملك اذ قال نصب بحاج او بدل
من ان اتاه اذا جعل بمعنى الوقت ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت كانه قال له من ربك
قال ربى الذى يحيى ويميت قال نمروذ انا احيى واميت يريد اعفو عن القتل واقتل فانقطع
اللعين بهذا عند الخاصة فزاد ابراهيم عليه السلام بما لا يقدر فيه التلبيس على العامة حيث
قال ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب وهذا ليس بانتقال
من حجة الى حجة كما زعم البعض لان الحجة الاولى كانت لازمة ولكن لما عاند اللعين حجة الاحياء
بتخلية واحد وقتل اخر كلمه من وجه لا يعاند وكانوا اهل تنجيم وحركة الكواكب من المغرب
الى المشرق معلومة لهم والحركة المشرقية المحسوسة لنا قسرية كتحريك الماء النمل على الرحا
الى غير جهة حركة النمل فقال ان ربى يحرك الشمس قسرا على غير حركتها فان كنت ربا فحركها
فهو اهون فبهت الذى كفر تحير ودهش والله لا يهدى القوم الظالمين اى لا يوفقهم وقالوا
انما لم يقل نمروذ فليات ربك بالشمس من المغرب لان الله تعالى صرفه عنه وقيل انه كان
يدعى الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره ومعنى قوله انا احيى واميت
ان الذى تنسب اليه الاحياء والاماتة انا لا غيرى والاية تدل على اباحة التكلم فى علم
الكلام والمناظرة فيه لانه قال الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه والمحاجة تكون
بين اثنين فدل ان ابراهيم حاجه ايضا ولو لم يكن مباحا لما باشرها ابراهيم عليه السلام
لكون الانبياء عليهم السلام معصومين عن ارتكاب الحرام ولانا امرنا بدعاء الكفرة الى الايمان
بالله تعالى وتوحيده واذا دعوناهم الى ذلك لابد ان يطلبوا منا الدليل على ذلك

وذا لا يكون الا بعد التناطق كذا في شرح التأويلات أو كالذي مر معناه أو أرأيت
مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب وهو محمول على المعنى دون
اللفظ تقديره أرأيت كالذي حاج ابراهيم أو كالذي مر وقال صاحب
الكشف فيه الكاف زيادة والذي عطف على قوله الى الذي حاج عن الحسن ان الذي كان
كافرا بالبعث لانتظامه مع نمروذ في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي فلا كن
انه عزير اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام وأنى
يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي على قرية هي بيت
المقدس حين خربه بخت نصر او هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها
ساقطة مع سقوفها أنى اي اين يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه اي احياه
قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم بناء على الظن وفيه دليل جواز
الاجتهاد روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر
الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم قال بل لبثت
مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك روي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا
او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية
او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو لان الاصل سنهة والفعل
سانهت يقال سانهت فلانا اي عاملته سنة او واو لان الاصل سنوة والفعل سانيت
ومعناه لم تغيره السنون لم يتسن بحذف الهاء في الوصل وباثباتها في الوقف حمزة وعلي
وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه فمات وبقيت عظامه او
وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف وماء
كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت
وحفظ ما معه وقيل الواو عطف على محذوف اي لتعتبر ولنجعلك قيل اتى قومه راكب حماره
وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يهذها عن ظهر قلبه ولم يقرأ التوراة ظاهرا احد قبل
عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو شاب وانظر الى العظام اي عظام
الحمار او عظام الموتى تعجب من احيائهم كيف ننشزها نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب ننشرها
بالراء حجازي نحييها ثم نكسوها اي العظام لحما جعل اللحم كاللباس مجازا فلما تبين له فاعله مضمر تقديره
فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقولهم
ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني من احياء الموتى قال اعلم على لفظ الامر حمزة وعلي

اي قال الله له اعلم او هو خاطب نفسه واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى موضع كيف نصب
بتحيي قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي انما قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا
ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت
ولكن ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب
وازيد للبصيرة فعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف الضروري واللام تتعلق بمحذوف تقديره
ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب قال فخذ اربعة من الطير طاوسا وديكا وغرابا وحمامة
فصرهن اليك وبكسر الصاد حمزة اي املهن واضممهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا
ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك وفي ارضك وكانت اربعة اجبل
او سبعة جزءا بضمتين وحمزة ابو بكر ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا مصدر
في موضع الحال اي ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن وانما امر بضمها
الى نفسه بعد اخذها ليتأملها ويعرف اشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا يلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم
انها غير تلك وقد روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط
ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل
جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت
جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها واعلم ان الله عزيز لا يمتنع عليه ما يريد
حكيم فيما يدبر لا يفعل الا ما فيه الحكمة ولما بين قدرته على الاحياء حث على الانفاق في سبيل
واعلم ان من انفق في سبيله فله في نفقته اجر عظيم وهو قادر عليه فقال مثل الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله لابد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل باذر حبة انبتت سبع سنابل في كل
سنبلة مائة حبة المنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند
الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب في كل
واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر والممثل به موجود
في الدخن والذرة وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا
المبلغ على ان التمثيل يصح وان لم يوجد على سبيل الفرض والتقدير ووضع سنابل موضع
سنبلات كوضع قروء موضع اقراء والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن
يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يزيد على سبعمائة لمن يشاء يضعف شامي
ومكي والله واسع الفضل والجود عليم بنيات المنفقين الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه

ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها والاذى ان يتطاول
عليه بسبب ما اعطاه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق
كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا لهم اجرهم عند ربهم الثواب انفاقهم
ولا خوف عليهم من بخس الاجر ولا هم يحزنون من فوته او لا خوف من العقاب ولا حزن بفوات الثواب
وانما قال هنا لهم اجرهم وفيما بعد فلهم اجرهم لان الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثم قول معروف
رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل
خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق
ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد له ثم اكد ذلك بقوله يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير ابطالا مثل ابطال الذي كالذي ينفق
ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر اي لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق
الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الاخرة ورئاء مفعول له فمثله كمثل
صفوان عليه تراب مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بحجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم
القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا يجدون ثواب
شيء مما انفقوا او الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق وانما قال لا يقدرون بعد
قوله كالذي ينفق لانه اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق والله لا يهدي القوم الكافرين ما داموا
مختارين الكفر ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم اي وتصديقا
للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم ومن اخلاص قلوبهم ومن لابتداء الغاية وهو معطوف على المفعول له اي
للابتغاء وللتثبيت والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة بستان بربوة مكان مرتفع وخصها
لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا بربوة عاصم وشامي اصابها وابل فاتت اكلها ثمرها اكلها نافع ومكي
وابو عمرو ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل مطر صغير القطر يكفيها
لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل
واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها رضا الله
تعالى زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده والله بما تعملون بصير يرى اعمالكم على
الكثرة والقلة ويعلم نياتكم فيها من رياء واخلاص والهمزة في ايود للانكار ان تكون له جنة
بستان من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها اي للمالك في الجنة من كل
الثمرات يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها ولان النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر
واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما

ثم اردفهما ذكر كل الثمرات واصابه الكبر الواو للحال ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر والواو
في وله ذرية ضعفاء اولاد صغار للحال ايضا والجملة في موضع الحال من الهاء في اصابه فاصابها اعصار ريح
تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود فيه نار في الاعصار وارتفع نار بالظرف اذ جرى الظرف
وصفا للاعصار فاحترقت الجنة وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة رياء فاذا كان يوم القيامة وجدها
محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة
معاشهم فهلكت بالصاعقة كذلك مثل هذا البيان الذي بين فيما تقدم يبين الله لكم الايات في التوحيد
والدين لعلكم تتفكرون فتنتهون يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم
وفيه دليل وجوب الزكاة في اموال التجارة ومما اخرجنا لكم من الارض من الحب والثمر والمعادن
وغيرها والتقدير ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث
ولا تقصدوا المال الردي منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال اي لا تيمموا الخبيث منفقين
اي مقدرين النفقة ولستم باخذيه وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا
في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض اي
لا تستقص كانك لا تبصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه
واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد مستحق للحمد او محمود الشيطان يعدكم في الانفاق الفقر ويقول
لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا والوعد يستعمل في الخير والشر ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل
ومنع الصدقات اغراء الامر للمامور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق
مغفرة منه لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او وثوابا عليه في الاخرة
والله واسع يوسع على من يشاء عليم بافعالكم ونياتكم يؤتي الحكمة من يشاء علم القران والسنة او العلم
النافع الموصل الى رضا الله والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل ومن يؤت الحكمة ومن يؤت
يعقوب اي ومن يؤته الله الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا تنكير تعظيم اي اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولو الالباب
وما يتعظ بمواعظ الله الا ذوو العقول السليمة او العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت
الاية في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر في
طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات
او ينفقون اموالهم في المعاصي او ينذرون في المعاصي او لا يفون بالنذور من انصار
ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وما نكرة
غير موصولة ولا موصوفة والمخصوص بالمدح هي فنعما بكسر النون واسكان العين ابو عمرو ومدني
غير ورش وبفتح النون وكسر العين شامي وحمزة وعلي وبكسر النون والعين غيرهم وان تخفوها

وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم قالوا المراد
صدقات التطوع والجهر في الفرائض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان
اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ونكفر بالنون وجزم الراء
مدني وحمزة وعلي وبالياء ورفع الراء شامي وحفص وبالنون والرفع غيرهم فمن جزم فقد عطف
على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط ومن رفع فعلى الاستيناف والياء على معنى يكفر الله عنكم
من سيئاتكم والنون على معنى نحن نكفر والله بما تعملون من الابداء والاخفاء خبير عالم ليس عليك
هديهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من
الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء او ليس
عليك التوفيق على الهدى او خلق الاهتداء وانما ذلك الى الله وما تنفقوا من خير من مال
فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم
وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وليست نفقتكم الا لابتغاء وجه الله اي رضا الله ولطلب ما عنده
فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله او هذا نفي ومعناه النهي اي ولا
تنفقوا الا لابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم
في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وانتم لا تظلمون لا تنقصون
كقوله ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص للفقراء الجار في للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او
هو خبر مبتدا محذوف اي هذه الصدقات للفقراء الذين احصروا في سبيل الله هم الذين
احصرهم الجهاد فمنعهم من التصرف لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض
للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم
مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل و
يرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله فمن كان عنده فضل اتاهم
به اذا امسى يحسبهم الجاهل بحالهم يحسبهم وبابه شامي ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وبفتحها
الباقون بكسر السين اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسئلة تعرفهم بسيماهم
من صفرة الوجه ورثاثة الحال لا يسألون الناس الحافا الحاحا وقيل هو نفي السؤال والالحاح
جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به والالحاح هو اللزوم
وان لا يفارق الا بشيء يعطاه وفي الحديث ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل
الملحف وقيل معناه انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وما تنفقوا من خير فان الله
به عليم لا يضيع عنده الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ومحلها لان

اى المستمرين ويعممون يعنى يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم
حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر
الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة
في السر وعشرة في العلانية او في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم
نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الذين ياكلون الربوا هو فضل مال خال عن العوض في معاوضة مال بمال وكتب الربوا
بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون
اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي المصروع لان التخبط في المعاملة يجري على
المقابلة والخبط الضرب على غير استواء الا كما يقوم المصروع ويقوم اي كما يقوم المصروع
من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون
بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم
ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فاربا الله في بطونهم
حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بانهم بسبب انهم قالوا انما البيع
مثل الربوا ولم يقل انما الربوا مثل البيع مع ان الكلام في الربوا لا في البيع لانه جيء به على طريق المبالغة
وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى
شبهوا به البيع واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما اذ الحل مع الحرمة ضدان فانى
يتماثلان ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه
فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع
فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيامة
وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى استحلال الربوا عن الزجاج او الى الربوا مستحلا
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم بالاستحلال صاروا كافرين لان من احل ما حرم الله
عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود وبهذا تبين انه لا تعلق للمعتزلة بهذه الاية في تخليد الفساق
يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات وينميها ويزيدها
اي يزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من
مال قط والله لا يحب كل كفار عظيم الكفر باستحلال الربوا اثيم متماد في الاثم باكله ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون قيل المراد به الذين امنوا بتحريم الربوا يا ايها الذين امنوا

اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا اخذوا ما شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم
بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روى انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش
مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا ان كنتم مومنين كاملي الايمان فان دليل كماله امتثال
المامور به فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به ويؤيده
قراءة الحسن فايقنوا فآذنوا حمزة وابو بكر عن عاصم فاعلموا بها غيركم ولم يقل بحرب الله ورسوله
لان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من الله ورسوله وروى انها لما نزلت قالت
ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم
لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها وان كان ذو عسرة وان
وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة ذو اعسار فنظرة فالحكم او فالامر نظرة اي انظار الى ميسرة
يسار ميسرة نافع وحمزة وهما لغتان وان تصدقوا بالتخفيف عاصم اي تتصدقوا برؤس اموالكم
او ببعضها على من اعسر من غرمائكم وبالتشديد غيره فالتخفيف على حذف احدى التائين
والتشديد على الادغام خير لكم في القيامة وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به
جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ترجعون ابو عمرو فرجع
وقيل هي آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما واحدا وثمانين او سبعة ايام او ثلاث ساعات
ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وهم لا يظلمون بنقصان الحسنات وزيادة السيئات
يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين
معطيا او آخذا الى اجل مسمى مدة معلومة لا كالحصاد او دياس او رجوع الحاج وانما احتيج الى ذكر
الدين ولم يقل اذا تداينتم الى اجل مسمى ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال
فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال وانما امر بكتبة
الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر اذا تعاملتم بدين مؤجل
فاكتبوه والامر للندب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح
السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية وفيه دليل على اشتراط الاجل في السلم
وليكتب بينكم اي بين المتداينين كاتب بالعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مأمون
على ما يكتب يكتب بالاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه دليل على ان يكون الكاتب
فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا

الا فقيها دينا حتى يكتب ما هو متفق عليه ولا يأب كاتب ولا يمتنع واحد من الكتاب ان يكتب
كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وكما متعلق بان يكتب تلك الكتابة لا يعدل
عنها وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود على ثباته في ذمته واقراره
به فيكون ذلك اقرارا على نفسه بلسانه والاملال والاملاء لغتان وليتق الله ربه وليتق الذي عليه الدين
ربه فلا يمتنع عن الاملاء فيكون جحودا لكل حقه ولا يبخس منه شيئا ولا ينقص من الحق الذي عليه شيئا
في الاملاء فيكون جحودا لبعض حقه فان كان الذي عليه الحق سفيها اي مجنونا لان السفه خفة في العقل
او محجورا عليه لتبذير وجهل بالتصرف او ضعيفا صبيا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع
فليملل وليه الذي يلي امره ويقوم به بالعدل بالصدق والحق واستشهدوا شهيدين واطلبوا
ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المومنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام
وشهادة الكفار بعضهم على بعض مقبولة عندنا فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامراتان
فليشهد رجل وامراتان وشهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون من
الشهداء ممن ترضون عدالتهم وفيه دليل على ان غير المرضي شاهد ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى
لاجل ان تنسى احديهما الشهادة فتذكرها الاخرى ان تضل احديهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد
حمزة كقوله ومن عاد فينتقم الله منه فتذكر لوملي وبصري من الذكر لا من الذكر ولا يأب الشهداء اذا
ما دعوا لاداء الشهادة او للتحمل لئلا يتوي حقوقهم وتسميتهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف
منزلة الكائن فالاول للفرض والثاني للندب ولا تسأموا ولا تملوا قال سئمت تكاليف الحيوة ومن
يعش ثمانين حولا لا ابا لك يسأم ان تكتبوه الدين او الحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان
الحق من صغير او كبير وفيه دلالة جواز السلم في الثياب لان ما يكال او يوزن لا يقال فيه الصغير
والكبير وانما يقال في الذرعي ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا الى اجله
الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب
اقسط من القسط وهو العدل عند الله ظرف لاقسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وبني
افعلا التفضيل اي اقسط واقوم من قسط واقام على مذهب سيبويه وادنى الا ترتابوا واقرب
من انتفاء الريب للشاهد والحاكم وصاحب الحق فانه قد يقع الشك في المقدار والصفات واذا رجعوا
الى المكتوب زال ذلك والف ادنى منقلبة عن واو لانه من الدنو الا ان تكون تجارة حاضرة عاصم
اي الا ان تكون التجارة تجارة او الا ان تكون المعاملة تجارة حاضرة وغيره تجارة حاضرة على كان التامة
اي الا ان يقع تجارة او توجد تجارة والاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وقوله بينكم ظرف لتديرونها
ومعنى ادارتها بينهم تعاطيها يدا بيد فليس عليكم جناح الا تكتبوها بعد الا ان تبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد

فلا بأس ان لا تكتبوها لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وأشهدوا إذا تبايعتم أمر بالاشهاد على
التبايع مطلقا ناجزا او كاليا لانه أحوط وأبعد من وقوع الاختلاف او أريد به وأشهدوا إذا تبايعتم
هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة والامر للندب ولا يضار
كاتب ولا شهيد يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر وللمفعول لقراءة ابن عباس
ولا يضارر والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة
والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل
او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم
ما بكم واتقوا الله في مخالفة اوامره ويعلمكم الله شرائع دينه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه
ولا قصود وان كنتم ايها المتداينون على سفر مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان فرهن
مكي وابو عمرو اي فالذي يستوثق به رهن وكلاهما جمع رهن كسقف وسقف وبغل وبغال
ورهن في الاصل مصدر سمي به ثم كسر تكسير الاسماء ولما كان السفر مظنة لاعواز الكتب والاشهاد
امر على سبيل الارشاد لحفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق
بالكتب والاشهاد لا لان السفر شرط تجويز الارتهان وقوله مقبوضة يدل على اشتراط القبض
لا كما زعم مالك رحمه الله ان الرهن يصح بالايجاب والقبول بدون القبض فان أمن بعضكم بعضا
فان امن بعض الداينين بعض المديونين لحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن
فليؤد الذي اؤتمن امانته دينه وائتمن افتعل من الامن وهو حث للمديون على ان يكون عند
ظن الداين به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين
امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه وليتق الله ربه في انكار حقه ولا تكتموا الشهادة
هذا خطاب للشهود ومن يكتمها فانه آثم قلبه ان رفع قلبه بآثم على الفاعل كأنه قيل فانه يأثم قلبه
او بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان وانما اسند الى القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده
لان كتمان الشهادة ان يضمرها في القلب ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد
الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ كما تقول هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب
رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكأنه
قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان منه ولان افعال القلوب اعظم من ساير
الجوارح الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب واذا جعل
كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اكبر الكباير الاشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة والله بما تعملون من كتمان الشهادة واظهارها

عليم لا يخفى عليه لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء
يحاسبكم به الله يجازكم ويجازكم ولا تدخل الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الانسان لان ذلك
مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه والحاصل ان عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من
غير عزم معفو وعزم الذنوب اذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فاما اذا هم بسيئة وهو
ثابت على ذلك الا انه منع عنه بمانع لا باختياره فانه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله اي بالعزم على الزنا
لا يعاقب عقوبة الزنا وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا قيل لا لقوله عليه السلام ان الله عفا عن امتي
ما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به والجمهور على ان الحديث في الخطرة دون العزم وان
المؤاخذة في العزم ثابتة واليه مال الشيخ ابو منصور وشمس الائمة الحلواني رحمهما الله والدليل عليه
قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الآية وعن عائشة رضي الله عنها ما هم العبد بالمعصية
من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن في الدنيا وفي اكثر التفاسير انه لما نزلت
الآية جزعت الصحابة رضي الله عنهم وقالوا انؤاخذ بكل ما حدثت به انفسنا فنزل قوله آمن الرسول
الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق ذلك بالكسب
دون العزم وفي بعضها انها نسخت بهذه الآية والمحققون على ان النسخ يكون في الاحكام لا في
الاخبار فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء برفعهما شامي وعاصم اي فهو يغفر ويعذب وبجزمهما
غيرهم عطفا على جواب الشرط وبالادغام ابو عمرو وكذا في الاتيان والثانية وقال صاحب الكشاف
مدغم الراء في اللام لاحن مخطئ لان الراء حرف مكرر فيصير بمنزلة المضاعف ولا يجوز ادغام
المضاعف وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية
ما يؤذن بجهل عظيم والله على كل شيء من المغفرة والتعذيب وغيرهما قدير قادر
آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ان عطف المؤمنون على الرسول
كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم
آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ووقف عليه وان كان مبتدأ
كان كل مبتدأ ثانيا والتقدير كل منهم وآمن خبر مبتدأ الثاني والجملة خبر الاول وكان الضمير
للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكتابه حمزة وعلي يريد القرآن
او الجنس لا نفرق اي يقولون لا نفرق بل نؤمن بالكل بين احد من رسله احد في معنى
الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل الا على اسم يدل على اكثر من واحد تقول المال
بين القوم ولا تقول المال بين زيد وقالوا سمعنا اجبنا قولك واطعنا امرك غفرانك اي اغفر
غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر ربنا واليك المصير المرجع وفيه اقرار بالبعث والجزاء والآية

تدل على بطلان الاستثناء في الايمان وعلى بقاء الايمان لمرتكب الكبائر لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا طاقتها وقدرتها لان التكليف لا يرد الا بفعل يقدر عليه المكلف كذا في شرح التاويلات وقال صاحب الكشاف الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اى لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود فقد كان في طاقة الانسان ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر وخص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لان الافتعال للاعتمال والنفس تنكمش في الشر وتتكلف في الخير ربنا لا تواخذنا ان نسينا تركنا امرا من اوامرك سهوا او اخطانا ودل هذا على جواز المواخذة في النسيان والخطاء خلافا للمعتزلة لامكان التحرز عنهما في الجملة ولولا جواز المواخذة بهما لم يكن للسوال معنى ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اى يحبسه مكانه لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك كما حملته على الذين من قبلنا كاليهود ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا واعف عنا امح سيآتنا واغفر لنا واستر ذنوبنا ولبس بتكرار والاول للكبائر والثاني للصغائر وارحمنا بتثقيل ميزاننا مع افلاسنا او الاول من المسخ والثاني من الخسف والثالث من الغرق انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فمن حق المولى ان ينصر عبيده كما في الحديث من قرا امن الرسول الى اخره في ليلة كفتاه وفيه من قرا الايتين بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل ويجوز ان يقال قرات سورة البقرة او قرات البقرة لما روى عن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قرات السورة التي يذكر فيها البقرة

سورة ال عمران مدنية وهي مائتا اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله حركت الميم لالتقاء الساكنين اعني سكونها وسكون لام الله وفتحت لخفة الفتحة ولم تكسر للياء وكسر الميم قبلها تحاميا عن توالي الكسرات وليس فتح الميم لسكونها وسكون ياء قبلها اذ لو كان كذلك لوجب فتحها في حم ولا يصح ان يقال ان فتح الميم هو فتحة همزة الله نقلت الى الميم لان تلك الهمزة همزة وصل تسقط في الدرج وتسقط معها حركتها ولو جاز نقل حركتها لجاز اثباتها وابقاؤها غير جائز واسكن يزيد واعشى الميم وقطعا الالف والباقون بوصل الالف وفتح الميم والله مبتدا لا اله الا هو خبره وخبر لا مضمر والتقدير لا اله في الوجود الا هو موضع الرفع بدل من موضع لا واسمه الحي القيوم خبر مبتدا اى هو الحي القيوم او بدل من هو والقيوم فيعول من قام وهو القائم بالقسط او القائم على كل نفس بما كسبت نزل اى هو نزل عليك الكتاب القرآن بالحق حال اى نزله حقا ثابتا مصدقا لما بين يديه لما قبله وانزل التورية والانجيل هما اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما

بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وانما قيل نزل الكتاب وانزل التورية والانجيل لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة من قبل من قبل القرآن هدى للناس لقوم موسى وعيسى او لجميع الناس وانزل الفرقان اى جنس الكتب لان الكل يفرق بين الحق والباطل او الزبور او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له تفخيما لشانه ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ذو عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها منتقم ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اى في العالم فعبر عنه بالسماء والارض اى هو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء من الصور المختلفة لا اله الا هو العزيز في سلطانه الحكيم في تدبيره روي انه قدم وفد بني نجران وهم ستون راكبا فيهم العاقب وعلقمة والسيد واسقفهم وحبرهم ابو حارثة فخاصموا في ان عيسى ان لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان الله حي لا يموت وعيسى يموت وان ربنا قيم على العباد يحفظهم ويرزقهم وعيسى لا يقدر على ذلك وانه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وعيسى لا يعلم الا ما علم وانه صور عيسى في الرحم كيف شاء فحملته امه ووضعته وارضعته وكان ياكل ويحدث وربنا منزه عن ذلك كله فانقطعوا فنزل فيهم صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين اية هو الذي انزل عليك الكتاب القرآن منه من الكتاب آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها واخر متشابهات مشتبهات محتملات ومثال ذلك الرحمن على العرش استوى فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء ولا يجوز الاول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله ليس كمثله شيء او المحكم ما امر الله به في كل كتاب انزله نحو قوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الآيات وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الايات والمتشابه ما وراءه او ما لا يحتمل الا وجها واحدا وما يحتمل وجوها او ما يعلم تاويله وما لا يعلم تاويله او الناسخ الذي يعمل به والمنسوخ الذي لا يعمل به وانما لم يكن كل القرآن محكما لما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الحق وهم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه التاويل

الذي يشتهونه وما يعلم تأويله الا الله اي لا يهتدي الى تأويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون
في العلم والذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع مستأنف
عند الجمهور والوقف عندهم على قوله الا الله وفسروا المتشابه بما استأثر الله به وهو مبتدأ عندهم
والخبر يقولون آمنا به وهو ثناء منه تعالى عليهم بالايمان على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف
وفائدة انزال المتشابه الايمان به واعتقاد حقيته ما اراد الله به ومعرفة قصور افهام البشر عن
الوقوف على ما لم يجعل لهم اليه سبيلا ويعضده قراءة ابي ويقول الراسخون وعبد الله
ان تأويله الا عند الله ومنهم من لا يقف عليه ويقول بان الراسخين في العلم يعلمون المتشابه
ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل
يقولون آمنا به اي بالمتشابه او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند ربنا من عند الله
الحكيم الذي لا يتناقض كلامه وما يذكر وما يتعظ واصله يتذكر الا اولوا الالباب اصحاب
العقول وهو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل وقيل يقولون حال من الراسخين
ربنا لا تزغ قلوبنا لا تملها عن الحق بخلق الميل في القلوب بعد اذ هديتنا للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه
وهب لنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والتثبيت انك انت الوهاب لكل نعمة
والآية من مقول الراسخين ويحتمل الاستئناف اي قولوا وكذا التي بعدها وهي ربنا انك
جامع الناس ليوم اي لجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم لا ريب فيه لا شك في وقوعه ان الله
لا يخلف الميعاد الموعد والمعنى ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب
سائله اي لا يخلف ما وعد المسلمين والكافرين من الثواب والعقاب ان الذين كفروا
برسول الله لن تغني تنفع او تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله من عذابه شيئا من الاغناء
واولئك هم وقود النار حطبها كدأب آل فرعون والذين من قبلهم الدأب مصدر دأب
في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل
تقديره دأب هؤلاء الكفرة في تكذيب الحق كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم
او منصوب المحل بلن تغني اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك كدأب بالامن حيث كان
ابو عمرو كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم مما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم
ويجوز ان يكون حالا اي قد كذبوا فاخذهم الله بذنوبهم بسبب ذنوبهم تعالى اخذه عليه
والله شديد العقاب شديد عقابه والاضافة غير محضة قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون
يوم بدر وتحشرون الى جهنم في الجهنام وهي ... وبالياء فيهما حمزة وعلي وبئس المهاد المستقر
جهنم قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل

في سبيل الله وهم المؤمنون واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين
الفين ومثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله تعالى اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا
عن قتالهم ترونهم نافع اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم ولا يناقض
هذا ما قال في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم لانهم قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم
فلما اجتمعوا كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره
على اختلاف الاحوال فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقفوهم انهم مسئولون وتقليلهم
تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة والاظهار الآية ومثليهم نصب على الحال
لانه من رؤية العين بدليل قوله رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها والله
يؤيد بنصره من يشاء كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو ان في ذلك في تكثير القليل
لعبرة لعظة لاولي الابصار لذوي البصائر زين للناس المزين هو الله عند الجمهور للابتلاء
لقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل
وعن الحسن الشيطان حب الشهوات الشهوة توقان النفس الى الشيء جعل الاعيان التي ذكرها
شهوات مبالغة في كونها مشتهاة كانه اراد تخسيسها بتسميتها شهوات اذ الشهوة مسترذلة عند الحكماء
مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية من النساء والبنين جمع ابن
وقد يقع في غير هذا الموضع على الذكور والاناث وهنا اريد به الذكور فهم المشتهون في الطباع والمعدون
للدفاع والقناطير جمع قنطار وهو المال الكثير قيل ملء مسك ثور او مائة الف دينار وقنطار الاف
وملء مائة رطل قد قنطروا المقنطرة المنضدة او المدفونة من الذهب والفضة سمي ذهبا لسرعة
ذهابه بالانفاق والفضة تنفض بالانفاق والفض التفريق والخيل مشتقة من الاختيال لاختيالها في
مشيها المسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج
الثمانية والحرث الزرع ذلك المذكور متاع الحياة الدنيا يتمتع بها في الدنيا والله عنده حسن المآب
المرجع ثم ذمهم في الدنيا فقال قل أؤنبئكم بخير من ذلكم من الذي تقدم للذين اتقوا عند ربهم
جنات كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم فجنات مبتدأ وللذين
اتقوا خبره تجري من تحتها الانهار صفة لجنات ويجوز ان يتعلق اللام بخير وخص المتقين لانهم
المنتفعون به ويرتفع جنات وينصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير
خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله اي رضاء الله والله بصير بالعباد عالم باعمالهم
فيجازيهم عليها او بصير بالذين اتقوا واحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين
يقولون نصب على المدح او رفع او جر صفة المتقين او العباد ربنا اننا آمنا اجابة لدعوتك

فاغفر لنا ذنوبنا انجازا لوعدك وقنا عذاب النار بفضلك الصابرين على الطاعات والمصائب
ونصب على المدح والصادقين قولا باخبار الحق وفعلا باحكام العمل ونية بامضاء العزم
والقانتين الداعين او المطيعين والمنفقين للتصدقين والمستغفرين بالاسحار المصلين
او الطالبين للمغفرة وخص الاسحار لانه وقت اجابة الدعاء لانه وقت الخلو قال
لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك اكيس منك ينادي بالاسحار وانت نائم والواو المتوسطة
بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وللاشعار بان كل صفة
مستقلة بالمدح شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة بما عاينوا من عظم قدرته
واولو العلم اي الانبياء او العلماء قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال
ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما
بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة من اسم الله او من هو وانما جاز افراده بنصب الحال
دون المعطوفين عليه ولو قلت جاء زيد وعمرو راكبا لم يجز لعدم الالباس فانك لو قلت
جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح وكرر لا اله الا هو
للتأكيد العزيز الحكيم رفع على الاستيناف اي هو العزيز وليس بوصف لهو
لان الضمير لا يوصف يعني انه العزيز الذي لا يغالب الحكيم الذي لا يعدل عن العدل ان
الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة ان الدين على البدل من قوله انه لا اله الا هو
اي شهد الله ان الدين عند الله الاسلام قال عليه السلام من قرأ الآية عند منامه خلق الله
تعالى منها سبعين الف خلق يستغفرون له الى يوم القيامة ومن قال بعدها وانا اشهد
بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي وديعة يقول الله تعالى يوم القيامة ان
لعبدي عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب اي اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام
وهو التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله الا من بعد ما جاءهم
العلم انه الحق الذي لا محيد عنه بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف الا حسدا بينهم
وطلبا منهم لحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا لا شبهة في الاسلام وقيل
هو اختلافهم في نبوة محمد عليه السلام حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو
النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله ومن يكفر بآيات الله
حججه ودلائله فان الله سريع الحساب سريع المجازاة فان حاجوك فان جادلوك في دين
الله الاسلام والمراد بهم وفد بني نجران عند الجحود فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي

وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعو الها معه يعني ان ديني دين التوحيد
وهو الدين القديم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى
تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا
نشرك به فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو الحق واليقين الذي لا شك
فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت اي اسلمت انا ومن اتبعني
وحسن للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه ومن اتبعني في الحالين
سهل ويعقوب وافق ابو عمرو في الوصل وجهي مدنية وشامي وحفص والاعشى والبرجمي وقل
للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم
من مشركي العرب ءاسلمتم بهمزتين كوفي يعني انه قد اتاكم من البينات ما يقتضي الاسلام
فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وفيه لفظ الاستفهام ومعناه الامر اي اسلموا
كقوله فهل انتم منتهون اي انتهوا فان اسلموا فقد اهتدوا فقد اصابوا الرشد حيث
خرجوا من الضلال الى الهدى وان تولوا فانما عليك البلاغ اي لم يضروك فانك
رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى والله بصير بالعباد فيجازيهم على
اسلامهم وكفرهم ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين اهل الكتاب راضون بقتل
آبائهم الانبياء بغير حق حال مؤكدة لان قتل النبي لا يكون حقا ويقتلون الذين يأمرون ويقاتلون
حمزة بالقسط بالعدل من الناس اي سوى الانبياء قال عليه السلام قتلت بنو اسرائيل ثلثة و
اربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل
فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا في آخر النهار من ذلك اليوم فبشرهم بعذاب
اليم دخلت الفاء خبر ان لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر
فبشرهم ومنع ذلك لان ان لا تغير معنى الابتداء في التحقيق فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها
ليت ولعل لامتنع دخول الفاء اولئك الذين حبطت اعمالهم اي ضاعت في الدنيا
والآخرة فلهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة وما لهم من ناصرين جمع
لوفق رؤس الآي والا فالواحد لكل في النبي عم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية ومن للتبعيض او للبيان يدعون
حال من الذين الى كتاب الله اي التورية او القرآن ليحكم بينهم حالا حيث كان سببا
للحكم او ليحكم النبي روي انه عليه السلام دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن
زيد على اي دين انت قال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم

التودد وبلوا اليها فابيا ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب
الله واجب وهم معرضون وهم قوم دابهم الاعراض ديدنهم ذلك بانهم قالوا
لن تمسنا النار الا اياما معدودات اى ذلك الاعراض والتولى بسبب تسهيلهم على انفسهم
امر العقاب وطمعهم في الخروج عن النار بعد ايام قلائل وهي اربعون يوما او سبعة ايام وذلك
مبتدا وبانهم خبر وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون اى غرهم افتراءهم على الله
وهو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه فلا يعذبنا بذنوبنا الا مدة يسيرة فكيف اذا جمعناهم
ليوم فكيف يكون حالهم في ذلك الوقت لا ريب فيه لا شك في كونه ووفيت كل نفس
ما كسبت جزاء ما كسبت وهم يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس لا يظلمون
بزيادة في سيئاتهم ونقصان في حسناتهم قل اللهم الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان
وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه
وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبالتفخيم مالك الملك تملك جنس الملك فتتصرف فيه
تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان اى يا مالك الملك تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء
النصيب الذي قسمت له من الملك وتنزع الملك ممن تشاء اى تنزعه فالملك الاول عام و
الملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روى انه عليه السلام حين فتح مكة وعد امته ملك
فارس والروم فقالت اليهود والمنافقون هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم
هم اعز وامنع من ذلك وتعز من تشاء بالملك وتذل من تشاء بنزعه منه بيدك الخير اى الخير والشر
فاكتفى بذكر احد الضدين عن الآخر ولان الكلام وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين
وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك انك على كل شيء قدير
ولا يقدر على شيء احد غيرك الا باقدارك وقيل المراد بالملك ملك العافية او ملك
القناعة قال عليه السلام ملوك الجنة من امتي القانعون بالقوت يوما
فيوما او ملك قيام الليل وعن الشبلي الاستغناء بالمكون عن الكونين ثم بالمعرفة او بالاستغناء
بالمكون او بالقناعة وتذل باضدادها ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في
المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير
حساب بقوله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل فالايلاج ادخال الشيء في الشيء وهو
مجاز هنا اى تنقص من ساعات الليل وتزيد في النهار وتنقص من ساعات النهار وتزيد
في الليل وتخرج الحي من الميت الحيوان من النطفة او الفرخ من البيضة او المؤمن من الكافر
وتخرج الميت من الحي النطفة من الانسان او البيض من الدجاج او الكافر من المؤمن

وترزق

وترزق
من تشاء بغير حساب لا يعرف الخلق عدده ومقداره وان كان معلوما عند الله ليدل
على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من
شاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويعطيه العرب ويعزهم
وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد
اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا
بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون
يولى عليكم الحي من الميت والميت من الحي بالتشديد حيث كان مدني وكوفي غير ابي بكر
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او لصداقة قبل الاسلام
او غير ذلك وقد تكرر ذلك في القرآن والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم في الايمان
من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين
فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوالي الكفرة فليس
من ولاية الله في شيء لان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا
من جهتهم امرا يجب اتقاؤه اى الا ان يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك
فحينئذ يجوز لك اظهار الموالاة وابطان المعاداة ويحذركم الله نفسه اى ذاته فلا
تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد والى الله المصير اى مصيركم اليه والعذاب
معد لديه وهو وعيد آخر قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية الكفار
او غيرها مما لا يرضى الله يعلمه الله ولم يخف عليه وهو بليغ وعيد ويعلم ما في السموات
وما في الارض استئناف وليس بمعطوف على جواب الشرط اى هو الذي يعلم ما في السموات
وما في الارض فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيكون قادرا على
عقوبتكم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان
بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اى يوم القيامة حين تجد كل
نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا اى مسافة
بعيدة او باذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اى
والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان يكون ما شرطية لارتفاع تود ثم
الرفع جائز اذا كان الشرط ماضيا لكن الجزم هو الكثير وعن المبرد ان الرفع شاذ وكرر قوله
ويحذركم الله نفسه ليكونوا على بال منه لا يغفلون عنه والله رؤوف بالعباد ومن رأفته
بهم ان حذرهم نفسه حتى لا يتعرضوا لسخطه ويجوز ان يريد انه مع كونه

محدودا لكمال قدرته مرجوا لسعة رحمته لقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ونزلت حين
قال اليهود ونحن ابناء الله واحباؤه. قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله محبة العبد
لله ايثار طاعته على غير ذلك ومحبة الله العبد ان يرضى عنه ويحمد فعله وعن الحسن
زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا
من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسول الله فهو كذاب وكتاب الله تعالى يكذبه وقيل
محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وبذكره ودوام الانس به وقيل
هي اتباع النبي عليه السلام في اقواله وافعاله واحواله الا ما خص به وقيل علامة المحبة ان يكون
دايم التفكر كثير الخلوة دايم الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودي ولا يحزن اذا اصيب ولا يفرح
اذا اصاب ولا يخشى احدا ولا يرجو ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله و
الرسول قيل هي علامة المحبة فان تولوا اعرضوا عن قبول الطاعة ويحتمل ان يكون مضارعا
اي فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين اي لا يحبهم ان الله اصطفى اختار آدم ابا البشر ونوحا
شيخ المرسلين وآل ابراهيم اسمعيل واسحاق واولادهما وآل عمران موسى وهرون
ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثمان مائة سنة
على العالمين اي على عالمي زمانهم ذرية من آل ابراهيم وآل عمران بعضها من بعض مبتدا وخبر في
موضع النصب صفة لذرية بمعنى انهم ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض
موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي
من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان وهو من
يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
بعضها من بعض في الدين والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء او سميع عليم لقول
امراة عمران ونيتها اذ قالت واذ منصوب به او باضمار اذكر امرأت عمران هي امراة عمران بن
ماثان ام مريم جدة عيسى وهي حنة بنت فاقوذا رب اني نذرت لك ما في بطني
محررا ... معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه
وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم او مخلصا للعبادة يقال طين حر اي خالص فتقبل
مني هديه وابو عمرو والتقبل اخذ الشيء على الرضا انك انت السميع العليم فلما وضعتها
الضمير لما في بطني وانما انث على تاويل الحبلة او النفس او النسمة قالت رب اني وضعتها انثى
انثى حال من الضمير وضعتها اي وضعت الحبلة او النسمة انثى وانما قالت هذا القول لان
التحرير لم يكن الا للغلمان فاعتذرت عما نذرت وتحزنت الى ربها وتكلمها بذلك على

وجه التحزن والتحسر قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها اي والله اعلم بالشيء الذي
وضعت وما علق به من عظائم الامور وضعت شامي وابو بكر ويعقوب ولعل لله فيه سرا وحكمة وعلى
هذا يكون داخلا في القول ويقف الاولى يوقف عند قوله انثى وقيل والله اعلم بما وضعت
ابتداء اخبار من الله تعالى وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام للعهد واني سميتها
مريم معطوف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان وانما ذكرت تسميتها مريم لربها لان مريم
في لغتهم العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها
مريم وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان بقوله
واني اعيذها بك اجيرها وذريتها اولادها من الشيطان الرجيم المطرود في الحديث
ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم
وابنها فتقبلها ربها قبل الله مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن القبول
اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط لما يسعط به واختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها
انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة
حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم في
بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت
بنت امامهم وصاحب قربانهم اي عبادتهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم
فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة
وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها وقيل
هو مصدر على تقدير حذف المضاف اي فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن
وهو الاختصاص وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة قال ابن عطاء ما كانت
ثمرته مثل عيسى فذلك احسن النبات ونباتا مصدر على خلاف الصدر او التقدير فنبتت
نباتا وكفلها قبلها او ضمن القيام بامرها وكفلها كوفي غير ابي بكر في كل القرآن وقرا ابو بكر بالمد
والنصب غيرهم بالمد والرفع كالثانية والثالثة وهمزا في العنبري ذالم الذكر والتسع كلما
دخل عليها زكريا المحراب قيل بنى لها زكريا محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم
وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت
المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وكان لا يدخل عليها الا هو وحده وجد
عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة
الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء قال يا مريم انى لك هذا من اين لك

هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه قالت هو من عند الله فلا تستبعد
قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد ان الله يرزق من يشاء من جملة كلام مريم
او من كلام رب العزة جل جلاله بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة
ومجازاة على عمل سالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في
ذلك الوقت فقد تستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى حال مريم في كرامتها على الله
ومنزلتها رغب ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولدها اختها في الكرامة على الله وان كانت
عاقرا عجوزا فقد كانت امها كذلك وقيل لما راى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة
العاقر دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية ولدا والذرية يقع على الواحد
والجمع طيبة مباركة والتانيث للفظ الذرية انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة قيل
ناداه جبريل عليه السلام وانما قيل الملائكة لان المعنى اتاه النداء من هذا الجنس كقولهم فلان يركب الخيل
فناديه الملائكة بالياء والامالة حمزة وعلي وهو قائم يصلي في المحراب وفيه دليل على ان المرادات تطلب
بالصلوات وفيها اجابة الدعوات وقضاء الحاجات قال ابن عطاء ما فتح الله تعالى على عبد حالة
سنية الا باتباع الاوامر واخلاص الطاعات ولزوم المحاريب ان الله بكسر الالف شامي وحمزة
على اضمار القول او لان النداء قول الباقون بالفتح اي بان الله يبشرك يبشرك وما بعده حمزة
وعلي من بشر والتخفيف والتشديد لغتان بيحيى هو غير منصرف ان كان اعجميا وهو الظاهر فللتعريف
والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا حال منه بكلمة من الله
اي مصدقا بكلمة من الله بعيسى مؤمنا به وهو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة الله لان تكونه بكن بلا اب
او مصدقا بكلمة من الله مؤمنا به وهو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة الله بكتاب منه وسيدا
هو الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا على قومه لانه لم يركب سيئة قط
فيالها من سيادة وقال الجنيد هو الذي جاد بالكونين عوضا عن المكون وحصورا هو الذي
لا يقرب النساء مع القدرة حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات ونبيا من الصالحين ناشئا
من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين قال رب انى يكون
لي غلام استبعاد من حيث العادة واستعظام للقدرة لا تشكك وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته
السن العالية اي اثر في الكبر واضعفني وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون وامراتي
عاقر لا تلد قال كذلك الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة قال رب اجعل لي آية وابو عمرو آية
علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة بالشكر اذا جاءت قال آيتك ان لا تكلم الناس ان لا تقدر
على تكليم الناس ثلثة ايام الا رمزا الا اشارة بيد او راس او عين او حاجب واصل الرمز التحرك

يقال ارتمز اذا تحرك واستثنى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لانه لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه
ما يفهم منه سمي كلاما او هو استثناء منقطع وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على
تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذا قال واذكر ربك كثيرا
وسبح بالعشي والابكار اي في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة والادلة الظاهرة
وانما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره كانه لما طلب الآية
من اجل الشكر قيل آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما كان منتزعا من
السؤال والعشي من حين الزوال الى الغروب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى واذ عطف
على اذ قالت امراة عمران او التقدير واذكر اذ قالت الملائكة يا مريم روي انهم كلموها شفاها
ان الله اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك
عما يستقذر من الافعال واصطفاك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب
ولم يكن ذلك لاحد من النساء يا مريم اقنتي لربك اديمي الطاعة او اطيلي القيام في الصلوة
واسجدي وقيل امرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلوة ثم قيل
لها واركعي مع الراكعين اي ولتكن صلوتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين
وكوني في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم وذلك اشارة الى ما سبق من قصة حنة و
زكريا ويحيى ومريم من انباء الغيب نوحيه اليك يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا
بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اذ لا معهم وهي قداحهم التي طرحوها
في النهر مقترعين او هي الاقلام التي كانوا يكتبون التورية بها اختاروها للقرعة تبركا بها ايهم
يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولوا
وما كنت لديهم اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها اذ قالت الملائكة اي
اذكر اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة اي بعيسى منه في موضع جر صفة لكلمة
اسمه مبتدأ وذكر ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر المسيح خبره والجملة في موضع جر صفة لكلمة و
المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه
المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وقيل سمي مسيحا لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا برأ
او لانه كان يمسح الارض بالسياحة لا يستوطن مكانا عيسى بدل من المسيح ابن مريم خبر مبتدأ
محذوف اي هو ابن مريم ولا يجوز ان يكون صفة لعيسى لان اسمه عيسى فحسب وليس اسمه
عيسى بن مريم وانما قال ابن مريم اعلاما لها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وجيها
ذا جاه وقدر في الدنيا بالنبوة والطاعة وفي الآخرة بعلو الدرجة والشفاعة ومن المقربين

برفعه الى السماء وقوله وجيها حال من الكلمة لكونها موصوفة وكذا ومن المقربين اى وثابتا من المقربين
وكذا ويكلم الناس اى ومكلما الناس في المهد حال من الضمير في يكلم اى يكلمهم طفلا في المهد والمهد ما يمهد
للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وكهلا عطف عليه اى يكلم الناس طفلا وكهلا يعني يكلم الناس في
الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولية وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل
ويستنبأ فيها الانبياء ومن الصالحين حال ايضا والتقدير يبشرك به موصوفا بهذه الصفات
قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له
كن فيكون اى اذا قدر تكوين شئ كونه من غير تاخير كذا عبر بقوله كن اخبارا عن سرعة تكوين
الاشياء بتكوينه ويعلمه مدني وعاصم وموضعه حال معطوفة على وجيها والباقون بالنون على انه
كلام مبتدأ الكتاب اى الكتابة وكان احسن الناس خطا في زمانه وقيل كتب الله
والحكمة بيان الحلال والحرام او الكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان والتورية والانجيل
ورسولا اى ويجعله رسولا ويكون في موضع الحال اى وجيها في الدنيا والآخرة ورسولا الى
بني اسرائيل انى قد جئتكم باية من ربكم بدلالة تدل على صدقي فيما ادعيته من النبوة انى اخلق لكم
نصب بدل من انى قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على صدقي فيما ادعيته من النبوة انى اخلق لكم
وانى يكون اخلق لكم لانه واقع على الاستيناف من الطين كهيئة الطير اى اقدر لكم شيئا مثل صورة
الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اى في ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف فيكون طيرا
فيصير حيا كسائر الطيور فايده بلدني باذن الله بامره قيل لم يخلق غير الخفاش وابرئ الاكمه
الذي ولد اعمى والابرص واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه الالوهية روي
انه احيى سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك
كذا وهو قوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وما فيهما بمعنى الذي او مصدرية ان في
ذلك فيما سبق لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التورية اى قد جئتكم باية و
جئتكم مصدقا ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم رد على قوله باية من ربكم اى جئتكم باية ولاحل لكم
ما حرم عليهم في شريعة موسى عليه السلام الشحوم ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم
عيسى بعض ذلك وجئتكم باية من ربكم كرر للتاكيد فاتقوا الله في تكذيبي وخلافي واطيعون فيما آمركم
ان الله ربي وربكم فاعبدوه اقرار بالعبودية ونفي للربوبية عن نفسه بخلاف ما زعم النصارى فاعبدوه
هذا صراط مستقيم يؤدي صاحبه الى النعيم المقيم فلما احس عيسى منهم الكفر علم من اليهود كفرا
علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله متوجها الى الله كاصحاب او جمع
نصير كاشراف الى الله يتعلق بمحذوف حالا من الياء اى من انصاري ذاهبا الى الله ملتجيا اليه

قال

والمراد الرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز في الانتقام الحكيم في تدبير الاحكام فان تولوا
اعرضوا ولم يقبلوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قل يا اهل الكتاب هم اهل الكتابين او وفد
نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء اى مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتورية
والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما
بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله
وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتا
خذون بقولهم قال نعم قال هو ذلك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم
الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال
او صراع اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت
التورية والانجيل الا من بعده زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله
والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل
وبين ابراهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا من بعد
عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدا
وهؤلاء خبره حاججتم جملة مستانفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقاء وبيان
حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
اى ولا ذكر له في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته ها انتم بالمد والهمز
حيث كان مدني وابو عمرو والله يعلم علم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ثم برأ ابراهيم
من دينهم فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
كانه اراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزير والمسيح او وما كان من المشركين كما لم يكن منهم
ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه
بعده وهذا النبي خصوصا خص بالذكر لخصوصيته بالفضل والمراد محمد عليه السلام والذين آمنوا من امته
والله ولي المؤمنين ينصرهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود دعوا حذيفة وعمارا الى اليهودية
وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم وما
يشعرون بذلك يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بالتورية والانجيل وكفرهم
بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وانتم تشهدون تعترفون

بآيات الله او تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تكفرون
بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل تخلطون
الايمان بموسى وعيسى بالكفر بمحمد وتكتمون الحق نعت محمد عليه السلام وانتم تعلمون انه حق وقالت
طائفة من اهل الكتاب فيما بينهم آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا اي القرآن وجه النهار
ظرف اي اوله يعني اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا آخره واكفروا به في
آخره لعلهم يرجعون لعل المسلمين يقولون ما رجعوا وهم اهل الكتاب وعلماء الا لامر
قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ولا تؤمنوا
متعلق بقوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا
من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون
المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف
على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين
يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله ارشادا
من شاء حتى اسلم او ثبت على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين
والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام
عند قوله الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى
عندهم اي ولا تؤمنوا الايمان الظاهر وهو اسلامهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم من رجع
عن سواهم ومعنى قوله ان يؤتى لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ذلك ودبرتم لا لشيء آخر
يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والكتاب دعاكم الى ان
قلتم ما قلتم ويدل عليه قراءة ابن كثير آن بالمد والاستفهام يعني الان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل
عندكم تكم به من محاجتهم لكم عند ربكم والله واسع اي واسع الرحمة عليم بالمصلحة يختص
برحمته بالنبوة والاسلام من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار
يؤده اليك هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه
ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك هو فنحاص بن عازورا استودعه رجل من قريش دينارا
فجحده وخانه وقيل المامونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون في القليل
اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا ما دمت مدة دوامك عليه بالمطالبة يا صاحب الحق
قائما على راسه ملازما له يؤده ولا يؤده بسكون الهاء مشبعة مكي ونافع وشامي وعلي وحفص واختلس

قال الحواريون حواري الرجل صفوته وخالصته نحن انصار الله اعوان دينه آمنا بالله واشهد بانا
مسلمون انما طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم
وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد ربنا آمنا بما انزلت فاتبعنا الرسول اي رسولك
عيسى فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون لك بالوحدانية او
مع امة محمد عليه السلام لانهم شهداء على الناس ومكروا اي كفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر
حين ارادوا قتله وصلبه ومكر الله اي جازاهم على مكرهم بان رفع عيسى الى السماء والقى شبهه على من
اراد اغتياله حتى قتل ولا يجوز اضافة المكر الى الله تعالى الا على معنى الجزاء لانه مذموم عند الخلق وعلى
هذا الخداع والاستهزاء كذا في شرح التاويلات والله خير الماكرين اقوى المجازين واقدرهم على العقاب
من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف لمكر الله يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومعناه
اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الي الى سمائي ومقر
ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك
من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته او مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن
اذ الواو لا يوجب الترتيب قال النبي عليه السلام ينزل عيسى خليفة على امتي يدق الصليب ويقتل الخنازير
ويلبث اربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى وكيف تهلك امة انا اولها وعيسى آخرها والمهدي
من اهل بيتي في وسطها ومتوفيك منيمك النوم ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في
السماء آمن مقرب وجاعل الذين اتبعوك اي المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان
اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فوق الذين كفروا
الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ثم الي مرجعكم في الآخرة وما لهم
من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ونعم
الحكم فانا [illegible] فنوفيهم حفص ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ نتلوه
عليك خبره من الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف والذكر الحكيم القرآن بمعنى المحكم او كانه ينطق
بالحكمة لكثرة حكمه ونزل لما قال وفد نجران هل رايت ولدا بلا اب ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم اي
ان شان عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم خلقه من تراب قدره جسدا من طين وهي جملة مفسرة لما له
شبه عيسى بآدم ولا موضع لها اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة اب ولا ام فكذلك حال عيسى مع
ان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب
ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم
فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له فقال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال

فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر وحزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص فقال جرجيس
اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما ثم قال له كن اى انشاه بشرا فيكون اى فكان ويجوز ان يكون حكاية
حال ماضية وثم لترتيب الخبر على الخبر الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق فلا تكن ايها السامع
من الممترين الشاكين ويحتمل ان يكون الخطاب للنبي عليه السلام ويكون من باب التهييج لزيادة الثبات
لانه عليه السلام معصوم من الامتراء فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم
من البينات الموجبة للعلم وما بعده الذى فقل تعالوا هلموا والمراد المجيء بالعزم والرأي كما تقول تعال نفكر
في هذه المسئلة ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع كل
منى ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب
منا ومنكم اى نتلاعن والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته واصل الابتهال هذا
ثم يستعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروى انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى
ننظر فقال العاقب وكان ذا رأيهم والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل وما باهل
قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل
وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه
وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى انى لارى
وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني
فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك فصالحهم على الفي حلة كل سنة فقال عليه السلام والذي نفسي
بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير والحاق الابناء والنساء
وان كانت المباهلة تختص به وبمن يكاذبه لان ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه
حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه
حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل
والصقهم بالقلوب وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم وفيه
دليل واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق او مخالف انهم
اجابوا الى ذلك فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم في شان عيسى ونبتهل ونجعل معطوفان
على ندع ان هذا الذي قص عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق هو فصل بين اسم ان وخبرها
او مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان وجاز دخول اللام على الفصل لانه اذا جاز
دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجود لانه اقرب الى المبتدأ منه واصلها ان تدخل على
المبتدأ ومن في وما من اله الا الله منزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق

فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله واعرض عن الايمان بالنبي
فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفار افغير دين الله يبغون دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة
جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف
على محذوف تقديره اتتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول وهو غير دين الله على فعله
لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود الباطل وله اسلم من في السموات
والارض الانس والجن طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ
كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله
وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال اى طائعين ومكرهين واليه يرجعون فيجازون على الاعمال
يبغون ويرجعون بالياء فيهما حفص وبالتاء في الثانية وفتح الجيم ابو عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون
جميع الناس وبالتاء فيهما وفتح الجيم غيرهما قل آمنا بالله وما انزل علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يخبر عن نفسه وعن متبعيه بالايمان فلذا وحد الضمير في قل وجمع في آمنا او امر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم
الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه وعدى انزل هنا بحرف الاستعلاء وفي البقرة بحرف الانتهاء لوجود
وقال صاحب الكتاب الخطاب في البقرة للامة لقوله قولوا فلم يصح الا الى لان الكتب منتهية الى الانبياء
والى امتهم جميعا وهنا قال قل وخطاب النبي عليه السلام دون امته فكان اللائق به على لان الكتب
منزلة عليهم لا شركة للامة فيه وفيه نظر لقوله تعالى آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وما انزل على ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط اولاد يعقوب وكان فيهم انبياء وما اوتي موسى وعيسى
والنبيون كرر في البقرة وما اوتي ولم يكرر هنا لتقدم ذكر الايتاء حيث قال لما آتيتكم من ربهم
من عند ربهم لا نفرق بين احد منهم في الايمان بهم كما فعلت اليهود والنصارى ونحن له مسلمون
موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها ومن يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد
واسلام الوجه لله او غير دين محمد دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين من الذين
وقعوا في الخسران ونزل في رهط اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة كيف يهدي الله
قوما كفروا بعد ايمانهم والواو في وشهدوا ان الرسول حق للحال وقد مضمرة اى كفروا
وقد شهدوا ان الرسول اى محمد حق او للعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا
وجاءهم البينات اى الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات والله لا يهدي القوم الظالمين اى ما داموا
مختارين الكفر او لا يهديهم طريق الجنة اذا ماتوا كفارا اولئك مبتدأ جزاؤهم مبتدأ ثان خبره
ان عليهم لعنة الله وهما خبر اولئك او جزاؤهم بدل الاشتمال من اولئك والملائكة والناس اجمعين
خالدين حال من الهاء والميم في عليهم فيها في اللعنة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون

ابو عمرو في رواية عنهم بسكون الهاء ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده بانهم قالوا ليس
علينا في الاميين سبيل اى تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اى ليس
علينا اثم وذم في شان الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم
والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا
حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم
دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون
انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اى بلى عليهم سبيل فيهم وقوله
من اوفى بعهده واتقى جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده يرجع الى الله تعالى
اى كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحب المتقين اى يحبهم فوضع الظاهر موضع الضمير وعموم المتقين
قام مقام الضمير الراجع من الجزاء الى من ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب
اتقاؤه من الكفر واعمال السوء قيل نزلت في عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمي اهل الكتاب ويجوز ان
يرجع الضمير الى من اوفى اى كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله
يحبه ونزل فيمن حرف التوراة وبدل نعته عليه السلام من اليهود واخذ الرشوة على ذلك ان الذين
يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما
حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الرشوة والرئاسة
ونحو ذلك وقيل بعهد الله يقوى رجوع الضمير في بعهده الى الله اولئك لا خلاق لهم في الاخرة
اى لا نصيب ولا يكلمهم الله بما يسرهم ولا ينظر اليهم يوم القيمة نظر رحمة ولا يزكيهم ولا يثني عليهم
ولهم عذاب اليم مؤلم وان منهم من اهل الكتاب لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن
الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف
والى القتل وهو الصرف والمراد تحريفهم كآية الرجم ونعت محمد عليه السلام ونحو ذلك
والضمير في لتحسبوه يرجع الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون
السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوه ذلك الشبه من الكتاب اى التوراة وما هو من الكتاب
وليس هو من التوراة ويقولون هو من عند الله تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم
وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون ما كان لبشر
ان يؤتيه الله الكتاب تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك
كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا
نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والنبوة الحكمة وهي السنة او فصل القضاء والنبوة ثم يقول

فالذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان
الله غفور لكفرهم رحيم بهم ونزل في اليهود ان الذين كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم
بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل بعثته
ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا برسول الله باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت
او نزل في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون
لن تقبل توبتهم اى ايمانهم عند الباس لانهم لا يتوبون الا عند الموت قال الله تعالى فلم يك
ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن
يقبل من احدهم ملء الارض الفاء في فلن يقبل يؤذن بان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب
امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وترك الفاء فيما تقدم يشعر بان الكلام مبتدأ وخبر ولا
دليل فيه على التسبيب ذهبا تمييز ولو افتدى به فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض
ذهبا قال عليه السلام يقال للكافر يوم القيمة لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت مفتديا به فيقول
نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك قيل الواو لتاكيد النفي اولئك لهم عذاب اليم مؤلم
وما لهم من ناصرين معينين دافعين للعذاب لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة
البر ولن تكونوا ابرارا ولن تنالوا بر الله تعالى وثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم
التي تحبونها وتؤثرونها وعن الحسن كل من تصدق ابتغاء وجه الله بما يحبه ولو تمرة فهو داخل
في هذه الآية قال الواسطي الوصول الى البر بانفاق بعض المحاب والى الرب بالتخلي عن الكونين
وقال ابو بكر الوراق لن تنالوا بري بكم الا ببركم باخوانكم والحاصل انه لا وصول الى المطلوب الا باخراج
المحبوب وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يشتري اعدال السكر ويتصدق بها فقيل له لم لا يتصدق
بثمنها قال لان السكر احب الي فاردت ان انفق مما احب وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم
اى هو عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه ومن الاولى للتبعيض لقراءة عبد الله حتى تنفقوا
بعض ما تحبون والثانية للتبيين اى من اى شيء كان الانفاق طيب تحبونه او خبيث تكرهونه
ولما قال اليهود للنبي عليه السلام كان ذلك حلالا لابراهيم فنحن نحله فقالت اليهود انها لم تزل
محرمة في ملة ابراهيم ونوح عليهما السلام فنزل تكذيبا لهم كل الطعام اى المطعومات
التي فيها النزاع فان منها ما هو حرام قبل ذلك كالميتة والدم كان حلا لبني اسرائيل اى حلالا لا
وهو مصدر يقال حل الشيء حلا ولذا استوى في وصفه المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله
لا هن حل لهم ولا هم الا ما حرم اسرائيل اى يعقوب على نفسه من قبل ان تنزل التوراة
وبالتخفيف مكي وبصري وهو لحوم الابل والبانها وكانا احب الطعام اليه والمعنى ان المطاعم كلها

الجزء الرابع

لهم عباس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني
منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وحين مات
ابن عباس قال ابن الحنفية رضي الله عنهم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل
علماء معلمين وقالوا الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم تعلمون الكتاب كوفي وشامي اي غيرهم
بالتخفيف وبما كنتم تدرسون اي تقرؤون والمعنى بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين
للعلم كانت الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على
خيبة من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل وكان كمن غرس شجرة
حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقيل معنى تدرسون تدرسونه على الناس كقوله
لتقرأه على الناس فيكون معناه تدرسون من التدريس كقراءة ابن جبير ولا يأمركم بالنصب
عطفا على ثم يقول ووجهه ان يجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى
ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس
بان يكونوا عبادا له ويأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد
ان اكرمك ثم يهينني ولا يستخف بي وبالرفع حجازي وابو عمرو وعلي على ابتداء الكلام والهمزة في ايأمركم
بالكفر للانكار والضمير فيه لبشر او لله وقوله بعد اذ انتم مسلمون يدل على ان المخاطبين
كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوا ان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين هو على ظاهره من اخذ
الميثاق على النبيين بذلك او يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف
واللام في لما آتيتكم من كتاب وحكمة لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن
لام جواب القسم وما يجوز ان يكون متضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط
جميعا وان يكون موصولة بمعنى الذي آتيتكموه لتؤمنن به ثم جاءكم معطوف على الصلة والعائد
الى ما محذوف والتقدير ثم جاءكم به رسول مصدق لما معكم للكتاب الذي معكم لتؤمنن به بالرسول
ولتنصرنه اي الرسول وهو محمد عليه السلام لما آتيتكم حمزة وما بمعنى الذي او مصدرية اي لاجل
ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم واللام للتعليل اي اخذ الله ميثاقهم
لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل ان آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته
موافق لكم غير مخالف آتيناكم مدني قال اي الله أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي قبلتم عهدي
وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد قالوا اقررنا قال فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا
معكم من الشاهدين وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير
من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا فمن

تولى

معناه

وايأمركم

لم تزل حلا لبني اسرائيل من قبل انزال التوراة سوى ما حرم اسرائيل على نفسه فلما نزلت التوراة
على موسى حرم عليهم فيها لحوم الابل والبانها لتحريم اسرائيل ذلك على نفسه قل فأتوا بالتوراة فاتلوها
ان كنتم صادقين امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم
تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فلم يجسروا على اخراج التوراة وبهتوا
وفيه دليل بين على صدق النبي عليه السلام وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على
الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على ابراهيم ونوح عليهما السلام من بعد ذلك من بعد
ما لزمهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون
الى البينات قل صدق الله في اخباره انه لم يحرم وفيه تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله
صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم وهي ملة الاسلام التي عليها محمد عليه السلام
ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى
تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابراهيم ولمن تبعه
حنيفا حال من ابراهيم اي مائلا عن الاديان الباطلة وما كان من المشركين ولما قال اليهود للمسلمين
قبلتنا قبل قبلتكم نزل ان اول بيت وضع للناس والواضع هو الله تعالى ومعنى وضع
بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكأنه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وفي الحديث
ان المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس باربعين سنة قيل اول من بناه ابراهيم وقيل
هو اول بيت بني بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض
وقيل هو اول بيت بناه آدم عليه السلام في الارض وقوله وضع للناس في موضع جر صفة لبيت
والخبر للذي ببكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها او
لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه مباركا كثير الخير لما يحصل
للحاج والمعتمر من الثواب وتكفير السيئات وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ومباركا
وهدى حالان من الضمير في وضع فيه آيات بينات علامات واضحات لا تلتبس على احد مقام ابراهيم
عطف بيان لقوله آيات بينات وصح بيان الجماعة بالواحد لانه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه
وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام من تأثير قدمه في حجر صلد او لاشتماله على آيات
لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخر دون بعض آية
وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابراهيم خاصة على ان ومن دخله كان آمنا
عطف بيان للآيات وان كان جملة ابتدائية او شرطية من حيث المعنى لانه يدل على امن داخله
فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن داخله والاثنان في معنى الجمع ويجوز ان يذكرهما تان الآيتان

ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله
وكثيرة سواهما وانحراف الطير عن الكعبة والامتناع مع كثرة الرماة وامتناع الطير من العلو عليه وغير ذلك ونحوه
في طي الذكر قوله عليه السلام حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة
فقرة عيني ليس من الثلاث بل هو استئناف كلام لأنها ليست من الدنيا والثالث مطوي فكأنه عليه
السلام ترك ذكر الثالث تنبيها على أنه لم يكن من شأنه أن يذكر شيئا من الدنيا والثالث مطوي فكأنه
عليه السلام يومئ من الدين وقيل في سبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم
عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل إنه جاء زائرا من الشام
إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته
على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق
الآخر فبقي أثر قدميه عليه وأمان من دخله بدعوة إبراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا
وكان الرجل لو جنى كل جناية ثم التجأ إلى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب
ما مسسته حتى يخرج منه ومن لزمه القتل في الحل بقود أو ردة أو زنا فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض
له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج وقيل آمنا من النار
لقوله عليه السلام من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه عليه السلام الحجون
والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعنه عليه السلام من صبر على
حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت أي استقر له
عليهم فرض الحج حج البيت كوفي غير أبي بكر وهو اسم وبالفتح مصدر وقيل هما لغتان في مصدر حج
من في موضع جر على أنه بدل البعض من الكل استطاع إليه سبيلا فسر النبي عليه السلام بالزاد والراحلة
والضمير في إليه للبيت أو للحج وكل مأتى إلى الشيء فهو سبيل إليه ولما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به
ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي إليه ولا نحجه فنزل ومن
كفر أي جحد فرضية الحج وهو قول ابن عباس رضي الله عنه والحسن وعطاء ويجوز أن يكون
من الكفران أي ومن لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الجسم وسعة الرزق ولم يحج فإن الله غني
عن العالمين مستغن عنهم وعن طاعاتهم وفي هذه الآية أنواع من التأكيد والتشديد منها
اللام وعلى أي أنه حق واجب لله في رقاب الناس ومنها الإبدال ففيه تثنية للمراد وتكرير له
ولأن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين ومنها
قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل

على المقت والسخط ومنها قوله عن العالمين وإن لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء
عنه ببرهان لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان
أدل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله
والله شهيد على ما تعملون الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله الدالة على صدق محمد عليه السلام
والحال أن الله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها قل يا أهل الكتاب لم تصدون الصد المنع
عن سبيل الله من آمن عن دين حق علم أنه سبيل الله التي أمر بسلوكها وهو الإسلام وكانوا يفتنون من
أراد الدخول فيه بجهدهم وقيل تبغونها تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد
والاستقامة بتغييركم صفة رسول الله عن وجهها ونحو ذلك وأنتم شهداء أنها سبيل الله التي لا يصد
عنها إلا ضال مضل وما الله بغافل عما تعملون من الصد عن سبيله وهو وعيد شديد ثم نهى المؤمنين عن اتباع
هؤلاء الصادين عن سبيله بقوله يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم
بعد إيمانكم كافرين قيل مر شاس بن قيس اليهودي على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج في مجلس
لهم يتحدثون فغاظه تألفهم فأمر شابا من اليهود أن يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون وكان
يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا السلاح
السلاح فبلغ النبي عليه السلام فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال أتدعون الجاهلية وأنا
بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وألف بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان فألقوا السلاح
وعانق بعضهم بعضا باكين فنزلت الآية وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيها الإنكار والتعجيب والمعنى من أين
يتطرق إليكم الكفر وأنتم تتلى عليكم آيات الله والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم
على لسان الرسول غضة طرية وفيكم رسوله وبين أظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم
ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه أو بكتابه أو هو حث لهم على الالتجاء إليه في دفع شرور
الكفار ومكايدهم فقد هدي إلى صراط مستقيم أرشد إلى الدين الحق أو ومن يجعل ربه ملجأ
ومفزعا عند الشبه يحفظ عن الشبه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته واجب تقواه وما يحق
منها وهو القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر
ويذكر فلا ينسى أو هو أن لا يأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه
وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا
تموتن إلا وأنتم مسلمون ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت واعتصموا بحبل
الله تمسكوا بالقرآن لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة
الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم جميعا

حال من ضر المعاصي ثم فصل تمسكوا باجماع الامة دليلا ولا تفرقوا اي ولا تتفرقوا بغي ولا تفعلوا ما يكون
فيه تفرق ويزيل عنه الاجتماع او ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود
والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم
اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا كان في الجاهلية بينهم العداوات والحروب
فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف في قلوبهم المحبة فتحابوا وصاروا اخوانا وكنتم على شفا حفرة
من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والمورد على
المعتزلة تعقدهم ثم الذين يعتقدون انفسهم لا الله جل وعلا والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانث لاضافته
الى الحفرة وشفا الحفرة حرفها ولامها واو ولهذا يثنى شفوان كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله
لكم آياته اي القرآن الذي فيه امر ونهي ووعد ووعيد لعلكم تهتدون لتكونوا على رجاء الهداية او لتهتدوا به
الى الصواب وما ينال به الثواب ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف بما استحسنه الشرع
والعقل وينهون عن المنكر عما استقبحه الشرع والعقل او المعروف ما وافق الكتاب والسنة والمنكر
ما خالفهما او المعروف الطاعات والمنكر المعاصي والدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك
وما عطف عليه خاص ومن للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه
لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته فانه يبدأ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى
الصعب قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا او للتبيين اي وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم خير امة
اخرجت للناس تامرون بالمعروف واولئك هم المفلحون اي هم الاخصاء بالفلاح الكامل قال
عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن
علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا تكونوا كالذين تفرقوا بالعداوة
واختلفوا في الديانة وهم اليهود والنصارى فانهم اختلفوا وكفر بعضهم بعضا من بعد ما جاءهم البينات
الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق واولئك لهم عذاب عظيم ونصب يوم تبيض
وجوه اي وجوه المؤمنين بالظرف وهو لهم او بعظيم او باذكروا وتسود وجوه اي وجوه
الكافرين والبياض من النور والسواد من الظلمة فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم
بحذف الفاء والقول جميعا للعلم به والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم بعد ايمانكم يوم الميثاق
فيكون المراد به جميع الكفار وهو قول ابي وهو للقاضي او وهم المرتدون او المنافقون اي الكفرة باطنا
بعد ايمانكم ظاهرا او اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله بعدما اعترفوا به قبل بعثته
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب
المخلد ثم استأنف فقال هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات الله الواردة

في الوعد والوعيد وغيره نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء او
ما الله يريد ظلما للعالمين اي لا يشاء ان يظلم عباده فياخذ احدا بغير جرم او يزيد على عقاب
مجرم او ينقص من ثواب محسن ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور
فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته كنتم خير امة دل كان على وجود الشيء
في زمان ماض على سبيل الابهام ولا دليل فيه على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه
قوله كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة او كنتم في علم الله او في اللوح خير امة او كنتم
في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت للناس اللام يتعلق
باخرجت تامرون كلام مستانف يبين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم
تبين بالاطعام والالباس وجه الكرم فيه بالمعروف بالايمان والطاعة الرسول وتنهون عن
المنكر عن الكفر وعن كل محظور وتؤمنون بالله وتدومون على الايمان به ولان الواو لا تقتضي
الترتيب ولو آمن اهل الكتاب بمحمد عليه السلام لكان خيرا لهم مما هم عليه لانهم
انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان خيرا لهم والرياسة
والاتباع وحظوظ الدنيا مع الفوز بما وعدوه على الايمان به من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون
كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى الا ضررا
مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا
ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه
تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بتوبيخهم وتهديدهم وسوابيدا اخبار معطوف على
جملة الشرط والجزاء وليس بمعطوف على يولوكم الادبار اذ لو كان معطوفا عليه لقيل ثم لا ينصروا وانما
استونف ليؤذن ان الله لا ينصرون وثم للتراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم
اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار ضربت الزمت عليهم الذلة اي على الوجه اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل
من الله في محل النصب على الحال والباء متعلقة بمحذوف تقديره الا معتصمين او متمسكين
بحبل من الله وحبل من الناس والحبل العهد والذمة والمعنى ضربت عليهم الذلة في كل حال الا في حال
اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين لا عز لهم قط الا هذه الحالة
الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وباؤوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم
المسكنة الفقر عقوبة لهم على قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء او خوف الفقر مع قيام اليسار
ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك
اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم

بآيات الله وقتلهم الأنبياء ثم قال ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون أي ذلك الكفر والقتل كان بسبب
عصيانهم الله تعالى واعتدائهم حدوده. ليسوا سواء ليس أهل الكتاب مستوين من أهل الكتاب كلام
مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة أمة قائمة جماعة
مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام إلى استقام وهم الذين أسلموا منهم يتلون آيات الله القرآن
آناء الليل ساعاته واحدها إنًى كمِعًى أو إنْو كقِنْو أو أنًى كقفا وهم يسجدون يصلون فقيل يريد صلوة
العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها وقيل عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود
يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف بالإيمان وسائر أبواب البر وينهون عن المنكر
عن الكفر ومنهيات الشرع ويسارعون في الخيرات يبادرون إليها خشية الفوت وقوله يتلون ويؤمنون
في محل الرفع صفتان لأمة أي أمة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة
آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته ومن الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها
والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في القيام به وأولئك الموصوفون
بما وصفوا به من الصالحين من المسلمين أو من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله
ورضيهم وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء فيهما كوفي غير أبي بكر وأبو عمرو يخير غيرهم بالتاء وعدي
تكفرون إلى مفعولين وإن كان شكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها لتضمنه
معنى الحرمان كأنه قيل فلن تحرموه أي فلن تحرموا جزاءه والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين
بجزيل الثواب إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أي من عذاب الله
وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا في المفاخر والمكارم
وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس وما يتقربون في هذه الحياة الدنيا به إلى الله مع كفرهم كمثل
ريح كمثل مهلك ريح وهو الحرث أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح فيها صر برد شديد عن ابن
عباس رضي الله عنهما وهو مبتدأ وخبره في موضع جر صفة لريح أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم
بالكفر فأهلكته عقوبة على كفرهم وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ولكن أنفسهم يظلمون بارتكاب ما استحقوا
العقوبة أو ولكن الضمير للمنفقين أي وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكن ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا
بها لائقة للقبول ونزل نهيا للمؤمنين عن مصافاة المنافقين يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة
الرجل ووليجته خصيصه وصفيه شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وفي الحديث الأنصار
شعار والناس دثار من دونكم من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة أي بطانة كائنة
من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا في موضع النصب صفة لبطانة يعني لا يقصرون في فساد دينكم

يقال ألا في الأمر يألو إذا قصر فيه والخبال الفساد وانتصب خبالا على التمييز أو على حذف في
أي في خبالكم ودوا ما عنتم أي عنتكم فما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة أي تمنوا أن يضروكم
في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه وهو مستأنف على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة كقوله
قد بدت البغضاء من أفواههم لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم
به بغضهم للمسلمين وما تخفي صدورهم من البغض أكبر مما بدا قد بينا لكم الآيات الدالة على
وجوب الإخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه إن كنتم تعقلون ما بين لكم
ها أنتم أولاء ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب تحبونهم
ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء أو أولاء موصول صلته
تحبونهم والواو في وتؤمنون بالكتاب كله للحال وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون
بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بأنهم
في باطلهم أصلب منكم في حقكم وأهل الكتاب للجنس وإذا لقوكم قالوا آمنا أظهروا كلمة التوحيد وإذا خلوا
فارقوكم أو خلا بعضهم ببعض عضوا عليكم الأنامل من الغيظ توصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل
والبنان والإبهام قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة
ما يغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي إن الله عليم بذات الصدور
فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو داخل
في جملة المقول أي أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظا إذا خلوا وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه
بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا أن شيئا من أسراركم يخفى عليه أو خارج عن المقول أي قل لهم ذلك
يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي إياك على ما يسرون فإني أعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم
إن تمسسكم حسنة كألفة وخصب ونصرة وغنيمة تسؤهم تحزنهم إصابتها وإن تصبكم سيئة أضداد ما ذكرنا
والمس مستعار من الإصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى إلى قوله إن تصبك حسنة وإن تصبك مصيبة
يفرحوا بها بإصابتها وإن تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم أو وإن تصبروا على تكاليف
الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتناب محارمه لا يضركم كيدهم شيئا بكرمه ولطفه في كنف الله وهذا
تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال الحكماء إذا أردت أن تكبت
من يحسدك فازدد فضلا في نفسك لا يضركم مكي وبصري ونافع من ضاره يضيره ضيرا وهو واضح والمشكل
قراءة غيرهم لأنه جواب الشرط وجواب الشرط مجزوم فكان ينبغي أن يكون بفتح الراء كقراءة المفضل عن عاصم
إلا أن ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا إن الله بما تعملون بالتاء سهل أي من الصبر والتقوى
وغيرهما محيط ففاعل بكم ما أنتم أهله وبالياء غيره أي أنه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه وإذ غدوت

من اهلك واذكر يا محمد اذ غدوت من اهلك بالمدينة اى من حجرة عايشة رضى الله عنها الى احد
تبوئ المومنين تنزلهم وهو حال مقاعد للقتال مواطن ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب
والجناحين والساقة وللقتال يتعلق بتبوئ والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمايركم روى ان
المشركين نزلوا باحد يوم الاربعا فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله
بن ابى فاستشاره فقال اقم بالمدينة فما خرجنا على عدو قط الا اصاب منا وما دخلوا علينا
الا اصبنا منهم فقال عليه السلام انى رايت فى منامى بقرا مذبحة حولى فاولتها خيرا ورايت فى
ذباب سيفى ثلمة فاولتها هزيمة ورايت كانى ادخلت يدى فى درع حصينة فاولتها المدينة فلم
يزل به قوم يتشطون فى الشهادة حتى لبس لامته ثم ندموا فقالوا الامر اليك يا رسول الله فقال عليه السلام
لا ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد
يوم السبت للنصف من شوال اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى عليم طائفتان منكم
حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكان النبى عليه السلام خرج الى
احد فى الف والمشركون فى ثلثة الاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل ابن ابى بثلث الناس
وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله ان تفشلا
اى بان تفشلا اى تجبنا وتضعفا والفشل الجبن والخور والله وليهما ناصرهما او متولى
امرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل المومنون امرهم بان لا يتوكلوا
الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه قال جابر والله ما يسرنا انا لم نهم بالذى هممنا به وقد
اخبرنا الله بانه ولينا ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم فى
حالة قلة وذلة فقال ولقد نصركم الله ببدر وهو ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا
فسمى به او ذكر بدر بعد احد للجمع بين الصبر والشكر وانتم اذلة لقلة العدد فانهم كانوا ثلثماية
وبضعة عشر وكان عدوهم زهاء الف مقاتل والعدد فانهم خرجوا على النواضح يعتقب
النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد ومع عدوهم ماية فرس والشكة والشوكة
وجاء بجمع القلة وهو الاذلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا فاتقوا الله فى الثبات مع رسوله
لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من النصر اذ تقول للمومنين ظرف لنصركم على ان يقول
لهم ذلك يوم بدر اى نصركم الله وقت مقالتك هذه او بدل ثان من اذ غدوت على ان
تقول لهم يوم احد الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين
منزلين شامى منزلين ابو حيوة اى النصر ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة الاف
من الملائكة وجىء بلن الذى هو لتاكيد النفى للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم

وشوكته كالآيسين من النصر بلى ايجاب لما بعد لن اى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا
على القتال وتتقوا خلاف رسول عليه السلام وياتوكم يعنى المشركين من فورهم هذا هو من فارت
القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التى لا ريث فيها ولا تعريج على شىء من صاحبها فقيل
خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث ومنه قول الكرخى الامر المطلق على الفور لا على التراخى
والمعنى ان ياتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة فى حال مسومين
بكسر الواو مكى وابو عمرو وعاصم وسهل اى معلمين انفسهم او خيلهم بعلامة يعرف بها فى الحرب والسومة
العلامة عن الضحاك معلمين بالصوف الابيض فى نواصى الدواب واذنابها غيرهم بفتح الواو اى معلمين
قال الكلبى معلمين بعمايم صفر فنزلت الملائكة كذلك قال قتادة نزلت الف فصاروا ثلثة الاف
ثم خمسة الاف وما جعله الله الضمير يرجع الى الامداد والذى دل عليه ان يمددكم الا بشرى لكم اى وما جعل
الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبنى اسرائيل بشارة
بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة ولا من عند الملائكة ولكن ذلك
مما يقوى به الله رجاء النصرة والطمع فى الرحمة العزيز الذى لا يغالب فى احكامه الحكيم الذى يعطى النصر
لاوليائه ويبتليهم بجهاد اعدائه واللام فى ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر
وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش متعلقة بقوله ولقد نصركم الله
او بقوله وما النصر الا من عند الله او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة وحقيقة الكبت
شدة وهن تقع فى القلب فيصرع فى الوجه لاجله فينقلبوا خائبين فيرجعوا غير ظافرين بمبتغاهم
ليس لك من الامر شىء اسم ليس شىء ولك خبره ومن الامر حال من شىء لانها صفة مقدمة او يتوب عليهم
عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم وليس لك من الامر شىء اعتراض بين المعطوف والمعطوف
عليه والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم
ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شىء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وعن الفراء
او بمعنى حتى وعن ابن عيسى بمعنى الا ان بقولك لالزمنك او تعطينى حقى اى ليس لك من امرهم
شىء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل اراد ان يدعو
عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه ان فيهم من يومن فانهم ظالمون مستحقون للتعذيب ولله ما فى السموات وما
فى الارض اى الامر لله لا لك لان ملك السموات وما فى الارض له يغفر لمن يشاء المومنين ويعذب
من يشاء الكافرين والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة
مضعفة مكى وشامى نهى عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين
محله يقول اما ان تقضى حقى او تربى واذ يديه فى الاجل واتقوا الله فى اكله لعلكم تفلحون واتقوا النار

التي أعدت للكافرين وكان ابو حنيفة رضي الله عنه يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله
المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق
رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون
وفيه رد على المرجئة في قولهم لا يضر مع الايمان ذنب ولا يعذب بالنار اصلا وعندنا غير الكافرين
من العصاة قد يدخلها ولكن عاقبته امن الجنة وفي ذكر تعالى لعل وعسى في نحو من المواضع وان قال
اهل التفسير ان لعل وعسى من الله للتحقيق ما لا يخفى على العارف من دقة مسلك التقوى وصعوبة
اصابة رضا الله تعالى وعزة التوصل الى رحمته وثوابه وسارعوا الى مغفرة من ربكم سارعوا — وجنة
مدني وشامي فمن اثبت الواو عطفها على ما قبلها ومن حذفها استأنفها ومعنى المسارعة الى المغفرة
والجنة الاقبال على ما يوصل اليهما ثم قيل هي الصلوات الخمس او التكبيرة الاولى او الطاعة او الاخلاص او التوبة
او الجمعة والجماعات عرضها السموات والارض اي عرضها عرض السموات كقوله عرضها كعرض — والارض
السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه
وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات
وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض وما روي ان الجنة في السماء السابعة وفي السماء الرابعة معناه
انها في جهتها لا انها فيها او في بعضها كما يقال في الدار بستان وان كان يزيد عليها لان المراد ان بابه
اليها اعدت في موضع جر صفة لجنة ايضا اي جنة واسعة معدة للمتقين ودلت الآيتان على
ان الجنة والنار مخلوقتان ثم المتقي من يتقي الشرك كما قال وجنة عرضها كعرض السماء والارض
اعدت للذين آمنوا بالله ورسله او من يتقي المعاصي فان كان المراد الثاني فهي لهم بغير عقوبة
وان كان الاول فهي ايضا لهم في العاقبة ويوقف عليه ان جعل الذين ينفقون في السراء
والضراء في حال العسر واليسر مبتدأ وعطف عليه والذين اذا فعلوا فاحشة وجعل الخبر اولئك
وان جعل وصفا للمتقين وعطف عليه والذين اذا فعلوا فاحشة اي اعدت للمتقين وللتائبين
فلا وقف فان قلت لا يدل على ان الجنة معدة للمتقين وللتائبين دون المصرين قلت جاز
ان يكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرهما كما يقال اعدت هذه المائدة للامير ثم قد ياكلها
اتباعه الا ترى انه قال واتقوا النار التي اعدت للكافرين ثم قد يدخلها غير الكافرين بالاتفاق وافتتح
بذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس وادل على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم
الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين وقيل المراد الانفاق في جميع
الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة والكاظمين الغيظ والممسكين الغيظ عن الامضاء يقال
كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له

اثرا والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على
انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس اي اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروي
ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه
للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه والله يحب المحسنين اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل
تحته هؤلاء المذكورون او للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء عن الثوري الاحسان ان تحسن الى المسيء
فان الاحسان الى المحسن متاجرة والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة متزايدة القبح ويجوز ان يكون الذين
مبتدأ خبره اولئك او ظلموا انفسهم قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة الزنا
وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة الزنا وظلم النفس القبلة واللمسة ونحوها ذكروا الله بلسانهم او بقلوبهم
ليبعثهم على التوبة فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين قيل بكى ابليس حين نزلت الآية
ومن يغفر الذنوب الا الله من مبتدأ ويغفر خبره وفيه ضمير يعود الى من والا الله بدل من الضمير في يغفر والتقدير
ولا احد يغفر الذنوب الا الله وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه تطييب لنفوس
العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته
من التائب واشعار بان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم ولم يصروا على ما فعلوا ولم
يقيموا على قبيح فعلهم والاصرار الاقامة قال عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة
وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من الضمير في يصروا اي وهم يعلمون
انهم اساؤوا او وهم يعلمون انه لا يغفر ذنوبهم الا الله اولئك الموصوفون جزاؤهم مغفرة من ربهم
بتوبتهم وجنات برحمته تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح
محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات نزلت في تائب قال لامرأة تريد التمر
في بيتي تمر اجود فادخلها بيته وضمها الى نفسه وقبلها فندم فصاح في الارض او في انصاري استخلفه ثقفي
فاتى — وقد آخى بينهما النبي عليه السلام في غيبته غزوة أهله لكفاية حاجة فرآها فقبلها فندم فصاح في الارض
صارخا فاستعتبه الله تعالى فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فتعتبروا بها هذا اي القرآن
او ما تقدم ذكره بيان للناس وهدى اي ارشاد وموعظة ترغيب وترهيب للمتقين عن الشرك
ولا تهنوا ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم من الهزيمة ولا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة او على من
قتل منكم وجرح وهي تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية لقلوبهم وانتم الاعلون
وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون
بالنصر والظفر في العاقبة وهي بشارة لهم بالعلو والغلبة وان جندنا لهم الغالبون او وانتم الاعلون
شأنا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر او لان قتلاكم في الجنة و

قد خلت من قبلكم سنن يريد سنة الله في الامم المكذبين وقائعه

في لشانكم ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي ولا تهنوا ان صح ايمانكم يعني ان صحة الايمان توجب قوة القلب
والثقة بوعد الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من
الغلبة ان يمسسكم قرح بضم القاف حيث كان كوفي غير حفص وبفتح القاف غيرهم وهما
لغتان كالضعف والضعف وقيل بالفتح الجراح وبالضم ألمها فقد مس القوم قرح مثله
اي ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يمنعهم عن معاودة
القتال فانتم اولى ان لا تضعفوا وتلك مبتداء والايام صفته والخبر نداولها نصرفها بين الناس
اي نصرف ما فيها من النعم والنقم نعطي لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كبيت الكتاب فيوما علينا ويوما لنا
ويوما نساء ويوما نسر وليعلم الله الذين آمنوا اي نداولها لضروب من التدبير وليعلم الله المؤمنين
مميزين بالصبر والايمان من غيرهم كما علمهم قبل الوجود ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة
يريد المستشهدين يوم احد او ويتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة من قوله لتكونوا شهداء
على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من
هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيله وهم المنافقون والكافرون وليمحص الله الذين آمنوا
التمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد
والتمحيص وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار اي لا تحسبوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم
فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه تقول ما علم الله في فلان خيرا اي ما فيه خير حتى يعلمه ولما
بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل ويعلم الصابرين نصب
باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرئ بالجزم للعطف على يعلم الله وانما حرك الميم
لالتقاء الساكنين واختيرت الفتحة قبلها ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه خوطب الذين
لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله لينالوا كرامة الشهادة وهم الذين الحوا
على رسول الله في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت
قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين
قتل اخوانكم بين ايديكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وانما تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد
الى ما يتضمنه من غلبة الكفار كمن شرب الدواء من طبيب نصراني فان قصده حصول الشفاء ولا يخطر بباله
ان فيه جر منفعة لعدو الله وتنفيقا لصناعته لما رمى ابن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته
وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي

فقال قتلت محمدا فصرخ صارخ قيل هو الشيطان الا ان محمدا قد قتل ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤوا
وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الي عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هزيمتهم
فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزل وما محمد الا رسول قد خلت
مضت من قبله الرسل فيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا
بدينه بعد خلوه لان المقصود من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه افإن مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء معلقة للجملة المتعقبة بالجملة التي قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان
يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل
قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه والانقلاب
على العقبين مجاز عن الارتداد او عن الانهزام ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وانما ضر نفسه وسيجزي الله
الشاكرين الذين لم ينقلبوا وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا وما كان وما جاز لنفس
ان تموت الا باذن الله الا بعلمه او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان موت الانفس
محال ان يكون الا بمشيئة الله تعالى وفيه تحريض على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو واعلام بان الحذر
لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك كتابا مصدر مؤكد اذ
المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا الخ
وهو تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها اي من ثوابها ومن يرد ثواب الآخرة اي اعلاء
كلمة الله والدرجة في الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم
شيء عن الجهاد وكأين من نبي اصله اي دخلت عليه كاف التشبيه وصارت بمعنى كم التي للتكثير وكائن بوزن كاع
حيث كان مكي من نبي قاتل قتل مكي وبصري ونافع معه ربيون حال من الضمير في قتل اي قتل كائنا معه
ربيون كثير والربيون الربانيون وعن الحسن بضم الراء وعن بعضهم بفتحها فالفتح على القياس لانه
منسوب الى الرب والضم والكسر من تغييرات النسب فما وهنوا فما فتروا عند قتل نبيهم لما اصابهم
في سبيل الله وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا وما خضعوا لعدوهم وهو تعريض بما اصابهم من الوهن
عند الارجاف بقتل رسول الله والاستكانة لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي في طلب الامان من ابي سفيان
والله يحب الصابرين على جهاد الكافرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي وما كان قولهم
الا هذا القول وهو اضافة الذنوب الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واسرافنا في امرنا تجاوزنا حد
العبودية وثبت اقدامنا في القتال وانصرنا على القوم الكافرين بالغلبة وتقديم الدعاء بالاستغفار من الذنوب
على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على الاعداء لانه اقرب الى الاجابة لما فيه
من الخضوع والاستكانة فآتاهم الله ثواب الدنيا النصرة والظفر والغنيمة وحسن ثواب الآخرة المغفرة والجنة

وخص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده والله يحب المحسنين اى هم محسنون والله يحبهم
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم يرجعوكم الى الشرك فتنقلبوا خاسرين
قيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء حتى لا يستجروهم الى
موافقتهم وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم وقال علي رضي
نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم بل الله مولاكم
ناصركم فاستغنوا عن نصر غيره وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
شامي وعلي وهما لغتان قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير
سبب ولهم القوة والغلبة بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم اى كان السبب في القاء الله الرعب
في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة ولم يرد ان هناك حجة الا انها
لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان يقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى
الضب بها ينجحر اى ليس بها ضب فينجحر ولم يعن ان بها ضبا ولا ينجحر ومأواهم النار وبئس مثوى
الظالمين النار فالمخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول الله مع اصحابه الى المدينة قال ناس
من اصحابه من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل ولقد صدقكم الله وعده اى حققه اذ تحسونهم
تقتلونهم قتلا ذريعا وعن عيسى حسه ابطل حسه بالقتل باذنه بامره وعلمه حتى اذا فشلتم جبنتم وتنازعتم
في الامر اى اختلفتم وعصيتم امر نبيكم بترككم مركزكم واشتغالكم بالغنيمة من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر
وقهر الكفار ومتعلق اذا محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره وجاز ان يكون المعنى صدقكم الله
وعده الى وقت فشلكم منكم من يريد الدنيا اى الغنيمة وهم الذين تركوا المركز لطلب الغنيمة روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان
يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم
والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم حتى اذا فشلوا وتنازعوا
فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا هاهنا فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة مع اخوانكم وقال
بعضهم لا نخالف امر رسول الله فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم
المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين
حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا ثم صرفكم عنهم اى كف معونته عنكم فغلبوكم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب
وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لانه يجازي على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه ولقد عفا
عنكم حيث ندمتم على ما فرط عنكم من عصيان امر رسول الله والله ذو فضل على المؤمنين
بالعفو عنهم وقبول توبتهم او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم

لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وانتصب اذ تصعدون بالقول في الذهاب في صعيد
الارض والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكروا ولا تلوون
على احد ولا تلتفتون وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم والرسول يدعوكم يقول الي عباد الله
الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة والجملة في موضع الحال في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى
وهي المتاخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما يقال في اولهم واولاهم بتاويل مقدمهم وجماعتهم
الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اى فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم امره او غما مضاعفا غما بعد غم وغما من الاغتمام بما ارجف به من قتل
رسول الله والجرح والقتل والظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا على ما فاتكم لتتمرنوا على
تجرع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا ما اصابكم ولا على مصيب من المضار والله خبير بما تعملون
عالم بعملكم لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية ثم انزل عليكم
من بعد الغم امنة نعاسا ثم انزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا
وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا
فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن ونعاسا بدل من امنة او هو مفعول وامنة حال منه مقدمة عليه نحو رأيت
راكبا رجلا والاصل انزل عليكم نعاسا ذا امنة اذ النعاس ليس هو الامن ويجوز ان يكون امنة مفعولا له
او حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة يغشى اى النعاس تغشى بالتاء والامالة
حمزة وعلي يعني الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم
انفسهم ما بهم الا هم انفسهم وخلاصها لا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين يظنون بالله غير الحق في حكم
المصدر اى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وهو ان لا ينصر محمدا عليه السلام ظن
الجاهلية بدل منه والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية او ظن اهل الجاهلية اى لا يظن مثل ذلك الظن
الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون هل لنا من الامر من شيء هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب
قط يعنون النصر والغلبة على العدو قل ان الامر اى النصر والغلبة كله لله ولاوليائه المؤمنين وان جندنا
لهم الغالبون كله تاكيد للامر ولله خبر ان كله بصري وهو مبتدا ولله خبره والجملة خبر ان يخفون في انفسهم ما لا
يبدون لك خوفا من السيف يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله
لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا اى لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون
لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون خبر لطائفة او صفة
اخرى او حال اى قد اهمتهم انفسهم ظانين ويقولون بدل من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر
كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون او استئناف قل لو كنتم في بيوتكم اى من علم

الله منه انه يقتل في هذه المعركة وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو نزلتم في
بيوتكم لبرز من بينكم الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم مصارعهم باحد ليكون ما علم الله انه يكون
والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة
في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم
وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص
ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص
والله عليم بذات الصدور بخفياتها ان الذين تولوا منكم انهزموا يوم التقى الجمعان جمع محمد وجمع
ابي سفيان للقتال باحد انما استزلهم الشيطان دعاهم الى الزلة وحملهم عليها ببعض ما كسبوا بتركهم المركز
الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فالاضافة الى الشيطان لطف وترهيب والتعليل
بكسبهم وعظ وتاديب وكان اصحاب محمد عليه السلام تولوا عنه يوم احد الا ثلاثة عشر رجلا منهم
ابوبكر وعلي وطلحة وابن عوف وسعد بن ابي وقاص والباقون من الانصار ولقد عفا الله عنهم
تجاوز عنهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل في العقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا
كابن ابي واصحابه وقالوا لاخوانهم في النسب او في النفاق اذا ضربوا في الارض سافروا فيها للتجارة او غيرها
او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى واصابهم موت او قتل لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل
الله ذلك حسرة في قلوبهم اللام يتعلق بلا تكونوا اي لا تكونوا كهؤلاء في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل
الله ذلك حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم او بقالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة
في قلوبهم والحسرة الندامة على فوت المحبوب والله يحيي ويميت رد لقولهم ان القتال يقطع
الآجال اي الامر بيده قد يحيي المسافر والمقاتل ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير فيجازيكم
على اعمالكم يعملون مكي وحمزة وعلي اي الذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم متم وبابه بالكسر نافع
وكوفي غير عاصم تابعهم حفص الا في هذه السورة كأنه اراد الوفاق بينه وبين قتلتم غيرهم بضم الميم في جميع
القرآن فالضم من مات يموت والكسر من مات يمات كخاف يخاف فكما يقول خفت تقول مت لمغفرة
من الله ورحمة خير مما يجمعون ما بمعنى الذي والعائد محذوف وبالياء حفص ولئن متم او قتلتم
لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع
مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس يخفى عن البرهان لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد
جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا
لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم
ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله

زاده

خير مما يجمعون من الدنيا لان الدنيا للمعاد فاذا وصل العبد الى المراد لم يحتج الى الزاد فبما رحمة من الله لنت لهم
ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف
بهم ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم
فاعف عنهم ما كان منهم يوم احد مما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم
وشاورهم في الامر اي في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي تطييبا لنفوسهم وترويحا
لقلوبهم ورفعا لاقدارهم وليقتدي بك امتك فيها وفي الحديث ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد
امرهم وعن ابي هريرة ما رأيت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى شاورت
فلانا اظهرت ما عندي وما عنده من الرأي وشرت الدابة استخرجت جريها وشرت العسل اخذته
من مأخذه وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان ان القياس حجة فاذا عزمت فاذا قطعت الرأي على
شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على الارشد لا على المشورة ان الله يحب المتوكلين
عليه والتوكل الاعتماد على الله وتفويض الامر اليه وقال ذو النون خلع الارباب وقطع الاسباب
ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وانما يدرك نصر الله من تبرأ من
حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده
من بعد خذلانه وهو ترك المعونة او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان
يريد اذا جاوزته وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون
وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يقتضي
ذلك وما كان لنبي ان يغل مكي وابو عمرو وعاصم اي يخون وبضم الياء وفتح الغين غيرهم يقال غل
شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية ويقال اغله اذا وجده غالا والمعنى وما صح
ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذا من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى هذا لان معناه وما صح
له ان يوجد غالا الا اذا كان غالا روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر مما اصيب من المشركين
فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها فنزلت الاية ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة اي يأت
بالشيء الذي غله بعينه حاملا على ظهره كما جاء في الحديث او يأت بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى
كل نفس ما كسبت تعطى جزاءها وافيا ولم يقل ثم توفى ما كسب ليتصل بقوله ومن يغلل بل جاء بعام ليدخل
تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل من حيث المعنى وهو ابلغ لانه اذا علم الغال ان كل كاسب
خيرا او شرا مجزي موفى جزاءه علم انه غير متخلص من تبعته مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي
كل على قدر كسبه افمن اتبع رضوان الله اي رضي الله فقدمه المهاجرون والانصار كمن باء بسخط من الله
وهم المنافقون والكفار ومأواه جهنم وبئس المصير المرجع هم درجات عند الله هم متفاوتون كما

جاء يوم القيامة يحمله على عنقه

بغا وتوقى الدرجات او ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين
او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فيجازيهم
على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم المنتفعون
بمبعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسمعيل كما انهم من ولده والمنة
في ذلك من حيث انه اذا كان منهم كان اللسان واحدا فيسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا
واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى التصديق به وكان لهم شرف بكونه
منهم وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته اى القرآن بعد ما كانوا اهل
الجاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحى ويزكيهم يطهرهم من دنس الكفر والطغيان او من
الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفى ضلال
مبين ظاهر لا شبهة فيه ان هى المخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والتقدير وان الشان
والحديث كانوا من قبل لفى ضلال مبين اولما اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين
منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين وهو فى موضع رفع صفة لمصيبة قلتم
انى هذا من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم لاختياركم الخروج من المدينة او لترككم المركز
والهمزة للتقريع والتقريع وعطفت الواو على محذوف لما نصبت بقلتم واصابتكم فى محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم ولما نصب لانه متعلق
الله وعده او على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر وعلى
منعه وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمعكم وجمع المشركين باحد والمراد الذى وهو مبتدأ فباذن الله فكائن
باذن الله اى بعلمه وقضائه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون و
ليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم للمنافقين وهو كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا فى سبيل الله اى
جاهدوا الآخرة كما يقاتل المؤمنون او ادفعوا اى قاتلوا دفعا عن انفسكم واهليكم واموالكم ان لم تقاتلوا الآخرة
وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين ان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو
قالوا لو نعلم قتالا اى لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطائكم ليس بشىء ولا يقال
لمثله قتال او لو نعلم انا قتالا ... الى التهلكة هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان بقولهم ذلك اذ كانوا يتظاهرون
بالايمان قبل ذلك وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا
بذلك عن الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم اى
يظهرون خلاف ما يضمرون من الايمان وغيره والتقييد بالافواه للتأكيد ونفى المجاز والله اعلم بما يكتمون من
النفاق الذين قالوا اى ابن ابى واصحابه وهو فى موضع رفع على هم الذين قالوا او على الابدال من واو

يكتمون او نصب باضمار اعنى او على البدل من الذين نافقوا وجر على البدل من الضمير فى بافواههم او قلوبهم
لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد وقعدوا اى قالوا وقد قعدوا عن القتال
لو اطاعونا ما قتلوا لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم به من الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود
ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ان الحذر يغنى
من القدر فخذوا واحذركم من الموت او معناه قل ان كنتم صادقين فى انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا
وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا وروى انه مات يوم قالوا من المقالة سبعون منافقا
ونزل فى قتلى احد ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا الخطاب لرسول الله عليه السلام
او لكل واحد الذين قتلوا وقتلوا شاهى وحمزة وعاصم وبكر الحسين عن هشام بالياء
عند ربهم ذوو زلفى يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف
لحالهم التى هم عليها من التنعم برزق الله فرحين حال من الضمير فى يرزقون بما آتيهم الله من فضله وهو
التوفيق فى الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين يعجل لهم
رزق الجنة ونعيمها وقال عليه السلام لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر
تدور فى انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم
هذا الرزق فى الجنة يوم القيامة وهو ضعيف لانه لا يبقى للتخصيص فائدة ويستبشرون بالذين باخوانهم
المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم
قد تقدموهم او لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون
بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله
بذلك فهم مستبشرون به وفى ذلك حث على الجهاد وبعث على الشهادة واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم
على الجد فى الجهاد والرغبة فى نيل منازل الشهداء ولاهم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل
يسرون بما انعم الله عليهم وبما تفضل عليهم من زيادة الكرامة وان الله عطف على النعمة والفضل
وان الله بالكسر على الاستيناف وعلى ان الجملة اعتراض لا يضيع اجر المؤمنين بل يوفر عليهم الذين استجابوا
لله والرسول مبتدأ خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح من بعد ما اصابهم
القرح الجرح روى ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا
بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه
للخروج فى طلب ابى سفيان فخرج يوم الاحد من المدينة مع سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد وهى
من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فالقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت
للذين احسنوا منهم واتقوا من للتبيين مثلها فى قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات

منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم اجر عظيم في الآخرة الذين
قال لهم الناس بدل من الذين استجابوا ان الناس قد جمعوا لكم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه
من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل
مكة فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني
واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وقد بدا لي ان ارجع فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج
نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لا يفلت منكم احد فقال عليه السلام
والله لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرا واقاموا
بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فلم يكن قتال
ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتاكلوا السويق فالناس الاول
نعيم وهو جمع اريد به الواحد او كان له اتباع يثبطون مثل تثبيطه والثاني ابو سفيان واصحابه فاخشوهم
فخافوهم فزادهم اي المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم او القول او نعيم ايمانا بصيرة وايقانا
وقالوا حسبنا الله كافينا الله اي الذي يكفينا الله يقال احسبه الشيء اذا كفاه وهو بمعنى المحسب بدليل انك تقول
رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته غير حقيقية لكونه في معنى اسم الفاعل ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه
هو فانقلبوا بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة فاصابوا بالدرهم درهمين
لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو وهو حال من الضمير في انقلبوا وكذا بنعمة والتقدير فرجعوا من
بدر منعمين بريئين من سوء واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم الى وجه العدو على اثر تثبيطه وهو معطوف
على انقلبوا والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا انما ذلكم الشيطان هو خبر ذلكم اي انما ذلكم المثبط
هو الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر فلا تخافوهم اي اولياءه وخافون ان كنتم مؤمنين لان الايمان
يقتضي ان يؤثر العبد خوف الله على خوف غيره وخافوني في الوصل والوقف سهل ويعقوب وافقهما ابو عمرو
في الوصل ولا يحزنك يحزنك في كل القرآن نافع الا في سورة الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر الذين يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا لا يحزنوك لخوف ان يضروك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا اي اولياء الله يعني انهم لا يضرون
بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود بدل الثواب عذاب عظيم
وذلك ابلغ ما ضرب به الانسان نفسه والآية تدل على ارادة الكفر والمعاصي لان ارادته ان لا يكون لهم ثواب في
الآخرة لا تكون بدون ارادة كفرهم ومعاصيهم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه به لن يضروا الله
شيئا هو نصب على المصدر اي شيئا من الضرر والآية الاولى فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام والثانية
في جميع الكفار او على العكس ولهم عذاب اليم ولا يحسبن وثلاثة بعده لا مع ضم الباء في فلا تحسبنهم بالياء
مكي وابو عمرو وكلها بالتاء حمزة وكلها بالياء مدني وشامي الا فلا تحسبنهم فانها بالتاء والباقون الاوليان بالياء والاخريان

يخوف اولياءه اي المنافقين وهو جملة مستانفة لبيان تثبيطه او الشيطان

بالتاء الذين كفروا فمن قرا بالياء رفع الذين كفروا اي ولا يحسبن الكافرون وان مع ما في حيزه في قوله انما نملي لهم
خير لانفسهم في موضع المفعولين ليحسبن او ولا يحسبن الذين كفروا املاءنا خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها
والتقدير
في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة لكنها وقعت في الامام متصلة فلا تخالف وفيمن قرا بالتاء نصب الذين
الكافرين خبرا لهم وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل من الكافرين اي ولا تحسبن انما نملي للكافرين خير لهم
وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين والاملاء لهم امهالهم واطالة عمرهم انما نملي لهم ليزدادوا
اثما ما فيه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم
لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما والآية لنا حجة على المعتزلة في مسئلتي الاصلح
وارادة المعاصي ولهم عذاب مهين واللام في ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين
المخلصين والمنافقين لتاكيد النفي حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص يميز حمزة وعلي
والخطاب في انتم للمصدقين من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال
التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم وما كان الله ليطلعكم
على الغيب وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل
واخلاص الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء
اي ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه
الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة نفسه والآية حجة على الباطنية فانهم يدعون ذلك العلم للامام
فان لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين للنص حيث اثبتوا علم الغيب لغير الرسل وان اثبتوا النبوة له
صاروا مخالفين لنص الآخر وهو قوله وخاتم النبيين فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص وان تؤمنوا وتتقوا
النفاق فلكم اجر عظيم في الآخرة ونزل في مانعي الزكوة ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم
من قرا بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الباخلين وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان
وكذا من قرا بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان التقدير
ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان بل هو اي البخل شر لهم
لان اموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة تفسير لقوله بل هو شر لهم
اي سيجعل ما لهم الذي منعوا عن الحق طوقا في اعناقهم كما جاء في الحديث من منع زكوة ماله يصير حية ذكرا
اقرع له زبيبتان فيطوق في عنقه فتنهشه وتدفعه الى النار ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما
مما يتوارثه اهلها من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيل الله والاصل في ميراث
موراث فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها والله بما تعملون خبير وبالياء مكي وابو عمرو فالتاء على طريقة
الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء

قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقالوا ان اله محمد يستقرض منا
فنحن اذا اغنياء وهو فقير ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب
ما قالوا سنأمر الحفظة بكتابة ما قالوا في الصحائف او سنحفظه اذ الكاتب من الخلق يحفظ ما فيه
فسمي به مجازا وما مصدرية او بمعنى الذي وقتلهم الانبياء بغير حق معطوف على ما جعل قتلهم الانبياء قرينة له
ايذانا بانهما في العظم اخوان وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول ونقول لهم يوم القيامة
ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص قال الضحاك يقول لهم ذلك خزنة جهنم وانما
اضيف الى الله تعالى لانه بامره كما في قوله سنكتب سيكتب وقتلهم ويقول بالياء ذلك اشارة الى ما تقدم
من عقابهم بما قدمت ايديكم اي ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر والمعاصي والاضافة الى اليد لان اكثر الاعمال
يكون بالايدي فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب ولا يقال للآمر بالشيء فاعله فذكر الايدي
للتحقيق يعني انه فعل بنفسه لا غيره بامره وان الله ليس بظلام للعبيد وبان الله لا يظلم عباده فلا يعاقبهم
بغير جرم الذين قالوا في موضع جر على البدل من الذين قالوا او نصب باضمار اعني او رفع باضمار هم
ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار اي
يقرب قربانا فتنزل نار من السماء فتاكله فان جئتنا به صدقناك وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله
لان اكل النار القربان سبب الايمان للرسول الآتي به لكونه معجزة فهو اذا وسائر المعجزات سواء قل قد جاءكم
رسل من قبلي بالبينات بالمعجزات سوى القربان وبالذي قلتم اي بالقربان يعني فقد جاء اسلافكم الذين
انتم على ملتهم وراضون بفعلهم فلم قتلتموهم اي ان كان امتناعكم عن الايمان لاجل هذا فلم لم تؤمنوا به ولم
قتلتموهم ان كنتم صادقين في قولكم انما نؤخر الايمان لهذا فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك
فان كذبك اليهود فلا يهولنك فقد فعلت الامم بانبيائها كذلك جاؤوا بالبينات بالمعجزات الظاهرات
والزبر الكتب جمع زبور من الزبر وهو الكتابة وبالزبر شامي والكتاب جنس المنير المضيء فصلهما
واحد في الاصل وانما ذكر لاختلاف الوصفين فان الزبور كتاب فيه حكم زاجرة والكتاب المنير هو الكتاب
الهادي كل نفس ذائقة الموت وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه من العموم والمعنى لا يحزنك تكذيبهم
اياك فمرجع الخلق الى فاجازيهم على التكذيب واجازيك على الصبر وذلك قوله وانما توفون اجوركم
يوم القيمة اي تعطون ثواب اعمالكم على الكمال يوم القيمة فان الدنيا ليست بدار الجزاء فمن زحزح بعد
والزحزحة الابعاد عن النار وادخل الجنة فقد فاز بالخير وقيل فقد حصل له الفوز المطلق
وقيل الفوز نيل المحبوب والبعد عن المكروه وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور شبه الدنيا بالمتاع الذي
يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد
بن جبير رضي الله عنه انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ وعن الحسن لعله

كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل لها لتبلون في اموالكم وانفسكم والله لتختبرن في اموالكم
بالانفاق في سبيل الله وبما يقع فيها من الآفات وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع
المخاوف والمصائب وهذه الآية دليل على ان النفس هي الجسم المعاين دون ما فيه من المعنى الباطن
كما قال بعض اهل الكلام والفلاسفة كذا في شرح التأويلات ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا اذى كثيرا كالطعن في الدين وصد من
اراد الايمان وتخطئة من آمن ونحو ذلك وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك
فان الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور خوطب
المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها
وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
الناس بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن وبالياء مكي
وابو عمرو وابو بكر لانهم غيب والضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه فنبذوه
وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم اي لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل
في الطرح وترك الاعتداد وهو دليل على انه يجب على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان
لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم او لجر منفعة او دفع اذية
او لبخل بالعلم وفي الحديث من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار واشتروا به ثمنا قليلا عرضا يسيرا
فبئس ما يشترون والخطاب في لا تحسبن لرسول الله واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة
وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فائزين بما اتوا بما فعلوا وهو قراءة اتى واتى وجاء يستعملان
بمعنى فعل انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا وقرأ ابي بما آتوا اي اعطوا ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب بمنجاة منه ولهم عذاب اليم مؤلم روي ان
رسول الله عليه السلام سأل اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد
صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا
تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك
بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان
للمسلمين وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة وفيه وعيد
لمن يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس بما ليس فيه ولله ملك السموات والارض
فهو يملك امرهم وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير والله على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لادلة واضحة على صانع قديم عليم
حكيم قادر لاولي الالباب لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب عن القشر فيرى ان العرض
المحدث في الجواهر يدل على حدوث الجواهر لان جوهرا ما لا ينفك عن عرض حادث وما لا
يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها يدل على محدثها وذا قديم والا لاحتاج الى محدث آخر
الى ما لا يتناهى وحسن صنعه يدل على علمه واتقانه يدل على حكمته وبقاؤه يدل على قدرته قال عليه السلام
ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وحكي ان في بني اسرائيل من اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته سحابة فعبده فتى
ثم لم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء
ولم تعتبر قال لعل قالت فما اتيت الا من ذلك الذين في موضع جر نعت لاولي او نصب بامدح واعني
او رفع باضمارهم يذكرون الله يصلون قياما قائمين عند القدرة وقعودا قاعدين وعلى جنوبهم
مضطجعين عند العجز وقياما وقعودا حالان من الضمير الفاعل في يذكرون وعلى جنوبهم حال ايضا
او المراد الذكر على كل حال لان الانسان لا يخلو عن هذه الاحوال وفي الحديث من احب
ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه عجايبه
على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن النبي عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه
فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال
عليه السلام لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية وما جليت
القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر ربنا ما خلقت هذا باطلا اي يقولون ذلك وهو
في محل الحال اي يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة وهو ان
تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك وهذا اشارة الى الخلق على ان المراد به المخلوق او الى السموات
والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا سبحانك تنزيها لك عن
الوصف بخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار والفاء دخلت لمعنى الجزاء تقديره اذا نزهناك
فقنا ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اهنته او اهلكته او فضحته واحتج اهل الوعيد بالآية مع قوله
يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه في ان من يدخل النار لا يكون مؤمنا والجواب قلنا قال جابر
اخزاء المؤمن تاديبه وان فوق ذلك لخزيا وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار والمراد الكفار (او المراد دخول التخليد)
من انصار من اعوان وشفعاء يشفعون لهم كما للمؤمنين ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي تقول سمعت رجلا
يقول كذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع فاغناك عن ذكره ولولا الوصف
لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان والمنادي هو الرسول عليه السلام او القرآن ينادي للايمان لاجل الايمان
بالله وفيه تفخيم لشان المنادي اذ لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ان آمنوا بان آمنوا او اي آمنوا

(في الحاشية: اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها [illegible] عن ادراك بعض عجائبه)

بربكم

بربكم فآمنا قال الشيخ ابو منصور رحمه الله فيه دليل بطلان الاستثناء في الايمان ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا
وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار المتمسكون
بالسنة جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على
تصديق رسلك او ما وعدتنا منزلا على رسلك او على السنة رسلك وعلى متعلقة بوعدتنا والموعود
هو الثواب او النصرة على الاعداء وانما طلبوا انجاز ما وعد الله والله لا يخلف الميعاد لان معناه
طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او المراد اجعلنا ممن لهم الوعد اذ الوعد غير مبين
لمن هو او المراد ثبتنا على ما يوصلنا الى العدة ثم يؤيده قوله ولا تخزنا يوم القيمة وهو لاظهار الخضوع والتضرع
انك لا تخلف الميعاد وهو مصدر بمعنى الوعد فاستجاب لهم ربهم اي اجاب يقال استجاب له
واستجابه اني لا اضيع بان على عمل عامل منكم صفة لعامل من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من
بعض الذكر من الانثى والانثى من الذكر وكلكم بنو آدم او بعضكم من بعض في النصرة والدين وهذه
جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين عن جعفر الصادق
رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ الآيات
فالذين هاجروا مبتدأ وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال
السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين لله بدينهم الى حيث يامنون عليه فالهجرة كائنة في آخر
الزمان كانت في اول الاسلام واخرجوا من ديارهم التي ولدوا فيها ونشئوا واوذوا في سبيلي بالشتم
والضرب ونهب المال يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقتلوا مكي
وشامي وقتلوا وقاتلوا على التقديم والتاخير حمزة وعلي وفيه دليل ان الواو لا يوجب الترتيب
والخبر لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار وهو قسم محذوف ثوابا
في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى
لاثيبنهم والله عنده حسن الثواب اي يختص به ولا يقدر عليه غيره روي ان طائفة من المؤمنين
قالوا ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزل لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد
والخطاب لكل احد او للنبي عليه السلام والمراد به غيره ولان مدره القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم
خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه
ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين وهذا في النهي نظير
قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي تقلبهم
في البلاد متاع قليل واراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من
الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد وساء ما

(في الحاشية: [illegible] وعدا)
(في الحاشية: الحزن والحزانة [illegible])
(في الحاشية: جواب)
(في الحاشية: خطابه مقام)

مهد ولا انقضى لكن الذين اتقوا ربهم عن الشرك لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها نزلا النزل والنزل ما يقام للنازل وهو حال من جنات لتخصصها بالصفة والعامل اللام لهم
او هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله صفة له وما عند الله من الكثير الدائم خير
للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل لكن بالتشديد يزيد وهو للاستدراك ان لا ينافي التنعم
لكن ذلك للذين اتقوا ونزلت في ابن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين
وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما وما انزل اليكم من القرآن وما انزل
اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا
قليلا كما يفعله من لم يسلم من احبارهم وكبارهم وهو حال بعد حال اي غير مشترين
اولئك لهم اجرهم عند ربهم اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعده في قوله اولئك
يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على الدين
وتكاليفه فانك الحسد الصبر حبس النفس على المكروه يعني الجزع وصابروا اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم
في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم
فيها مترصدين مستعدين للغزو واتقوا الله لعلكم تفلحون الفلاح البقاء مع المحبوب بعد الخلاص
عن المكروه ولعل لتغييب المآل لئلا يتكلوا على الآمال من تقديم الاعمال وقيل اصبروا على محن
وصابروا في نعمتي ورابطوا انفسكم في خدمتي لعلكم تفلحون تظفرون بقربي قال النبي عليه السلام اقرؤوا
الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فانهما تأتيان يوم القيامة كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف
تحاجان عن اصحابهما

سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس يا بني ادم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس
آدم ابيكم وخلق منها زوجها معطوف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها
وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وبث منهما ونشر من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء
كثيرة اي وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل
لكيفية خلقهم منها او على خلقكم والخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله عليه السلام والمعنى خلقكم
من نفس آدم وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت
الذي يقتضيه جزالة النظم ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يدعو اليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس
واحدة على التفصيل الذي ذكر داعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة

ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب الكفار والفجار فالنظر فيه يؤدي الى
ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابقة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها قال
عليه السلام عند نزول الآية خلقت المرأة من الرجل فهمتها في الرجل وخلق الرجل من التراب فهمته
في التراب واتقوا الله الذي تساءلون به والاصل تتساءلون فادغمت التاء في السين بعد ابدالها سينا
لقرب التاء من السين في الهمس تساءلون به بالتخفيف كوفي على حذف التاء الثانية استثقالا لاجتماع
التائين اي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف والارحام
بالنصب على انه معطوف على اسم الله اي واتقوا الارحام ان تقطعوها او على موضع الجار والمجرور كقولك مررت
بزيد وعمرا والجر حمزة على عطف الظاهر على المضمر وهو ضعيف لان الضمير المتصل كاسمه متصل والجار
والمجرور كشيء واحد فاشبه العطف على بعض الكلمة ان الله كان عليكم رقيبا حافظا او عالما وآتوا اليتامى
اموالهم يعني الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل اليتم
في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الامهات وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى
الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل
وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم وقوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه
احكام الصغار والمعنى وآتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر
وفيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم عن حد البلوغ ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم
اسم اليتامى والصغار ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم
او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل
بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم الى متعلقة بمحذوف
وهو في موضع الحال اي مضافة الى اموالكم والمعنى ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم
قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال انه ان اكلها كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما
وان خفتم ان لا تقسطوا اي لا تعدلوا اقسط اي عدل في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء
لان منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة لان ما يجيء في صفات من يعقل وكانه
قيل الطيبات من النساء ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله او ما ملكت ايمانهم
قيل كانوا لا يتحرجون من الزنى ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى
فخافوا الزنى فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات او كانوا يتحرجون من الولاية في
اموال اليتامى ولا يتحرجون من الاستكثار من النساء مع ان الجور يقع بينهن اذا كثرن فكانه قيل اذا تحرجتم
من هذا فتحرجوا من ذلك وقيل وان خفتم ان لا تقسطوا في نكاح اليتامى فانكحوا من البالغات يقال

كما ثبت العشرة اذا ذكرت مثنى وثلث ورباع نكرات وانما منعت الصرف للعدل والوصف
وعليه كلام سيبويه ومحلهن النصب على الحال من النساء او من ما طاب تقديره فانكحوا الطيبات
لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان قلت الذى اطلق
للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت
الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذى اطلق له كما تقول
للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ولو افردت
لم يكن له معنى وجئ بالواو لتدل على تجويز الجمع بين الفرق ولو جئ باو مكانها لذهب معنى التجويز
فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة او ما ملكت ايمانكم
سوى في اليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ذلك اشارة الى اختيار الواحدة
والتسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا ولا تجوروا يقال عال الميزان عولا اذا مال وعال
الحاكم في حكمه اذا جار. وحكى عن الشافعى رحمه الله انه فسر ان لا تعولوا ان لا تكثر عيالكم واعترضوا
عليه بانه يقال فيه اعال يعيل يقال اعال الرجل اذا كثر عياله واجيب بان يجعل من قولك عال
الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان
يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال وكلام العلم حقيق
بالحمل على السداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا كانه سلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات
وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه
نحلة ونحلا وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قال وانحلوا النساء
صدقاتهن نحلة اى اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اى آتوهن
صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالاعطاء او من الصدقات اى منحولة معطاة عن طيبة الانفس
وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة وفلان ينتحل
كذا اى يدين به يعنى وآتوهن مهورهن ديانة على انها مفروضة لها والخطاب للازواج وقيل
للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم فان طبن لكم للازواج عن شئ
منه اى من الصداق نفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل
عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات
بما يضطرهن الى الهبة من شكاستكم واخلاقكم وسوء معاشرتكم وفي الآية دليل على ضيق المسلك
في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن
لكم عن شئ منه نفسا ولم يقل فان وهبن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب

طيبة فكلوه الهاء يعود الى شئ هنيئا لا اثم فيه مريئا لا داء فيه فسرهما النبى عليه السلام وهنيئا في الدنيا
بلا مطالبة مريئا في العقبى بلا تبعة وهما صفتان من هنا الطعام ومرا اذا كان سائغا لا تنغيص
فيه وهما وصف مصدر اى كلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اى كلوه وهو هنئ مرئ وهذه عبارة
عن المبالغة في الاباحة وازالة التبعة هنيا مريا بغير همز بزيد وكذلك في الوقف وعن حمزة الباقون
وعن على رضى الله عنه اذا اشتكى احدكم شيئا فليسال امراته ثلثة دراهم من صداقها ثم ليشتر بها عسلا فليشربه
بماء السماء فيجمع الله له هنيئا مريئا وشفاء ومباركا ولا تؤتوا السفهاء المبذرين اموالهم الذين
ينفقونها فيما لا ينبغى ولا قدرة لهم على اصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف
الى الاولياء اموال السفهاء بقوله اموالكم لانهم يلونها ويمسكونها التى جعل الله لكم قياما اى قواما
لابدانكم ومعاشا لاهلكم واولادكم قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا واصل قيام
قوام فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك مالا
يحاسبنى الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل
بى بنو العباس وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم
من الارباح لا من صلب المال فياكلها الانفاق واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج عدة
جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه عقلا او شرعا من قول
او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم
ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ فالابتلاء عندنا ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله
فيما يجئ منه وفيه دليل على جواز اذن الصبى العاقل في التجارة حتى اذا بلغوا النكاح اى الحلم لانه يصلح
للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد فان آنستم منهم تبينتم رشدا هداية في التصرفات
وصلاحا في المعاملات فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم هذا الكلام
ان ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهى حتى التى تقع بعدها الجمل كالتى
في قوله حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل
الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء
واقعة جوابا للشرط الاول الذى هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم
واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وتنكير الرشد يفيد ان المراد رشد مخصوص
وهو رشد في التصرف والتجارة او يفيد التقليل اى طرفا من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد
وهو دليل لابى حنيفة رضى الله عنه في دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين سنة ولا تاكلوها اسرافا
وبدارا ان يكبروا ولا تاكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم فاسرافا وبدارا مصدران في موضع الحال

وان يكبروا في موضع المصدر منصوب الموضع بدارا ويجوز ان يكونا مفعولا لهما اى لاسرافكم
ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق فيما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها
من ايدينا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل
بالمعروف قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من اكلها
اى يتحرز من اكل مال اليتيم واستعفف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة والفقير
ياكل قوتا مقدرا محتاطا في اكله عن ابراهيم ما سد الجوعة ووارى العورة فاذا دفعتم
اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها دفعا للتجاحد وتفاديا
عن توجه اليمين عليكم عند التخاصم والتناكر وكفى بالله حسيبا محاسبا فعليكم بالتصادق
واياكم والتكاذب او هو راجع الى قوله فلياكل بالمعروف اى ولا يسرف فان الله يحاسبه عليه
ويجازيه به وفاعل كفى لفظة الله والباء زايدة وكفى تتعدى الى مفعولين دليله فسيكفيكهم الله للرجال
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
هم المتوارثون من ذوى القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير
العامل والضمير في منه يعود الى ما ترك نصيبا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا
مفروضا مقطوعا لا بد لهم من ان يحوزوه روى ان اوس بن ثابت ترك امراته ام كحة
وثلاث بنات فزوى ابنا عمه ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون
لا يرث الا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت
فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات
الثلثين والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اى قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى
والمساكين من الاجانب فارزقوهم فاعطوهم منه مما ترك الوالدان والاقربون وهو
امر ندب وهو باق لم ينسخ وقيل كان واجبا في الابتداء ثم نسخ باية الميراث
وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلا وعدة حسنة وقيل القول المعروف ان يقولوا
لهم قولا معروفا خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا
سديدا المراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى
فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وان يقدروا ذلك في انفسهم
ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة ولو مع ما في حيزه صلة للذين اى وليخش الذين
صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم

خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وجواب لو خافوا والقول السديد من
الاوصياء ان يكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم يا بني
ويا ولدي ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين فهو مصدر في موضع الحال انما ياكلون
في بطونهم ملء بطونهم نارا اى ياكلون ما يجر الى النار فكانه نار روى انه يبعث آكل مال
اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه واذنيه فيعرف الناس انه ياكل مال اليتيم في
الدنيا وسيصلون شامي وابو بكر اى سيدخلون سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم
الله يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ
الانثيين اى للذكر منهم اى من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم
وبدأ بحظ الذكر ولم يقل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر لفضله كما ضوعف
حظه لذلك ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الاية فقيل
كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن
من القرابة بمثل ما يدلون به والمراد حال الاجتماع اى اذا اجتمع الذكر
والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن ياخذ المال كله والبنتان
تاخذان الثلثين والدليل عليه انه اتبعه حكم الانفراد بقوله فان كن نساء اى فان كانت الاولاد
نساء خلصا يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين خبر ثان لكان او صفة لنساء اى نساء
زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اى الميت لان الاية لما كانت في الميراث
علم ان التارك هو الميت وان كانت واحدة فلها النصف اى وان كانت المولودة منفردة واحدة
مدني على كان التامة والنصب اوفق لقوله فان كن نساء فان قلت قد ذكر حكم البنتين في
حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال
الانفراد فما حكمهما قلت حكمهما مختلف فيه فابن عباس رضي الله عنهما نزلهما منزلة الواحدة لا منزلة الجماعة
وغيره من الصحابة رضي الله عنهم اعطوهما حكم الجماعة بمقتضى قوله للذكر مثل حظ الانثيين وذلك
لان من مات وخلف بنتا وابنا فالثلث للبنت والثلثان للابن فاذا كان الثلث لبنت واحدة
كان الثلثان للبنتين ولانه قال في آخر السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف
ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك والبنتان امس
رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما وجب الله للاختين ولم ينقصوا حظهما عن حظ من
هو ابعد منهما ولان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كان احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت
مع اخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما

الثلثان وفي الآية دلالة على ان المال كله للذكر اذا لم يكن معه انثى لانه جعل للذكر مثل حظ الانثيين
وقد جعل للانثى النصف اذا كانت منفردة فعلم ان للذكر في حال الانفراد ضعف النصف وهو الكل
ولابويه الضمير للميت والمراد الاب والام الا انه غلب الذكر لكل واحد منهما السدس بدل
من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه
ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على السوية وعلى خلافها ولو قيل
ولكل واحد من ابويه السدس لذهبت فائدة التاكيد وهو التفصيل بعد الاجمال والسدس
مبتدأ خبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن السدس والربع والثمن والثلث
بالتخفيف مما ترك ان كان له ولد هو يقع على الذكر والانثى فان لم يكن له ولد وورثه
ابواه فلامه الثلث اي مما ترك والمعنى وورثه ابواه فحسب لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين
كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك لان الاب اقوى من الام في
الارث بدليل ان له ضعف حظها اذا خلصا فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها
فان امرأة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت
الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فلامه بكسر
الهمزة حمزة وعلي للمجاورة كسر اللام فان كان له اخوة فلامه السدس اذا كان
للميت اثنان من الاخوة والاخوات فصاعدا فلامه السدس والاخ الواحد لا يحجب والاعيان
والعلات والاخياف في حجب الام سواء من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها
لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها وما بعد بفتح الصاد
مكي وشامي وحماد ويحيى ووافق الاعشى في الاولى وحفص في الثانية للمجاورة يورث وكسر الاولى
لمجاورة يوصيكم الله الباقون بكسر الصاد اي يوصي الميت او دين والاشكال ان الدين مقدم
على الوصية في الشرع وقدمت الوصية على الدين في التلاوة والجواب ان او لا تدل على التر
تيب الا ترى انك اذا قلت جاءني زيد او عمرو كان المعنى جاءني احد الرجلين فكان التقدير في قوله
من بعد وصية او دين ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتاخير
المقدم كذا هنا وانما قدمنا الدين على الوصية بقوله عليه السلام الا ان الدين قبل الوصية ولانها تشبه
الميراث من حيث انها صلة بلا عوض فكان اخراجها مما يشق على الورثة وكان اداؤها مظنة
للتفريط بخلاف الدين فقدمت على الدين ليسارعوا الى اخراجها مع الدين آباؤكم مبتدأ
وابناؤكم عطف عليه والخبر لا تدرون وقوله ايهم مبتدأ خبره اقرب لكم
والجملة في موضع نصب بتدرون نفعا تمييز والمعنى فرض الله الفرائض على ما هو

عند

عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة والتفاوت
في السهام بتفاوت المنافع وانتم لا تدرون تفاوتها فتولى الله ذلك فضلا منه ولم يكلها الى اجتهادكم
لعجزكم عن معرفة المقادير وهذه جملة اعتراضية مؤكدة لا موضع لها من الاعراب فريضة
نصب للمصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا من الله ان الله كان عليما بالاشياء قبل
خلقها حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم
اي زوجاتكم ان لم يكن لهن ولد اي ابن وبنت فان كان لهن ولد منكم او من
غيركم فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن
لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية
توصون بها او دين والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن جعل ميراث الزوج ضعف
ميراث الزوجة لدلالة قوله للذكر مثل حظ الانثيين وان كان رجل يعني الميت وهو اسم
كان يورث من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل كلالة خبر كان اي وان كان رجل
موروث منه كلالة او يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير في يورث والكلالة تنطلق على
من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وهو في الاصل مصدر بمعنى الكلال
وهو ذهاب القوة من الاعياء او امرأة عطف على رجل وله اخ او اخت اي لام فان قلت قد تقدم
ذكر الرجل والمرأة فلم افرد الضمير وذكر قلت اما افراده فلان او لاحد الشيئين واما تذكيره
فلانه يرجع الى رجل لانه مذكر مبدو به او يرجع الى احدهما وهو مذكر فلكل واحد منهما
السدس فان كانوا اكثر من ذلك من واحد فهم شركاء في الثلث
لانهم يستحقون بقرابة الام وهي لا ترث اكثر من الثلث ولهذا لا يفضل الذكر منهم الانثى من بعد وصية
يوصى بها او دين انما كررت الوصية لاختلاف الموصين فالاول الوالدان والاولاد والثاني الزوجة
والثالث الزوج والرابع الكلالة غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك بان
يوصي بزيادة على الثلث او لوارث وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية والله
عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا وعيد فان قلت
فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها
علم ان ثمة موصيا كما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح لانه لما قال يسبح له علم ان ثمة
مسبحا فاضمر يسبح واعلم ان الورثة اصناف اصحاب الفرائض وهم الذين لهم سهام مقدرة
كالبنت ولها النصف وللاكثر الثلثان وبنت الابن وان سفلت وهي عند عدم الولد كالبنت
ولهن مع البنت الصلبية السدس وتسقط بالابن وبنتي الصلب الا ان يكون معها غلام فيعصبها

والاخوات لاب وام ومن عند عدم الولد وولد الابن كالبنات والاخوات لاب
وثنتين كالاخوات لاب وام ومن عند عدم الولد وولد الابن كالاخوات لاب وام عند عدمهن
ويصير الفريقان عصبة بالبنت او بنت الابن ويسقطن بالابن وابنه وان سفل والاب وبالجد
عند ابي حنيفة رضي الله عنه وولد الام وللواحد السدس وللاكثر الثلث ذكورهم كاناثهم
ويسقطون بالولد وولد الابن وان سفل والاب والجد وللاب وللجد السدس مع الابن او ابن الابن
وان سفل ومع البنت او بنت الابن وان سفلت السدس والباقي وللجد وهو ابو الاب
وهو كالاب عند عدمه الا في رد الام الى ثلث ما يبقى وللام ولها السدس مع الولد او ولد الابن وان
سفل او الاثنين من الاخوة والاخوات فصاعدا من اي جهة كانا وثلث الكل عند عدمهم وثلث ما يبقى
بعد فرض احد الزوجين في زوج وابوين او زوجة وابوين وللجدة ولها السدس وان كثرت
لام كانت او لاب والبعدى تحجب بالقربى والكل بالام والابويات بالاب وللزوج وله الربع مع الولد او ولد
الابن وان سفل وعند عدمه النصف وللزوجة ولها الثمن مع الولد او ولد الابن وان سفل
وعند عدمه الربع والعصبات وهم الذين يرثون ما بقي من الفرض واولاهم الابن ثم ابنه
وان سفل ثم الاب ثم ابوه وان علا ثم الاخ لاب وام ثم الاخ لاب ثم ابن الاخ لاب وام ثم ابن الاخ لاب
ثم الاعمام ثم اعمام الاب ثم اعمام الجد ثم المعتق ثم عصبته على الترتيب واللاتي فرضهن النصف
والثلثان يصرن عصبة باخوتهن لا بغيرهن وذوو الارحام وهم الاقارب الذين ليسوا من
العصبات ولا من اصحاب الفرائض وترتيبهم كترتيب العصبات تلك اشارة الى الاحكام
التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله سماها حدودا لان الشرائع كالحدود
المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده
يدخله نارا خالدا فيها انتصب خالدين وخالدا على الحال وجمع مرة وافرد اخرى
نظرا الى معنى من ولفظه ندخله فيهما مدني وشامي وله عذاب مهين هوان عند الله وتعلق
المعتزلة والخوارج بالآية فانها في حق الكفار اذ الكافر هو الذي تعدى الحدود كلها فاما المؤمن
العاصي فهو مطيع بالايمان غير متعد حد التوحيد ولهذا فسر الضحاك المعصية هنا بالشرك
وقال الكلبي ومن يعص الله ورسوله يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا ثم خاطب
الحكام فقال واللاتي هي جمع التي وموضعها رفع بالابتداء ياتين الفاحشة اي الزنا لزيادتها
في القبح على كثير من القبائح يقال اتى الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها بمعنى من نسائكم من
للتبعيض والخبر فاستشهدوا عليهن فاطلبوا الشهادة اربعة منكم من المؤمنين فان شهدوا بالزنى

فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن حتى يتوفاهن الموت اي ملائكة الموت كقوله توفتهم
الملائكة او حتى ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن او يجعل الله لهن سبيلا قيل وهو الا ان
سبيلا غيرهن عن ابن عباس رضي الله عنهما السبيل للبكر جلد مائة وللثيب الرجم لقوله عليه السلام
خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب
جلد مائة ورجم بالحجارة واللذان يريد الزاني والزانية وبتشديد النون مكي ياتيانها منكم اي الفاحشة
فآذوهما بالتوبيخ والتعيير وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان تابا عن الفاحشة واصلحا
وغيرا الحال فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ والمذمة ان الله كان توابا رحيما يقبل توبة التائب
ويرحمه قال الحسن اول ما نزل من حد الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد او الرجم فكان ترتيب
النزول على خلاف ترتيب التلاوة والحاصل انهما اذا كانا محصنين فحدهما الرجم لا غير
واذا كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير وان كان احدهما محصنا والآخر غير محصن
فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد وقال ابن بحر الآية الاولى في السحاقات
والثانية في اللواطين والتي في النور في الزاني والزانية انما التوبة على الله اي انما قبولها على الله وليس المراد به الوجوب
اذ لا يجب على الله شيء ولكنه تاكيد للوعد يعني انه يكون لا محالة كالواجب الذي لا يترك للذين يعملون
السوء الذنب لان الذنب يسوء عاقبته بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب
القبيح مما يدعو اليه السفه وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقيل جهالته اختياره
اللذة الفانية على الباقية وقيل لم يجهل انه ذنب ولكن جهل كنه عقوبته ثم يتوبون من قريب
من زمان قريب وهو ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين
ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة وعن الضحاك كل توبة قبل الموت
فهو قريب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ينظر الى ملك الموت وعنه عليه السلام
ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ومن للتبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى
ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا فاولئك يتوب الله عليهم عدة
بانه يفي بذلك واعلام بان الغفران كائن لا محالة وكان الله عليما بعزمهم على التوبة حكيما
حكم بكون الندم توبة وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن اي ولا توبة للذين يذنبون ويسوفون توبتهم الى ان يزول حال التكليف
بحضور اسباب الموت ومعاينة ملك الموت فان توبة هؤلاء غير مقبولة لانه حالة اضطرار لا حالة اختيار
وقبول التوبة ثواب ولا يوجد الا للمختار ولا الذين في موضع جر بالعطف على الذين
يعملون السيئات اي ليست التوبة للذين يعملون السيئات ولا للذين يموتون وهم كفار قال

سعيد بن جبير الآية الاولى في المومنين والوسطى في المنافقين والاخرى في الكافرين
وفي بعض المصاحف بلامين فهو مبتدا خبره اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما
اى هيأنا من العتيد فهو الحاضر والاصل اعددنا فقلبت الدال تاء وكان الرجل يرث امراة
مورثه بان يلقي عليها ثوبه فيتزوجها بلا مهر فنزل يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان
ترثوا النساء كرها اى ان تاخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات
لذلك او مكرهات كرها بالفتح من الكراهة وبالضم حمزة وعلي من الاكراه مصدر في موضع الحال من المفعول
والتقييد بالكره لا يدل على الجواز عند عدمه لان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي
ما عداه كما في قوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن
من حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن وهو منصوب
عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اى لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن او مجزوم
بالنهي على الاستيناف فيجوز الوقف حينئذ على كرها والعضل الحبس والتضييق لتذهبوا ببعض
ما آتيتموهن من المهر واللام متعلقة بتعضلوا الا ان ياتين بفاحشة مبينة من النشوز وايذاء الزوج واهله
بالبذاء اى الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة
الزنا فان فعلت حل لزوجها ان يسالها الخلع مبينة بفتح الياء مكي وابو بكر والاستثناء من
اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان
ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان ياتين بفاحشة وكانوا يسيئون معاشرة
النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال
في القول فان كرهتموهن لقبحهن او سوء خلقهن فعسى ان تكرهوا شيئا و
يجعل الله فيه في ذلك الشيء او في الكره خيرا كثيرا ثوابا جزيلا او ولدا صالحا والمعنى فان كرهتموهن
فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين وادنى
الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح وانما صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط
لان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه
وكان الرجل اذا راى امراة فاعجبته بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء
منه بما اعطاها فقيل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الى تطليق امراة وتزوج اخرى
وآتيتم احداهن واعطيتم احدى الزوجات فالمراد بالزوج الجمع لان الخطاب لجماعة الرجال قنطارا مالا عظيما
كما في آل عمران وقال عمر رضي الله عنه على المنبر لا تغالوا بصدقات النساء فقالت امراة انتبع
قولك ام قول الله وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر تزوجوا على ما شئتم فلا

تاخذوا منه من القنطار شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا البهتان ان تستقبل الرجل
بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك اى يتحير وانتصب بهتانا على الحال اى باهتين
وآثمين ثم انكر الله اخذ المهر بعد الافضاء والآية حجة لنا في الخلوة الصحيحة انها تؤكد المهر حيث انكر الاخذ
فقال وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض اى خلا بلا حائل ومنه الفضاء والآية حجة لنا في العقر انها
تؤكد المهر حيث انكر الاخذ وعلل بذلك واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو قول الله تعالى
فامساك بمعروف او تسريح باحسان والله تعالى اخذ هذا الميثاق على عباده لاجلهن كما اخذ من او هو
قول النبي عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله ولما نزل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها قالوا تركنا هذا لانه كرها ولكن
نخطبهن فننكحهن برضا منهن فقيل لهم ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وقيل المراد بالنكاح
الوطء اى ولا تطؤا ما وطئ آباؤكم وفيه تحريم وطء موطوءة الاب بنكاح او بملك يمين او بزنا كما هو مذهبنا
وعليه كثير من المفسرين ولما قالوا كنا نفعل ذلك فكيف حال ما كان منا قال الا ما قد سلف اى لكن ما قد سلف
فانكم لا تؤاخذون به والاستثناء منقطع عند سيبويه ثم بين صفة هذا العقد في الحال فقال انه كان
فاحشة بالغة في القبح ومقتا وبغضا عند الله وعند المومنين وناس منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم
ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي وساء سبيلا وبئس الطريق طريقا ذلك ولما
ذكر في اول السورة نكاح ما طاب اى حل من النساء وذكر بعض ما حرم قبل هذا وهو نساء الآباء ذكر
المحرمات الباقيات وهن سبع من النسب وسبع من السبب وبدا بالنسب فقال حرمت
عليكم امهاتكم والمراد تحريم نكاحهن عند البعض وقد ذكرنا المختار في شرح المنار والجدات من قبل
الام او الاب ملحقة بهن وبناتكم وبنات الابن وبنات البنت ملحقات بهن والاصل ان الجمع
اذا قوبل بالجمع ينقسم الآحاد على الآحاد فيحرم على كل واحد امه وبنته واخواتكم لاب وام او لاب او لام
وعماتكم من الاوجه الثلثة وخالاتكم كذلك وبنات الاخ كذلك وبنات الاخت كذلك ثم شرع في
السبب فقال وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة انزل الله الرضاعة منزلة النسب
فسمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته
وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته
واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها
خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته
واخواته لامه واصله قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وامهات نسائكم ومن
محرمات بمجرد العقد وربائبكم سمي ولد المراة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده

في غالب الامر ان تبع فيه فيهما بذلك وان لم يكن بها اللاتي في حجوركم قال داود اذا لم تكن في حجره
لا تحرم قلنا ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط وفائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم
لهن او لكونهن بصدد احتضانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن متعلق بربائبكم اي الربيبة من المرأة المدخول بها حرام على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها والدخول
بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب اي ادخلتموهن الستر والباء
للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول وقد جعل بعض العلماء اللاتي دخلتم بهن وصفا
للنساء المتقدمة والمتاخرة وليس كذلك لان الوصف الواحد لا يقع على موصوفين مختلفي العامل
وهذا لان النساء الاولى مجرورة بالاضافة والثانية بمن ولا يجوز ان يقول مررت بنسائك
وهربت من نساء زيد الظريفات على ان يكون الظريفات نعتا لهولاء النساء وهولاء النساء
كذا قال الزجاج وغيره وهذا اولى مما قال صاحب الكشاف فيه فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا
جناح عليكم فلا حرج عليكم في ان تتزوجوا بناتهن اذا فارقتموهن او متن وحلائل ابنائكم
جمع حليلة وهي الزوجة لان كل واحد منهما يحل للآخر او يحل فراش الآخر من الحل والحلول الذين
من اصلابكم دون من تبنيتم فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب حين فارقها
زيد وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وليس هذا لنفي الحرمة عن حليلة
الابن من الرضاع وان تجمعوا بين الاختين اي في النكاح وهو في موضع الرفع عطف
على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل
قوله ان الله كان غفورا رحيما وعن محمد بن الحسن رحمه الله ان اهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه
المحرمات الا نكاح امراة الاب ونكاح الاختين فلذا قال فيهما الا ما قد سلف
والمحصنات من النساء اي ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزوج قرا الكسائي بفتح الصاد ههنا وفي ساير
القرآن بكسرها وغيره بفتحها في جميع القرآن الا ما ملكت ايمانكم بالسبي وزوجها في دار الحرب والمعنى وحرم
عليكم نكاح المنكوحات اي اللاتي لهن ازواج الا ما ملكتموهن بسبيهن واخرجتموهن بدون ازواجهن لوقوع
الفرقة بتباين الدارين لا بالسبي فتحل للغانم بملك اليمين بعد الاستبراء كتاب الله عليكم مصدر موكد
اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفريضة فريضة وهو تحريم ما حرم وعطف واحل لكم على الفعل
المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات
المذكورة واحل كوفي غير ابي بكر عطف على حرمت ان تبتغوا مفعول له اي بين لكم ما يحل مما يحرم
لان تبتغوا او بدل مما وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر
باموالكم بغير المهور وفيه دليل على ان النكاح لا يكون الا بمهر وانه يجب وان لم يسم وان غير المال

لا يصلح مهرا وان القليل لا يصلح مهرا اذ الحبة لا تعد مالا عادة محصنين في حال كونكم محصنين
غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتعرضوا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ولا فساد
اعظم من الجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والمسافح
الزاني من السفح وهو صب المني فما استمتعتم به منهن فما نكحتموهن منهن فاتوهن اجورهن مهورهن
لان المهر ثواب على التمتع فما في معنى النساء ومن للتبعيض او للبيان ويرجع الضمير اليه على
اللفظ في به وعلى المعنى في فاتوهن فريضة حال من الاجور اي مفروضة او وضعت موضع ايتاء
لان الايتاء مفروض او مصدر موكد اي فرض ذلك فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من
بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها عليه او فيما تراضيا به من مقام
او فراق ان الله كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي
به حفظت الانساب وقيل ان قوله فما استمتعتم نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين
فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت ومن لم يستطع منكم طولا فضلا يقال لفلان على طول اي فضل
وزيادة وهو مفعول يستطع ان ينكح مفعول الطول فانه مصدر فعل على فعله او بدل من
طولا المحصنات المومنات الحرائر المسلمات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات اي فلينكح
مملوكة من الاماء المسلمات وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين والمعنى ومن لم يستطع زيادة
في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة ونكاح الامة الكتابية يجوز عندنا والتقييد في النص
للاستحباب بدليل ان الايمان ليس بشرط في الحرائر اتفاقا مع التقييد به وقال ابن عباس
رضي الله عنهما وسع الله الطول والله لم يحظر على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان
كان موسرا وفيه دليل لنا في مسئلة الطول والله اعلم بايمانكم فيه تنبيه على قبول
ظاهر ايمانهن ودليل على ان الايمان هو التصديق دون عمل اللسان لان العلم بالايمان للسوغ
لا يختلف بعضكم من بعض اي لا تستنكفوا من نكاح الاماء وكلكم بنو آدم وهو تحذير عن التعيير
بالانساب والتفاخر بالاحساب فانكحوهن باذن اهلهن ساداتهن وهو حجة في ان لهن
ان يباشرن العقد بانفسهن لانا اعتبرنا اذن المولى لا عقدهم وانه ليس للعبد او للامة ان يتزوج
الا باذن المولى واتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار ومثالك مهورهن
مواليهن وكان اداؤها اليهن اداء الى المولى لانهن وما في ايديهن من مال المولى والتقدير فاتوا
لهن اداء الى المولى لانهن وما في ايديهن من حذف المضاف محصنات عفائف حال من المفعول
في واتوهن غير مسافحات زوان علانية ولا متخذات اخدان زوان سرا والاخدان الاخلاء في السر
فاذا احصن بالتزويج احصن كوفي غير حفص فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات

اى الحرائر من العذاب من الحد يعني خمسين جلدة وقوله نصف يدل على انه الجلد لان الرجم
لا يتنصف وان المحصنات هنا الحرائر اللاتي لم يتزوجن ذلك اى نكاح الاماء لمن خشي العنت
منكم لمن خاف الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير
لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الزنا لانه سبب
الهلاك وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم لان فيه
ارقاق الولد ولانها خراجة ولاجة ممتهنة مبتذلة وذلك كله نقصان يرجع الى الناكح ومهانة
والعزة من صفات المؤمنين وفي الحديث الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله
غفور يستر المحظور رحيم يكشف المحذور يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم
فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان
يبين لكم ما هو خفي عليكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم وان يهديكم
مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم
ويتوب عليكم ويوفقكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف والله عليم بمصالح عباده حكيم فيما شرع
لهم والله يريد ان يتوب عليكم كرر للتاكيد والتقرير والتقابل ويريد الذين يتبعون
الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم
على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود لاستحلالهم الاخوات لاب وبنات الاخ وبنات الاخت
فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت
فنزلت بقولهم يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره
من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات يا ايها الذين آمنوا
لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود
الربا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة تجارة كوفي اى الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض منكم
صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراض بالعقد او بالتعاطي والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا
كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والآية تدل
على جواز البيع الموقوف اذا وجدت الاجازة لوجود الرضا وعلى نفي خيار المجلس لان فيها اباحة
الاكل بالتجارة عن تراض من غير تقييد بالتفرق عن مكان العقد فالتقييد به زيادة على النص
ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين لان المؤمنين كنفس واحدة او لا يقتل الرجل نفسه
كما يفعله بعض الجهلة او معنى القتل اكل الاموال بالباطل فظالم غيره كمهلك نفسه او لا تتبعوا اهواءها فتقتلوها
او لا ترتكبوا ما يوجب القتل ان الله كان بكم رحيما ولرحمته بكم نهاكم عما فيه صيانة اموالكم

وبقاء ابدانكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة
محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك اى القتل اى ومن يقدم على قتل النفس عدوانا
وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وهما مصدران في موضع الحال او مفعول لهما فسوف نصليه ندخله نارا مخصوصة
شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا سهلا وهذا الوعيد في حق المستحل للتخليد وفي حق غيره
لبيان استحقاقه دخول النار مع وعد الله بمغفرته ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم عن ابن مسعود
رضي الله عنه الكبائر كل ما نهى الله عنه من اول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا وعنه ايضا الكبائر ثلث
الاشراك بالله واليأس من روح الله والامن من مكر الله وقيل المراد به انواع الكفر بدليل قراءة
عبد الله كبير ما تنهون عنه وهو الكفر وندخلكم مدخلا مدني وكلاهما بمعنى المكان والمصدر كريما حسنا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت
يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما
تنهون عنه نكفر عنكم ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
ما يفعل الله بعذابكم وتثبت المعتزلة بالآية على ان الصغائر واجبة المغفرة باجتناب الكبائر وعلى
ان الكبائر غير مغفورة بالطلاق لان الكبائر والصغائر في مشيئة الله تعالى ان شاء عذب عليهما وان شاء
عفى عنهما لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقد وعد المغفرة لما دون
الشرك وقرنها بمشيئته وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات فهذه الآية تدل على ان الصغائر والكبائر
يجوز ان يذهبها بالحسنات لان لفظ السيئات ينطلق عليهما ولما كان اخذ مال الغير بالباطل وقتل
النفس بغير حق يتمنى مال الغير وجاهه نهاهم عن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال
بقوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة و
تدبير وعلم باحوال العباد وبما ينبغي لكل من بسط في الرزق او قبض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له
ولا يحسد اخاه على حظه فالحسد ان يتمنى ان يكون ذلك الشيء له ويزول عن صاحبه والغبطة
ان يتمنى مثله لنفسه وهو مرخص فيه والاول منهي عنه ولما قال الرجال نرجو ان يكون اجرنا على الضعف
من اجر النساء كالميراث وقالت النساء نرجو ان يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث نزل للرجال
نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وليس ذلك على حسب الميراث واسألوا
الله من فضله فان خزائنه لا تنفد ولا تتمنوا ما للناس من الفضل ان الله كان بكل شيء عليما
فالتفضيل عن علم بمواضع الاستحقاق قال ابن عيينة لم يامر بالمسألة الا ليعطي وفي الحديث
من لم يسأل الله من فضله غضب عليه وفيه ان الله تعالى ليمسك الخير الكثير عن عبده ويقول لا اعطي
عبدي حتى يسألني وسلوا مكي وعلي ولكل المضاف اليه محذوف تقديره ولكل احد او ولكل

مال جعلنا موالي وُرّاثا يلونه ويحرزونه مما ترك الوالدان والاقربون هو صفة مال محذوف اى من مال
ترك الوالدان او هو متعلق بفعل محذوف دل عليه الموالي تقديره يرثون مما ترك والذين عاقدت
ايمانكم عاقدتهم ايديكم وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط موضع جر وهو فآتوهم نصيبهم من العاقدين
كونه اى عقدت عهودهم ايمانكم والمراد به عقد الموالاة وهي مشروعة والوراثة بها ثابتة عند عامة
الصحابة رضي الله عنهم وهو قولنا وتفسيره اذا اسلم رجل على يد رجل وولاه وليس له وارث ولا معتق
فيقول لآخر واليتك على ان تعقل عني اذا جنيت وترث مني اذا مت ويقول الآخر قبلت انعقد
ذلك ويرث الاعلى من الاسفل ان الله كان على كل شيء شهيدا اى هو عالم
الغيب والشهادة وهو ابلغ وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين
ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك بما فضل الله بعضهم على بعض الضمير في بعضهم
للرجال والنساء يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء
كانوا مسيطرين عليهن بالعقل والحزم والعزم والقوة والغزو وكمال الصوم والصلاة والنبوة
والخلافة والامامة والاذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند ابي حنيفة رحمه الله
والشهادة في الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب فيه وملك النكاح
والطلاق واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا من اموالهم وبان نفقتهن
عليهم وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم ثم قسمهن على نوعين النوع الاول فالصالحات قانتات
مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب وهو خلاف الشهادة
اى اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج
والبيوت والاموال وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى
بهن الازواج بقوله وعاشروهن بالمعروف او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب
او بحفظ الله اياهن حيث صيرهن كذلك والثانية واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن
عن طاعة الازواج والنشز المكان المرتفع عن ابن عباس رضي الله عنهما هو ان تستخف بحقوق زوجها
ولا تطيع امره فعظوهن خوفوهن عقوبة الله تعالى والضرب والعظة كلام يلين القلوب القاسية
ويرغب الطباع النافرة واهجروهن في المضاجع في المراقد اى لا تداخلوهن تحت اللحف
او هو كناية عن الجماع او هو ان يوليها ظهره في المضجع لانه لم يقل عن المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح
امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ فان اطعنكم بترك النشوز
فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى وسبيلا مفعول تبغوا وهو من بغيت الامر
اى طلبته ان الله كان عليا كبيرا اى ان علت ايديكم عليهن فاعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم

عليهن فاجتنبوا ظلمهن او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم
تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع ثم خاطب الولاة بقوله وان خفتم
شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع كقوله بل مكر الليل
والنهار والشقاق العداوة والخلاف لان كلا منهما يفعل ما يشق على صاحبه او يميل الى شق
اى ناحية غير شق صاحبه والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال
والنساء فابعثوا حكما من اهله رجلا يصلح للحكومة والاصلاح بينهما وحكما من اهلها وانما
كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح ونفوس
الزوجين اسكن اليهم فيبرزان ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة والضمير
في ان يريدا اصلاحا للحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين اى ان قصدا اصلاح ذات البين
وكانت نيتهما صحيحة بورك في وساطتهما واوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الالفة والوفاق
والقى في نفوسهما المودة والاتفاق او الضميران للحكمين اى ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة
للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يتم المراد
او الضميران للزوجين اى ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق
يلق الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق الوفاق وبالبغضاء المودة ان الله كان عليما
بارادة الحكمين خبيرا بالظالم من الزوجين وليس لهما ولاية التفريق عندنا خلافا لمالك رحمه الله
واعبدوا الله قيل العبودية اربعة الوفاء بالعهود والرضا بالموجود والحفظ للحدود
والصبر على المفقود ولا تشركوا به شيئا صنما وغيره ويحتمل المصدر اى اشراكا وبالوالدين احسانا
واحسنوا بهما احسانا بالقول والفعل والانفاق عليهما عند الاحتياج وبذي القربى وبكل
من بينكم وبينه قرابة من اخ او عم او غيرهما واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب
جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد او الجار القريب النسب والجار الجنب الاجنبي والصاحب
بالجنب اى الزوجة عن علي رضي الله عنه او الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر
او شريكا في تعلم علم او غيره او قاعدا الى جنبك في مجلس او مسجد وابن السبيل الغريب او
الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا
متكبرا يأنف عن قرابته وجيرانه فلا يلتفت اليهم فخورا يعدد مناقبه كبرا فان عدده اعترافا كان
شكورا الذين يبخلون نصب على البدل من من كان مختالا فخورا او على معنى
او على الذم او رفع على انه خبر مبتدأ تقديره هم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل
بالبخل حمزة وعلي وهما لغتان كالرشد والرشد اى يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم

فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتا للسخاء قيل البخل أن يأكل بنفسه ولا يؤكل غيره والشح أن لا يأكل ولا يؤكل والسخاء أن يأكل ويؤكل والجود أن يؤكل ولا يأكل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ما أنعم الله عليهم به من المال وسعة الحال وفي الحديث إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن يرى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا أمير المؤمنين إن الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالنظر إلى آثار نعمتك فأعجبه كلامه وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا أي يهانون في الآخرة والذين ينفقون أموالهم معطوف على الذين أو على الكافرين رئاء الناس مفعول له أي للفخار وليقال ما أجودهم لا ابتغاء وجه الله وهم المنافقون أو مشركو مكة ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله أي وما الذي عليهم أو أي تبعة ووبال عليهم في الإيمان والإنفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ وإلا فكل منفعة ومصلحة في ذلك وهذا كما يقال للعاق ما ضرك لو كنت بارا وقد علم أنه لا مضرة في البر ولكنه ذم وتوبيخ وكان الله بهم عليما وعيد إن الله لا يظلم مثقال ذرة هي النملة الصغيرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة وإن تك حسنة وإن يك مثقال الذرة حسنة وإنما أنث ضمير المثقال لكونه مضافا إلى مؤنث حسنة بالرفع حجازي على كان التامة وحذف النون من تكن تخفيفا لكثرة الاستعمال يضاعفها يضاعف ثوابها يضعفها مكي وشامي ويؤت من لدنه أجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده ثوابا عظيما وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع أنه سمى متاع الدنيا قليلا وفيه إبطال قول المعتزلة في تخليد من له كبيرة مع أن له حسنات كثيرة فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء أي أمتك شهيدا حال أي شاهدا على من آمن بالإيمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا يومئذ ظرف لقوله يود الذين كفروا بالله وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض لو يدفنون فتسوى بهم كما تسوى بالموتى أو يودون أنهم لم يبعثوا أو لم يخلقوا وكانوا والأرض سواء أو تصير البهائم ترابا فيودون حالها تسوى بفتح التاء وتخفيف السين والإمالة وحذف إحدى التاءين من تتسوى حمزة وعلي تسوى بإدغام التاء في السين مدني وشامي ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه

لأن جوارحهم تشهد عليهم ولما صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما وشرابا ودعا نفرا من الصحابة رضي الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فقدموا أحدهم ليصلي بهم المغرب فقرأ أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد نزل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى أي لا تقوموا إليها وأنتم في هذه الحالة حتى تعلموا ما تقولون أي تفقهون وفيه دليل على أن ردة السكران ليست بردة لأن قراءة سورة الكافرين بطرح اللاآت كفر ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الإيمان وما أمر النبي عليه السلام بالتفريق بينه وبين امرأته ولا بتجديد الإيمان ولأن الأمة أجمعت على أن من أجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئا لا يحكم بكفره ولا جنبا عطف على وأنتم سكارى لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا أي ولا تصلوا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب إلا عابري سبيل متعلق بقوله جنبا أي لا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل أي جنبا مقيمين غير مسافرين والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا إلا أن تكونوا مسافرين عادمين الماء متيممين عبر عن المتيمم بالمسافر لأن غالب حاله عدم الماء وهذا مذهب ابن مسعود رضي الله عنه وهو مروي عن علي رضي الله عنه وقال الشافعي رحمه الله لا تقربوا الصلوة أي مواضع الصلوة وهي المساجد ولا جنبا أي ولا تقربوا المسجد جنبا إلا عابري سبيل إلا مجتازين فيه فيجوز للجنب العبور في المسجد عند الحاجة وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أي المطمئن من الأرض وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة فكنى به عن الحدث أو لامستم النساء جامعتموهن كذا عن علي وابن عباس رضي الله عنهم فلم تجدوا ماء فلم تقدروا على استعماله لعدمه أو بعده أو فقد آلة الوصول إليه أو المانع من حية أو سبع أو عدو فتيمموا دخل في حكم الشرط أربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة والجزاء الذي هو الأمر بالتيمم يتعلق بهم جميعا فالمرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه والسفر إذا عدموه لبعد والمحدثون وأهل الجنابة إذا لم يجدوه فلهم أن يتيمموا التيمم حتى وعلى صعيدا قال الزجاج هو وجه الأرض ترابا كان أو غيره وإن كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده ومسح لكان ذلك طهوره ومن في سورة المائدة للابتداء لا للتبعيض طيبا طاهرا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم قيل إلى الرسغ إن الله كان عفوا بالترخيص والتيسير غفورا عن الخطأ والتقصير ألم تر من رؤية القلب وعدي بإلى على معنى ألم ينته علمك إليهم أو بمعنى ألم تنظر إليهم إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله وأنه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والإنجيل ويريدون أن تضلوا أنتم أيها المؤمنون

السبيل اي سبيل الحق كما ضلوا والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء فاحذروهم
ولا تستنصحوهم في اموركم وكفى بالله وليا في النفع وكفى بالله نصيرا في الدفع فثقوا بولايته
ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم وليا ونصيرا
منصوبان على التمييز او على الحال من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب وبيان لاعدائكم
وما بينهما اعتراض او يتعلق بقوله نصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين
كذبوا بآياتنا او يتعلق بمحذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم فقوم مبتدا ويحرفون
الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره
فقد امالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وازالوه عنها مقامه وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن
موضعه في التورية بوضعهم آدم طوال مكانه ثم ذكر ساعة مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه
فمعنى عن مواضعه على ما بينا من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت
شهواتهم من ابدال غيره مكانه ومعنى من بعد مواضعه انه كانت له مواضع هو جدير بان يكون
فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له ومقاره والمعنيان متقاربان ويقولون سمعنا
قولك وعصينا امرك قيل سرا به واسمع قولنا غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت
غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت
دعوتهم عليه لم يسمع شيئا فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت
دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك
لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع
مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم وراعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا
وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين
وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير و
الاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا
موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى
ما يظهرونه من التوقير نفاقا وطعنا في الدين بقولهم لو كان نبيا حقا لاخبر بما نعتقد فيه ولو انهم
قالوا سمعنا واطعنا ولم يقولوا وعصينا واسمع ولم يلحقوه غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان قولهم
ذلك خيرا لهم عند الله واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم طردهم وابعدهم
عن رحمته بسبب اختيارهم الكفر فلا يؤمنون الا قليلا منهم قد آمنوا كعبد الله بن سلام واصحابه
او الا ايمانا قليلا ضعيفا لا يعبا به وهو ايمانهم بخالقهم مع كفرهم بغيره ولما لم يؤمنوا

نزل يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا يعني القرآن مصدقا لما معكم يعني التورية من قبل ان
نطمس وجوها اي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها
فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم
توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكس
الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وقيل المراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط
فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجا
هتهم ونكسو صغارهم وادبارهم او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما
مسخنا اصحاب السبت والضمير يرجع الى الوجوه ان اريد الوجهاء او لبعضهم فان ابن سلام قد سمع
الآية فاقبل من الشام فاتى النبي عليه السلام مسلما قبل ان ياتي اهله وقال ما كنت ارى ان اصل الى اهلي
قبل ان يطمس الله وجهي وان الله تعالى اوعدهم باحد الامرين بطمس الوجوه او بلعنهم فان كان الطمس
تبديل احوال رؤسهم سابقا فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم
ملعونون بكل لسان وقيل هو منتظر في اليهود وكان امر الله اي المامور به وهو العذاب
الذي اوعدوا به مفعولا كائنا لا محالة فلا بد ان يقع احد الامرين ان الله لا يغفر ان
يشرك به اي مات عليه ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك وان كان كبيرة مع عدم التوبة
ولما صح ان الشرك مغفور عنه بالتوبة وان وعد غفران ما دونه لمن يتب اي لا يغفر لمن يشرك
وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال عليه السلام من لقي الله لا يشرك به شيئا
دخل الجنة ولم يضره خطيئته وتقييده بقوله لمن يشاء لا يخرجه عن عمومه كقوله الله لطيف
بعباده يرزق من يشاء قال علي رضي الله عنه ما في القرآن آية احب الي من هذه الآية وحمل
المعتزلة على التائب باطل لان الكفر مغفور عنه بالتوبة لقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف فما دونه اولى ان يغفر بالتوبة ولانه يفوت بيان التفرقة بينهما واذا قيدنا ذكرنا
ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما كذب كذبا عظيما لبيان التفرقة بينهما استحق به عذابا
اليما ونزل فيمن زكى نفسه من اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه و
قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى الم تر الى الذين يزكون انفسهم ويدخل
فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى بل الله يزكي من يشاء
اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل لتزكيته انفسهم
حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكاتهم ولا ينقص من ثوابهم فتيلا
قدر فتيل وهو ما يحدث بفتل الاصابع من الوسخ انظر كيف يفترون على الله الكذب

في زعمهم انهم عند الله انبياء وكفى به اثما مبينا من بين سائر آثامهم الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب يعني يهود يؤمنون بالجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت
الشيطان ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا وذلك ان حيي ابن اخطب
وكعب ابن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله
فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم
ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال
ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب انتم اهدى سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ابعدهم
من رحمته ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنعه بشفاعة او غيرها ثم وصف اليهود بالبخل والحسد وهما
من شر الخصال يمنعون ما لهم ويتمنون ما لغيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك ام
منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو
كان لهم نصيب من الملك اي ملك من الدنيا او ملك الله فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط
بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله
من فضله بل يحسدون رسول الله والمؤمنين على الكمال الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم
على ما آتاهم الله من النصر والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب
اي التورية والحكمة المواعظ والفقه وآتيناهم ملكا عظيما ملك يوسف وداود وسليمان
وهذا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم اسلاف محمد عليه السلام وانه
ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه فمنهم من آمن به فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث
آل ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكر مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته
واعرض عنه وكفى بجهنم سعيرا للصادين ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ندخلهم نارا
كلما نضجت جلودهم احترقت بدلناهم جلودا غيرها اعدنا تلك الجلود غير محترقة فالتبديل
والتغيير لتغاير الهيئتين لا لتغاير الاصلين عند اهل الحق خلافا للكرامية وعن فضيل تبدل النضجة
غير نضجة ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك اعزك الله اي ادامك
على عزك ان الله كان عزيزا غالبا بالانتقام لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما فيما يفعل بالكافرين
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم
فيها ازواج مطهرة من الادناس والحيض والنفاس وندخلهم ظلا ظليلا موصوفة مشتقة
من لفظ الظل لتاكيد معنا كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما
لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة ثم خاطب الولاة باداء

الامانات والحكم بالعدل بقوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقيل قد دخل في هذا الامر
اداء الفرايض التي هي امانة الله التي حملها الانسان وحفظ الحواس التي هي ودائع الله واذا حكمتم بين الناس
قضيتم ان تحكموا بالعدل بالسوية والانصاف وقيل ان عثمان بن طلحة بن عبد الدار كان سادن
الكعبة وقد اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه مفتاح الكعبة فلما نزلت الآية امر عليا رضي الله عنه
بان يرده عليه وقال لقد انزل الله في شانك قرانا وقرا عليه الآية فاسلم عثمان فهبط جبريل واخبر
رسول الله ان السدانة في اولاد عثمان ابدا ان الله نعما يعظكم به ما نكرة منصوبة يعظكم به كانه قيل نعم شيئا
يعظكم به او موصولة مرفوعة المحل صلتها ما بعدها اي نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما
يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وبكسر النون وسكون العين مدني وابو عمرو
وبفتح النون وكسر العين شامي وحمزة وعلي ان الله كان سميعا لاقوالكم بصيرا بافعالكم ولما امر الولاة
باداء الامانات والحكم بالعدل امر الناس بان يطيعوهم بقوله يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم اي الولاة او العلماء لان امرهم ينفذ على الامراء فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم
انتم واولوا الامر في شيء من امور الدين فردوه الى الله والرسول اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة ان
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر اي ان الايمان يوجب الطاعة دون العصيان ودلت الآية على
ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم لقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق وحكي ان مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال لابي حازم الستم امرتم بطاعتنا بقوله واولي
الامر منكم فقال ابو حازم اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله اي القرآن
والرسول في حيوته والى احاديثه بعد وفاته ذلك اشارة الى الرد الى الكتاب والسنة خير لكم
عاجلا واحسن تاويلا عاقبة كان بين بشر المنافق ويهودي خصومة فدعاه اليهودي الى النبي عليه
السلام فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه قضى لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما
فدخل عمر واخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق فقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله
فنزل الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك وقال جبريل
ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله انت الفاروق يريدون حال من الضمير في يزعمون
ان يتحاكموا الى الطاغوت الى كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله
او على التشبيه بالشيطان او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه
تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم عن الحق ضلالا
بعيدا مستمرا الى الموت واذا قيل لهم للمنافقين تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول للتحاكم

رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً يعرضون عنك الى غيرك ليغروا بالرشوة فيقضي لهم
فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة من قتل عمر بشراً بما قدمت ايديهم
من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤك اي اصحاب القتيل من المنافقين يحلفون بالله حال
ان اردنا ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احساناً الا اسأة وتوفيقاً بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطاً
لحكمك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني
عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافقين يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم
الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له
بما حكم به اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في
انفسهم قولاً بليغاً فاعرض عن قبول الاعتذار وعظهم بالزجر والانكار وبالغ في وعظهم بالتخويف والانذار
او اعرض عن عقابهم وعظهم في عقابهم وبلغ كنه ما في ضميرك من الوعظ بالزكاة بهم
والبلاغة ان يبلغ بلسانه كنه ما في جنانه وفي انفسهم يتعلق بقل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة
وقلوبهم المطوية على النفاق قولاً بليغاً يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول الى رسولاً قط
الا ليطاع باذن الله بتوفيقه في طاعته وتيسيره او بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث
اليهم بان يطيعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم اي بالتفاق الى الطاغوت جاؤك تائبين من النفاق معتذرين عما ارتكبوا
من الشقاق فاستغفروا الله من النفاق والشقاق واستغفر لهم الرسول بالشفاعة لهم والعامل
في اذ ظلموا جاؤك والمعنى ولو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار
الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً لعلموا تواباً اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل الى طريقة
الالتفات تفخيماً لشان رسول الله وتعظيماً لاستغفاره وتنبيهاً على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله
بمكان روي انه بعد دفنه عليه السلام جاء اعرابي فرمى بنفسه على قبره وحثى من ترابه على راسه
وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فسمعنا وكان فيما انزل عليك ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم الآية وقد ظلمت نفسي وجئتك استغفر الله ذنبي فاستغفر لي من ربك فنودي من قبره
قد غفر لك فلا وربك اي فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم وجواب القسم
لا يؤمنون او لتقدير فلا اي ليس الامر كما يقولون ثم قال وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت
اي لا يضيق صدورهم من حكمك او شكاً لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا
تسليماً وينقادوا لقضائك انقياداً وحقيقته سلم نفسه واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة وتسليماً

مصدر مؤكد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمك انقياداً لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم والمعنى
لا يكونون مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك ولو انا كتبنا عليهم على المنافقين اي لو وقع كتبنا
عليهم على المنافقين اي لو وقع كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم ان اقتلوا انفسكم اي تعرضوا للقتل
بالجهاد او لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او اخرجوا من دياركم
بالهجرة ما فعلوه لنفاقهم والهاء ضمير احد مصدري الفعلين وهو القتل او الخروج او ضمير المكتوب لدلالة
كتبنا عليه الا قليل منهم قليلاً شاذ على الاستثناء والرفع على البدل من واو فعلوه ولو انهم فعلوا
ما يوعظون به من اتباع رسول الله والانقياد لحكمه لكان خيراً لهم في الدارين واشد تثبيتاً
في تحقيقاً لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذاً لجواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون
لهم بعد التثبيت فقيل واذاً لو تثبتوا لآتيناهم من لدنا اجراً عظيماً اي ثواباً كبيراً لا ينقطع ولهديناهم
صراطاً مستقيماً يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين كافاضل اصحاب الانبياء والصديق المبالغ في صدق ظاهره
بالمعاملة وباطنه بالمراقبة او الذي يصدق قوله بفعله والشهداء والذين استشهدوا في سبيل الله
والصالحين ومن صلحت احوالهم وحسنت اعمالهم وحسن اولئك رفيقاً اي وما احسن
اولئك رفيقاً وهو كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ذلك مبتدأ خبره الفضل
من الله او الفضل صفته ومن الله خبره والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم
عليهم من الله وكفى بالله عليماً بعباده ومن هو اهل الفضل ودلت الآية على ان ما يفعل الله بعباده
هو فضل منه بخلاف ما تقول المعتزلة يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى وهو
الحذر وهما كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته
التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو فانفروا ثبات فاخرجوا الى
الجهاد جماعات متفرقة سرية بعد سرية فالثبات الجماعات واحدها ثبة او انفروا جميعاً
اي مجتمعين او مع النبي صلى الله عليه وسلم لان الجمع بدون الشمع لا يتم والعقد بدون الواسطة
لا ينتظم او انفروا ثبات اذا لم يعم النفير وانفروا جميعاً اذا عم النفير وثبات حال وكذا جميعاً
واللام في وان منكم لمن للابتداء بمنزلتها في ان الله لغفور ومن موصولة وفي ليبطئن
جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير
الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ اي
تأخر ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء والخطاب لعسكر رسول الله والمبطئون منهم الذين في الظاهر دون الباطن
لهم المنافقون يقولون لم تقتلون انفسكم تأنوا حتى يظهر الامر فان اصابتكم مصيبة قتل وهزيمة قال

[illegible]

النبي قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني مثل ما اصابهم ولئن اصابكم
فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن هذا المنافق نادما على ما فاته من الغنيمة لا لطلب المثوبة كأن مخففة
من الثقيلة واسمها محذوف اي كانه لم يكن وبالتاء مكي وحفص بينكم وبينه مودة وهي اعتراض بين
الفعل وهو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني كنت معهم والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين
كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن فافوز بالنصب لانه جواب
التمني فوزا عظيما فآخذ من الغنيمة حظا وافرا فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون يبيعون الحيوة الدنيا
بالآخرة والمراد المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها اي ان صد الذين
مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون او يشترون
والمراد المنافقون الذين يشترون الحيوة الدنيا وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان
بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق جهاده بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب
فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده
في اعزاز دين الله وما لكم مبتدأ وخبر وهذا الاستفهام في النفي للتنبيه على الاستبطاء وفي الاثبات
للانكار لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها الاستقرار كما تقول ما لك قائما والمعنى واي شيء لكم
تاركين القتال وقد ظهرت دواعيه والمستضعفين مجرور بالعطف على سبيل الله اي في سبيل الله
وفي خلاص المستضعفين او منصوب على الاختصاص اي واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين
لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير
واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم
مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد من الرجال والنساء والولدان ذكر الولدان
تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ولان المستضعفين
كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل
قوم يونس عليه السلام وعن ابن عباس رضي الله عنه كنت انا وامي من المستضعفين من النساء
والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم اهلها الظالم وصف للقرية الا انه
مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم
اهلها واجعل لنا من لدنك وليا يتولى امرنا ويستنقذنا من اعدائنا واجعل لنا من لدنك نصيرا
ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم
الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم احسن التولي
ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل عتاب بن اسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس

كان

كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة ثم رغب الله المؤمنين بانهم يقاتلون في سبيل الله والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان اي الكفار ان كيد الشيطان
اي وساوسه وقيل الكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال كان ضعيفا لانه غرور لا يؤول الى محصول
او كيده في مقابلة نصر الله ضعيف كان المسلمون مكفوفين عن القتال مع الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون
ان يؤذن لهم فيه فنزل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة فلما كتب عليهم القتال اي فرض بالمدينة اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخافون
ان يقاتلهم الكفار كما يخافون ان ينزل الله عليهم بأسه لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن
الاخطار بالارواح وخوفا من الموت قال الشيخ ابو منصور رحمه الله من خشية طبع لان ذلك
منهم كراهة لحكم الله وامره اعتقادا فالمرء مجبول على كراهة ما فيه خوف هلاكه غالبا وخشية الله
اضافة المصدر الى المفعول ومحله النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية
الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية هو معطوف على الحال اي او اشد خشية من اهل خشية
الله واو للتخيير اي ان قلت خشيتهم الناس كخشية الله فانت مصيب وان قلت انها اشد فانت مصيب
لانه حصل لهم مثلها وزيادة وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب هلا
امهلتنا الى الموت فنموت على الفرش وهو سؤال عن وجه الحكمة في فرض القتال عليهم لا اعتراض
لحكمه بدليل انهم لم يوبخوا على هذا السؤال بل اجيبوا بقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى متاع
الدنيا قليل زائل ومتاع الآخرة كثير دائم والكثير اذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل الزائل
ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتل فلا ترغبوا عنه وبالياء مكي
وحمزة وعلي ثم اخبر ان الحذر لا ينجي من القدر بقوله اينما تكونوا يدرككم الموت ما زائدة لتاكيد معنى الشرط
في اين ولو كنتم في بروج حصون او قصور مشيدة مرفعة وان تصبهم حسنة نعمة من خصب
ورخاء يقولوا هذه من عند الله نسبوها الى الله وان تصبهم سيئة بلية من قحط وشدة يقولوا هذه
من عندك اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشؤمك وذلك اي المنافقين واليهود
كانوا اذا اصابهم خير حمدوا الله واذا اصابهم مكروه نسبوه الى محمد عليه السلام فكذبهم الله بقوله
قل كل من عند الله والمضاف اليه محذوف اي كل ذلك فهو يبسط الارزاق ويقبضها فمال هؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون يفهمون حديثا فيعلموا ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك
صادر عن حكمة ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما وقال الزجاج المخاطب النبي عليه السلام والمراد
غيره من حسنة من نعمة الله واحسان فمن الله تفضلا منه وامتنانا وما اصابك من سيئة من بلية
ومصيبة فمن نفسك فمن عندك اي فبما كسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم واذ

للناس رسولا لا مقدرا حتى تنسبوا اليك السيئة او ارسلناك للناس رسولا فاليك تبليغ الرسالة وليس اليك الحسنة والسيئة وكفى بالله شهيدا بانك رسوله وقيل انه متصل بالاول اى لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك وتحول العتز للحسنة والسيئة فى الآية النازلة على الطاعة والمعصية تسيف بين وقد نادى عليه ما اصابك اذ يقال فى الافعال ما اصبت ولانهم لا يقولون الحسنات من الله خلقا وايجادا فانى يكون لهم حجة فى ذلك وتشهد بتمييز من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روى انه يقول من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم ويقولون ويقول المنافقون اذا امرتهم بشئ طاعة خبر مبتدا محذوف اى امرنا وشاننا طاعة فاذا برزوا خرجوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول زورت وسوت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وقرأ ابو عمرو وحمزة بالادغام لقربهما فى المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته فى صحائفهم للمجازاة او فى جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله فى الامور كلها سيما فى شانهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم وكفى بالله وكيلا يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتاملون فى معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر فى ادبار الشئ ولو كان من عند غير الله اى ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره هاهنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض فى الحكم بل لاختلاف الاحوال فى الحكم والمصالح

او المنافقون كانوا اذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله عليه السلام من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به افشوه وكانت اذاعتهم مفسدة يقال اذاع السر واذاع به والضمير يعود الى الامر او الى الامن او الخوف لان او يقتضى احدهما ولو ردوه اى ذلك الخبر الى الرسول اى رسول الله والى اولى الامر منهم يعنى كبار الصحابة البصراء بالامور والذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها وقيل كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اولى الامر امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او خوف واستشعار فيذيعونه فيبلغ الاعداء فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه والنبط الماء يخرج من البئر اول ما يحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل فى سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود وقيل دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وحرض المؤمنين وما عليك فى شانهم الا التحريض على القتال عسى الله ان يكف باس الذين كفروا يعنى قريشا وقد كف باسهم بالرعب فلم يخرجوا وعسى كلمة مطمعة غير ان اطماع الكريم اعود من انجاز اللئيم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة هى الشفاعة فى دفع شر او جلب نفع مع جوازه شرعا يكن له نصيب منها من ثواب الشفاعة ومن يشفع شفاعة سيئة هى خلاف الشفاعة الحسنة قال ابن عباس رضى الله عنهما ما لها خير غير معنا من امن بالتوحيد وقاتل اهل الكفر وضد اى من امر الكفر وقاتل اهل الاسلام وقال الحسن هو المشى بالصلح وضده النميمة يكن له كفل نصيب منها وكان الله على كل شئ مقيتا مقتدرا من اقات على الشئ اذا قدر عليه او حفيظا من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها اى سلم عليكم فان التحية فى ديننا بالسلام فى الدارين فسلموا على انفسكم تحية من عند الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وكانت العرب تقول عند اللقاء حياك الله

اى اطال الله حياتك فابدل ذلك بعد الاسلام بالسلام بتحية من تفعلة من حيي وإذا حييتم بتحية
فحيوا باحسن منها اى قولوا وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيدوا وبركاته
اذا قال ورحمة الله ويقال لكل شيء منتهى ومنتهى السلام وبركاته او ردوها اى اجيبوها بمثلها
ورد السلام جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم وفيه حذف مضاف اى ردوا مثلها والتسليم
سنة والرد فرض والاحسن فضل وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون
عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن
جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف رحمه الله لا
يسلم على لاعب الشطرنج والنرد والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر
في حمام او غيره ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته والماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب
الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وقيل باحسن
منها لاهل الملة او ردوها لاهل الذمة وعن النبي عليه السلام اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا و
عليكم اى وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وقوله عليه السلام لا غرار في تسليم
اى لا يقال عليك بل عليكم لان كاتبيه معه ان الله كان على كل شيء حسيبا اى
يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها الله مبتدا لا اله الا هو خبره او اعتراض والخبر ليجمعنكم
الى يوم القيامة اى ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم
للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين لا ريب فيه هو حال من يوم القيامة والهاء يعود الى اليوم
او صفة لمصدر محذوف اى جمعا لا ريب فيه والهاء يعود الى الجمع ومن اصدق من الله حديثا تمييز وهو
استفهام بمعنى النفي اى لا احد اصدق منه في اخباره ووعده ووعيده لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه
اخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فما لكم مبتدا وخبره في المنافقين فئتين اى ما لكم اختلفتم في شان
قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيهم فرقتين وما لكم لم تقطعوا القول بكفرهم وذلك ان قوما من المنافقين
استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا
راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون
وفئتين حال كقولك ما لك قائما قال سيبويه اذا قلت ما لك قائما فمعناه لم قمت ونصبه على تاويل
اى شيء يستقر لك في هذا الحال والله اركسهم ردهم الى حكم الكفار بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين فردوهم
ايضا ولا تختلفوا في كفرهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله الله ضالا
او اتريدون ان تسموهم مهتدين وقد اظهر الله ضلالهم فيكون تعييرا لمن سماهم مهتدين والآية تدل على
مذهبنا في اثبات الكسب للعبد والخلق للرب جلت قدرته ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا

طريقا الى الهداية ودوا لو تكفرون كما كفروا والكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اى ودوا
لو تكفرون كفرا مثل كفرهم فتكونون عطف على تكفرون سواء اى مستوين انتم وهم في الكفر فلا تتخذوا
منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا لان الهجرة في سبيل الله بعد الاسلام فان تولوا
عن الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كما كان حكم سائر المشركين ولا تتخذوا منهم وليا ولا
نصيرا وان بذلوا الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون الى قوم اى ينتهون اليهم ويتصلون بهم
والاستثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم دون الموالاة بينكم وبينهم ميثاق القوم هم الاسلميون كان
بينهم وبين رسول الله عليه السلام عهد وذلك انه وادع قبل خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان
لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال اى فاقتلوهم
الا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤوكم عطف على صفة قوم اى الا الذين يصلون الى قوم معاهدين
او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين اى الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين
لا يقاتلونكم حصرت صدورهم حال باضمار قد والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان
يقاتلوكم اى عن قتالكم او يقاتلوا قومهم معكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بتقوية قلوبهم وازالة
الحصر عنها فلقاتلوكم عطف على لسلطهم ودخول اللام للتاكيد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم
فلم يقاتلوكم لم يتعرضوا لكم بقتالكم والقوا اليكم السلم اى الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
طريقا الى القتال ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم بالنفاق ويامنوا قومهم بالوفاق هم قوم
من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا
ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا
فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو فان لم يعتزلوكم فان لم يعتزلوا قتالكم ويلقوا اليكم السلم
عطف على لم يعتزلوكم اى ولم ينقادوا لكم بطلب الصلح ويكفوا ايديهم عطف عليه ايضا
اى ولم يمسكوا عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم وظفرتم بهم و
اولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف
حالهم في الكفر والغدر واضرارهم بالمسلمين او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم
وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص اي ليس المؤمن
كالكافر الذي تقدم في اباحة دمه الا خطأ الا على وجه الخطأ ويحتمل ان يكون صفة لمصدر اي الا قتلا
خطأ والمعنى ان من شان المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد خطأ
من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرى شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم ومن قتل
مؤمنا خطأ صفة مصدر محذوف اى قتلا خطأ فتحرير رقبة مبتدا والخبر محذوف

اى فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم فى الاحرار كما ان اللوم
فى العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرامها والرقبة النسمة ويعبر عنها بالراس فى قولهم
فلان يملك كذا راسا من الرقيق مؤمنة قيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان
يدخل نفسا مثلها فى جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ملحق بالاموات
اذ الرق اثر من آثار الكفر والكفر موت حكما او من كان ميتا فاحييناه ولهذا منع من تصرف
الاحرار وهذا مشكل اذ لو كان كذلك لوجب فى العمد ايضا لكن يحتمل ان يقال انما وجبت
عليه ذلك لان الله تعالى ابقى للقاتل نفسا مؤمنة حيث لم يوجب القصاص فاوجب عليه مثلها
رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين
سائر التركة فى كل شئ فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهى لبيت المال وقد ورث
رسول الله عليه السلام امراة اشيم الضبابى من عقل زوجها اشيم لكن الدية على العاقلة والكفارة
على القاتل الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية اى يعفوا عنه والتقدير فعليه دية فى كل حال
الا فى حال التصدق عليه بها فان كان من قوم عدو لكم فان كان المقتول خطأ من قوم اعداء لكم
اى كفرة فالعدو يطلق على الجمع وهو مؤمن اى المقتول المؤمن فتحرير رقبة مؤمنة يعنى اذا اسلم الحربى
فى دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم خطأ تجب الكفارة بقتله للعصمة المؤثمة وهو الاسلام ولا تجب
الدية لان العصمة المقومة بالدار ولم توجد وان كان اى المقتول من قوم بينكم وبين المسلمين وبينهم
ميثاق عهد فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اى وان كان المقتول ذميا فحكمه حكم المسلم
وفيه دليل على ان دية الذمى كدية المسلم وهو قولنا فمن لم يجد رقبة اى لم يملكها ولا ما يتوصل به
اليها فصيام شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه
اذا قبل توبته يعنى شرع ذلك توبة منه او فليتب توبة فهى نصب على المصدر وكان الله عليما بحاله
حكيما فيما قدر ومن يقتل مؤمنا متعمدا حال من ضمير القاتل اى قاصدا قتله لايمانه وهو كفر او قتله مستحلا
لقتله وهو كفر ايضا فجزاؤه جهنم خالدا فيها اى ان جازاه قال عليه السلام هى جزاؤه ان جازاه
والخلود قد يراد به طول المقام وقول المعتزلة بالخروج من الايمان يخالف قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى وغضب الله عليه ولعنه اى انتقم منه وطرده من رحمته و
اعد له عذابا عظيما لارتكابه امرا عظيما وخطبا جسيما فى الحديث لزوال الدنيا اهون على
الله من قتل امرئ مسلم يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله سرتم فى طريق الغزو فتبينوا
فتثبتوا حمزة وعلى وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اى اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام السلم مدنى وشامى وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل

السلم هو الذى هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا فى موضع النصب بالقول روى ان مرداس بن
نهيك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا وبقى
مرداس لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى منعرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا
وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد
واستاق غنمه فاخبروا رسول الله فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه
ثم قرا الآية على اسامة تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون الغنيمة التى هى حطام سريع
النفاد فهو الذى يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه والعرض
المال سمى به لسرعة فنائه وتبتغون حال من ضمير الفاعل فى تقولوا فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها
تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتاخذوا ماله كذلك كنتم من قبل
اول ما دخلتم فى الاسلام تفوهتم بكلمتى الشهادة فحصنت دماؤكم واموالكم من غير
انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم والكاف فى كذلك خبر كان وقد تقدم عليها وعلى
اسمها فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان فافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل بكم
فتبينوا كرر الامر بالتبيين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا فى
القتل وكونوا محترزين محتاطين فى ذلك لا يستوى القاعدون عن الجهاد من المؤمنين غير اولى
الضرر بالنصب مدنى وشامى وعلى لانه استثناء من القاعدين او حال منهم وبالجر عن حمزة صفة
للمؤمنين وبالرفع غيرهم صفة للقاعدون والضرر المرض والعاهة من عمى او عرج او
زمانة او نحوها والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم عطف على القاعدون
ونفى التساوى بين المجاهد والقاعد بغير عذر وان كان معلوما توبيخا للقاعد عن الجهاد
وتحريكا له عليه ونحوه هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهو تحريك لطلب العلم
وتوبيخ على الرضا بالجهل فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين ذكر
هذه الجملة بيانا للجملة الاولى موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم
لا يستوون فاجيب بذلك درجة نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل
فضلهم تفضيلة كقولك ضربه سوطا ونصب وكلا اى وكل فريق من القاعدين والمجاهدين
لانه مفعول اول لقوله وعد الله والثانى الحسنى اى المثوبة الحسنى وهى الجنة وان كان المجاهدون
مفضلين على القاعدين درجة وفضل الله المجاهدين على القاعدين بغير عذر اجرا عظيما درجات
منه ومغفرة ورحمة نصب اجرا بفضل لانه فى معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة و
رحمة بدل من اجرا او انتصب درجات نصب درجة كانه قيل فضلهم تفضيلات كقوله

ونصبا اسوا ظا اى ضربات واجرا عظيما على انه حال من النكرة التى هى درجات مقدمة عليها
ومغفرة ورحمة باضمار فعلهما اى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة وحاصله ان الله فضل المجاهدين
على القاعدين بعذر درجة وعلى القاعدين بغير عذر بامر النبى صلى الله عليه وسلم اكتفاء بغيرهم درجات
لان الجهاد فرض كفاية وكان الله غفورا بتكفير العذر رحيما بتوفير الاجر ونزل فيمن اسلم
ولم يهاجر حين كانت الهجرة فريضة وخرج مع المشركين الى بدر مرتدا فقتل كافرا ان الذين توفيهم
الملائكة يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرا توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفيهم حذفت التاء الثانية
لاجتماع التائين والتوفى قبض الروح والملائكة ملك الموت واعوانه ظالمى انفسهم حال من ضمير المفعول
فى توفيهم اى فى حال ظلمهم انفسهم بالكفر وترك الهجرة قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم اى فى اى شئ كنتم
من امر دينكم ومعناه التوبيخ بانهم لم يكونوا فى شئ من الدين قالوا كنا مستضعفين عاجزين
عن الهجرة فى الارض ارض مكة فاخرجونا كارهين قالوا اى الملائكة موبخين لهم الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اراد وانكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التى
لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصب فتهاجروا على جواب
الاستفهام فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا خبران فاولئك ودخول الفاء لما فى الذين
من الابهام المشابه بالشرط او قالوا فيم كنتم والعائد محذوف اى قالوا لهم والآية تدل على ان
من لم يتمكن من اقامة دينه فى بلد كما يجب وعلم انه يتمكن من اقامته فى غيره حقت عليه المهاجرة وفى
الحديث من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق
ابيه ابراهيم ونبيه محمد الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء من اهل الوعيد
المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة فى الخروج منها لفقرهم وعجزهم ولا يهتدون سبيلا
ولا معرفتهم بالمسالك ولا يستطيعون صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان
وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس بشئ بعينه
كقوله ولقد امر على اللئيم يسبنى فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وعسى وان كان للاطماع فهو من
الله واجب لان الكريم اذا اطمع انجز وكان الله عفوا غفورا لعباده فبل ان يخلقهم ومن
يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اى يفارقهم على رغم
انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل
اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك كثيرا وسعة فى الرزق او فى اظهار الدين
او فى الصدر لتبدل الخوف بالامن ومن يخرج من بيته مهاجرا حال من الضمير فى يخرج الى الله ورسوله
الى حيث امر الله ورسوله ثم يدركه الموت قبل بلوغه مهاجره وهو عطف على يخرج فقد وقع

اجره على الله اى حصل له الاجر بوعد الله وهو تاكيد للوعد فلا شئ يجب على الله لاحد من خلقه
وكان الله غفورا رحيما قالوا كل هجرة لطلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة او
زهدا او ابتغاء رزق طيب فهى هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت فى طريقه فقد وقع اجره على الله
واذا ضربتم فى الارض سافرتم فيها فالضرب فى الارض هو السفر فليس عليكم جناح حرج ان تقصروا
فى ان تقصروا من الصلوة من اعداد الركعات الصلوة فتصلوا الرباعية ركعتين وظاهر الآية يقتضى
ان القصر رخصة فى السفر والاكمال عزيمة كما قال الشافعى رحمه الله لان لا جناح يستعمل فى موضع التخيير
والرخصة لا فى موضع العزيمة وقلنا القصر عزيمة غير رخصة ولا يجوز الاكمال لقول عمر رضى الله عنه
صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم واما الآية فكانهم الفوا الاتمام فكان مظنة لان
يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم ويطمئنوا اليه
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان خشيتم ان يقصدكم الكفار بقتل او جرح او اخذ
والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص وعند الجمهور ليس بشرط لما روى عن
يعلى بن امية انه قال لعمر ما بالنا نقصر وقد امنا فقال عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله
عليه السلام عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على انه لا يجوز
الاكمال فى السفر لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد وان كان المتصدق
ممن لا يلزم طاعته كولى القصاص اذا عفا فمن يلزم طاعته اولى ولان حالهم عند نزول الآية كذلك
فنزلت على وفق الحال وهو كقوله ان اردن تحصنا دليله قراءة عبد الله من الصلوة ان يفتنكم اى لان
لا يفتنكم على ان المراد بالآية قصر الاحوال وهو ان يومى على الدابة عند الخوف او يخفف القراءة والركوع
والسجود والتسبيح كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الكافرين كانوا لكم عدوا
مبينا فتحرزوا عنهم واذا كنت يا محمد فيهم فى اصحابك فاقمت لهم الصلوة فاردت ان تقيم
بهم الصلوة وبظاهره تعلق ابو يوسف رحمه الله فلا يرى صلوة الخوف بعده عليه السلام
وقالا الائمة نواب عن رسول الله عليه السلام فى كل عصر فكان الخطاب له متناولا لكل امام
كقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة دليله فعل الصحابة رضى الله عنهم بعده عليه السلام فلتقم طائفة
منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك فصل بهم وتقوم طائفة تجاه العدو وليأخذوا
اسلحتهم اى الذين تجاه العدو عن ابن عباس رضى الله عنهما وان كان المراد به المصلين فقالوا يأخذون
من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما فاذا سجدوا اى فيدخل ركعتهم بسجدتين
السجود على ظاهره عندنا وعند مالك رحمه الله بمعنى الصلوة فليكونوا من ورائكم اى اذا صلت
من الطائفة التى معك ركعة فليرجعوا ليقفوا بازاء العدو ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فى موضع

رفع صفة لطائفة فليصلوا معك اى وليحضر الطائفة الواقفة بازاء العدو فليصلوا معك الركعة الثانية
وليأخذوا حذرهم ما يتحرزون به من العدو كالدرع ونحوه واسلحتهم جمع سلاح وهو ما يقاتل به
واخذ السلاح شرط عند الشافعي رحمه الله وعندنا مستحب وكيفية صلوة الخوف معروفة ود الذين
كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم اى تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيميلون عليكم ميلة
واحدة فيشدون عليكم شدة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى
من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم رخص
لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض
وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا
اخبر انه يهين عدوهم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم
وانما هو تعبد من الله تعالى فاذا قضيتم الصلوة فرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم
اى دوموا على ذكر الله في جميع الاحوال او فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما ان قدرتم عليه وقعودا
ان عجزتم عن القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود فاذا اطمأننتم سكنتم بزوال الخوف فاقيموا الصلوة
فأتوا بها بطائفة واحدة او اذا قمتم فاتموا ولا تقصروا او اذا اطمأننتم بالصحة فاتموا بالقيام والقعود
والركوع والسجود ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا مكتوبا محدودا باوقات
معلومة ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض به
لهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون
من الله ما لا يرجون اى ليس ما تجدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم بل هو مشترك بينكم
وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اجدر
منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم
في الآخرة وكان الله عليما بما يجد المؤمنون من الالم حكيما في تدبير امورهم روى
ان طعمة بن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق
فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع
عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى
اليهودي فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك صاحبنا
وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزل انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق اى محقا لتحكم بين الناس بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وقال الشيخ

ابو

ابو منصور رحمه الله بما الهمك الله بالنظر في الاصول المنزلة وفيه دليل جواز الاجتهاد في حقه ولا تكن للخائنين
لاجل الخائنين خصيما مخاصما اى ولا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا
رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية جعلت معصية العصاة خيانة
منهم لانفسهم لان الضرر راجع اليهم والمراد به طعمة ومن عاونه من قومه وهم يعلمون انه سارق او ذكر بلفظ
الجمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما وانما قيل بلفظ المبالغة لانه تعالى
عالم من طعمة انه مفرط في الخيانة وركوب المأثم وروى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة
ليسرق اهله فسقط عليه الحائط فقتله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات
وعن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه
فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من
ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف
من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم انهم
في حضرته لا سترة ولا غيبة اذ يبيتون يدبرون واصله ان يكون ليلا ما لا يرضى من القول وهو تدبير
طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف انه لم يسرقها وهو دليل على ان الكلام هو
المعنى القائم بالنفس حيث سمى التدبير قولا وكان الله بما يعملون محيطا عالما علم احاطة ها انتم هؤلاء
ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر جادلتم خاصمتم وهي جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كقولك
لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك او اولاء اسم موصول بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا
انكم خاصمتم عنهم عن طعمة وقومه في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة فمن يخاصم عنهم
في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرئ عنه اى عن طعمة ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من
باس الله وعذابه ومن يعمل سوءا ذنبا دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك او سوءا قبيحا يتعدى ضرره
الى الغير كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب ثم يستغفر الله
بسؤال المغفرة يجد الله غفورا رحيما وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ومن يكسب
اثما فانما يكسبه على نفسه لان وباله عليها وكان الله عليما حكيما فلا يعاقب بالذنب غير فاعله ومن يكسب
خطيئة صغيرة او اثما او كبيرة او الاول ذنب بينه وبين ربه والثاني ذنب من مظالم العباد ثم
يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا كذبا عظيما واثما مبينا ذنبا ظاهرا وهذا لانه
بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الامرين والبهتان كذب يبهت من
قيل عليه ما لا علم له به ولولا فضل الله عليك ورحمته اى عصمته ولطفه من الاطلاع على سرهم
لهمت طائفة منهم من بني ظفر والمراد بالطائفة بنو ظفر او منهم يعود الى الناس ان يضلوك عن القضاء

بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني صاحبهم وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك
من شيء فانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله
عليك الكتاب والحكمة القرآن والسنة وعلمك ما لم تكن تعلم من امور الدين والشرائع او من خفيات
وضمائر القلوب وكان فضل الله عليك عظيما بما علمك وانعم عليك لا خير في
كثير من نجواهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر او هو مجرور بدل من كثير
او من نجواهم او منصوب على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير او معروف
اي قرض او اغاثة ملهوف او كل جميل والمراد بالصدقة الزكاة وبالمعروف التطوع او اصلاح
بين الناس اي اصلاح ذات البين ومن يفعل ذلك المذكور ابتغاء مرضات الله طلب
رضى الله وخرج عنه من فعل ذلك رياء او سمعة وهو مفعول له والاشكال انه قال الا من امر
ثم قال ومن يفعل ذلك والجواب انه ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الامر به
في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد
بالاجر العظيم او المراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل فسوف نؤتيه اجرا عظيما
يؤتيه ابو عمرو وحمزة ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ومن يخالف الرسول
من بعد وضوح الدليل وظهور الرشد ويتبع غير سبيل المؤمنين اي السبيل الذي هم عليه
من الدين الحنيفي وهو دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز مخالفة الكتاب
والسنة لان الله تعالى جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل
جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله
واليا لما تولى من الضلال وندعه وما اختار في الدنيا ونصله جهنم في العقبى وساءت
مصيرا قيل نزلت في طعمة وارتداده ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
مر تفسيره مثل السورة ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الصواب ان يدعون من دونه
ما يعبدون من دون الله الا اناثا اي اللات والعزى ومناة ولم يكن حي من احياء العرب
الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله
وان يدعون يعبدون الا شيطانا لانه الذي اغراهم على عبادة الاصنام فاطاعوه فجعلت
طاعتهم له عبادة مريدا خارجا عن الطاعة عاريا عن الخير ومنه الامرد لعنه الله وقال لاتخذن
صفتان لشيطان مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع من عبادك نصيبا مفروضا
مقطوعا واجبا لي من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد لله ولاضلنهم بالدعاء الى الضلالة
والتزيين والوسوسة ولو كان انفاذ الضلالة اليه لاضل الكل ولامنينهم ولالقين في قلوبهم

الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يبتكن القطع و
التبتيك للتكثير والتكرير اي لاحملنهم على ان يقطعوا آذان الانعام وكانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت
خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ولآمرنهم فليغيرن خلق الله
بفقء عين الحامي واعفائه عن الركوب او بالخصاء وهو مباح في البهائم محظور في بني آدم او بالوشم
او بنفي الانساب واستلحاقها او بتغيير الشيب بالسواد او بالتحريم والتحليل او بالتخنث او بتبديل
فطرة الله التي هي دين الاسلام لقوله لا تبديل لخلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله واجاب
الى ما دعاه اليه فقد خسر خسرانا مبينا في الدارين يعدهم يوسوسهم ان لا جنة ولا نار ولا بعث
ولا حساب ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو ان يري شيئا يظهر خلافه اولئك
ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولم يتبعوا
الشيطان في الامر بالكفر سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله سندخلهم
وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا وهو
استفهام بمعنى النفي اي لا احد اصدق منه وهو تاكيد ثالث وفائدته من التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان
الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ليس بامانيكم اي ليس الامر على شهواتكم وامانيكم ايها المشركون
ان ينفعكم الاصنام ولا اماني اهل الكتاب ولا على شهوات اليهود والنصارى حيث قالوا نحن
ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة من يعمل سوءا يجز به اي من المشركين واهل الكتاب بدليل
قوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وهذا وعيد للكفار ولانه قال بعده ومن يعمل من الصالحات
من ذكر او انثى وهو مؤمن فهو مؤمن حال ومن الاولى للتبعيض والثانية لبيان الابهام ومن يعمل
وفيه اشارة الى ان الاعمال ليست من الايمان فاولئك يدخلون الجنة يدخلون ابن كثير وابو عمرو وابو بكر
ولا يظلمون نقيرا قدر النقير وهو النقرة في ظهر النواة والراجع في لا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات
جميعا وجاز ان يكون ذكره عند احد الفريقين دليلا على ذكره عند الآخر وقوله من يعمل سوءا يجز به وقوله
ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني اهل الكتاب كقوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله
والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة ومن احسن دينا
ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا تعرف لها ربا ومعبودا سواه وهو محسن عامل
الحسنات واتبع ملة ابراهيم حنيفا مائلا عن الاديان الباطلة وهو حال من المتبع او من ابراهيم واتخذ الله
ابراهيم خليلا واختصاصه وهو في الاصل الخال وهو الذي تخالك اي يوافقك في خلالك او يداخلك
خلال منازلك او يسد خللك كما تسد خلله فالخلة صفاء مودة توجب الاختصاص بتخلل الاسرار
والمحبة اصولها من حبة القلب ومن جعله اعتراضية لا محل لها من الاعراب كقوله والحوادث

جة وفايدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان
جديرا بان يتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على ما قبلها لم يكن لها معنى وفي الحديث اتخذ الله
ابراهيم خليلا لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلوته بالليل والناس نيام وقيل اوحي اليه
انما اتخذتك خليلا لانك تحب ان تعطي ولا تعطى وفي رواية لانك تعطي الناس ولا تسالهم وفي
قوله ولله ما في السموات وما في الارض دليل على اتخاذه خليلا لاحتياج الخليل اليه لا لاحتياج
منه لانه منزه عن ذلك وكان الله بكل شيء محيطا علما ويستفتونك في النساء وسالونك
الافتاء في النساء والافتاء تبيين المبهم قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء
الا الله يفتيكم والمتلو في الكتاب اي القرآن في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم ان لا تقسطوا
في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه وما يتلى في محل الرفع بالعطف على الضمير في يفتيكم
او على لفظ الله وفي يتامى النساء صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء
بدلا من فيهن والاضافة بمعنى من اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن ما فرض لهن من الميراث وكان
الرجل يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها
عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن لجمالهن او عن
ان تنكحوهن لدمامتهن والمستضعفين من الولدان اي اليتامى وهو مجرور معطوف على
يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء وان
تقوموا لليتامى مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي
ان تقوموا وهو خطاب للايمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم بالقسط بالعدل
في ميراثهم ومالهم وما تفعلوا من خير شرط جوابه فان الله كان به عليما
اي فيجازيكم عليه وان امراة خافت من بعلها نشوزا توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله
وامارته والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته وان يؤذيها بسب وضرب او اعراضا
عنها بان يقلل مجالستها ومحادثتها بسبب كبر سن او دمامة او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح
عين الى اخرى او غير ذلك فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا غيرهم اي يتصالحا وهو
اصله فابدلت التاء صادا وادغمت صلحا في معنى مصدر كل واحد من الفعلين ومعنى الصلح
ان يتصالحا على ان تطيب له نفسها عن القسمة او عن بعضها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة
والصلح خير من الفرقة او من النشوز او من الخصومة في كل شيء او الصلح خير من الخيور كما
ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح اي جعل الشح
حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والمراد ان المراة لا تكاد تسمح نفسها

بقسمها والرجل لا يكاد نفسه تسمح بان يقسم لها اذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب ما فيه راحته وحظه
يتعدى الى مفعولين والاول الانفس ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة الشرع بقوله وان تحسنوا
بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة
وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون
من الاحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم عليه وكان عمران الخارجي من اذم بني آدم وامراته من اجملهم فنظرت
اليه وقالت الحمد لله على انني واياك من اهل الجنة قال كيف فقالت لانك رزقت مثلي فشكرت
ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعودة للشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة فتمام العدل ان يسوى
بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة وغيرها وقيل ان تعدلوا
في المحبة وكان عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما
تملك ولا املك يعني المحبة لان عايشة رضي الله عنها كانت احب اليه ولو حرصتم بالغتم في تحري
ذلك فلا تميلوا كل الميل ولا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها
يعني ان اجتناب كل الميل في حد اليسر فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب
من التوبيخ وكل نصب على المصدر لان حكمه حكم ما يضاف اليه فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست
بذات بعل ولا مطلقة وان تصلحوا بينهن وتتقوا الجور فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم
ميل قلوبكم ويرحمكم فلا يعاقبكم وان يتفرقا اي ان لم يصطلح الزوجان على شيء وتفرقا بالخلع او تطليقه
اياها وايفائه مهرها ونفقة عدتها يغن الله كلا كل واحد منهما من سعته من غناه اي يرزقه
زوجا خيرا من زوجه وعيشا امنا من عيشه وكان الله واسعا بتحليل النكاح حكيما بالاذن
في السراح فالسعة الغنى والقدرة والواسع الغني المقتدر ثم بين غناه وقدرته بقوله ولله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب هو اسم للجنس
يتناول الكتب السماوية من قبلكم من الامم السالفة وهو متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف
على الذين اوتوا ان اتقوا الله بان اتقوا وتكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول والمعنى ان هذه
وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وان
تكفروا عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله
ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا عن خلقه وعن عبادتهم حميدا مستحقا لان يحمد لكثرة
نعمه وان لم يحمده احد وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض لتقرير ما هو موجب تقواه
لان الخلق لما كان كله له وهو خالقهم ومالكهم فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي وفيه دليل

على ان التقوى اصل الخير كله وقوله وان تكفروا عقيب التقوى دليل على ان المراد الاتقاء عن الشرك
ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره ثم خوفهم
وبين قدرته بقوله ان يشا يذهبكم يعدمكم ايها الناس ويات باخرين ويوجد اناسا اخرين
مكانكم او خلقا اخرين غير الانس وكان الله على ذلك قديرا بليغ القدرة من كان يريد ثواب
الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب احدهما دون
الاخر والذي يطلبه اخسهما وكان الله سميعا للاقوال بصيرا بالافعال وهو وعد ووعيد
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء خبر بعد خبر
لله اي تقيمون شهاداتكم لوجه الله ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم والشهادة على نفسه
الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق وهذا لان الدعوى والشهادة والاقرار يشترك
جميعها في الاخبار عن حق لاحد على احد غير ان الدعوى اخبار عن حق لنفسه على الغير والاقرار
للغير على نفسه والشهادة للغير على الغير او الوالدين والاقربين اي ولو كانت الشهادة على ابائكم
وامهاتكم واقاربكم ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا
فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما والرحمة وانما ثني الضمير في بهما
وكان حقه ان يوحد لان المعنى ان يكن احد هذين لانه يرجع الى ما دل عليه قوله ان يكن
غنيا او فقيرا وهو جنس الغني والفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء
والفقراء فلا تتبعوا الهوى ارادة ان تعدلوا عن الحق من العدول او كراهة ان تعدلوا بين
الناس من العدل وان تلووا بواو واحدة وضم اللام شامي وحمزة من الولاية او تعرضوا اي
وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها عنهما تلووا بواوين وسكون اللام من اللي اي وان
تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها فان الله كان
بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا خطاب للمسلمين امنوا اثبتوا على الايمان ودوموا
عليه او لاهل الكتاب لانهم امنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض او للمنافقين اي يا ايها
الذين امنوا نفاقا امنوا اخلاصا بالله ورسوله اي محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي نزل
على رسوله اي القران والكتاب الذي انزل من قبل اي جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب
ويدل عليه قوله وكتبه نزل وانزل مكي وشامي وابو عمرو وعلى البناء للفاعل فيهما غيرهم وانما
قيل نزل على رسوله وانزل من قبل لان القران نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف
الكتب قبله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك
فقد ضل ضلالا بعيدا لان الكفر ببعضه كفر بكله ان الذين امنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا
حين

حين عبدوا العجل ثم امنوا بموسى عليه السلام بعد عوده ثم كفروا بعيسى عليه السلام ثم ازدادوا كفرا
بكفرهم بمحمد عليه السلام لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا الى النجاة او الى الجنة او هم المنافقون
امنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى وازدياد الكفر منهم ثباتهم عليه الى الموت يؤيده قوله
بشر المنافقين اي اخبرهم ووضع بشر مكانه تهكما بهم بان لهم عذابا اليما قوله الذين نصب
على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
ايبتغون عندهم العزة كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون منهم المنعة والنصرة ويقولون
لا يتم امر محمد عليه السلام فان العزة لله جميعا ولمن اعز كالنبي والمؤمنين كما قال الله تعالى ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم بفتح النون عاصم وبضمها غيره في الكتاب القران ان اذا
سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزئ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره حتى يشرعوا
في كلام غير الكفر والاستهزاء بالقران والخوض الشروع ان مخففة من المثقلة اي انه اذا
سمعتم اي نزل عليكم ان الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها
في موضع الرفع بنزل وفي موضع النصب بنزل والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله
واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين
كانوا يخوضون في ذكر القران في مجالسهم فيستهزئون به فنهي المسلمون عن القعود معهم ما داموا
خائضين فيه وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا ان يقعدوا معهم
كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة انكم اذا مثلهم اي في الوزر اذا مكثتم معهم ولم يرد به التمثيل من
كل وجه فان خوض المنافقين فيه كفر ومكثكم معهم معصية ان الله جامع المنافقين والكافرين
في جهنم جميعا لاجتماعهم في القعود والاستهزاء الذين بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين
او نصب على الذم منهم يتربصون بكم ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق فان كان
لكم فتح من الله نصر وغنيمة قالوا الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان
للكافرين نصيب سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لان امر المسلمين عظيم تفتح له ابواب
السماء وظفر الكافرين تخسيسا لحظهم لانه لمظة من الدنيا يصيبونها قالوا للكفار الم نستحوذ
عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء والغلبة ونمنعكم من
المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت قلوبهم به وتوانينا في قتالكم
وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم فالله يحكم بينكم ايها المؤمنون والمنافقون
يوم القيامة فيدخل المنافقين النار والمؤمنين الجنة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا اي في يوم القيامة بدليل اول الاية كذا عن علي رضي الله عنه او حجة كذا عن ابن عباس

رضي الله عنهما ان المنافقين يخادعون الله اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر
فالمنافق من اظهر الايمان وابطن الكفر واولياء الله هم المؤمنون فاضاف خداعهم الى نفسه تنزيلا لهم
وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في
الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في العقبى والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته
اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يجزيهم جزاء خداعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
متثاقلين كراهة اما الغفلة فقد يبتلى بها المؤمن وهو جمع كسلان كسكارى في سكران يراءون الناس
حال اي يقصدون بصلوتهم الرياء والسمعة والمراءاة مفاعلة من الرؤية لان المرائي يريهم عمله وهم يرونه
استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اي ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون
الناس او ولا يذكرون بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا نادرا قال الحسن لو كان ذلك القليل لله
لكان كثيرا مذبذبين نصب على الذم اي مرددين يعني ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان
والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب ما يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب
واحد الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب بين ذلك بين الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا منسوبين
الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى هؤلاء ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا مشركين ومن يضلل
الله فلن تجد له سبيلا طريقا الى الهدى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون
المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة في تعذيبكم ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار اي في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة
متتابعة بعضها فوق بعض وانما كان المنافق اشد عذابا من الكافر لانه امن السيف في الدنيا فاستحق
الدرك الاسفل في العقبى تعديلا ولانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله والدرك بسكون
الراء كوفي غير الاعشى وبفتح الراء غيرهم وهما لغتان وذكر الزجاج ان الاختيار فتح الراء ولن تجد لهم
نصيرا يمنعهم من العذاب الا الذين تابوا من النفاق وهو استثناء من الضمير المجرور في ولن تجد لهم
واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به
كما يثق المؤمنون المخلصون واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين فهم
اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم
فيه وحذفت الياء في الخط هنا اتباعا للفظ ثم استفهم مقررا انه لا يعذب المؤمن الشاكر فقال
ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم الله وآمنتم به فما منفعته بعقابكم اي اي شيء يفعل بعذابكم فالايمان معرفة
المنعم والشكر الاعتراف بالنعمة والكفر بالمنعم والنعمة عناد فلذا استحق الكافر العذاب وقدم
الشكر على الايمان لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا

الجزء السادس

مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكان
الله شاكرا مثيبا على شكركم او يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب عليما عالما بما تصنعون لا
يحب الله الجهر بالسوء من القول ولا غير الجهر الخفي الا من ظلم الا جهر من ظلم استثنى من الجهر
الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو السوء من القول
هو الشتم الا من ظلم فانه يرد على الشاتم مثله فلا جناح عليه ولمن انتصر بعد ظلمه وكان الله سميعا لشكوى المظلوم
عليما بظلم الظالم ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق
الجهر به حثا على الافضل وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو فقال ان تبدوا خيرا كان جهر السوء او تخفوه
فتعملوه سرا ثم عطف العفو عليهما فقال او تعفوا عن سوء اي تمحوه عن قلوبكم والدليل على ان العفو هو المقصود
بذكر ابداء الخير واخفاءه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي انه لم يزل عفوا عن الاثام مع قدرته على الانتقام
فعليكم ان تقتدوا بسنته ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود كفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام والانجيل والقرآن وكالنصارى
كفروا بمحمد عليه السلام والقرآن ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اي دينا وسطا بين الايمان
والكفر ولا واسطة بينهما اولئك هم الكافرون في الكفر لان الكفر بواحد كفر بالكل حقا تاكيد لمضمون الجملة
كقوله هذا عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين
كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه واعتدنا للكافرين عذابا مهينا في الآخرة والذين آمنوا بالله ورسله
ولم يفرقوا بين احد منهم وانما جاز دخول بين على احد لانه عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما
وجمعهما اولئك سوف نؤتيهم وبالياء حفص اجورهم اي الثواب الموعود لهم وكان الله
غفورا يستر السيئات رحيما يقبل الحسنات والآية تدل على بطلان قول المعتزلة في تخليد مرتكب
الكبيرة لانه اخبر ان من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين احد منهم يؤتيه اجره ومرتكب الكبيرة ممن آمن
بالله ورسله ولم يفرق بين احد منهم فيدخل تحت الوعد وعلى بطلان قول من لا يقول بقدم صفات
الفعل من المغفرة والرحمة لانه قال وكان الله غفورا رحيما وهم يقولون ما كان غفورا رحيما في الازل
ثم صار غفورا رحيما ولما قال فنحاص واصحابه للنبي عليه السلام ان كنت نبيا صادقا فاتنا بكتاب
من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام نزل يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم وبالتخفيف مكي
وابو عمرو كتابا من السماء اي جملة كما نزلت التوراة جملة وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت
وقال الحسن ولو سألوه مسترشدين لاعطاهم لان انزال القرآن جملة ممكن فقد سألوا موسى اكبر من ذلك
هذا جواب شرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك
وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم في ايام موسى عليه السلام وهم النقباء السبعون

لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم فقالوا أرنا الله جهرة عيانا اي أرناه
نره جهرة فأخذتهم الصاعقة العذاب الهائل او النار المحرقة بظلمهم على انفسهم بسؤال شيء في
غير موضعه او بالتحكم على نبيهم في الآيات وتعنتهم في سؤال الرؤية لا بسؤال الرؤية لانها عقد كانزال
الفلك جملة ولو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى عليه السلام احق بذلك فانه قال
رب أرني انظر اليك وما اخذته الصاعقة بل اطمعه وقيده بالممكن ولا يعلق بالممكن الا ما هو
ممكن الثبوت ثم احياهم ثم اتخذوا العجل الها من بعد ما جاءتهم البينات التوراة والمعجزات
التسع فعفونا عن ذلك تفضلا ولم نستأصلهم وآتينا موسى سلطانا مبينا حجة ظاهرة على من
خالفه ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور
مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا اي ادخلوا باب ايلياء مطأطئين عند الدخول رؤوسكم
وقلنا لهم لا تعدوا لا تجاوزوا الحد تعدّوا وورش تعدّوا باسكان العين وتشديد الدال
مدغم عن ورش وبما مدغما تعتدوا وهي قراءة له الا انه ادغم التاء في الدال وبقي العين
ساكنة في رواية بنقل فتحة التاء الى العين في السبت باخذ السمك واخذنا منهم ميثاقا غليظا
عهدا مؤكدا فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء يتعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات بتقدير
حرمنا عليهم طيبات بنقضهم ميثاقهم وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم
ميثاقهم ومعنى التوكيد تحقيق ان تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر
وقتل الانبياء وغير ذلك وكفرهم بآيات الله اي بمعجزات موسى عليه السلام وقتلهم الانبياء
كزكريا ويحيى وغيرهما بغير حق بغير سبب يستحقون القتل وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف
اي محجوبة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والوعظ بل طبع الله عليها بكفرهم سوّدها وانكار لقولهم قلوبنا
غلف فلا يؤمنون الا قليلا كعبد الله بن سلام واصحابه وبكفرهم معطوف على فبما نقضهم
او على ما يليه من قوله بكفرهم ولما تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام عطف
بعض كفرهم على بعض وقولهم على مريم بهتانا عظيما هو النسبة الى الزنى وقولهم انا قتلنا
المسيح في سبحانه ان جبريل عليه السلام مسحه بالبركة فهو ممسوح او لانه كان يمسح المريض والاكمه والابرص
فيبرأ فهو مسيح بمعنى الماسح عيسى بن مريم رسول الله ثم لم يعتقدوا رسوليته لكنهم قالوا استهزاء كقول
الكفار لرسولنا عليه السلام يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ويحتمل ان الله وصفه به وان
لم يقولوا ذلك وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه
فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ
الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره

من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم
انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى عليه السلام فلما ارادوا قتله قال
انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه السلام ورفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه
وهم يظنون انه عيسى عليه السلام وجاز هذا على قوم متعنتين حكم الله بانهم لا يؤمنون وشبه
مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه او مسند
الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه وان الذين اختلفوا فيه في عيسى
عليه السلام يعني اليهود قالوا ان الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا او اختلف النصارى فقالوا
اله وابن اله وثالث ثلاثة لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع لان
اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن وانما وصفوا بالشك وهو ان لا يترجح
احد الجانبين ثم وصفوا بالظن وهو ان يترجح احدهما لان المراد انهم شاكون ما لهم من علم
ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وقيل وان الذين اختلفوا فيه اي في قتله لفي شك منه اي
من قتله لانهم كانوا يقولون ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى
وما قتلوه اي قتلا يقينا او ما قتلوه متيقنين او ما قتلوه حقا فيجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه
اي حق انتفاء قتله حقا بل رفعه الله اليه الى المحل الذي لا حكم فيه لغير الله او الى السماء وكان الله عزيزا
في انتقامه من اليهود حكيما فيما دبر من رفعه اليه وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته
ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به
ونحو وما منا الا له مقام معلوم والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى
وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف
او الضميران لعيسى يعني وانه منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون
في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن
به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام او الضمير في به يرجع الى الله او الى محمد عليه السلام والثاني
الى الكتابي ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى
بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وهي
ما ذكر في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات
الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد قبل هذا وبصدهم عن سبيل الله وبمنعهم عن الايمان كثيرا خلقا كثيرا
او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه
واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم دون من

آمن هذا بالبياء الا خ لكن الراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون كابن سلام واضرابه منهم من اهل
الكتاب والمؤمنون اي والمؤمنون منهم او المؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على
الابتداء يؤمنون خبره بما انزل اليك اي القرآن وما انزل من قبلك اي سائر الكتب والمقيمين الصلوة
نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وفي مصحف عبد الله والمقيمون وهي قراءة مالك بن
دينار وغيره والمؤتون الزكوة مبتدأ والمؤمنون بالله واليوم الاخر عطف عليه والخبر اولئك سنؤتيهم
اجرا عظيما وبالياء حمزة انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله عليه السلام
ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء الذين
سلفوا كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده كهود وصالح وشعيب وغيرهم واوحينا الى
ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط اي اولاد يعقوب وعيسى وايوب
ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا وقرأ حمزة بضم الزاي وهو جمع زبر بمعنى مزبور نحو به الكتاب
المنزل على داود عليه السلام ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اي وارسلنا او فسره
قد قصصناهم عليك من قبل من قبل هذه السورة ورسلا لم نقصصهم عليك سأل ابو ذر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء عليهم السلام قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قال
كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر اول الرسل آدم وآخرهم نبيكم محمد واربعة من العرب هود
وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام والآية تدل على ان معرفة الرسل باعيانهم ليست بشرط
لصحة الايمان بل من شرطه ان يؤمن بهم جميعا اذ لو كان معرفة كل واحد منهم شرطا لقص
علينا كل ذلك وكلم الله موسى تكليما اي بلا واسطة رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان
ينتصب على المدح اي اعني رسلا ويجوز ان يكون بدلا من الاول وان يكون مفعولا
اي وارسلنا رسلا والحال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يتعلق بمبشرين
ومنذرين والمعنى ان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميم لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت
الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له ويعلمنا ما سبيل معرفته
السمع كالعبادات والشرائع اعني في حق مقاديرها واوقاتها وكيفياتها دون اصولها فانها
مما يعرف بالعقل وكان الله عزيزا في العقاب على الانكار حكيما في البعث للرسل
للانذار ولما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد
بما انزل اليك ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوي
بالبينات اذ الحكيم لا يؤيد الكاذب بالمعجز انزله بعلمه اي انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك
وانك مبلغه او انزله بما علم من مصالح العباد وفيه نفي قول المعتزلة في انكار الصفات فانه

اثبت لنفسه العلم والملائكة يشهدون ايضا بالنبوة وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك وان لم يشهد غيره ان الذين
كفروا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود وصدوا عن سبيل الله ومنعوا الناس عن سبيل الحق
بقولهم للعرب انا لا نجده في كتابنا قد ضلوا ضلالا بعيدا عن الرشد ان الذين كفروا بالله
وظلموا محمدا بتغيير نعته وانكار نبوته لم يكن الله ليغفر لهم ما داموا على الكفر ولا ليهديهم طريقا
الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا فكان تخليدهم في جهنم سهلا عليه والتقدير
يعاقبهم خالدين فهو حال مقدرة والآيتان في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر
يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم اي بالاسلام او هو حال اي محقا فآمنوا خيرا
لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم
انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا وائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو
الايمان به والتوحيد وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض فلا يضره كفركم وكان الله عليما
بمن يؤمن وبمن يكفر حكيما لا يسوي بينهما في الجزاء يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم لا تجاوزوا الحد
فغلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حتى قالوا انه ابن زنا وغلت النصارى في رفعه عن مقداره
حيث جعلوه ابن الله ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد انما المسيح
عيسى ابن مريم لا ابن الله رسول الله خبر مبتدأ وهو المسيح وعيسى عطف بيان او بدل وكلمته
عطف على رسول الله وقيل له كلمة لانه يهتدى به كما يهتدى بالكلام القاها الى مريم حال وقد
مرادة اي اوصلها اليها وحصلها فيها وروح معطوف على الخبر ايضا وقيل له روح لانه كان يحيي
الموتى كما سمي القرآن روحا بقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لانه يحيي القلوب منه
اي بتخليقه وتكوينه كقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وبه اجاب علي
بن الحسين بن واقد غلاما نصرانيا كان للرشيد في مجلسه حيث زعم ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى
من الله فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة خبر مبتدأ محذوف اي ولا تقولوا الآلهة ثلاثة
انتهوا عن التثليث خيرا لكم والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة
آلهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله أانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله انما الله اله واحد الله مبتدأ واله خبره وواحد توكيد
سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض
بيان لتنزهه عما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه اذ البنوة
والملك لا يجتمعان على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو يتعالى عن ان يكون جسما وكفى
بالله وكيلا حافظا ومدبرا لهما ولما فيهما ومن عجز عن كفاية امر يحتاج الى ولد يعينه ولما

قال وفد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا عيسى قال وأي شيء أقول
قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله قال إنه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت لن يستنكف
المسيح أي لن يأنف أن يكون عبدا لله هو رد على النصارى ولا الملائكة رد على من يعبدهم من العرب
وهو عطف على المسيح المقربون الكروبيون الذين حول العرش كجبرئيل وميكائيل وإسرافيل
ومن في طبقتهم والمعنى ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله
عليه إيجازا وتشبث المعتزلة والقائلون بتفضيل الملك على البشر بهذه الآية وقالوا الارتقاء إنما يكون
إلى الأعلى يقال فلان لا يستنكف عن خدمتي ولا أبي ولو قال ولا عبدي لم يحسن وكان معنى قوله
ولا الملائكة المقربون ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا ويدل عليه تخصيص المقربين
والجواب أنا نسلم تفضيل الثاني على الأول ولكن هذا لا يمس ما تنازعنا فيه لأن الآية تدل على أن الملائكة
المقربين بأجمعهم أفضل من عيسى عليه السلام ونحن نسلم بأن جميع الملائكة المقربين أفضل من رسول
واحد من البشر إلى هذا ذهب بعض أهل السنة ولأن المراد أن الملائكة مع ما لهم من القدرة الفائقة
قدر البشر والعلوم اللوحية وتجردهم عن التولد الازدواجي رأسا لا يستنكفون عن عبادته
فكيف بمن تولد من آخر لا يقدر على ما يقدرون ولا يعلم ما يعلمون وهذا لأن شبهة البطلان
وسعة العلوم وغرابة التكون هي التي تورث الجهال أمثال النصارى وهم الترفع عن العبودية
حيث رأوا المسيح ولد من غير أب وهو يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى وينبئ بما يأكلون ويدخرون
في بيوتهم فرفعوه عن العبودية فقيل لهم هذه الأوصاف في الملائكة أتم منها في المسيح
ومع هذا لم يستنكفوا عن العبودية فكيف المسيح والحاصل أن خواص البشر وهم الأنبياء
عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم كجبرئيل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم
وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام
الملائكة ودليلنا على تفضيل البشر على الملك ابتداء أنهم قهروا نوازع الهوى في ذات الله
تعالى مع أنهم جبلوا عليها فضاهت الأنبياء عليهم السلام الملائكة في العصمة وفضلوا
عليهم في قهر البواعث النفسانية والدواعي الجسمانية فكانت طاعتهم أشق لكونها مع الصوارف
بخلاف طاعة الملائكة لأنهم جبلوا عليها فكانت أزيد ثوابا بالحديث ومن يستنكف
عن عبادته ويستكبر يترفع ويطلب الكبرياء فسيحشرهم إليه جميعا فيجازيهم على
استنكافهم واستكبارهم ثم فصل فقال فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم
ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا فإن قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لأن التفصيل

اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الإمام الخوارج
فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما أن يحذف ذكر
أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف أحدهما
في التفصيل في قوله بعد هذا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني
أن الإحسان إلى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب
بالحسرة إذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله يا أيها الناس قد جاءكم برهان
من ربكم أي رسول يبهر المنكر بالإعجاز وأنزلنا إليكم نورا مبينا قرآنا يستضاء به في ظلمات الحيرة
فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه الجنة وفضل زيادة النعم ويهديهم
ويرشدهم إليه إلى الله أو إلى الفضل وإلى الصراط صراطا مستقيما فصراطا حال من المضاف المحذوف
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة كان جابر بن عبد الله مريضا فعاده رسول الله عليه السلام
فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت إن امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر هلك
ليس له ولد الواقع على الصفة أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو مشترك
يقع على الذكر والأنثى لأن الابن يسقط الأخت ولا تسقطها البنت وله أخت أي لأب وأم
أو لأب فلها نصف ما ترك أي الميت وهو يرثها أي الأخ يرث الأخت جميع مالها إن قدر
الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها إن لم يكن لها ولد أي ابن لأن الابن يسقط الأخ
دون البنت فإن قلت الابن لا يسقط الأخ وحده فالأب نظيره في الإسقاط فلم اقتصر
على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة وهو قوله
عليه السلام ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى عصبة ذكر والأب أولى من الأخ فإن كانتا
اثنتين أي فإن كانت الأختان اثنتين دل على ذلك وله أخت فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا
إخوة أي وإن كان من يرث بالأخوة والمراد بالإخوة الإخوة والأخوات تغليبا لحكم
الذكورة رجالا ونساء ذكورا وإناثا فللذكر منهم مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم الحق وهو مفعول
يبين أن تضلوا كراهة أن تضلوا والله بكل شيء عليم يعلم الأشياء بكنهها قبل
كونها وبعده

سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود يقال وفى بالعهد وأوفى به والعقد العهد الموثق شبه بعقد
الحبل ونحوه وهي عقود الله تعالى التي عقدها على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف
أو ما عقد الله عليكم وما تعاقدتم بينكم والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله

ويحرم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله أحلت لكم بهيمة الانعام
والبهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي بمعنى من كخاتم فضة
ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش
ونحوها الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية غير محلي الصيد
حال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وانتم حرم حال عن محلي
الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم عن الصيد وانتم محرمون لئلا
نضيق عليكم والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام او من التحليل
والتحريم وترك نهيا عن تحليل ما حرم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله جمع شعيرة وهي اسم
ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي
هي علامات الحاج ويعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر ولا الشهر الحرام اي
شهر الحج ولا الهدي هو ما اهدي الى البيت ويتقرب به الى الله من النسائك وهي جمع هدية ولا
القلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيره ولا آمين
البيت الحرام ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان
يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون
به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد فيجوز
ان يراد بها ذوات القلائد وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص لانها اشرف الهدي
كقوله وجبريل وميكائيل كانه قيل والقلائد منها خصوصا وجاز ان ينهى عن
التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي اي ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها
كما قال تعالى ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها يبتغون
حال من الضمير في آمين فضلا من ربهم اي ثوابا ورضوانا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا
لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واذا حللتم خرجتم عن الاحرام فاصطادوا اباحة للاصطياد
بعد حظره عليهم بقوله غير محلي الصيد وانتم حرم ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد
الحرام ان تعتدوا جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو
كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه واول المفعولين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان
صدوكم متعلق بالشنآن بمعنى العلة وهو شدة البغض وبسكون النون شامي وابو بكر والمعنى
لا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه ان صدوكم على الشرط مكي وابو عمرو
ومعنى صدهم اياكم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم

الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى
على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي او البر فعل المامور والتقوى
ترك المحظور والاثم ترك المامور والعدوان فعل المحظور ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى
وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار واتقوا الله ان الله شديد العقاب
لمن عصاه وما اتقاه ثم بين ما كان اهل الجاهلية يأكلونه فقال حرمت عليكم الميتة اي البهيمة التي تموت
حتف انفها والدم اي المسفوح وهو السائل ولحم الخنزير وكله نجس وانما خص اللحم لانه المعظم
المقصود وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند
ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بالشبكة او بغيرها والموقوذة التي اثخنوها
ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل او في بئر فماتت والنطيحة المنطوحة
وهي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه ومات بجرحه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكوته
وهو يضطرب اضطراب المذبوح والاستثناء يرجع الى المنخنقة وما بعدها فانه اذا ادركها
وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلت وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول
البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ويتقربون بها اليها تسمى الانصاب واحدها نصيب او هو
جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام في موضع الرفع بالعطف على الميتة اي حرمت
عليكم الميتة وكذا وكذا والاستقسام بالازلام وهي القداح المعلمة واحدها زلم وزلم كان احدهم
اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او غير ذلك يعمد الى قداح ثلاثة على واحد منها مكتوب
امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الآمر مضى لحاجته وان خرج الناهي
امسك وان خرج الغفل اعاده فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام
قال الزجاج لا فرق بين هذا وبين قول المنجمين لا تخرج من اجل نجم كذا واخرج لطلوع نجم كذا
وفي التأويلات رد هذا وقال لا يقول المنجم ان نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا كما كان
فعل اولئك ولكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على احكام الله تعالى ويجوز ان يجعل
الله تعالى في النجوم معاني واعلاما يدرك بها الاحكام ويستخرج بها الاشياء ولا لائمة في ذلك لما
اللائمة عليه فيما يحكم على الله ويشهد عليه وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء
المعلومة ذلكم فسق اي الاستقسام بالازلام خروج على الطاعة ويحتمل ان يعود الى كل محرم في الآية
اليوم ظرف ليئس ولم يرد به يوم بعينه وانما معناه الآن وهذا كما تقول انا اليوم قد كبرت
تريد الآن وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة
الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه او يئسوا من دينكم

امروز نومید شدند

ان يغلبوه لان الله تعالى وفى بوعده من اظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال
الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين بعدما كانوا غالبين واخشون بغير ياء في الوصل والوقف
اي اخلصوا لي الخشية اليوم ظرف لقوله اكملت لكم دينكم بان كفيتكم خوف عدوكم واظهرتكم عليهم
كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك اي كفينا من كنا نخافه او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم
من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على شرائع الاسلام وقوانين القياس واتممت عليكم نعمتي بفتح
مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم ورضيت لكم الاسلام دينا اخترته
اي اخترته لكم من بين الاديان واذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذا ما بعده لان التحريم من
الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر
الى الميتة او الى غيرها في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ولا متجاوز سد الرمق فان الله
غفور لا يواخذه بذلك رحيم باباحة المحظور للمعذور يسالونك في السوال معنى القول فلذا وقع
بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية
لما قالوا لان يسالونك بلفظ الغيبة كقولك اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا
وماذا مبتدا واحل لهم خبره كقولك اي شي احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم
كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات الماكل سالوا عما احل لهم فقال قل احل لكم الطيبات
اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات تحريمه في كتاب او سنة او اجماع او قياس وما علمتم عطف
على الطيبات ان احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او مبتدا وما شرطية وجوابها
فكلوا من الجوارح الكواسب للصيد من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والعقاب والصقر
والبازي والشاهين وقيل من الجراحة فيشترط الجرح مكلبين حال من علمتم وفائدتها
للحال مع انه استغنى عنها بعلمتم ان يكون من يعلم الجوارح موصوفا بالتكليب والمكلب مؤدب
الجوارح ومضريها مشتق من الكلب لان التاديب في الكلاب اكثر فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه
او لان السبع يسمى كلبا ومنه الحديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد تعلمونهن حال
او استيناف ولا موضع له وفيه دليل على ان على كل آخذ علما ان لا ياخذ الا من اقتلهم دراية
فلم من اخذه عن غير متقن فقد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما علمكم الله من التكليب
فكلوا مما امسكن عليكم الامساك على صاحبه ان لا ياكل منه فان اكل منه لم يوكل اذا كان صيد كلب
ونحوه فاما صيد البازي ونحوه فاكله لا يحرمه وقد عرف ذلك موضعه في الفقه واذكروا اسم الله عليه
يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله

واتقوا الله واحذروا مخالفته امره في هذا كله ان الله سريع الحساب انه يحاسبكم على افعالكم ولا يهمل فيلبث
اليوم احل لكم الطيبات كرره تاكيدا للمنة وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اي ذبائحهم لان سائر الاطعمة
لا يختص حلها بالملة وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ
لهم اطعامهم والمحصنات من المؤمنات اي الحرائر او العفائف وليس هذا بشرط لصحة النكاح بل هو
للاستحباب لانه يصح نكاح الاماء من المسلمات ونكاح غير العفائف وتخصيصهن بعث على تخير
المؤمنين لنطفهم وهو معطوف على الطيبات او مبتدا والخبر محذوف اي والمحصنات من المؤمنات
حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم هي الحرائر الكتابيات والعفائف الكتابيات
اذا آتيتموهن اجورهن اعطيتموهن مهورهن محصنين غير مسافحين متزوجين غير زانين
ولا متخذي اخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان بشرائع الاسلام وما
احل الله وحرم فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم اي اذا اردتم القيام الى الصلوة كقوله فاذا قرات القرآن اي اذا اردت ان تقرا القرآن
فعبر عن ارادة الفعل بالفعل لان الفعل مسبب عن الارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما
طلبا للايجاز ونحوه كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدا الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه
وتقديره وانتم محدثون عن ابن عباس رضي الله عنهما او من النوم لانه دليل الحدث وكان رسول الله عليه السلام
والخلفاء يتوضؤن لكل صلوة وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ وايديكم الى
المرافق الى تفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فما فيه دليل على
الخروج فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان
منظرا في الحالتين معسرا وموسرا وكذلك اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه
دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه
قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله
تعالى الى المرافق لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ الجمهور بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخرجه
زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي عليه السلام انه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برؤوسكم
المراد الصاق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح براسه فاخذ مالك
بالاحتياط فاوجب الاستيعاب واخذ الشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واحذنا ببيان
النبي عليه السلام وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الراس وارجلكم الى الكعبين
بالنصب نافع وابن عامر وعلي وحفص والمعنى فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين
وامسحوا برؤوسكم على التقديم والتاخير غيرهم بالجر على العطف على الرؤوس لان الارجل من بين الاعضاء

الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المنهي عنه فعطفت على الممسوح
لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة
لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم يضرب له غاية في الشريعة وقال جامع العلوم انها مجرورة
بالجوار وقد صح انه عليه السلام رأى قوما يمسحون على ارجلهم فقال ويل للاعقاب من النار وعن
عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وانما امر بغسل
هذه الاعضاء ليطهرها من الاوساخ التي تتصل بها لانها تبدو كثيرا والصلوة خدمة الله تعالى والقيام بين
يديه متطهرا من الاوساخ اقرب الى التعظيم فكان اكمل في الخدمة كما في الشاهد اذا اراد ان يقوم بين يدي
الملك ولهذا قيل ان الاولى ان يصلي الرجل في احسن ثيابه وان الصلوة متعمما افضل من الصلوة مكشوف
الرأس لما ان ذلك ابلغ في التعظيم وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا ابدانكم وان كنتم مرضى
او على سفر او جاء احد منكم قال الرازي معناه وجاء حتى يلزم المريض والمسافر التيمم بلا حدث
من الغائط المكان المطمئن وهو كناية عن قضاء الحاجة او لامستم النساء جامعتم فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة
حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم
برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وميثاقه
الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين
حين بايعهم رسول الله عليه السلام على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا
وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واتقوا الله في نقض
الميثاق ان الله عليم بذات الصدور بسرائر الصدور من الخير والشر وهو وعد ووعيد
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط بالعدل ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا
عدي يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم بغض قوم على ترك
العدل فيهم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء
على ترك العدل ثم استانف فصرح لهم الامر بالعدل تاكيدا وتشديدا ثم استانف
فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله اقرب للتقوى واذا كان وجوب العدل مع الكفار
بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه واتقوا الله فيما امر ونهى
ان الله خبير بما تعملون وعد ووعيد ولذا ذكر بعدها اية الوعد وهو قوله وعد الله الذين امنوا
وعملوا الصالحات وعد يتعدى الى مفعولين فالاول الذين امنوا والثاني محذوف استغنى عنه
بالجملة التي هي قوله لهم مغفرة واجر عظيم والوعيد وهو قوله والذين كفروا وكذبوا

باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ان لا ابعاد فوقها يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان والختنان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما
عمرو بن امية الضمري خطاء يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك
فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل
جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فخرج النبي عليه السلام ونزلت الاية اذ ظرف النعمة ان يبسطوا بان
يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم
ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به فكف ايديهم عنكم فمنعها ان تمد اليكم
واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي والدافع والمانع ولقد اخذ الله ميثاق بني
اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا هو الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها ولما استقر بنوا
اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة
وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى بان ياخذ
من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به فاخذ النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل
وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنى من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما
عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق
الا كالب بن يوفنا ويوشع بن نون وكانا من النقباء وقال الله اني معكم اي ناصركم ومعينكم
وتم هنا الكلام ثم ابتدأ بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة
وكانتا فريضتين عليهم وامنتم برسلي من غير تفريق بين احد منهم وعزرتموهم عظمتموهم
او نصرتموهم بان تردوا عنهم اعداءهم والعزر في اللغة الرد تقول عزرت فلانا اي ادبته يعني
فعلت به ما يردعه عن القبيح كذا قاله الزجاج واقرضتم الله قرضا حسنا بلا من وقيل هو كل
خير واللام في لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط
جميعا ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم اي بعد ذلك الشرط المؤكد
المعلق بالوعد العظيم فقد ضل سواء السبيل اخطأ طريق الحق نعم من كفر قبل ذلك فقد ضل سواء
السبيل ايضا ولكن الضلال بعده اظهر واعظم فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة افادت تفخيم الامر لعناهم
طردناهم واخرجناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية يابسة
لا رحمة فيها ولا لين قسية حمزة وعلي اي ردية من قولهم درهم قسي اي ردي يحرفون الكلم عن
مواضعه يفسرونها على غير ما انزل وهو بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله
وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التوراة يعني ان تركهم

واعراضهم عن التوريه اغنالُ حطا عظيم او فتنت قلوبهم وقد فسدت نحو في التوريه
وذلك اشيآء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا
هذه الآيه او تركوا نصيب انفسهم رضي الله عنه مما امروا به من الايمان بمحمد عليه السلام وبيان نعته
ولا تزال يا محمد تطلع على خائنة منهم اي هذه عادتهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل ومولاا
نحو نوحك ويهمون بالفتك بك وقوله على خائنة اي خيانة او على فعلة ذات خيانة او على نفس
او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة الا قليلا منهم وهم الذين
آمنوا منهم فاعف عنهم بعث على محالفتهم او فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم
واصفح ان الله يحب المحسنين ومن قوله ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم
وهو الايمان بالله والرسل وافعال الخير باخذنا اي واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم
فقدم على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور وانما لم يقل من النصارى
لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم
اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصار الشيطان فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا
فالصقنا والزمنا من غري بالشي اذا لزمه ولصق به ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم بين فرق
النصارى المختلفين العداوة والبغضاء الى يوم القيامة بالاهواء المختلفة وسوف ينبئهم الله
بما كانوا يصنعون اي في القيامة بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى
والكتاب للجنس قد جاءكم رسولنا محمد عليه السلام يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب
من نحو صفة رسول صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه
او يعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن
لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق ولانه ظاهر الاعجاز او النور محمد عليه
لانه يهتدى به كما سمي سراجا يهدي به الله اي بالقرآن من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل السلام
طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله فالسلام السلامة او الله ويخرجهم من الظلمات
الى النور من ظلمات الكفر الى نور الاسلام باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح بن مريم معناه بت القول على ان الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى
قوم يقولون ذلك او لان مذهبهم يودي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت قل فمن
يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن
في الارض جميعا اي ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامه يعني ان المسيح عبد مخلوق
كسائر العباد وعطف من في الارض على المسيح وامه ابانة انهما من جنسهم لا تفاوت

بينها وبينهم وللعفو ان من اشتمل عليه رحم الامومة متى يفارقه نقص البشرية ومن لاحت عليه
شواهد المحدثة اني يليق به نعت الربوبية وقطع البقاء عن حج ما او وجد لم يعد نقص الى
الصمدية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق
من انثى بلا ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق آدم او يخلق ما يشاء كخلق الطير
على يد عيسى معجزة له فلا اعتراض عليه لانه الفعال لما يريد والله على كل شيء قدير
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اي اعزة عليه كالابن على ابيه واشياع ابني
الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما
كان يقول رهط مسيلمة نحن ابناء الله ويقول اقرباء الملك وحشمه نحن الملوك او
نحن ابناء رسل الله قل فلم يعذبكم بذنوبكم بالمسخ والنار اياما معدودة على زعمكم
ولو صح الاب ولد وهل يعذب الوالد ولده بالنار ثم قال رادا عليهم بل انتم بشر ممن خلق اي انتم
خلق من خلقه فلا بنوة يغفر لمن يشاء لمن تاب عن الكفر فضلا ويعذب من يشاء من مات عليه
عدلا ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير فيه تنبيه على عبودية المسيح لان الملك
والبنوة متنافيان يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا محمد عليه السلام يبين لكم اي
الشرائع وحذف لظهوره او ما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره او لا يريد المبين ويكون
المعنى يبذل لكم البيان وهو حال اي مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم
على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي فكان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة
سنة او خمسمائة وستون سنة ان تقولوا كراهة ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير والفاء
في فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا
فقد جاءكم بشير ونذير للكافرين والمعنى الامتنان عليهم بان الرسول بعث اليهم حين انطمس
آثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله ويلزمهم الحجة فلا يعتلوا
غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم والله على كل شيء قدير فكان قادرا على ارسال
محمد ضرورة واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث
في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد
الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل الملك من له مسكن واسع
فيه ماء جار وكانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية وقيل من له بيت وخدم
ولانهم كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وآتاكم ما لم
يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وانزال المن والسلوى وتظليل

نعام ونحو ذلك من الامور العظام او اراد عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
اي المطهرة او المباركة وهي ارض بيت المقدس او الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم وسماها
او كتب في اللوح المحفوظ انها تكون مساكن لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا على اعقابكم
مدبرين منهزمين من خوف الجبابرة جبنا او لا ترتدوا على ادباركم في دينكم فتنقلبوا خاسرين
فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والاخرة قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين الجبار فعال
من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وانا لن
ندخلها بالقتال حتى يخرجوا منها بغير قتال فان يخرجوا منها بلا قتال فانا داخلون بلا دم
حينئذ قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون الله ويخشونه كانه قيل رجلان
من المتقين وهو في محل النصب الرفع صفة لرجلان وكذا انعم الله عليهما بالخوف ادخلوا
عليهم الباب اي باب المدينة فاذا دخلتموه فانكم غالبون اي انهزموا وكانت الغلبة
لكم وانما علما ذلك باخبار موسى عليه السلام وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين اذ الايمان
به يقتضي التوكل عليه وهو قطع العلائق وترك التعلق بالخلائق قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفي لدخولهم
في المستقبل على وجه التاكيد ابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول ما داموا فيها بيان للابد فاذهب
انت وربك بل من العلماء من حمله على الظاهر وقال انه كفر منهم وليس كذلك اذ لو قالوا ذلك اعتقادا و
كفروا به لجاهدهم موسى عليه السلام ولم يكن مقاتلة الجبابرة اولى من مقاتلة هؤلاء لكن الوجه
فيه ان يقال اذهب انت وربك يعينك على قتالك او في ربك اي وسيدك وهو اخوك الاكبر
هارون او لم يرد به حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة كانهم
قالوا اريدا قتالهم فقاتلا انا ههنا قاعدون ما كنوا لا نقاتلهم فلما عصوا وخالفوه قال رب
اني لا املك لنصرة دينك الا نفسي واخي هو منصوب بالعطف على نفسي او على اسم ان اي لا املك
الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه او مرفوع بالعطف على محل ان واسمها او على الضمير في لا املك وجاز العطف
للفصل قال يملك اخي الا نفسه او هو مبتدأ والخبر محذوف اي واخي كذلك وهذا من البث والشكوى
الى الله ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة وكانه لم يثق بالرجلين المذكورين
كل الوثوق فلم يذكر الا النبي المعصوم او اراد ومن يواخيني على ديني فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما وعدتنا وتحكم عليهم بما هم اهله وهو في معنى الدعاء
عليهم او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين قال فانها
اي الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها وهو تحريم منع لا تحريم تعبد لقوله وحرمنا عليه المراضع
او لذلك فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضى الاربعون كان ما كتب فقد سار موسى عليه السلام
والمراد بقوله كتب الله لكم ان بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم

من بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتحها واقام فيها ما شاء الله ثم قبض واربعين ظرف للتحريم
والوقف على سنة او ظرف يتيهون في الارض اي يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا اربعين سنة
والوقف على عليهم وانما عوقبوا بالحبس لاختيارهم بعضهم حيث امسوا ويسيرون حيث اصبحوا
في ستة فراسخ ولما ندم على الدعاء عليهم قيل فلا تاس على القوم الفاسقين فلا تحزن عليهم
لانهم فاسقون قيل لم يكن موسى وهارون عليهما السلام معهم في التيه لانه كان عقابا وقد سال موسى ربه ان
يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة ومات هارون
عليه السلام في التيه وموسى فيه بعده بسنة ومات النقباء في التيه الا كالب ويوشع ثم امر الله تعالى محمدا
صلى الله عليه وسلم ان يقص على حاسديه ما جرى بسبب الحسد ليتركوه ويومنوا بقوله واتل عليهم على اهل
الكتاب نبا ابني آدم من صلبه هابيل وقابيل او هما رجلان من بني اسرائيل بالحق نبا متلبسا بالصدق
موافقا لما في كتب الاولين او تلاوة متلبسة بالحق والصحة او واتل عليهم وانت محق صادق اذ قربا
نصب بالنبا اي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت او بدل من النبا اي اتل عليهم النبا نبا ذلك
الوقت على تقدير حذف المضاف قربانا ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة يقال قرب
صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب والمعنى اذ قرب كل واحد منهما قربانا دليله فتقبل من
احدهما اي قربانه وهو هابيل ولم يتقبل من الاخر قربانه وهو قابيل روي انه اوحى الله تعالى الى آدم
ان يزوج كل واحد منهما توامة الاخر وكانت توامة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه
فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل يتزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل
حسدا وسخطا وتوعده بالقتل قال لاقتلنك قال اي هابيل انما يتقبل الله من المتقين وتقديره قال
لم تقتلني قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قربانك فقال انما يتقبل الله من المتقين وانت غير متق
فانما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي وعن عامر بن عبد الله انه بكى
حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين
لئن بسطت مددت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي بفتح الياء مدني وابو عمرو وحفص اليك
لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى من القاتل وابطش منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم
خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت وقيل بل كان ذلك واجبا فان فيه هلاك
نفسه ومشاركته في اثمه وانما معناه ما انا بباسط يدي اليك لقصد ذلك مني وكان عازما على
مدافعته اذا قصد قتله وانما قتله على غفلة منه اني اخاف بفتح الياء حجازي وابو عمرو اني اريد ان تبوء
او ترجع باثمي باثم قتلي اذا قتلتني واثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك وهو عقوق الاب والحسد والحقد
وانما اراد ذلك لعصيه بردة فضيته الله تعالى او كان ظالما وجزاء الظالم حائر ان يراد فتكون من اصحاب

النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته وبسرته من طاع المرتع اذا اتسع
فقتله عند عقبة حرا او بالبصرة والمقتول ابن عشرين سنة فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا
يبحث في الارض ليريه الله او الغراب كيف يواري سوأة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده
وروي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف
عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا
فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فحثا عليه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل
هذا الغراب فاواري عطف على اكون سوأة اخي فاصبح من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره
في امره ولم يندم ندم التائبين او كان الندم توبة لنا خاصة او على حمله لا على قتله وروي انه لما قتله اسود
جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذا اسود جسدك فالتوحد ان
من قبله وما روي ان آدم عليه السلام رثاه بشعر فلا يصح لان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر
من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته وذلك اشارة الى القتلة المذكورة قبل وقيل متصل بالآية الاولى
فيوقف على ذلك اي فاصبح من النادمين لاجل حمله او لاجل قتله وقيل هو مستأنف والوقف على
النادمين ومن يتعلق بكتبنا لا بالنادمين كتبنا على بني اسرائيل خصهم بالذكر وان اشترك
الكل في ذلك لان التوراة اول كتاب فيه الاحكام انه من قتل نفسا الضمير للشان ومن شرطية بغير قتل نفس
او فساد في الارض عطف على نفس اي بغير فساد في الارض وهو الشرك او قطع الطريق او كل فساد
يوجب القتل فكانما قتل الناس جميعا اي في الذنب عن الحسن لان قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله
والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك ومن احياها ومن استنقذها من بعض اسباب
الهلكة من قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك فكانما احيى الناس جميعا جعل قتل الواحد كقتل الجميع
وكذلك الاحياء ترغيبا وترهيبا لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور ان قتلها كقتل الناس
جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي اراد احياءها اذا تصور ان حكمه حكم احياء جميع الناس
رغب في احيائها ولقد جاءتهم اي بني اسرائيل رسلنا رسلنا بوحي وبالبينات بالآيات الواضحات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات في الارض لمسرفون في القتل
لا يبالون بعظمته انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي اولياء الله في الحديث يقول الله تعالى
من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ويسعون في الارض فسادا مفسدين ويجوز ان يكون
مفعولا له اي للفساد وخبر جزاء ان يقتلوا وما عطف عليه وافاد التشديد الواحد بعد الواحد
ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل واخذ المال
او تقطع ايديهم وارجلهم ان اخذوا المال من خلاف حال من الايدي والارجل اي مختلفة او ينفوا

من الارض بالحبس اذا لم يزيدوا على الاخافة ذلك لهم خزي في الدنيا ذل
وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فيسقط عنهم
ما هو من الحدود لا ما هو من حق العباد فاعلموا ان الله غفور رحيم يغفر لهم بالتوبة ويرحمهم
فلا يعذبهم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فلا تؤذوا عباد الله وابتغوا اليه الوسيلة هي كل
ما يتوسل به اي يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله
من فعل الطاعات وترك السيئات وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ان الذين
كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا من صنوف الاموال ومثله معه وانثوا ليفتدوا به
وقد ذكر شيئان لانه اجرى الضمير مجرى ما ذكر لتجعلوه فدية لانفسهم واو بمعنى مع في
حيز خبر ان ووحد الراجع في ليفتدوا به وقد ذكر شيئان لانه اجرى الضمير مجرى اسم
الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم
عذاب اليم فلا سبيل لهم الى النجاة بوجه يريدون يطلبون او يتمنون ان يخرجوا من
النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم دائم والسارق والسارقة ارتفعا
بالابتداء والخبر محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة او الخبر فاقطعوا ايديهما
اي يديهما والمراد اليمينان بدليل قراءة عبد الله رضي الله ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط
لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول يتضمن معنى الشرط
وبدأ بالرجل لان السرقة من الجرأة وهي في الرجال اكثر واخر الزاني لان الزنى ينبعث
من الشهوة وهي في النساء اوفر وقطعت اليد لانها آلة السرقة ولم يقطع آلة الزنى تفاديا
عن قطع النسل جزاء بما كسبا مفعول له نكالا من الله اي عقوبة به منه وهو بدل من جزاء
والله عزيز غالب لا يعارض في حكمه حكيم فيما حكم من قطع يد السارق والسارقة فمن
تاب من السرقة من بعد ظلمه سرقته واصلح برد المسروق فان الله يتوب عليه
يقبل توبته ان الله غفور رحيم يغفر ذنبه ويرحمه الم تعلم يا محمد او يا مخاطب
ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء لمن تاب عن الكفر والله على كل
شيء من التعذيب والمغفرة وغيرهما قدير قادر وقدم التعذيب على المغفرة لتقدم السرقة
على التوبة يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي لا تهتم ولا تبال
بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهار ما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة
المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب اي وقع فيه
سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها

من الذين قالوا تبيين لقوله الذين يسارعون في الكفر آمنا مفعول قالوا بأفواههم متعلق بقالوا لا بآمنا
اى قالوا بأفواههم آمنا ولم تؤمن قلوبهم في محل النصب على الحال ومن الذين هادوا معطوف
على من الذين قالوا اى من المنافقين واليهود ويرتفع سمّاعون للكذب على انه خبر مبتدا مضمر
اى هم سماعون والضمير للفريقين او سماعون مبتدا والخبر من الذين هادوا وعلى هذا يوقف على
قلوبهم وعلى الاول على هادوا ومعنى سماعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا عليك بان مسخوا
ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون لقوم آخرين لم يأتوك اى سماعون
منك لاجل قوم آخرين من اليهود وجّهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منك يحرّفون الكلم من بعد
مواضعه اى يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التى وضعها الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان
ذا مواضع يحرّفون صفة لقوم كقوله لم يأتوك او خبر لمبتدا محذوف اى هم يحرفون والضمير
مردود على لفظ الكلم يقولون ان اوتيتم هذا اى الحرف المزال عن مواضعه ويقولون مثل يحرفون
وجاز ان يكون حالا من الضمير في يحرفون فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه
وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا واياكم وإياه فهو الباطل روى ان شريفا زنى بشريفة بخيبر
وهما محصنان وحدّهما الرجم في التوريه فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم ليسألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا فامرهم
بالرجم فابوا ان يأخذوا به ومن يرد الله فتنته ضلاله وهو حجة على من يقول يريد الله الايمان
ولا يريد الكفر فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا قطع رجاء محمد عليه السلام عن ايمان هؤلاء اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر وهو حجة لنا عليهم ايضا لهم
في الدنيا خزى للمنافقين فضيحة ولليهود جزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم اى التخليد في النار
سماعون للكذب كرر للتاكيد اى هم سماعون ومثله اكالون للسحت هو كل ما لا يحل كسبه وهو من
سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وفي الحديث هو الرشوة في الحكم وكانوا يأخذون الرشا
على الاحكام وتحليل الحرام وبالتثقيل مكى وعلى فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم قيل كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وقيل
نسخ التخيير بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا فلن يقدروا على الاضرار
بك لان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل ان الله يحب المقسطين
العادلين وكيف يحكمونك وعندهم التوريه فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه
مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذى يدعون الايمان به فيها حكم الله حال من التوريه وهى مبتدا
خبره عندهم ثم يتولون من بعد ذلك عطف على يحكمونك اى ثم يعرضون من بعد تحكيمك

عن حكمك الموافق لما فى كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمؤمنين بك او بكتابهم كما يدعون
انا انزلنا التوريه فيها هدى يهدى للحق ونور يبين ما استبهم من الاحكام يحكم بها
النبيون الذين اسلموا انقادوا لحكم الله في التوريه وهو صفة اجريت للنبيين
على سبيل المدح واريد باجرائها التعريض باليهود لانهم بُعَداء من ملة الاسلام التى
هى دين الانبياء كلهم للذين هادوا تابوا من الكفر واللام يتعلق بيحكم والربانيون والاحبار
معطوفان على النبيون اى الزهاد والعلماء بما استحفظوا استودعوا قيل يجوز ان يكون
بدلا من بها اى يحكم بها بما من كتاب الله من النبيين والضمير في استحفظوا للانبياء و
الربانيين والاحبار جميعا والاستحفاظ من الله اى كلفهم حفظه اوللربانيين
والاحبار والاستحفاظ من الانبياء وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل
فلا تخشوا الناس نهى للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وامضائها على خلاف
ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد واخشون في مخالفة امرى
وبالياء فيهما سهل وافقه ابو عمرو في الوصل ولا تشتروا باياتى ولا تستبدلوا بآيات الله
واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس ومن لم يحكم بما انزل الله
مستهينا به فاولئك هم الكافرون قال ابن مسعود رضى الله عنه هو عام فى اليهود و
غيرهم وكتبنا عليهم فيها وفرضنا على اليهود في التوريه ان النفس مأخوذة بالنفس
مقتولة بها اذا قتلها بغير حق والعين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مقطوعة
بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص اى ذات قصاص وهو المقاصة ومعناها
ما يمكن فيه القصاص والا فحكومة عدل وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل
بالمرأة والحر بالعبد نصب نافع وعاصم وحمزة المعطوفات كلها للعطف على ما عملت فيه ان
ورفعها على للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اجراء لكتبنا
مجرى قلنا ونصب الباقون الكل ورفعوا الجروح والاذن بسكون الذال حيث كان نافع
والباقون بضمها وهما لغتان كالسحت والسحت فمن تصدق من اصحاب الحق بالقصاص
وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق باحسانه قال عليه السلام من تصدق
بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته امه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون
بالامتناع عن ذلك وقفينا على آثارهم قفينا مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان
مثل عقبته به اذا اتبعته اياه على آثارهم على آثار النبيين الذين اسلموا بعيسى بن مريم مصدقا
هو حال من عيسى لما بين يديه من التوريه وآتيناه الانجيل فيه هدى

ونوراً ومصدقاً لما بين يديه من التورية بالعطف على ثابت الذى تعلق به فيه وقام مقامه فيه وارتفع هدى ونور بثابت الذى قام مقام فيه وهدى وموعظة انتصبا على الحال اى هاديا وواعظا للمتقين لانهم ينتفعون به وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه وقلنا لهم احكموا بموجبه فاللام لام الامر واصله الكسر وانما سكن استثقالا للحركة وكسرة وقرئ وليحكم بكسر اللام وفتح الميم حمزة على انها لام كى اى وقفينا ليؤمنوا وليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن الطاعة قال الشيخ ابو منصور رحمه الله يجوز ان يحمل على الجحود فى الثلاث فيكون كافرا ظالما فاسقا لان الفاسق المطلق والظالم المطلق هو الكافر وانزلنا اليك الكتاب اى القرآن فحرف التعريف فيه للعهد بالحق بسبب الحق واثباته وتبيين الصواب من الخطاء مصدقا حال من الكتاب لما بين يديه لما تقدمه نزولا وانما قيل لما قبل الشئ هو بين يديه لان ما تأخر عنه يكون وراءه وخلفه فما تقدم عليه يكون قدامه وبين يديه من الكتاب المراد به جنس الكتب المنزلة لان القرآن مصدق لجميع كتب الله فكان حرف التعريف فيه للجنس ومعنى تصديقه الكتب موافقتها فى التوحيد والعبادة وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ومهيمنا عليه وشاهدا لانه يشهد له بالصحة والثبات فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما فى القرآن ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق نهى ان يحكم بما حرفوه وبدلوه اعتمادا على قولهم ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذا عدى بعن فكانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم او التقدير عادلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة ومنهاجا وطريقا واضحا واستدل به من قال ان شريعة من قبلنا لا تلزمنا ذكر انزال التورية على موسى ثم انزال الانجيل على عيسى ثم انزال القرآن على محمد عليهم السلام وبين انه ليس للسماع فحسب بل للحكم به فقال فى الاول يحكم بها النبيون وفى الثانى وليحكم اهل الانجيل وفى الثالث فاحكم بينهم بما انزل الله ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة ولكن اراد ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر فيما آتاكم من الشرائع المختلفة فيتعبد كل امة بما اقتضته الحكمة فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفاة والمراد بالخيرات كل ما امر الله تعالى به الى الله مرجعكم استئناف فى معنى التعليل لاستباق الخيرات جميعا حال من الضمير المجرور والعامل المصدر المضاف لانه فى التقدير اليه ترجعون فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومقصركم فى العمل وان احكم معطوف على بالحق اى انزلنا اليك الكتاب بالحق وبان احكم بينهم بما انزل الله

ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك ان يصرفوك وهو مفعول له اى مخافة ان يفتنوك وانما حذره وهو مأمون لقطع اطماع القوم عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اى بذنب التولى عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وهذا الابهام لتعظيم التولى وفيه تعظيم الذنوب فان بعضها مهلك فكيف بكلها وان كثيرا من الناس لفاسقون لخارجون عن امر الله افحكم الجاهلية يبغون يطلبون نزلت اى تخاطب بنى النضير فى تفاضلهم على بنى قريظة وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وناصب الحكم يبغون ومن احسن مبتدأ وخبر وهو استفهام فى معنى النفى اى لا احد احسن من الله حكما تمييز واللام فى لقوم يوقنون للبيان كاللام فى هيت لك اى هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتيقنون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه وقال ابو على معنى لقوم عند قوم لان اللام وعند يتقاربان فى المعنى ونزل نهيا عن موالاة اعداء الدين يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهى بقوله بعضهم اولياء بعض وكلهم اعداء المؤمنين وفيه دليل على ان الكفر كله ملة واحدة ومن يتولهم منكم فانه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين ان الله لا يهدى القوم الظالمين لا يرشد الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة فترى الذين فى قلوبهم مرض نفاق يسارعون حال او مفعول ثان لاحتمال ان يكون فترى الذين من رؤية العين او القلب فيهم فى معاونتهم على المسلمين وموالاتهم يقولون اى فى انفسهم لتولد على ما اسروا نخشى ان تصيبنا دائرة اى حادثة تدور بالحال التى يكونون عليها فعسى الله ان يأتى بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده اى يوحى الى النبى عليه السلام باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اى المنافقون على ما اسروا فى انفسهم من النفاق نادمين خبر فيصبحوا ويقول الذين آمنوا اى يقول بعضهم لبعض عند ذلك ويقول نصب عطفا على ان يأتى بغير واو شامى و حجازى على انه جواب قائل يقول ماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم اى اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وجهد ايمانهم مصدر فى تقدير الحال اى مجتهدين فى توكيد ايمانهم

حبطت اعمالهم ضاعت اعمالهم التي عملوها رياء وسمعة لا ايمانا وعقيدة وهذا من قول الله
عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم فاصبحوا خاسرين في الدنيا والعقبى لفوات المعونة
ودوام العقوبة يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه من يرتدد منكم عن دين الاسلام الى ما كان
عليه من الكفر يرتدد مدني وشامي فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه يرضى عنهم باعمالهم ويثني عليهم
بها ويطيعونه ويؤثرون رضاه وفيه دليل نبوته صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بما لم يكن فكان وانبا
خلافة الصديق رضي الله عنه لانه جاهد المرتدين وفيه صحة خلافة خلافة عمر رضي الله عنه وسئل
النبي عليه السلام عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ولو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال
من ابناء فارس والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم
اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذي هو ضد الصعوبة فقد سها لان ذلولا
لا يجمع على اذلة قال الجوهري الذل ضد العز ورجل ذليل بين الذل وقوم اذلاء واذلة والذل بالكسر اللين
وهو ضد الصعوبة فقال دابة ذلول ودواب ذلل على المؤمنين ولم يقل للمؤمنين لتضمن الذل معنى الحنو
العطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع اعزة على الكافرين اشداء عليهم والعزاز
الارض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين كالسبع على فريسته يجاهدون
في سبيل الله يقاتلون الكفار وهو صفة لقوم كيحبهم واذلة واعزة ولا يخافون لومة لائم الواو يحتمل
ان يكون للحال اي يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين
لليهود فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون انه
يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فيجاهدون لله لا يخافون لومة لائم وان يكون للعطف اي من
صفتهم المجاهدة في سبيل الله وهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين لا ينعهم لومة
لائم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام
ذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة فضل الله يؤتيه
من يشاء والله واسع كثير الفواصل عليم بمن هو من اهلها عنها الله عن موالاة من تجب معاداتهم
ذكر من تجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا وانما تفيد اختصاصهم بالموالاة
ولم يجمع الولي وان كان المذكور جماعة تنبيها على ان الولاية لله اصل ولغيره تبع ولو قيل انما اولياؤكم
الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع ومحل الذين يقيمون الصلوة الرفع على البدل
من الذين آمنوا او على هم الذين او النصب على المدح ويؤتون الزكوة والواو في وهم راكعون للحال
اي ويؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة قيل انها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع
في صلوته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد صلوته وورد

جمع لفظ الجمع وان كان السبب فيه واحدا ترغيبا للناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه والآية تدل
على جواز الصدقة في الصلوة وعلى ان الفعل القليل لا يفسد الصلوة ومن يتول الله ورسوله والذين
آمنوا يتخذهم وليا او يكن وليا فان حزب الله هم الغالبون من اقامة الظاهر مقام المضمر اي فانهم
هم الغالبون والمراد بحزب الله الرسول والمؤمنون اي ومن يتولهم فقد تولى حزب الله و
اعتضد بمن لا يغالب واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم اي اصابهم وروي ان رفاعة
بن زيد وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزل
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا
لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنابذة من الذين اوتوا الكتاب
من للبيان من قبلكم والكفار اي المشركين وهو عطف على الذين المنصوب والكفار بصري وعلي
عطف على الذين المجرور اي من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار اولياء واتقوا الله
في موالاة الكفار ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا يأبى موالاة اعداء الدين واذا ناديتم
الى الصلوة اتخذوها اي الصلوة او المناداة هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون لان لعبهم وهزوهم
من افعال السفهاء والجهلة فكانه لا عقل لهم وفيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام
وحده قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل يعني
هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالله وبالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون
وهو معطوف على المجرور اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون والمعنى
عاديتمونا لانا اعتقدنا توحيد الله وصدق انبيائه وفسقكم لمخالفتكم لنا في ذلك ويجوز ان يكون
الواو بمعنى مع اي وما تنقمون منا الا الايمان مع انكم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
اي ثوابا وهو نصب على التمييز والمثوبة وان كانت مختصة بالاحسان ولكنها وضعت موضع
العقوبة كقوله فبشرهم بعذاب اليم وكان اليهود يزعمون ان المسلمين مستوجبون للعقوبة
فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة من اهل الاسلام في زعمكم وذلك اشارة
الى المنقوم اي الايمان اي بشر مما نقمتم من ايماننا ثوابا اي جزاء ولا بد من حذف مضاف
قبله او قبل من تقديره بشر من اهل الكتاب ذلك او دين من لعنه الله وغضب عليه وجعل
منهم القردة يعني اصحاب السبت والخنازير اي كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام او كلا الفريقين
من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وعبد الطاغوت
اي العجل او الشيطان لان عبادتهم العجل بتزيين الشيطان وهو عطف على صلة من كانه
قيل ومن عبد الطاغوت وعبد الطاغوت حمزة جعله اسما موضوعا للمبالغة كقولهم

رجلٌ حَذِرٌ وفطن للمبالغة في الحذر والفطنة وهو معطوف على القردة والخنازير اي جعل الله منهم
عَبَدَ الطاغوت أولئك الممسوخون الملعونون شرٌّ مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله للمبالغة وأضل
عن سواء السبيل عن قصد الطريق الموصل الى الجنة ونزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبي عليه السلام
ويظهرون له الايمان نفاقا وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به الباء
للحال اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قد دخلوا وهم قد خرجوا
ولذا دخلت قد تقريبا الماضي من الحال وهو متعلق بقالوا آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم والله اعلم
بما كانوا يكتمون من النفاق وترى كثيرا منهم من اليهود يسارعون في الاثم الكذب والعدوان الظلم او الاثم
ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة وأكلهم السحت — فيه
الحرام لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا هلا وهو تحضيض ينهاهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون هذا ذم للعلماء والاول للعامة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي اشد آية في القرآن حيث انزل تارك النهي عن المنكر منزلة مرتكب
المنكر في الوعيد وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان
روي ان اليهود لعنهم الله لما كذبوا محمدا عليه السلام كف الله ما بسط عليهم من السعة وكانوا من اكثر
الناس مالا فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا فيه وغل اليد
وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط ولا يقصد المتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط حتى انه يستعمله في ملك يعطي ويمنع بالاشارة
من غير استعمال اليد ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزيلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال وقد استعمل
حيث لا تصح اليد يقال بسط البأس كفيه في صدري فجعل للبأس الذي هو من المعاني كفان ومن لم ينظر
في علم البيان يتحير في تأويل امثال هذه الآية وقوله غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل ومن ثم
كانوا ابخل خلق الله او تغل في جهنم فهي كأنها غلت وانما ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان
وهي مفردة في يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له
ونفي البخل عنه فغاية ما يبذله السخي ان يعطيه بيديه فبني المجاز على ذلك تأكيدا للوصف بالسخاء ودلالة — و
على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة وليزيدن كثيرا منهم من اليهود ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات
الله وهذا من اضافة الفعل الى السبب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وألقينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيامة فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر

من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله
عليه السلام نصر عليهم عن قتادة لا تلقى يهوديا ببلدة الا وجدته من اذل الناس ويسعون في الارض
فسادا ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر النبي عليه السلام من كتبهم والله لا يحب المفسدين — من ه
ولو ان اهل الكتاب آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به مع ما عددنا من سيئاتهم
واتقوا وقرنوا ايمانهم بالتقوى لكفرنا عنهم سيئاتهم ولم نؤاخذهم بها ولأدخلناهم
جنات النعيم مع المسلمين ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل اي اقاموا احكامهما وحدودهما
وما فيهما من نعت رسول الله عليه السلام وما انزل اليهم من ربهم من سائر كتب الله لانهم مكلفون
بالايمان بجميعها فكأنها انزلت اليهم وقيل هو القرآن لأكلوا من فوقهم يعني لثمار من
فوق رؤوسهم ومن تحت ارجلهم يعني الزروع او هذا عبارة عن التوسعة كقولهم فلان
في النعمة من قرنه الى قدمه ودلت الآية على ان العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق وهو كقوله
ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا الآية
وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة — الاثم الشئ القبيح
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون
من النصارى وكثير منهم ساء ما يعملون فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما اسوأ عملهم وقيل
هم كعب بن الاشرف واصحابه وغيرهم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع
ما انزل اليك واي شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك
مكروه وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته رسالاته مدني وشامي وابو بكر فلم — ان لم تفعل
تبلغ اذا ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى
بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكأنك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها
كان كمن لم يؤمن بكلها لكونها في حكم شيء واحد لدخولها تحت خطاب واحد والشيء الواحد
لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به قالت الملاحدة لعنهم الله هذا الكلام لا يفيد وهو
كقولك لغلامك كل هذا الطعام فان لم تأكله ما اكلته قلنا هذا امر بتبليغ الرسالة في المستقبل
اي بلغ ما انزل اليك من ربك في المستقبل وان لم تفعل اي وان لم تبلغ الرسالة في المستقبل فكأنك — اليك
لم تبلغ الرسالة اصلا او بلغ ما انزل اليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة الشوكة والعدة
فان لم تبلغ كنت كمن لم يبلغ اصلا او بلغه غير خائف احدا فان لم تبلغ على هذا الوصف
فكأنك لم تبلغ الرسالة اصلا ثم قال مشجعا له في التبليغ والله يعصمك من الناس يحفظك منهم فلا

ثم يعدد عليه وان شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته او نزلت بعد ما اصابه ما اصابه
والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من
الهلاك قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لبطلانه حتى تقيموا التورية
والانجيل وما انزل اليكم من ربكم من بعض القرآن وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا اضافة ازدياد الكفر والطغيان الى القرآن بطريق التسبب فلا تأس
على القوم الكافرين فلا تتأسف عليهم فان ضرر ذلك يعود اليهم لا اليك ان الذين آمنوا بألسنتهم
وهم المنافقون ودل عليه قوله لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم
ولم تؤمن قلوبهم والذين هادوا والصابئون والنصارى قال سيبويه وجمع البصريين
ارتفع الصابئون بالابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها
كأنه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك اي من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف
عليهم فقدم وحذف الخبر كقوله فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب اي
فاني لغريب وقيار كذلك ودل اللام على انه خبر ان ولا يرتفع بالعطف على محل ان واسمها لانه
لا يعمل قبل الفراغ من الخبر لا يقول ان زيدا وعمرو منطلقان وانما يجوز ان زيدا منطلق وعمرو
والصابئون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل
لها كالا محل للتي عطفت عليها وفائدة التقديم التنبيه على ان الصابئين وهم ابين هؤلاء المعدودين
ضلالا واشدهم غيا يتاب عليهم ان صح منهم الايمان فما الظن بغيرهم ومحل من آمن الرفع على الابتداء
وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان والراجع الى اسم ان محذوف
تقديره من آمن منهم لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل بالتوحيد وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم
على ما يأتون ويذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا
والراجع محذوف اي رسول منهم بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من
مشاق التكاليف والعمل بالشرائع وجواب الشرط محذوف دل عليه فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل
يقول كيف فعلوا برسلهم وقال يقتلون بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استفظاعا
للقتل وتنبيها على ان القتل من شأنهم وانتصب فريقا على انه مفعول كذبوا ويقتلون
وفصل التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى والقتل مختص باليهود فهم قتلوا زكريا
ويحيى وحسبوا الا تكون حمزة وعلي وابو عمرو على ان ان مخففة من الثقيلة اصله انه لا تكون

مخففة ان وحذف ضمير الشأن ونزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فلذا دخل فعل
الحسبان على ان التي هي للتحقيق فتنة بلاء وعذاب اي وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من
الله عذاب بقتل الانبياء وتكذيب الرسل وسد ما اشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه
مسد مفعولي حسب فعموا وصموا فلم يعملوا بما رأوا ولا بما سمعوا او فعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ
ثم تاب الله عليهم رفعهم التوبة ثم عموا وصموا كثير منهم هو بدل من الضمير الاول وهو بدل البعض من الكل
او هو خبر مبتدأ محذوف اي اولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون فيجازيهم بحسب اعمالهم
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي
وربكم لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم في انه عبد مربوب فيكون حجة على النصارى انه
من يشرك بالله في عبادته غير الله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اي حرمه دخولها
ومنعه منه ومأواه النار اي مرجعه وما للظالمين اي للكافرين من انصار هو من كلام الله او من
كلام عيسى عليه السلام لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اي ثالث ثلثة آلهة والاشكال
انه تعالى قال في الآية الاولى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال في الثانية لقد كفر الذين
قالوا ان الله ثالث ثلثة والجواب ان بعض النصارى كانوا يقولون كان المسيح بعينه هو الله لان الله
ربما تجلى في بعض الازمان في شخص فتجلى في ذلك الوقت في شخص عيسى عليه السلام ولهذا كان
يظهر من شخص عيسى عليه السلام افعال لا يقدر عليها الا الله وبعضهم ذهبوا الى الهية ثلثة الله
ومريم والمسيح وانه ولد الله من مريم ومن في قوله وما من اله الا اله واحد للاستغراق وما
اله قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له وقوله
وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتي في فاجتنبوا الرجس من الاوثان
ولم يقل ليمسنهم لان في اقامة الظاهر مقام المضمر تكرير الشهادة عليهم بالكفر او للتبعيض اي ليمسن الذين
بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية عذاب اليم نوع شديد الالم من العذاب افلا
يتوبون الى الله ويستغفرونه الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد
مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم ما المسيح
بن مريم الا رسول فيه نفي الالوهية عنه قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول اي ما هو الا رسول
من جنس الرسل الذين خلوا من قبله وابرأ الاكمه والابرص واحيا الموتى لم يكن منه لانه اله
بل الله ابرأ الاكمه والابرص واحيى الموتى على يده كما احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وخلقه
من غير ذكر كما خلق آدم من غير ذكر وانثى وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات
للانبياء المؤمنات بهم ووقع اسم الصديقة عليها لقوله تعالى وصدقت بكلمات ربها

وكيفية ثم بعد ما عاتب الالهية بقوله كانا يأكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام
وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق واعصاب وغير
ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف كغيره من الاجسام انظر كيف نبين لهم الآيات اى الاعلام
من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق
وتامله بعد هذا البيان وهذا تعجيب من الله تعالى في ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب
قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا هو عيسى عليه السلام اى شيئا
لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم
بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع
فبتمليكه تعالى فكانه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله
لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته
والله هو السميع العليم متعلق باتعبدون اى اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما
تقولون ويعلم ما تعتقدون قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الغلو مجاوزة الحد
فغلو النصارى رفعه فوق قدره باستحقاق الالوهية وغلو اليهود وضعه عن استحقاق النبوة
غير الحق صفة لمصدر محذوف اى غلوا غير الحق يعني غلوا باطلا ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا
من قبل اى اسلافكم وائمتكم الذين كانوا على الضلال قبل مبعث النبي عليه السلام واضلوا كثيرا من
تابعهم وضلوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه
وبغوا عليه لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم قيل ان اهل ايلة لما اعتدوا
في السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب
عيسى عليه السلام بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه
احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف
رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم
ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر
فعلوه ومعنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل انهم لا يتناهون عن معاودة
منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله او المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه بل يصرون
عليه يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك
بالقسم بقوله لبئس ما كانوا يفعلون وفيه دليل على ان ترك النهي عن المنكر من العظائم
فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عنه ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا

عن قبيح فعلوه

هم منافقو اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم
انفسهم ان سخط الله عليهم لبئس شيئا قدموه لانفسهم سخط الله عليهم اى موجب سخط
الله وفي العذاب هم خالدون اى في جهنم ولو كانوا يؤمنون بالله ايمانا خالصا بلا نفاق
والنبي اى محمد عليه السلام وما انزل اليه يعني القرآن ما اتخذوهم اولياء اى ما اتخذوا المشركين
اولياء يعني ان موالاة المشركين تدل على نفاقهم ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في
كفرهم ونفاقهم او معناه ولو كانوا اى اليهود يؤمنون بالله وموسى وما انزل اليه يعني التوراة
ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا
دين لهم اصلا لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود هو مفعول ثان لتجدن وعداوة
تمييز والذين اشركوا عطف عليهم ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا
انا نصارى اللام يتعلق بعداوة ومودة وصف اليهود بشدة الشكيمة والنصارى بلين العريكة
وجعل اليهود قرناء للمشركين في شدة العداوة للمؤمنين ونبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا اى علماء وعبادا وانهم لا يستكبرون علل
سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا وان فيهم تواضعا و
استكانة واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير وان كان
علم القسيسين وكذا علم الآخرة وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني وإذا
سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وصفهم برقة
القلوب وانهم يبكون عند سماع القرآن كما روي عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين
اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم هل في كتابكم ذكر مريم قال
جعفر فيه سورة تنسب الى مريم فقرأها الى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه الى قوله هل اتاك
حديث موسى فبكى النجاشي وكذا فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله عليه السلام وهم سبعون رجلا
حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا تفيض من الدمع تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء
او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء او قصدت
المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها اى تسيل من اجل البكاء ومن في مما عرفوا
لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من اجله ومن في من الحق لتبيين
الموصول الذي هو ما عرفوا او للتبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا
ربنا آمنا بمحمد عليه السلام والمراد انشأنا الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين
مع امة محمد عليه السلام الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيمة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا

مع امة محمد عليه السلام الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيمة لتكونوا شهداء على الناس
وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله انكار واستبعاد
لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل
لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك وما لنا مبتدا وخبر ولا نؤمن حال اي غير مؤمنين
كقولك ما لك قائما وما جاءنا من الحق يعني محمدا والقرآن ونطمع حال من ضمير الفاعل في نؤمن والتقدير
ونحن نطمع ان يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الصالحين الانبياء والمؤمنين فاثابهم الله
بما قالوا اي بقولهم ربنا آمنا وتصديقهم لذلك جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
وذلك جزاء المحسنين وفيه دليل على ان الاقرار داخل في الايمان كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت
الكرامية في ان الايمان مجرد القول بقوله بما قالوا لكن الثناء بفيض الدمع في السباق وبالاحسان
في السياق يدفع ذلك وانى يكون مجرد القول ايمانا وقد قال الله تعالى ومن الناس من يقول
آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين نفى الايمان عنهم مع قولهم آمنا بالله لعدم التصديق
بالقلب قال اهل المعرفة الموجود منهم ثلثة اشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء والرضا
بالقضاء فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه من هذه الثلثة فليس بصادق في دعواه والذين كفروا
باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا اثر الرد في حق الاعداء والاول اثر القبول للاولياء
ونزل في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم حين حلفوا ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويقوموا
الليل ويصوموا النهار ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم ولا ياكلوا اللحم والودك
ولا يقربوا النساء والطيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ
من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة
منكم في العزم على تركها تزهدا وتقشفا وروي ان رسول الله عليه السلام كان ياكل الدجاج
والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن الحسن انه دعي
الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن
والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسال الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه
الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه
مسلم وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ ويقول لا اؤدي شكره قال افيشرب الماء
البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذ ولا تعتدوا
ولا تجاوزوا الحد الذي حد عليكم في تحريم او تحليل او ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم
عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات ان الله لا يحب المعتدين حدوده وكلوا مما رزقكم

الله حلالا طيبا حلالا حال مما رزقكم الله واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله
الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى فيما امر به ونهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم
اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو ان يحلف على شيء يرى انه كذلك وليس كما ظن
وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزلت تلك الآية قالوا كيف بايماننا فنزلت
وعند الشافعي رحمه الله ما يجري على اللسان بلا قصد ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان
اي بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالتخفيف كوفي غير حفص والعقد العزم على الوفاء وذا لا يتصور
في الماضي فلا كفارة في الغموس وعند الشافعي رحمه الله العقد بالقلب واليمين الغموس معقودة وكانت
معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت
المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته اي فكفارة نكثه
او فكفارة معقود الايمان والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها اطعام عشرة مساكين
هو ان يغديهم ويعشيهم ويجوز ان يعطيهم بطريق التمليك وهو لكل واحد نصف صاع من بر
او صاع من شعير او صاع من تمر وعند الشافعي رحمه الله مد لكل مسكين من اوسط ما تطعمون اهليكم
اي غداء وعشاء من بر اذ الاوسط ثلاث وجبات مع الادام والادنى من تمر او شعير او كسوتهم
عطف على اطعام او على محل من اوسط ووجهه ان من اوسط بدل من اطعام والبدل هو المقصود
في الكلام وهي ثوب يغطي العورة وعن ابن عمر رضي الله عنهما ازار او قميص او رداء او تحرير رقبة مؤمنة
او كافرة لاطلاق النص وشرط الشافعي رحمه الله الايمان حملا للمطلق على المقيد في كفارة القتل ومعنى او التخيير
وايجاب احدى الكفارات الثلاث فمن لم يجد احدها فصيام ثلثة ايام متتابعات لقراءة
ابي وابن مسعود رضي الله عنهما كذلك ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر
الحنث لوقوع العلم بان الكفارة لا تجب بنفس الحلف ولذا لم يجوز التكفير قبل الحنث
واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اذا لم يكن الحنث خيرا او ولا تحلفوا اصلا
او احفظوها بان تكفروها وقيل احفظوها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك
البيان يبين الله لكم آياته اعلام شريعته واحكامه لعلكم تشكرون نعمته
فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر القمار والانصاب
الاصنام لانها تنصب فتعبد والازلام هي القداح التي مرت رجس نجس او خبيث
مستقذر من عمل الشيطان لانه يحمل عليه فكانه عمله والضمير في فاجتنبوه يرجع الى الرجس
او الى عمل الشيطان او الى المذكور او الى المضاف المحذوف كانه قيل انما تعاطي الخمر والميسر
ولذا قال رجس لعلكم تفلحون اكد تحريم الخمر والميسر من وجوه حيث صدر الجملة

بأماد قرنهما بعبادة الاصنام ومنه الحديث شارب الخمر كعابد الوثن وجعلهما رجساً
من عمل الشيطان ولا يأتي منه الا الشر البحت وامر بالاجتناب وجعل الاجتناب من الفلاح
واذا كان الاجتناب فلاحاً كان الارتكاب خساراً انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ذكر ما يتولد منهما من الوبال
وهو وقوع التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله
وعن مراعاة اوقات الصلوة وخص الصلوة من بين الذكر لزيادة درجتها كانه قال وعن الصلوة
خصوصاً وانما جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام اولاً ثم افردهما آخراً لان الخطاب مع
المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتأكيد
تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعاً من عمل اهل الشرك فكانه لا مباينة بين عابد الصنم وشارب
الخمر والمقامر ثم افردهما بالذكر ليعلم انهما المقصود بالذكر فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كانه قيل
قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والزواجر فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم
عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا وكونوا حذرين
خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة فان توليتم عن ذلك
فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا
البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتم ونزل فيمن تعاطى شيئاً من
الخمر والميسر قبل التحريم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي شربوا من الخمر
واكلوا من مال القمار قبل تحريمهما اذا ما اتقوا الشرك وآمنوا بالله وعملوا الصالحات بعد الايمان
ثم اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم وآمنوا بتحريمهما ثم اتقوا سائر المحرمات او الاول عن الشرك والثاني
عن المحرمات والثالث عن الشبهات واحسنوا الى الناس والله يحب المحسنين ولما ابتلاهم
الله تعالى بالصيد عام الحديبية وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيتمكنون
من صيده اخذاً بايديهم وطعناً برماحهم نزل يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد
تناله ايديكم ورماحكم ومعنى يبلو يختبر وهو من الله تعالى لاظهار ما علم لا ليعلم
ما لم يعلم ومن للتبعيض اذ لا يحرم كل صيد او لبيان الجنس من العبد ما علم ليعلم الله من
يخافه بالغيب ليعلم الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجوداً كما كان يعلم
قبل وجوده انه يوجد ليثيبه على عمله لا على علمه فيه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فله عذاب
اليم قلله بقوله بشيء من الصيد ليعلم انه ليس من الفتن العظام وتناله صفة لشيء يا ايها
الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد اي المصيد اذ القتل انما يكون فيه وانتم حرم اي محرمون جمع حرام

كردح جمع رداح ومحل النصب على الحال من ضمير الفاعل في تقتلوه ومن قتله منكم متعمداً حال من ضمير القاتل
اي ذاكراً لاحرامه او عالماً ان ما يقتله مما يحرم قتله عليه فان قتله ناسياً لاحرامه او رمى صيداً وهو يظن انه
ليس بصيد فهو مخطئ وانما شرط التعمد في الآية مع ان محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ لان
مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه عنّ لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فقتله
فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ ملحق به
للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ فجزاء مثل ما قتل
كوفي اي فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو قيمة الصيد يقوّم حيث صيد فان بلغت قيمته
ثمن هدي خيّر بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاماً فيعطي
كل مسكين نصف صاع من بر او صاعاً من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوماً وعند
محمد والشافعي رحمهما الله مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم فكما مر فجزاء مثل على الاضافة
غيرهم واصله فجزاء مثل ما قتل اي فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب
زيد اي من ان ضرب زيد من النعم حال من الضمير في قتل اذ المقتول يكون من النعم او صفة لجزاء
يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين وفيه دليل على ان المثل القيمة
لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة ولان المثل المطلق
في الكتاب والسنة والاجماع مقيد بالصورة والمعنى او بالمعنى فاما بالصورة بلا معنى فلا ولان القيمة
اريدت فيما لا مثل له صورة اجماعاً فلم يبق غيرها مراداً اذ لا عموم للمشترك فان قلت قوله من النعم
ينافي تفسير المثل بالقيمة قلت من اوجب القيمة في احد وجهي التخيير ان من قوّم الصيد واشترى
بالقيمة هدياً فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي
او يكفر بالاطعام او بالصوم انما يستقيم اذا قوّم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى
النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئاً لا نظير له قوّم حينئذ ثم يخير بين الاطعام
والصيام ففيه نبوّ عن الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياماً كيف
خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم هدياً حال من الهاء في به اي يحكم به في
حال الهدي بالغ الكعبة صفة لهدياً لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم
فاما التصدق به فحيث شئت وعند الشافعي رحمه الله في الحرم او كفارة معطوف على جزاء طعام بدل
من كفارة او خبر مبتدأ محذوف اي هي طعام او كفارة طعام على الاضافة مدني وشامي والاضافة
لتبيين المضاف كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كما تقول خاتم فضة اي خاتم من فضة او عدل
وقرئ بكسر العين قال الفراء العدل ما عادل الشيء من غير جنسه كالصوم والاطعام والعدل

مثله من جنسه ومنه عدل الحمل يقال عندي غلام عدل غلامك بالكسر اذا كان من جنسه فان اريد ان
قيمته كقيمته ولم يكن من جنسه قيل هو عدل غلامك بالفتح ذلك اشارة الى الطعام صياما تمييز نحو لي مثله
رجلا والخيار في ذلك الى القاتل وعند محمد رحمه الله الى الحكمين ليذوق وبال امره الكفارة متعلق بقوله
فجزآء اي فعليه ان يجازى او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال
في عاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا اي ثقيلا شديدا والطعام الوبيل
الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ عفا الله عما سلف لكم من الصيد قبل التحريم ومن عاد الى قتل الصيد بعد
التحريم او في ذلك الاحرام فينتقم الله منه بالجزاء وهو خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه والله عزيز
بالالزام الاحكام ذو انتقام لمن جاوز حدود الاسلام احل لكم صيد البحر مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل
وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل المأكول منه وهو من
السمك وحده متاعا لكم مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم وللسيارة وللمسافرين والمعنى احل لكم طعامه
تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر وحرم
عليكم صيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كالبط فانه بري
لانه يتولد في البر والبحر له مرعى كالناس ما دمتم حرما محرمين واكثره في الاصطياد في الحرم او في الاحرام
الذي اليه تحشرون يبعثون فيجزيكم على اعمالكم جعل الله الكعبة اي صير البيت الحرام الكعبة تحشرون بدل
او عطف بيان قياما مفعول ثان او جعل بمعنى خلق وقياما حال للناس اي انتعاشا لهم في امر دينهم
ونهوضا الى اغراضهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم
قيل لو تركوه عاما لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه
من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا قد علمه الله او اريد به جنس الاشهر الحرم وهو رجب وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم والهدي ما يهدى الى مكة والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن فالثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر
ذلك اشارة الى جعل الكعبة قياما او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا ان الله
يعلم ما في السموات وما في الارض وكيف لا وهو بكل شيء عليم اعلموا ان الله شديد العقاب لمن انتهك
الحرم والاحرام وان الله غفور لمن تاب من عظم المناسك العظام رحيم بالجاء للملتجئ الى البلد الحرام
ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ
وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
فلا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم قل لا يستوي الخبيث والطيب تقصير كما اخبر انه يعلم ما تبدون وما تكتمون
ذكر انه لا يستوي خبيثهم وطيبهم بل يميز بينهما فيعاقب الخبيث اي الى النار ويثيب الطيب اي الجنة
ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله واثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر وقيل هو عام

في حلال وحرام وصالح العمل وطالحه وجيد الناس ورديهم يا اولي الالباب اي العقول
الخالصة لعلكم تفلحون كانوا يسألون النبي عليه السلام عن اشياء امتحانا فنزل يا ايها الذين
آمنوا لا تسألوا عن اشياء قال الخليل وسيبويه وجمهور البصريين اصله شيئاء بهمزتين
بينهما الف وهي فعلاء من لفظ شيء وهمزتها الثانية للتانيث ولذا لم تنصرف كحمراء وهي
مفرد لفظا جمع معنى ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدمت الاولى التي هي لام الكلمة
فجعلت قبل الشين فصار وزنها لفعاء والجملة الشرطية والمعطوفة عليها في قوله ان
تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة
لاشياء اي وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين
اظهركم تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم اي تغمكم وتشق عليكم وتؤمروا بتحملها فتعرضوا
انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى
مثلها والله غفور حليم لا يعاقبكم الا بعد الانذار والضمير في قد سألها لا يرجع الى اشياء
حتى يعدى بعن بل يرجع الى المسألة التي دلت عليها لا تسألوا اي قد سال هذه المسألة قوم من قبلكم
من الاولين ثم اصبحوا بها بما ردوا بسببها كافرين كما عرف في بني اسرائيل ما جعل الله
من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام كان اهل الجاهلية اذا انتجت الناقة خمسة ابطن
اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها
البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها
كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل
بينهما ولا ميراث وكانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن فان كان السابع ذكرا اكله الرجال
وان كانت انثى ارسلت في الغنم وكذا ان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فالوصيلة بمعنى
الواصلة واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا
يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر به ولكن الذين كفروا بتحريمهم ما
حرموا يفترون على الله الكذب في نسبتهم هذا التحريم اليه واكثرهم لا يعقلون ان الله لم يحرم ذلك وهم
عوامهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول اي هلموا الى حكم الله ورسوله بان من الاشياء
غير محرمة قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا وهم للحال قد خلت عنهم من الافكار وتقدير
احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون اي الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي
وانما يعرف اهتداؤه بالحجة يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم انتصب انفسكم بعليكم
وهو من اسماء الفعل اي الزموا اصلاح انفسكم والكاف والميم في عليكم في موضع

جرّ لان اسم الفعل سو الجار والمجرور لا على وحدها لا يضركم رفع على الاستيناف
او جزم على جواب الامر وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد من ضل اذا اهتديتم
كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل
لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها لا يضركم الضلال من دينكم اذا كنتم مهتدين وليس المراد ترك
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما لا يجوز الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم
بما كنتم تعملون ثم يجزيكم على اعمالكم روي انه خرج بديل مولى عمرو بن العاص وكان
من المهاجرين مع عدي وتميم وكانا نصرانيين الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه
في متاعه ولم يخبرهما على صاحبيه واوصى اليهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا
اناء من فضة فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله عليه السلام
فنزل يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية
اثنان ارتفع اثنان بانه خبر المبتدا وهو شهادة بتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين ولانه خبر المبتدا
فاعل شهادة بينكم اي فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان واتسع في بين فاضيف اليه المصدر واذا
حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية لان
حضور الموت من الامور الكائنة وحين الوصية بدل منه فيدل على وجود الوصية ولو وجدت
بدون الاختيار لسقط الابتلاء فنقل الى الوجوب وحضور الموت مشارفته وظهور
امارات بلوغ الاجل ذوا عدل صفتان لاثنين منكم من اقاربكم لانهم اعلم باحوال
الميت او آخران عطف على اثنان من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض
سافرتم فيها وانتم فاعل فعل يفسره الظاهر فاصابتكم مصيبة الموت اي ومنكم من المسلمين
ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ اذ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم ولعلها
جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين تحبسونهما تقفونهما للحلف وهو استيناف كلام
او صفة لقوله او آخران من غيركم اي او آخران من غيركم محبوسان وان انتم ضربتم في الارض
فاصابتكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف من بعد الصلوة من بعد صلوة
العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر او الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون
للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى الله عليه وسلم صلوة العصر ودعا بعدي
وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي فيقسمان
بالله فيحلفان به ان ارتبتم شككتم في امانتهما وهو اعتراض بين يقسمان وجوابه وهو لا نشتري
وجواب الشرط محذوف اغنى عنه معنى الكلام والتقدير ان ارتبتم في شانهما فحلفوهما بالله

او بالقسم ثمنا عرضا من الدنيا ولو كان المقسم له ذا قربى اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من
نقسم له قريبا منا ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها انا اذا ان كتمنا لمن
الآثمين وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فلم ينسخ تحليفهما
فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين فآخران فشاهدان
آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم اي من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل
الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما
وان شهادتهما احق من شهادتهما الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان
كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان او هما بدل من الضمير في يقومان او من آخران استحق عليهم الاوليان حفص
اي من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بها كذب
الكاذبين الاولين لانهم كانوا اولين في الذكر فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما
اي ليميننا احق بالقبول من يمين هذين الوصيين الخائنين وما اعتدينا وما تجاوزنا الحق في يميننا انا
اذا لمن الظالمين اي ان حلفنا كاذبين ذلك الذي من ذكر من بيان الحكم ادنى اقرب ان يأتوا اي الشهداء اي الوصيان
على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها كما حملوها بلا خيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي تكرر ايمان
شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم واتقوا الله في الخيانة واليمين الكاذبة واسمعوا سمع قبول واجابة
والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة فان قلت ما معنى او قلت معناه ذلك
اقرب من تؤدوا الشهادة بالحق والصدق اما لله او لخوف العار والافتضاح برد الايمان وقد احتج
به من يرى رد اليمين على المدعي والجواب ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما قد خانا فحلفا
فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فانكرت الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشراء يوم
منصوب باذكروا او احذروا يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ما الذي اجابتكم اممكم حين دعوتموهم
الى الايمان وهذا اجبتم قالوا لا علم لنا باخلاص قومنا ولنا انك انت علام الغيوب او بما احدثوا
بعدنا ولانك كنت انت الرقيب عليهم او قالوا ذلك تادبا اي علمنا ساقط مع علمك ومغمور به فكانه
لا علم لنا اذ قال الله بدل من يوم يجمع يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك حيث طهرتها
واصطفيتها على نساء العالمين والعامل في اذ ايدتك اي قويتك بروح القدس بجبريل عليه السلام
ايده به لتثبيت الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام
تكلم الناس في المهد حال اي تكلمهم طفلا اعجازا وكهلا تبليغا واذ علمتك معطوف على اذ ايدتك نحو
واذ تخلق واذ تخرج واذ كففت واذ اوحيت الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب والتورية
والانجيل واذ تخلق تقدر من الطين كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف

السؤال نوع من الاكرام وما ذا منصوب باجبتم نصب المصدر على معنى الاجابة

لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من
خلقه وكذا الضمير في فتكون طيرا باذني وعطف وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى من
القبور احياء باذني قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامراة وجارية واذ كففت بني اسرائيل
عنك اي اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم ظرف لكففت بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا
الا سحر مبين سحر حق وعلي واذ اوحيت الى الحواريين للخواص او الاصفياء ان آمنوا
بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون من اسلم وجهه اذ قال الحواريون
اي اذكر اذ يا عيسى بن مريم عيسى نصب على اتباع حركة الابن نحو يا زيد بن عمرو هل يستطيع ربك
هل يفعل او هل يطيعك ربك ان سألته فاستطاع واطاع بمعنى كاستجاب واجاب هل تستطيع سؤال
ربك بحذف المضاف والمعنى هل تسأل ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله ان ينزل
علينا بالتاء مكي وبصري مائدة من السماء المائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماده اذا اعطاه كانها
تميد من تقدم اليه قال اتقوا الله من اقتراح الآيات بعد ظهور الآيات ان كنتم مؤمنين اذ الايمان
يوجب التقوى قالوا نريد ان نأكل منها تبركا به وتطمئن قلوبنا وتزداد يقينا كقول ابراهيم عليه
ولكن ليطمئن قلبي ونعلم ان قد صدقتنا اي نعلم صدقك عيانا كما علمنا استدلالا ونكون
عليها من الشاهدين بما عاينا لمن بعدنا ولما كان السؤال لزيادة العلم لا للتعنت قال عيسى بن مريم
اللهم اصله يا الله فحذف يا وعوض منه الميم ربنا نداء ثان انزل علينا مائدة من السماء
تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثمة اتخذه النصارى عيدا
هو العيد السرور العائد ولذا يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا لاولنا وآخرنا
بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا او يأكل منها آخر الناس
كما يأكل اولهم او للمقدمين منا والاتباع وآية منك على صحة نبوتي ثم اكد ذلك بقوله وارزقنا
وانت خير الرازقين واعطنا ما سألناك وانت خير المعطين قال الله اني منزلها عليكم وبالتشديد
مدني وشامي وعاصم وعد الانزال وشرط عليهم شرطا بقوله فمن يكفر بعد اي بعد نزولها
منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا كالسلام بمعنى التسليم والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد
بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء احدا من العالمين عن الحسن ان المائدة لم تنزل ولو نزلت
لكان عيدا الى يوم القيمة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت فقيل وسبب نزلت ما بين مكوسة
يطير بها الملائكة عليها كل طعام الا اللحم وقيل كانوا يجدون عليها ما شاءوا وقيل كانت
تنزل حيث كانوا بكرة وعشيا واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله الجمهور على ان هذا السؤال يكون في يوم القيمة بدليل سياق الآية وسياقها وقيل

خاطبه به حين رفعه الى السماء ودليله لفظ اذ قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون
لي اي ما ينبغي لي ان اقول ما ليس لي بحق ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت
قلته فقد علمته ان صح اني قلته فيما مضى فقد علمته والمعنى اني لا احتاج الى الاعتذار لانك تعلم اني
لم اقله ولو قلته علمته لانك تعلم ما في نفسي ذاتي ولا اعلم ما في نفسك ذاتك فنفس الشيء ذاته وهويته
والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه
عليه المنقول من جملة الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به اي ما امرتهم الا بما امرتني به
فتبرأ منه فقال ان اعبدوا الله ربي وربكم فان مفسرة بمعنى اي وكنت عليهم شهيدا
رقيبا ما دمت فيهم مدة كوني فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم الحفيظ وانت
على كل شيء شهيد من قولي وفعلي وقولهم وفعلهم ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم قال الزجاج علم عيسى عليه السلام ان منهم
من آمن ومنهم من اقام على الكفر فقال في جملتهم ان تعذبهم اي ان تعذب من كفر منهم فانهم
عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وانت العادل في ذلك فانهم
قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم وان تغفر لهم اي لمن اقلع منهم وآمن فذلك تفضل
منك وانت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم في ذلك او عزيز قوي قادر على الثواب حكيم
لا يعاقب الا عن حكمة وصواب قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم برفع اليوم والاضافة
على انه خبر هذا اي يقول الله هذا يوم ينفع الصادقين فيه صدقهم المستمر في دنياهم وآخرتهم والجملة
من المبتدأ والخبر في محل النصب على المفعولية كما تقول قال زيد عمرو منطلق وبالنصب على
الظرف اي قال الله هذا لعيسى يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم القيمة لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم بالسعي المشكور ورضوا عنه بالجزاء الموفور
ذلك الفوز العظيم لانه باق بخلاف الفوز في الدنيا فهو غير باق لله ملك السموات والارض وما
فيهن عظم نفسه عما قالت النصارى ان معه الها آخر وهو على كل شيء قدير من المنع والاعطاء
والايجاد والافناء نسأله ان يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء اي الحمد له وان لم يحمده احد
الذي خلق السموات والارض جمع السموات لانها طباق بعضها فوق بعض والارض وان كانت
سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل موال لبعض وجعل يتعدى الى مفعول
واحد اذا كان بمعنى احدث وانشأ كقوله وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير

كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وفيه رد قول الثنوية بقدم النور والظلمة
وافرد النور لارادة الجنس ولان ظلمة كل شي تختلف باختلاف ذلك الشي نظيره ظلمة الليل وظلمة
البحر وظلمة الموضع المظلم يخالف كل واحد منها صاحبها والنور ضرب واحد لا يختلف كما
تختلف الظلمات وقدم الظلمات لقوله عليه السلام خلق الله خلقه في ظلمة ثم رش عليهم
من نوره فمن اصابه النور اهتدى ومن اخطاه ضل ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم
يعدلون يسوون به الاوثان تقول عدلت هذا بذا اذا ساويته به والباء في بربهم
صلة لتعدل لا للكفر وثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه اي يعرضون فيكون الباء صلة
للكفر وصلة يعدلون اي عنه محذوفة وعطف ثم الذين كفروا على معنى ان الله حقيق
بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته او على خلق
السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شي
منه ومعنى ثم استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته هو الذي خلقكم من طين من لابتدا
الغاية اي ابتدا خلق اصلكم يعني آدم منه ثم قضى اجلا اي حكم اجل الموت واجل مسمى عنده
اجل القيامة او الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو
البرزخ او الاول النوم والثاني الموت او الثاني هو الاول وتقديره وهو اجل مسمى اي معلوم
واجل مسمى مبتدا والخبر عنده وقدم المبتدا وان كان نكرة والخبر ظرفا وحقه التاخير
لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة ثم انتم تمترون تشكون من المرية او تجادلون من المرا
ومعنى ثم استبعاد ان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم وهو الله مبتدا
وخبره في السموات وفي الارض متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيهما والاول
تفريع على انه مشتق وغيره على انه غير مشتق يعلم سركم وجهركم خبر بعد خبر او
كلام مبتدا اي هو يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون من الخير والشر فيثيب عليه
ويعاقب ومن في وما تاتيهم من آية للاستغراق وفي من آيات ربهم للتبعيض
اي وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار الا كانوا
عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه لقلة خوفهم وتدبرهم في العواقب
فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كانه قيل انهم كانوا معرضين
عن الآيات فقد كذبوا بالحق لما جاءهم اي بما هو اعظم آية واكبرها وهو القرآن
الذي به تحدوا فعجزوا عنه فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اي انباء الشي الذي
كانوا به يستهزءون وهو القرآن اي اخباره واحواله يعني سيعلمون باي شي استهزءوا

وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته
الم يروا يعني المكذبين كم اهلكنا من قبلهم من قرن هو مدة انقضاء اهل كل عصر وهو ثمانون سنة او سبعون
مكناهم في موضع جر صفة لقرن وجمع على المعنى في الارض ما لم نمكن لكم التمكين في البلاد اعطاء المكنة
والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار
باسباب الدنيا وارسلنا السماء المطر عليهم مدرارا غزيرا وهو حال من السماء وجعلنا الانهار تجري
من تحتهم من تحت اشجارهم والمعنى عاشوا في الخصب بين الانهار والثمار وسقيا الغيث
المدرار فاهلكناهم بذنوبهم فلم يغن ذلك عنهم شيئا وانشانا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم
ولو نزلنا عليك كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بايديهم هو للتاكيد لئلا يقولوا سكرت ابصارنا
ومن اللجج عليهم الاعمى لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره وقالوا
لولا انزل عليه على النبي عليه السلام ملك يكلمنا انه نبي فقال الله تعالى ولو انزلنا ملكا لقضي الامر
لاهلكهم ثم لا ينظرون لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت
ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد
من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة اشد من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول
ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا تارة يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم
ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله
عليه السلام في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يثبتون مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم
ما يلبسون ولخلطنا واشكلنا عليهم من امره اذا كان سبيله كسبيلك يا محمد فانهم يقولون اذا راوا
الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته عليهم
واشكلته عليهم ثم سلى نبيه عليه السلام على ما اصابه من استهزاء قومه بقوله ولقد استهزئ برسل من
قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الشي الذي كانوا يستهزءون به
وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء به ومنهم متعلق بسخروا كقوله فيسخرون منهم والضمير للرسل
والدال مكسورة عند ابي حنيفة وعمرو وعاصم لالتقاء الساكنين وضمها غيرهما اتباعا للتاء قل سيروا
في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين والفرق بين فانظروا وبين ثم انظروا
ان النظر جعل مسببا عن السير في فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين
ومعنى سيروا في الارض ثم انظروا اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين
ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح قل لمن ما في السموات والارض من استفهام وما بمعنى
الذي في موضع الرفع على الابتداء ولمن خبره قل لله تقرير لهم اي هو لله لا خلاف بيني وبينكم

ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه لغيري كتب على نفسه الرحمة اى التزمها واوجب ولكن
لا يجوز الاجرآء على قياس اذ لا يجب على الله شئ للعبد فالمراد به انه وعدها وعدا مؤكدا وهو منجزه لا محالة وذكر
النفس للاختصاص ورفع الوسايط ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر
على خلق شئ بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم لا ريب فيه في اليوم او في الجمع الذين
خسروا انفسهم نصب على الذم اى اريد الذين خسروا انفسهم باختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون
وقال الاخفش الذين بدل من كم في ليجمعنكم اى ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم
فالوجه هو الاول لان سيبويه قال لا يجوز مررت بي المسكين وبك المسكين فيجعل المسكين
بدلا من اليآء والكاف لانهما في غاية الوضوح فلا تحتاجان الى البدل والتفسير وله عطف
على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى حتى يتناول الساكن والمتحرك او من السكون لانه اكثر من الحركة
وهو احتجاج على المشركين لانهم لم ينكروا انه خالق الكل ومدبره وهو السميع العليم
يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شئ مما يشتمل عليه الملوان قل اغير الله اتخذ وليا
ناصرا ومعبودا وهو مفعول ثان لاتخذ والاول غيرا وانما ادخل همزة الاستفهام على مفعول
اتخذ لا عليه لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان احق بالتقديم فاطر السموات
والارض بالجر صفة لله اى مخترعهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر
حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم وهو
يرزق ولا يرزق اى المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع قل اني امرت ان اكون
اول من اسلم لان النبي عليه السلام سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول
المسلمين ولا تكونن من المشركين وقيل لي لا تكونن من المشركين ولو عطف على ما قبله
لفظا لقيل وان لا اكون والمعنى امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك قل اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم اى اني اخاف عذاب يوم عظيم وهو يوم القيامة ان عصيت ربي
فالشرط معترض بين الفعل والمفعول به محذوف الجواب والتقدير اني اخاف
عذاب يوم عظيم ان عصيت ربي فاني اخاف من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه
الله الرحمة العظمى وقرأ حمزة وعلي وابو بكر اى من يصرف الله عنه العذاب وذلك
الفوز المبين النجاة الظاهرة وان يمسسك الله بضر او فقر او مرض وغير ذلك من بلاياه فلا كاشف له
الا هو فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شئ قدير
فكان قادرا على ادامته او ازالته وهو القاهر مبتدأ وخبر اى الغالب المقتدر فوق عباده
خبر بعد خبر اى عال عليهم بالقدرة والقهر بلوغ المراد بمنع غيره عن بلوغه وهو الحكيم في تدبيره

والخبير باهل القهر من عباده قل اي شئ اكبر شهادة اى شئ مبتدأ واكبر خبر وشهادة تمييز
واي كلمة يراد بها بعض ما تضاف اليه فاذا كانت استفهاما كان جوابها مسمى باسم ما اضيف
اليه وقوله قل الله جواب اى الله اكبر شهادة فالله مبتدأ والخبر محذوف فيكون دليلا على انه
يجوز اطلاق اسم الشئ على الله تعالى وهذا لان الشئ اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم والله تعالى موجود
فيكون شيئا ولذا تقول الله تعالى شئ لا كالاشيآء ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم اى هو شهيد بيني وبينكم
ويجوز ان يكون الجواب الله شهيد بيني وبينكم لانه اذا كان الله شهيدا بينه وبينهم فاكبر شئ شهادة
شهيد له واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ اى ومن بلغه القرآن الى قيام
الساعة في الحديث من بلغه القرآن فكانما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن في محل النصب
بالعطف على كم والمراد به اهل مكة والعايد اليه محذوف اى ومن بلغه وفاعل بلغ ضمير القرآن
ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى استفهام انكار وتبكيت قل لا اشهد بما تشهدون
وكرر قل توكيدا انما هو اله واحد ما كافة لان عن العمل وهو مبتدأ واله خبر وواحد صفته
او بمعنى الذي في محل النصب بان هو مبتدأ واله خبر والجملة صلة الذي وواحد خبر
ان وهذا الوجه اوقع واني بريء مما تشركون به الذين آتيناهم الكتاب
يعني اليهود والنصارى والكتاب التورية والانجيل يعرفونه اى رسول الله عليه السلام
بحليته ونعته الثابت في الكتابين كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعوتهم وهذا
استشهاد لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم
من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به ومن اظلم استفهام يتضمن
معنى النفي اى لا احد اظلم لنفسه والظلم وضع الشئ في غير موضعه واشنعه اتخاذ المخلوق
معبودا ممن افترى اختلق على الله كذبا فوصفه بما لا يليق به او كذب بآياته بالقرآن
والمعجزات انه لا يفلح الظالمون جمعوا بين امرين باطلين فكذبوا على الله
بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة حيث قالوا الملائكة بنات الله وسموا القرآن والمعجزات
سحرا ويوم نحشرهم وهو مفعول به والتقدير واذكر يوم نحشرهم جميعا حال من ضمير المفعول
ثم نقول للذين اشركوا مع الله غيره توبيخا وبالياء فيهما يعقوب اين شركاؤكم
آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله الذين كنتم تزعمون اى تزعمونهم شركاء
فحذف المفعولان ثم لم تكن وبالياء حمزة وعلي فتنتهم كفرهم الا ان قالوا والله ربنا
ما كنا مشركين يعني ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا
عليه الا جحوده والتبري منه والحلف على الانتفاء من التدين به او ثم لم يكن جوابهم

إلا أن قالوا في فتنتهم لأنه كذب وبرفع الفتنة مكي وشامي وحفص فمن قرأ تكن بالتاء ورفع الفتنة
فقد جعل الفتنة اسم تكن وأن قالوا الخبر أي لم تكن فتنتهم إلا مقالتهم ومن قرأ بالياء ونصب
الفتنة جعل أن قالوا اسم يكن أي لم يكن فتنتهم إلا قولهم ومن قرأ بالتاء ونصب الفتنة
حمل على المعنى للتأنيث ربنا حمزة وعلي على النداء أي يا ربنا وغيرهما بالجر على النعت من اسم الله انظر
كيف كذبوا على أنفسهم بقولهم ما كنا مشركين قال مجاهد إذا جمع الله الخلائق ورأى
المشركون سعة رحمة الله وشفاعة رسول الله للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك
لعلنا ننجو مع أهل التوحيد وإذا قال الله لهم أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم وضل عنهم وغاب
عنهم ما كانوا يفترون آلهتهم وشفاعتهم ومنهم من يستمع إليك حين تتلو القرآن
روي أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه
فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير
الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان إني لأراه حقا فقال أبو جهل
كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم أكنة أغطية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان وأعنة
أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ثقلا يمنع من السمع ووحد الوقر لأنه مصدر
وهو عطف على أكنة وهو حجة لنا في الأصلح على المعتزلة وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها
حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا وحتى هي التي يقع بعدها الجمل والجملة
قوله إذا جاءوك وهو في موضع الجر بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول الذين كفروا
تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم
بأنهم يقولون إن هذا إلا أساطير الأولين فيجعلون كلام الله الأكاذيب
والواحد الأساطير أسطورة وهم أي المشركون ينهون عنه ينهون الناس عن القرآن أو عن
الرسول واتباعه والإيمان به وينأون عنه ويبعدون عنه بأنفسهم فيضلون ويضلون وإن
يهلكون بذلك إلا أنفسهم وما يشعرون أي لا يتعداهم الضرر إلى غيرهم وإن كانوا يظنون
أنهم يضرون رسول الله عليه السلام وقيل عني به أبو طالب لأنه كان ينهى قريشا
عن التعرض لرسول الله عليه السلام وينأى عنه فلا يؤمن به والأول أشبه ولو ترى لرأيت
أمرا عظيما إذ وقفوا على النار أروها حتى يعاينوها أو حبسوا على الصراط فوق النار فقالوا
يا ليتنا نرد إلى الدنيا تمنوا الرد إلى الدنيا ليؤمنوا ثم ابتدأوا بقولهم ولا نكذب
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الإيمان كأنهم قالوا ونحن لا نكذب

ونؤمن

ونؤمن ولا نكذب ونكون حمزة وحفص على جواب التمني بالواو بإضمار أن ومعناه إن رددنا
لم نكذب ونكن من المؤمنين وافقهما شامي في ونكون بل للإضراب عن الوفاء بما تمنوا بدا لهم
ظهر لهم ما كانوا يخفون من قبل من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم
وقيل هو في المنافقين وأنه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه أو في أهل الكتاب وأنه يظهر لهم
ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله عليه السلام ولو ردوا إلى الدنيا بعد وقوفهم على
النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر وإنهم لكاذبون فيما وعدوا من أنفسهم لا يوفون به وقالوا
عطف على لعادوا أي ولو ردوا لكفروا ولقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة
القيامة أو على قوله وإنهم لكاذبون أي وإنهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا
إن هي إلا حياتنا الدنيا وهي كناية عن الحياة أو هو ضمير القصة وما نحن بمبعوثين ولو ترى
إذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين
يدي سيده ليعاتبه أو وقفوا على جزاء ربهم قال جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا
قال لهم ربهم إذ وقفوا عليه فقيل قال أليس هذا أي البعث بالحق بالكائن الحق
وهذا تعيير لهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث
ما هو بحق قالوا بلى وربنا أقروا وأكدوا الإقرار باليمين قال الله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون بكفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها أو هو مجرى على ظاهره
لأن منكر البعث منكر الرؤية حتى غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له إذا جاءتهم
الساعة أي القيامة لأن مدة تأخرها مع تأبد ما بعدها كساعة بغتة فجأة وانتصابها على الحال
يعني باغتة أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة وهي ورود الشيء على صاحبه من غير
علمه بوقته قالوا يا حسرتنا نداء تفجع معناه يا حسرة احضري فهذا أوانك على ما فرطنا قصرنا
فيها في الحياة الدنيا أو في الساعة أي قصرنا في شأنها وفي الإيمان بها وهم يحملون أوزارهم
آثامهم على ظهورهم خص الظهر لأن المعهود حمل الأثقال على الظهر كما عهد الكسب بالأيدي
وهو مجاز عن اللزوم على وجه لا يفارقهم وقيل إن الكافر إذا خرج من قبره استقبله
أقبح شيء صورة وأخبثه ريحا فيقول أنا عملك السيء فطالما ركبتني في الدنيا وأنا أركبك
اليوم ألا ساء ما يزرون بئس شيئا يحملونه وأفاد ألا تعظيم ما يذكر بعده وما الحياة الدنيا إلا لعب
ولهو جواب لقولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع واللهو الميل عن الجد
إلى الهزل قيل ما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو لأنها لا تعقب منفعة كما تعقب
أعمال الآخرة المنافع العظيمة وللدار الآخرة مبتدأ الآخرة صفتها ولدار الآخرة بالإضافة شامي

اى ولدار الساعة الآخرة لان الشيء لا يضاف الى صفته وخبر المبتدأ على القراءتين
خير للذين يتقون وفيه دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو افلا تعقلون
بالتاء مدني وحفص ولما قال ابو جهل ما نكذبك يا محمد وانك عندنا لمصدق وانما نكذب ما
جئتنا به نزل قد نعلم انه الهاء ضمير الشأن ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك لا ينسبونك
الى الكذب وبالتخفيف نافع وعلي من اكذبه اذا وجده كاذبا ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
من اقامة الظاهر مقام المضمر وفيه دلالة على انهم ظلموا في جحودهم والباء يتعلق بيجحدون او بالظالمين
كقوله فظلموا بها والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك
في الحقيقة وانما يكذبون الله لان تكذيب الرسول تكذيب المرسل ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية
لرسول الله عليه وهو دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك
لغلامك اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني فصبروا والصبر حبس النفس
على المكروه على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات
الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
انا لننصر رسلنا ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا
من مصابرة المشركين واجاز الاخفش ان يكون من زائدة والفاعل نبأ المرسلين وسيبويه
لا يجيز زيادتها في الواجب كان يكبر على النبي عليه السلام كفر قومه واعراضهم ويحب مجيء
الآيات ليسلموا فنزل وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عن الاسلام فان استطعت
ان تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها في
الارض صفة لنفقا او سلما في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل وهو جواب فان استطعت
وهو وجوابه جواب وان كان كبر والمعنى انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على
اسلام قومه وانه لو استطاع ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء
ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى لجعلهم بحيث يختارون الهدى ولكن
لما علم انهم يختارون الكفر لم يشأ ان يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ ابو منصور
رحمه الله ولكن لما علم انهم يختارون الكفر لم يشأ ان يجمعهم على ذلك فلا تكونن
من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ثم اخبر ان حرصه على هدايتهم لا ينفع لعدم
سمعهم كالموتى بقوله انما يستجيب الذين يسمعون اي انما يجيب دعاءك الذين يسمعون
دعاءك بقلوبهم والموتى مبتدأ اي الكفار يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون
واما قبل ذلك فلا وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه

كانتزاح من جبل الصفا ذهبا وتوسيع ارض مكة وتفجير الانهار خلالها قل ان الله قادر على ان ينزل آية
كآية كما اقترحوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية او لا يعلمون
ما عليهم في الآية من البلاء لو انزلت وما من دابة هي اسم لما يدب وتقع على المذكر والمؤنث في الارض
في موضع جر صفة لدابة ولا طائر يطير بجناحيه قيد الطيران بالجناحين لنفي المجاز لان غير الطائر قد
يقال فيه طار اذا اسرع الا امم امثالكم في الخلق والموت والبعث والاحتياج الى مدبر يدبر امرها
ما فرطنا ما تركنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت
او الكتاب القرآن وقوله من شيء اي من شيء يحتاجون اليه فهو مشتمل على ما تعبدنا به عبارة واشارة
ودلالة واقتضاء ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها من بعض
كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا وانما قال الا امم مع افراد الدابة والطائر لمعنى الاستغراق
فيهما ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والذين كذبوا بآياتنا صم
لا يسمعون كلام المنبه وبكم لا ينطقون بالحق خابطون في الظلمات اي ظلمة الجهل والحيرة والكفر غافلون
عن تامل ذلك والتفكر فيه صم وبكم خبر الذين ودخول الواو لا يمنع من ذلك وفي الظلمات خبر آخر ثم قال
ايذانا بانه فعال لما يريد من يشإ الله يضلله اي من يشإ الله يجعله على صراط مستقيم وفيه دلالة خلق الافعال
وارادة المعاصي ونفي الاصلح قل ارأيتكم وبتليين الهمزة مدني وبتركها علي ومعناه هل علمتم ان الامر كما يقال
لكم فاخبروني بما عندكم والضمير الثاني لا محل له من الاعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار محذوف
تقديره ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون اي اتخصون
آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها ان كنتم صادقين في ان الاصنام
آلهة فادعوها لتخلصكم بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة الباطلة فيكشف ما تدعون
اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم
او لا تذكرون آلهتكم في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف
الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارأيتكم اغير الله
تدعون ان اتاكم عذاب الله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا فالمفعول محذوف فكذبوهم
فاخذناهم بالبأساء والضراء بالبؤس والضر والاول القحط والجوع والثاني المرض ونقصان الانفس
والاموال لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس
تتخشع عند نزول الشدائد فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا اي هلا تضرعوا بالتوبة ومعناه نفي التضرع
كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع ولكن
قست قلوبهم فلم ينزجروا بما ابتلوا به وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فصاروا معجبين

ضلاله يضلله ومن يشا

بما عملهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به
ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعم فتحنا شامي حتى
اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون آيسون متحيرون واصله
الاطراق حزنا لما اصابه او ندما على ما فاته واذا للمفاجاة فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اهلكوا
عن آخرهم ولم يترك منهم احد والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة
وانه من اجل النعم واجزل القسم او احمدوا الله على اهلاك من لم يحمد الله ثم دل على قدرته وتوحيده
بقوله قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم فسلب العقول
والتمييز من اله غير الله يأتيكم به بما اخذ وختم عليه من رفع بالابتداء واله خبره وغير صفة له
وكذا يأتيكم والجملة في موضع مفعول ارأيتم وجواب الشرط محذوف انظر كيف نصرف الآيات نكررها ثم
هم يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها والصدوف الاعراض عن الشيء قل ارأيتكم
ان اتاكم عذاب الله بغتة بان لم يظهر اماراته او جهرة بان ظهرت اماراته وعن الحسن ليلا
او نهارا هل يهلك الا القوم الظالمون ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الذين ظلموا انفسهم بكفرهم
بربهم وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين بالجنان والنيران للمؤمنين والكفار ولم نرسلهم
ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة والادلة الساطعة فمن آمن واصلح اي
دام على ايمانه فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فلا خوف يعقوب والذين كذبوا بآياتنا
يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى قل لا اقول لكم عندي خزائن
الله اي قسمه بين الخلق وارزاقه ومحل ولا اعلم الغيب النصب عطفا على محل عندي
خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول ولا اقول لكم اني ملك
اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيوب ودعوى الملكية
وانما ادعي ما كان لكثير من البشر وهو النبوة ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما اخبركم الا بما انزل الله علي
قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او لمن اتبع ما يوحى اليه ولمن لم يتبع او لمن
يدعي المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان
او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه وانذر به
بما يوحى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المسلمون المقرون بالبعث الا انهم مفرطون
في العمل فينذرهم بما يوحى اليه او اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ليس لهم من دونه ولي
ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا اي يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم

لعلهم يتقون يدخلون في زمرة اهل التقوى ولما امر عليه السلام بانذار غير المتقين ليتقوا
امر بعد ذلك بتقريب المتقين ونهى عن طردهم بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة
والعشي الدوام او معناه يصلون صلوة الصبح والعصر او الصلوات الخمس بالغداة شامي
ووصفهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه فالوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته
نزلت في الفقراء بلال وصهيب وعمار واضرابهم حين قال رؤساء المشركين لو طردت
هؤلاء السقاط لجالسناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاجعل لنا يوما ولهم
يوما فطلبوا بذلك كتابا فدعا عليا رضي الله عنه ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية فنزلت فرمى
عليه السلام بالصحيفة واتى الفقراء فعانقهم ما عليك من حسابهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي
وما من حسابك من شيء وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعدى
اليك كما ان حسابك عليك لا يتعدى اليهم فتطردهم جواب النفي وما عليك من حسابهم فتكون
من الظالمين جواب النهي وهو ولا تطرد ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه
ظالما مسبب عن طردهم وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن العظيم ابتلينا الاغنياء
بالفقراء ليقولوا اي الاغنياء اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي انعم الله عليهم بالايمان ونحن المقدمون والرؤساء
وهم الفقراء الحكام انكار لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان خيرا ما سبقونا
اليه اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يشكر نعمته واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام
عليكم اما ان يكون امرا بان يبداهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذا قوله كتب
ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبول التوبة منهم ومعناه
وعدكم بالرحمة وعدا مؤكدا انه الضمير للشأن من عمل منكم سوءا ذنبا بجهالة في موضع الحال اي عمله
وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة او جعل جاهلا لايثاره المعصية على الطاعة ثم تاب من بعده من بعد
السوء او العمل واصلح واخلص توبته فانه غفور رحيم انه فانه شامي وعاصم الاول بدل الرحمة والثاني
خبر مبتدا محذوف اي فشأنه انه غفور رحيم انه فانه مدني الاول بدل الرحمة والثاني مبتدا اي فانه
غيرهم على الاستيناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين
وبالياء حمزة وعلي وابو بكر سبيل المجرمين مدني غيره بالرفع فرفع السبيل مع التاء والياء لانها تذكر
وتؤنث ونصب السبيل مع التاء على خطاب الرسول عليه السلام يقال استبان الامر وتبين
واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال
المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجى اسلامه ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان تعامل به

فصلنا ذلك التفصيل قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله أي صرفت وزجرت
بأدلة العقل والسمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم أي لا أجري في طريقتكم
التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال قد ضللت
إذا أي إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال وما أنا من المهتدين وما أنا من الهدى في شيء بعد أن كنت كذلك ولما نفى
أن يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل إني على بينة من ربي أي إني على معرفة ربي
وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة وكذبتم به حيث أشركتم به غيره وقيل على بينة من ربي على
حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به بالبينة وذكر الضمير على تأويل البرهان أو البيان أو القرآن
ثم عقبه بما دل على أنهم أحقاء بأن يفاجأوا بالعذاب فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب
الذي استعجلوه في قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء إن الحكم إلا لله في تأخير عذابكم يقص الحق
حجازي وعاصم أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره الباقون يقض الحق أي القضاء
الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل فالحق صفة لمصدر يقضي وقوله وهو خير الفاصلين أي القاضين
بالقضاء الحق إذ الفصل هو القضاء وسقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء
الساكنين قل لو أن عندي أي في قدرتي وإمكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الأمر بيني وبينكم
لأهلكتكم عاجلا غضبا لربي والله أعلم بالظالمين فهو ينزل عليكم العذاب في وقت يعلم أنه أردع
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو المفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وهي خزائن العذاب والرزق
أو ما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والأحوال جعل للغيب مفاتح على طريق
الاستعارة لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال ومن علم مفاتحها
وكيفية فتحها توصل إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن عنده
مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل في المخازن قيل عنده مفاتح الغيب وعندك مفاتح
الغيب فمن آمن بغيبه أسبل الله الستر على عيبه ويعلم ما في البر من النبات والدواب والبحر
من الحيوان والجواهر وغيرهما وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ما للنفي ومن للاستغراق أي يعلم
عددها وأحوالها قبل السقوط وبعده ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس عطف
على ورقة وداخل في حكمها وقوله إلا في كتاب مبين كالتكرير لقوله إلا يعلمها لأن معنى إلا يعلمها ومعنى
إلا في كتاب مبين واحد وهو علم الله أو اللوح ثم خاطب الكفرة بقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل
أي يقبض أنفسكم عن التصرف بالنوم في المنام ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه من الآثام ثم
يبعثكم فيه ثم يوقظكم في النهار والتقدير ثم يبعثكم في النهار ويعلم ما جرحتم فيه فقدم الكسب لأنه أهم
وليس فيه أنه لا يعلم ما جرحنا بالليل ولا أنه لا يتوفانا بالنهار فدل أن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل

على نفي ما عداه ليقضى أجل مسمى ليوفي الآجال على الاستكمال ثم إليه مرجعكم رجوعكم بالبعث
بعد الموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم قال بعض أهل الكلام إن لكل حاسة من هذه الحواس
روحا تقبض عند النوم ثم ترد إليها إذا ذهب النوم فأما الروح التي تحيى بها النفس فإنها لا تقبض
إلا عند انقضاء الأجل والمراد بالأرواح المعاني والقوى التي تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر
والأخذ والمشي والشم ومعنى ثم يبعثكم فيه أي يوقظكم ويرد إليكم أرواح الحواس فيستدل به على
منكري البعث لأنه بالنوم يذهب أرواح هذه الحواس ثم ترد إليها فكذا تحيى الأنفس بعد موتها وهو
القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون
ذلك أزجر للعباد عن ارتكاب الفساد إذا تفكروا أن صحائفهم تعرض على رؤوس الأشهاد
حتى إذا جاء أحدكم الموت حتى لغاية حفظ الأعمال أي ذلك دأب الملائكة مع المكلف مدة
الحياة إلى أن يأتيه الممات توفته رسلنا أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه
توفته واستهواه بالإمالة حمزة رسلنا أبو عمرو وهم لا يفرطون لا يتوانون ولا يؤخرون
ثم ردوا إلى الله إلى حكمه وجزائه أي ثم المتوفون يرد الملائكة مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم الحق
العدل الذي لا يحكم إلا بالحق وهما صفتان لله ألا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو أسرع الحاسبين
لا يشغله حساب عن حساب يحاسب جميع الخلق مقدار حلب شاة وقيل الرد إلى من رباك
خير من البقاء مع من آذاك قل من ينجيكم عباس من ظلمات البر والبحر من مخاوفهما
وأهوالهما أو ظلمات البر الصواعق والبحر الأمواج وكلاهما في الغيم والليل تدعونه حال من ضمير المفعول
في ينجيكم تضرعا معلنين الضراعة وهو مصدر في موضع الحال وكذا وخفية أي مسرين في أنفسكم
خفية حيث كان أبو بكر وهما لغتان لئن أنجانا عاصم وبالإمالة حمزة وعلي الباقون أنجيتنا والمعنى
يقولون لئن خلصتنا من هذه الظلمات لنكونن من الشاكرين لله تعالى قل الله ينجيكم بالتشديد
كوفي منها من الظلمات ومن كل كرب غم وحزن ثم أنتم تشركون قل هو القادر هو الذي عرفتموه
قادرا أو هو الكامل القدرة فاللام يحتمل العهد والجنس على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما أمطر
على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة أو من تحت أرجلكم كما أغرق قوم فرعون وخسف
بقارون أو من قبل سلاطينكم وسفلتكم أو هو حبس المطر والنبات أو يلبسكم شيعا أو يخلطكم
فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لإمام ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم
فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال ويذيق بعضكم بأس بعض يقتل بعضكم بعضا والبأس السيف
وعنه عليه السلام سألت الله أن لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني
ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل عليه السلام أن فناء أمتي بالسيف انظر

كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به بالقرآن او بالعذاب
قومك قريش وهو الحق اى الصدق او لا بد ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل
الى امركم انما انا منذر لكل نبإ لكل شىء ينبأ به يعنى انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر
وقت استقرار وحصول لا بد منه وسوف تعلمون تهديد واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا
اى القرآن يعنى يخوضون فى الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش فى انديتهم يفعلون ذلك فاعرض
عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره غير القرآن مما يحل فحينئذ يجوز ان
تجالسهم واما ينسينك الشيطان ما نهيت عنه ينسينك شاى نسى واحد فلا تقعد بعد
الذكرى بعد ان تذكر النهى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من حساب
هؤلاء الذين يخوضون فى القرآن تكذيبا واستهزاء من شىء اى وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم
شىء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام
عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم ومحل ذكرى نصب اى ولكن يذكرونهم ذكرى تذكيرا
او رفع والتقدير ولكن عليهم ذكرى فذكرى مبتدا والخبر محذوف لعلهم يتقون لعلهم
يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم وذر الذين اتخذوا دينهم الذى كلفوه ودعوا اليه
وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا به ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال
بتكذيبهم واستهزائهم واللهو ما يشغل الانسان من هوى او طرب وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس
بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال المنع ليس لها من دون الله
ولى ينصرها بالقوة ولا شفيع يدفع عنها بالمسئلة ولا وقف على كسبت فى الصحيح لان قوله ليس لها صفة لنفس
والمعنى وذكر بالقرآن كراهة ان تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها وان تعدل كل عدل نصب
على المصدر اى وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادى يعدل المفدى بمثله وفاعل لا يؤخذ منها لا ضمير العدل
لان العدل هنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما فى قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده
اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا وهو مبتدا والخبر الذين ابسلوا بما كسبوا وقوله
لهم شراب من حميم ماء سخين حار لاولئك والتقدير اولئك المبسلون ثابت لهم
شراب من حميم او مستانف وعذاب اليم بما كانوا يكفرون بكفرهم قل نزلت فى ابى بكر حين دعاه ابنه عبد الرحمن وكان
يدعو اباه الى عبادة الاوثان اندعوا انعبد من دون الله الضار النافع ما لا ينفعنا ما لا يقدر على نفعنا
ان دعوناه ولا يضرنا ان تركناه ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ هدانا الله للاسلام
وانقذنا من عبادة الاصنام كالذى استهوته الشياطين كالذى ذهبت به الغيلان ومردة الجن والكاف
فى محل النصب على الحال من الضمير فى نرد على اعقابنا اى انكص مشبهين من استهوته الشياطين وهو

استفعال من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه فى الارض فى المهمه حيران
حال من مفعول استهوته اى تائها ضالا عن الجادة لا يدرى كيف يصنع له لهذا المستهوى اصحاب رفقة
يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف
المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا ياتيهم وهذا مبنى على ما يقال ان الجن تستهوى الانسان والغيلان تستولى عليه
فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت
اليهم قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وامرنا محله النصب
بالعطف على محل ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم
لرب العالمين وان اقيموا الصلوة والتقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اى للاسلام ولاقامة الصلوة
والتقوى وهو الذى اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذى خلق السموات والارض بالحق بالحكمة
او محقا ويوم يقول كن فيكون على الخبر دون الجواب قوله الحق مبتدا ويوم يقول
خبر مقدم عليه كما يقول يوم الجمعة قولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين
والمعنى انه خلق السموات والارض بالحق والحكمة وحين يقول لشىء من الاشياء كن فيكون
ذلك الشىء قوله الحق والحكمة اى لا يكون شيئا من السموات والارض وسائر مكونات الا عن
حكمة وصواب وله الملك مبتدا وخبر يوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك فى الصور هو القرن
بلغة اليمن او جمع صورة عالم الغيب هو عالم الغيب والشهادة اى السر والعلانية وهو الحكيم
فى الافناء والاحياء الخبير بالحساب والجزاء واذ قال ابرهيم لابيه آزر هو اسم ابيه او لقب له لانه
لا خلاف بين النسابين ان اسم ابيه تارخ وهو عطف بيان لابيه وزنا على اتتخذ اصناما
آلهة استفهام توبيخ اى اتتخذها آلهة وهى لا تستحق الالهية انى اريك وقومك فى ضلال مبين
وكذلك اى وكما اريناه قبح الشرك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض اى نريه بصيرة
لطائف خلق السموات والارض ونرى حكاية حال ماضية والملكوت ابلغ من الملك لان الواو
والتاء تزادان للمبالغة قال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر الى ما فيهن حتى انتهى
نظره الى العرش وفرجت له الارضون السبع حتى نظر الى ما فيهن وليكون من الموقنين فعلنا
ذلك او ليستدل وليكون من الموقنين عيانا كما ايقن بيانا فلما جن عليه الليل اى اظلم
وهو عطف على قال ابرهيم لابيه وقوله وكذلك نرى ابرهيم جملة اعتراضية بين المعطوف
والمعطوف عليه راى كوكبا اى الزهرة او المشترى وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس
والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطاء فى دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال
ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها ليس باله لقيام دليل الحدوث فيها وان لها محدثا

أحدها ومنبئ دبّ طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها فلما رأى الكوكب الذي
كانوا يعبدونه قال هذا ربي أي قال لهم هذا ربي في زعمكم أو المراد منه الاستهزاء بهم والإنكار
عليهم والعرب تكتفي عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت والصحيح أن قول من ينصف
خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأنه أدعى إلى الحق وأنجى
من الشغب ثم يكرّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة فلما أفل غاب قال لا أحب الآفلين أي لا أحب
عبادة الأرباب المتغيرين من حال إلى حال لأن ذلك من صفات الأجسام فلما رأى القمر
بازغاً مبتدئاً في الطلوع قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين
نبّه قومه على أن من اتخذ القمر إلهاً فهو ضال وإنما احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما
انتقال من حال إلى حال لأن الاحتجاج به أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربي وإنما ذكّره لأنه أراد الطالع أو لأنه جعل المبتدأ مثل الخبر لأنهما شيء واحد معنى
وفيه صيانة الرب عن شبهة التأنيث ولهذا قالوا في صفات الله تعالى علّام ولم يقولوا علّامة
وإن كان الثاني أبلغ تفادياً عن علامة التأنيث هذا أكبر من باب استعمال النصفة أيضاً
مع خصومه فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها
وقيل كان هذا نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله تعالى والأول أظهر لقوله يا قوم إني بريء
مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض أي للذي دلت هذه المحدثات
على أنه منشئها حنيفاً أي مائلاً عن الأديان كلها إلا الإسلام وما أنا من المشركين بالله شيئاً من خلقه
وحاجّه قومه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه قال أتحاجّوني في الله في توحيده أتحاجوني مدني
وابن ذكوان وقد هدانِ إلى التوحيد وبالياء في الوصل أبو عمرو ولا أخاف ما تشركون به أي معبوداتهم
تصيبني بسوء ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً أي لا أخاف معبوداتكم في
وقت قط لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي أن يصيبني منها بضرٍّ فهو
قادر على أن يجعل فيما شاء نفعاً وفيما شاء ضراً لا الأصنام وسع ربي كل شيء علماً
فلا يصيب عبداً شيء من ضرٍّ ولا نفع إلا بعلمه أفلا تتذكرون فتميزوا بين القادر والعاجز
وكيف أخاف ما أشركتم معبوداتكم وهي مأمونة الخوف ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم
ينزّل به بإشراكه عليكم سلطاناً حجة إذ الإشراك لا يكون عليه حجة والمعنى وما لكم
تنكرون عليّ الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف فأي الفريقين
أي فريقي الموحدين والمشركين أحق بالأمن من العذاب إن كنتم تعلمون ولم يقل
فأيّنا احترازاً من تزكية نفسه ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا

ولم

ولم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك عن الصديق رضي الله عنه أولئك لهم الأمن وهم مهتدون تمّ كلام
إبراهيم عليه السلام وتلك حجتنا إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما
جنّ إلى قوله وهم مهتدون آتيناها إبراهيم على قومه هو خبر بعد خبر نرفع درجات من نشاء
في العلم والحكمة وبالتنوين كوفي وفيه نقض قول المعتزلة في الأصلح إن ربك حكيم بالرفع عليم بالأمر
ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً منهما أي كلهم هدينا وانتصب كلاً بهدينا ونوحاً هدينا وهدينا
نوحاً من قبل من قبل إبراهيم ومن ذريته الضمير لنوح أو لإبراهيم والأول أظهر لأن يونس ولوطاً لم يكونا
من ذرية إبراهيم داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون والتقدير وهدينا من
ذريته هؤلاء وكذلك نجزي المحسنين جزاءً مثل ذلك فالكاف في موضع نصب نعت لمصدر
محذوف وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كلٌّ أي كلهم من الصالحين وذكر عيسى معهم دليل على أن
النسب يثبت من قبل الأم أيضاً لأنه جعله من ذرية نوح وهو لا يتصل به إلا بالأم وبهذا أجيب
الحجاج حين أنكر أن يكون بنو فاطمة أولاد النبي عليه السلام وإسماعيل واليسع والليسع حيث كان
بلامين حمزة وعلي ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين بالنبوة والرسالة ومن آبائهم في موضع
النصب عطفاً على كلاً أي وفضلنا بعض آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم
إلى صراط مستقيم ذلك أي ما دانوا به هؤلاء المذكورون هدى الله دين الله يهدي به من يشاء من عباده
فيه نقض قول المعتزلة لأنهم يقولون إن الله شاء هداية الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا ولو أشركوا مع فضلهم
وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لحبط عنهم ما كانوا يعملون لبطلت أعمالهم كما قال
لئن أشركت ليحبطن عملك أولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد الجنس والحكم والحكمة أو فهم
الكتاب والنبوة وهي أعلى مراتب البشر فإن يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة أو بالنبوة أو بآيات
القرآن هؤلاء أي أهل مكة فقد وكلنا بها قوماً هم الأنبياء المذكورون وتابعوهم بدليل قوله أولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده أو أصحاب النبي عليه السلام أو كل من آمن به أو العجم ومعنى توكيلهم بها أنهم
وُفّقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكّل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء
في ليسوا بها صلة كافرين وفي بكافرين لتأكيد النفي أولئك الذين هدى الله أي الأنبياء الذين مرّ ذكرهم
فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم
طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهي مختلفة والهاء في اقتده للوقف
تسقط في الوصل واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وبحذفها حمزة وعلي في الوصل
ويختلسها شامي قل لا أسألكم عليه على الوحي أو على تبليغ الرسالة والدعاء إلى التوحيد أجراً
جُعلاً وفيه دليل على أن أخذ الأجر على تعليم القرآن ورواية الحديث لا يجوز إن هو إلا ذكرى

للعالمين ما القرآن الا موعظة للجن والانس وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر
من شيء اي ما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده حين انكروا بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك من اعظم
رحمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين روي ان جماعة من اليهود منهم مالك بن الصيف يجادلون
النبي عليه السلام فقال عليه السلام أليس في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر
السمين فغضب وقال ما انزل الله على بشر من شيء وحق قدره منصوب نصب المصدر قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى نورا حال من الضمير في به او من الكتاب وهدى للناس تجعلونه قراطيس
تبدونها وتخفون كثيرا مما فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وجعلوه قراطيس مقطعة
وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وبالياء في الثلاثة مكي وابو عمرو وعلمتم يا اهل
الكتاب بالكتاب ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم من امور دينكم ودنياكم قل الله جواب اي انزله
الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه يلعبون
حال من ذرهم او من خوضهم وهذا كتاب انزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مبارك كثير المنافع
والفوائد مصدق الذي بين يديه من الكتب ولتنذر بالياء ابو بكر اي الكتاب وهو معطوف على ما دل
عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب وللانذار ام القرى
مكة وسميت ام القرى لانها سرة الارض وقبلة اهل القرى واعظمها شانا ولان الناس يؤمونها ومن
حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون به بهذا
الكتاب فاصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وهم على صلاتهم
يحافظون خص الصلاة بالذكر لانها علم الايمان وعماد الدين فمن حافظ عليها يحافظ على اخواتها
ظاهرا ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا هو مالك بن الصيف او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء هو مسيلمة
الكذاب ومن قال في موضع جر عطف على من افترى اي وممن قال سانزل مثل ما انزل الله اي سأقول
وأملي هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح كاتب الوحي وقد املى عليه السلام عليه ولقد خلقنا الانسان
الى خلقا آخر فجرى على لسانه فتبارك الله احسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت
فشك وقال ان كان محمد صادقا فقد اوحي الي كما اوحي اليه وان كان كاذبا فقد قلت كما قال فارتد
ولحق بمكة او النضر بن الحارث وكان يقول والطاحنات طحنا فالعاجنات عجنا فالخابزات
خبزا كانه يعارض ولو ترى جوابه محذوف اي لرأيت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم
من اليهود والمتنبئة فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله في غمرات
الموت شدائده وسكراته والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اي يبسطون اليهم ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم
اخرجوها الينا من اجسادكم وهذا عبارة عن التشديد والالحاح من غير تنفيس وامهال اليوم تجزون

عذاب الهون ارادوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع والهون الهوان الشديد واضافة
اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق من ان له شريكا
وصاحبة وولدا وغير الحق مفعول تقولون او وصف لمصدر محذوف اي قولا غير الحق وكنتم
عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين بلا مال ولا معز
وهو جمع فريد كاسارى كما خلقناكم في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل
خلقنا لكم اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ملكناكم وراء ظهوركم لم تنتفعوا ولم تحملوا
نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء في استعبادكم لقد تقطع
بينكم وصلكم عن الزجاج والبين الوصل والهجر قال الشاعر فوالله لولا البين لم يكن الهوى ولولا
الهوى ما حن للبين آلف بينكم مدني وعلي وحفص اي وقع التقطع بينكم وضل عنكم وضاع و
بطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم عند الله ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وفلق
الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة والفلق الشق وعن مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة
والحنطة يخرج الحي من الميت النبات الغض النامي من الحب اليابس ومخرج الميت
الحب اليابس من النبات النامي او الانسان من النطفة والنطفة من الانسان او المؤمن من
الكافر والكافر من المؤمن واحتج الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه لانهم انكروا البعث فاعلمهم
انه الذي خلق هذه الاشياء فهو يقدر على بعثهم وانما قال ومخرج الميت بلفظ اسم الفاعل لانه معطوف
على فالق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم
الحيوان دليله قوله يحيي الارض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي يحق له الربوبية
لا الاصنام فأنى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره بعد وضوح الامر
بما ذكرنا فالق الاصباح هو مصدر سمي به الصبح اي شاق عمود الصبح عن سواد الليل او خالق نور النهار
وجاعل الليل وجعل الليل كوفي لان اسم الفاعل الذي قبله بمعنى المضي فلما كان فالق بمعنى فلق عطف عليه
جعل لتوافقهما معنى سكنا مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه اي يسكن فيه الخلق عن كد المعيشة الى نوم الغفلة
او عن وحشة الخلق الى الانس بالحق والشمس والقمر انتصبا باضمار فعل يدل عليه جاعل الليل اي و
جعل الشمس والقمر حسبانا اي جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما
والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا
اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما وهو الذي
جعل لكم النجوم خلقها لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليل بالبر والبحر
واضافها اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون

قد بينا الآيات الدالة على التوحيد لقوم يفقهون وهو الذي انشاكم من نفس واحدة
وهي آدم عليه السلام فمستقر ومستودع فمستقر بالكسر وبفتح فمن فتح القاف كان المستودع
اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول بمعنى فلكم مستقر في الرحم
ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع
قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ولما قال يعلمون ثمه ويفقهون هنا لان الدلالة ثمه اظهر وهنا ادق
لان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال المختلفة ادق فكان ذكر الفقه الدال على التدقيق
النظر اوفق وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب مطرا فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت
كل صنف من اصناف النامي اى السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة فاخرجنا منه
من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج
من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل الذي تراكب حبه ومن النخل من طلعها
قنوان هو رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان
وهو جمع قنو وهو العذق ونظيره صنو وصنوان دانية من المجتني لانحنائها بثقل حملها او لقصر ساقها
وفيه اكتفاء اى وغير دانية لطولها كقوله سرابيل تقيكم الحر وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء
واخرجنا به جنات من اعناب وكذا والزيتون والرمان وجنات الاعناب اى ولنا جنات
من اعناب اى مع النخل مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها نحو استويا وتساويا والافتعال
والتفاعل يشتركان كثيرا وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك يعني بعضه متشابها
وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا
لا ينتفع به وينعه نضجه الى النظر والى حال نضجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع نظر اعتبار واستدلال
على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ثمر
وكذا ما بعده جمع ثمرة وعلى جمع ثمار نحو كتب يقال ثمر وثمر وثمار وثمر وجعلوا لله شركاء
الجن ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا كان الجن بدلا من شركاء والا كان شركاء الجن مفعولين
قدم ثانيهما على الاول وفائدة التقديم استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او غير ذلك
والمعنى انهم اطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله وخلقهم اى وقد خلق
الجن فكيف يكون المخلوق شريكا لخالقه والجملة حال او وخلق الجاعلين لله شركاء فكيف
يعبدون غيره وخرقوا له اى اختلقوا يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى او هو من خرق
الثوب اذا شقه اى اشتقوا له بنين كقول اهل الكتابين في المسيح وعزير وبنات كقول بعض العرب
في الملائكة وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة

التسويل التزيين

ماقال

ما قالوا من خطأ او صواب ولكن رميا بقول عن جهالة وهو حال من فاعل خرقوا اى جاهلين بما قالوا
سبحانه وتعالى عما يصفون من الشريك والولد بديع السموات والارض يقال بدع الشيء فهو بديع وهو
من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها بمعنى بديع سمواته وارضه او بمعنى المبدع اى مبدعهما وهو خبر مبتدأ
محذوف او مبتدأ وخبره انى يكون له ولد وهو فاعل فعلا ولم تكن له صاحبة اى من اين
يكون له ولد والولد لا يكون الا من صاحبة ولا صاحبة له ولان الولادة من صفات الاجسام
ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا وخلق كل شيء وهو بكل شيء
عليم اى ما من شيء الا وهو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج
ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة وهي الله
ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة اى من
استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض
خلقه وهو على كل شيء وكيل اى هو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال
رقيب على الاعمال لا تدركه الابصار لا تحيط به او ابصار من سبق ذكرهم وتثبت المعتزلة
بهذه الآية لا ينتهض لان المنفي هو الادراك لا الرؤية والادراك هو الوقوف على جوانب المرئي و
حدوده وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل ادراكه لا رؤيته فنزل الادراك من الرؤية
منزلة الاحاطة من العلم ونفي الاحاطة التي تقتضي الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضي نفي العلم
فكذا هذا على ان مورد الآية وهو التمدح يوجب الرؤية اذ نفي ادراك ما يستحيل رؤيته لا تمدح فيه
لان كل ما لا يرى لا يدرك وانما التمدح بنفي الادراك مع تحقق الرؤية اذ انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل
ارتفاع نقيصة التناهي والحدود عن الذات فكانت الآية حجة لنا عليهم ولو انعموا النظر فيها
لاغتنموا التفصي عن عهدتها ومن نفى الرؤية يلزمه نفي انه معلوم موجود والا فكما يعلم موجودا بلا كيفية
وجهة بخلاف كل موجود لم لا يجوز ان يرى بلا كيفية وجهة بخلاف كل مرئي وهذا لان الرؤية
تحقق الشيء بالبصر كما هو فان كان المرئي في الجهة يرى فيها وان كان لا في الجهة يرى لا فيها وهو يدرك
ادراك للمدركات يدرك الابصار وهو اللطيف العالم بدقائق الامور ومشكلاتها الخبير
العليم بظواهر الاشياء وخفياتها وهو من قبيل اللف والنشر قد جاءكم بصائر من ربكم البصيرة
نور القلب الذي به يستبصر القلب كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اى جاءكم من الوحي
والتنبيه ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه وضل
فعليها فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله
هو الحفيظ عليكم الكاف في وكذلك نصرف الآيات في موضع نصب صفة لمصدر محذوف

اى نصرف الآيات تصريفا مثل ما تلونا عليك وليقولوا جوابه محذوف اى وليقولوا درست
نصرفها ومعنى درست قرأت كتب اهل الكتاب دارست مكي وابو عمرو اى دارست اهل الكتاب
درست شامى اى قدمت هذه الآيات ومضت كما قالوا اساطير الاولين ولنبينه اى القرآن
وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الآيات لانها فى معنى القرآن قيل اللام الثانية حقيقة والاولى
لام العاقبة والصيرورة اى لتصير عاقبة امرهم الى ان يقولوا درست وهو كقوله فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه للعداوة وانما التقطوه ليصير لهم قرة عين
ولكن صارت عاقبة امرهم الى العداوة فكذلك الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا
درست ولكن حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين فشبه به وقيل ليقولوا كما قيل
لنبينه وعندنا ليس كذلك لما عرف لقوم يعلمون الحق من الباطل اتبع ما اوحى اليك من ربك
ولا تتبع اهواءهم لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحى لا محل له من الاعراب او حال
من ربك مؤكدة واعرض عن المشركين فى الحال الى ان يرد الامر بالقتال ولو شاء الله اى ايمانهم
فالمفعول محذوف ما اشركوا بين انهم لا يشركون على خلاف مشيئة الله ولو علم منهم
اختيار الايمان لهداهم اليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فاشركوا بمشيئته وما
جعلناك عليهم حفيظا مراعيا لاعمالهم ماخوذا باجرامهم وما انت عليهم بوكيل بمسلط
وكان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله بقوله ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله منصوب على جواب النهى عدوا ظلما وعدوانا بغير علم على جهالة
بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار عملهم وهو
كقوله افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهو حجة لنا
فى الاصلح ثم الى ربهم مرجعهم مصيرهم فينبئهم بما كانوا يعملون فيخبرهم بما عملوا
ويجزيهم عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم جهد مصدر وقع موقع الحال اى جاهدين فى الايمان
باوكد الايمان لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وهو قادر
عليها لا عندى فكيف آتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم انها ان الآية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون
بها يعنى انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تعلمون ذلك وكان المؤمنون يطمعون فى
ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال الله تعالى وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون
ما سبق علمى به من انهم لا يؤمنون انها بالكسر مكى وبصرى وابو بكر على ان الكلام تم قبله اى وما يشعركم ما يكون
منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة فى قراءة الفتح كقوله
وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون لا تؤمنون شامى وحمزة ونقلب افئدتهم عن قبول

الحق

الحق وابصارهم عن رؤية الحق عند نزول الآية التى اقترحوها فلا يؤمنون بها قيل هو عطف
على لا يؤمنون داخل فى حكم وما يشعركم اى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم
فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما لم يؤمنوا به اول مرة كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها ونذرهم
فى طغيانهم يعمهون قيل وما يشعركم انا نذرهم فى طغيانهم يتحيرون ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فاتوا بآبائنا وحشرنا عليهم جميعا كل شىء قبلا
كفلاء بصحة ما بشرنا به وانذرنا جمع قبيل وهو الكفيل قبلا مدنى وشامى اى عيانا وكلاهما نصب على الحال
ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ايمانهم وهو جواب لقول المؤمنين لعلهم يؤمنون بنزول الآيات
ولكن اكثرهم يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون اذا جاءتهم الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا
وكما جعلناك اعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الانبياء اعداء لما فيه من الابتلاء الذى
هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين الانس والجن على البدل
من عدوا او على انه المفعول الاول وعدوا مفعول ثان يوحى بعضهم الى بعض يوسوس شياطين
الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن
دينار ان شيطان الانس اشد على من شيطان الجن لانى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن
عنى وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى عيانا وقال عليه السلام قرناء السوء شر من شياطين
الجن زخرف القول ما زينوه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصى غرورا خدعا واخذا
على غرة وهو مفعول له ولو شاء ربك ما فعلوه اى الايحاء يعنى ولو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة
ولكنه امتحن بما يعلم انه الاجزل فى الثواب فذرهم وما يفترون عليك وعلى الله فان الله
يخزيهم وينصرك ويجزيهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه لانفسهم و
وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغى حكما اى قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم
بينى وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذى انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا حال
من الكتاب اى مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لى بالصدق وعليكم بالافتراء ثم
عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له بقوله
والذين آتيناهم الكتاب اى عبد الله بن سلام واصحابه يعلمون انه منزل شامى وحفص
من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين الشاكين فيه ايها السامع او فلا تكونن من الممترين فى ان اهل الكتاب
يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به وتمت كلمة ربك اى ما تكلم به
كلمات ربك حجازى وشامى وابو عمرو اى تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صدقا
فى وعده ووعيده وعدلا فى امره ونهيه وانتصبا على التمييز او على الحال لا مبدل لكلماته لا احد

يبدل شيا من ذلك وهو السميع لاقوالهم العليم لامرارهم (؟) و السميع لما يقولون العليم
بما يضمرون وان تطع اكثر من في الارض اى الكفار لانهم الاكثرون يضلوك عن سبيل
الله دينه ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم
الا يخرصون يكذبون في ان الله حرم كذا واحل كذا ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين اى هو يعلم الكفار والمؤمنين من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والخبر يضل وموضع
الجملة نصب بيعلم المقدر لا باعلم لان افعل لا يعمل في الاسم الظاهر النصب وقيل تقديره اعلم بمن
يضل بدليل ظهور الباء بعده في بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين
هو مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا
يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم فقيل للمسلمين
ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة اى على ذبحه دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم
او مات حتف انفه وما لكم ان لا تاكلوا ما استفهام في موضع رفع بالابتداء ولكم الخبر اى واى
غرض لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم
بقوله حرمت عليكم الميتة فصل وحرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة اى شدة المجاعة الى
اكله وان كثيرا ليضلون ليضلون كوفي باهوائهم بغير علم اى يضلون فيحرمون ويحللون
باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة ان ربك هو اعلم بالمعتدين بالمجاوزين من الحق الى الباطل
وذروا ظاهر الاثم وباطنه علانيته وسره او الزنا في الحوانيت والصديقة في السر او الشرك الجلي والخفي
ان الذين يكسبون الاثم سيجزون يوم القيامة بما كانوا يقترفون يكتسبون في الدنيا
ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه عند الذبح وانه وان اكله لفسق وان الشياطين ليوحون
ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم لا تاكلون مما قتله الله وبما
ما قتله الله وتاكلون مما تذبحون بايديكم والاية تحرم متروك التسمية وخصت حالة النسيان
بالحديث او بجعل الناسي ذاكرا تقديرا وان اطعتموهم في استحلال ما حرمه الله انكم لمشركون لان من
اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق المتدين ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه لما في الاية من التشديد
العظيم ومن اول الاية بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله او فسقا اهل لغير الله به وقال ان الواو
في وانه لفسق للحال لان عطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يحسن فيكون التقدير ولا تاكلوا منه حال
كونه فسقا والفسق مجمل فبين بقوله او فسقا اهل لغير الله به فصار التقدير ولا تاكلوا منه حال كونه مهلا
لغير الله به فيكون ما سواه حلالا بالعمومات المحلة منها قوله قل لا اجد الاية فقد عدل عن ظاهر
اللفظ او من كان ميتا فاحييناه اى كافرا فهديناه لان الايمان حيوة القلب ميتا مذ

وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به والمراد به اليقين كمن مثله اى صفته في الظلمات اى خابط
فيها ليس بخارج منها لا يفارقها ولا يتخلص منها وهو حال قيل المراد بهما حمزة وابو جهل والاصح ان الاية
عامة لكل من هداه الله تعالى ولكل من اضله الله فبين ان مثل المهتدي مثل الميت الذي احيي وجعل
مستضيئا يمشي في الناس بنور الحكمة والايمان ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات التي لا يتخلص منها
كذلك كما زين للمؤمنين ايمانه زين للكافرين بتزيين الله تعالى كقوله زينا لهم اعمالهم ما كانوا يعملون
اى اعمالهم وكذلك اى وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها ليتجبروا على الناس فيها ويعملوا بالمعاصي واللام على ظاهرها عند اهل السنة وليست بلام العاقبة
وخص الاكابر وهم الرؤساء لان ما فيهم من الرياسة والسعة ادعى لهم الى المكر والكفر من غيرهم
دليله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعده النصرة
بقوله وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وما يشعرون انه يحيق بهم اكابر مفعول اول والثاني
في كل قرية ومجرميها بدل من اكابر او الاول مجرميها والثاني اكابر والتقدير مجرميها اكابر ولما قال ابو جهل
زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا
ان ياتينا وحي كما ياتيه نزلت واذا جاءتهم اى الاكابر اية معجزة او اية من القرآن تامرهم بالايمان قالوا
لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله اى نعطى من الايات مثل ما اعطي الانبياء فاعلم الله تعالى انه اعلم
بمن يصلح للنبوة فقال الله اعلم حيث يجعل رسالته مكي وحفص رسالاته غيرهما حيث مفعول به
والعامل محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته سيصيب الذين اجرموا من اكابرها
صغار ذل وهوان عند الله في القيمة وعذاب شديد في الدارين من القتل والاسر وعذاب النار
بما كانوا يمكرون في الدنيا فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام يوسعه وينور قلبه قال
عليه السلام اذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح فقيل وما علامة ذلك قال الانابة
الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت ومن يرد اى الله
ان يضله يجعل صدره ضيقا ضيقا مكي حرجا مدني وابو بكر بالغا في الضيق حرجا غيرهما وصفا
بالمصدر كانما يصعد في السماء كانه كلف ان يصعد الى السماء اذا دعي الى الاسلام من ضيق
صدره عنه او ضاقت عليه الارض فطلب مصعدا في السماء او كعازب الراى طائر القلب
في الهواء يصعد مكي من صعد يصاعد ابو بكر واصله يتصاعد الباقون يصعد واصله يتصعد
كذلك يجعل الله الرجس العذاب في الاخرة واللعنة في الدنيا على الذين لا يؤمنون والاية حجة لنا على
المعتزلة في ارادة المعاصي وهذا صراط ربك اى طريقه الذي اقتضته الحكمة وسنته في شرح صدر
من اراد هدايته وجعله ضيقا لمن اراد ضلاله مستقيما عادلا مطردا وهو حال مؤكدة قد فصلنا الايات

لقوم يذّكرون يتعظون لهم لقوم يذكرون دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر او السلام التحية وسميت دار السلام لقوله تعالى تحيتهم فيها سلام الا قيلا سلاما سلاما عند ربهم في ضمانه وهو وليهم محبهم او ناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون باعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون او هو وليّنا في الدنيا بتوفيق الاعمال وفي العقبى بتحقيق الآمال ويوم نحشرهم جميعا وبالياء حفص اي واذكر يوم نحشرهم او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس الذين اغويتموهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم في اغوائهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم خالدين فيها حال والعامل معنى الاضافة كقوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين فمصبحين حال من هؤلاء والعامل في الحال معنى الاضافة كقوله ان دابر هؤلاء مقطوع اذ معناها الممازجة والمضامة والمثوى ليس بعامل لان المكان لا يعمل في شيء الا ما شاء الله اي يخلدون في عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب السعير الى عذاب الزمهرير ان ربك حكيم فيما يفعل باوليائه واعدائه عليم باعمالهم فيجزي كلا على وفق عمله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نتبع بعضهم بعضا في النار او نسلط بعضهم على بعض او نجعل بعضهم اولياء بعض بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي ثم يقال لهم يوم القيمة على جهة التوبيخ يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم عن الضحاك بعث الى الجن رسلا منهم كما بعث الى الانس رسلا منهم لانهم به آنس وعليه ظاهر النص وقال الآخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان او رسلهم رسل نبينا كقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي يقرؤن كتبي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا بوجوب الحجة علينا وتبليغ الرسل الينا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين بالرسل ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان ان مصدرية ويجوز ان يكون مخففة من الثقيلة والمعنى لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول

وكان لكان ظلما وهو متعال عنه ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وبه استدل ابو يوسف ومحمد رحمهما الله على ان للجن الثواب بالطاعات لانه ذكر عقيب ذكر الثقلين وما ربك بغافل عما يعملون بساه وبالتاء شامي وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشأ يذهبكم ايها الظلمة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام ان ما توعدون ان المعنى الذي توعدون من البعث والحساب والثواب والعقاب لآت حق اي لكائن وما انتم بمعجزين بفائتين رد لقولهم من مات فقد فات المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه اني عامل على مكانتي التي انا عليها اي اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم وهو امر تهديد ووعيد دليله قوله فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار اي فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وهذا طريق لطيف في الانذار انه لا يفلح الظالمون اي الكافرون مكاناتكم حيث كان ابو بكر يكون حمزة وعلي وموضع من رفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم او نصب اذا كان بمعنى الذي وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا اي وللاصنام نصيبا فاكتفى بدلالة قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا بزعمهم على ولذا ما بعده اي زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما كان لله فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك روي انهم كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منها لآلهتهم فاذا راوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا رجعوا فجعلوه للاصنام واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها وقالوا ان الله غني وانما ذلك لحبهم آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وايثارهم لها وفي قوله مما ذرأ اشارة الى ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه ثم ذم صنيعهم بقوله ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وموضع ما رفع اي ساء الحكم حكمهم او نصب اي ساء حكما حكمهم وكذلك زين لكثير من المشركين اي كما زين لهم تجزئة القربان للاذين وادّ البنات قتل هو مفعول زين اولادهم شركاؤهم هو فاعل زين زين بالضم قتل بالرفع اولادهم بالنصب شركائهم بالجر شامي على اضافة القتل الى الشركاء اي الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول وتقديره زين لكثير من المشركين قتل شركائهم اولادهم وهو كقوله زج القلوص ابي مزادة اي زج ابي مزادة القلوص كذا استدل به ابو علي الفارسي

في قراءة طعن في علماء الامصار حيث عدوه من القراء السبع ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء
وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام
حتى زلوا عنه الى الشرك ولو شاء الله ما فعلوه اى المشركون وفيه دليل ان الكائنات كلها
بمشية الله تعالى فذرهم وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم لان ضرر
ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا وقالوا هذه انعام وحرث حجر حرام فعل
بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوى في الوصف به الذكر والمؤنث والواحد والجمع
لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا
لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء والزعم
قول بالظن يشوبه الكذب وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وانعام
لا يذكرون اسم الله عليها حالة الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام افتراء عليه
مفعول له او حال هم اى قسموا انعامهم فقسم حجر ولا يركب وقسم لا يذكر عليها اسم الله ونسبوا
ذلك الى الله افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وعيد وقالوا ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب ما ولد
منها حيا فهو خالص للذكور ولا تاكل منه الاناث وما ولد منها ميتا اشترك فيه الذكور والاناث
وانث خالصة وهو خبر ما للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم حملا على اللفظ
او التاء للمبالغة كما في رواية وان يكن ميتة وان يكن ما في بطونها ميتة وان تكن ميتة ابو بكر اى
وان تكن الاجنة ميتة شامي على كان التامة يكن ميتة مكي لتقدم الفعل وتذكير الضمير
في فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه
شركاء سيجزيهم وصفهم جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم انه حكيم عليم
عليم باعتقادهم قد خسر الذين قتلوا اولادهم كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر
قتلوا مكي وشامي سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله تعالى هو رازق اولادهم
لا هم وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرهما افتراء على الله مفعول له قد ضلوا
وما كانوا مهتدين الى الصواب وهو الذي انشأ جنات من الكروم معروشات مسموكات
وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم
وسمكا تعطف عليه القضبان والنخل والزرع مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وهو حال
مقدرة لان النخل وقت خروجه لا اكل فيه حتى يكون مختلفا وهو كقوله فادخلوها خالدين اكله
اكله حبابه وهو ثمره الذي يوكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لانه معطوف عليه او لكل واحد

والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه في اللون وغير متشابه في الطعم كلوا من ثمره من ثمر كل واحد
وفائدة اذا اثمر ان يعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا
ادرك واتوا حقه عشره وهو حجة ابي حنيفة رضي الله عنه في ايجاب العشر يوم حصاده بصري وشامي
وعاصم وبكسر الحاء غيرهم ولا تسرفوا باعطاء الكل وتضييع العيال وقوله انه لا
يحب المسرفين اعتراض ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اى وانشأ من الانعام
ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يحمل الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان
والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله اى مما
احل الله لكم منها ولا تحرموها كما في الجاهلية انه لكم عدو مبين فانه على دينكم ثمانية ازواج بدل
من حمولة وفرشا من الضأن اثنين ومن المعز اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى والواحد
اذا كان وحده معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر
والانثى ويدل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن
الابل اثنين ومن البقر اثنين والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وفتح عين المعز مكي
وشامي وابو عمرو ويعقوب والمعزى واثنين بدل من ثمانية والهمزة في قل آلذكرين حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز
وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز والمعنى انكار ان يحرم الله تعالى من جنسي الغنم ضأنها
ومعزها شيئا من نوعي ذكوره واناثه ولا مما تحمل الاناث وذلك انهم كانوا يحرمون ذكور الانعام
تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد
حرمها الله فانكر ذلك عليهم وانتصب الذكرين بحرم وكذا ام الانثيين اى ام حرم الانثيين
وكذا ما في ما اشتملت نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم
ان كنتم صادقين في ان الله حرمه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين منهما
حرم ام الانثيين منهما اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام ما يحمل اناثها ام كنتم شهداء
ام منقطعة اى بل اكنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم
ولما كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله تعالى حرم هذا الذي نحرمه نهكم بهم في قوله
ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على
الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين الى الرشد
في علم انهم يختبون على الكفر وفرق الفاصل بين بعض المعدود وبعضه اعتراضا غير اجنبي من المعدود
وذلك ان الله تعالى من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج

على من حرمها لكون تأكيد التحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد قل لا أجد فيما
اوحي الي اي في ذلك الوقت او في وحي القرآن لان وحي السنة قد يحرم غيره او من الانعام لان
الآية في رد البحيرة واخواتها واما الموقوذة والمتردية والنطيحة فمن الميتة وفيه تنبيه على ان التحريم
انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس محرما حيوانا حرمتها على طاعم يطعمه على آكل يأكله الا ان يكون
ميتة الا ان يكون الشيء المحرم ميتة ان تكون شاة في ملكي وحمزة ميتة شاتي او دما مسفوحا مصبوبا سائلا
فلا يحرم الدم الذي في اللحم والكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس نجس او فسقا عطف على المنصوب
قبله وقوله فانه رجس اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه أهل لغير الله به المخالفة لفسقا اي رفع
الصوت على ذبحه باسم غير الله وسمي بالفسق لتوغله في باب الفسق فمن اضطر فمن ادعته الضرورة
الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته
من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر اي ماله اصبع
من دابة او طائر ويدخل فيه الابل والنعام ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب
لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه ولم يحرم من البقر والغنم الا الشحوم الا ما حملت ظهورهما الا ما اشتمل على
الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء واحدها حاوياء او حوية او ما اختلط
بعظم وهو الالية او المخ ذلك تحريم مفعول ثان لنحو جزيناهم والتقدير جزيناهم ذلك ببغيهم
بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اخبرنا وكيف نكذب من سبب معصيتهم لتحريم الحلال وتحصينه
سابقنا التحليل الحرام حيث قال دعنا عنكم فالآن باشروهن فان كذبوك فيما اوحيت اليك
من هذا فقل ربكم ذو رحمة واسعة ويمهل المكذبين ولا يعاجلهم بالعقوبة ولا يرد بأسه
عذابه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين اذا جاء فلا تغتر بسعة رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين
اشركوا اخبار لما سوف يقولونه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء
ولكن شاء فهذا عندنا يعنون ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله
ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كذلك كذب الذين من قبلهم اي كتكذيبهم اياك كان تكذيب المتقدمين
رسلهم وتشبثوا بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك اذ لم يقولوه عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء ولانهم
جعلوا مشيئته حجة لهم على انهم معذورون به وهذا مردود لا الاقرار بالمشيئة او معنى المشيئة
هنا الرضا كما قال الحسن اي رضي الله منا ومن آبائنا الشرك والشرك من ادلته غيرهم من الايري
انه قال فلو شاء لهداكم اجمعين اخبر انه لو شاء منهم الهدى لآمن كلهم ولكن لم يشأ من الكل الايمان
بل شاء من البعض الايمان ومن البعض الكفر فيجب حمل المشيئة منا على ما ذكرنا دفعا للتنافي حتى
ذاقوا بأسنا حتى انزلنا عليهم العذاب قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به

فيما قلتم فتخرجوه لنا فتظهروه ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون قل فلله الحجة البالغة
عليكم بأوامره ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيئته فلو شاء الله لهداكم اجمعين اي فلو شاء هدايتكم
وبه يبطل قول المعتزلة قل هلم شهداءكم هاتوا شهداءكم وقربوهم ويستوي فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين الله ما عندنا من دونه من شيء يعنون ائمتهم
وتمردهم ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم وبنو تميم نونث وبخ الذين يشهدون ان الله
حرم هذا اي ما زعموه محرما فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم
لانه اذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم موضع الضمير للدلالة على ان من كذب بآيات الله
وكان عليه السلام واحدا منهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على ان من كذب بآيات الله متبع للهوى اذ لو اتبع الدليل لم يكن الا مصدقا بآيات الله موحدا لله والذين لا يؤمنون
بالآخرة هم المشركون وهم بربهم يعدلون يسوون الاصنام قل للذين حرموا الحرث والانعام تعالوا هو من
الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر حتى عم اتل ما حرم ربكم
الذي حرمه ربكم عليكم من صلة حرم الا تشركوا به شيئا ان مفسرة لفعل التلاوة ولا للنهي وبالوالدين احسانا
واحسنوا بالوالدين احسانا ولما كان ايجاب الاحسان تحريما لترك الاحسان ذكر في المحرمات وكذا
حكم ما بعده من الاوامر ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية
املاق نحن نرزقكم واياهم لان رزق العبيد على مولاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها ما بينك
وبين الخلق وما بطن ما بينك وبين الله ما ظهر بدل من الفواحش ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم ذلكم وصاكم به المذكور مفصلا امركم ربكم بحفظه
لعلكم تعقلون لتعقلوا عظمها عند الله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة
التي هي احسن وهي حفظه وتثميره حتى يبلغ اشده مبلغ حلمه فادفعوه اليه وواحده شدة كنعمة
وانعم واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها
ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة
فيه ولا نقصان مما فيه حرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه واذا قلتم فاعدلوا فاصدقوا
ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل كقوله
ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وبعهد الله يوم الميثاق او في الامر والنهي والنذر واليمين اوفوا
ذلكم اي ما مر وصاكم به لعلكم تذكرون بالتخفيف حيث كان حمزة
وعلي وحفص على حذف احدى التاءين غيرهم بالتشديد واصله تتذكرون فادغم اي امركم به
لتتعظوا وان هذا صراطي وان مستقيما فهو علة للاتباع بتقدير اللام وان بالتخفيف شامي

واصله وانه على ان الهاء ضمير الشان والحديث وآن على الابتداء حق وعلى سنفيها حال فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وساير البدع
والضلالات فتفرق بكم عن سبيله فتفرقكم ايادي سبا عن صراط الله المستقيم وهو
دين الاسلام روى ان رسول الله عليه السلام خط خطا مستويا ثم قال هذا سبيل الرشد وصراط
الله فاتبعوه ثم خط على كل جانب ستة خطوط ممالة ثم قال هذه سبيل منها شيطان يدعو اليه فاجتنبوه
وتلا هذه الآية ثم يصير كل واحد من الاثني عشر طريقا ستة طرق فيكون اثنين وسبعين وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شي في جميع الكتب وعن كعب ان هذه الآيات
لاول شي في التورية ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون لتكونوا على رجاء اصابة التقوى
ذكر ولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون لانهم اذا عقلوا تفكروا فتذكروا اي اتعظوا فاتقوا
المحارم ثم آتينا موسى الكتاب تماما اي ثم اخبركم انا آتينا وهو عطف على قل اي ثم قل آتينا او ثم مع
الجملة بمعنى الواو كقوله تعالى ثم الله شهيد على الذي احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس
المحسنين دليله قراءة عبد الله رضي الله عنه على الذين احسنوا او اراد به موسى عليه السلام اي تتمة للكرامة
على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي دينهم وهدى ورحمة اي لبني اسرائيل لعلهم بلقاء
ربهم كل ما امر به وتفصيلا لكل شي وبيانا مفصلا لكل ما يحتاجون اليه في دينهم وهدى
ورحمة اي لبني اسرائيل لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون يصدقون وهذا اي القرآن كتاب
انزلناه على محمد عليه السلام مبارك كثير الخير فاتبعوه واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون لترحموا
ان تقولوا كراهة ان تقولوا اولئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اي اهل التورية
واهل الانجيل وهذا دليل على ان المجوس ليسوا باهل كتاب وان كنا عن دراستهم عن تلاوة كتبهم
لغافلين لا علم لنا بشي من ذلك ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والاصل
وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشان والخطاب لاهل مكة والمراد اثبات الحجة عليهم
بانزال القرآن على محمد عليه السلام كيلا يقولوا يوم القيمة ان التورية والانجيل انزل على طائفتين
من قبلنا وكنا غافلين عما فيها او تقولوا او كراهة ان تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب فقد جاءكم بينة من ربكم
اي ان صدقتم بما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم ما فيه البيان الساطع والبرهان القاطع فحذف
الشرط وهو من احاسن الحذوف وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله
بعد ما عرف صحتها وصدقها وصدف عنها اي اعرض سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء
العذاب وهو النهاية في النكاية بما كانوا يصدفون باعراضهم هل ينظرون اي ما ينتظرون الوحدانية

وثبوت الرسالة وابطلنا ما يعتقدون من الضلالة فاينتظرون في ترك الايمان بعدها الا ان تاتيهم الملائكة
اي ملائكة الموت لقبض ارواحهم باتيهم حق وعلى او ياتي ربك اي امر ربك وهو العذاب والقيامة
وهذا لان الاتيان متشابه واتيان امره منصوص عليه محكم فرد اليه او ياتي بعض آيات ربك
اي اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا
ايمانها لانه ليس بايمان اختيار بل هو ايمان دفع العذاب والباس عن انفسهم لم تكن آمنت من قبل
صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا اخلاصا اي لا يقبل ايمان الكافر بعد طلوع الشمس
من مغربها لا يقبل اخلاص المنافق ايضا او توبة وتقدير لا ينفع ايمان من لم يؤمن ولا توبة من لم
يتب قبل قل انتظروا احدى الآيات الثلاث انا منتظرون بكم احديها ان الذين فرقوا
دينهم اختلفوا فيه وصاروا فرقا كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت
اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين كلها
في الهاوية الا واحدة وهي السواد الاعظم وفي رواية هي ما انا عليه واصحابي فارقوا دينهم حمزة وعلي اي تركوا
وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لست منهم في شي اي من السوال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم
انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون فيجازيهم على ذلك من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
تقدير عشر حسنات امثالها الا انه اقيم صفة الجنس المميز مقام الموصوف ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الا مثلها وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي كوفي ابو عمرو وهداني الى
صراط مستقيم دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله ويهديكم
صراطا مستقيما قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم قيما كوفي وشامي وهو مصدر بمعنى القيام
وصف به ملة ابراهيم عطف بيان حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين بالله يا معشر قريش
قل ان صلاتي ونسكي اي عبادتي والناسك العابد او ذبحي او حجي ومحياي ومماتي وما اعده في حيوتي
وما آتيه في حيوتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه ومحياي ومماتي
بسكون ياء الاول وفتح الثاني مدني وبعكسه غيره لا شريك له في شي من ذلك وبذلك الاخلاص امرت وانا
اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا غيره وتقديم المفعول
للاشعار بانه اهم وهو رب كل شي وكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره
ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ولا تزر وازرة وزر اخرى
ولا تؤخذ نفس آثمة بذنب نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
من الاديان التي فرقتموها وهو الذي جعلكم خلائف الارض لان محمدا عليه السلام خاتم النبيين
فامته قد خلفت ساير الامم او لان بعضهم يخلف بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها

ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض في الشرف والرزق وغير ذلك درجات مفعول ثان او التقدير الى درجات او هي واقعة موقع المصدر كانه قيل رفعة بعد رفعة ليبلوكم فيما آتاكم فيما اعطاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والغني بالفقير والمالك بالمملوك إن ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب عن النبي عليه السلام من قرأ ثلاث آيات من اول الانعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين الف ملك يحفظونه وكتب له مثل اعمالهم الى يوم القيامة سورة الاعراف مكية وهي [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

المص قال الزجاج المختار في تفسيره ما قال ابن عباس رضي الله عنهما انا الله اعلم وافصل كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب انزل اليك صفته والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج منه شك منه وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك في انه منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الاذى ولا ينشط له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم والنهي متوجه الى الحرج وفيه من البلاغة ما فيه والفاء للعطف اي هذا كتاب انزلناه اليك فلا يكن بعد انزاله حرج في صدرك واللام في لتنذر به متعلق بانزل اي انزل اليك لانذارك به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذا اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه وذكرى للمؤمنين في محل النصب باضمار فعلها اي لتنذر به وتذكر تذكيرا فالذكرى اسم بمعنى التذكير او الرفع بالعطف على كتاب اي هو كتاب وهو ذكرى للمؤمنين او بانه خبر مبتدأ محذوف او الجر بالعطف على محل لتنذر اي للانذار وللذكرى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اي القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة تذكرون شامي وكم مبتدأ من قرية تبيين والخبر اهلكناها اي اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلوة فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا او هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا بائتين او قائلين وانما قيل هم قائلون بلا واو ولا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو لانه لما عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي العطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل وخص هذان الوقتان

لانها

لانها وقت الغفلة فيكون نزول العذاب فيها اشد وافظع وقوم لوط عليه السلام اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب عليه السلام وقت القيلولة وقيل بياتا ليلا وهم نائمون او نهارا وهم قائلون فما كان دعويهم وتضرعهم اذ جاءهم باسنا ما جاءهم اوائل العذاب الا ان قالوا انا كنا ظالمين اعترفوا بالظلم على انفسهم والشرك حين لم ينفعهم ذلك ودعواهم اسم كان وان قالوا الخبر ويجوز العكس فلنسئلن الذين ارسل اليهم ارسل مسند الى اليهم اي فلنسئلن المرسل اليهم وهم الامم عما اجابوا به رسلهم ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم والوزن اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وهو مبتدأ وخبره يومئذ اي يوم يسأل الله الامم ورسلهم فحذفت الجملة وعوض عنها التنوين الحق العدل صفته ثم قيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان اظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة وقيل هو عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل والله اعلم بكيفيته فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم فاولئك هم المفلحون الفائزون ومن خفت موازينه هم الكفار فانه لا ايمان لهم ليعتبر معه عمل فلا يكون في ميزانهم خير فيخف موازينهم فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون يجحدون فالآيات الحجج والظلم بها وضعها غير موضعها اي جحودها وترك الانقياد لها ولقد مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها والوجه تصريح الياء لانها اصلية بخلاف صحائف فالياء فيها زائدة وعن نافع انه همز تشبيها بصحائف قليلا ما تشكرون مثل قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك دليله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم عليه السلام قال ما منعك ان لا تسجد ما رفع اي اي شيء منعك من السجود ولا زائدة بدليل ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم اذ امرتك فيه دليل ان الامر للوجوب والسؤال عن المانع من السجود مع علمه به للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وتحقير اصل آدم عليه السلام قال انا خير منه خلقتني من نار وهي جوهر نوراني وخلقته من طين وهو ظلماني وقد اخطأ الخبيث بل الطين افضل لرزانته ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك

دعا إلى التوبة والاستغفار وفي النار الطيش والحدة والترفع وذلك دعاء إلى الاستكبار والتراب
عدة للملك والنار عدة للهلك والنار مظنة الخيانة والافناء والتراب مئنة الامانة والانماء والطين
يطفئ النار ويتلفها والنار لا تتلفه وهذه فضائل غفل عنها ابليس حتى زل بفاسد من المقاييس
وقول من قال اول من قاس ابليس قياس على ان القياس عند مثبتيه مردود عند وجود النص
وقياس ابليس عناد للامر المنصوص وكان الجواب لما منعك ان يقول منعني كذا وانما قال انا خير منه
لانه قد استأنف قصة واخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبعلة فضله عليه فعلم منها
الجواب كأنه قال منعني من السجود فضلي عليه وزيادة عليه وزيادة انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله
مأمورا بالسجود لمثله اذ سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب قال فاهبط منها من الجنة
او من السماء لانه كان فيها وهي مكان المطيعين المتواضعين فالفاء في فاهبط جواب لقوله انا خير
اي ان كنت تتكبر فاهبط فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين
من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه يذمك كل انسان ويلعنك كل لسان لتكبرك وبه علم
ان الصغار لازم للاستكبار قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم البعث وهو وقت النفخة الاخيرة
قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اي النفخة الاولى وانما اجيب الى ذلك لما فيه من الابتلاء
وفيه تقريب لقلوب الاحباب اي هذا بري بمن يسيئني فكيف بمن يحبني وانما جسر على السؤال
مع وجود الزلة في الحال لعلمه بحلم ذي الجلال قال فبما اغويتني اضللتني اي فبسبب اغوائك
اياي والباء يتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب اغوائك اقسم او يكون الباء للقسم اي فاقسم
باغوائك لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام مترصدا للرد متعرضا
للصد كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقولك ضرب زيد
الظهر اي على الظهر وعن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل قدري فقال له طاوس تقوم
او تقام فقام الرجل فقيل له افقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهو يقول انا اغوي
نفسي ثم لآتينهم من بين ايديهم اشككهم في الآخرة ومن خلفهم ارغبهم في الدنيا وعن ايمانهم من قبل
الحسنات وعن شمائلهم من قبل السيئات وهو جمع شمال يعني لآتينهم من الجهات الاربع التي يأتي منها
العدو في الاغلب وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي فيقول
لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ومن خلفي فيخوفني الضيعة
على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وعن يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ و
العاقبة للمتقين وعن شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يقل
من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة وقال في الاوليين من لابتداء الغاية وفي الاخيرين عن

لان عن تدل على الانحراف ولا تجد اكثرهم شاكرين مؤمنين قاله ظنا فاصاب لقوله ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه او سمعه من الملائكة باخبار الله تعالى اياهم قال اخرج منها من الجنة او من السماء مذءوما
معيبا من ذأمه اذا ذمه والذأم والذم العيب مدحورا مطرودا مبعدا من رحمة الله واللام في لمن تبعك
منهم موطئة للقسم وجوابه لأملأن جهنم وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب
ويا آدم وقلنا يا آدم بعد اخراج ابليس من الجنة اسكن انت وزوجك الجنة اتخذاها مسكنا فكلا من
حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا فتصيرا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان وسوس اذا تكلم
كلاما خفيا يكرره وهو غير متعد ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له
او موسوس اليه وهو الذي يلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه
القاها اليه ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما ليكشف لهما ما ستر عنهما من عوراتهما وفيه دليل على ان
كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستقبحا في الطباع والعقول فان قلت ما للواو المضمومة في
ووري لم تقلب همزة كما في اويصل تصغير واصل واصله وويصل فقلبت الواو همزة لكراهة اجتماع الواوين
قلت لان الثانية مدة كالالف في وارى وكما لم يجب همز الالف في وارى لم يجب في ووري وهذا لان الواوين
اذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل ما لا يكون فيهما اذا كانت الثانية ساكنة وهذا مدرك بالضرورة فالتزموا ابدالها
في موضع الثقل لا في غيره وقرأ عبد الله اوري بالقلب وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وتستغنيا عن الغذاء وقرئ ملكين لقوله وملك لا يبلى
او تكونا من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين
واخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه لما كان منه القسم ومنهما التصديق فكأنها من اثنين فدلاهما فنزلهما
الى الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضي الله عنهما
من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وهي السنبلة او الكرم بدت
لهما سوآتهما ظهرت لهما عوراتهما لتهافت اللباس عنهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر
وقيل كان لباسهما من جنس الاظفار اي كالظفر بياضا في غاية اللطف واللين فبقي عند الاظفار
تذكيرا للنعم وتجديدا للندم وطفقا وجعلا يقال طفق يفعل كذا اي جعل يخصفان عليهما من ورق
الجنة يجعلان على عوراتهما من ورق التين او الموز ورقة فوق ورقة ليسترا بها كما تخصف النعل وناداهما
ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة هذا عتاب من الله وتنبيه على الخطأ وروي انه قال لآدم الم يكن لك فيما
منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى ولكن ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا
قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كد يمين وعرق جبين فاهبط وعلم صنعة
الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز واقل لكما ان الشيطان

لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وفيه دليل
لنا على المعتزلة لان الصغائر يعفى عنها معفوة قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء بلفظ الجمع لان ابليس
هبط من قبل ويحتمل انه هبط الى السماء ثم هبطوا جميعا الى الارض بعضكم لبعض عدو في
موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى حين الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما اهبط
آدم عليه السلام وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي
ملائكة ربي فانما اصابني ما اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته و
كفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقال لبنيه هذه
سنتكم بعده قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للثواب والعقاب تخرجون حمزة
وعلي يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا جعلناه في الارض منزلا من السماء لان اصله من الماء وهو منها
يواري سوآتكم يستر عوراتكم وريشا لباسا للزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا
عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم ولباس التقوى [illegible] ولباس التقوى
ولباس الورع الذي يقي العقاب وهو مبتدأ وخبره الجملة وهي ذلك خير كانه قيل ولباس
التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر او ذلك صفة المبتدأ
وخير خبر المبتدأ كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير او لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف
اي وهو لباس التقوى اي ستر العورة لباس المتقين ثم قال ذلك خير وقيل ولباس اهل التقوى
من الصوف والخشن ولباس التقوى مدني وشامي وعلي عطفا على لباسا اي وانزلنا عليكم لباس
التقوى ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس لعلهم
يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر
بدو السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري من الفضيحة واشعارا
بان التستر من التقوى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة لا يمحننكم بان
لا تدخلوا الجنة كما فتن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما
بان كان سببا في ان نزع عنهما والنهي في الظاهر للشيطان وفي المعنى لبني آدم اي لا تتبعوا الشيطان
فيفتنكم ليريهما سوآتهما عودا بها انه الضمير للشان والحديث يراكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته
بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم من حيث لا تشعرون وقبيله وذريته او وجنوده من الشياطين
وهو عطف على الضمير في يراكم المؤكد بهو ولم يعطف عليه لان معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز
وانما يعطف على ما هو معمول الفعل من حيث لا ترونهم ذو النون ان كان هو يريك من حيث
لا تراه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه وهو الله الكريم الستار الرحيم الغفار انا جعلنا الشياطين

اوليا

اولياء للذين لا يؤمنون فيه دلالة على خلق الافعال قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اي اذا فعلوها
اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها حيث اقرنا
عليها اذ لو كرهها لنقلنا عنها وهما باطلان لان احدهما تقليد للجهال والثاني افتراء على ذي الجلال قل ان
الله لا يامر بالفحشاء اذ المامور به لابد ان يكون حسنا وان كان فيه على [illegible] على ما عرف في اصول الفقه
اتقولون على الله ما لا تعلمون استفهام انكار وتوبيخ قل امر ربي بالقسط بالعدل وما هو حسن
عند كل عاقل فكيف يامر بالفحشاء واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا
عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها في وقت كل سجود او في كل مكان سجود وادعوه واعبدوه
مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا كما بداكم تعودون كما انشاكم
ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له
العبادة فريقا هدى وهم المسلمون وفريقا اي اضل فريقا حق عليهم الضلالة وهم الكافرون انهم اي الفريق
الذي حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله اي انصارا ويحسبون انهم مهتدون
والاية حجة لنا على اهل الاعتزال في الهداية والاضلال يا بني آدم خذوا زينتكم لباس زينتكم عند كل
مسجد كلما صليتم وقيل الزينة المشط والطيب والسنة اي ياخذ الرجل احسن ثيابه للصلوة
مناجاة الرب ويستحب لها التزين والتعطر كما يجب التستر والتطهر وكلوا من اللحم والدسم واشربوا
ولا تسرفوا بالشروع في الحرام اي المجاوزة الشبع انه لا يحب المسرفين وعن ابن عباس كل ما شئت
ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وكان للرشيد طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين
واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له علي قد جمع الله
الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولم يرو من رسولكم
شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا الطب في الفاظ يسيرة وهي قوله عليه السلام المعدة بيت الداء
والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا
ثم استفهم انكارا على محرم الحلال بقوله قل من حرم زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به التي اخرج
لعباده اي اصلها يعني القطن من الارض والقز من الدود والطيبات من الرزق والمستلذات من
الماكل والمشارب وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها
قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم
فيها احد ولم يقل للذين آمنوا ولغيرهم لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على الاصالة والكفار تبع خالصة
بالرفع نافع فهي مبتدا خبره للذين آمنوا وفي الحيوة الدنيا ظرف الخبر وخالصة خبر ثان او خبر
مبتدا محذوف اي هي خالصة وغيره نصبها على الحال من الضمير الذي في الظرف الذي هو الخبر

اى هي ثابتة للذين امنوا في الحيوة الدنيا حال خلوصها يوم القيمة كذلك نفصل الآيات نبين الحلال والحرام
لقوم يعلمون انه لا شريك له قل انما حرم ربي الفواحش ما تفاحش قبحه اى تزايد ما ظهر منها
وما بطن سرها وعلانيتها والاثم اى شرب الخمر او كل ذنب والبغي والظلم والكبر بغير الحق متعلق بالبغي
ومحل وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا حجة النصب كانه قال حرم الفواحش وحرم
الشرك ينزل بالتخفيف مكي وبصري وفيه تهكم اذ لا يجوز ان ينزل برهان على ان يشرك به غيره وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل
وقت معين يأتيهم فيه عذاب الاستيصال ان لم يؤمنوا وهو وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل
معلوم عند الله كما نزل بالامم فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قيد ساعة
لانها اقل ما يستعمل في الامهال يا بني آدم اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط لان ما للشرط
ولذا لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة رسل منكم يقصون عليكم آياتي يقرؤون عليكم كتبي وهو
في موضع رفع صفة لرسل وجواب الشرط فمن اتقى الشرك واصلح العمل منكم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اصلا والذين كذبوا منكم بآياتنا واستكبروا عنها تعظموا عن الايمان بها اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب
ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا
ملك الموت واعوانه وحتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام
هنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يقبضون ارواحهم وهو حال من الرسل اى متوفيهم
وما في قالوا اينما كنتم تدعون موصولة باين وحقها ان تكتب مفصولة والمعنى اين الآلهة الذين تعبدون
من دون الله ليذبوا عنكم قالوا ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التي هي لتحقيق الخبر قال ادخلوا اى يقول الله تعالى يوم القيمة لهؤلاء الكفار
ادخلوا في امم في موضع الحال اى كائنين في جملة امم مصاحبين لهم قد خلت مضت من قبلكم من الجن
والانس من كفار الجن والانس في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة النار لعنت اختها شكلها
في الدين اى التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اصلها تداركوا اى تلاحقوا واجتمعوا
في النار فابدلت التاء دالا وسكنت للادغام ثم ادخلت همزة الوصل جميعا حال قالت اخراهم منزلة
وهي الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤوس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم ربنا
هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا مضاعفا من النار قال لكل ضعف للقادة بالغواية
والاغواء وللاتباع بالكفر والاقتداء ولكن لا تعلمون ما لكل فريق منكم من العذاب لا يعلمون ابو بكر اى لا يعلم
كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا

الكلام

الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق
الضعف فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون بكسبكم وبكفركم وهو من قول القادة للسفلة ولا وقف
على فضل او هو من قول الله لهم جميعا والوقف على فضل ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها
لا تفتح لهم ابواب السماء اى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يصعد لهم عمل صالح او لا
تنزل عليهم البركة وبالتاء مع التخفيف ابو عمرو وبالياء معه حمزة وعلي ولا يدخلون الجنة حتى يلج
الجمل في سم الخياط حتى يدخل البعير في ثقب الابرة اى لا يدخلون الجنة ابدا لانه علقه بما لا يكون
والخياط والمخيط ما يخاط به وهو الابرة وكذلك اى ومثل ذلك الجزاء الفظيع الذي وصفنا
نجزي المجرمين اى الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله تعالى والاستكبار عنها لهم من جهنم مهاد
فراش ومن فوقهم غواش اغطية جمع غاشية وكذلك نجزي الظالمين انفسهم بالكفر والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها طاقتها والتكليف الزام ما فيه كلفة اى مشقة اولئك
مبتدأ والخبر اصحاب الجنة والجملة خبر الذين ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر
هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل حقد كان بينهم في الدنيا فلم يبق بينهم الا التواد
والتعاطف وعن علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم
تجري من تحتهم الانهار حال من هم في صدورهم والعامل فيها معنى الاضافة وقالوا الحمد لله الذي هدانا
لهذا لما هو وسيلة الى هذا الفوز العظيم وهو الايمان وما كنا ما كنا نهتدي شامي على انها جملة موضحة للاولى
لنهتدي لولا ان هدانا الله اللام لتوكيد النفي اى وما كان يصح ان نكون مهتدين لولا هداية الله وجواب لولا
محذوف دل عليه ما قبله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا
يقولون ذلك سرورا بما نالوا واظهارا لما اعتقدوا ونودوا ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة واسمها
محذوف والجملة بعدها خبرها تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة والهاء ضمير الشان او بمعنى اى كانه قيل
وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها اعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة
بما كنتم تعملون سماها ميراثا لانها لا تستحق بالعمل بل هي محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث
من الميت ليس بعوض عن شيء بل هو صلة خالصة وقال الشيخ ابو منصور رحمه الله ان المعتزلة
خالفوا الله فيما اخبر ونوحا عليه السلام واهل الجنة والنار وابليس لانه قال الله تعالى يضل من يشاء ويهدي
من يشاء وقال نوح ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم وقال اهل الجنة
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقال اهل النار لو هدانا الله لهديناكم وقال ابليس فبما اغويتني ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ان مخففة من الثقيلة او مفسرة وكذلك ان لعنة الله على الظالمين
ما وعدنا ربنا من الثواب حقا حال فهل وجدتم ما وعد ربكم من العذاب حقا وتقديره وعدكم

لا يدخل الجنة اذ هي في السماء او لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين الى السماء. ه

ربكم حذف كم لدلالة وعدنا ربنا عليه وانما قالوا لهم ذلك شماتة باصحاب النار واعترافا بنعم الله تعالى
قالوا نعم وبكسر العين حيث كان علي فاذن مؤذن بينهم نادى منادي وهو ملك يسمع اهل الجنة واهل النار
ان لعنة الله على الظالمين ان لعنة الله مكي وشامي وحمزة وعلي الذين يصدون يمنعون عن سبيل الله دينه
ويبغونها عوجا مفعول ثان ليبغون اى ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض وهم بالآخرة بالدار الآخرة
كافرون وبينهما وبين الجنة والنار او بين الفريقين حجاب وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم
بسور وعلى الاعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من
عرف الفرس وعرف الديك رجال من افاضل المسلمين او من آخرهم دخولا في الجنة لاستواء حسناتهم
وسيئاتهم او من لم يرض عنه احد ابويه او اطفال المشركين يعرفون كلا من زمرة السعداء والاشقياء بسيماهم
بعلاماتهم قيل سيما المؤمنين بياض الوجه ونضارته وسيما الكافرين سواد الوجه وزرقة العيون
ونادوا اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم انه سلام او اي سلام وهو تهنئة منهم لاهل
الجنة لم يدخلوها اي اصحاب الاعراف للعلة لانه استيناف كان سائلا سأل عن اصحاب الاعراف فقيل له
لم يدخلوها وهم يطمعون في دخولها او لمحل وهو صفة لرجال واذا صرفت ابصارهم اي ابصار اصحاب
الاعراف وفيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا تلقاء طرف اي ناحية اصحاب
و رأوا ما هم فيه من العذاب قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فاستعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته
ان لا تجعلهم معهم ونادى اصحاب الاعراف رجالا من رؤوس الكفرة يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى
عنكم جمعكم للمال او كثرتكم ولجماعتكم وما نافيه وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس
ثم يقولون لهم اهؤلاء مبتدا الذين خبر مبتدا مضمر تقديره اهؤلاء هم الذين اقسمتم حلفتم في الدنيا
وللنار انهم فقراء المؤمنين كصهيب وسلمان ونحوهما لا ينالهم الله برحمة جواب القسم وهو داخل
في صلة الذين تقديره اقسمتم عليهم بان لا ينالهم الله برحمة اي لا يدخلهم الجنة تحقيرا لهم لفقرهم فيقال
لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان نظروا الى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا
لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء ان
صبوه وفيه دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة
او اريد والقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها وانما
سالوا ذلك مع يأسهم عن الاجابة لان المتحير ينطق بما يفيد وبما لا يفيد قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
منعهما منع المحرم وحرمنا عليه المراضع ونعت هنا ان رفعت او نصبت ما بعده ذما وان جررته
وصفا للكافرين فالذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا فحرموا واحلوا ما شاؤوا ودينهم عادتهم وغرتهم الحيوة
الدنيا اغتروا بطول البقاء فاليوم ننساهم نتركهم في العذاب كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا

يجحدون اى كنسيانهم وجحودهم ولقد جئناهم بكتاب فصلناه ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه
وقصصه على علم عالمين بكيفية تفصيل احكامه هدى ورحمة حال من منصوب فصلناه. كان
على علم حال من مرفوعه لقوم يؤمنون هل ينظرون ينتظرون الا تأويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه
من تبيين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من
قبل تركوه واعرضوا عنه قد جاءت رسل ربنا بالحق اى تبين وصح انهم جاءوا بالحق فاقروا
حين لا ينفعهم فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا جواب الاستفهام او نرد جملة معطوفة على جملة قبلها داخلة
معها في حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم
كقولك ابتداء هل يضرب زيد او عطف على تقدير هل يشفع لنا شافع او هل نرد فنعمل جواب الاستفهام
ايضا غير الذين كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ما كانوا يعبدونه
من الاصنام ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اى خلق السموات والارض
وما بينهما وقد فصلها في حم السجدة اى من الاحد الى الجمعة لاعتبار للملائكة شيئا فشيئا وللاعلام بالتاني
في الامور وان لكل عمل يوما وان انشاءه اشيا ادل على علم مدبر مريد يصرفه على اختيار ويجريه على مشيئة
ثم استوى استولى على العرش اضاف الاستيلاء الى العرش وان كان سبحانه مستوليا على جميع المخلوقات
لان العرش اعظمها واعلاها وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما يقوله المشبهة باطل لانه تعالى
كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان لان التغير من صفات الاكوان والمنقول عن الصادق
والحسن ولابي حنيفة ومالك رضي الله عنهم ان الاستواء معلوم والتكييف فيه مجهول والايمان به واجب
والجحود به كفر والسؤال عنه بدعة يغشي الليل النهار يغطيه به وقرئ بالتشديد حمزة وعلي وابو بكر اى يلحق الليل بالنهار
او النهار بالليل يطلبه حثيثا حال من الليل اى سريعا والطالب هو الليل كانه لسرعة مضيه يطلب
النهار والشمس والقمر والنجوم اى وخلق الشمس والقمر والنجوم مسخرات حال اى مذللات
والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامي الشمس مبتدا والبقية معطوفة عليها والخبر مسخرات بامره وتكوينه
ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر اى هو الذي خلق الاشياء وله الامر تبارك
الله كثر خيره او دام بره من البركة النماء او من البروك الثبات ومنه البركة رب العالمين ادعوا ربكم
تضرعا وخفية نصب على الحال اى ذوي تضرع وخفية والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل
اى تذللا وتملقا قال عليه السلام انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا انه معكم اينما كنتم
عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في
كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج الرافعين اصواتهم بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء
مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي عليه السلام سيكون قوم يعتدون في الدعاء

بسبيل كعتق

وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول وعمل انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها بالمعصية
بعد الطاعة او بالشرك بعد التوحيد او بالظلم بعد العدل وادعوه خوفا وطمعا حالان اي خائفين
من الرد طامعين في الاجابة او من النيران وفي الجنان او من الفراق وفي التلاق او من غيب العاقبة
وفي ظاهر الهداية او من العدل وفي الفضل ان رحمة الله قريب من المحسنين ذكر قريب لان الرحمة
بالرحم او الترحم او لانه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول
او للاضافة الى المذكر وهو الذي يرسل الرياح الريح مكي وحمزة وعلي نشرا حمزة وعلي مصدر نشر وانتصابه
اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا او على الحال اي منتشرات بشرا عاصم بتخفيف بشرا
جمع بشير لان الرياح تبشر بالمطر نشرا شامي بتخفيف نشر كرسل ورسل وقرأ الباقون جمع نشور اي ناشرة
للمطر بين يدي رحمته امام نعمته وهو الغيث الذي هو من اجل النعم حتى اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاق
الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا بالماء سحابة سقناه الضمير للسحاب
على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه
مطر ولسقيه ميت مدني وحمزة وعلي وحفص فانزلنا به الماء بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به
من كل الثمرات كذلك مثل ذلك الاخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم
التذكر الى الايمان بالبعث اذ لا فرق بين الاخراجين لان كل واحد منهما اعادة الشيء بعد انشائه والبلد
الطيب الارض الطيبة التربة يخرج نباته باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته
حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والذي خبث صفة للبلد اي والبلد الخبيث لا يخرج اي نباته
فحذف للاكتفاء الا نكدا الذي لا خير فيه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ وهو المؤمن ولمن لا يؤثر فيه شيء
من ذلك وهو الكافر والتمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد
كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا
فيها ويعتبروا بها لقد ارسلنا جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا نوحا الى قومه ارسل وهو ابن
خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو اسم ادريس عليه السلام
فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره غيره علي فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره فلا
تعبدوا معه غيره والجر على اللفظ اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم اي يوم القيمة او يوم
نزول العذاب عليهم وهو الطوفان قال الملأ اي الاشراف والسادة من قومه انا لنريك في ضلال مبين
ذهاب عن طريق الصواب والرؤية رؤية القلب قال يا قوم ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا لان
الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شيء من الضلال ثم استدرك

لتاكيد

لتاكيد نفي الضلالة فقال ولكني رسول من رب العالمين لان كونه رسولا من الله مبلغا لرسالاته في
معنى كونه على الصراط المستقيم فكان في الغاية القصوى من الهدى ابلغكم رسالات ربي ما اوحي
الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والبشائر والنذائر
ابلغكم ابو عمرو وكلام مستانف بيان لكونه رسول رب العالمين وانصح لكم واقصد
صلاحكم باخلاص يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة
وحقيقة النصح ارادة الخير لغيرك مما تريد لنفسك او النهاية في صدق العناية واعلم من الله
ما لا تعلمون اي من صفاته يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم
المجرمين او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم
وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم وذلك
انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء
ربنا لانزل ملائكة لينذركم ليحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار
ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم فكذبوه فنسبوه الى الكذب فانجيناه والذين
معه وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به
في الفلك يتعلق بمعه كانه قيل والذين صحبوه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما
عمين عن الحق يقال اعمى في البصر وعم في البصيرة والى عاد وارسلنا الى عاد وهو عطف على نوح اخاهم
واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم عن رجل منهم افهم فكانت
الحجة عليهم الزم هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح قال يا قوم اعبدوا
الله وكذلك قال الملأ الذين كفروا من قومه وانما وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من
قوم نوح لان في اشراف قوم هود عليه السلام مؤمن انا لنريك في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل
حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا مجازا يعني انه متمكن فيها غير منفك
عنها وانا لنظنك من الكاذبين في ادعائك الرسالة قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب
العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم وانما قال
هنا وانا لكم ناصح لقولهم وانا لنظنك من الكاذبين اي ليقابل الاسم بالاسم وفي اجابة الانبياء عليهم
السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك
المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم واخبار الله
تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون
منهم او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد

نوح اى خلفتموهم فى الارض او فى مساكنهم واذ مفعول به وليس بظرف اى اذكروا وقت
استخلافكم وزادكم فى الخلق بسطة طولا وامتدادا فكان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم
مائة ذراع بصطة حجازي وعاصم وعلى فاذكروا آلاء الله فى استخلافكم وبسط اجسامكم وما
سواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلى نحو إنى وأناء لعلكم تفلحون ومنى قالوا اجئتنا
ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله عليه السلام
بحراء قبل المبعث فلما اوحى اليه جاء قومه يدعوهم لنعبد الله وحده ونذر ما كان
يعبد آباؤنا انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء فى اتخاذ
الاصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه فائتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين
ان العذاب نازل بنا قال قد وقع عليكم اى قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة
الواقع كقولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان من ربكم رجس عذاب وغضب سخط
اتجادلونني فى اسماء سميتموها واشياء ما هى الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمون الاصنام آلهة
وهى خالية عن معنى الالوهية انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان حجة فانتظروا نزول العذاب
انى معكم من المنتظرين ذلك فانجيناه والذين معه اى من آمن به برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا
بآياتنا الدابر الاصل او الكائن خلف الشئ وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم وما كانوا
مؤمنين فائدة نفى الايمان عنهم مع اثبات التكذيب بآيات الله الاشعار بان الهلاك خص المكذبين
وقصتهم ان عادا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء
وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا فكذبوه فامسك عنهم القطر ثلاث سنين وكانوا اذا نزل بهم
بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام فاوفدوا اليه قيل بن عنز ولقيم بن هزال ومرثد بن
سعد وكان يكتم ايمانه بهود عليه السلام واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن
نوح وسيدهم معاوية بن بكر فنزلوا اليه بظاهر مكة فقال لهم مرثد لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود
فخلفوا مرثدا وخرجوا فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات
ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فاختار السوداء على
ظن انها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم
منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود وارسلنا
الى ثمود وقرئ والى ثمود بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر ومنع الصرف بتاويل القبيلة
وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام
اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم آية ظاهرة

شاهدة

شاهدة على صحة نبوتى وكانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله واضافه لتخصيص وتعظيم
لانها بتكوينه تعالى بلا صلب ولا رحم لكم آية حال من الناقة والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان
قبل تبين الآية فلكم بيان لمن هى له آية وهم ثمود لانهم عاينوها فذروها تأكل فى ارض الله اى الارض
ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل فى ارض ربها من نبات ربها فليس عليكم مؤنتها ولا تمسوها بسوء
لا تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها اكراما لآية الله فيأخذكم جواب النهى عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد وبوأكم ونزلكم والمباءة المنزل فى الارض فى ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون
من سهولها قصورا اى غرفا للصيف وتنحتون الجبال بيوتا للشتاء وبيوتا حال مقدرة كخط هذا الثوب
قميصا اذ الجبل لا يكون بيتا فى حال النحت ولا الثوب قميصا فى حال الخياطة فاذكروا آلاء الله ولا
تعثوا فى الارض مفسدين روى ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم فى الارض وعمروا
اعمارا طوالا فنحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات وكانوا فى سعة من العيش
فعتوا على الله وافسدوا فى الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح
من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فانذرهم فسألوه ان يخرج من صخرة
بعينها ناقة عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها فخرجت منها ناقة كما شاؤوا فآمن
جندع ورهط من قومه قال الملأ الذين استكبروا من قومه وقرأ شامى والذين استضعفوا رؤساء الكفار
لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا باعادة الجار ويدل دليل ان البدل حيث جاء كان فى تقدير
اعادة العامل والضمير منهم لقومه ويدل على ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين او للذين
استضعفوا ويدل على ان المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين اتعلمون ان صالحا مرسل
من ربه قالوه على سبيل السخرية قالوا انا بما ارسل به مؤمنون وانما صار جوابا عنه لانهم سألوهم عن العلم
بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مسلما كانهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به لا شبهة فيه وانما الكلام
فى وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون فوضعوا
آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما مسلما فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم
وان كان العاقر قدار بن سالف لانه كان برضاهم وكان قدار احمر ازرق قصيرا كما كان فرعون
كذلك وقال عليه السلام يا علي اشقى الاولين عاقر ناقة صالح واشقى الآخرين قاتلك وعتوا عن امر ربهم
وتولوا عنه واستكبروا وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل فى ارض
الله او شأن ربهم وهو دينه وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من المرسلين
فاخذتهم الرجفة الصيحة التى زلزلت لها الارض واضطربوا لها فاصبحوا فى دارهم فى بلادهم او
مساكنهم جاثمين ميتين قعودا يقال الناس جثم اى قعود لا حراك بهم ويتكلمون فتولى عنهم ما عقروا

العشراء الناقة التى اتى عليها من حين حملها عشرة اشهر

الناقة وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
الآمرين بالهدى لاستحلائكم الهوى والنصيحة منبئة تدل على الفضيحة ولكنها وخيمة تورث السخيمة
روي أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء فقال صالح تعيشون بعده ثلاثة أيام تصفر وجوهكم أول
يوم وتحمر في الثاني وتسود في الثالث ويصيبكم العذاب في الرابع وكان كذلك وروي أنه
خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فلما علم أنهم هلكوا رجع بمن معه فسكنوا ديارهم
ولوطا إذ قال لقومه أي واذكر لوطا وإذ بدل منه أتأتون الفاحشة أتفعلون السيئة المتمادية
في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من أحد
من زائدة لتأكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق من العالمين من للتبعيض والجملة مستأنفة
أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من عملها إنكم لتأتون
الرجال بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في أتأتون للإنكار إنكم على الإخبار
مدني وحفص يقال أتى المرأة إذا غشيها شهوة مفعول له أي للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة
ولا ذم أعظم منه لأنه وصفهم بالبهيمية من دون النساء أي لا من النساء بل أنتم قوم مسرفون أضرب
عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف
وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد
وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم أي لوطا ومن آمن به يعني ما أجابوه بما يكون
جوابا عما كلمهم به لوط من إنكار الفاحشة ووصفهم بصفة الإسراف الذي هو أصل الشر ولكنهم
جاؤوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم إنهم
أناس يتطهرون يتنزهون عن الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث عابوهم بما يتمدح به فأنجيناه وأهله
ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين إلا امرأته كانت من الغابرين من الباقين في العذاب
والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل سدوم وروي أنها التفتت فأصابها
حجر فماتت وأمطرنا عليهم مطرا وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قالوا أمطر عليهم الله
الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت حجارة على مسافريهم قال
أبو عبيدة أمطر في العذاب ومطر في الرحمة فانظر كيف كان عاقبة المجرمين الكافرين والمكذبين
وإلى مدين وهو اسم قبيلة أخاهم شعيبا يقال له خطيب الأنبياء عليهم السلام لحسن مراجعته قومه
وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من
ربكم أي معجزة وإن لم يذكر في القرآن فأوفوا الكيل والميزان أي آلتيهما والمراد فأوفوا الكيل
والمكيال ووزن الميزان أو يكون الميزان كالميعاد بمعنى المصدر ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تنقصوا

حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن وكانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم والبخس يتعدى
إلى مفعولين وهما الناس وأشياءهم تقول بخست زيدا حقه أي نقصته إياه ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها
بعد الإصلاح فيها أي لا تفسدوا فيها بعدما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء والأولياء وإضافته كإضافة
بل مكر الليل والنهار أي بل مكركم في الليل والنهار ذلكم إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك
البخس والإفساد في الأرض خير لكم في الإنسانية وحسن الأحدوثة إن كنتم مؤمنين
مصدقين لي في قولي ولا تقعدوا بكل صراط بكل طريق توعدون من آمن بشعيب
بالعذاب وتصدون عن سبيل الله عن العبادة من آمن به بالله وقيل كانوا يقطعون
الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها وتطلبون لسبيل الله عوجا أي تصفونها للناس
بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها ومحل توعدون وما عطف عليه النصب
على الحال أي لا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا إذ
غير ظرف أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم وقيل إن مدين
بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين
آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وإن كان طائفة منكم
فاصبروا فانتظروا حتى يحكم الله بيننا أي بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم
وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم وحث للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين
إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم أو هو خطاب للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار والكافرون
على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين إذ لا حكمه
حق وعدل لا يخاف فيه الحيف قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب
والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا أي ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم وإما عودكم
في الكفر قال أولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا
ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال شعيب قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم وهو قسم على تقدير
حذف اللام أي والله لقد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم وهو قسم على تقدير حذف بعد
إذ نجانا الله منها خلصنا فإن قلت كيف قال شعيب إن عدنا في ملتكم والكفر على الأنبياء عليهم
السلام محال قلت أراد عود قومه إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئا من ذلك إجراء للكلام
على حكم التغليب وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا إلا أن يكون سبق
في مشيئته أن نعود فيها إذ الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى خيرها وشرها وسع ربنا كل شيء علما تمييز أي هو
عالم بكل شيء فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تنقلب على الله توكلنا في أن يثبتنا

على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اى احكم والفتاحة الحكومة
والقضاء بالحق اى احكم بينهم ... الامر المنغلق ولذا سمى فتاحا وسمى اهل عمان القاضى فتاحا واستجيد لانه يفتح
كقوله وهو خير الحاكمين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون مغبونون
لفوات فوائد البخس والتطفيف باتباعه لانه ينهاكم عنهما ويامركم بالايفاء والتسوية وجواب القسم
الذى وطأته اللام فى لئن اتبعتم وجواب الشرط انكم اذا لخاسرون فهو ساد مسد الجوابين فاخذتهم الرجفة
الزلزلة فاصبحوا فى دارهم جاثمين ميتين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم
يغنوا فيها لم يقيموا فيها غنى بالمكان اقام الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كانوا هم الخاسرين
لا من قالوا لهم انكم اذا لخاسرون وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا
شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا كأن لم يقيموا فى دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله
الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فهم الرابحون وفى هذا التكرار مبالغة
واستعظام لتكذيبهم ولما جرى عليهم فتولى عنهم بعد ان نزل بهم العذاب وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى احزن على قوم كافرين اشتد حزنه على قومه ثم انكر
على نفسه فقال فكيف يشتد حزنى على قوم ليسوا باهل الحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم او اراد لقد
اعذرت لكم فى الابلاغ والتحذير مما حل بكم فلم تصدقونى فكيف آسى عليكم وما ارسلنا فى قرية من نبى يقال
لكل مدينة قرية وفيه حذف اى فكذبوه الا اخذنا اهلها بالبأساء البؤس والفقر والضراء الضر والمرض لاستكبارهم
عن اتباع نبيهم او هما نقصان النفس والمال لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة حتى
عفوا كثروا ونموا فى انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات اذا كثر ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى
وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء اى قالوا هذه عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس
آباءنا نحو ذلك وما هو بعقوبة الذنب فكونوا على ما انتم عليه فاخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون بنزول
العذاب اللام فى ولو ان اهل القرى اشارة الى القرى التى دل عليها وما ارسلنا فى قرية من نبى كانه قال ولو ان اهل
تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا الشرك مكان ارتكابه لفتحنا عليهم لفتحنا
بركات من السماء والارض اراد المطر والنبات او لآتيناهم بالخير من كل وجه ولكن كذبوا الانبياء فاخذناهم
بما كانوا يكسبون بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز ان يكون اللام للجنس افأمن اهل القرى يريد الكفار منهم
ان ياتيهم بأسنا عذابنا بياتا ليلا او وقت بيات يقال بات بياتا وهم نائمون او أمن اهل القرى ان ياتيهم
بأسنا ضحى نهارا والضحى فى الاصل ضوء الشمس اذا اشرقت فالفاء والواو فى افأمن واوأمن حرفا عطف
دخلت عليهما همزة الانكار والمعطوف عليه فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون

اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم
بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم بأسنا بياتا وامنوا ان ياتيهم بأسنا ضحى اوأمن شامى وحجازى
على العطف باو والمعنى انكار الامن من احد هذين الوجهين من اتيان العذاب ليلا او ضحى فان قلت
كيف دخل الف الاستفهام على حرف العطف وهو ينافى الاستفهام قلت التنافى فى المفرد لا فى عطف
جملة على جملة لانه على استئناف جملة بعد جملة وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدى لهم افامنوا مكر
الله اعاد افأمن اهل القرى مكر الله اخذه العبيد من حيث لا يشعرون وعن الشبلى قدس روحه العزيز
مكره بهم تركه اياهم على ما هم عليه وقالت ابنة الربيع بن خثيم لابيه مالى ارى الناس ينامون ولا اراك
تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان ياتيهم بأسنا بياتا فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
الا الكافرون الذين خسروا انفسهم حتى صاروا الى النار اولم يهد يبين للذين يرثون الارض من بعد
اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان لو نشاء مرفوع بانه فاعل يهد وان مخففة من الثقيلة
اى اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم فى ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشأن وهو ان لو نشاء
اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم فاهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين وانما عدى فعل الهداية
باللام لانه بمعنى التبيين ونطبع مستانف اى ونحن نختم على قلوبهم فهم لا يسمعون الوعظ تلك
القرى نقص عليك من انبائها كقوله هذا بعلى شيخا فى انه مبتدأ وخبر وحال او يكون القرى صفة تلك
ونقص خبرا والمعنى تلك القرى المذكورة من قوم نوح الى قوم شعيب نقص عليك بعض انبائها ولها
انباء غيرها لم نقصها عليك ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجىء الرسل
بالبينات بما كذبوا من قبل بما كذبوه من آيات الله من قبل مجىء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم
بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اى استمروا على التكذيب من لدن مجىء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين مع
تتابع الآيات واللام لتاكيد النفى كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين لما
علم منهم انهم يختارون الثبات على الكفر وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس على الاطلاق
يعنى ان اكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه فى الايمان والآية اعتراض او للامم المذكورين فانهم كانوا اذا عاهدوا
الله فى ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن ثم انجاهم نكثوا وان وجدنا وان الشأن والحديث اكثرهم
لفاسقين خارجين عن الطاعة والوجود بمعنى العلم بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا
يجوز ذلك الا فى المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما ثم بعثنا من بعدهم الضمير للرسل فى قوله ولقد
جاءتهم رسلهم او للامم موسى باياتنا بالمعجزات الواضحات الى فرعون وملائه فظلموا بها
فكفروا باياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد ولان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس
بسببها حين آذوا من آمن بها او لانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما حيث

حيث وضعوا الكفر في غير موضعه وهو موضع الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
حيث صاروا مغرقين وقال موسى يا فرعون يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس
الاكاسرة وكانه قال يا ملك مصر واسمه قابوس او الوليد بن مصعب بن الريان اني رسول
من رب العالمين اليك قال فرعون كذبت فقال موسى حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق
اي انا حقيق على قول الحق اي واجب على قول الحق ان اكون قائله والقائم به حقيق على ان لا اي واجب
على ترك القول على الله الا الحق اي الصدق وعلى هذه القراءة تقف على العالمين وعلى الاول يجوز الوصل
على جعل حقيق وصف الرسول وعلى بمعنى الباء كقراءة ابي اي اني رسول حقيق بان لا اقول
او تعلق على بمعنى الفعل في الرسول اي اني حقيق جديد بالرسالة ارسلت على ان لا اقول على الله
الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم بما يبين رسالتي فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا
معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي غلب فرعون
نسل الاسباط واستعبدهم فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف
مصر واليوم الذي دخله موسى عليه اربعمائة عام قال ان كنت جئت باية من عند من ارسلك
فأت بها ان كنت من الصادقين فأتني بها ليصح دعواك ويثبت صدقك فيها فالقى موسى عصاه
من يده فاذا هي اذا هذه للمفاجاة وهي من ظروف المكان بمنزلة ثمة وهناك ثعبان حية عظيمة
مبين ظاهر امره روي انه كان ذكرا فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض
والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وحمل
على الناس فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا فصاح فرعون يا موسى خذه
انا اومن بك فاخذه موسى فعاد عصا ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين اي فاذا
هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجمع الناس
للنظر اليه روي انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها في جيبه ونزعها فاذا هي بيضاء
غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة قال الملأ من قوم فرعون
ان هذا لساحر عليم عالم بالسحر ماهر فيه قد خيل الى الناس العصا حية والآدم ابيض وهذا الكلام
قد عزي الى فرعون في سورة الشعراء وانه قاله للملأ وهنا عزي اليهم فيحتمل انه قد قاله هو وقالوه
هم عنه فحكي هنا عنهم وثمة عنه او قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لاعقابهم يريد ان يخرجكم
من ارضكم يعني مصر فماذا تامرون تشيرون في امره فامرته بكذا اذا شاورته فاشار عليه برأي وهو
من كلام فرعون قاله للملأ لما قاله الملأ قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم قالوا ارجه بسكون
الهاء عاصم وحمزة اي اخره واحبسه اي اخر امره ولا تعجل او كانه هم بقتله فقالوا اخره فتله واحبسه

ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق واخاه هارون وارسل في المدائن حاشرين جامعين يأتوك
بكل ساحر عليم بسحر حاذق وعلى اي ياتوك بكل ساحر مثله في المهارة او يخبرونه وجاء السحرة فرعون
بعد ما ارسل اليهم فحضروا قالوا ان لنا لاجرا على الخبر واثبات الاجر العظيم حجازي وحفص
ولم يقل فقالوا لانه على تقدير سؤال سائل ما قالوا اذ جاؤه فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا اي الجعل
على الغلبة والتنكير للتعظيم كانهم قالوا لا بد لنا من اجر عظيم ان كنا نحن الغالبين قال نعم ان لكم لاجرا
وانكم لمن المقربين عندي فتكونون اول من يدخل عندي وآخر من يخرج وكانوا ثمانين الفا او سبعين
الفا او بضعة وثلاثين الفا قالوا يا موسى اما ان تلقي عصاك واما ان نكون نحن الملقين ما معنا وفيه دلالة
على ان رغبتهم في ان يلقوا قبله حيث اكدوا ضميرهم المتصل بالمنفصل وعرفوا الخبر قال لهم موسى القوا
تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل المناظرون قبل ان يتخاوضوا في الجدال وقد
سوغ لهم موسى ما رغبوا فيه ازدراء لشانهم وقلة مبالاة بهم واعتمادا على ان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا فلما
القوا سحروا اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه روي انهم القوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم
وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بالحيلة وجاؤوا بسحر عظيم في بابه وفي عين
من رآه واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف تبتلع تلقف حفص ما يأفكون ما موصولة
او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمأفوك بالافك
روي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت
واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة
لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فحصل وثبت وبطل ما كانوا يعملون من السحر
فغلبوا هنالك اي فرعون وجنوده والسحرة وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين والقي
السحرة ساجدين وخروا سجدا لله كانما القاهم ملق لشدة خرورهم او لم يتمالكوا مما رأوا فكانهم
القوا فكانوا اول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
وهارون هو بدل مما قبله قال فرعون آمنتم به على الخبر حفص وهذا توبيخ منه لهم وبهمزتين
نوع غير حفص فالاولى همزة الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد قبل ان آذن لكم ان هذا
لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها ان صنيعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل
ان تخرجوا الى الصحراء لغرض لكم وهو ان تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بني اسرائيل فسوف
تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا
ثم لاصلبنكم اجمعين هو اول من قطع من خلاف وصلب قالوا انا الى ربنا منقلبون فلا

تبليا بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله
فيحكم بيننا وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله اراد
وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب ربنا افرغ علينا صبرا اى اصبب صبا ذريعا والمعنى هب لنا صبرا واسعا
واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام وقال
الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ارض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير دين
اهلها لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس ويذرك وآلهتك عطف على ليفسدوا وقيل صنع
فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا
الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى قال فرعون مجيبا للملأ سنقتّل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم
قاهرون سنقتل محاري اى سنعيد عليهم قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم
مقهورون تحت ايدينا كما كانوا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على
يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا
قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل ابناءهم تسلية لهم ووعدا بالنصر عليهم ان الارض
اللام للعهد ارض مصر او للجنس فيتناول ارض مصر تناولا اوليا لله يورثها من يشاء من عباده فيه تمنية ايّاهم
ارض مصر والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط واخليت هذه الجملة عن الواو
لانها مستأنفة بخلاف قوله وقال الملأ لانها معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون قالوا اوذينا
من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبئ واعادته عليهم
بعد ذلك وذلك اشتكاء من فرعون واستبطاء لوعد النصر قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الارض تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في الارض
مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب
ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان
فطلب المنصور زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر له
ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين سني القحط ومنه سبع سنين
والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونقص من الثمرات قيل السنون لاهل البوادي ونقص
الثمرات لاهل الامصار لعلهم يذكرون ليتعظوا فينتبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر ولان الناس
في حال الشدة اضرع خدودا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها في
ثلاثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم

الحسنة

القارعة والقراع المضاربة بالسيف

الحسنة الصحة والخصب قالوا لنا هذه اى هذه التي نستحقها وان تصبهم سيئة جدب ومرض
يطّيّروا اصله يتطيروا فادغمت التاء في الطاء لانها من طرف اللسان واصول الثنايا بموسى ومن معه تشاءموا بهم
وقالوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا وانما دخل اذا في الحسنة وعرفت الحسنة وان في السيئة
ونكرت السيئة لان جنس الحسنة وقوعه كالكائن لكثرته واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع
الا شيء منها الا انما طائرهم سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يقدر ما يصيبهم
من الحسنة والسيئة قل كل من عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا
بها فما نحن لك بمؤمنين اصل مهما ما ما فما الاولى للجزاء ضم اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج
اخرج اينما تكونوا فاما تذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب
السديد البصري ومهما في موضع النصب بتأتنا اى ايما شيء ومن آية تبيين لمهما والضميران في به وبها يرجع
الى مهما الا ان الاول ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانها في معنى الآية وانما سموها آية اعتبارا لتسمية
موسى او قصدوا بذلك الاستهزاء فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل وقيل
طغى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد
ان يخرج من داره وقيل دخل الماء في بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق
ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة او هو الجدري او الطاعون والجراد فاكلت زروعهم
وثمارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء والقمّل وهي الدبى وهو
اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها او البراغيث او كبار القردان والضفادع وكانت تقع في طعامهم
وشرابهم حتى اذا تكلم الرجل وقع في فيه والدم اى الرعاف وقيل مياههم انقلبت دما حتى
ان القبطي والاسرائيلي اذا اجتمعا على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما وقيل
سال عليهم النيل دما آيات حال من الاشياء المذكورة مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل
انها من آيات الله او مفرقات بين كل آيتين شهر فاستكبروا من الايمان بموسى وكانوا قوما
مجرمين ولما وقع عليهم الرجز العذاب الاخير وهو الدم او العذاب المذكور واحدا قالوا يا موسى
ادع لنا ربك بما عهد عندك ما مصدرية اى بعهده عندك وهو النبوة والباء يتعلق بادع الله لنا
متوسلا اليه بعهده عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فيعذبون فيه لا ينفعهم
ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما اى فلما كشفنا
عنهم فاجأوا النكث ولم يؤخروه فانتقمنا منهم هو ضد الانعام كما ان العقاب ضد الثواب فاغرقناهم
في اليم هو البحر الذي لا يدرك قعره او هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستقين

بعد واحد

اى الدعاء

به يتصدونه بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم
بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل
كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام مشارق الارض ومغاربها يعني ارض
مصر والشام التي باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق وكثرة الانهار والاشجار وتمت كلمة ربك
الحسنى على بني اسرائيل هو قوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض او ونريد
ان نمن على الذين استضعفوا الى ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة
وعلى صلة تمت اى مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب
صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن
قابله بالصبر ضمن الله له الفرج ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات وبناء
القصور وما كانوا يعرشون من الجنات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في
السماء كصرح هامان وغيره وبضم الراء شامي وهذا آخر قصة فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات
الله ثم اتبعه قصة بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من فرعون ومعاينتهم الآيات
العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وغير ذلك ليتسلى رسول الله عما راى من بني اسرائيل
بالمدينة وجاوزنا ببني اسرائيل البحر روي انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله
فرعون وقومه فصاموه شكرا لله فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون
على عبادتها وكانت تماثيل بقر وبكسر الكاف حمزة وعلي قالوا يا موسى اجعل لنا الها صنما نعكف
عليه كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها قال
يهودي لعلي رضي الله عنه اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولما
يجف اقدامكم قال انكم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا من الآية العظمى فوصفهم بالجهل
المطلق واكده ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر مهلك من تبار ما هم فيه اى يتبر الله ويهدم
دينهم الذي هم عليه على يدي وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة
خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وباطل ما كانوا يعملون
اى ما عملوا من عبادة الاصنام باطل مضمحل قال اغير الله ابغيكم الها اغير الله المستحق للعبادة اطلب
لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين حال اى على عالمي زمانكم واذ انجيناكم من آل فرعون
انجاكم شامي يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا
طلبها وهو استيناف لا محل له او حال من المخاطبين او من آل فرعون يقتلون ابناءكم و
يستحيون نساءكم يقتلون نافع وفي ذلكم اى في الانجاء او

في العذاب بلاء نعمة او محنة من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلثين ليلة لاعطاء التورية واتممناها
بعشر روى ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله
فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين
انكر خلوف فمه فتسوك فاوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح
المسك فامره ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك فتم ميقات ربه ما وقت له من الوقت
وضربه له اربعين ليلة نصب على الحال اى تم بالغا هذا العدد ولهذا الاجل ذكر الاربعين في البقرة وفصلها
هنا وقال موسى لاخيه هارون هو عطف بيان لاخيه اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب
ان يصلح من امور بني اسرائيل ولا تتبع سبيل المفسدين ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه
ولا تطعه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه وحددناه ومعنى اللام الاختصاص
اى اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه بلا واسطة ولا كيفية وروي انه كان يسمع الكلام
من كل جهة وذكر الشيخ في التاويلات ان موسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام الله وكان اختصاصه
باعتبار انه اسمعه صوتا تولى تخليقه من غير ان يكون ذلك الصوت مكتسبا لاحد من الخلق
وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى فلما سمع كلامه طمع في رؤيته لغلبة شوقه
فسال الرؤية بقوله قال رب ارني انظر اليك ثاني مفعولي ارني محذوف اى ارني ذاتك انظر
اليك يعني مكني من رؤيتك بان تتجلى لي حتى اراك ارني مكي وبكسر الراء مختلسة ابو عمرو وبكسر الراء مشبعة
غيرهما وهو دليل لاهل السنة على جواز الرؤية فان موسى عليه السلام اعتقد ان الله يرى حتى سالها واعتقاد
جواز ما لا يجوز على الله كفر قال لن تراني بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية وهو دليل
لنا ايضا لانه لم يقل لن ارى ليكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا لاخبر بانه ليس بمرئي اذ الحالة حالة
الحاجة الى البيان ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه بقي على حاله فسوف تراني وهو دليل لنا ايضا
لانه علق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشيء بما هو ممكن يدل على امكانه كالتعليق بالممتنع
يدل على امتناعه والدليل على انه ممكن قوله جعله دكا ولم يقل اندك وما اوجده تعالى كان جائزا ان لا يوجد
لو لم يوجده لانه مختار في فعله ولانه تعالى ما آيسه على ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالا لعاتبه
كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين حيث سال انجاء ابنه من الغرق
فلما تجلى ربه للجبل اى ظهر وبان ظهورا بلا كيف قال الشيخ ابو منصور رحمه الله معنى التجلي للجبل
ما قال الاشعري انه تعالى خلق في الجبل حياة ورؤية حتى راى ربه وهذا نص في اثبات كونه مرئيا
وبهذه الوجوه يتبين جهل منكري الرؤية وقولهم بان موسى عليه السلام كان عالما بانه لا يرى ولكن طلب
قومه ان يريهم ربهم كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فطلب الرؤية

ليبين الله لهم انه ليس بمرئي باطل اذ لو كان كما زعموا لقال ارهم ينظروا اليك ثم يقول لهم
لن يروني ولانها لو لم تكن جاهلة لما اخر موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت فرغ
كلامهم سماعه لما فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت فرغ
كلامهم سماعه لما فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام بعث لتغييره لا لتقريره الا يرى انهم لما قالوا له
اجعل لنا الها كما لهم الهة لم يمهلهم بل رد عليهم من ساعته بقوله انكم قوم تجهلون جعله دكا مدكوكا مصدر
بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان دكاء حمزة وعلي اي مستوية بالارض لا اكمة فيها
ناقة دكاء لا سنام لها وخر موسى صعقا حال اي سقط مغشيا عليه فلما افاق من صعقته قال سبحانك
تبت اليك اي من السؤال في الدنيا وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك او بانك لا تعطى الرؤية
في الدنيا مع جوازها قال الكعبي والاصم معنى قوله ارني انظر اليك ارني آية اعلمك بها بطريق الضرورة كاني
انظر اليك لن تراني لن تطيق معرفتي بهذه الصفة ولكن انظر الى الجبل فاني اظهر له آية فان ثبت الجبل
لتجليها واستقر مكانه فسوف تثبت لها وتطيقها وهذا فاسد لانه قال ارني انظر اليك ولم يقل اليها
لن تراني ولم يقل لن ترى آيتي وكيف يكون معناه لن ترى آيتي وقد اراه اعظم الآيات حيث جعل
الجبل دكا قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك برسالاتي اي اسفار
التوراة برسالتي حجازي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك من شرف
النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهو من اجل النعم قيل خر موسى صعقا يوم عرفة
واعطي التوراة يوم النحر ولما كان هارون وزيرا وتابعا لموسى تخصص الاصطفاء بموسى عليه السلام
وكتبنا له في الالواح الواح التوراة جمع لوح وكانت عشرة الواح وقيل سبعة وكانت من زمرد وقيل
من خشب نزلت من السماء فيها التوراة من كل شيء في محل النصب على انه مفعول كتبنا موعظة و
تفصيلا لكل شيء بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من
المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير ما قرأها كلها الا اربعة
نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا والضمير للالواح او لكل شيء
لانه في معنى الاشياء بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل وأمر قومك يأخذوا باحسنها
اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يأخذوا بما هو ادخل
في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم سأريكم دار الفاسقين دار
فرعون وقومه وهي مصر او منازل عاد وثمود والقرون المهلكة كيف اقفرت منهم لتعتبروا فلا تفسقوا
مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم اورثكم سأصرف عن آياتي عن فهمها قال ذو النون قدس الله روحه
ابى الله ان يكرم قلوب البطالين بمكنون حكمة القرآن الذين يتكبرون يتطاولون على الخلق ويأنفون

انتقام

عن قبول الحق وحقيقة التكلف للكبرياء التي اختصت بالباري عزت قدرته في الارض بغير الحق
هو حال اي يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله تعالى وحده وان يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم
لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد طريق صلاح الامر وطريق الهدى الرشد حمزة وعلي وهما كالسقم
والسقم لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي الضلال يتخذوه سبيلا ومحل ذلك الرفع اي ذلك الصرف
بانهم كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة هو من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم احوالها
حبطت اعمالهم خبر والذين هل يجزون الا ما كانوا يعملون هو تكذيب الاحوال بتكذيب الارسال
واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه الى الطور من حليهم وانما نسب اليهم مع انها كانت عواري في ايديهم
لان الاضافة تكون بادنى ملابسة وفيه دليل على ان من حلف ان لا يدخل دار فلان فدخل دارا استعارها
يحنث وعلى انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم وفيه دليل على ان الاستيلاء على اموال الكفار
يوجب زوال ملكهم عنها والمتخذ هو السامري ولكنهم رضوا به فاسند اليهم والحلي جمع حلي وهو اسم ما يتحسن به
من الذهب والفضة حليهم حمزة وعلي للاتباع عجلا مفعول اتخذ جسدا بدل منه اي بدنا ذا لحم
ودم كسائر الاجساد له خوار هو صوت البقر والمفعول الثاني محذوف اي الها ثم عجب من عقولهم السخيفة
فقال الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى
لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق بما ركز
في العقول من الادلة وبما انزل في الكتب ثم ابتدأ فقال اتخذوه الها فاقدموا على هذا الامر المنكر وكانوا
ظالمين ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل واصله ان من اشتد ندمه ان يعض يده غما
فيصير يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقال الزجاج
معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان استحال ان يكون في
اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ورأوا انهم قد ضلوا
وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لئن لم ترحمنا ربنا
وتغفر لنا حمزة وعلي وانتصاب ربنا على النداء لنكونن من الخاسرين المغبونين في الدنيا والآخرة
ولما رجع موسى من الطور الى قومه بني اسرائيل غضبان حال من موسى اسفا حال ايضا اي حزينا قال
بئسما خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي والخطاب لعبدة العجل من السامري واشياعه
او لهارون ومن معه من المؤمنين ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل
مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم
محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي بعد قوله خلفتموني من بعد
ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عن عبادة

بالحق

الى سبيل الحق

عبدتم

البقرة حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف أعجلتم أمر
بعبادة العجل أمر ربكم وانتظار التورية بعد اربعين ليلة وأصل العجلة طلب الشيء قبل حينه وأقل
عجلتم بمعنى تركتم وألقى الألواح طرحها عند سماعه حديث العجل غضباً لله وكان في نفسه شديد الغضب
وكان هارون ألين منه جانباً ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى عليه السلام فتكسرت فرفعت
ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي هدى ورحمة وأخذ برأس أخيه
بشعر رأسه غضباً عليه حيث لم يمنعهم عن عبادة العجل يجره اليه عتاباً عليه لا هواناً به وهو حال من موسى
قال ابن أم بني الابن مع الام على الفتح لخفة عنه وبكسر الميم حمزة وعلي وشامي لان اصله يا ابن امي فحذف
الياء اجتزاء عنها بالكسرة وكان ابن امه وابيه وانما ذكر الام لانها كانت مؤمنة ولان ذكرها ادعى
الى العطف ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني اي لاني لم آل جهداً في كفهم بالوعظ والانذار
ولكنهم استضعفوني وهموا بقتلي فلا تشمت بي الاعداء الذين عبدوا العجل اي لا تفعل بي ما هو امنيتهم من
الاستهانة بي والاساءة الي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي قريناً لهم بغضبك علي فلما اتضح له
عذر اخيه قال رب اغفر لي ولأخي ليرضي اخاه وينفي الشماتة عنه باشراكه معه في الدعاء والمعنى اغفر لي
ما فرط مني في حق اخي ولاخي ان فرط في حسن الخلافة وادخلنا في رحمتك عصمتك في الدنيا و
جنتك في الآخرة وانت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب من ربهم
هو ما امروا به من قتل انفسهم توبة وذلة في الحيوة الدنيا خروجهم من ديارهم فالذلة تذلل الاعناق
او ضرب الجزية عليهم وكذلك نجزي المفترين المتكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا
الهكم واله موسى والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا رجعوا الى الله من بعدها وآمنوا واظهروا
الايمان ان ربك من بعدها اي السيئات او التوبة لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم
عليهم بالجنة وان مع اسمها وخبرها خبر والذين وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل وغيرهم عظم
جناياتهم اولاً ثم اردفها بعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان عظمت فعفوه اعظم ولما كان الغضب
لشدته كانه هو الآمر لموسى بما فعل قيل ولما سكت عن موسى الغضب وقال الزجاج معناه سكن
وقرئ به أخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة هدى ورحمة
للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتباره واختار
موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل سبعين رجلاً قيل اختار من قومه اثني
عشر سبطاً من كل سبط ستة فبلغوا اثنين وسبعين رجلاً فقال ليتخلف منكم رجلان فتقعد كالب
ويوشع لميقاتنا لاعتذارهم عن عبادة العجل فلما اخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة قال رب لو شئت
اهلكتهم من قبل بما كان منهم من عبادة العجل واياي بقتلي القبطي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا أتهلكنا

عقوبة بما فعل الجهال منا وهم اصحاب العجل ان هي الا فتنتك ابتلاؤك وهو راجع الى قوله انا قد فتنا قومك
من بعدك فقال موسى هي تلك الفتنة التي اخبرتني بها او هي ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء ونبلوكم بالشر والخير فتنة
تضل بها من تشاء من علمت منهم اختيار الضلال وتهدي بها من تشاء من علمت منهم اختيار الهدى انت ولينا
مولينا القائم بامورنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا فاثبت لنا واقسم لنا في هذه
الدنيا حسنة عافية وحيوة طيبة او توفيقاً في الطاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك
وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب قال عذابي من صفته اصيب به من
اشاء ان لا اعفو عنه ورحمتي وسعت كل شيء اي من صفة رحمتي انها واسعة تبلغ كل شيء ما من
مسلم ولا كافر الا وعليه اثر رحمتي في الدنيا فسأكتبها اي هذه الرحمة للذين يتقون الشرك من امة محمد
[illegible] نبينا عليه السلام ويؤتون الزكوة المفروضة والذين هم بآياتنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الذين
يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتاباً مختصاً به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات الامي الذي
يجدونه اي يجدون نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوباً عندهم في التورية والانجيل
يأمرهم بالمعروف بخلع الانداد وانصاف العباد وينهاهم عن المنكر عبادة الاصنام وقطيعة الارحام
ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة مما
ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث كالدم
والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربا والرشوة ونحوهما من المكاسب
الخبيثة ويضع عنهم اصرهم هو الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله والمراد التكاليف
الصعبة كقتل النفس في توبتهم وقطع الاعضاء الخاطئة آصارهم شامي على الجمع والاغلال التي كانت
عليهم هي الاحكام الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمداً كان او خطأ من غير شرع الدية وقرض
موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وظهور الذنوب على ابواب البيوت وشبهت
بالغل للزومها لزوم الغل فالذين آمنوا به بمحمد صلى الله عليه وسلم وعزروه وعظموه او منعوه من العدو حتى
لا يقوى عليه عدو واصل العزر المنع ومنه التعزير لانه منع عن معاودة القبيح كالحد وهو المنع ونصروه و
اتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي عليه السلام والعمل بسنته اولئك هم المفلحون الفائزون
بكل خير والناجون من كل شر قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم بعث كل رسول الى قومه خاصة
وبعث محمد عليه السلام الى كافة الجن والانس جميعاً حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض في محل
النصب باضمار اعني وهو نصب على المدح لا اله الا هو بدل من الصلة وفيه ملك السموات والارض
ولذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي
لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه
وحده

بالآية إذ لا يتقدر على الإحياء والإماتة غيره فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله
وكلماته أي الكتب المنزلة واتبعوه لعلكم تهتدون ولم يقل فآمنوا بالله وبي تعدولا إلى
الغيبة لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه ولما في الالتفات من مزية البلاغة وليعلم
أن الذي وجب الإيمان به هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا
من كان أنا أو غيري إظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق
أي يهدون الناس محقين أو بسبب الحق الذي هم عليه وبه يعدلون وبالحق يعدلون بينهم في الحكم
لا يجورون قيل هم قوم وراء الصين آمنوا بمحمد عليه السلام ليلة المعراج أو هم عبد الله بن سلام
وأضرابه وقطعناهم وصيرناهم قطعا أي فرقا وميزنا بعضهم من بعض اثنتي عشرة أسباطا
كقوله اثنتي عشرة قبيلة والأسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد
يعقوب عليه السلام نعم مميزها عدا العشرة مميزة وكان ينبغي أن يقال اثني عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم
اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباطا موضع قبيلة أمما بدل من اثنتي عشرة أي
وقطعناهم أمما لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى وأوحينا
إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فضرب فانبجست فانفجرت منه اثنتا عشرة
عينا قد علم كل أناس مشربهم هو اسم جمع غير تكسير وظللنا عليهم الغمام وجعلناه يظلهم
في التيه وأنزلنا عليهم المن والسلوى وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما
ظلمونا وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ولكن كانوا يضرون أنفسهم
ويرجع وبال الظلم إليهم وإذ قيل لهم واذكر إذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية بيت المقدس وكلوا
منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم نغفر لكم
مدنا وشامي خطيئتكم شامي خطيئاتكم مدني خطاياكم أبو عمرو سنزيد المحسنين فبدل الذين
ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون ولا
تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله في البقرة ادخلوا هذه القرية فكلوا
منها لوجود الدخول والسكنى وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون بينهما وترك
ذكر الرغد لا يناقض إثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران
وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد
الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة بيان وأرسلنا وأنزلنا ويظلمون ويفسقون
من واد واحد واسألهم واسأل اليهود عن القرية أيلة أو مدين وهذا السؤال للتقريع
بقديم كفرهم التي كانت حاضرة البحر قريبة منه إذ يعدون في محل الجر بدل من القرية

والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوهم في السبت
وهو من بدل الاشتمال إذ تأتيهم منصوب بيعدون أو بدل بعد بدل حيتانهم جمع حوت أبدلت
الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها يوم سبتهم شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان
والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد والمعنى إذ يعدون
في تعظيم هذا اليوم وكذا قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه ويوم لا يسبتون لا تأتيهم
ويوم ظرف لا تأتيهم كذلك نبلوهم بفسقهم وإذ قالت معطوف على إذ يعدون وحكمه حكمه في الإعراب
أمة منهم جماعة من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بعد ما ركبوا الصعب والذلول في عظتهم
لآخرين لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا وإنما قالوا ذلك لعلمهم
أن الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة إلى ربكم أي موعظتنا إبلاء عذر إلى الله لئلا ننسب في النهي
عن المنكر إلى التفريط معذرة حفص على أنه مفعول له أي وعظناهم للمعذرة ولعلهم يتقون و
لطمعنا في أن يتقوا فلما نسوا أي أهل القرية لما تركوا ما ذكروا به ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه
أنجينا الذين ينهون عن السوء عن العذاب الشديد وأخذنا الذين ظلموا الراكبين المنكر والذين قالوا
لم تعظون من الناجين فعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان بعذاب
بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد فهو بئيس وبئس شامي بيس مدني بيئس على وزن
فيعل أبو بكر غير حماد بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة أي جعلنا
قردة خاسئين مبعدين وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ
قيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يتكلمون والجمهور
على أنها ماتت بعد ثلاث وقيل بقيت وتناسلت وإذ تأذن ربك أي أعلم وأجري مجرى فعل
القسم ولذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن عليهم أي كتب على نفسه ليسلطن على اليهود إلى
يوم القيامة من يسومهم من يوليهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث محمد
عليه السلام فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر إن ربك لسريع العقاب للكفار وإنه
لغفور رحيم للمؤمنين وقطعناهم في الأرض أمما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد عن فرقة منهم
منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون
ذلك الوصف منحطون عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف محذوف
أي ومنهم ناس منحطون عن الصلاح وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم والخصب
والجدب لعلهم يرجعون ينتهون فيثوبون فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف
وهم الذين كانوا في زمن رسول الله عليه السلام والخلف بدل السوء بخلاف الخلف وهو الصالح

ورثوا الكتاب التوراة ووقفوا على ما فيها من الاوامر والنواهى والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها ياخذون عرض هذا الادنى هو حال من الضمير فى ورثوا والعرض المتاع اى حطام هذا الشئ الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشى فى الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يواخذنا الله بما اخذنا والفعل مسند الى الاخذ او الى الجار والمجرور اى لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال اى يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب اى الميثاق المذكور فى الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق اى اخذ عليهم الميثاق فى كتابهم ان لا يقولوا على الله الا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه وقرؤوا ما فى الكتاب وهو عطف على الم يوخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى والمحارم افلا يعقلون انه كذلك وبالتاء مدنى وحفص والذين يمسكون بالكتاب يمسكون ابو بكر والامساك والتمسك والاعتصام والتعلق بالشئ واحد واقاموا الصلوة خص الصلوة مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة لانها عماد الدين والذين مبتدا والخبر انا لا نضيع اجر المصلحين اى انا لا نضيع اجرهم وجاز ان يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون وانا لا نضيع اعتراض واذ نتقنا الجبل فوقهم واذكر اذ قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور كانه ظلة هى كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وظنوا انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهى ولا تنسوه لعلكم تتقون ما انتم عليه واذ اخذ ربك من بنى آدم اى واذكر اذ اخذ من ظهورهم بدل من بنى آدم والتقدير واذ اخذ ربك من ظهور بنى آدم ذريتهم ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلاب آبائهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا هذا من باب التمثيل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك

ان

ان تقولوا مفعول له اى فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او تقولوا او كراهة ان تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم فى الاعراض عنه والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم فى الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم افتهلكنا بما فعل المبطلون اى كان آباؤنا المبطلين السبب فى شركنا لتاسيسهم الشرك وتركهم سنة لنا وكذلك نفصل ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون عن شركهم نفصلها الى هذا ذهب المحققون من اهل التفسير وذهب جمهور المفسرين الى ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من ظهر آدم مثل الذر واخذ عليهم الميثاق انه ربهم بقوله الست بربكم فاجابوه ببلى قالوا وهى الفطرة التى فطر الله الناس عليها وقال ابن عباس رضى الله عنهما اخرج الله من ظهر آدم ذريته وأراه اياهم كهيئة الذر واعطاهم من العقل وقال هؤلاء ولدك آخذ عليهم الميثاق ان يعبدونى وقيل كان ذلك قبل الدخول فى الجنة بين مكة والطائف وقيل بعد النزول من الجنة وقيل فى الجنة والحجة للاولين انه قال من بنى آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم ولانا لا نتذكر ذلك فانى يصير حجة ذرياتهم مدنى وبصرى وشامى ان يقولوا او يقولوا ابو عمرو واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا هو عالم من علماء بنى اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء اوتى علم بعض كتب الله فانسلخ منها فخرج من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روى ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى فلم يزالوا به حتى فعل وكان عنده اسم الله الاعظم ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها واتبع هواه فى ايثار الدنيا ولذاتها على الآخرة ونعيمها فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه اى تزجره وتطرده يلهث او تتركه غير مطرود يلهث والمعنى فصفته التى هى مثل فى الخسة والضعة كصفة الكلب فى اخس احواله واذلها وهى حال دوام اللهث به سواء حمل عليه اى شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوانات لا يكون منها اللهث الا اذا حرك اما الكلب فلاهث فى الحالين وكان مقتضى الكلام ان يقال ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع هذا التمثيل موضع فحططناه ابلغ حط ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا فى الحالين وقيل معناه هو ضال وعظ او ترك وعن عطاء من علم ولم يعمل فهو كالكلب ينبح طرد او ترك ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعد ما قرؤوا نعت رسول الله عليه السلام فى التورية وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه فاقصص القصص اى قصص بلعم الذى هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته

اللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد

الا صاروا نحو جيفة ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا اي مثل القوم فحذف المضاف
وفاعل ساء مضمر اي ساء المثل مثلا وانتصاب مثلا على التمييز وانفسهم كانوا يظلمون
معطوف على كذبوا فيدخل في حيز الصلة اي الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم
انفسهم او منقطع عن الصلة اي وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص
وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعد الى غيرها من يهدى الله فهو المهتدى حمل على اللفظ ومن يضلل
اي ومن يضلله فاولئك هم الخاسرون حمل على المعنى وان كان الهدى من الله البيان كما قالت
المعتزلة لاستوى المومن والكافر اذ البيان ثابت في حق الفريقين فدل انه من الله تعالى التوفيق
والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المومن ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس هم الكفار من الفريقين المعرضون عن تدبر ايات الله تعالى وعلم منهم
اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم جهنم لذلك ولا تنافي
بين هذا وبين قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لانه انما خلق منهم للعبادة
من علم انه يعبده واما من علم انه يكفر به فانما خلقه لما علم انه يكون منه فالحاصل ان من
علم منه في الازل انه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم انه يكون منه الكفر
خلقه لذلك وكم من عام يراد به الخصوص وقول المعتزلة بان هذه لام العاقبة اي لما كان
عاقبتهم جهنم جعل كانهم خلقوا لها فرارا عن ارادة المعاصي عدول عن الظاهر لهم قلوب
لا يفقهون بها الحق ولا يتفكرون فيه ولهم اعين لا يبصرون بها الرشد ولهم اذان
لا يسمعون بها الوعظ اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتفكر
بل هم اضل من الانعام لانهم كابروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضول
فالانعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم لا يعلمون مضارهم حيث اختاروا
النار وكيف يستوي المكلف المامور والمخلى المعذور فالادمي روحاني شهواني سماوي
ارضي فان غلب روحه هواه فاق ملائكة السموات وان غلب هواه روحه فاقته
بهائم الارض اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى التي
هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة فمنها ما يستحقه بحقائقه كالقديم قبل كل شيء
والباقي بعد كل شيء والقادر على كل شيء والعالم بكل شيء والواحد الذي ليس كمثله شيء ومنها
ما تستحسنه الانفس لاثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب
التخلق به كالمفضل والمحسن ومنها ما يوجب مراقبة الاحوال كالسميع والبصير والمقتدر
ومنها ما يوجب الاجلال كالعظيم والجبار والمتكبر فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء

وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء
الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه نحو ان يقولوا يا سخي يا رفيق لانه لم يسم نفسه بذلك ومن الالحاد
تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة يلحدون حمزة لحد والحد مال سيجزون ما كانوا يعملون وممن
خلقنا للجنة لانه في مقابلة ولقد ذرانا لجهنم امة يهدون بالحق وبه يعدلون في احكامهم قيل
هم العلماء والدعاة الى الدين وفيه دلالة ان اجماع كل عصر حجة والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم
قليلا قليلا الى ما يهلكهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه مع انهماكهم في الغي فكلما جدد
عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة
النعم اثرة من الله وتقريب وانما هو خذلان منه وتبعيد وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال
درجة بعد درجة واملي لهم عطف على سنستدرجهم اي امهلهم ان كيدي متين اخذي شديد سماه كيدا لانه
شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان ولما نسبوا النبي عليه السلام الى الجنون نزل
اولم يتفكروا ما بصاحبهم محمد عليه السلام وما نافية بعد وقف اي اولم يتفكروا في قولهم ثم نفى عنه الجنون بقوله
ما بصاحبهم من جنة جنون ان هو الا نذير مبين منذر من الله موضح انذاره اولم ينظروا نظر استدلال
في ملكوت السموات والارض الملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء
من اجناس لا يحصرها العدد وان عسى ان مخففة من الثقيلة واصله وانه عسى والضمير ضمير الشان وهو في
موضع الجر بالعطف على ملكوت والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجاة
الاجل وحلول العقاب فباي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو متعلق بعسى
ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون
الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون
ان يؤمنوا به من يضلل الله فلا هادي له اي يضلله الله ويذرهم بالياء عراقي وبالجزم حمزة وعلي عطفا
على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم والرفع على الاستئناف اي وهو يذرهم
الباقون بالنون في طغيانهم كفرهم يعمهون يتحيرون ولما سالت اليهود او قريش عن الساعة متى تكون
نزل يسالونك عن الساعة وهي من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة او
لسرعة حسابها او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق ايان متى واشتقاقه من اي فعلان
منه لان معناه اي وقت مرساها ارساؤها مصدر مثل المدخل بمعنى الادخال او وقت ارسائها اي اثباتها
والمعنى متى يرسيها الله قل انما علمها عند ربي اي علم وقت ارسائها عنده قد استاثر به لم يخبر به احدا من ملك
مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت

الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده ثقلت في
السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة ويتمنى ان يتجلى له علمها
وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها ... حفي عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في
السؤال عنها لان من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيها واصل هذا التركيب المبالغة ومنه
احفاء الشارب او عنها متعلق بيسألونك اي يسألونك عنها كانك حفي اي عالم بها قل انما علمها عند الله
وكرر يسألونك وانما علمها عند الله للتاكيد ولزيادة كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء في كتبهم لا يخلون
المكرر عن فائدة منهم محمد بن الحسن رحمه الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه المختص بالعلم بها قل لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله هو اظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد
ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك الا ما شاء الله مالكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت
اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء اي لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار
الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب وقيل
الغيب الاجل والخير العمل والسوء وقيل لاستكثرت لاعددت من الخصب للجدب والسوء
الفقر وقد ولد ان انا الا نذير وبشير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم
الغيب والام في لقوم يؤمنون يتعلق بالنذير والبشير لان النذارة والبشارة انما تنفعان فيهم او بالبشير
وحده والمتعلق بالنذير محذوف اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس
واحدة هي نفس آدم عليه السلام وجعل منها زوجها حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه
ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل لان الجنس الى الجنس اميل خصوصا اذا كانت بعضا منه كما يسكن
الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وذكر ليسكن بعد ما انث في قوله واحدة منها
زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها آدم فلما تغشاها جامعها حملت حملا خفيفا
خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه
فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق او حملت حملا خفيفا يعني
النطفة فمرت به فقامت به وقعدت فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها دعوا الله ربهما دعا آدم
وحواء ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا صالحا لئن وهبت
لنا ولدا سويا قد صلح بدنه او ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح لنكونن من الشاكرين لك والضمير
في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما صالحا اعطاهما ما طلباه من الولد الصالح
السوي جعلا له شركاء اي جعل اولاده له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
وكذلك فيما آتاهما اي آتى اولادهما دليله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان

من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس ونحو ذلك مكان
عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم او يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله عليه السلام
وهم آل قصي اي هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما
آتيهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف
وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك شركا
مدني وابو بكر اي ذوي شرك وهم الشركاء ايشركون ما لا يخلق شيئا يعني الاصنام وهم يخلقون اجريت
الاصنام مجرى اولي العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق
شيء وهم يخلقون لان الله خالقهم او الضمير في وهم يخلقون للعابدين اي ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم
مخلوق الله فليعبدوا خالقهم او للعابدين والمعبودين وجمعهم كاولي العلم تغليبا للعابدين ولا يستطيعون
لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث كالكسر وغيره بل عبدتهم
هم الذين يدفعون عنهم وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم
اي وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم
كما يجيبكم الله لا يتبعوكم نافع سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون عن دعائهم
في انه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم والعدول عن الجملة الفعلية الى الاسمية لرؤوس الآي ان الذين تدعون من
دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم مخلوقون مملوكون امثالكم
فادعوهم لجلب نفع او دفع ضر فليستجيبوا لكم فليجيبوا ان كنتم صادقين في انهم
آلهة ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد
يبطشون بها يتناولون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها اي فلم تعبدون
ما هو دونكم قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم
وبالياء يعقوب وافقه ابو عمرو في الوصل فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر
ان يخاطبهم بذلك وبالياء يعقوب ان وليي ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب اوحى الي واعزني
برسالته وهو يتولى الصالحين ومن سنته ان ينصر الصالحين من عباده ولا يخذلهم والذين تدعون
من دونه من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى
لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك يشبهون الناظر اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب
حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون المرئي خذ العفو هو ضد الجهد اي ما عفا لك من اخلاق
الناس وافعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا
وامر بالعرف بالمعروف والجميل من الافعال او هو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع واعرض عن

الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تماريهم واحلم عنهم وفسرها جبريل عليه السلام بقوله صل من
قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك وعن الصادق رضي الله عنه امر الله نبيه عليه السلام
بمكارم الاخلاق وإما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف
ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ النخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل
النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي
شيطانا يعتريني إنه سميع لنزغه عليم بدفعه إن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان طيف مكي وبصري
وعلي اي لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا وعن ابي عمرو هما واحد وهي الوسوسة و
هذا تاكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان عادة المتقين اذا اصابهم ادنى
نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون فابصروا السداد ودفعوا
وسوسته وحقيقته ان يفزعوا الى الله فيزدادوا بصيرة من الله بالله وإخوانهم واما اخوان الشياطين
من شياطين الانس فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم
يُمِدّونهم من الامداد مدني ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وجاز ان يراد
بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين
اتقوا وانما جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد لان المراد به الجنس واذا لم تأتهم بآية مقترحة
قالوا لولا اجتبيتها هلا اخترتها اي اختلقتها كما اختلقت ما قبلها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي ولست
بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون به واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ظاهره وجوب
الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في الصلوة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول
القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على انه في استماع المؤتم وقيل في استماع
الخطبة وقيل فيهما وهو الاصح واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح
والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما دون الجهر
لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين
الوقتين وقيل المراد ادامة الذكر باستقامة الفكر ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي
الغدوات والآصال جمع أُصُل والأُصُل جمع اصيل وهو العشي ولا تكن من الغافلين من الذين
يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك مكانة ومنزلة لا مكانا ومنزلا يعني الملائكة
لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ويسبحونه وينزهونه عما لا يليق به وله يسجدون
ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه والانفال الغنائم
ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله كيف تقسم ولمن الحكم
في قسمتها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة
يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول ان حكمها مختص بامر الله ورسوله
يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد
فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين في الله واصلحوا ذات بينكم احوال بينكم يعني ما بينكم
من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق وقال الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين
الوصل اي فاتقوا الله وكونوا مجتمعين على ما امر الله ورسوله قال عبادة بن الصامت نزلت
فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله الى رسول الله
فقسمه بين المسلمين على السواء واطيعوا الله ورسوله فيما امرتم به في الغنائم وغيرها ان كنتم مؤمنين
كاملي الايمان انما المؤمنون انما الكاملون الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له
وتهيبا من جلاله وعزه وسلطانه واذا تليت عليهم آياته اي القرآن زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا
وطمأنينة لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه او زادتهم ايمانا بتلك الآيات لانهم لم يؤمنوا
باحكامها قبل وعلى ربهم يتوكلون يعتمدون ولا يفوضون امورهم الى غيره لا يخشون
ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون جمع بين اعمال القلوب من الوجل
والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة اولئك هم المؤمنون حقا هو صفة
لمصدر محذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون
كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن رحمه الله ان رجلا سأله أمؤمن انت قال
ان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث
والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون الآية فلا ادري أمنهم انا ام لا وعن الثوري
من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية اي كما لا يقطع بانه من اهل
ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا يتشبث من يقول انا مؤمن ان شاء الله وكان ابو حنيفة
لا يقول ذلك وقال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم عليه السلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى وعن ابراهيم التيمي قل انا مؤمن حقا فان صدقت أُثبت
عليه وان كذبت فكفرك اشد من كذبك وعن ابن عباس من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا
وقد احتج عبد الله السائلي على احمد بن حنبل فقال ايش اسمك فقال احمد فقال أتقول انا احمد حقا او

انا احد ان شاء الله فقال انا احد حقا فقال حيث سماك والدك لا تستثنِ وقد سماك الله في
القرآن مومنا المستثنى لهم درجات مراتب بعضها فوق بعض على قدر الاعمال عند ربهم
ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم صاف عن كد الاكتساب وخوف الحساب
الكاف في كما اخرجك ربك في محل النصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر والتقدير قل الانفال
استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون
من بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص
البيت بساكنه بالحق اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع
الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها
اربعون راكبا منهم ابو سفيان فاخبر جبريل النبي عليه السلام فاخبر اصحابه فاعجبهم تلقي العير لكثرة
الخير وقلة القوم فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل
له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله ... وسار بمن
معه الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله
وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي اصحابه وقال العير احب اليكم ام النفير
قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله عليه السلام ثم ردد عليهم فقالوا يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي عليه السلام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ٣٤
فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة وقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك
رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك
كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا
البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله عليه السلام
ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الآن
انظر الى مصارع القوم وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون قال الشيخ
ابو منصور يحتمل انهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادا ويحتمل ان يكونوا مخلصين ويكون ذلك
كراهة طبع لانهم غير متاهبين له يجادلونك في الحق الحق الذي جادلوا فيه رسول الله تلقي النفير
لايثارهم عليه تلقي العير بعدما تبين بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم
ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد وذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون الى الموت

العير الابل ... ثم غلبت على كل قافلة

الترديد والترداد ...

الخوض ...

وهم ينظرون شبه حالهم في فرط فزعهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل
ويساق على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة
العدد وانهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
اذ منصوب باذكر واحدى مفعول ثان انها لكم بدل من احدى الطائفتين وهما
العير والنفير والتقدير واذ يعدكم الله ان احدى الطائفتين لكم وتودون ان غير ذات الشوكة
تكون لكم اي العير وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت في النفير لعددهم
وعدتهم اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الاخرى
ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما
امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من قتلهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر
الكافرين آخرهم والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر وقطع الدابر عبارة عن
الاستيصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور والله تعالى يريد معالي
الامور ونصرة الحق وعلو الكلمة وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات
الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم واعزكم واذلهم ليحق الحق متعلق بيقطع او بمحذوف
تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك والمقدر متاخر ليفيد الاختصاص اي ما فعله
الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه وليس هذا بتكرار لان الاول
تمييز بين الارادتين وهذا بيان لمراد فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم
ونصرهم عليها ولو كره المجرمون المشركون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من
اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد
من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين
اغثنا وهي طلب الغوث وهو التخليص من المكروه فاستجاب لكم فاجاب واصل
اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله بالف من
الملائكة مردفين مردفين غيرهم بكسر الدال فالكسر على انهم اردفوا غيرهم اردف
كل ملك ملكا آخر والفتح على انه اردف كل ملك ملكا آخر يقال ردفه اذا تبعه واردفته اياه اذا
اتبعته وما جعله الله اي الامداد الذي دل عليه ممدكم الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر
ولتطمئن به قلوبكم يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم
بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله اي ولا تحسبوا النصر
من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله

الشوكة الحدة ... استعارة من واحدة الشوك

السفساف الدني الحقير من الامور

والمنصور من نصره الله واختلف في قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبريل في خمسمائة
ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي في صور الرجال عليهم ثياب بيض
وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت حتى قال ابو جهل لابن مسعود من اين كان
ياتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة قال فهم غلبونا لا انتم وقيل لم يقاتلوا وانما
كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا ان الله عزيز
بنصر اوليائه حكيم بقهر اعدائه اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او باضمار اذكر
يغشيكم مدني النعاس النوم والفاعل هو الله على القرائتين يغشيكم النعاس مكي وابو عمرو امنة مفعول له
اي اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي لامنكم او مصدر اي فامنتم امنة فالنوم يزيح الرعب ويريح النفس
منه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله وينزل بالتخفيف مكي وبصري وبالتشديد غيرهم عليكم من
السماء ماء مطرا ليطهركم به بالماء من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان
وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش او الجنابة من الاحتلام لانه من الشيطان وقد وسوس
اليهم ان لا نصرة مع الجنابة وليربط على قلوبكم بالصبر ويثبت به الاقدام اي بالماء اذ
الاقدام كانت تسوخ في الرمل او بالربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر ثبتت القدم في مواطن
القتال اذ يوحي بدل ثالث من اذ يعدكم او منصوب بيثبت ربك الى الملائكة اني معكم بالنصر فثبتوا
الذين آمنوا بالبشرى وكان الملك يسير امام الصف في صورة رجل ويقول ابشروا فان الله
ناصركم سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب هو امتلاء القلب من الخوف الرعب
شامي وعلي فاضربوا امر للمؤمنين او للملائكة وفيه دليل على انهم قاتلوا فوق الاعناق
اي اعالي الاعناق التي هي المذابح تطييرا للرؤوس او اراد الرؤوس لانها فوق الاعناق يعني ضرب
الهام واضربوا منهم كل بنان هي الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى
لان الضرب اما ان يقع على مقتل او غير مقتل فامرهم ان يجمعوا عليهم النوعين ذلك اشارة
الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدا خبره بانهم شاقوا الله ورسوله
اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم اي مخالفتهم وهي مشتقة من الشق لان كلا المتعادين
في شق خلاف شق صاحبه وكذا المعاداة والمخاصمة لان هذا في عدوة وخصم اي جانب وذا في
عدوة وخصم ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب والكاف في ذلك لخطاب
الرسول او لكل احد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب او العقاب
ذلكم فذوقوه والواو في وان للكافرين عذاب النار بمعنى مع اي ذوقوا هذا العذاب العاجل
مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا

حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا
من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر فلا تولوهم الادبار فلا تنصرفوا
عنهم منهزمين اي اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او
تساووهم او حال من المؤمنين او من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم ومن يولهم
يومئذ دبره الا متحرفا مائلا لقتال وهو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو من
خدع الحرب او متحيزا منضما الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهما حالان
من ضمير الفاعل في يولهم فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ووزن متحيز
متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز ولما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا وكان القائل
منهم يقول تفاخرا قتلت واسرت قيل لهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم والفاء جواب شرط
محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل للنبي عليهما السلام
خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه
فانهزموا قيل وما رميت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها انت لم ترمها
انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله
حيث اثرت ذلك الاثر العظيم وفي الآية بيان ان فعل العبد مضاف اليه كسبا والى الله خلقا
لا كما يقول الجبرية والمعتزلة لانه اثبت الفعل من العبد بقوله اذ رميت ثم نفى عنه واثبته لله تعالى بقوله
وما رميت ولكن الله رمى ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن شامي وحمزة وعلي وليبلي
المؤمنين وليعطيهم منه بلاء حسنا عطاء جميلا والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل
وما فعل الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع
اي الامر ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين معطوف على ذلكم اي المراد ابلاء المؤمنين وتوهين
كيد الكافرين موهن كيد شامي وكوفي غير حفص موهن كيد حفص موهّن كيد غيرهم ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح ان تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لاهل مكة لانهم حين ارادوا ان
ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وقيل
ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا للكافرين اي وان تنتهوا عن عداوة رسول الله فهو اي الانتهاء
خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم ولن تغني عنكم فئتكم جمعكم شيئا ولو كثرت
عددا وان الله مع المؤمنين بالفتح مدني وشامي وحفص اي ولان الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك
وبالكسر غيرهم ويؤيده قراءة عبد الله والله مع المؤمنين يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه
عن رسول الله لان المعنى واطيعوا رسول الله لقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول

وطاعة الله تعالى اذا حصلت من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما
كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان او يرجع الضمير الى الامر بالطاعة اى ولا تولوا عن هذا الامر
وامتثاله واصله ولا تتولوا فحذفت احدى التائين تخفيفا وانتم تسمعون اى وانتم تسمعونه او ولا
تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اى تصدقون لانكم مومنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اى ادعوا السماع وهم المنافقون او اهل الكتاب وهم لا يسمعون لانهم
ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبي فاذا توليتم عن طاعته
الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها اشبه سماعكم سماع من لا يومن ثم قال ان شر الدواب عند الله
الصم البكم الذين لا يعقلون اى ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه
جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لانهم عاندوا بعد الحق وكابروا بعد العقل ولو علم الله فيهم في هؤلاء
الصم البكم خيرا صدقا ورغبة لاسمعهم لجعلهم سامعين حتى يسمعوا سماع المصدقين ولو اسمعهم
لتولوا عنه اى ولو اسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا وهم معرضون عن الايمان يا ايها الذين
آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحد فيما قبله لان استجابة رسول الله كاستجابته
والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع
لان العلم حياة كما ان الجهل موت قال الشاعر لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن او لمجاهدة
الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم او للشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه اى يميته فيفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب فاغتنموا
هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله او بينه وبين ما تمناه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائمه
وانه اليه تحشرون واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة واتقوا
فتنة عذابا لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة هو جواب للامر اى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم
خاصة ولكنها تعمكم وجاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر لان فيه معنى النهي كما اذا قلت انزل
عن الدابة لا تطرحك وجاز لا تطرحنك ومن في منكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة للتبعيض واعلموا
ان الله شديد العقاب اذا عاقب واذكروا اذ انتم قليل اذ مفعول به لا ظرف اى واذكروا وقت
كونكم اقلة اذلة مستضعفون في الارض ارض مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم
الناس لان الناس كانوا لهم اعداء مضادين فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد
الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم ولم تحل لاحد قبلكم لعلكم تشكرون
هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه والرسول بان لا تستنوا به وتخونوا
جزم عطفا على لا تخونوا او ولا تخونوا اماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك

ذلك ووباله او وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو او وانتم تعلمون
حسن المحسن وقبح القبيح ومعنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل
في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في الشيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه واعلموا انما اموالكم
واولادكم فتنة اي سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم والعذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون
فيهم على حدوده وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا فيكم في الدنيا ولا تحرصوا
على جمع المال يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل
وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم وآثاركم في اقطار
الارض من قولهم سطع الفرقان اى طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم
من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة ويكفر عنكم سيئاتكم اى الصغائر ويغفر لكم ذنوبكم اى الكبائر
والله ذو الفضل العظيم على عباده واذ يمكر بك الذين كفروا لما فتح الله عليه ذكر مكر قريش به
حين كان بمكة ليشكر نعمة في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان
قريشا لما اسلمت الانصار فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل
عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم
ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة
تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه
ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع
واسترحتم فقال ابليس بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا اري ان تاخذوا
من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم
على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم
رايا فتفرقوا على راي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يبيت
في مضجعه واذن له في الهجرة فامر عليا فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك
امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم و
اقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك ليحبسوك ويوثقوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك
من مكة ويمكرون ويخفون المكائد له ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة والله خير الماكرين
اى مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا كان عليه السلام يقرأ القرآن ويذكر اخبار القرون الماضية
في قراءته فقال النضر بن الحارث لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة
حديث رستم واحاديث العجم فنزل واذا تتلى عليهم آياتنا اى القرآن قالوا قد سمعنا لو نشاء

لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين وهذا صلف منهم ووقاحة لانهم دعوا الى
ان ياتوا بسورة من مثل القرآن فلم ياتوا به واذ قالوا اللهم ان كان هذا اى القرآن هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء اى ان كان القرآن وقالت هذا اسم كان وهو فصل
والحق خبر كان روى ان النضر لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبى عليه السلام ويلك
ان هذا كلام الله فرفع النضر راسه الى السماء وقال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء اى ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب
الفيل او ائتنا بعذاب اليم بنوع آخر من جنس العذاب الاليم فقتل يوم بدر صبرا وعن
معاوية انه قال لرجل من سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من
قومى قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر
علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم اللام لتاكيد النفى والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم
لانك بعثت رحمة للعالمين وسنته ان لا يعذب قوما عذاب استيصال ما دام نبيهم بين
اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجرت عنهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون هو فى موضع الحال ومعناه نفى الاستغفار عنهم اى ولو كانوا
ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم او معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم
المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين وما لهم
الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وكيف لا يعذبون وحالهم
انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية واخراجهم رسول الله
والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل
من نشاء وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم
للدين ان يكونوا ولاة امر الحرم ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين وقيل الضميران راجعان
الى الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند
او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء صفيرا
كصوت المكاء وهو طائر مليح الصوت وهو فعال من مكا يمكو اذا صفر وتصدية وتصفيقا
تفعلة من الصدا او ذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون
فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله عليه السلام فى صلاته يخلطون
عليه فذوقوا العذاب القتل والاسر يوم بدر بما كنتم تكفرون بسبب كفركم

اى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم ان لا يعذبهم الله

ونزل فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا كلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل
يوم عشر جزر ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله اى كان غرضهم فى
الانفاق الصد عن اتباع محمد عليه السلام وهو سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة
ثم يكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر
الامر وهو من دلائل النبوة لانه اخبر عنه قبل وقوعه فكان كما اخبر والذين كفروا والكافرون
منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه واللام فى ليميز الله الخبيث من الكفار
من الطيب اى من الفريق الطيب من المؤمنين متعلقة بيحشرون ليميز حمزة وعلى ويجعل الخبيث
الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه فيجعله فى جهنم اى الفريق الخبيث
اولئك اشارة الى الفريق الخبيث هم الخاسرون انفسهم واموالهم قل للذين كفروا
اى ابا سفيان واصحابه ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله
بالدخول فى الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت
سنة الاولين بالاهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى او معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر
واسلموا غفر لهم ما سلف من الكفر والمعاصى وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله فى ان المرتد
اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا
يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين
الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على اسلامهم وان
تولوا اعرضوا عن الايمان ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومعينكم فثقوا
بولايته ونصرته نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره والمخصوص
بالمدح محذوف واعلموا انما غنمتم ما بمعنى الذى ولا يجوز ان يكتب الا مفصولا

الجزو العاشر

اذ لو كتب موصولا لوجب ان يكون ما كافة وغنمتم صلته والعائد محذوف والتقدير الذى
غنمتموه من شىء بيانه قيل حتى الخيط والمخيط فان لله خمسه والفاء انما دخلت لما فى
الذى من معنى المجازاة وان وما عملت فيه فى موضع رفع على انه خبر المبتدأ تقديره فالحكم ان لله
خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فالخمس كان فى عهد رسول الله
يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله وسهم لذوى قرباه من بنى هاشم وبنى عبد المطلب دون بنى عبد شمس
وبنى نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان وجبير بن مطعم وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين
وابن السبيل واما بعد رسول الله فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم
ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما

الا كان على سنة الله وللرسول سهمان وسهما قرابته فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة وكذا عمر ومن بعده
من الخلفاء رضي الله عنهم وسهم الله وللرسول لرسول الله لقوله والله ورسوله احق ان يرضوه
ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا به وارضوا بهذه القسمة فالايمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم
وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا يوم الفرقان يوم بدر يوم
التقى الجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الآيات والملائكة والفتح
يومئذ ويوم بدل من يوم الفرقان والله على كل شيء قدير يقدر على ان ينصر القليل على
الكثير كما فعل بكم يومئذ اذ انتم بدل من يوم الفرقان او التقدير اذكروا اذ انتم بالعدوة شط
الوادي وبالكسر فيهما مكي وابو عمرو الدنيا القربى الى جهة المدينة تانيث الادنى وهم بالعدوة القصوى
البعدى عن المدينة تانيث الاقصى وكلتاهما فعلى من بنات الواو والقياس قلب الواو ياء
كالعليا تانيث الاعلى واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل والركب اي العير وهو جمع
راكب في المعنى اسفل منكم نصب على الظرف اي مكانا اسفل من مكانكم يعني في اسفل الوادي بثلثة
اميال وهو مرفوع المحل لانه خبر للمبتدا ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون
فيه للقتال لاختلفتم في الميعاد لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد و
ثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ولكن جمع بينكم بلا
ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته واللام يتعلق بمحذوف اي ليقضي
الله امرا كان ينبغي ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك قال الشيخ ابو منصور
رحمه الله القضاء يحتمل الحكم اي ليحكم ما قد علم انه يكون كائنا او ليتم امرا كان قد اراده وما اراد
كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الاسلام واهله وذل الكفر وحزبه ويتعلق بيقضي ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حي عن بينة حيي نافع وابو بكر فالادغام لالتقاء المثلين والاظهار لان حركة الثاني
غير لازمة لانك تقول في المستقبل يحيى والادغام اكثر استعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام اي
ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم
ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعة بدر من
الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها ولهذا ذكر فيها مراكز الفريقين وان
العير كانت اسفل منهم مع انهم قد علموا ذلك كله مشاهدة ليعلم الخلق ان النصر والغلبة لا يكون
بالكثرة والاسباب بل بالله تعالى وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت
ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب
وكان العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وعددهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان

وان الله لسميع لاقوالهم عليم بكفرهم وعقابه وبايمان من آمن وثوابه اذ يريكهم الله نصبه
باضمار اذكر او هو متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك قليلا
الله في رؤياك وذلك ان الله تعالى اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان ذلك تشجيعا
لهم على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر
امر القتال وترددتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع
والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر
والجزع واذ يريكموهم الضميران مفعولان اي واذ يبصركم اياهم اذ التقيتم وقت اللقاء في اعينكم قليلا
هو نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما اخبرهم به
فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل
الى جنبي أتراهم سبعين قال اراهم مائة ويقللكم في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم
اكلة جزور قيل قد قللهم في اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم
الكثرة فيبهتوا ويهابوا ويجوز ان يبصروا الكثير قليلا بان يستر الله تعالى بعضهم بساتر او يحدث في
عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل
لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال فمالي لا ارى هذين
الديكين اربعة ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور فيحكم فيها بما يريد ترجع
شامي وحمزة وعلي يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك وصفها
لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم غالب للقتال فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا
واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له
على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة
والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون
هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره واطيعوا الله ورسوله في الامر
بالجهاد والثبات مع العدو وغيرهما ولا تنازعوا فتفشلوا فتجبنوا وهو منصوب باضمار ان
ويدل عليه وتذهب ريحكم اي دولتكم يقال هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره
شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها وقيل لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفي الحديث
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا في القتال مع العدو وغيره ان الله مع الصابرين
اي معينهم وحافظهم ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس هم اهل
مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال

القيان ج قينة جارية مغنية

حتى تقدم بدرا ونشرب بها الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا القيان ونطعم بها العرب
فذلك بطرهم بالخمور وننحر الجزور وتعزف ورئاءهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس
المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين طربين
مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم
لله والبطر ان تشغله كثرة النعمة عن شكرها ويصدون عن سبيل الله دين الله والله بما يعملون
محيط عالم وهو وعيد واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس واذكر اذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله عليه السلام
ووسوس اليهم انهم لا يغلبون غالب مبني نحو لا رجل ولكم في موضع رفع خبر لا تقديره لا غالب كائن
لكم واني جار لكم اي مجير لكم اوهمهم ان طاعة الشيطان مما يجيرهم فلما تراءت
الفئتان فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان هاربا على عقبيه اي رجع القهقرى وقال اني بريء
منكم اي رجعت عما ضمنت لكم من الامان روي ان ابليس تمثل لهم في صورة سراقة
بن مالك بن جعشم في جند من الشياطين معه راية فلما راى الملائكة تنزل نكص وقال له
الحارث بن هشام اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون اي الملائكة وانهزموا
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى
بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان اني اخاف الله اي عقوبته والله شديد العقاب
اذكروا اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض هو من صفة المنافقين
او اريد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام غر هؤلاء دينهم يعنون
ان المسلمين اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا
لهم ومن يتوكل على الله يكل امره اليه فان الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف
على الكثير القوي حكيم لا يسوي بين وليه وعدوه ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان
لو ترد المضارع الى معنى الماضي الى معنى الاستقبال اذ نصب على الظرف يتوفى الذين كفروا
يقبض ارواحهم الملائكة فاعل يضربون حال منهم وجوههم اذا اقبلوا وادبارهم ظهورهم
واستاههم اذا ادبروا او وجوههم عند الاقدام وادبارهم عند الانهزام وقيل يتوفى ضمير
الله والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر والاول الوجه لان الكفار لا يستحقون
ان يكون الله متوفيهم بلا واسطة دليله قراءة ابن عامر تتوفى بالتاء وذوقوا ويقولون لهم
ذوقوا معطوف على يضربون عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار او وذوقوا عذاب
الآخرة بشارة لهم به او يقال لهم يوم القيمة ذوقوا وجواب لو محذوف اي لرايت

امرا

امرا فظيعا ذلك بما قدمت ايديكم اي كسبت وهو رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى او من كلام
الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين
بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل وقيل
ظلام للتكثير لاجل العبيد او لنفي انواع الظلم الكاف في كداب ال فرعون في محل الرفع اي داب هؤلاء
مثل داب ال فرعون ودابهم عادتهم وعملهم الذي دابوا فيه اي داوموا عليه والذين من قبلهم
من قبل قريش او من قبل ال فرعون كفروا تفسير لداب ال فرعون بايات الله فاخذهم
الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب والمعنى جروا على عادتهم في التكذيب فاجرى عليهم
مثل ما فعل بهم في التعذيب ذلك العذاب او الانتقام بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى
يغيروا ما بانفسهم بسبب ان الله ما يصح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال
نعم لم يكن لآل فرعون ومشركي مكة حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة لكن كما تغير الحال المرضية
الى المسخوطة تغير المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام
فلما بعث اليهم بالآيات فكذبوه وسعوا في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوا مما كانت
فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبو
الرسل عليم بما يفعلون كداب ال فرعون تكرير للتاكيد او لان في الاولى الاخذ بالذنوب
بلا بيان ذلك وهنا بين ان ذلك هو الاهلاك والاستيصال والذين من قبلهم كذبوا
بايات ربهم وفي قوله بايات ربهم زيادة دلالة على كفرانهم النعم وجحودهم
للحق فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون بماء البحر وكل وكلهم
من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر فلا يتوقع منهم ايمان الذين
عاهدت منهم بدل من الذين كفروا اي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب
لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصرين الناكثون للعهود ثم ينقضون عهدهم
في كل مرة في كل معاهدة وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه
من العار والنار فاما تثقفنهم في الحرب فاما تصادفنهم وتظفرن بهم
فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية
فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجترئ عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم
وقال الزجاج افعل بهم ما تفرق وتطرد به من عداهم لعلهم يذكرون
لعل المشردين من ورائهم يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نكثا

بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على استواء منك ومنهم في العلم
بنقض العهد وهو حال من النابذ والمنبوذ اليهم اى حاصلين على استواء في العلم ان الله لا يحب
الخائنين الناقضين للعهود ولا يحسبن الذين بالياء وفتح السين شامي وحمزة ويزيد وحفص
وبالتاء وفتح السين ابو بكر وبالتاء وكسر السين غيرهم الذين كفروا سبقوا فاتوا وافلتوا
من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم انهم شامي
اى لانهم وكل واحد من المكسورة والمفتوحة تعليل غير ان المكسورة على طريقة الاستيناف
والمفتوحة تعليل صريح فمن قرأ بالتاء فالذين كفروا مفعول اول والثاني سبقوا ومن قرأ بالياء
فالذين كفروا فاعل وسبقوا مفعول اى سبقوا فحذف ان وان مخففة من الثقيلة اى انهم سبقوا
فسد مسد المفعولين او يكون الفاعل مضمرا اى ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى
تفرد حمزة بالقراءة ففيه نظر لما بينا من عدم تفرده بها وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من قتل
المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او لجميع الكفار ما استطعتم من قوة من
كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وفي الحديث الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا على المنبر
وقيل هي الحصون ومن رباط الخيل هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله او هو جمع
ربيط كفصيل وفصال وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله جبريل وميكائيل
ترهبون به بما استطعتم عدو الله وعدوكم اى اهل مكة وآخرين من دونهم
غيرهم وهم اليهود او المنافقون او اهل فارس او كفرة الجن وفي الحديث ان الشيطان
لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجن
لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم
يوفر عليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون في الجزاء بل تعطون على التمام وان جنحوا مالوا للسلم
والميل للسلم للصلح ويكسر السين ابو بكر وهو مؤنث تانيث ضدها وهو الحرب فاجنح
لها فمل اليها وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله
كافيك وعاصمك من مكرهم انه هو السميع لاقوالك العليم باحوالك وان يريدوا
ان يخدعوك يمكروا ويغدروا فان حسبك الله كافيك الله هو الذي ايدك قواك
بنصره وبالمؤمنين جميعا او بالانصار والف بين قلوبهم قلوب الاوس والخزرج
بعد تعاديهم مائة وعشرين سنة لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اى تناهى
عداوتهم مبلغا لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ملء الارض من الاموال لم يقدر
عليه ولكن الله الف بينهم بفضله ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته فاحدث بينهم

الاعداد ساختن

التواد

التوادّ والتحابب واماط عنهم التباغض والتنافر بينهم ... حكيم ينصر
من يتبعونك يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين الواو بمعنى مع وما بعده منصوب
والمعنى كفاك وكفى تبعك من المؤمنين الله ناصرا ويجوز ان يكون في محل الجر اى كفاك الله وكفى المؤمنين
قيل اسلم مع النبي عليه السلام ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت
يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى
يشفي على الموت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا
عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشر امثالهم من الكفار بعون الله
وتاييده بانهم قوم لا يفقهون بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب
ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته خلاف من يقاتل على
بصيرة وهو يرجو النصر من الله قيل كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة ثم ثقل
عليهم ذلك فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله الآن خفف الله عنكم
وعلم ان فيكم ضعفا ضعفا عاصم وحمزة فان يكن منكم مائة صابرة بالياء فيهما الكوفيون ووافق
البصري في الاولى والمراد الضعف في البدن يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف
يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين وتكرير مقاومة الجماعة لاكثر منها
مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة لا يتفاوت
اذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة
المائة المائتين والالف الالفين ما كان لنبي ما صح له وما استقام ان يكون له اسرى ان تكون
بصري حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه من الثخانة وهي
الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام بالاستيلاء والقهر
ثم الاسر بعد ذلك روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس
عمه وعقيل فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم
فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضي الله عنه كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب
اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس
ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه الصلوة والسلام
مثلك يا ابا بكر كمثل ابراهيم عليه السلام حيث قال ومن عصاني
فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام
حيث قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال

لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم
بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد فلما اخذوا الفداء نزلت الآية تريدون
عرض الدنيا حطامها باخذ الفداء سماه عرضا لقلة بقائه وسرعة فنائه والله يريد الآخرة
اى ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل والله
عزيز يغلب الاعداء حكيم في عتاب الاولياء لولا كتاب من الله لولا حكم
من سبق ان لا يعذب احدا على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهادا منهم
لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا لاسلامهم وان فداءهم يتقوى
به على الجهاد وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم او ما كتب
الله في اللوح ان لا يعذب اهل بدر او لا يؤاخذ قبل البيان والاعذار وفيما ذكر
من الآية دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس كتاب
مبتدأ من الله صفته اى لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة اخرى له
وخبر مبتدأ محذوف اى لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود وسبق
لا يجوز ان يكون خبرا لان لولا لا يظهر خبرها ابدا لمسكم لنالكم واصابكم
فيما اخذتم من فداء الاسرى عذاب عظيم روي ان عمر رضي الله عنه
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال
يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال
ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من
هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه
غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي فكلوا
مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت
وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم والفاء للتسبب والسبب محذوف
ومعناه قد احللت لكم الغنائم فكلوا حلالا مطلقا عن العتاب والعقاب
من حل العقال وهو نصب على الحال من المغنوم او صفة
للمصدر اى اكلا حلالا طيبا لذيذا هنيئا او حلالا بالشرع طيبا بالطبع
واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه ان الله غفور لما فعلتم رحيم باحلال
ما غنمتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم في ملككم كأن ايديكم قابضة عليهم من الاسرى
جمع اسير من الاسارى ابو عمرو وحده ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة

التواد والتحاب واماط عنهم التباغض والتعادي انه عزيز يقهر من يخدعونك حكيم ينصر
من يتبعونك يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين الواو بمعنى مع وما بعده منصوب
والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا ويجوز ان يكون في محل الرفع اى كفاك الله والكافر
المؤمنون قيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي
الله عنه فنزلت يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال التحريض المبالغة فيه يؤتكم خيرا
مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الآخرة ويغفر لكم
والله غفور رحيم روي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلاة
الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان يأخذ منه فاخذ منه ما قدر على حمله فكان يقول هذا خير
مما اخذ مني وارجو المغفرة وكان له عشرون عبدا ان ادناهم ليتجر في عشرين الفا وكان يقول انجز الله
احد الوعدين وانا على ثقة من الآخر وان يريدوا اى الاسرى خيانتك نكث ما بايعوك
عليه من الاسلام بالردة او منع ما ضمنوا من الفداء فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض
ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اى اظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر فليتوقعوا مثله ان عادوا
للخيانة والله عليم بالمآل حكيم فيما دبره في الحال ان الذين آمنوا وهاجروا من مكة حبا لله ورسوله
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله هم المهاجرون والذين آووا ونصروا اى آووهم
الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم وهم الانصار اولئك بعضهم اولياء بعض اى يتولى بعضهم بعضا
في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى
نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقيل اراد به النصر والمعاونة والذين
آمنوا ولم يهاجروا من مكة ما لكم من ولايتهم من توليهم في الميراث ولايتهم حمزة قيل ما
واحد من شيء حتى يهاجروا فكان لا يرث المؤمن الذي لم يهاجر عمن آمن وهاجر ولما ابقى للذين
لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة دل على ان صاحب الكبيرة
لا يخرج من الايمان وان استنصروكم اى من اسلم ولم يهاجر في الدين فعليكم النصر اى ان وقع
بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونتكم فواجب عليكم ان تنصروهم على الكافرين الا على قوم بينكم
وبينهم ميثاق فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والله بما
تعملون بصير تحذير عن تعدي حد الشرع والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات
الموالاة بينهم ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا
اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اى ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين
وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا قرابة الكفار

كما قال ان تكن فتنة في الارض وفساد كبير تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين
اذا لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زايدا والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل
مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لاجل الدين والعقبى
لهم مغفرة ورزق كريم لا منة فيه ولا تنغيص ولا تكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم مع الموعد
الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة
وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم جعلهم منهم تفضلا وترغيبا واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض واولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله
في حكمه وقسمته او في اللوح او في القرآن وهو آية المواريث وهو دليل للعلماء على توريث ذوي الارحام
ان الله بكل شيء عليم فيقضي بين عباده بما شاء من احكامه قسم الناس اربعة اقسام قسم
آمنوا وهاجروا وقسم آمنوا ونصروا وقسم آمنوا ولم يهاجروا وقسم كفروا ولم يومنوا [illegible]
[illegible] لها اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة
المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة لان فيها التوبة على المومنين وهي تقشقش من النفاق
اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم
وتخزيهم وتدمدم عليهم وفي ترك التسمية في ابتدائها اقوال فعن علي وابن عباس رضي الله عنهما ان بسم الله
امان وبراءة نزلت لرفع الامان وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه
سورة او آية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا
اين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة الانفال لان فيها ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود فلذلك قرنت
بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطول وهي سبع وقيل اختلف اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال وقال بعضهم هما سورتان
فتركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدا محذوف اي هذه براءة من الله
ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين من لابتداء الغاية متعلق بمحذوف اي هذه براءة واصلة من الله
ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان او مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين
عاهدتم كقولك رجل من بني تميم في الدار والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين
وانه منبوذ اليهم فسيحوا في الارض اربعة اشهر فسيروا في الارض كيف شئتم والسيح السير على مهل روي
انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ
العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم
فيهام

في قوله

في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع
من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر على موسم
سنة تسع ثم اتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي
عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال
امير او مامور قال مامور فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر
عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال
امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة
الا كل نفس مومنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد
وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف والاشهر الاربعة شوال
وذو القعدة وذو الحجة والمحرم او عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع
الآخر وكانت حرما لانهم امنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم
منها والجمهور على اباحة القتال في الاشهر الحرم وان ذلك قد نسخ واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه
وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين مذلهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب واذان
من الله ورسوله الى الناس ارتفاعه بارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والاذان بمعنى الايذان
وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء والفرق بين الجملة الاولى والثانية ان الاولى اخبار
بثبوت البراءة والثانية اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت وانما علقت البراءة بالذين عوهدوا
من المشركين وعلق الاذان بالناس لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام
لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم
عرفة لان الوقوف بعرفة معظم افعال الحج او يوم النحر لان فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمي
ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر ان الله بريء من المشركين اي بان الله حذفت صلة الاذان
تخفيفا ورسوله عطف على المنوي في بريء او على الابتداء وحذف الخبر اي ورسوله بريء وقرئ بالنصب
عطفا على اسم ان او بالجر على الجوار او على القسم كقولك لعمرك وحكي ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله
بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعلم العربية فان تبتم
من الكفر والغدر فهو اي التوب خير لكم من الاصرار على الكفر وان توليتم عن التوبة او ثبتم
على التولي والاعراض عن الاسلام فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه
وبشر الذين كفروا بعذاب اليم مكان بشارة المومنين بنعيم مقيم الا الذين عاهدتم من المشركين
استثناء من قوله فسيحوا في الارض والمعنى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم

يعني إلا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد أي وفوا بالعهد ولم ينقضوه
وقرئ لم ينقضوكم أي عهدكم وفيه أي في المشهور أبلغ لأنه في مقابلة التمام ولم يظاهروا عليكم أحدا
ولم يعاونوا عليكم عدوا فأتموا إليهم عهدهم فأدوه إليهم تاما كاملا إلى مدتهم إلى تمام مدتهم والاستثناء
بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتموا إليهم عهدهم ولا تجروهم
مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر إن الله يحب المتقين أي أن قضية التقوى أن لا يسوى بين الفريقين
فاتقوا الله في ذلك فإذا انسلخ مضى أو خرج الأشهر الحرم التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا فاقتلوا المشركين
الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل أو حرم وخذوهم وأسروهم والأخيذ هو
الأسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر
ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف فإن تابوا عن الكفر وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا
سبيلهم فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم إن الله غفور يستر الكفر والغدر
بالإسلام رحيم بدفع القتل قبل الأداء بالالتزام وإن أحد من المشركين استجارك فأجره أحد مرتفع
بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر أي وإن استجارك أحد استجارك والمعنى وإن جاءك أحد من المشركين
بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن فأمنه
حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر ثم أبلغه بعد ذلك مأمنه داره التي يأمن فيها إن لم
يسلم ثم قاتله إن شئت وفيه دليل على أن المستأمن لا يؤذى وليس له الإقامة في دارنا ويمكن من العود ذلك
أي الأمر بالإجارة في قوله فأجره بأنهم قوم لا يعلمون بسبب أنهم قوم جهلة لا يعلمون ما الإسلام وما حقيقة
ما تدعو إليه فلا بد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف يكون للمشركين
عهد عند الله وعند رسوله كيف استفهام في معنى الاستنكار أي مستنكر أن يثبت لهم عهد
فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله إلا الذين عاهدتم
أي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا أمرهم
ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم فما أقاموا على وفاء العهد فاستقيموا لهم على الوفاء
وما شرطية أي فإن استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين بيان أن التربص
بهم من أعمال المتقين كيف وإن يظهروا عليكم تكرار لاستبعاد ثبات المشركين
على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أي كيف يكون لهم عهد وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم
أي يظفروا عليكم بكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق لا يرقبوا فيكم إلا لا يراعوا
حلفا أو قرابة ولا ذمة عهدا يرضونكم بأفواههم بالوعد بالإيمان والوفاء بالعهد وهو
كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد

وتأبى

وتأبى قلوبهم الإيمان والوفاء بالعهد وأكثرهم فاسقون ناقضون العهد أو متمردون في الكفر لا مروءة
تزعهم عن الكذب ولا شمائل تردعهم عن النكث كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عنهما
اشتروا استبدلوا بآيات الله بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الأهواء والشهوات فصدوا عن
سبيله فعدلوا عنه أو صرفوا غيرهم إنهم ساء ما كانوا يعملون أي بئس الصنيع صنيعهم
لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ولا تكرار لأن الأول على الخصوص حيث قال فيكم والثاني على العموم لأنه قال
في مؤمن وأولئك هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فإن تابوا عن الكفر وأقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فهم إخوانكم على حذف المبتدأ في الدين لا في النسب ونفصل
الآيات ونبينها لقوم يعلمون يفهمون فيتفكرون فيها وهذا اعتراض كأنه قيل وإن من تأمل
تفصيلها فهو العالم تحريضا على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وإن نكثوا
أيمانهم من بعد عهدهم أي نقضوا العهود المؤكدة بالأيمان وطعنوا في دينكم وعابوه فقاتلوا أئمة الكفر
فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء المشركين أو زعماء قريش الذين هموا بإخراج الرسول
وقالوا إذا طعن الذمي في دين الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لأن العهد معقود معه على أن لا يطعن فإذا طعن فقد
نكث عهده وخرج من الذمة أئمة بهمزتين كوفي وشامي الباقون بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها
ياء مكسورة وأصلها أأممة لأنها جمع إمام كعماد وأعمدة فنقلت حركة الميم الأولى إلى الهمزة الساكنة وأدغمت
في الميم الأخرى فمن حقق الهمزتين أخرجهما على الأصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرها إنهم لا أيمان
لهم وإنما أثبت لهم الأيمان في قوله وإن نكثوا أيمانهم لأنه أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال لا أيمان
لهم على الحقيقة وهو دليل لنا على أن يمين الكافر لا يكون يمينا ومعناه عند الشافعي أنهم لا يوفون بها
لأن يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث لا إيمان شامي أي لا إسلام لعلهم ينتهون
متعلق بفقاتلوا أئمة الكفر وما بينهما اعتراض أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعد
ما وجد منهم من العظائم وهذا من غاية كرمه على المسيء ثم حرض على القتال فقال ألا تقاتلون
قوما نكثوا أيمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا بإخراج الرسول من مكة وهم بدءوكم
أول مرة بالقتال والبادي أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها
ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب
أتخشونهم توبيخ على الخشية منهم فالله أحق أن تخشوه بأن تخشوه فقاتلوا أعداءه إن كنتم مؤمنين
فاخشوه أي إن قضية الإيمان الكامل أن لا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالي بمن سواه ولما وبخهم الله على
ترك القتال جرد لهم الأمر به بقوله قاتلوهم ووعدهم النصر ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم بقوله
يعذبهم الله بأيديكم قتلا ويخزهم أسرا وينصركم عليهم يغلبكم عليهم

ويشف صدور قوم مؤمنين يعني طائفة منهم وهم خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذهب
غيظ قلوبهم بما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليلا على صدق نبوته
ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك
ايضا فقد اسلم ناس منهم كابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وهي ترد على المعتزلة قولهم ان الله
تعالى شاء ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم والله عليم بعلم ما سيكون كما يعلم
ما قد كان حكيم في قبول التوبة ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ام منقطعة
والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان اي لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين
جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اي بطانة
من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك
متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا
داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة
من دون الله والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقولك ما علم الله مني ما قيل في تريد ما وجد ذلك مني والمعنى
احسبتم ان تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين والله خبير بما تعملون من خير وشر فيجازيكم
عليه ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله مسجد الله مكي وبصري
يعني المسجد الحرام وانما جمع في القراءة بالجمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر جميع
المساجد ولان كل بقعة منه مسجد او اريد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل
تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس وهو اكد اذ طريقه طريق الكناية
كما تقول فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك شاهدين على انفسهم
بالكفر باعترافهم بعبادة الاصنام وهو حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم
ان يجمعوا بين امرين متضادين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته اولئك حبطت
اعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله عمارتها رم ما استرم منها وقمها
وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها عما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا لانها بنيت
للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم من آمن بالله واليوم الآخر ولم يذكر الايمان
بالرسول صلى الله عليه وسلم لما علم ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول لاقترانهما في الاذان
والاقامة وكلمة الشهادة وغيرها او دل عليه بقوله واقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش
الا الله تنبيه على الاخلاص والمراد الخشية في ابواب الدين بان لا يختار على
رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف اذ المؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها

وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين
تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم
والمعنى انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها عند الله دون من سواهم اجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله
والله لا يهدي القوم الظالمين السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد
من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله
وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى
انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم
وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لانهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما نزلت جوابا
لقول العباس حين اسر وطفق علي رضي الله عنه يوبخه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقطيعة الرحم تذكرون مساوينا وتدعون محاسننا فقيل اولكم محاسن فقال نعمر مساجد الله
ونسقي الحاج ونفك العاني وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيبة بالعمارة وعلي رضي الله عنه
بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة واولئك
هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان وجنات تنكيرها للتعظيم لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف لهم
فيها في الجنات نعيم مقيم دائم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم لما امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة جعل الرجل يقول لابيه ولاخيه ولقرابته [illegible] فيقولون
تدعنا بلا شيء فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اباءكم
واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان اي آثروه واختاروه ومن يتولهم
منكم اي ومن يتولى الكافرين فاولئك هم الظالمون قل ان كان اباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقاربكم وعشيراتكم ابو بكر واموال اقترفتموها اكتسبتموها
وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره وهو عذاب عاجل او عقاب
آجل او فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين والآية تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة
عقد الدين واضطراب حبل اليقين اذ لا تجد عند اورع الناس ما يستحب له دينه على الاباء و
الابناء والاموال وحظوظ الدنيا لقد نصركم الله في مواطن كثيرة كوقعة بدر وقريظة والنضير

وبالحديبية وخيبر وفتح مكة وقيل ان المواطن التي نصر الله فيها النبي والمؤمنين ثمانون موطنا ومواطن
الحرب مقاماتها ومواقفها ويوم اي واذكر يوم حنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين
وهم اثنا عشر الفا وبني هوازن وثقيف وهم اربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن
نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله اذ بدل من يوم اعجبتكم كثرتكم فادركت المسلمين كلمة الاعجاب
بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحارث ابن
عمه آخذا بركابه فقال للعباس صح بالناس وكان صيتا فنادى يا اصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون
لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب
فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد
واليك المشتكى وانت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر فلم تغن عنكم شيئا وضاقت
عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار
والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها والمعنى لم تجدوا موضعا
لفراركم عن اعدائكم فكانما ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم ثم انزل الله سكينته رحمته
التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف
او خمسة آلاف او ستة عشر الفا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري
وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وهم الذين اسلموا منهم والله غفور
يستر كفر العدى بالاسلام رحيم ينصر اولي بعد الانهزام يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس اي ذوو
نجس وهو مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا
يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة
في وصفهم بها فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم هذا وهو
عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهبنا ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد
الحرام وسائر المساجد عندنا وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون
منه ومن غيره وقيل نهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وان خفتم عيلة
اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف
يغنيكم الله من فضله من الغنائم او المطر والنبات او من متاجر حجيج الاسلام ان شاء هو تعليم
لتعليق الامور بمشيئة الله تعالى لينقطع الآمال اليه ان الله عليم باحوالكم حكيم في تحقيق آمالكم
او عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم واراد ونزل في اهل الكتاب قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله

لان

لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة ولا باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب حيث يزعمون
ان لا اكل فيها ولا شرب ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة
او لا يعملون بما في التوراة والانجيل ولا يدينون دين الحق ولا يعتقدون دين الاسلام الذي هو
الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين قبله واما المجوس
فملحقون باهل الكتاب في قبول الجزية وكذا الترك والهنود وغيرهم بخلاف مشركي العرب لما روى الزهري
ان النبي عليه السلام صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب حتى يعطوا الجزية الى ان يقبلوها وسميت
جزية لانه يجب على اهلها ان يجزوه اي يقضوه او هي جزاء على الكفر على التمهيل والتذليل عن يد اي عن يد مواتية
غير ممتنعة ولذا قالوا اعطى بيده اذا انقاد وقالوا نزع يده عن الطاعة او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة
لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ وهم صاغرون اي تؤخذ منهم على الصغار والذل
وهو ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ
بتلبيبه ويقال له اد الجزية يا ذمي وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام وقالت اليهود كلهم
او بعضهم عزير ابن الله مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن
نون وهو عاصم وعلي فقد جعله عربيا وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم اي
قول لا يعضده برهان ولا يستند الى بيان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالالفاظ المهملة يضاهئون قول الذين كفروا من قبل لا بد فيه من حذف مضاف
تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا
يعني ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم
قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح
ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم يضاهون عاصم واصل المضاهاة المشابهة
والاكثر ترك الهمزة واشتقاقه من قولهم امراة ضهياء وهي التي اشبهت الرجال بانها لا تحيض
كذا قال الزجاج قاتلهم الله اي هم احقاء بان يقال لهم هذا انى يؤفكون كيف
يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان اتخذوا اي اهل الكتاب احبارهم علماءهم ورهبانهم
نساكهم اربابا آلهة من دون الله حيث اطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله
كما يطاع الارباب في اوامرهم ونواهيهم والمسيح ابن مريم عطف على احبارهم اي اتخذوه ربا
حيث جعلوه ابن الله وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا يجوز الوقف عليه لان ما بعده يصلح ابتداء
ويصلح وصفا لواحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون تنزيه له عن الاشراك يريدون ان
يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون مثل حالهم في طلبهم ان

يطفئوا نبوة محمد عليه السلام بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد
الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق ليطفئه بنفخه اجرى ابى مجرى لم يرد الا الله ولهذا وقع
في مقابلة يريدون والا بالكرمت او ابغضت الا زيدا هو الذي ارسل رسوله محمدا عليه الصلوة والسلام
بالهدى بالقرآن ودين الحق الاسلام ليظهره ليعليه على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر
دين الحق على كل دين ولو كره المشركون يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس استعار الاكل للاخذ بالباطل بالرشى في الاحكام ويصدون سفلتهم عن سبيل الله
دينه والذين يكنزون الذهب والفضة يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان
للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ الرشى وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الله الخير
ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اهل الكتاب
تغليظا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما ادى زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم
يزك فهو كنز وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم كعبد الرحمن بن عوف وطلحة يقتنون
الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل
والاقتناء مباح لا يذم صاحبه ولا ينفقونها في سبيل الله الضمير راجع الى المعنى لان كل واحد منها
دنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا او اريد به الكنوز او الاموال او قيل ولا
ينفقونها والذهب كان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيار كذلك وخصا بالذكر من بين
سائر الاموال لانهما قانون التمول واثمان الاشياء وذكر كنزهما دليل على ما سواهما فبشرهم بعذاب
اليم ومعنى قوله يوم يحمى عليها في نار جهنم ان النار تحمى عليها اي توقد ولم ذكر الفعل لانه مسند
الى الجار والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى لانتقال الاسناد عن النار
الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم وخصت هذه الاعضاء لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا
واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم او معناه يكوون على الجهات
الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم لانفسكم يقال لهم هذا ما كنزتموه
لتنتفع به نفوسكم وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وهو توبيخ فذوقوا ما كنتم تكنزون
اي وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا من غير
زيادة والمراد بيان ان احكام الشرع تبتنى على الشهور القمرية المحسوبة بالاهلة دون الشمسية في كتاب
الله فيما اثبته واوجبه من حكمه او في اللوح يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ثلثة سرد ذو
للقعود عن القتال وذو الحجة للحج والمحرم لتحريم القتال فيه وواحد فرد وهو رجب لترجيب العرب

اياه اي تعظيمه ذلك الدين القيم اي الدين المستقيم لا ما يفعله اهل الجاهلية يعني ان تحريم
الاشهر هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسمعيل وكانت العرب تمسكت به وكانوا يعظمونها ويحرمون
القتال فيها حتى احدثت النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم او في الاثني عشر انفسكم بارتكاب المعاصي
وقاتلوا المشركين كافة حال من الفاعل او المفعول كما يقاتلونكم كافة جميعا واعلموا ان الله
مع المتقين اي ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها انما النسيء بالهمز مصدر نسأه اذا اخره وهو تأخير
حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون
شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام اربعة
اشهر زيادة في الكفر اي هذا الفعل منهم زيادة في كفرهم يضل به الذين كفروا بالنسيء
والضمير يحلونه عاما ويحرمونه عاما للنسيء اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام
القابل ليواطئوا عدة ما حرم الله ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص
الذي هو احد الواجبين واللام يتعلق بيحلونه ويحرمونه او بيحرمونه فحسب وهو الظاهر فيحلوا ما حرم
الله اي فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص
للاشهر بعينها زين لهم سوء اعمالهم زين الشيطان لهم ذلك فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة
والله لا يهدي القوم الكافرين حال اختيارهم الثبات على الباطل يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا
قيل لكم انفروا اخرجوا في سبيل الله اثاقلتم وهو اصله تثاقلتم ادغمت التاء في الثاء فصارت
ثاء ساكنة فدخلت الف الوصل لئلا يبتدأ بالساكن اي تباطأتم الى الارض ضمن معنى الميل والاخلاد
فعدي بالى اي ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه او ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم
وكان ذلك في غزوة تبوك استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم
ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد
الناس تمام العدة ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة بدل الآخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة
في جنب الآخرة الا قليل الا تنفروا الى الحرب يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم
ولا تضروه شيئا سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين
وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم
فيها شيئا وقيل الضمير في ولا تضروه للرسول لان الله وعد ان يعصمه
من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة والله على كل شيء قدير من التبديل والتعذيب
وغيرهما الا تنصروه فقد نصره الله ان لم تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد فقد
دل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت اذ اخرجه الذين كفروا

اسند الاخراج الى الكفار لانهم حين هموا باخراجه اذن الله في الخروج فكأنهم اخرجوه ثاني اثنين
احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله وابو بكر وانتصابه على الحال اذ هما بدل من اذ اخرجه في الغار
هو ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان لصاحبه
لا تحزن ان الله معنا بالنصرة والحفظ قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله
فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل
لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله
اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر
صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة رضي الله عنهم فانزل الله سكينته ما القى في
قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه عليه على النبي عليه الصلوة والسلام او على ابي بكر رضي الله عنه
لانه كان يخاف وكان عليه السلام ساكن القلب وايده بجنود لم تروها هم الملائكة صرفوا وجوه الكفار وابصارهم
عن ان يروه او اعانه بالملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين وجعل كلمة الذين كفروا اي دعوتهم
الى الكفر السفلى وكلمة الله دعوته الى الاسلام هي العليا وكلمة الله يقرأ بالعطف والرفع على
الاستئناف اوجه اي لم تزل كانت عالية والله عزيز يعز بنصره اهل كلمته حكيم يذل اهل الشرك بحكمته
انفروا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم وثقالا
لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا
او صحاحا ومراضا وجاهدوا باموالكم وانفسكم ايجاب الجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب
الحال والحاجة في سبيل الله ذلكم خير لكم ذلكم الجهاد خير من تركه ان كنتم تعلمون كونه
ذلك خيرا فبادروا اليه وتركه للمخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين لو كان عرضا قريبا
عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه
غنما قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا وسطا مقاربا والقاصد والقصد المعتدل لاتبعوك لوافقوك
في الخروج ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة الشاطة الشاقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا
معكم من دلائل النبوة لانه اخبر بما سيكون بعد القفول فقالوا كما اخبر وبالله متعلق بسيحلفون او هو
من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة
تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او يحلفون بالله يقولون لو استطعنا
وقوله لخرجنا معكم سد مسد جوابي القسم ولو جميعا ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة
او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا يهلكون انفسهم بدل من يحلفون او حال منه اي مهلكين
والمعنى انهم يهلكونها بالحلف الكاذب او حال من لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا

والقيناها في التهلكة باتعابها على السير في تلك الشقة والله يعلم انهم لكاذبون فيما يقولون
عفا الله عنك كناية عن الزلة لان العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو
في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الانبياء حيث لم يذكر مثله لسائر الانبياء عليهم السلام
لم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعناه مالك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين
استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين
حتى يتبين لك الصادق في العذر من الكاذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله تعالى وفيه دليل جواز الاجتهاد
للانبياء عليهم السلام لانه عليه الصلوة والسلام انما فعل ذلك بالاجتهاد وانما عوتب مع ان له ذلك
لتركه الافضل وهم يعاتبون على ترك الافضل لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
ان يجاهدوا وليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم
بالمتقين عدة لهم باجزل الثواب انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر يعني
المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا وارتابت قلوبهم شكوا في دينهم واضطربوا في عقيدتهم
فهم في ريبهم يترددون يتحيرون وذلك لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن المتبصر
ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة للخروج او الجهاد عدة اهبة لانهم كانوا مياسير ولما كان قوله
ولو ارادوا الخروج متضمنا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم
نهوضهم للخروج كأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم فثبطهم فكسلهم
وضعف رغبتهم في الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الامر بالتزهيد فيه وقيل اقعدوا
اي قال بعضهم لبعض او قاله الرسول عليه الصلوة والسلام غضبا عليهم او قاله الشيطان بالوسوسة
مع القاعدين ذم لهم والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود في البيوت
لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم معكم الا خبالا فسادا وشرا والاستثناء متصل
لان المعنى ما زادوكم شيئا الا خبالا والاستثناء المنقطع ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى
منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء
من النفي فكان استثناء متصلا لان الخبال بعضه ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالنميمة
والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا
ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وخط في المصحف ولااوضعوا
بزيادة الالف لان الفتحة كانت تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا
من نزول القرآن وقد بقي من تلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحها الفا اخرى

وفي اولا اذ نحة يبغونكم حال من الضمير في اوضعوا الفتنة اى يطلبون ان يفتنوكم بان يوقعوا
الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اى نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه
اليهم والله عليم بالظالمين بالمنافقين لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك بصد الناس او بان يفتكوا بك عليه السلام
ليلة العقبة او بالرجوع يوم احد من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك
الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وعلا
دينه وعلا شرعه وهم كارهون اى على رغم منهم ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة
وهي الاثم بان لا تاذن لي فان تخلفت بغير اذنك اثمت او ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك
هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس المنافق قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني
ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني الا في الفتنة سقطوا يعني ان الفتنة هي التي سقطوا
فيها وهي فتنة التخلف وان جهنم لمحيطة بالكافرين الآن لان اسباب الاحاطة معهم او هي تحيط
بهم يوم القيمة ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان تصبك مصيبة نكبة
وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ
والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اى قضي من خير وشر هو مولينا اى الذي يتولى امرنا ويتولانا وعلى الله
فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى
الحسنيين وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين اما ان يصيبكم الله
بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على
الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا في وجوه البر طوعا او كرها
طائعين او مكرهين نصب على الحال كرها حسن وعلى سوامرة معنى الخبر ومعناه لن يتقبل منكم
انفقتم طوعا او كرها ونحوه استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله اسيئي بنا او احسني
اى لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اسأت الينا او احسنت
وقد جاء عكسه في قول كثير رحم الله زيدا ومعنى عدم القبول انه عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها او لا
يثيبها الله وقوله طوعا اى من غير الزام من الله ورسوله وكرها اى ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم
منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه انكم كنتم قوما فاسقين تعليل لرد انفاقهم
متمردين عاتين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم وبالياء حمزة وعلي الا انهم كفروا وانهم فاعل منع وقد
وان تقبل مفعوله اى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم بالله وبرسوله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى
جمع كسلان ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يريدون بها وجه الله وصفهم بالطوع في قوله

طوعا

طوعا وسلبه عنهم هنا لان المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله او من رؤسائهم
وما طوعهم ذلك الا عن اكراه واضطرار لا عن رغبة واختيار فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب
من حسنه والمعنى فلا تستحسن بما اوتوا من زينة الدنيا فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم ليعذبهم
بالمصائب فيها او بالانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون له او بنهب اموالهم وسبي اولادهم
او بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل ذلك عذاب وتزهق انفسهم وهم كافرون
وتخرج ارواحهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالاصلح لان
اعطاء الاموال والاولاد لهم للتعذيب والاماتة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى المعاصي لان ارادة
العذاب ارادة ما يعذب عليه وكذا ارادة الاماتة على الكفر ويحلفون بالله انهم لمنكم
لمن جملة المسلمين وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل
وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية لو يجدون ملجا حصنا يلجؤن اليه تحصنا
من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غيرانا او مدخلا او نفقا يندسون فيه وهو
مفتعل من الدخول لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس
الجموح ومنهم ومن المنافقين من يلمزك في الصدقات يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اذا للمفاجأة اى وان لم يعطوا منها فاجئوا
السخط وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لانه عليه السلام
استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضج المنافقون منه ولو انهم
رضوا ما اتيهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون
جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اعطاهم
الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم
لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله اكثر مما اتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله
لراغبون ثم بين مواضعها التي توضع فيها فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين فقصر جنس الصدقات
على الاصناف المعدودة اى مختصة بهم لا تتجاوز الى غيرهم كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم
كقولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف
كلها وان تصرف الى بعضها كما هو مذهبنا ومذهب ابي حنيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة
والتابعين انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها الى
الاصناف وهو المروي عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسال لان عنده ما يكفيه الحال والمسكين الذي

بأن الله لا يجعل شيئاً فهو ضعيف خالفه وعدالته في رده على العكس والعاملين عليها
هم السعاة الذين يستوفونها والمؤلفة قلوبهم أشراف من العرب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستألفهم على أن يسلموا وقوم منهم أسلموا فيعطيهم تقريراً لهم على الإسلام وفي الرقاب
هم المكاتبون يعانون فيها والغارمين الذين ركبتهم الديون وفي سبيل الله فقراء الغزاة أو الحجيج المنقطع
وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن اللام إلى في في الأربعة الأخيرة للإيذان بأنهم
أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لأن في للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع
فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها وتكرير في في قوله تعالى وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل
ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين وإنما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين
ليدل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسماً
لأطماعهم وإشعاراً بأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على
التكلم فيها ولمز قاسمها وسهم المؤلفة قلوبهم سقط بإجماع الصحابة في صدر خلافة أبي
بكر رضي الله عنه لأن الله أعز الإسلام وأغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولاً لمعنى خاص يرتفع وينتهي
بذهاب ذلك المعنى فريضة من الله في معنى المصدر المؤكد لأن قوله إنما الصدقات للفقراء معناه
فرض الله الصدقات لهم والله عليم بالمصالح حكيم في القسمة ومنهم الذين يؤذون
النبي ويقولون هو أذن الأذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة
التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة وإيذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذن قصدوا به المذمة
وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة ففسره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه فقال قل أذن خير لكم
كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يريد
هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ثم فسر كونه أذن
خير بأنه يؤمن بالله أي يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة ويؤمن للمؤمنين ويقبل من المؤمنين
الخلص من المهاجرين والأنصار وعدي فعل الإيمان بالباء إلى الله لأنه قصد به التصديق
بالله الذي هو ضد الكفر وإلى المؤمنين باللام لأنه قصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه
ويصدقه لكونهم صادقين عنده ألا ترى إلى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف ينبو عن الباء
ورحمةٌ بالعطف على أذن ورحمةٍ حمزة عطفٌ على خير أي هو أذن خير وأذن رحمة لا يسمع
غيرهما ولا يقبله للذين آمنوا منكم أي وهو رحمة للذين آمنوا منكم أي أظهروا الإيمان أيها
المنافقون حيث يقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين أو هو
رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر إلى الإيمان ويشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا

والذين

والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم في الدارين يحلفون بالله لكم ليرضوكم
الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون
إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل والله ورسوله أحق أن يرضوه
إن كانوا مؤمنين أي إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة
والوفاق وإنما وحد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم شيء واحد كقولك
إحسان زيد وإجماله نعشني أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ألم يعلموا أنه الضمير للشأن
من يحادد الله ورسوله يجاوز الحد بالخلاف وهي مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فأن له على
حذف الخبر أي فحق أن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون خبر بمعنى
الأمر أي ليحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنزل بالتخفيف مكي وبصري تنبئهم بما في قلوبهم
من الكفر والنفاق والضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم أو الأولان للمؤمنين
والثالث في معناهم فهي نازلة عليهم للمنافقين وصح ذلك لأن المعنى يقود إليه قل استهزءوا أمر تهديد
إن الله مخرج ما تحذرون مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون إظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون
أن يفضحهم الله بالوحي فيهم وفي استهزائهم بالإسلام وأهله حتى قال بعضهم لوددت أني قدمت
فجلدت مائة وأنه لا ينزل فينا شيء يفضحنا ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه
فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه
على ذلك فقال احبسوا علي الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء
من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر أي
ولئن سألتهم وقلت لهم لم قلتم ذلك لقالوا إنما كنا نخوض ونلعب قل يا محمد أبالله وآياته ورسوله
كنتم تستهزءون لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه
موجود فيهم حتى وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير
وذلك إنما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم
بعد ظهور سركم قد كفرتم قد أظهرتم كفركم باستهزائكم بعد إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان إن نعف عن طائفة
منكم بتوبتهم وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق
غير تائبين منه إن يعف تعذب طائفة شامي وعاصم المنافقون والمنافقات الرجال المنافقون
كانوا ثلاثمائة والنساء المنافقات مائة وسبعين بعضهم من بعض أي كأنهم نفس واحدة وفيه
نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم

منكم لم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال يأمرون بالمنكر الكفر والعصيان
وينهون عن المعروف هو الطاعة والايمان ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق
في سبيل الله نسوا الله تركوا امره او اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله ان المنافقين
هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا
ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف به المنافقون حين بالغ في ذمهم وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هي اي النار حسبهم فيه دلالة على
عظم عذابها وانه بحيث لا يزاد عليه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين
بالشياطين الملاعين ولهم عذاب مقيم دائم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه
من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة
ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم الكاف في كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم
قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم محلها رفع اي انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم
وهو انكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم اي تلذذوا بملاذ الدنيا والخلاق النصيب مشتق من الخلق
وهو التقدير اي ما خلق للانسان بمعنى قدر من خير وخضتم في الباطل كالذي خاضوا كالفوج الذي
خاضوا اي كالخوض الذي خاضوا والخوض الدخول في الباطل واللهو ولما قدم فاستمتعوا بخلاقهم
وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه ليذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا
والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة ثم يشبه بعد ذلك حال
المخاطبين بحالهم اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة في مقابلة قوله وآتيناه اجره
في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون لم ذكرنا من قبلهم فقال الم يأتهم نبأ الذين
من قبلهم قوم نوح هو بدل من الذين وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين واهل مدين
وهم قوم شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر
اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم باهلاكهم لانه حليم فلا
يعاقبهم بغير جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر وتكذيب الرسل والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض في التناصر والتراحم يأمرون بالمعروف بالطاعة والايمان وينهون عن المنكر
عن الشرك والعصيان ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم
الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في سأنتقم منك يوما
ان الله عزيز غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع

كلا

كلا يتوضعه وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة يطيب فيها العيش وعن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد في جنات
عدن هو علم بدليل جنات عدن التي وعد الرحمن وقد عرفت ان الذي والتي وضعا لوصف
المعارف بالجمل وهي مدينة في الجنة ورضوان من الله وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان
رضاه سبب كل فوز وسعادة ذلك اشارة الى ما وعد او الى الرضوان هو الفوز العظيم وحده دون
ما يعده الناس فوزا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين
جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة ويستعمل
معه الغلظة ما امكن منها ومأويهم جهنم وبئس المصير جهنم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال
الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا فنحن شر من الحمير
فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا صادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك
ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر يعني ان
كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير او سبهم النبي فقال الجلاس يا رسول الله والله لقد قلته وصدق
عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد اظهار هم
الاسلام وفيه دلالة على ان الايمان والاسلام واحد لانه قال وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا من
قتل محمد عليه الصلوة والسلام او قتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا ابن ابي وان لم
يرض رسول الله عليه السلام وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان
انهم كانوا محتاجين فقدم رسول الله عليه السلام المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة
فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله عليه السلام بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان
يتوبوا عن النفاق يك التوب خيرا لهم وهو الاية التي تاب عندها الجلاس وان يتولوا بالاصرار
على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي
ولا نصير ينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان
يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال والذي
بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت
بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله عليه السلام فقيل كثر ماله حتى لا يسعه
واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم

وعظ بشعلبة فسأله الصدقة فقال ما هي الا جزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان رضي الله عنهم لئن آتانا من فضله لنصدقن لنخرجن الصدقة والاصل لنتصدقن ولكن التاء ادغمت في الصاد لقرب مخرجهما ولنكونن من الصالحين بالتقرب بالصدقة فلما آتاهم من فضله اعطاهم الله المال ونالوا منيتهم بخلوا به منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون مصرون على الاعراض فاعقبهم نفاقا في قلوبهم فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه الى يوم يلقونه اي جزاءه فعلهم وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق الم يعلموا اي المنافقين ان الله يعلم سرهم ما اسروه من النفاق الم يعلموا اي المنافقين بالعزم على خلاف ما وعدوه ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء الذين محله النصب او الرفع على الذم او الجر على البدل من الضمير في سرهم ونجويهم يلمزون المطوعين يعيبون المتطوعين المتبرعين من المؤمنين في الصدقات يتعلق بيلمزون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال عليه السلام بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امراته عن ربع الثمن على ثمانين الف وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر والذين عطف على المطوعين لا يجدون الا جهدهم طاقتهم وعن نافع جهدهم وهما واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء ابو عقيل بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله لغني عن صاع ابي عقيل فيسخرون منهم فيهزؤون سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم وهو خبر غير دعاء ولهم عذاب اليم مولم ولما سال عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول الله عليه ان يستغفر لابيه في مرضه نزل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقدمنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية اذ لو استغفر لهم مدة حيوته لن يغفر لهم لانهم كفار والله لا يغفر من كفر به والمعنى وان بالغت في الاستغفار فلن يغفر الله لهم وقد وردت الاخبار بذكر

السبعين

السبعين وكلها يدل على الكثرة لا على التحديد والغاية ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل ما دون الثلث والكثير الثلث فما فوقه وادنى الكثير الثلثة وليس لاقصاه غاية والعدد ايضا نوعان شفع ووتر واول الاشفاع اثنان واول الاوتار ثلثة والواحد ليس بعدد والسبعة اول الجمع الكثير من النوعين لان فيها اوتارا ثلثة واشفاعا اربعة والعشرة كال الحساب لان ما جاوز العشرة فهو اضافة الآحاد الى العشرات كقولك اثنا عشر وثلثة عشر الى عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين والثلثون تكرير ها ثلث مرات ولذلك الى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب والكثرة منه فصار السبعون ادنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاه فجاز ان يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله اعلم ذلك اشارة الى الياس من المغفرة بانهم بسبب انهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الايمان ما داموا مختارين للكفر والطغيان فرح المخلفون المنافقون الذين استاذنوا رسول الله فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله مخالفة له وهو مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان وقالوا لا تنفروا في الحر قال بعضهم لبعض او قالوا للمؤمنين قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اي فيضحكون قليلا على فرحهم بتخلفهم في الدنيا ويبكون كثيرا جزاء في العقبى الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم جزاء بما كانوا يكسبون من النفاق فان رجعك الله اي ردك الله من تبوك الى طائفة منهم لان منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك فاستاذنوك للخروج الى غزوة بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا وبسكون الياء حجازي وعلي وابو بكر ولن تقاتلوا معي عدوا معي حفص انكم رضيتم بالقعود اول مرة اول ما دعيتم للغزو بتبوك فاقعدوا مع الخالفين مع من تخلف بعذر سال ابن عبد الله بن ابي وكان مؤمنا ان يكفن النبي عليه السلام اباه في قميصه ويصلي عليه فقبل فاعترض عمر رضي الله عنه في ذلك فقال عليه السلام ذلك لا ينفعه وكنت ارجو

ان يؤمن به الف من قومه فوفى ولا تصل على احد منهم من المنافقين يعني صلوة الجنازة روي انه اسلم
الف من الخزرج لما راوه يطلب التبرك بثوب النبي عليه السلام مات صفة لاحد ابدا ظرف لتصل
وكان عليه الصلوة والسلام اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فنهي ولا تقم على قبره انهم كفروا
بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي اي انهم ليسوا باهل للصلوة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله
ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون
تكرير للمبالغة والتاكيد وان يكون على بال من المخاطب لا ينساه وان يعتقد انه مهم ولان كل اية في فرقة
غير الفرقة الاخرى واذا انزلت سورة يجوز ان يراد سورة بتمامها وان يراد بعضها كما يقع القران
والكتاب على كله وعلى بعضه ان امنوا بالله بان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول
منهم ذووا الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين مع الذين لهم عذر في التخلف كالمرضى
والزمنى رضوا بان يكونوا مع الخوالف اي النساء جمع خالفة وطبع على قلوبهم ختم عليها لاختيار
الكفر والنفاق فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الهلاك والشقاوة
لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء فقد نهض
الى الغزو من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات تناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ
وقيل الحور لقوله فيهن خيرات واولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب اعد الله
لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم قوله اعد دليل على انها
مخلوقة وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم هو من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى
وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما فعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل
حركتها الى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا
وان بنا جهدا فاذن لنا في التخلف وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقو الاعراب الذين
لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان سيصيب الذين كفروا منهم
من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار ليس على الضعفاء كالهرمى والزمنى ولا
على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة حرج اثم وضيق
في التاخر اذا نصحوا لله ورسوله بان امنوا في السر والعلن واطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه ما على
المحسنين المعذورين الناصحين من سبيل اي لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم والله غفور
يغفر لهم تخلفهم رحيم بهم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم لتعطيهم الحمولة قلت حال من الكاف في
اتوك وقد قبله مضمرة اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد ما احملكم عليه تولوا جواب اذا واعينهم تفيض
من الدمع اي تسيل وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فائض ومن للبيان

كقوله

كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز ويجوز ان يكون قلت لا اجد
استئنافا كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم
عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض حزنا مفعول له الا يجدوا ما ينفقون لئلا يجدوا
ما ينفقون ومحله النصب على انه مفعول له وناصبه حزنا والمستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه او
البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار انما السبيل على الذين يستاذنونك في التخلف وهم اغنياء وقوله
رضوا استئناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف
اي بالانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون
اليكم يقيمون لانفسهم عذرا باطلا اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالباطل لن نؤمن لكم لن نصدقكم
موعلة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به قد نبانا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم
لانه تعالى اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم وما في ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى
الله عملكم ورسوله اتتوبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي تردون اليه وهو عالم
كل سر وعلانية فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم على حسب ذلك سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم
لتعرضوا عنهم لتتركوهم ولا توبخوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم اي
ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم لانهم ارجاس لا سبيل الى تطهيرهم وماواهم جهنم ومصيرهم النار يعني وكفتهم
النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم اي غرضهم
بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
اي فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته واجلها وانما قيل
ذلك لئلا يتوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر
لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن العلم والعلماء واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله
على رسوله يعني حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة
في الفدادين يعني الاكرة لانهم يفدون اي يصيحون في حروثهم والفديد الصياح والله عليم باحوالهم
حكيم في امهالهم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق اي يتصدق مغرما غرامة وخسرانا اذ لا ينفق
الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر اي دوائر الزمان
وتبدل الاحوال بدور الايام لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء
اي عليهم يدور المصائب والحروب التي يتوقعون وقوعها في المسلمين السوء بالضم هو العذاب
والسوء بالفتح ذم للدائرة كقولك رجل سوء في مقابلة قولك رجل صدق والله سميع لما يقولون اذا وجبت
عليهم الصدقة عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق

في الجهاد والصدقات قربات اسباب القربة عند الله وهي ثاني مفعولي يتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته
لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى الا انها
اي ان النفقة او صلوات الرسول قربة لهم قربة نافع وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون
نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين باعلام
بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم الله في رحمته جنته وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام
على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت من صاحبها ان الله غفور يستر عيب
المخل رحيم يقبل جهد المقل والسابقون الاولون صفة لهم من المهاجرين تبيين لهم وهم الذين صلوا
الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او بيعة الرضوان والانصار عطف على المهاجرين اي ومن الانصار وهم
اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين اتبعوهم باحسان
من المهاجرين والانصار وكانوا سائر الصحابة وقيل هم الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة
والخبر رضي الله عنهم باعمالهم الحسنة ورضوا عنه بما افاض عليهم من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم
عطف على رضي جنات تجري من تحتها الانهار من تحتها خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن
حولكم ممن حول بلدكم وهي المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين
حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم والمبتدا منافقون ويجوز ان يكون جملة
معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمهروا فيه على ان مردوا
صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدا او صفة لمنافقون فصل
بينها وبينه بمعطوف على خبره ودل على مهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اي يخفون عليك مع فطنتك
وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشككك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع
على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين
من المؤمنين سنعذبهم مرتين بما القتل وعذاب القبر او الفضيحة وعذاب القبر او اخذ الصدقات
من اموالهم ونهك ابدانهم ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اي قوم آخرون
سوى المذكورين اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا
على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا نادمين وكانوا عشرة فسبعة منهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين اوثقوا
انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت
عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله
هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اؤمر فيهم فنزلت فاطلقهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا
التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم

صدقة

وهو جهادهم مع النبي عليه السلام قبل هذا ومرة
تأخرهم عن هذه الغزاة وغيره

صدقة خلطوا عملا صالحا خروجا الى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه او التوبة والاثم وسوء قولهم
بعت الشاء شاة ودرهما اي شاة بدرهم فالواو بمعنى الباء لان الواو للجمع والباء للالصاق فيتناسبان او المعنى
خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط ومخلوط به كقولك خلطت الماء واللبن تريد
خلطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن
مخلوطا به واذا قلته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء
باللبن واللبن بالماء عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ولم يذكر توبتهم لانه ذكر اعترافهم بذنوبهم
وهو دليل على التوبة خذ من اموالهم صدقة كفارة لذنوبهم وقيل هي الزكاة تطهرهم عن الذنوب
وهو صفة لصدقة والتاء للخطاب او لغيبة المؤنث والتاء في وتزكيهم للخطاب لا محالة بها انمائها والتزكية
مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم و
السنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها ان صلاتك صلواتك وفي غير لكي قيل
الصلوة اكثر من الصلوات لانها للجنس سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب
عليهم والله سميع لدعائك او سميع اعترافهم بذنوبهم ودعائهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط
منهم الم يعلموا المراد المتوب عليهم اي الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم ويقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل
التوبة عن عباده اذا صحت ويأخذ الصدقات ويقبلها اذا صدرت عن خلوص النية و
هو للتخصيص اي ان ذلك ليس الى رسول الله انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها
ووجهوها اليه وان الله هو التواب كثير قبول التوبة الرحيم بعفو الحوبة وقل لهؤلاء التائبين
اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون اي فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله وعباده
كما رأيتم وتبين لكم او غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انه لما تيب عليهم قال الذين
لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت وقوله فسيرى
وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة وستردون الى عالم الغيب
ما يغيب عن الناس والشهادة ما يشاهدونه فينبئكم بما كنتم تعملون تنبيه تذكير ومجازاة عليه
وآخرون مرجون لامر الله نافع بمن مدني وكوفي غيراكر مرجون غيرهم من ارجيته وارجأته
اذا اخرته ومنه المرجئة اي وآخرون من المتخلفين موقوفون الى ان يظهر امر الله فيهم اما يعذبهم ان
اصروا ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن
الربيع والضابط مكة تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا في قوله وعلى الثلثة الذين خلفوا
والله عليم باحوالهم حكيم واما للشك وهو راجع الى العباد اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة
روي انه عليه السلام امر اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريقون من قبل

عطف على واخرون مرجون او مبتداء خبره محذوف اى وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص

انفسهم على السوارى واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوثقوا امرهم الى الله و
اخلصوا نياتهم ونصحوا توبتهم فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا تقديره ومنهم الذين اتخذوا
الذين بغير واو مدنى وشامى وهو مبتدا خبره محذوف اى جازيناهم روى ان بنى عمرو بن عوف
لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم
بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجدا ونرسل الى رسول الله عليه السلام يصلى فيه ويصلى فيه ابو عامر
الراهب اذا قدم من الشام وهو الذى قال لرسول الله عليه الصلوة والسلام يوم احد لا اجد قوما
يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا
للنبى عليه السلام بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة ونحن نحب ان تصلى لنا فيه فقال انى على جناح
سفر واذا قدمنا من تبوك ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت
عليه فقال لوحشى قاتل حمزة ومعن بن عدى وغيرهما انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام ضرارا
مفعول له وكذا ما بعده اى مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قبا وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا
بين المومنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين فى مسجد قبا فارادوا ان يتفرقوا عنه ويختلف كلمتهم
وارصادا لمن واعدادا لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعده له ليصلى فيه ويظهر على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بنى مباهاة او رياء او سمعة او لغرض سوى
ابتغاء وجه الله تعالى او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار من قبل متعلق بحارب اى من قبل
بناء هذا المسجد يعنى يوم الخندق وليحلفن كاذبين ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببناء هذا المسجد
الا الخصلة الحسنى وهى الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون فى حلفهم
لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى اللام للابتداء واسس نعت له وهو مسجد قبا
اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ايام مقامه بقبا او مسجد رسول الله عليه السلام بالمدينة
من اول يوم وجوده فيه من القياس فيه مذ لانه لابتداء الغاية فى الزمان ومن لابتداء الغاية
فى المكان والجواب ان من عام فى الزمان والمكان احق ان تقوم فيه مصليا فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امومنون
انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمومنون وانا معهم فقال عليه السلام
اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون
فى الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مومنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار

ان الله

ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع
الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فقال عليه السلام رجال يحبون ان يتطهروا قيل هو عام فى
التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم التطهر انهم يوثرونه و
يحرصون عليه حرص المحب للشئ ومعنى محبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل
المحب بمحبوبه افمن اسس بنيانه وضع اساس ما يبنيه على تقوى من الله ورضوان خير ام من
اسس بنيانه على شفا جرف هار هذا سوال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى افمن
اسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس على قاعدة
هى اضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلة الثبات
والاستمساك وضع شفا الجرف فى مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافى التقوى والشفا الحرف
والشفير وجرف الوادى جانبه الذى يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار
الهائر المتصدع الذى اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف
ونظيره شاك وصات فى شائك وصائت والفه ليست بالف فاعل وانما هى عينه واصله هور فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنهه امن افمن اسس بنيانه امن اسس
بنيانه شامى ونافع جرف شامى وحمزة ويحيى هار بالامالة ابو عمرو وحمزة فى رواية ويحيى فانهار به
فى نار جهنم فطاح به الباطل فى نار جهنم ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل رشح المجاز فجئ
بلفظ الانهيار الذى هو للجرف وليصوروا ان المبطل كانه اسس بنيانه على شفا جرف من اودية
جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى فى قعرها قال جابر رايت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين
انهار والله لا يهدى القوم الظالمين لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم لا يزال بنيانهم الذى
بنوا ريبة فى قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك
وعظم عليهم الا ان تقطع قلوبهم شامى وحمزة وحفص اى تتقطع وغيرهم تقطع اى الا ان تقطع
قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية
فيها متمكنة ثم يجوز ان يكون ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة
تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او فى القبور او فى النار او معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها
قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم بعزائمهم حكيم فى جزاء اجرامهم ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم
فى سبيله بالشرى وروى تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو
رزقها ومر برسول الله عليه اعرابى وهو يقرؤها فقال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله

فخرج الى الغزو واستشهد يقاتلون في سبيل الله بيان محل التسليم فيَقتلون ويُقتلون اى تارة
يَقتلون العدو وطورا يقتلهم العدو فيُقتلون ويَقتلون حمزة وعلي وعدا عليه مصدر اى وعدهم بذلك
وعدا وحقا صفته اخبر بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته
في التورية والانجيل والقرآن وهو دليل على ان اهل كل ملة امروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال
ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكريم منا فكيف باكرم الاكرمين ولا نرى
ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانكم
تبيعون فانيا بباق وذلك هو الفوز العظيم قال الصادق ليس لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها
الا بها التائبون رفع على المدح اى هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين او هو مبتدأ خبره العابدون
اى الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على
الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤوا من النفاق الحامدون
على نعمة الاسلام السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصيام او طلبة العلم
لانهم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه او السائرون في الارض للاعتبار الراكعون الساجدون
المحافظون على الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي
ودخلت الواو للاشعار بان السبعة عقد تام او للتضاد بين الامر والنهي كما في قوله ثيبات وابكارا
والحافظون لحدود الله اوامره ونواهيه او معالم الشرع وبشر المؤمنين المتصفين بهذه الصفات
وهمّ عليه السلام ان يستغفر لابي طالب فنزل ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
ولو كانوا اولي قربى اى ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم من بعد ما ظهر لهم انهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عذر ابراهيم فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا
عن موعدة وعدها اياه اى وعدها ابراهيم اباه ان يسلم او وعدها ابوه ان يستغفر وهو قوله لاستغفرن
لك دليله قراءة الحسن وعدها اباه. والمعنى استغفاره سؤال المغفرة له بعد ما اسلم او سؤال اعطاء الاسلام
الذي يغفر له فلما تبين له من جهة الوحي له لابراهيم انه ان اباه عدو لله بان يموت كافرا وانقطع رجاؤه
عنه تبرأ منه وقطع استغفاره ان ابراهيم لاواه هو المتأوه شفقا وفرقا ومعناه لفرط ترحمه ورقته
كان يتعطف على ابيه الكافر حليم هو الصبور على البلاء الصفوح عن الاذى لانه كان
يستغفر لابيه وهو يقول لارجمنك وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم
ما يتقون اى ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور
لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره
وعلمهم بانه واجب الاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة

بالا

الاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف
ان الله بكل شيء عليم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
لقد تاب الله على النبي اى تاب عليه باذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك والمهاجرين
والانصار فيه بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار
حتى النبي والمهاجرون والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة في غزوة تبوك ومعناه
في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق وكانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة
على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم
الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ومن الماء حتى نحروا الابل وعصروا
كروشها وشربوه في شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط من بعد ما كاد تزيغ
قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد
ضمير الشأن والجملة بعده في موضع النصب وهو كقولهم ليس خلق الله مثله اى ليس الشأن
خلق الله مثله يزيغ حمزة وحفص ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد انه بهم رؤوف رحيم
وعلى الثلاثة اى وتاب على الثلاثة وهم [illegible] وهو عطف على النبي الذين خلفوا عن الغزو
حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت برحبها اى مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم
كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا وضاقت عليهم انفسهم اى قلوبهم
لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه
وعلموا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بعد خمسين يوما ليتوبوا ليكونوا في جملة
التوابين ان الله هو التواب الرحيم عن ابي بكر الوراق انه قال التوبة النصوح ان تضيق
على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله وكونوا مع الصادقين في ايمانهم دون المنافقين او مع الذين لم يتخلفوا او مع الذين
صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا والآية تدل على ان الاجماع حجة لانه امر بالكون مع الصادقين
فلزم قبول قولهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا
عن رسول الله المراد بهذا النفي النهي وخص هؤلاء بالذكر وان استوى كل الناس في ذلك لقربهم
منه ولا يخفى عليهم خروجه ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه عما يصيب نفسه اى
لا يختاروا ابقاء انفسهم على نفسه في الشدائد بل امروا ان يصحبوه في البأساء والضراء ويلقوا
انفسهم بين يديه في كل شدة ذلك النهي عن التخلف بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ عطش ولا
نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله في الجهاد ولا يطؤن موطئا لا يدوسون مكانا

من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم يغيظ الكفار يغضبهم ويضيق
صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يصيبون منهم اصابة بقتل او اسر او جرح او كسر او هزيمة
الا كتب لهم به عمل صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما بكل روعة سبعون الف حسنة يقال نال منه
اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوؤهم وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا
من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وعلى ان المدد يشارك الجيش في الغنيمة بعد انقضاء الحرب
لان وطء ديارهم مما يغيظهم ولقد اسهم النبي عليه السلام لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب والموطئ
اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فالمعنى يغيظ الكفار بطؤهم وطاء ان الله لا يضيع اجر المحسنين
اي انهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم ولا ينفقون نفقة في سبيل الله صغيرة ولو تمرة ولا كبيرة
مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم وهو كل
منفرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي
وقد شاع في الاستعمال بمعنى الارض الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ليجزيهم الله
متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء احسن ما كانوا يعملون اي يجزيهم على كل واحد
جزاء احسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيرا لاجرهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة
اللام لتاكيد النفي توفيرا لاجرهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اللام لتاكيد النفي اي ان
نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح لافضائه الى المفسدة فلولا نفر فحين لم يمكن
نفير الكافة فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم
يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها ولينذروا
قومهم وليجعلوا مرمى همتهم الى التفقه انذار قومهم وارشادهم اذا رجعوا اليهم دون الاغراض
الخسيسة من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس لعلهم يحذرون
ما يجب اجتنابه وقيل ان رسول الله عليه السلام كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك بعد ما
انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا
من التفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى سائرهم يتفقهون
حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر اذ الجهاد بالحجة اعظم اثرا من الجهاد بالنصال
والضمير في ليتفقهوا للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر
الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول
الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم يقربون
منكم من الكفار القتال واجب مع جميع الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب

او

اوجب وقد حارب النبي عليه السلام قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشام والشام اقرب
الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم وليجدوا
فيكم غلظة شدة وعنفا في القتال قبل القتال واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والغلبة واذا ما انزلت
سورة ما صلة مؤكدة فمنهم فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا
واستهزاء بالمؤمنين وايكم مرفوع بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه فاما الذين
آمنوا فزادتهم ايمانا يقينا وثباتا وخشية او ايمانا بالسورة لانهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلا وهم
يستبشرون يعدون زيادة التكليف بشارة التشريف واما الذين في قلوبهم مرض شك ونفاق
فهو فساد يحتاج الى العلاج كالفساد في البدن فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى الكفر
وماتوا وهم كافرون مستحكما عن مزاولتهم عليه الى الموت او لا يرون يعني المنافقين وبالتاء
خطاب للمؤمنين انهم يفتنون يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما في كل عام مرة
او مرتين ثم لا يتوبون عن نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون او بالجهاد مع رسول الله
عليه السلام ثم لا يتوبون عما يرون من دولة الاسلام ولا هم يذكرون بما يقع بهم من الاصطلام واذا
ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين
هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف
الافتضاح بينهم او واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين اشار بعضهم الى بعض هل يراكم
من احد ان قمتم من حضرته عليه السلام ثم انصرفوا عن حضرة النبي عليه السلام مخافة الفضيحة
صرف الله قلوبهم عن فهم القرآن بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى
يفقهوا لقد جاءكم رسول محمد عليه السلام من انفسكم من جنسكم عربي
قرشي مثلكم عزيز عليه ما عنتم شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو
يخاف عليكم الوقوع في العذاب حريص عليكم على ايمانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم
رؤوف رحيم قيل لم يجمع الله بين اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله فان تولوا اي
اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فقل حسبي الله فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم
وناصرك عليهم لا اله الا هو عليه توكلت فوضت امري اليه وهو رب العرش
هو اعظم خلق الله خلق مطافا لاهل السماء وقبلة العظيم بالجر وقرئ بالرفع على نعت الرب
جل وعز عن ابي آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه

سورة يونس مكية وكذا ما بعدها الى سورة النور وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر ونحوه مُمال حمزة وعلي وابو عمرو وهو تعديد للحروف على طريق التحدي تلك آيات
الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة الحكيم ذي الحكمة لاشتماله عليها
او المحكم عن الكذب والاختلاف والهمزة في اكان للناس عجبا لانكار التعجب منه ان اوحينا اسم كان
وعجبا خبره واللام في للناس يتعلق بمحذوف هو صفة لعجبا فلما تقدم صار حالا الى رجل منهم ان انذر
الناس ان مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول وبشر الذين آمنوا ان لهم بان لهم ومعنى اللام
في للناس انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منه والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا
من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس
الا يتيم ابي طالب وان البعث يذكرهم وينذر بالنيران ويبشر بالجنان وكل واحد من هذه الامور
ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وارسال اليتيم او الفقير ليس بعجب
ايضا لان الله تعالى انما يختار للنبوة من جمع اسبابها والغنى والتقدم في الدنيا ليس من اسبابها والبعث للجزاء
على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء قدم
صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعي والسبق بالقدم
سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها
يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى الصدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق
العظيمة او مقام صدق او سبق السعادة قال الكافرون ان هذا لسحر مبين مدني وبصري
وشامي ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا
كاذبين في تسميته سحرا ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش اي استولى فقد تقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود يدبر يقضي ويقدر
على مقتضى الحكمة الامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش ولما ذكر ما يدل
على عظمة شأنه وملكه من خلق السموات والارض والاستواء على العرش اتبعها هذه الجملة لزيادة
الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من
بعد اذنه دليل على عزته وكبريائه ذلكم العظيم الموصوف بما وصف به الله ربكم وهو الذي
يستحق العبادة فاعبدوه وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من انسان او ملك فضلا عن
جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون افلا تتدبرون فتستدلون بوجود المصالح والمنافع على
وجود المصلح النافع اليه مرجعكم جميعا حال اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا
للقائه والمرجع الرجوع او مكان الرجوع وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم حقا
مصدر مؤكد لقوله وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده استئناف معناه التعليل لوجوب

الرجع

المرجع اليه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء
المكلفين على اعمالهم بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم
او بقسطهم اي بما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا لان الشرك ظلم ان الشرك لظلم عظيم وهذا
اوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
ولوجه كلامي هو الذي جعل الشمس ضياء الياء فيه منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقلبها
قنبل همزة لانها حركة اجل والقمر نورا والضياء اقوى من النور فلذا جعله للشمس وقدره وقدر
القمر اي وقدر مسيره منازل او وقدره ذا منازل لقوله والقمر قدرناه منازل لتعلموا عدد السنين
اي عدد السنين والشهور فاكتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور والحساب وحساب الآجال والمواقيت
المقدرة بالسنين والشهور ما خلق الله ذلك الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا
يفصل الآيات مكي وبصري وحفص وبالنون غيرهم لقوم يعلمون فينتفعون بالتأمل فيها ان في اختلاف
الليل والنهار في مجيء كل واحد منهما خلف الآخر او في اختلاف لونيهما وما خلق الله في السموات
والارض من الخلائق لآيات لقوم يتقون خصهم بالذكر لانهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر
الى النظر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم
عن التفكر بالحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا
الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي
واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا والذين هم عن آياتنا
غافلون لا يتفكرون فيها ولا يتوقفون عليها ان خبران اولئك مأواهم النار فاولئك مبتدأ ومأواهم
مبتدأ ثان والنار خبره والجملة خبر اولئك والباء في بما كانوا يكسبون يتعلق بمحذوف
دل عليه الكلام وهو جوزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم
يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم
الانهار بيانا له وتفسيرا اذ التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها او يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم
الى طريق الجنة ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة
فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله
في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار وهذا دليل على ان الايمان المجرد منج
حيث قال بايمانهم ولم يضم اليه العمل الصالح في جنات النعيم يتعلق بتجري او حال من الانهار دعواهم فيها سبحانك
اللهم اي دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك اي يدعون الله بقولهم سبحانك اللهم
تلذذا بذكره لا عبادة وتحيتهم فيها سلام اي يحيي بعضهم بعضا بالسلام او تحية الملائكة اياهم واضيف المصدر

الى المفعول اى يحييه الله بهم وآخر دعويهم وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح ان الحمد لله رب
العالمين اى ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ان مخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله والضمير للشان فيصل اول كلامهم التسبيح وآخره
التحميد فيبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما ارادوا
ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم
الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم
والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء اى ولو عجلنا لهم الشر الذى دعوا به
كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضى اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا لقضى اليهم اجلهم شامى على البنا
للفاعل وهو الله عز وجل فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم شركهم وضلالتهم يعمهون
يترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفى التعجيل كانه قيل ولا نعجل
لهم الشر ولا نقضى اليهم اجلهم فنذرهم فى طغيانهم اى فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع
طغيانهم الزاما للحجة عليهم واذا مس الانسان اصابه والمراد به الكافر الضر دعانا اى دعا الله لازالته
لجنبه فى موضع الحال بدليل عطف الحالين او قاعدا او قائما عليه اى دعانا مضطجعا وفائدة ذكر
هذه الاحوال ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا فى
حالاته كلها كان مضطجعا عاجزا عن النهوض او قاعدا لا يقدر على القيام او قائما لا يطيق المشى
فلما كشفنا عنه ضره مر اى ازلنا ما به مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه اى مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر
ونسى حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به والاصل كانه لم يدعنا
فخفف وحذف ضمير الشان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين المجاوزين الحد فى
الكفر زين الشيطان بوسوسته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الكفر و
لقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا اشركوا وهو ظرف لاهلكنا والواو فى وجاءتهم
رسلهم للحال اى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات وما كانوا ليؤمنوا
ان بقوا ولم يهلكوا ان الله علم منهم انهم يصرون على كفرهم وهو عطف على ظلموا او اعتراض
واللام لتاكيد النفى يعنى ان السبب فى اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة فى امهالهم بعد ان
الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعنى الاهلاك نجزى القوم المجرمين وهو وعيد
لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم الخطاب
للذين بعث اليهم محمد عليه السلام اى استخلفناكم فى الارض بعد القرون التى اهلكناها لننظر كيف
تعملون اى لننظر اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف معمول تعملون
لا لننظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع ان يتقدم عليه عامله والمعنى انتم بمنظر منا فانظروا كيف

النهض والنهوض برخاستن

تعملون

تعملون ابالاعتبار بماضيكم او الاعتداد بما فيكم قال عليه السلام الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم
فيها فناظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات حال قال الذين لا يرجون لقاءنا اى لما غاظهم ما فى
القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد لاهل الطغيان ائت بقرآن غير هذا ليس فيه ما نستبعده
من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها
فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب
آية رحمة وان يسقط ذكر الآلهة بقوله قل ما يكون لى ما يحل لى ان ابدله من تلقاء نفسى من قبل نفسى
ان اتبع الا ما يوحى الى لا اتبع الا وحى الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان الذى اتيت به من
عند الله لا من عندى فابدله انى اخاف ان عصيت ربى بالتبديل من عند نفسى عذاب يوم عظيم
اى يوم القيمة واما الاتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الا انهم
كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويحتمل ان يريدوا بقوله ائت بقرآن غير هذا
او بدله من جهة الوحى لقوله انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم وغرضهم فى هذا الاقتراح
الكيد اما اقتراح ابدال القرآن بقرآن آخر ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح
التبديل فللاختبار للحال وانه ان وجد منه تبديل فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيح الافتراء
على الله قل لو شاء الله ما تلوته عليكم يعنى ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واظهاره امرا عجيبا خارجا عن
العادات وهو ان يخرج رجل امى لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يغلب كلام
كل فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم الاصول والفروع والاخبار عن الغيوب
التى لا يعلمها الا الله ولا ادريكم به ولا اعلمكم الله بالقرآن على لسانى فقد لبثت فيكم عمرا من قبله من قبل
نزول القرآن اى فقد اقمت فيما بينكم اربعين سنة ولم تعرفونى متعاطيا شيئا من نحو ولا قدرت عليه
ولا كنت موصوفا بعلم وبيان فتتهمونى باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من عند الله لا
من قبلى وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله فى انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا
عما اضافوا اليه من الافتراء او كذب بآياته بالقرآن فيه بيان ان الكاذب على الله والمكذب بآياته فى الكفر
سواء انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ان عبدوه وان تركوا
عبادتها ويقولون هؤلاء اى الاصنام شفعاؤنا عند الله اى فى امر الدنيا ومعيشتها لانهم كانوا لا
يقولون بالبعث واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت او يوم القيمة ان يكن
بعث ونشور قل اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم
لله واذا لم يكن معلوما وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيئا وقوله فى السموات ولا فى الارض

آخر

الاختبار آزمودن

متواضعا م

الاستهان كردن

يقرون به

تأكيد النفي لان ما لا يوجد فيهما فهو منتفٍ سبحانه وتعالى عما يشركون تنزه ذاته عن ان يكون له
شريك وبالتاء حمزة وعلي وما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين تشركونهم به او عن اشراكهم
وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم
وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا
فاختلفوا فصاروا مللا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة
لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون فيما اختلفوا فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته للحكمة
وهي ان هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي آية
من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن
انزال الآيات المقترحة لا غير فانتظروا بنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل
الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات واذا اذقنا الناس اهل مكة رحمة خصبا وسعة من بعد ضراء
مستهم يعني القحط والجوع اذا لهم مكر في آياتنا اي مكروا بآياتنا بدفعها وانكارها روي ان الله تعالى
سلط القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في
آيات الله ويعادون رسول الله ويكيدونه فاذا الاولى للشرط والثانية جوابها وهي للمفاجاة وقوله
وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اي وان تصبهم سيئة قنطوا واذا اذقنا الناس
رحمة مكروا والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى
احسوا بسوء اثرها فيهم وانما قال قل الله اسرع مكرا ولم يصفهم بسرعة المكر لان كلمة المفاجاة دلت
على ذلك كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤوا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤوسهم
من مس الضراء ان رسلنا يعني الحفظة يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما تظنونه خافيا لا يخفى على الله وهو
منتقم منكم وبالياء سهل هو الذي يسيركم في البر والبحر يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالارجل
والدواب والفلك الجارية في البحار ويخلق فيكم السير ينشركم شامي حتى اذا كنتم في الفلك اي
السفن وجرين بهم اي السفن بمن فيها رجوع من الخطاب الى الغيبة للمبالغة بريح طيبة لينة
الهبوب لا ضعيفة ولا عاصفة وفرحوا بها بتلك الريح للينها واستقامتها جاءتها اي الفلك او الريح
الطيبة اي تلقتها ريح عاصف اي شديدة الهبوب وجاءهم الموج موجا علا على الماء من كل
مكان من البحر او من جميع امكنة الموج وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا جعل احاطة العدو
مثلا في الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لانهم لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون
لئن انجيتنا من هذه الاهوال او من هذه الريح لنكونن من الشاكرين لنعمتك مؤمنين بك متمسكين
بطاعتك ولم يحصل الكون في الفلك غاية التسيير في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية بعد حتى

كانه

كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم
الامواج والظن الهلاك والدعاء بالانجاء وجواب اذا جاءتها ودعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم
من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض يفسدون فيها بغير الحق
باطلا اي مبطلين يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم اي ظلمكم يرجع عليكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها متاع الحيوة الدنيا حفص اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم
غير بالرفع على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم او جنسكم
ومتاع خبر بعد خبر او متاع خبر مبتدا مضمر اي هو متاع الحيوة الدنيا وفي الحديث اسرع الخير
ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي
واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله
عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال
الله انما بغيكم على انفسكم ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون فنجازيكم به انما
مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء من السحاب فاختلط به نبات الارض اي فاشتبك
بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس من الحبوب والثمار والبقول والانعام يعني
الحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها زينتها بالنبات واختلاف الوانه وازينت وتزينت به
وهو اصله فادغمت التاء في الزاي وهو كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل
بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين
وظن اهلها اهل الارض انهم قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها
اتاها امرنا عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم ليلا او
نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من الزرع في قطعه واستئصاله كان لم تغن كان
لم يغن زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه ليستقيم المعنى بالامس هو مثل
في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن آنفا كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فينتفعون بضرب
الامثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال
بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته
ورفيفه والتنبيه على حكمة التشبيه ان الحيوة صفوها شائبها وكدرها ثانيها كما ان صفو الماء في
اعلى الاناء قال الم تر ان المرء كاس سلافة فاوله صفو وآخره كدر وحقيقته تبيين جملة
الطين لمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف النوعين كالطينة الطيبة بين الاسر
ورياحين الروح وذهن الزهد وكروم الكرم وحبوب الحب وحدائق الحقيقة وشقائق

الطريقة والحيلة تخرج خلاف الخلف وتمام الامر وتنول الشرك ونح النبح وحطب العطب
ولقاع القصب لم يدعى معاد. كالجين لحرث حصاد. فمثل لبه الحيوة مفتن كماهيج النبات
مصفر فتضيب حشنة فى الومس كان لم تغن بالامس الى ان يعود ربيع البعث وموعد العرض
والبعث وكذلك مال الدنيا كالماء ينفع قليله ويهلك كثيره ولا بد من ترك ما زاد كما لا بد من اخذ الزاد
ولجذ المال لا يصفو من ذلك كان خايض الماء لا يخلو من بلة وجهه وامساكه تلف صاحبه واهلاكه
فما دون النصاب كفضحاح ما يجاوز بلا احتياط والنصاب كنهر حايل بين المجاز والجواز الى المعاذ
لا يمكن الا بتنطق وهى الزكوة وعاملها بدل الصلاة فهى اختلت القنطرة عرقة امواج التناطير للمنطرق
ومن هذا قال النبى عليه السلام الزكوة قنطرة الاسلام وكذا المال يباعد الاوغاد دون الامجاد كما ان الماء
يجتمع فى الوهاد دون الانجاد ولذا المال لا يجتمع الا بكد البخيل كان الماء لا يجتمع الا بسد المسيل ثم يفنى الكل
ويتلف ولا يبقى كالماء والله يدعو الى دار السلام هى الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها او السلام السلامة
لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما
ويهدى من يشاء ويوفق من يشاء الى صراط مستقيم الى الاسلام او طريق السنة فالدعوة عامة على
لسان الرسول بالدلالة والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية والمعنى يدعو العباد كلهم
الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون للذين احسنوا آمنوا بالله ورسله الحسنى المثوبة الحسنى وهى
الجنة وزيادة رؤية الرب عز وجل كذا عن ابى بكر وحذيفة وابن عباس وابى موسى الاشعرى
وعبادة بن الصامت وفى بعض التفاسير اجمع المفسرون على ان الزيادة النظر الى الله تعالى وعن صهيب
ان النبى عليه السلام قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم
فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون
الى الله تعالى فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا للذين احسنوا الحسنى وزيادة والعجب
من صاحب الكشاف انه ذكر هذا الحديث لا بهذه العبارة وقال انه حديث مرقوع مع انه فى الصحاح
مرفوع اورده صاحب المصابيح وقيل الزيادة المحبة فى قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة
من الله ورضوان ولا يرهق وجوههم ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر
هوان والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق اهل النار اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا
عطف على للذين احسنوا اى وللذين كسبوا السيئات فهو الشرك جزاء سيئة بمثلها الباء زايدة
كقوله جزاء سيئة سيئة مثلها والتقدير جزاء سيئة مقدرة بمثلها وترهقهم ذلة ذل وهوان ما لهم
من الله من عقابه من عاصم اى لا يعصمهم احد من سخطه وعقابه كانما اغشيت وجوههم قطعا
من الليل مظلما اى جعل عليها غطاء من سواد الليل اى هم سود الوجوه وقطعا جمع قطعة وهى مفعول

ثان

لاغشيت قطعا مكى وعلى من قوله يقطع من الليل وعلى هذه القراءة مظلما صفة لقطعا وعلى الاول حال
من الليل والعامل فيه اغشيت لان من الليل صفة لقطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه
الى الصفة او معنى الفعل فى من الليل اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم اى الكفار
وغيرهم جميعا حال ثم نقول للذين اشركوا مكانكم اى الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا
ما يفعل بكم انتم اكد به الضمير فى مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه
فزيلنا ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا وقال شركاؤهم
من عبدوه من دون الله من اولى العقل او الاصنام ينطقها الله عز وجل ما كنتم ايانا تعبدون
الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم وهو كقوله ويوم نحشرهم جميعا
ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم الى قوله بل كانوا يعبدون الجن فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم
اى كفى الله شهيدا وهو تمييز ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان مخففة من الثقيلة
واللام فارقة بينها وبين النافية هنالك فى ذلك المقام او فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان
للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن
انافع ام ضار امقبول ام مردود وقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت تتلوا حمزة وعلى اى تتبع
ما اسلفت لان عمله هو الذى يهديه الى طريق الجنة او النار او تقرا ما فى صحيفتها ما قدمت من
خير او شر كذا عن الاخفش وردوا الى الله مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته
لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذى يتولى حسابهم وثوابهم
العدل الذى لا يظلم احدا وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم
شركاء الله او بطل ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة قل من يرزقكم من السماء
بالمطر والارض بالنبات امن يملك السمع والابصار من يستطيع خلقها وتسويتها على الحد الذى
سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميها من الآفات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما لطيفان
يؤذيهما ادنى شئ ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى اى الحيوان والفرخ والزرع
والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسهما ومن يدبر الامر
ومن يلى تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص فسيقولون الله فيجيبونك عند
سؤالك ان القادر على هذه هو الله فقل افلا تتقون الشرك فى العبودية اذا اعترفتم بالربوبية
فذلكم الله اى من هذه قدرته ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن
حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال اى لا واسطة بين الحق والضلال فمن تخطى الحق
وقع فى الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وهو التوحيد الى الشرك كالمشركين

عم

ذلك مثل حقت كلمة ربك كلمات مدني وشامي اي كما حق وثبت ان الحق بعد الضلال او كما
حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا
الى الحد الاقصى فيه انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك
او حق عليهم كلمة الله ان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل اي لانهم
لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده انما ذكر ثم يعيده وهم غير مقرين بالاعادة
لانه لظهور برهانها جعل امرا مسلما على ان فيهم من يقر بالاعادة او يحتمل اعادة غير البشر
كاعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده امر نبيه بان ينوب
منهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم فانى تؤفكون فكيف تصرفون
عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق يرشد اليه قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى
الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال
هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قراءة حمزة وعلي امن لا يهدي بمعنى
يهتدي لا يهدّي بفتح الياء والهاء وفتح الياء عاصم غير يحيى والاصل يهتدي وهو قراءة عبد الله
فادغم التاء في الدال وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وبكسر الهاء والياء وتشديد
الدال يحيى لاتباع ما بعدها وبسكون الهاء وتشديد الدال مدني غير ورش والمعنى ان الله وحده هو الذي
يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما
وفقهم وفهمهم على الشرائع بارسال الرسل فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد يهدي الى
الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى الحق احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه
او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه امن لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا
ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيا
ناطقا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد الله وما يتبع اكثرهم
في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله والمراد بالاكثر الجميع الا ظنا بغير دليل وهو
افتداء بآبائهم ظنا منهم انهم مصيبون ان الظن لا يغني من الحق وهو العلم شيئا في موضع
المصدر اي اغناء ان الله عليم بما يفعلون من اتباع الظن وترك الحق وما كان هذا القرآن
ان يفترى من دون الله اي افتراء من دون الله والمعنى وما صح وما استقام ان يكون مثله في
علو امره واعجازه مفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب
المنزلة وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم
لا ريب فيه من رب العالمين داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا

منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين
وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب
فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل ايقولون اختلقه
قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة
وحسن النظم فانتم مثلي في العربية وادعوا من استطعتم من دون الله اي وادعوا من دون الله
من استطعتم من خلقه للاستعانة على الاتيان بمثله ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن في بديهة السماع قبل ان يفقهوه
ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف
دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع في ولما ياتهم ومعنى التوقع في ولما ياتهم
تاويله انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر
تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم
علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي وجربوا قواهم في المعارضة وعرفوا
عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم
يعني كفار الامم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر في معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا وتقليدا
للآباء ويجوز ان يكون معنى ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي
عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه
ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه
حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين ومنهم من يؤمن به بالنبي او بالقرآن اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن
يعاند بالتكذيب ومنهم من لا يؤمن به لا يصدق به ويشك فيه او يكون للاستقبال اي ومنهم من
سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك
وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فقل لي عملي ولكم عملكم جزاء اعمالكم انتم بريئون
مما اعمل وانا بريء مما تعملون فكل مؤاخذ بعمله ومنهم من يستمعون اليك ومنهم ناس يستمعون اليك
اذا قرات القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم افانت تسمع الصم
ولو كانوا لا يعقلون اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم
لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب
العقل والسمع فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون

ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون أتحسب
انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة
قد يحدس واما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني انهم في اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم
والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ولكن
الناس حق وعلى اي لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا انفسهم بترك الاستدلال حيث
عبدوا جمادا وهم احياء ويوم يحشرهم وبالياء حفص كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار استقصروا
مدة لبثهم في الدنيا او في قبورهم لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا
الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم كأن لم يلبثوا
حال منهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وكأن مخففة من الثقيلة واسمها
محذوف اي كأنهم يتعارفون بينهم حال بعد حال او مستأنف على تقدير هم يتعارفون بينهم
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من
الله على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا
مهتدين للتجارة عارفين بها وهو مستأنف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما اخسرهم وإما نرينك
بعض الذي نعدهم من العذاب او نتوفينك قبل عذابهم فإلينا مرجعهم جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف اي واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك
قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة ثم الله شهيد على ما يفعلون ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها
وهو العقاب كأنه قيل ثم الله معاقب على ما يفعلون وقيل ثم هنا بمعنى الواو ولكل امة رسول
يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات
فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب
المكذبون او ولكل امة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم
الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم وهم لا يظلمون لا يعذب احد بغير ذنبه
ولما قال واما نرينك بعض الذي نعدهم اي من العذاب ويقولون متى هذا الوعد اي وعد العذاب
ان كنتم صادقين ان العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي
ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله
من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لكل امة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح فاذا جاء وقت
عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا قل ارأيتم ان اتاكم عذابه

بياتا نصب على الظرف اي وقت بيات وهو الليل وانتم ساهون نائمون لا تشعرون او نهارا وانتم
مشتغلون بطلب المعاش والكسب ماذا يستعجل منه المجرمون اي من العذاب والمعنى ان العذاب
كله مكروه موجب الاستعجال والاستفهام في ماذا يتعلق بارأيتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون
اي من العذاب وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه ولم يقل
ماذا يستعجلون منه لانه اريد الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام او ماذا يستعجل
منه المجرمون جواب الشرط نحو ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارأيتم او اثم اذا ما وقع العذاب
آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراض والمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه
حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في أفأمن أوأمن أهل
القرى آلآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وقد كنتم به
تستعجلون اي بالعذاب تكذيبا واستهزاء آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام نافع
ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلآن ذوقوا عذاب الخلد اي الدوام هل تجزون
الا بما كنتم تكسبون من الشرك والتكذيب ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون أحق هو وهو استفهام
على جهة الانكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود قل اي وربي اي نعم والله انه لحق ان العذاب
كائن لا محالة وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ولو ان لكل نفس ظلمت كفرت
واشركت وهو صفة لنفس اي ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الارض ما في الدنيا اليوم من خزائنها
واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا
الندامة لما رأوا العذاب واظهروها من قولهم اسر الشيء اذا اظهره او اخفوها عجزا عن النطق
لشدة الامر فاسر من الاضداد وقضي بينهم بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم بالقسط
وهم لا يظلمون ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله بقوله ألا ان لله ما في السموات والارض فكيف
يقبل الفداء وانه المثيب والمعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق بقوله ألا ان وعد الله
بالثواب او بالعقاب حق كائن ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت هو القادر على الاحياء
والاماتة لا يتعذر عليه شيء واليه ترجعون والى حسابه وجزائه المرجع فيخاف ويرجى
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه
على التوحيد والموعظة التي تدعو الى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب كما في القرآن من
الاوامر والنواهي داع الى كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب اذ الامر يقتضي حسن المأمور به
ويكون مرغوبا وهو يقتضي النهي عن ضده وهو مرهوب وعلى هذا في النهي وشفاء لما في الصدور اي صدور
من العقائد الفاسدة وهدى من الضلالة ورحمة للمؤمنين لمن آمن به منكم قل بفضل الله وبرحمته

فبذلك فليفرحوا اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد
والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف
احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوهما
بالفرح او بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وعن ابي كتاب الله والاسلام وفي الحديث
من هداه الله للاسلام وعلمه القران ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه الى يوم يلقاه وقرا
الاية هو خير مما يجمعون وبالتاء شامي فلتفرحوا يعقوب قل ارايتم اخبروني ما انزل الله لكم
من رزق ما منصوب بانزل او بارايتم اي اخبرونيه فجعلتم منه حراما وحلالا فبعضتموه
وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
نعم الارزاق تخرج من الارض ولكن لما تعلقت اسبابها بالسماء نحو المطر الذي به ينبت من الارض
النبات والشمس التي بها نضج الاثمار ونبع الثمار ايضا اضيف انزالها الى السماء قل الله اذن لكم
متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني الله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك
باذنه ام على الله تفترون ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه او الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون
على الله تقديرا للافتراء والاية زاجرة عن التجوز فيما يسأل من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط
فيه وان لا يقول احد في شي جايز وغير جايز الا بعد ايقان واتقان والا فهو مفتر على الديان وما ظن الذين
يفترون على الله الكذب ينسبون اليه يوم القيمة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه اي اي شي ظن المفترين
في ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره ان الله
لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون
هذه النعم ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكون في شان ما نافية والخطاب للنبي عليه السلام والشان الامر وما تتلو
منه من التنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قران لان كل جزء منه قران والاضمار قبل الذكر تفخيم له او
من الله عز وجل ولا تعملون انتم جميعا من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم
اذ تفيضون فيه تخوضون من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب عن ربك وما يبعد وما يغيب
وبكسر الزاي علي حيث كان من مثقال ذرة وزن نملة صغيرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر ورفعهما حمزة على الابتداء والخبر الا في كتاب الله مبين يعني اللوح المحفوظ ونصبهما
غيره على نفي الجنس وقدمت الارض على السماء هنا وفي سبا قدمت السموات لان العطف بالواو
وحكمه حكم التثنية الا ان اولياء الله هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة او هم الذين تولى هداهم
بالبرهان الذي آتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة لخلقه او هم المومنون المتقون بدليل الاية الثانية
لا خوف عليهم اذا خاف الناس ولا هم يحزنون اذا حزن الناس الذين آمنوا منصوب

المتحابون في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها

بامر ادعى او لانه صفة لاولياء او مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اي هم الذين وكانوا يتقون الشرك
والمعاصي لهم البشرى في الحيوة الدنيا ما بشر الله به المومنين المتقين في غير موضع من كتابه وعن النبي
عليه السلام هي الرويا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات
والرويا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهذا لان مدة الوحي ثلاث وعشرون سنة
وكان في ستة اشهر منها يوحى في النوم بالانذار وستة اشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة
واربعين جزءا او هي محبة الناس له والذكر الحسن وفي الاخرة البشرى عند النزع بان يرى مكانه في الجنة
وفي الاخرة هي الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة
الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض
كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج وتسكت ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم
وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك ان العزة لله استيناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن
فقيل ان العزة لله اي ان الغلبة والقهر في ملكة الله لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك
عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا او به يتعزز كل عزيز فهو يعزك ودينك واهلك والوقف
لازم على قولهم لئلا يصير ان العزة مقول الكفار جميعا حال هو السميع لما يقولون العليم بما يريدون
ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء وهم الملايكة
والثقلان وخصهم ليوذن ان هولاء اذا كانوا لله وفي ملكته ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون له شريكا فيها
فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
ما نافية اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال
ان يتبعون الا الظن الا ظنهم انهم شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون
ان يكون شركاء تقديرا باطلا او استفهامية اي واي شي يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون
وعلى الاول بيتبع فكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء فاقتصر على احدهما
للدلالة والمحذوف مفعول يدعون او موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين
يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اي جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد
في النهار والنهار مبصرا مضيئا لتبصروا فيه مطالب ارزاقكم ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع مذكر
معتبر قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني
علة لنفي الولد لانه انما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به او فقير ليستعين به او ذليل ليتشرف به
والكل امارات الحاجة فمن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منفيا ولان الولد بعض الوالد فيستدعي

ان يكون مركبا وكل مركب ممكن وكل ممكن محتاج الى الغير فكان حادثا فاستحال القديم ان يكون له
ولد له ما في السموات وما في الارض ملكا ولا يجتمع البنوة معه ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من
حجة بهذا القول والباء حينئذ يتعلق بقوله ان عندكم على ان تجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم
بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين
فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه لا يفلحون لا ينجون
من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون به
رياستهم في الكفر ومناصبة النبي عليه السلام بالتظاهر به ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد الخالد
بما كانوا يكفرون بكفرهم واتل عليهم واقرأ عليهم نبأ نوح خبره مع قومه والوقف عليه
لازم اذ لو وصل لصار اذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذكر اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم
عظم وثقل كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين مقامي مكاني يعني نفسه كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان
اي خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري بآيات الله
لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا
فعلى الله توكلت اي فوضت امري اليه فاجمعوا امركم من اجمع الامر اذا نواه وعزم
عليه وشركاءكم الواو بمعنى مع اي فاجمعوا امركم مع شركائكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي غما
عليكم وعاد والغم والغمة كالكرب والكربة او مبهما في خفية والغمة السترة من غمه اذا ستره
ومنه الحديث لا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن يجاهر بها والمعنى ولا يكن قصدكم الى اهلاكي
مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون
بي اي ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه او اصنعوا ما امكنكم
ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصحتي فما سألتكم من اجر
فاوجب التولي او فما سألتكم من اجر فيفوتني ذلك بتوليكم ان اجري الا على الله وهو الثواب
الذي يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم الا لله لا لغرض من اغراض الدنيا وفيه دلالة على منع اخذ
الاجر على تعليم القرآن والعلم الديني وامرت ان اكون من المسلمين من المنقادين
لاوامره ونواهيه ان اجري مدني وشاني وليس عن وحصص فكذبوه فداموا على تكذيبه فنجيناه
من الغرق ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف من الهالكين من الغرق
واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى
عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله عن مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده من بعد
نوح رسلا الى قومهم اي هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة

المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فاصروا على الكفر بعد المجيء بما كذبوا به من قبل من قبل مجيئهم
يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حاليهم بعد بعثة
الرسل وقبلها كأن لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع نختم على قلوب المعتدين
المجاوزين الحد في التكذيب ثم بعثنا من بعدهم من بعد الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه
بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها واعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد
تبينها ويتعظموا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا
عنها واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله
قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر قال موسى اتقولون
للحق لما جاءكم هو السحر ومقولهم محذوف اي هذا سحر ثم استأنف انكارا آخر فقال اسحر هذا
خبر ومبتدأ ولا يفلح الساحرون اي لا يظفرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا عما وجدنا عليه
آباءنا من عبادة الاصنام او عبادة فرعون وتكون لكما الكبرياء في الارض اي الملك لان الملوك موصوفون
بالكبر والعظمة والعلو في الارض ارض مصر وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به
ويكون حاد ولي وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم حاذق وعلى فلما جاء السحرة
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ما موصولة واقعة
مبتدأ وجئتم صلتها والسحر خبره اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه
سحرا من آيات الله السحر بعد وقف به ابو عمرو على الاستفهام فعلى هذا الفن ما استفهامية
اي اي شيء جئتم به اهو السحر ان الله سيبطله سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته
بل يدمره ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه او وبظهور الاسلام بعدك بالنصرة
ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه على خوف من فرعون
وملئهم الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولادا من اولاد قومه وذلك انه
دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف او الضمير
في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه
وماشطته والضمير في ملئهم يرجع الى فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب
يأتمرون له او الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل
لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم دليله قوله ان يفتنهم
يريد ان يعذبهم فرعون وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن
المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم ان كنتم

آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا اليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون
ان كنتم مسلمين شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة
لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم
كانوا مخلصين لا جرم ان الله قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه
وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا
اي يضلوننا والفاتن المضل عن الحق ونجنا برحمتك من القوم الكافرين اي من تعبيدهم وتسخيرهم
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه
اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة
والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى
ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول الامر مامورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من
الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في اول الاسلام
بمكة واقيموا الصلوة في بيوتكم حتى تامنوا وبشر المومنين يا موسى ثنى الخطاب اولا لان اختيار
مواضع العبادة مما يفوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المساجد والصلوة فيها واجب على الجمهور
ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما لها وللمبشر بها وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه
زينة هي ما يتزين به من لباس وحلي او فرش او اثاث او غير ذلك واموالا نقدا ونعما وضيعة
في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ليضلوا الناس عن طاعتك كوفي ولا وقف على الدنيا لان
قوله ليضلوا متعلق بآتيت وربنا تكرار للاول للالحاح في التضرع قال الشيخ ابو منصور رحمه الله اذ علم
منهم انهم يضلون الناس عن سبيله ما آتاهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله انما نملي لهم ليزدادوا آتاهم
اثما فتكون الاية حجة على المعتزلة ربنا اطمس على اموالهم اي اهلكها واذهب آثارها لانهم يستعينون
بنعمتك على معصيتك والطمس المحو والاهلاك قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيئتها حجارة
منقوشة وسائر اموالهم كذلك واشدد على قلوبهم اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية فلا
يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد حتى يروا العذاب الاليم الى ان يروه وانما دعا عليهم
بهذا لما ايس من ايمانهم وعلم انهم لا يؤمنون فاما قبل ان يعلم بانهم لا يؤمنون فلا يسع له بالوحي
ان يدعو بهذا الدعاء لانه ارسل اليهم ليدعوهم الى الايمان وهو دليل على ان الدعاء على الغير
بالموت على الكفر لا يكون كفرا قال قد اجيبت دعوتكما قيل كان موسى عليه السلام يدعو
وهرون يؤمن فثبت ان التامين دعاء فكان اخفاؤه اولى والمعنى ان دعاءكما مستجاب

العذاب الاليم فكان كذلك فانهم لم يؤمنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان باس لم يقبل صح

وما

وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والتبليغ ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون ولا تتبعا طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الاجابة وحكمة الاجال فقد
كان بين الدعاء والاجابة اربعون سنة ولا تتبعان بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين
تشبيها بنون التثنية شامي وخطاه بعضهم لان النون الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار
عما يكون عليه وليس بنهي او هو حال وتقديره فاستقيما غير متبعين وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر هو دليل لنا على خلق الافعال فاتبعهم فرعون وجنوده فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته
بغيا تطاولا وعدوا ظلما وانتصبا على الحال او على المفعول له حتى اذا ادركه الغرق ولا وقف عليه
لان قال آمنت جواب اذا انه بالكسر حمزة وعلي على الاستيناف بدل من آمنت وبالفتح غيرهما بحذف
الباء التي هي صلة الايمان لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين فيه دليل على ان الايمان
والاسلام واحد حيث قال آمنت ثم قال وانا من المسلمين كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث
مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وكانت المرة
الواحدة تكفي في حال الاختيار آلآن اتومن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق
وايست من نفسك قال ذلك حين الجمه الغرق والعامل فيه اتومن وقد عصيت قبل وكنت
من المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان روي ان جبريل عليه السلام اتاه بفتيا ما قول الامير في
عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون
فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق
في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فاليوم ننجيك نلقيك بنجوة من الارض فرماه
الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك
كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك وكانت له
درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة رضي الله عنه بابدانك وهو مثل قولهم هوى باجرامه
اي ببدنك كله وافيا باجزائه او بدروعك لانه ظاهر بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك
من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شأنا من ان يغرق وقيل
اخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وقيل لمن خلفك لمن يأتي
بعدك من القرون ومعنى كونه آية ان يظهر للناس عبوديته وان ما كان يدعيه من الربوبية محال
وانه مع ما كان فيه من عظم الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره وان كثيرا من
الناس عن آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر
والشام ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا في دينهم حتى جاءهم العلم اي التورية وهم

اختلفوا في تأويلها ... كما اختلف امة محمد عليه السلام في تاويل الآيات
في القرآن او المراد العلم بمحمد عليه السلام واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في
صفته وانه هو ام ليس هو بعدما جاءهم العلم انه هو ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون فيميز المحق من المبطل ويجزي كلا جزاءه فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين
يقرؤون الكتاب من قبلك لما قدم ذكر بني اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بان العلم قد
جاءهم لان امر رسول الله مكتوب في التورية والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
اراد ان يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه السلام ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك
فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة ان يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وادلته
او بمباحثة العلماء فاسأل علماء اهل الكتاب فانهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك
وتمكنهم على حيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالرسوخ
في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك
الحق من ربك اي ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة ان ما اتاك هو الحق
الذي لا مجال فيه للشك فلا تكونن من الممترين الشاكين ولا وقف عليه للعطف ولا تكونن من
الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء
المرية عنك والتكذيب بآيات الله او على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا
للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك
قال عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه الحق او خوطب رسول الله
والمراد امته اي وان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا او الخطاب
لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن او ان للنفي اي فما كنت في
شك فاسأل اي لا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم
بمعاينة احياء الموتى فان قلت انما يجيء ان للنفي اذا كان بعده الا كقوله ان الكافرون الا في
غرور قلت ذلك غير لازم الا ترى الى قوله ان امسكهما من احد من بعده فان للنفي وليس بعده
الا ان الذين حقت عليهم كلمة ربك ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به
الملائكة انهم يموتون كفارا او قوله لاملأن جهنم الآية ولا وقف على يؤمنون لان ولو جاءتهم كل
آية يتعلق بما قبلها حتى يروا العذاب الاليم اي عند البأس فيؤمنون ولا ينفعهم او عند القيمة ولا يتقبل
منهم فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن
الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه

فنفعها

فنفعها ايمانها بان يقبل الله منها لوقوعه في وقت الاختيار الا قوم يونس استثناء من القرى ومن
استثناء منقطع اي ولكن قوم يونس ومتصل والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى
الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على الاستثناء لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا و
متعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض
الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا
اربعين ليلة وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين
النساء والصبيان والدواب واولادها فحن بعضها الى بعض واظهروا الايمان والتوبة فرحمهم
وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل
كان يقلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا لما نزل بهم العذاب الى
شيخ من بقية علمائهم فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت
فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم
منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من في الارض
كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون
فيه اخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته انه لو شاء لآمن من في الارض كلهم ولكنه شاء
ان يؤمن به من علم منه اختيار الايمان به وشاء الكفر ممن علم انه يختار الكفر
ولا يؤمن به وقول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القسر والالجاء اي لو خلق فيهم الايمان
جبرا لآمنوا لكن قد شاء ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله افانت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين اي ليس اليك مشيئة الاكراه والجبر في الايمان انما ذلك الي فاسد لان الايمان فعل العبد
وفعله ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار وتأويله عندنا ان الله لطفا
لو اعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم انهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك
وهو التوفيق والاستفهام في افانت بمعنى النفي اي لا تملك انت يا محمد ان تكرههم على الايمان
لانه يكون بالتصديق والاقرار ولا يمكن الاكراه على التصديق وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله بمشيئته او بقضائه او بتوفيقه وتسهيله او بعلمه ويجعل الرجس اي العذاب
او السخط او الشيطان اي ويسلط الشيطان على الذين لا يعقلون لا ينتفعون بعقولهم ونجعل
حماد ويحيى قل انظروا نظر استدلال واعتبار ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر
باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار وما تغني الآيات ما نافية والنذر والرسل
المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون فهل

ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم يعني وقايع الله فيهم كما يقال ايام العرب
لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل
عليه الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال
الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين اي مثل ذلك الانجاء ننجي
المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض اي حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتخفيف
حفص قل يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا
وصفه ثم وصف دينه فقال فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله اي الاصنام ولكن اعبد الله الذي
يتوفاكم يميتكم وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء
وامرت ان اكون من المؤمنين اي بان اكون يعني ان الله امرني بذلك بما ركب فيّ من العقل وبما اوحى
لي في كتابه وان اقم وجهك للدين اي واوحي الي ان اقم لسياق قوله امرت اي استقم مقبلا بوجهك
على ما امرك الله او استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ان دعوته ولا يضرك ان خذلته فان فعلت فان دعوت من
دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا جزاء للشرط
وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه
لا ظلم اعظم من الشرك وان يمسسك الله بضر بمرض فلا كاشف له لذلك الضر الا هو
الا الله وان يردك بخير عافية فلا راد لفضله فلا راد لفضله فلا راد لمراده يصيب به
بالخير من يشاء من عباده قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة والرهبة
الا اليه ولا اعتماد الا عليه وهو الغفور الرحيم المكفر بالبلاء الرحيم المعافي بالعطاء اتبع النهي عن عبادة
الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه
الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذا ان ارادك بخير لم يرد احد ما
يريده بك من الفضل والاحسان فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذا بان توجه اليه العبادة دونها
وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
وانما ذكر المس في احدهما والارادة في الآخر لانه اراد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما
فاوجز بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه
قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده قل يا ايها الناس يا اهل مكة قد جاءكم
الحق القرآن او الرسول من ربكم فمن اهتدى اختار الهدى واختار الهدى واتبع
الحق فانما يهتدي لنفسه فما نفع باختياره الا نفسه ومن ضل فانما يضل عليها ومن آثر الضلال

كانه اراد ان يذكر الامرين من الارادة والاصابة بالخير في كل واحد من الضر والخير

فا

فاضر الا نفسه ومن دل اللام وعلى على معنى النفع والضر وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم
انما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك واصبر على تكذيبهم وايذائهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم
وبالغلبة وهو خير الحاكمين لانه المطلع على السرائر فلا يحتاج الى بينة وشهود شهود

سورة هود مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هذا كتاب فهو خبر مبتدا محذوف احكمت آياته صفته اي نظمت نظما محكما
محكما لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم ثم فصلت كما تفصل القلائد من دلايل التوحيد
والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت
في التنزيل ولم تنزل جملة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وليس معنى ثم التراخي
في الوقت ولكن في الحال من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لا
حكمت وفصلت اي عنده احكامها وتفصيلها الا تعبدوا الا الله مفعول له اي لان لا تعبدوا او
ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا
الا الله انني لكم منه نذير وبشير اي من الله وان استغفروا ربكم اي امركم بالتوحيد
والاستغفار ثم توبوا اليه اي استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة يمتعكم متاعا
حسنا يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى
الى ان يتوفيكم ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة
فيه جزاء فضله لا يبخس منه وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير
هو يوم القيامة الى الله مرجعكم رجوعكم وهو على كل شيء قدير فكان قادرا على عذابكم
الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله
بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه ليطلبوا الخفاء
من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم الا حين يستغشون ثيابهم يتغطون بها اي يريدون
الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم
في آذانهم واستغشوا ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون اي لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم
فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم
ونفاقهم غير نافق عنده قيل نزلت في المنافقين انه عليم بذات الصدور وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها تفضلا لا وجوبا ويعلم مستقرها اماكنه من الارض ومسكنه ومستودعها
حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل في كتاب مبين

كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذلك مكتوب فيه مبين وهو الذي
خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام من الأحد إلى الجمعة تعليما للتأني وكان عرشه
على الماء أي فوقه يعني ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض إلا الماء وفيه دليل على أن العرش
والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والأرض قيل بدأ بخلق ياقوتة خضراء فنظر إليها بالهيبة
فصارت ماء ثم خلق ريحا فأقر الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء وفي وقوف العرش
على الماء أعظم الاعتبار لأهل الأفكار ليبلوكم أي خلق السموات والأرض وما بينهما للمنتفعين بها ولم يخلق
هذه الأشياء لأنفسها أيكم أحسن عملا أكثر شكرا وعنه عليه السلام أحسن عقلا وأورع عن محارم الله
وأسرع في طاعة الله فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال
ليبلوكم أي ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لأحوالكم كيف تعملون ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت
ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين أشاروا بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق
بالبعث فإذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره وساحر حمزة
وعلي يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل ولئن أخرنا عنهم العذاب عذاب الآخرة
أو عذاب يوم بدر إلى أمة إلى جماعة من الأوقات معدودة معلومة أو قلائل والمعنى إلى حين
معلوم ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء ألا يوم
يأتيهم العذاب ليس مصروفا عنهم ويوم منصوب بمصروفا أي ليس العذاب مصروفا
عنهم يوم يأتيهم وحاق بهم وأحاط بهم ما كانوا به يستهزئون العذاب
الذي كانوا يستعجلون وإنما وضع يستهزئون موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على
جهة الاستهزاء ولئن أذقنا الإنسان هو للجنس منا رحمة نعمة من صحة وأمن وجدة
واللام في لئن لتوطئة القسم ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم إنه ليؤوس
شديد اليأس من أن يعود إليه تلك النعمة وجواب القسم إنه المسلوبة قاطع رجاءه من
سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب
في نعمة الله نسأله ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذي ناله
ليقولن ذهب السيئات عني المصائب التي ساءتني إنه لفرح أشر بطر فخور على الناس بما أذاقه
الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر إلا الذين صبروا في المحنة والبلاء وعملوا الصالحات
وشكروا في النعمة والرخاء أولئك لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير يعني الجنة كانوا يقترحون
عليه آيات تعنتا لا استرشادا لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به
كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون

بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله عليه السلام أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون
منه فهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك
بعض ما يوحى إليك أي لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق
به صدرك بأن تتلوه عليهم ولم يقل ضيق ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأنه عليه السلام
كان أفسح الناس صدرا ولأنه أشكل بتارك أن يقولوا مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز
أو جاء معه ملك هلا أنزل عليه ما اقترحنا من الكنز لننفقه والملائكة لتصدقه ولم أنزل
عليه ما لا نريده ولا نقترحه إنما أنت نذير أي ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ردوا أو تهاونوا والله على كل شيء وكيل
يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك إليه وعليك بتبليغ الوحي
بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت إلى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم أم يقولون
أم منقطعة افتراه الضمير لما يوحى إليك قل فأتوا بعشر سور مثله في الحسن والجزالة ثم بسورة
كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فإذا تبين له العجز عن ذلك
قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت
القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله أرخى معهم العنان وقال هبوا أني اختلقته
من عند نفسي فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فإنكم عرب فصحاء مثلي وادعوا
من استطعتم من دون الله إلى المعاونة على المعارضة إن كنتم صادقين أنه مفترى فإن لم
يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو أي أنزل ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله من نظم
معجز للخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه واعلموا عند ذلك أن لا إله إلا الله وحده
وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم وإنما جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله
لكم فاعلموا بعد قوله قل لأن الجمع لتعظيم رسول الله عليه السلام أو لأن رسول الله والمؤمنين
كانوا يتحدونهم أو لأن الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فإن لم يستجب
لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا أنما أنزل
بعلم الله أي بإذنه أو بأمره فهل أنتم مسلمون مبايعون بالإسلام بعد هذه الحجة القاطعة ومن
جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقينا على أنه منزل من عند الله
وعلى التوحيد فهل أنتم مسلمون مخلصون من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم
فيها وهم فيها لا يبخسون نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا
وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وهم الكفار أو المنافقون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة
إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم أي لم يكن لهم ثواب لأنهم

لا يريدوا به الآخرة وإنما أرادوا به الدنيا وقد وفي إليهم ما أرادوا وباطل ما كانوا يعملون أي كان
عملهم في نفسه باطلا لأنه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له والمعنى أفمن كان على بينة
من ربه أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم
يعني أن بين الفريقين تباينا بينا وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وقيل كل من كان على بينة من
ربه على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان
شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله أو من القرآن فقد مر ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل
القرآن كتاب موسى وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى إماما
كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل إليهم وهو حال أولئك أي من
كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به بالقرآن من الأحزاب من أهل مكة ومن تحزب معهم
على رسول الله فالنار موعده مصيره ومورده فلا تك في مرية في شك منه من القرآن أو من الموعد
إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك
يعرضون على ربهم بحبسهم في الموقف وتعرض أعمالهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم ويشهد عليهم الأشهاد من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على ربهم الله بأنه
اتخذ ولدا وشريكا ألا لعنة الله على الظالمين الكاذبين على ربهم والأشهاد جمع شاهد
كأصحاب جمع صاحب أو شهيد كشريف وأشراف الذين يصدون عن سبيل الله يصرفون
الناس عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن
يعوجوا بالارتداد وهم بالآخرة هم كافرون هم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به
أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض أي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم
وما كان لهم من دون الله من أولياء من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه
أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام الأشهاد يضاعف لهم العذاب
لأنهم أضلوا الناس عن دين الله يضعف مكي وشامي ما كانوا يستطيعون السمع أي
استماع الحق وما كانوا يبصرون الحق أولئك الذين خسروا أنفسهم حيث اشتروا عبادة
الآلهة بعبادة الله وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة
وشفاعتها لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون [illegible] وفي لا جرم أقوال
أحدها أن لا رد للكلام السابق أي ليس الأمر كما زعموا ومعنى جرم كسب وفاعله مضمر وأنهم
في الآخرة في محل النصب والتقدير كسب قولهم خسرانهم في الآخرة وثانيها أن لا جرم
كلمتان ركبتا فصار معناها حقا وأن في موضع رفع بأنه فاعل لحقا أي حق خسرانهم وثالثها

ال

ان معناه لا محالة إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم واطمأنوا إليه وانقطعوا
إلى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الأرض المطمئنة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون
مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين
بالبصير والسميع هل يستويان بل الفريقين مثلا تشبيها وهو نصب على التمييز أفلا تذكرون بتفصيل
بضرب المثل ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين أي بأني والمعنى أرسلناه ملتبسا
بهذا الكلام وهو قوله إني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر
وبكسر الألف شامي ونافع وعاصم وحمزة على إرادة القول أن لا تعبدوا إلا الله أن مفسرة متعلقة
بأرسلنا أو بنذير إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم وصف اليوم بأليم من الإسناد المجازي
لوقوع الألم فيه فقال الملأ الذين كفروا من قومه يريد الأشراف لأنهم يملؤون
القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لأنهم ملاء بالأحلام والآراء الصائبة ما نراك إلا بشرا
مثلنا أرادوا أنه كان ينبغي أن يكون ملكا أو ملكا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا أخساء
جمع أرذل بادي وبالهمز أبو عمرو الرأي وبغير همز أبو عمرو أي اتبعوك أول الرأي أو
أول الرأي من بدا يبدو إذا ظهر أو من بدأ يبدأ إذا فعل الشيء أولا وانتصابه على الظرف أصله
وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه أي أرادوا أن
اتباعهم لك شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر ولو تفكروا ما اتبعوك وإنما استرذلوا
المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية لأنهم كان الأشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى
أكثر المتسمين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم ولقد زل عنهم أن
التقدم في الدنيا لا يقرب أحدا من الله وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه وما نرى لكم علينا
من فضل في مال ورأي عنوا نوحا وأتباعه بل نظنكم كاذبين أي نوحا في الدعوة ومتبعيه
في الإجابة والتصديق يعني تواطأتم الدعوة والإجابة تسببا للرياسة قال يا قوم أرأيتم أخبروني
إن كنت على بينة برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من
عنده بإيتاء النبوة فعميت عليكم خفيت فعميت حمزة وعلي وحفص أي أخفيت أي فعميت
عليكم البينة فلم تهدكم كالعمى على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد وحقيقته أن الحجة
كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره أنلزمكموها
أي الحجة وأنتم لها كارهون لا تريدونها والواو هنا دخلت تتمة الميم وعن أبي عمرو
إسكان الميم ووجهه أن الحركة كانت خفيفة فظنها الراوي سكونا وهو لحن لأن
الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر ويا قوم لا أسألكم عليه على تبليغ الرسالة

العقب والعقوب والعاقبة

كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا

لانه مدلول قوله اني لكم نذير مالا اجرا يثقل عليكم ان اديتم او علي ان ابيتم ان اجري
مدني وشامي وابو عمرو وحفص الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين
سألوا طردهم ليؤمنوا به انفة من المجالسة معهم انهم ملاقوا ربهم فيشكونني الى الله ان طردتهم
ولكني اراكم قوما تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل او تجهلون لقاء ربكم او انهم خير
منكم ويا قوم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم افلا تذكرون تتعظون ولا
اقول لكم عندي خزائن الله فادعي فضلا عليكم بالغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى
لكم علينا من فضل ولا اعلم الغيب حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضمائر قلوبهم وهو معطوف
على عندي خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك
حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا احكم على من استرذلتم من
المؤمنين لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه مساعدة لكم ونزولا
على هواكم الله اعلم بما في انفسهم من صدق الاعتقاد وانما علي قبول ظاهر اقرارهم اذ لا اطلع على
خفي اسرارهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه
واصله تزترى فابدلت التاء دالا قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما
تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في وعيدك قال انما يأتيكم به الله ان شاء اي ليس الاتيان
بالعذاب الي وانما هو الى من كفرتم به وما انتم بمعجزين اي لم تقدروا على الهرب منه ولا ينفعكم
نصحي هو اعلام موضع الغي ليتقى والرشد ليقتفى ولكني اي نصحي مدني وابو عمرو ان اردت ان انصح
لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اي يضلكم وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثاني مقدما في الحكم
لما عرف تقديره ان كان الله يريد ان يغويكم لا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم وهو دليل بين
لنا في ارادة المعاصي هو ربكم فيتصرف فيكم على قضية ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم
ام يقولون افتراه بل يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي اي ان صح اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي
اي افترائي يقال اجرم اذا اذنب وانا بريء اي ولم يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى مما تجرمون من
اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم واوحي الى نوح انه لن يؤمن من
قومك الا من قد آمن اقناط من ايمانهم وانه غير متوقع وفيه دليل على ان للايمان حكم التجدد لانه
قال ان الذي آمن يؤمن في حادث الوقت وعلى ذلك تخرج الزيادة التي ذكرت في الايمان
في القرآن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فلا تحزن حزن بائس مستكين والابتئاس
افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوا من تكذيبك وايذائك فقد حان
وقت الانتقام من اعدائك واصنع الفلك باعيننا هو في موضع الحال اي اصنعها محفوظا وحقيقته

ملتبسا باعيننا كأن لله معه اعينا تكلأه ان يزيغ في صنعته عن الصواب ووحينا وانا نوحي
اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه
ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع
العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق قد قضى به وجف القلم فلا سبيل الى
كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه من عمل السفينة
وكان يعملها في برية في ابعد موضع من الماء فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا
بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم عند رؤية الهلاك كما تسخرون منا عند رؤية
الفلك روي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في سنتين وكان طولها ثلثمائة
ذراع او الفا ومائتي ذراع وعرضها خمسون ذراعا او ستمائة ذراع وطولها في السماء ثلثون ذراعا
وجعل لها ثلثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط
الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد
آدم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء فسوف تعلمون من يأتيه من في محل النصب
بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب
الدنيا وهو الغرق ويحل عليه وينزل عليه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة حتى هي التي
يبتدأ بعدها الكلام ادخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهي غاية لقوله ويصنع الفلك اي وكان
يصنعها الى ان جاء وقت الموعد وما بينهما من الكلام حال من يصنع اي يصنعها والحال انه كلما مر
عليه ملأ من قومه سخروا منه وجواب كلما سخروا وقال استئناف على تقدير سؤال سائل وقال
جواب وسخروا بدل من مر او صفة لملأ اذا جاء امرنا عذابنا وفار التنور هو كناية عن اشتداد
الامر وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من حجر لحواء فصار الى نوح
عليه السلام وقيل التنور وجه الارض قلنا احمل فيها في السفينة من كل زوجين اثنين تفسيره
في سورة المؤمنين واهلك الا من سبق عليه القول عطف على اثنين وكذا ومن آمن اي واحمل
اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق
عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر وتقديره وارادته جل خالق العباد عن ان يقع في الكون
خلاف ما اراد وما آمن معه الا قليل قال عليه السلام كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم
وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد
نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال
اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها بسم الله متصل باركبوا حالا من الواو اي اركبوا فيها مسمين

الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت
واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء وحذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق
النجم ويجوز ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهي مبتدأ
وخبر يعني ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجريها ومرسيها بذكر اسم الله
اي بسم الله اجراؤها وارساؤها وكان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت وكان اذا اراد ان
ترسو قال بسم الله فرست مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى اما مصدر او وقت وعلى
وحفص ان ربي لغفور لمن آمن منهم رحيم حيث خلصهم وهي تجري بهم متصل بمحذوف
دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في
موج كالجبال يريد موج الطوفان وهي جمع موجة كتمر وتمرة وهو ما يرتفع من الماء عند
اضطرابه بدخول الرياح الشديدة في خلاله شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها
ونادى نوح ابنه كنعان وقيل يام والجمهور على انه ابنه الصلبي وقيل كان ابن امرأته وكان
في معزل عن ابيه وعن السفينة مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده او في معزل عن دين
الله يا بني بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة من قولك يا بنيا
والباقون بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة اركب معنا في السفينة اي اسلم واركب ولا تكن
مع الكافرين قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء يمنعني من الغرق قال لا عاصم
اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله
اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم
معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة
او هو استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا
اتباع الظن وحال بينهما الموج بين ابنه والجبل او بين نوح وابنه فكان من المغرقين فصار
او فكان في علم الله وقيل يا ارض ابلعي ماءك انشفي والبلع النشف ويا سماء اقلعي امسكي
وغيض الماء نقص من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا
من اهلاك قومه واستوت واستقرت السفينة بعد ان طافت الارض كلها ستة اشهر على الجودي
هو جبل بالموصل وقيل بعدا للقوم الظالمين اي سحقا لهم يقال بعد بعدا
وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ولذلك اختص بدعاء السوء
والنظر في هذه الآية من اربع جهات من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة
والكناية وما يتصل بها فنقول انه تعالى لما اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض

الى

الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء فغيض وان
نقضي امر نوح وهو انجاز ما كنا وعدنا من اغراق قومه فقضي وان نسوي السفينة على الجودي فاستوت
وابقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالمأمور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وتشبيه
تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في تكون المقصود تصويرا لاقتداره العظيم وان السموات والارض
منقادة لتكوينه فيهما ما يشاء غير ممتنعة لارادته فيهما تغييرا وتبديلا كانها عقلاء مميزون قد
عرفوه حق معرفته واحاطوا علما بوجوب الانقياد لامره والاذعان لحكمه وتحتم بذل المجهود
عليهم في تحصيل مراده ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام فقال جل وعز قيل على سبيل المجاز عن
الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا ارض ويا سماء ثم
قال مخاطبا لهما يا ارض ويا سماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغؤور الماء في الارض
البلع الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي ثم استعار
الماء للغذاء تشبيها له بالغذاء لتقوي الارض بالماء في الانبات لتقوي الآكل بالطعام ثم قال ماءك
باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالارض كاتصال الملك بالمالك ثم اختار
لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان ثم قال وغيض
الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا ولم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضى
الامر وسوى السفينة وقال بعدا كما لم يصرح بقائل يا ارض ويا سماء سلوكا في كل واحد من
ذلك لسبيل الكناية ان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر
وان فاعلها واحد لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي
ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يكون الغائض والقاضي والمسوي غيره ثم ختم الكلام بالتعريض
تنبيها لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلما لانفسهم اظهارا لمكان السخط وان ذلك العذاب الشديد
ما كان الا لظلمهم ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير
فيما بين جملها وذلك انه اختير يا دون اخواتها لكونها اكثر استعمالا ولدلالتها على بعد المنادى
الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة والملكوت وابداء العزة والجبروت وهو تبعيد للمنادى
المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا ارضي لزيادة التهاون اذ الاضافة تستدعي القرب ولم يقل
يا ايتها الارض للاختصار واختير لفظ الارض والسماء لكونهما اخف وادور واختير
ابلعي على ابتلعي لكونه اخصر وللتجانس بينه وبين اقلعي وقيل اقلعي ولم يقل عن المطر وكذا
لم يقل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء اقلعي فاقلعت اختصارا واختير غيض على غيض
وقيل الماء دون ان يقال ماء الطوفان والامر ولم يقل امر نوح وقومه لقصد الاختصار

والاستغناء بحرف النهي عن ذلك ولم يقل واستوت على الجودي اى اقرت على جودي جبل
وغيض لاعتبار البناء للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجري بهم ارادة المطابقة قيل
بعدا للقوم ولم يقل ليبعد القوم طلبا للتاكيد مع الاختصار هذا من حيث النظر الى تركيب
الكلام واما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل يا ارض ابلعي ويا سماء
اقلعي ولم يقل ابلعي يا ارض واقلعي يا سماء جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مامورا حقيقة من تقدم
التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقيبه في نفس المنادي قصدا بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم امر
الارض على امر السماء وابتدا به لابتداء الطوفان منها ثم اتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء
واخذه بمجرى تمام ذلك ما هو المقصود من القصة وهو قوله وقضي الامر اى انجز الموعد من
اهلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبر ومن جهة الفصاحة
المعنوية وهي كما ترى نظم المعاني لطيف وتاديه لخصه مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب
المراد ولا التواء يشيك الطريق الى المرتاد ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى
عربية مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسة على
الاسلات كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة ومن ثمة اطبق المعاندون
على ان طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الاية ولله در شان التنزيل لا يتامل العالم اية من اياته
الا ادرك لطايف لا يسع الحصر ولا تظنن الاية مقصورة على المذكور فلعل المتروك اكثر من المسطور
ونادى نوح ربه فقال رب نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعد
في نجية اهله ان ابني من اهلي اى بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا فهو بعض اهله
وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني
ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اى اعلم الحكام واعدلهم اذ لا فضل لحاكم على غيره الا
بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب باقضى
القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبروا واستعبر قال يا نوح انه ليس من اهلك ثم علل لانتفاء كونه
من اهله بقوله انه عمل غير صالح وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك
في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك
ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح
مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار والتقدير انه ذو عمل وفيه اشعار بانه انما انجى من انجى
من اهله لصلاحهم لا لانهم اهله وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوته عمل غير صالح على اي
عملا غير صالح قال الشيخ ابو منصور كان عند نوح عليه السلام ان ابنه كان على دينه لانه كان

ينافق والا لا يحتمل ان يقول ان ابني من اهلي ويسال نجاته وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله
بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فكان يسال على الظاهر الذي عنده كما كان اهل النفاق
يظهرون الموافقة لرسولنا عليه السلام ويضمرون الخلاف ولم يعلم بذلك حتى اطلعه
الله عليه وقوله ليس من اهلك اى من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة
في السر والظاهر فلا تسالن اختلف القراء في الكسر على الياء كوفي تسالني بصري تسالني مدني تسالن شامي
بحذف الياء واجتزي بالكسرة والنون نون التاكيد تسالن مكي ما ليس لك به علم بجواز
مسالته اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم
اى من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لي
ما فرط مني وترحمني بالعصمة عن العود الى مثله اكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط
بسلام منا بتحية منا او سلامة من الغرق وبركات عليك وهي الخيرات النامية وهي في حقه
بكثرة ذريته واتباعه فقد جعل اكثر الانبياء من ذريته وابقى الدين في القرون الباقية من
نسله وعلى امم ممن معك من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا
جماعات او لابتداء الغاية اى على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه
وامم رفع بالابتداء سنمتعهم في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش صفة والخبر محذوف
تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان ممن معك يدل عليه ثم يمسهم منا عذاب اليم
اى في الآخرة والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤون ممن معك وممن
معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة
وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده
من المتاع والعذاب كل كافر تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار
من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك اخبار اى تلك القصة بعض
انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا الوقت او من قبل
ايحائي اليك واخبارك بها فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة
لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين عن الشرك
والى عاد اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا اى ارسلنا الى عاد
اخاهم هودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره بالرفع
صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب
باتخاذكم الاوثان له شركاء يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني ما من رسول
خلقني

الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة ولا يمحضها الا حسم المطامع فما دام يتوهم
شئ منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله
وهو ثواب الآخرة ولا شئ انفى للتهمة من ذلك ويا قوم استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا
اليه من عبادة غيره يرسل السماء اي المطر عليكم مدرارا اي الكثير الدرور ويزدكم
قوة الى قوتكم انما قصد استمالتهم الى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا مدلين بما
اوتوا من شدة البطش والقوة وقيل اراد القوة في المال او على النكاح وقيل حبس عنهم
القطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والاولاد
على الايمان والاستغفار وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج
تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي علمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال الحسن عليكم
بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له
عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سالته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فساله
الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين
ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم وآثامكم
قالوا يا هود ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله عليه السلام
لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك
هو حال من الضمير في تاركي آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن
لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما تدعوهم اليه اقناطا له
من الاجابة ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ان حرف نفي فنفى جميع القول الا قولا
واحدا وهو قولهم اعتراك اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون وخبل وتقديره ما نقول
قولا الا هذا القول اي الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا
اني بريء مما تشركون من دونه اي من اشراككم آلهة من دونه والمعنى اني اشهد الله اني
بريء مما تشركون واشهدوا انتم ايضا اني بريء من ذلك وجيء به على لفظ الامر بالشهادة
كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله
فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم ثم لا تنظرون لا تمهلون فاني لا ابالي بكم وبكيدكم
ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع
وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي اني
توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي مالكها ولما ذكر توكله

على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال
ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ
بالناصية تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم ان ربي على الحق لا يعدل عنه او ان ربي
يدل على صراط مستقيم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم هو في موضع
فقد ثبتت الحجة عليكم ويستخلف ربي قوما غيركم كلام مستانف يريد ويهلككم
الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر
قط اذ لا تجوز عليه المضار وانما تضرون انفسكم ان ربي على كل شئ حفيظ
رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء
كلها حافظا لها وكانت الاشياء مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم ولما جاء
امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه وكانوا اربعة آلاف برحمة منا اي بفضل منا لا بعملهم
او بالايمان الذي انعمنا عليهم ونجيناهم من عذاب غليظ وتكرار نجينا للتاكيد او الثاني
من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه
قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا
بآيات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل
الله لا نفرق بين احد من رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد يريد رؤساءهم
ودعاتهم الى تكذيب الرسل لانهم الذين يجبرون الناس على الامور ويعاندون
ربهم ومعنى اتباع امرهم طاعتهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة لما كانوا
تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين الا ان عادا كفروا ربهم
الا بعدا لعاد وتكرار الا مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وبعث
على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم والدعاء ببعدا بعد هلاكهم وهو دعاء بالهلاك
للدلالة على انهم كانوا مستاهلين له قوم هود عطف بيان لعاد وفيه فائدة لان عادا عادان
الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم والى ثمود اخاهم صالحا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو وانشاؤهم
منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم واستعمركم فيها وجعلكم عمارها واراد منكم عمارتها
او استعمركم من العمرى اي اطال اعماركم فيها وكانت اعمارهم من ثلاثمائة الى الف وكان ملوك فارس
قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم فسال
نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي

فاستغفروه فسلوا مغفرته بالايمان ثم توبوا اليه ان ربي قريب داني الرحمة مجيب لمن
دعاه قالوا يا صالح قد كنت فينا فيما بيننا مرجوا قبل هذا للسيادة والمشاورة في الامور
او كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه اتنهانا ان نعبد ما يعبد
اباؤنا على حكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد مريب موقع في الريبة
من اراب اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة قال يا قوم ارايتم
ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة نبوة اتى بحرف الشك مع انه على يقين
انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني
نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن ينصرني من الله
فمن يمنعني من عذاب الله ان عصيته في تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الاوثان فما تزيدونني
بقولكم اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا غير تخسير بنسبتكم اياي الى الخسار او بنسبتي اياكم الى الخسران
ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية نصب على الحال وعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من
معنى الفعل ولكم حال منها تقدمت عليها لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت
انتصبت على الحال فذروها تاكل في ارض الله اي ليس عليكم رزقها مع ان لكم نفعها ولا
تمسوها بسوء عقر او نحر فياخذكم عذاب قريب عاجل فعقروها يوم الاربعاء
فقال صالح تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها
اي يتصرف او في دار الدنيا ثلاثة ايام ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت ذلك وعد غير مكذوب
اي غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به
او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمعقول فلما جاء امرنا بالعذاب او عذابنا
نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على ان من نجا
انما نجا برحمة الله لا بعمله كما قال عليه السلام لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله ومن
خزي يومئذ باضافة الخزي الى اليوم ولخزي اذا اليوم بالاضافة وبفتحها مدني وعلي لانه مضاف
الى اذ وهو مبني وظروف الزمان اذا اضيف الى الاسماء المبهمة والافعال الماضية بنيت
واكتسبت البناء من المضاف اليه كقوله على حين عاتبت المشيب على الصبا والواو للعطف
وتقديره ونجيناهم من خزي يومئذ اي من ذلة وفضيحته ولا خزي اعظم من
خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وجاز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر
العذاب الغليظ بعذاب الاخرة ان ربك هو القوي القادر على تنجية اوليائه العزيز الغالب
باهلاك اعدائه واخذ الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام فاصبحوا في ديارهم جاثمين

اخبروني

جاثمين ميتين كان لم يغنوا فيها لم يقيموا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم ثمودا حمزة وحفص الا بعدا لثمود
علي على الصرف ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة ولقد جاءت
رسلنا جبريل وميكائيل واسرافيل او جبريل مع احد عشر ملكا ابراهيم بالبشرى بالبشارة بالولد
او بهلاك قوم لوط والاول اظهر قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما قال سلام امركم سلام سلم حمزة
وعلي بمعنى السلام فما لبث ان جاء بعجل فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه
والعجل ولد البقرة وكان مال ابراهيم البقر حنيذ مشوي بالحجارة المحماة فلما راى ايديهم
لا تصل اليه نكرهم نكروا انكر بمعنى وكانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه
والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم
لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه دليله قوله واوجس منهم خيفة اي اضمر منهم
خوفا قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط بالعذاب وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف
فيم ارسلوا وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه وامراته قائمة
وراء الستر تسمع تحاورهم او على رؤوسهم تخدمهم فضحكت سرورا بزوال الخوف
او بهلاك اهل الخبائث او من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب او فحاضت فبشرنا
ها باسحاق وخصت بالبشارة لان النساء اعظم سرورا بالولد من الرجال ولانه لم يكن
لها ولد وكان لابراهيم ولد وهو اسمعيل ومن وراء اسحاق ومن بعده يعقوب بالنصب
شامي وحمزة وحفص بفعل مضمر دل عليه بشرناها اي فبشرناها باسحاق ووهبنا
له يعقوب من وراء اسحاق وبالرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول
في الدار زيد قالت يا ويلتى الالف مبدلة من ياء الاضافة وقرا الحسن يا ويلتي بالياء
على الاصل االد وانا عجوز ابنة تسعين سنة وهذا بعلي شيخا ابن مائة وعشرين سنة
هذا مبتدا وبعلي خبره وشيخا حال والعامل فيه معنى الاشارة التي دلت عليه ذا او معنى
التنبيه الذي دل عليه ها ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد
من حيث العادة قالوا اتعجبين من امر الله قدرته وحكمته وانما انكر الملائكة تعجبها
لانها كانت في بيت الايات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان
تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وان تسبح
الله وتمجد مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة حيث قالوا رحمت الله وبركاته
عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل
بيت النبوة فليست بمكان عجب وكلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك

او بالبشارة باسحاق ويعقوب معا

الازدهاء الاستخفاف

والتعجب فان المثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة
والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم واهل
البيت نصب على النداء او على الاختصاص انه حميد محمود بتعجيل النعم مجيد ظاهر
الكرم بتاجيل النعم فلما ذهب عن ابراهيم الروع الفزع وهو ما اوجس من الخيفة حين
نكر اضيافه وجاءته البشرى بالولد يجادلنا في قوم لوط في معناهم اي لما اطمان قلبه
بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى فرغ للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره
اقبل يجادلنا او يجادلنا جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال والمعنى يجادل
رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم فيها خمسون
مومنا اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا
قال ارايتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان ابراهيم لحليم غير عجول على كل من اساء اليه اواه
كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس منيب تائب راجع
الى الله وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة
فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار
لابيه فقالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك انه قد
جاء امر ربك قضاؤه وحكمه وانهم اتيهم عذاب غير مردود لا يرد بجدال وغير ذلك
عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو اتيهم تقديره وانهم ياتيهم عذاب ثم خرجوا من عند ابراهيم
متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية ابراهيم وقوم لوط اربعة فراسخ ولما جاءت رسلنا
لوطا لما اتوه وراى هياتهم وجمالهم سيء بهم احزن لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث
قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وضاق بهم ذرعا تمييز اي وضاق بمكانهم
صدره وقال هذا يوم عصيب شديد روي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم
لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية
قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا قال ذلك اربع مرات
فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات
ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مرنوا عليها وقل عندهم استقباحها
فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء قال يا قوم هؤلاء بناتي فتزوجوهن اراد لوط
ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا في ذلك
الوقت كما جاز في الابتداء في هذه الامة فقد زوج رسول الله عليه السلام ابنتيه من عتبة بن ابي
لهب وابي العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد لوط ان يزوجهما
ابنتيه هن اطهر لكم احل هؤلاء مبتدا وبناتي عطف بيان وهن فصل واطهر خبر المبتدا
او بناتي خبر وهن اطهر مبتدا وخبر فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا
تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء والياء ابو بكر
عمرو في الوصل في ضيفي في حق ضيوفي فانه اذا اخزي ضيف الرجل وجاره فقد اخزي الرجل
وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل رشيد اي رجل واحد يهتدي
الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة
لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا فمذهبنا اتيان الذكران وانك لتعلم ما نريد عنوا
اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد جواب لو محذوف
اي لفعلت بكم وصنعت والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع
به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته روي انه اغلق بابه
حين جاءوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة
ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك فافتح الباب ودعنا واياهم
ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فاذن له فضرب
بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا اعينهم فصاروا
لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك
جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره فاسر بالوصل
حجازي من سرى باهلك بقطع من الليل طائفة منه او نصفه ولا يلتفت منكم احد لا يتخلف
او لا ينظر الى ما وراءه او لا يتخلف منكم احد الا امراتك مستثنى من فاسر
باهلك وبالرفع مكي وابو عمرو على البدل من احد وفي اخراجها مع اهله روايتان
روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت
وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها
اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين انه مصيبها ما اصابهم
اي ان الامر وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا ان موعدهم الصبح
فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها

سا فلما جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها اى في اسفل قراهم ثم رفعها الى السماء حتى
سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك
قوله وامطرنا عليها حجارة من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل بدليل قوله حجارة من طين منضود
نضد معدا للعذاب قيل نضد بعضه فوق بعض في النزول ليكون مسومة معلمة للعذاب قيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به عند ربك في خزائنه
او في حكمه وما هي من الظالمين ببعيد بشيء بعيد وفيه وعيد لاهل مكة فان جبريل عليه قال
لرسول الله عليه السلام يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من
ساعة الى ساعة او الضمير للقرى اى هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم والى مدين
اخاهم شعيبا هو اسم مدينتهم او اسم جدهم مدين بن ابراهيم اى وارسلنا شعيبا الى ساكني مدين
او الى بني مدين قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال المكيل بالمكيال
والميزان الموزون بالميزان اني اريكم بخير بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة
من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط مهلك من قوله
واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب الاستيصال في الدنيا او عذاب الآخرة
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان اتموهما بالقسط بالعدل نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا
عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول لزيادة الترغيب
فيه وجيء به مقيدا بالقسط اى ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان
ولا تبخسوا الناس اشياءهم البخس النقص كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء
فنهوا عن ذلك ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي والعيث اشد الفساد نحو السرقة والغارة
وقطع السبيل ويجوز ان يجعل البخس والتطفيف عثيا منهم في الارض بقية الله ما ابقى لكم
من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط
ان تؤمنوا نعم بقية الله خير للكفرة ايضا لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف
الا ان فائدتها تظهر مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس
صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبيه على جلالة شانه او المراد ان كنتم مصدقين
لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم
اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا
يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاصنام او ان
نفعل في اموالنا ما نشاء كان شعيب كثير الصلوات وكان قومه يقولون له ما تستفيد بهذه
فكان يقول انها تامر بالمحاسن وتنهى عن القبائح فقالوا له على وجه الاستهزاء اصلواتك تامرك
ان تامرنا بترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا وان نترك التبسط في اموالنا ما نشاء من ايفاء

ونقص وجاز ان يكون الصلوة آمرة مجازا كما سماها الله تعالى ناهية مجازا انك لانت
الحليم الرشيد اى السفيه الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء او انك حليم رشيد عندنا
ولست تفعل بنا ما يقتضيه حالك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه
رزقا حسنا يعني النبوة والرسالة او حلالا من غير بخس وتطفيف وجواب
ارايتم محذوف اى اخبروني ان كنت على حجة واضحة من ربي وكنت نبيا على الحقيقة
ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك
يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت
قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتساله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد
انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح
ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت
ظرف اى مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا وما توفيقي
الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي واذر الا بمعونته وتاييده عليه توكلت
اعتمدت واليه انيب ارجع في السراء والضراء جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول
واحد والى مفعولين ومنه قوله ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم لا يكسبنكم
خلافي اصابة العذاب مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم
صالح وهو الغرق والريح والرجفة وما قوم لوط منكم ببعيد في الزمان فهم اقرب الهالكين
منكم او في المكان فمنازلهم قريبة منكم او فيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوي وسوى
في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي
الصهيل والنهيق ونحوهما واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم بعفو
اهل الجفاء من المؤمنين ودود يحب اهل الوفاء من الصالحين قالوا يا شعيب ما نفقه
كثيرا مما تقول اى لا نفهم صحة ما تقول والا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء
وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك
مكروها ولولا رهطك لرجمناك لولا عشيرتك لقتلناك بالرجم وهو شر قتله وكان رهطه
من اهل ملتهم فلذلك اظهروا الميل اليهم والاكرام لهم وما انت علينا بعزيز اى لا تعز علينا ولا تكرم
حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا وقد
دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل

د رهطك ثم الاعز علينا ولذلك قال في جوابهم يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل
وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب واما قال ارهطي اعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفي رهطه
وانهم الاعزة عليهم دونه لان تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه
كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم
ظهريا ونسيتموه كالشي المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب
كقولهم في النسبة الى الامس امسي ان ربي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شي
منها ويا قوم اعملوا على مكانتكم هي بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او مصدر من
مكن مكانة فهو مكين اذا امكن من الشي يعني اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن
لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد
ويمكنني سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب من استفهامية معلقة لفعل
العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه اي يفضحه واينا هو كاذب
او موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو
كاذب في زعمكم ودعواكم وادخال الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعها وصل
تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا
وعملت انت فقال سوف تعلمون والاتيان بالوجهين للتفنن في البلاغة وابلغهما الاستئناف
وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه
كالضريب بمعنى الضارب او بمعنى المراقب كالعشير او بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع ولما جاء
امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة صاح
بهم جبريل صيحة فهلكوا ولما ذكر في آخر قصة عاد ومدين ولما جاء وفي اوسط قصة ثمود
ولوط فلما جاء لانهما وقعا بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير
مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما
الاخريان فقد وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة
على قصة فاصبحوا في ديارهم جاثمين الجاثم اللازم لمكانه لا يريم يعني ان جبريل عليه السلام صاح
بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا
فيها كأن لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين الا بعدا لمدين البعد بمعنى البعد
وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت ثمود وقرئ بعدت والمعنى في
البنائين واحد وهو نقيض القرب الا انهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره

فغيروا

فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد ولقد ارسلنا موسى
باياتنا وسلطان مبين المراد به العصا لانها ابهرها الى فرعون وملائه فاتبعوا اي الملأ امر فرعون
وما امر فرعون برشيد هو تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين وذلك
انه ادعى الالوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذي لا ياتي الا من شيطان مارد فمثله
بمعزل عن الالهية وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا ان مع موسى الرشد والحق
ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط والمراد وما امره بصالح حميد العاقبة
ويكون قوله يقدم قومه يوم القيمة اي يتقدمهم وهم على عقبه تفسيرا له وايضاحا اي كيف
يرشد امر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويقال
قدمه بمعنى تقدمه فاوردهم النار ادخلهم وجيء بلفظ الماضي لان الماضي يدل على امر موجود
مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة يعني كما كان قدوة لهم في الضلال
كذلك يتقدمهم فيوردهم النار لا محالة يعني وهم يتبعونه وبئس الورد المورود الذي وردوه
شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قال بئس الورد الذي
يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش والنار ضده واتبعوا في هذه اي الدنيا لعنة
ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس
العون المعان او بئس العطاء المعطى ذلك مبتدأ من انباء القرى خبر نقصه عليك خبر
بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها من القرى قائم وحصيد
اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد والجملة مستأنفة
لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما
اغنت عنهم آلهتهم فما قدرت ان ترد عنهم باس الله التي يدعون وهي حكاية حال ماضية من
دون الله من شيء لما جاء امر ربك عذابه ولما منصوب بما اغنت وما زادوهم غير تتبيب تخسير
يقال تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران يعني وما افادتهم عبادة غير الله شيئا بل
اهلكتهم وكذلك محل الكاف الرفع اي ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك اذا اخذ القرى اي اهلها
وهي ظالمة حال من القرى ان اخذه اليم وجيع صعب على الماخوذ وهذا تحذير لكل قرية
ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل ظالم ان يبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ان في ذلك فيما قص
الله من قصص الامم الهالكة لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة اي اعتقد صحته ووجوده
ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس يوم مرفوع
مجموع كما يرفع فعله اذا قلت يجمع له الناس وانما اوثر اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول

من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون
منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه فاتسع فى الظرف
باجرائه مجرى المفعول به اى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد وما نؤخره
اى اليوم المذكور الا لاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهاها والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها
فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف او ما نؤخر
هذا اليوم الا لينتهى المدة التى ضربناها لبقاء الدنيا يوم يات وبالكيا مكى وابقاه ابو عمرو ونافع وعلى
فى الوصل واثبات اليا هو الاصل اذ لا علة توجب حذفها وحذف اليا والاجتزاء عنها بالكسرة
كثير فى لغة هذيل ونظيره ما كنا نبغ وفاعل يات ضمير يرجع الى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم
المضاف الى يات ويوم منصوب باذكر او بقوله لا تكلم اى لا تتكلم نفس الا باذنه اى لا ينفع احد
احد الا باذن الله من الذى يشفع عنده الا باذنه لجنهم العظمى لاهل الموقف لدلالة لا تكلم
عليه وقد مر ذكر الناس فى قوله مجموع له الناس شقى معذب وسعيد اى ومنهم سعيد
اى منعم فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير تنفيس الحار والشهيق
رده او اخراج النفس ورده والجملة فى موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذى
فى النار خالدين فيها حال مقدرة ما دامت السموات والارض فى موضع النصب اى مدة
دوام السموات والارض والمراد سموات الاخرة وارضها وهى دائمة مخلوقة للابد والدليل
على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقيل ما دام
فوق وتحت ولانه لا بد لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم اما سما او عرش
وكل ما اظلك فهو سما او هو عبارة عن التابيد ونفى الانقطاع كقول العرب ما لاح كوكب
وغير ذلك من كلمات التابيد الا ما شاء ربك هو استثنا من الخلود فى عذاب النار وذلك
لان بعض اهل النار لا يخلدون فى عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وانواع من
العذاب سوى عذاب النار او ما شاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون
الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من اهل الجنة ايضا لمفارقتهم اياها بكونهم
فى النار اياما فهؤلاء لم يشقوا شقاء من يدخل النار على التابيد ولا سعدوا سعادة من لا
يمسه النار وهو مروى عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضى الله عنهم ليعم ان ربك
فعال لما يريد بالشقى والسعيد واما الذين سعدوا سعدوا حمزة وعلى وحفص سعد لازم
وسعده يسعده متعد ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
هو استثنا من الخلود فى نعيم الجنة وذلك ان لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها وهو

اوم

وهو رؤية الله تعالى ورضوانه او معناه الا من شاء ان يعذبه بقدر ذنبه قبل ان يدخل الجنة
وعن ابى بردة عن النبى عليه السلام انه قال الاستثنا فى الايتين لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا انه لا يكون
للمسلم العاصى الذى دخل النار خلود فى النار حيث يخرج منها ولا يكون له ايضا خلود فى الجنة لانه لم يدخل
الجنة ابتداء والمعتزلة لما لم يروا لخروج العصاة من النار رد والاحاديث المروية فى هذا الباب
وكفى به اثباتا عطاء غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون
وهو نصب على المصدر اى اعطوا عطاء قيل كفرت الجهمية باربع ايات عطاء غير مجذوذ
اكلها دائم ما عندكم ينفد وما عند الله باق لا مقطوعة ولا ممنوعة لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما حل
بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء اى فلا تشك بعد ما انزل
من هذه القصص فى سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم فهو تسلية لرسول
الله وعدة بالانتقام منهم ووعيد لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم
من قبل يريد ان حالهم فى الشرك مثل حال ابائهم وقد بلغك ما نزل باباءهم فسينزل
بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهى عن المرية وما فى مما وكما مصدرية او موصولة
اى من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدونه من الاوثان ومثل ما يعبدونه منها وانا لموفوهم
نصيبهم حظهم من العذاب كاباءهم او منه نصيبهم من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه
غير منقوص حال من النصيب ليفيد التوكيد
اى كاملا ولقد اتينا موسى الكتاب التوراة فاختلف فيه امن به قوم وكفر به قوم
كما اختلف فى القران وهو تسلية لرسول الله عليه ولولا كلمة سبقت من ربك انه
لا يعاجلهم بالعذاب لقضى بينهم بين قوم موسى او قومك بالعذاب المستاصل وانهم
لفى شك منه من القران او من العذاب مريب موقع فى الريبة اذا كان ذا ريبة على الاسناد
المجازى وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه يعنى وان كلهم اى وان جميع المختلفين
فيه وان مشددة لما مخفف بصرى وعلى لما مزيدة جى بها ليفصل بها بين لام ان ولام ليوفينهم
وهو جواب قسم محذوف واللام فى لما توطئة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك
اعمالهم اى جزاء اعمالهم من ايمان وجحود وحسن وقبح بعكس الاول ابو بكر
مخففتان مكى ونافع على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذى هو التثقيل ولان
ان تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وقد يحذف نحو لم يكن ولم يك فكذا المشبه به مشددتان
لمن غيرهم وهو مشكل واحسن ما قيل فيه انه من لممت الشى جمعته لما ثم وقف فصار لما ثم
اجرى الوصل مجرى الوقف وجاز ان يكون مثل الدعوى والثروى وما فيه الف التانيث
من المصادر وقرا الزهرى وان كلا لما بالتنوين كقوله اكلا لما وهو يؤيد ما ذكرنا والمعنى

وان كلا ملوّنين اى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون
وقال صاحب الايجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل الكلام اختصار كانه قيل
وان كلا لما بعثوا ليوفينهم ربك اعمالهم وقال الكسائي ليس لي بتشديد لما علم انه بما تعملون خبير
فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها غير عادل عنها ومن تاب
معك معطوف على المستتر في استقم وجاز للفاصل بمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب
عن الكفر ورجع الى الله مخلصا ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون
بصير فهو مجازيكم عليه فاتقوه قيل ما نزلت على رسول الله عليه السلام آية كانت اشق
عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني سورة هود ولا تركنوا اي ولا تميلوا الى الذين ظلموا
ولا تميلوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لاتباع الكفرة اي لا تركنوا الى القادة والكبراء
في ظلمهم وفيما يدعونكم اليه فتمسكم النار وقيل الركون اليهم الرضا بكفرهم وقال قتادة لا
تلحقوا بالمشركين وعن الموفق انه صلى خلف الامام فلما قرا هذه الآية غشي عليه
فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله
الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء
الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال رسول الله
عليه السلام من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفيان
عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال
دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم اي فتمسكم النار وانتم
على هذه الحالة عنا. وما لكم من دون الله من اولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم
منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم مولاه لانه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد اي النصرة من الله
مستبعدة واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل
جمع زلفة وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وصلوة الغدوة الفجر
وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء
وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع
النهار وابتدته نصف النهار واوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه
ان الحسنات يذهبن السيئات ان الصلوة الخمس يذهبن الذنوب في الحديث ان الصلوات
الخمس تكفر ما بينها من الذنوب او الطاعات قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها او سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ذلك اشارة الى فاستقم فما بعده او القرآن ذكرى للذاكرين

عظة

عظة للمتعظين نزلت في عمرو بن غزية بائع التمر قال لامراة في البيت تمر اجود فدخلت
فقبلها فندم فجاء حاكيا باكيا فنزلت فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة
لك فقيل اله خاص قال بل للناس عامة واصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه
فلا يتم شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على جميع الاوامر والنواهي
من قوله فاستقم الى واصبر وغير ذلك من حسنات فلولا كان من القرون من قبلكم فهلا كان وهو
موضوع للتحضيض ومخصوص بالفعل اولو بقية اولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية
لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل يقال فلان من بقية
القوم اي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ينهون عن الفساد في الارض
عجب محمدا صلى الله عليه وسلم وامته انه لم يكن في الامم التي ذكر الله اهلاكهم في هذه السورة جماعة من
اولي الفضل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصي الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء منقطع اي
ولكن قليلا ممن انجينا للبيان لا للتبعيض لان النجاة للناهين وحدهم بدليل قوله انجينا الذين
ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا واتبع الذين ظلموا اي التاركون للنهي عن المنكر وهو عطف
على مضمر اي الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا
ما اترفوا فيه اي اتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب
العيش الهني ورفضوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم وكانوا مجرمين
اعتراض وحكم عليهم بانهم قوم مجرمون وما كان ربك ليهلك القرى اللام لتاكيد النفي
بظلم حال من الفاعل اي لا يصح ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن
الظلم وقيل الظلم الشرك اي لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون في المعاملات
فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا آخر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة اي متفقين
على الايمان والطاعات عن اختيار ولكن لم يشا ذلك وقالت المعتزلة هي مشيئة قسر وذلك
ترافع للابتلاء فلا يجوز ولا يزالون مختلفين في الكفر والايمان اي ولكن شاء ان يكونوا مختلفين
لما علم منهم اختيار ذلك الا من رحم ربك الا ناسا عصمهم الله عن الاختلاف فاتفقوا على
دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم اي ولما هم عليه من الاختلاف فمعناه خلقهم للذي علم
انهم يصيرون اليه من اختلاف او اتفاق ولم يخلقهم لغير الذي علم انهم يصيرون اليه كذا شرح
التاويلات وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة
من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبا وهو منصوب بقوله
نقص عليك وقوله من انباء الرسل بيان لكل وقوله ما نثبت به فؤادك بدل من كلا وجاءك في هذه الحق

من القرون ينهون عن الفساد وسايرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا

اي في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين ومعنى تثبيت
فؤاده زيادة يقينه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم
اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون على مكانتنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون
ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله تعالى من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات والارض
لا يخفى عليه خافية مما يجري فيها فلا تخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد
ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم يُرجَع نافع وحفص فاعبده وتوكل عليه فانه
كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما يعملون وبالتاء مدني وشامي وحفص اي انت وهم
على تغليب المخاطب قيل خاتمة التورية هذه الآية وفي الحديث من احب ان يكون
اقوى الناس فليتوكل على الله سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة
اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات الكتاب السورة الظاهر امرها
في اعجاز العرب او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة
التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد بين فيها ما سألت عنه
اليهود من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمدا لم انتقل
آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف في حال كونه عربيا انا انزلناه قرآنا
عربيا اي انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا وسمي بعض
القرآن قرآنا لانه اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون لكي تفهموا
معانيه ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته نحن نقص عليك احسن القصص
نبين لك احسن البيان والقاص الذي يأتي بالقصة على حقيقتها عن الزجاج وقيل القصص
يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا ويكون فعلا بمعنى مفعول
كالنفض فعلى الاول معناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القرآن
اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه و
المقصوص محذوف لان بما اوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه والمراد باحسن الاقتصاص
انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب فانك لا ترى اقتصاصه في كتب الاولين مقاربا
لاقتصاصه في القرآن وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص
من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب التي ليست في غيرها

والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال فلان اعلم الناس اي في فنه واشتقاق القصص من قص
اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا وان كنت من قبله لمن الغافلين
الضمير لما اوحينا لمن الغافلين عنه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية يعني
وان الشأن والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الجاهلين به اذ قال بدل الاشتمال من احسن
القصص لان الوقت مشتمل على القصص او التقدير اذكر اذ قال يوسف اسم عبراني اذ لو كان
عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف لابيه يعقوب يا ابت يا ابت شامي وهي
تاء تأنيث عوضت عن ياء الاضافة لتناسبهما في ان كل واحد منهما زيادة في آخر الاسم ولهذا تقلب
هاء في الوقف وجاز الحاق تاء التانيث بالمذكر كما في رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة
ومن فتح التاء فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام
اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية احد عشر كوكبا اسماؤها بيان النبي عليه السلام جريان والطارق
والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين
والشمس والقمر تمّا ابواه او ابوه وخالته والكواكب اخوته قيل الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب مع
الشمس والقمر واجريت مجرى العقلاء رأيتهم لي ساجدين لانه وصفها بما هو المختص بالعقلاء
وهو السجود وكررت الرؤية لان الاولى يتعلق بالذات والثانية بالحال او الثانية كلام مستانف
على تقدير سؤال وقع جوابا له كان اباه قال له كيف رأيتها فقال رأيتهم لي ساجدين اي متواضعين
وهو حال وكان ابن ثنتي عشرة سنة يومئذ وكان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون
سنة او ثمانون قال يا بني بالفتح حفص لا تقصص رؤياك هي بمعنى الرؤية الا انها
مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما في القربة والقربى
على اخوتك فيكيدوا لك جواب النهي اي ان قصصتها عليهم كادوك عرف يعقوب عليه السلام
ان الله يصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه حسد الاخوة ولما لم
يقل فيكيدوك كما قال فكيدوني لانه ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى
الفعل المضمن فيكون اكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر و
ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فيحملهم على الحسد والكيد وكذلك ومثل ذلك
الاجتباء الذي دل رؤياك عليه يجتبيك ربك يصطفيك والاجتباء الاصطفاء افتعال
من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته ويعلمك كلام مبتدأ
غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تأويل الاحاديث احاديث الانبياء
وكتب الله وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب

بان وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة اى جعلهم انبياء فى الدنيا وملوكا ونقلهم عنها
الى الدرجات العلى فى الجنة وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره
على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبى وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولكن اهله
وآباءهم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذا قال
وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل اراد الجد واب الجد ابراهيم واسحاق عطف بيان
لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم يضع الاشياء مواضعها لقد كان فى
يوسف واخوته اى فى قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته
فى كل شئ آية مكى للسائلين لمن سأل عن قصتهم وعرفها او آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود
عنها فاخبرهم من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب واساميهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى
وزبالون ويشجر امهم ليا بنت ليان ودان ونفتالى وجاد واشر من سريتين زلفة
وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا اللام لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان
زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه وانما قالوا اخوه وهم اخوته ايضا لان امهما
كانت واحدة وانما قيل احب فى الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما
فوقه ولا بين المذكر والمؤنث ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف ساغ الامران
والواو فى ونحن عصبة للحال اى انه يفضلهما فى المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما
ونحن عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه ونحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة
عليهما ان ابانا لفى ضلال مبين غلط فى تدبير امر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة فى الدين لكفروا
والعصبة العشرة فصاعدا اقتلوا يوسف من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كأنهم
اطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون والباقون كانوا
راضين فجعلوا آمرين او اطرحوه ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها
عن الوصف ولهذا الابهام نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة
واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها فكان ذكر الوجه لتصوير
معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشئ اقبل بوجهه وجاز ان يراد بالوجه الذات كما قال
ويبقى وجه ربك وتكونوا مجزوم عطفا على يخل لكم من بعده من بعد يوسف اى من بعد كفايته
بالقتل او التغريب او من بعد قتله او طرحه فيرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا قوما
صالحين تائبين الى الله عما جنيتم عليه او يصلح حالكم عند ابيكم قال قائل منهم هو يهوذا وكان

احسنهم

احسنهم فيه رايا لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه فى غيابت الجب فى قعر البئر وما
غاب منه عن الناظر غيابات وكذا ما بعده مدنى يلتقطه بعض السيارة بعض الاقوام الذين
يسيرون فى الطريق ان كنتم فاعلين به شيئا قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا بالادغام على يوسف
وانا له لناصحون اى لم تخافنا عليه ونحن نريد به الخير ونشفق عليه وارادوا بذلك
لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته فى حفظه منهم وفيه دليل على انه احس
منهم بما اوجب ان لا يامنهم عليه ارسله معنا غدا يرتع فى اكل الفواكه وغيرها والرتعة السعة
ويلعب يتفرج بما يباح كالصيد والرمى والركض بالياء فيهما مدنى وكوفى وبالنون فيهما
مكى وشامى وابو عمرو وبكسر العين حجازى من ارتعى يرتعى افتعال من الرعى وانا له لحافظون
من ان يناله مكروه قال انى ليحزننى ان تذهبوا به اى يحزننى ذهابكم به واللام لام الابتداء
واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون اعتذر اليهم بان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان
لا يصبر عنه ساعة وانه يخاف عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم قالوا
لئن اكله الذئب اللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب والواو فى
ونحن عصبة للحال اى فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال انا اذا لخاسرون جواب للقسم
مجزى عن جواب الشرط اى ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرنا
واجابوا عن عذره الثانى دون الاول لان ذلك كان يغيظهم فلما ذهبوا به واجمعوا
ان يجعلوه فى غيابت الجب اى عزموا على القائه فى البئر وهى بئر على ثلاثة فراسخ من
منزل يعقوب وجواب لما محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى
انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا
فلما ارادوا القاءه فى الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا
يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على ابيهم ودلوه فى البئر وكان فيها ماء
فسقط فيه ثم آوى الى الصخرة فقام عليها وهو يبكى وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى
ان ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة
فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله فى تميمة علقها فى عنق يوسف
فاخرجه جبريل والبسه اياه واوحينا اليه قبل ادراكه اوحى اليه فى الصغر كما اوحى الى
يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا لتنبئنهم بامرهم هذا اى لتحدثن اخوتك
بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وذلك
انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه

عليه ثم نفتش فطن فقال انه ليحسن في هذا الحلم انه كان بكم اخ من ابيكم يقال له
يوسف وانكم القيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيه اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس
او ينبئهم وهم لا يشعرون واوحينا اي آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم
لا يشعرون ذلك وجاءوا اباهم عشاء يبكون للاستناد والتجري على الاعتذار
يبكون حال عن الاعمش لا يصدق باكية بعد اخوة يوسف فلما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم
يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما بالكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
اي نتسابق في العدو او في الرمي والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتماء والترامي وغير
ذلك وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا
ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف
وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وجاءوا على قميصه بدم كذب او وصف بالمصدر
مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روي
انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه عليه قميصه وقيل كان في قميص
يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب عليه السلام على كذبهم والقاه على وجهه فارتد
بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر ومحل على قميصه النصب على الظرف
كانه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم قال يعقوب بل سولت زينت او سهلت لكم انفسكم
امرا عظيما ارتكبتموه فصبر جميل خبر او مبتدأ لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر
جميل امثل وهو ما لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان اي استعينه على احتمال ما تصفون
من هلاك يوسف والصبر على الرزية فيه وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين
الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا
منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف
فارسلوا واردهم هو الذي يرد الماء ليستقي للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه
ارسل الدلو ليملاها فتشبث يوسف بالدلو فنزعوه قال يا بشرى كوفي نادى البشرى كانه
يقول تعالى فهذا اوانك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه او هو اسم غلامه فناداه
مضافا الى نفسه هذا غلام قيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم
به واسروه الضمير للوارد واصحابه واخفوه من الرفقة او لاخوة يوسف فانهم
قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه
بضاعة حال اي اخفوه متاع التجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع

وروي ان يعقوب لما سمع خبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق [illegible]

والله عليم بما يعملون بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه باعوه
بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف دراهم بدل من ثمن معدودة
قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا يعدون ما دون الاربعين ويزنون الاربعين وما فوقها
وكانت عشرين درهما وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بالثمن الطفيف
او معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين غير راغبين لانهم اعتقدوا
انه آبق ويروى ان اخوته اتبعوهم وقالوا استوثقوا منه لا يأبق وفيه ليس من صلة
الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا
فقال زهدوا فيه وقال الذي اشتراه من مصر هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن
مصر والملك يومئذ ريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في حياته واشتراه
العزيز بزنته ورقا وحريرا ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث
عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الملك والحكمة
والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة لامرأته راعيل
او زليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي
حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي وعن الضحاك بطيب معاشه ولين
لباسه ووطيء فراشه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها
نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله او نتخذه ولدا او نتبناه ونقيمه مقام الولد
وكان قطفير عقيما وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وكذلك اشارة الى ما تقدم
من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك
الانجاء والعطف مكنا ليوسف اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناه
في الارض اي ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تأويل
الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين والله غالب على امره لا يمنع عما يشاء او على
امر يوسف بتبليغه ما اراد له دون ما اراد اخوته ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك
ولما بلغ اشده منتهى اشتداد قوته وهو ثماني عشرة سنة او احدى وعشرين آتيناه حكما
حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه او حكما بين الناس وفقها وكذلك
نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وراودته التي
هو في بيتها عن نفسه اي طلبت يوسف ان يواقعها والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا
جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشيء

الذى لا يريد ان يخرجه من بينه بحال ان يطلع عليه ويأخذ منه وهى عبارة عن التمحل لموافقته اياها وغلقت الابواب وكانت سبعة وقالت هيت لك هلم لتعال واقبل وسويتى على الفتح هيت كلى بناو على الضم هيت مدنى وشامى واللام للبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان والحديث ربى سيدى ومالكى يريد قطفير احسن مثواى حين قال لك اكرمى مثواه فاجزاؤه ان اخونه فى اهله انه لا يفلح الظالمون الخائنون او الزناة او اراد بقوله انه ربى الله تعالى لانه مسبب الاسباب ولقد همت به هم عزم وهم بها هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ ابو منصور وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بانه من عباده المخلصين وقيل وهم بها وشارف ان يهم بها يقال هم بالامر اذا قصده وعزم عليه وجواب لولا ان رأى برهان ربه اى لكان ما كان محذوف وقيل وهم بها جوابه ولا يصح لان جواب لولا لا يتقدم عليه لانه فى حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة ويجوز ان يكون وهم بها داخلا فى حكم القسم فى قوله ولقد همت به ويجوز ان يكون خارجا ومن حق القارى اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على به ويبتدئ بقوله وهم بها وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين وفسر هم يوسف بانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهى مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها مرتين فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وهو باطل ويدل على بطلانه قوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب ولو كان ذلك منه ايضا لما برأ نفسه من ذلك وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن السوء مصروفا عنه وقوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب ولو كان كذلك لخان بالغيب وقوله ما علمنا عليه من سوء الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ولانه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان لآدم ونوح وذى النون وداود عليهم السلام وقد سماه الله تعالى مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت فى ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة اولى العزم ناظرا فى دليل التحريم حتى استحق من الله الثناء ومحل الكاف فى كذلك نصب اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه او رفع اى الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين بفتح اللام حيث كان مدنى وكوفى اى الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وبكسرها غيرهم اى الذين اخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا اى هو مخلص من جملة المخلصين واستبقا الباب وتسابقا الى الباب فى الطلب وهو للهرب على حذف الجار وايصال

العوذ

الفعل كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفرمنها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج ووحد الباب وان كان جمعه فى قوله وغلقت الابواب لانه اراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اى انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا سيدها لدى الباب وصادفا بعلها قطفير مقبلا يريد ان يدخل فلما رأته احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة ولتخويف يوسف طمعا فى ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها حيث قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافية اى ليس جزاؤه الا السجن او عذاب اليم وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا لانها قصدت العموم اى كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه قال هى راودتنى عن نفسى ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها وشهد شاهد من اهلها هو ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صبيا فى المهد وسمى قوله شهادة لانه ادى مؤدى الشهادة فى ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والتقدير وشهد شاهد فقال ان كان قميصه وانما دل قد قميصه من قبل على انها صادقة لانه يسرع خلفها ليلحقها فيعثر فى مقادم قميصه فيشقه ولانه يقبل عليها وهى تدفعه عن نفسها فيتخرق القميص من قبل وانما نكرن قبل ودبر معناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وانما جمع بين ان الذى هو للاستقبال وبين كان لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد فلما راى قطفير قميصه قد من دبر وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو الاحتيال لنيل الرجال من كيدكن الخطاب لها ولامثالها ان كيدكن عظيم لانهن الطف كيدا واعظم حيلة وبذلك يغلبن الرجال والقصريات منهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال

لهن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب
مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث
به ثم قال لراعيل واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين
للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث
وكان العزيز رجلا حليما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول وقال نسوة جماعة
من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة
صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتانيثها غير حقيقي
ولذلك لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امرأة العزيز تراودن
القطفير والعزيز الملك بلسان العرب تراود فتيها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي
وجاريتي عن نفسه لتنال شهوتها منه قد شغفها حبا تمييز اي قد شغفها حبه بمعنى خرق
حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف قيل هي جلدة محيطة بالفؤاد حجاب القلب
او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب انا لنراها في ضلال مبين في خطاء وبعد عن طريق
الصواب فلما سمعت راعيل بمكرهن باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت
عبدها الكنعاني ومقتها وسمى الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر
مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها وافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل
دعت اربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات واعتدت وهيات افعلت من العتاد
لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق فقصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات
والسكاكين في ايديهن ان يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فيقع ايديهن
على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت بشيء وقعت يده على يده واتت كل واحدة
منهن سكينا وكانوا لا ياكلون في ذلك الزمان الا بالسكاكين كفعل الاعاجم وقالت اخرج
عليهن بكسر التاء وضمها بصري وعاصم وحمزة وبضمها غيرهم فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن
ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق وكان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل
القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على
الجدران وكان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة
وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت اذ لا يقال النساء قد حضنه لانه لا يتعدى
الى مفعول يقال اكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض
تخرج من حد الصغر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا

الجمال

الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدود العواتق وقطعن ايديهن وجرحنها
كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها اي اردن ان يقطعن الطعام
الذي في ايديهن فدهشن لما رأينه فخدشن ايديهن وقلن حاش لله حاشا كلمة
تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد وهو حرف من
حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه
الله وقراءة ابي عمرو حاشا لله نحو قولك سبحانك كانه قال براءة ثم قال لله لبيان من
يبرأ وينزه وغيره حاش لله بحذف الالف الاخيرة والمعنى تنزيه الله من صفات
العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم نفين
عنه البشرية لغرابة جماله واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم لما ركز في الطباع ان لا
احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان قالت فذلكن الذي لمتنني فيه
تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم
تصورنه والا لعذرتنني في الافتتان به ولقد راودته عن نفسه فاستعصم الاستعصام
بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة يجتهد في الاستزادة
منها وهذا بيان جلي على ان يوسف عليه السلام بريء مما فسر به اولئك الفريق الهم والبرهان
ثم قلن له اطع مولاتك فقالت راعيل ولئن لم يفعل ما آمره الضمير راجع الى ما وهي موصولة
والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير او مصدرية والضمير يرجع
الى يوسف اي ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه ليسجنن ليحبسن
وليكونا والالف فيه بدل من نون التاكيد الخفيفة من الصاغرين مع السراق والسفاك
والاباق كما سرق قلبي وابق مني وسفك دمي بالفراق فلا يهنو الطعام والشراب
والنوم هنالك كما منعني ذلك ولم يرض بمثلي في الحرير على السرير اسير الحصل في
الحصير حصيرا فلما سمع يوسف تهديدها قال رب السجن احب الي مما يدعونني
اليه اسند الدعوة اليهن لانهن قلن له ما عليك لو اجبت مولاتك وافتتنت على
كل واحدة به فدعته الى نفسها سرا فالتجا الى ربه وقال رب نزول السجن احب
الي من ركوب المعصية والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الله في طلب العصمة اصب
اليهن امل اليهن والصبو الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب
نسيمها وروحها واكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى
لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء ولما كان في قوله والا تصرف عني كيدهن

معنى طلب الصرف والدعاء قال فاستجاب له ربه اى اجاب الله دعاءه فصرف كيدهن
انه هو السميع بدعوات الملتجئين اليه العليم بحاله وحالهن ثم بدا لهم فاعل بدا مضمر
لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اى ظهر لهم راى والضمير لهم
للعزيز واهله من بعد ما راوا الآيات وهى الشواهد على براءته كقد القميص وشهادة الصبي
وغير ذلك ليسجننه لابراء عذر الحال وارخاء الستر على القيل والقال وما كان ذلك الا
باستنزال المراة لزوجها وكان مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه فى يدها وقد طمعت ان
يذلله السجن ويسخره لها او خافت عليه العيون وظنت فيه الظنون فالجاها
الخجل من الناس والوجل من الياس الى ان رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب
لتشتفي بخبره اذا منعت من نظره حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا
حتى تبصر ما يكون منه ودخل معه السجن فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه
بتهمة السم فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف لان مع تدل على معنى الصحبة تقول
خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له قال
احدهما اى شرابيه انى ارانى اى فى المنام وهى حكاية حال ماضية اعصر خمرا اى عنبا
تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وقال الآخر اى خبازه انى ارانى
احمل فوق راسى خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نريك من المحسنين
من الذين يحسنون عبارة الرؤيا او من المحسنين الى اهل السجن فانك تداوي المرضى
وتعزي الحزين وتوسع على الفقير فاحسن الينا بتاويل ما راينا قيل انهما تحالما ليمتحناه
فقال الشرابي انى رايت كانى فى بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب
فقطفتها وعصرتها فى كاس الملك وسقيته وقال الخباز انى رايت كان فوق راسى ثلاث
سلال فيها انواع الاطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما
بتاويله بيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل قبل ان ياتيكما لما استعبراه
ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو
الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام فى السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول
اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيكون كذلك وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما
التوحيد ويعرض لهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته
فى العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه لم يكن من باب التزكية
ذلكما اشارة لهما الى التاويل اى ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى

الي ولم يقل عن تكهن وتنجيم انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون
يجوز ان يكون كلاما مبتدا وان يكون تعليلا لما قبله اى علمني ذلك واوحى به الي لاني رفضت
ملة اولئك وهم اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب
وهي الملة الحنيفية وتكرير هم للتوكيد وذكر الآباء ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه
نبي لما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما فى اتباع قوله والمراد به الترك ابتداء لا انه
كان فيه ثم تركه ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اى شيء كان صنما
او غيره ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
فضل الله فيشركون ولا ينتبهون يا صاحبي السجن يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب
الجنة ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار يريد التفرق فى العدد والتكاثر
اى ان يكون ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد
قهار لا يغالب ولا يشارك فى الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام
ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر من دونه الا اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم اى سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم
لا تعبدون الا اسماء لا مسميات لها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته
بزيد ما انزل الله بها من سلطان حجة ان الحكم اى فى امر العبادة والدين الا لله
ثم بين ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذى دلت عليه
البراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون وهذا يدل على ان العقوبة تلزم العبيد وان
جهلوا اذا امكن لهم العلم بطريقه ثم عبر الرؤيا فقال يا صاحبي السجن اما احدكما يريد الشرابي
فيسقي ربه خمرا سيده حالا يعود الى عمله واما الآخر اى الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه
روي انه قال للاول ما رايت من الكرمة هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة
فانها ثلاثة ايام تمضي فى السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من
السلال ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال ما رايت شيئا فقال يوسف قضي
الامر الذى فيه تستفتيان اى قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما اى ما يجر اليه
من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الآخر وقال للذى ظن انه ناج منهما الظان هو يوسف
عليه السلام ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحى فالظان هو الشرابي
او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه
قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة فانساه الشيطان ذكر ربه

ان ينكر لربه يعني ذلك لربه او عند ربه او فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره
وفي الحديث رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا فلبث
في السجن بضع سنين اي سبعا عند الجمهور والبضع ما بين الثلاث الى التسع وقال الملك اني
ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
لما دنى فرج يوسف راى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته راى سبع بقرات
سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان وراى
سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت
اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها
قيل كان ابتداء بلاء يوسف في الرؤيا ثم كان سبب نجاته ايضا الرؤيا سمان
جمع سمين وسمينة والعجاف المهازيل والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب
في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على نقيضه
وهو سمان ومن دابهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض وهو في الآية دلالة
على ان السنبلات اليابسات كانت سبعا كالخضر لان الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد
في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر
السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر يا ايها الملأ كانه اراد الاعيان
من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون اللام في للرؤيا
للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين او لان المعمول به اذا تقدم على العامل لم يكن
في قوته على العمل فيه مثله اذا تاخر عنه فعضد باللام كقولك عبرت الرؤيا وللرؤيا
عبرت او يكون للرؤيا خبر كان كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه
وتعبرون خبر آخر او حال وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها
كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت
الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات
ورايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر قالوا اضغاث احلام اي هي
اضغاث احلام اي تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة
شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت
لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى وهو حلم واحد تزيدا في
وصف الحلم بالبطلان وجاز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها

واما نحن

وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين ارادوا بالاحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا
تاويل انما التاويل للمنامات الصحيحة او اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل الاحلام
بنحارير وقال الذي نجا من القتل منهما من صاحبي السجن وادكر بالدال هو الفصيح واصله اذتكر فابدلت
الذال دالا والتاء دالا وادغمت الاولى في الثانية لتقارب الحروف وعن الحسن واذكر
ووجهه انه قلبت التاء ذالا وادغم اي تذكر يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد
مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله
رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك انا انبئكم بتاويله انا اخبركم به عمن عنده علمه
فارسلون وبالياء يعقوب فابعثوني اليه لاساله فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها
الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تاويل رؤياه
ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع
سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس الى الملك واتباعه لعلهم يعلمون فضلك
ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك قال تزرعون سبع سنين دابا هو خبر
في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون دليله قوله فذروه في
سنبله وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في وجوب المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه
دابا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا داب في العمل وهو حال من المامورين اي دائبين
فما حصدتم فذروه في سنبله كيلا ياكله السوس الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي
من بعد ذلك سبع شداد ياكلن هو من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن
ما قدمتم لهن اي السنين المجدبة الا قليلا مما تحصنون تحرزون وتخبئون ثم ياتي
من بعد ذلك عام اي من بعد السبع عشرة سنة فيه يغاث الناس من الغوث اي يجاب مستغيثهم
او من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا امطرت وفيه يعصرون العنب والسمسم
والزيتون فيتخذون الاشربة والادهان تعصرون حتى وعلى تاويل البقرات السمان
والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم
بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا كثير الخير غزير النعم وذلك من
جهة الوحي وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن قال ارجع الى ربك
الى الملك فاسأله ما بال النسوة اي حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تثبت وتانى في اجابة الملك
وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون
الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين

الا من عظيم وحزم كبير وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف
في مواقفها وقال عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل
عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت
منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لاسرعت في
الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة ومن كرمه وحسن ادبه انه
لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات
ايديهن ان ربي بكيدهن عليم اى ان كيدهن عظيم لا يعلمه الا الله وهو يجازيهن عليه فرجع
الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة المقطعات ايديهن ودعا امراة
العزيز ثم قال لهن ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا
اليكن قلن حاش لله تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء ذنب قالت
امراة العزيز الآن حصحص الحق ظهر واستقر انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
في قوله هي راودتني عن نفسي ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن
بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به ثم رجع الرسول الى يوسف واخبره بكلام النسوة واقرار امراة
العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف ذلك اى امتناعي من الخروج والتثبت لظهور البراءة
ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب في حرمته وبالغيب حال من الفاعل او المفعول
على معنى وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ليعلم الملك اني لم اخن العزيز وان الله
ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها امانة زوجها ثم
اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لكيلا يكون لها مزكيا وليبين ان ما فيه من الامانة بتوفيق
الله وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية
ولا ازكيها في عموم الاحوال او في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو الخطرة البشرية
لا عن طريق العزم والقصد ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اى ان هذا الجنس يامر
بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا وقت العصمة او هو استثناء منقطع
اى ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل هو من كلام امراة العزيز اى ذلك
الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق
فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته وقلت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها
ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها ربي بالعصمة كنفس

يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت وانما جعل من كلام يوسف
ولا دليل عليه ظاهر لان المعنى يعود اليه وقيل هذا من تقديم القرآن وتاخيره اى قوله ذلك
ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن وقال الملك ائتوني به استخلصه
لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال الملك انك
اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه ومعه
سبعون حاجبا وسبعون مركبا وبعث اليه لباس الملوك فقال اجب الملك فخرج من
السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم
اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور
الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس
ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك
وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان
آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها
الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات فوصف لونهن
واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي
رآها الملك وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فياتيك الخلق من النواحي ويمتارون
منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك قال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه قال
يوسف اجعلني على خزائن الارض ولني خزائن ارضك يعني مصر اني حفيظ امين
احفظها ممن لا يستحقها عليم عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية
وهما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق
وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبياء الى العباد ولعله علم ان احدا غيره لا يقوم
مقامه في ذلك فطلبه ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وفي الحديث رحم الله
اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر
ذلك سنة قالوا وفيه دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر
وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل
الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل
كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى فكان في حكم التابع له وكذلك
ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في الارض ارض مصر وكانت اربعين

فرحنا في اربعين والتمكين الاقتدار واعطاء الملكة يتبوأ منها حيث يشاء اى كل مكان اراد ان
يتخذه منزلا لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه نصيب برحمتنا
من نشاء بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة
ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين في الدنيا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا يريد
يوسف وغيره من المؤمنين الى يوم القيمة وكانوا يتقون الشرك والفواحش قال سفيان
بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا
وماله في الآخرة من خلاق وتلا الاية روى ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم
فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا من لباس آبائي فجلس على السرير ودانت
له الملوك وفوض الملك امره اليه وعزل قطفير ثم مات بعد ذلك فزوجه الملك امرأته
فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم
وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يده الملك وكثير من الناس
وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الثالثة ثم بالعبيد والاماء
في الرابعة ثم بالدور والعقار في الخامسة ثم باولادهم في السادسة ثم برقابهم في السابعة
حتى استرقهم جميعا ثم اعتق اهل مصر عن آخرهم ورد عليهم املاكهم وكان لا يبيع لاحد
من الممتارين اكثر من حمل بعير واصاب ارض كنعان نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب
بنيه ليمتاروا وذلك قوله وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم بلا تعريف
وهم له منكرون لنسيان الذي ولانه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهو اربعون
سنة روى انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فقالوا
نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون
عورة بلادي فقالوا معاذ الله نحن بنو نبي حزين لفقدان ابن كان احبنا اليه وقد امسك
اخاله من امه يتسلى به فقال ايتوني به ان صدقتم ولما جهزهم بجهازهم اعطى
كل واحد حمل بعيره وقرئ بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني
اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين كان قد احسن انزالهم وضيافتهم رغبهم بهذا
الكلام على الرجوع اليه فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي فلا ابيعكم طعاما ولا تقربون
اى فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا فهو داخل في حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل فلا
كيل لكم او هو بمعنى النهي قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد حتى ننتزعه

من يده

من يده وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى قال فدعوا بعضكم رهنا فتركوا عنده
شمعون وكان احسنهم رأيا في يوسف وقال لفتيانه كوفي غير ابي بكر لفتيته وغيرهم الفتيان
جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اى لغلمانه الكيالين اجعلوا بضاعتهم
في رحالهم اوعيتهم وكانت نعالا وادما او ورقا وهو اليق بالدس في الرحال لعلهم يعرفونها يعرفون
حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل
معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا او ربما لا يجدون بضاعة بها يرجعون او ما فيهم من
الديانة يعيدهم لرد الامانة او لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا فلما رجعوا الى
ابيهم بالطعام واخبروه بما فعل قالوا يا ابانا منع منا الكيل يريدون قوله فلا كيل لكم فارسل معنا
اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه يكتل حمزة وعلي اى يكتل اخونا
فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه
من قبل يعني انكم قلتم في يوسف ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون كما تقولون
في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا فتوكل على الله
فيه ودفعه اليهم وهو حال وتمييز حفظا وحافظا حمزة وعلي وحفص وهو ارحم الراحمين
فارجوا ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين قال كعب لما قال فالله خير حافظا قال الله تعالى
وعزتي وجلالي لاردن عليك كليهما ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا
يا ابانا ما نبغي ما للنفي اى ما نبغي في القول ولا نتجاوز الحق او ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان
او ما نريد منك بضاعة اخرى او للاستفهام اى اي شيء نطلب وراء هذا هذه بضاعتنا ردت
الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها اى ان بضاعتنا ردت الينا
فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك اى نجلب لهم الميرة وهي طعام يحمل من غير بلدك
ونحفظ اخانا في ذهابنا ومجيئنا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب اخينا كيل
بعير وسق بعير ذلك كيل يسير سهل عليه متيسر لا يتعاظمه قال لن ارسله معكم حتى تؤتون
موثقا من الله والمعنى حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد ان تحلفوا له بالله وانما جعل
الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما يؤكد به العهود وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه
لتاتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنني به الا ان يحاط بكم فلم تطيقوا الاتيان به
فهو مفعول له والكلام المثبت وهو قوله لتاتنني به في تاويل النفي اى لا تمتنعون من الاتيان به الا
للاحاطة بكم يعني لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهو ان يحاط بكم فهو استثناء من
اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تاويله بالنفي

فلما آتوه موثقهم قيل حلفوا بالله رب محمد قال بعضهم يسكت عليه لان المعنى قال يعقوب الله
على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع غير ان السكتة تفصل بين القول والمقول
وذا لا يجوز فالاولى ان يفرق بينهما بالصوت فيقصد بتقوية النغمة اسم الله وقال يا بني لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة الجمهور على انه خاف عليهم العين لجمالهم وجلالة امرهم
ولم يامرهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين في الكرة الاولى فالعين حق عندنا وجوده
بان يحدث الله تعالى عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا وكان النبي عليه السلام
يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وانكر
الجبائي العين وهو مردود بما ذكرنا وقيل احب ان لا يفطن بهم اعداؤهم فيحتالون لاهلاكهم
وما اغني عنكم من الله من شيء اي ان كان الله اراد بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به
عليكم من التفرقة وهي مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون التوكل
تفويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان
يغني عنهم دخولهم من ابواب متفرقة من الله من شيء اي شيء قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم
من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف
المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته
عليهم وانه لذو علم بقوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر لما علمناه بتعليمنا اياه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وحده
فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه
على مائدته وجعل يواكله فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك
ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم قال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس
فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم ما اعلمتك
روي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل
الى ذلك الا ان اشهرك بما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي
عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم فقال افعل فلما جهزهم بجهازهم هيا اسبابهم
واوفى الكيل لهم جعل السقاية وهي مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها وهي
الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به الطعام وكان يشبه الطاس
من فضة او ذهب في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد آذنه اي اعلمه واذن اكثر الاعلام
ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم

فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك ايتها العير هي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء
والمراد اصحاب العير انكم لسارقون كناية عن سرقتهم اياه من ابيه قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون
قالوا نفقد صواع الملك هو الصاع ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد
اني بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله قالوا
تالله قسم فيه معنى التعجب عما اضيف اليهم لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض
استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم حيث دخلوا وافواه رواحلهم
مشدودة لئلا يتناول زرعا وطعاما لاحد من اهل السوق وللتهمة ولانهم ردوا بضاعتهم
التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة قالوا فما جزاؤه الضمير
للصواع اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه
من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل
يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ
السارق نفسه هو جزاؤه لا غير جزاؤه مبتدا والجملة الشرطية كما هي خبره كذلك نجزي الظالمين
اي السارقين بالاسترقاق فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه فبدا بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء
بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر
في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اي الصواع من وعاء اخيه ذكر ضمير الصواع
مرات ثم انثه لان التانيث يرجع الى السقاية او لان الصواع يذكر ويؤنث الكاف في كذلك
في محل النصب اي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف بان علمناه اياه ما كان لياخذ اخاه في
دين الملك تفسير للكيد وبيان له لان الحكم في دين الملك اي في شرعه للسارق ان يغرم مثلي
ما اخذ لا ان يستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان ياخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه نرفع درجات
بالتنوين كوفي من نشاء اي في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وفوق كل ذي علم عليم فوقه
ارفع درجة منه في علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل قالوا ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل اراد به يوسف قيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب
كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان في المنزل دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت منطقة لابراهيم
عليه السلام يتوارثها الاكابر فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت
يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها
فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من
اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها

حقيبات وروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء واقبلوا
عليه فقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل ما يزال لنا منكم بلاء اخذتم باخينا مكتوق
ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم فاسرها اى مقالتهم انه سرق كاذبا يوسف
يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا تمييز اى انتم شر منزلة فى السرق لانكم سرقتم اخاكم
يوسف من ابيه والله اعلم بما تصفون تقولون او تكذبون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا
فى السن او فى القدر فخذ احدنا مكانه بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد فان اباه
يتسلى به عن اخيه المفقود انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان
فاجر على عادتك ولا تغيرها قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده اى نعوذ
بالله معاذا من ان ناخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من انا اذا لظالمون اذن
جواب وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا وهذا لانه وجب على فتياكم اخذ
من وجد الصواع فى رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما فى مذهبكم فلم تطلبون
ما عرفتم انه ظلم فلما استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة كما مر فى فاستعصم منه
يوسف واجابته اياهم خلصوا انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم
نجيا ذوى نجوى او فوجا نجيا اى متناجيا يناجى بعضهم بعضا او تمحضوا تناجيا
لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم فى انفسهم صورة التناجى وحقيقته
فالنجى يكون بمعنى المناجى كالسمير بمعنى المسامر وبمعنى المصدر الذى هو التناجى وكان تناجيهم
فى تدبير امرهم على اى صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم فى شان اخيهم قال كبيرهم
فى السن وهو روبيل او فى العقل والراى وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا
ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف وما مزيدة اى ومن
قبل هذا قصرتم فى شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم او مصدرية ومحل المصدر الرفع على
الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم فى يوسف فلن ابرح
الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لى ابى فى الانصراف اليه او يحكم الله لى بالخروج منها
او بالموت او بقتالهم وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا بالعدل ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا
ان ابنك سرق وقرئ سرق اى نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من
سرقته وتيقنا اذ الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق
حين اعطيناك الموثق وسأل القرية التى كنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان
من جيران يعقوب وانا لصادقون فى قولنا فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم

قال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يسترق لولا
فتواكم وتعليمكم فصبر جميل عسى الله ان ياتينى بهم جميعا بيوسف واخيه وكبيرهم انه هو العليم
بحالى وحالهم الحكيم الذى لم يبتلنى بذلك الا لحكمة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة
لما جاؤا به وقال يا اسفى على يوسف اى يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف
بدل من ياء الاضافة والتجانس بين الاسف ويوسف غير متكلف ونحوه اثاقلتم الى الارض
ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه ويحسبون انهم يحسنون صنعا ومن سبا بنبا وانما تاسف
على يوسف دون اخيه وكبيرهم لتمادى اسفه على يوسف دون الاخرين وفيه دليل على ان
الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا وابيضت عيناه اذ اكثر الاستعبار محقت
العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمى بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا
من الحزن كان الحزن سبب البكاء الذى حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن
قيل فقد بصره وقيل كان لا يدرك ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى
حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب ويجوز للنبى ان يبلغ به
الجزع ذلك المبلغ لان الانسان مجبول عليه لا يملك نفسه عند الحزن ولذلك حمد
صبره ولقد بكى رسول الله عليه السلام على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا
نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما المذموم الصياح والنياحة
ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده ولا يظهر
ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله اذ نادى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه
قالوا تالله تفتؤا اى لا تفتؤ فحذف حرف النفى لانه لا يلتبس بالاثبات اذ لو كان اثباتا لم يكن
بد من اللام والنون ومعنى لا تفتؤ لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا مشفيا على الهلاك مرضا
او تكون من الهالكين قال انما اشكوا بثى وحزنى الى الله البث اصعب الهم الذى لا يصبر عليه صاحبه
فيبثه الى الناس اى ينشره اى لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربى داعيا وملتجئا اليه
فخلونى وشكايتى وروى انه قد اوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم
مسكين فلم تطعموه وان احب خلقى الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل
اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون واعلم من رحمته
انه ياتينى بالفرج من حيث لا احتسب وروى انه رأى ملك الموت فى منامه فسأله هل قبضت روح
يوسف فقال لا والله هو حى فاطلبه وعلمه هذا الدعاء يا ذا المعروف الدائم الذى لا ينقطع ابدا ولا
يحصيه غيرك فرج عنى يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما

تعمل من التحسس وهو المعرفة ولا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه
انه الامر والشان لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لان من آمن يعلم انه متقلب
في رحمة ونعمته واما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلبه في رحمته فييئس من رحمته فخرجوا
من عند ابيهم راجعين الى مصر فلما دخلوا عليه على يوسف قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا
الضر الهزال من الشدة والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة
عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته قيل كانت دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة
وقيل كانت صوفا وسمنا فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا
بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا او هب لنا اخانا ان الله يجزي المتصدقين
ولما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم
يتمالك ان عرفهم نفسه حيث قال هل علمتم ما فعلتم اي هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم
جاهلون لا تعلمون قبحه او واذ انتم في حد السفه والطيش وفعلتم باخيه تفريقهم اياه
للعز بانفراده عن اخيه لابيه وامه وايذاءهم له بانواع الاذى قالوا ائنك بهمزتين كوفي وشامي
لانت يوسف اللام لام الابتداء وانت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبر ان قال انا يوسف و
هذا اخي وانما ذكر اخاه وهم قد سالوا عن نفسه لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سالوا عنه
قد من الله علينا بالالفة بعد الفرقة ذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ بالملامة انه
من يتق [illegible] ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم
فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين وقيل من يتق مولاه ويصبر
على بلواه لا يضيع اجره في الدنيا وعقباه قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك
علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن وان كنا لخاطئين وان شاننا وحالنا انا
كنا خاطئين متعمدين الاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن
بالتمكن بين يديك قال لا تثريب عليكم لا تعيير اليوم متعلق بالتثريب او بيغفر والمعنى لا اثربكم
اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم
فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع او اليوم
يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله وروي ان رسول الله عليه السلام اخذ بعضادتي باب
الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت
فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له
العباس اذا اتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله غفر الله

لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا
ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون
الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن
بكم حيث علم الناس اني من حفدة ابراهيم وهو ارحم الراحمين اي اذا رحمتكم وانا الفقير
القنوط فما ظنكم بالغني الغفور ثم سالهم عن حال ابيه فقالوا ذهب عيناه من كثرة البكاء قال اذهبوا بقميصي
هذا قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امر جبريل ان
يرسل له فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يصر
بصيرا تقول جاء البناء محكما اي صار او يأت الي وهو بصير قال يهوذا انا احمل قميص الشفاء كما ذهبت
بقميص الجفاء وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسافة ثمانين فرسخا واتوني
باهلكم اجمعين لتتقووا بآثار ملكي كما اغتنوا باخبار هلكي ولما فصلت العير خرجت من عريش
مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه قال ابوهم لولده ومن
حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمانية
ايام لولا ان تفندون التفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال
شيخ مفند والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني قالوا اي اسباطه تالله انك لفي ضلالك القديم
لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف او في خطائك القديم من حب
يوسف وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير اي يهوذا القاه على وجهه طرح
البشير القميص على وجه يعقوب او القاه يعقوب قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف
او قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون كلام مبتدا لم يقع عليه القول
او وقع عليه والمراد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه
سال البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين
الاسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين سل الله مغفرة ما ارتكبنا
في حقك وحق ابنك انا تبنا واعترفنا بخطايانا قال سوف استغفر لكم ربي
انه هو الغفور الرحيم اخر الاستغفار الى وقت السحر او الى ليلة الجمعة او ليتعرف
حالهم في صدق التوبة او الى ان يسال يوسف هل عفا عنهم ثم ان يوسف وجه الى ابيه جهازا
ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك في اربعة آلاف
من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فلما دخلوا
على يوسف آوى اليه ضم اليه ابويه واعتنقهما قيل كانت امه باقية وقيل ماتت امه وتزوج

خالته والخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ومعنى دخولهم
عليه قبل دخولهم مصر انه حين استقبلهم انزلهم في مضرب او قصر كان له
ثم فدخلوا عليه وضم اليه ابويه وقال لهم بعد ذلك ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من ملوكها
وكانوا لا يدخلونها الا بجواز او من القحط ورووا انه لما لقيه قال يعقوب عليه السلام عليك يا مذهب
الاحزان وقال له يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال
بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم
اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلهم ستمائة الف وخمسمائة وبضع
وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف ورفع ابويه على
العرش وخروا له سجدا قيل لما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمع اليه
اخوته اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخر له الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا وكانت السجدة عندهم
جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال الزجاج سنة التعظيم في ذلك
الوقت ان يسجد المعظم وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يا باه
وقيل وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وفيه نبوة ايضا واختلف في استنبائهم وقال يا ابت
هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها اي الرؤيا ربي حقا اي صادقة وكان بين الرؤيا وبين التاويل
اربعون سنة او ثمانون او ستة وثلثون او اثنتان وعشرون وقد احسن بي يقال احسن اليه
وبه وكذلك اسا اليه وبه اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب كقوله لا تثريب عليكم اليوم وجاء بكم
من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع من بعد ان نزغ
الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد بيننا واغرى ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير
انه هو العليم الحكيم بتاخير الآمال الى الآجال او حكم بالائتلاف بعد الاختلاف رب قد آتيتني
من الملك ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث تفسير كتب الله او تعبير الرؤيا ومن فيهما للتبعيض
اذ لم يؤت الا بعض ملك الدنيا وبعض التاويل فاطر السموات والارض انتصابه على النداء انت
وليي في الدنيا والآخرة انت الذي يتولاني بالنعمة في الدارين ويوصل الملك الفاني بالملك الباقي
توفني مسلما طلب الوفاة على حال الاسلام كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون وعن
الضحاك مخلصا وعن التستري مسلما اليك امري وفي عصمة الانبياء انما دعا به يوسف ليقتدي به
قومه ومن بعده ممن ليس بمامون العاقبة لان ظواهر الانبياء لنظر الامم اليهم والحقني بالصالحين
من آبائي او على العموم روي ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به خزائنه فادخله
خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى ادخله خزائن

القرا

القراطيس قال يا بني ما اعتاك عندك هذه القراطيس وما كتبت اليّ على ثماني مراحل قال امرني
جبريل قال او ما تساله قال انت ابسط اليه مني فسله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك
واخاف ان ياكله الذئب فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة
ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر
وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وطلبت نفسه الملك الدائم فتمنى الموت وقيل
ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب
ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا ان يعملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه
فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا حتى نقل موسى
عليه السلام بعد اربعمائة سنة تابوته الى بيت المقدس وولد له افراثيم وميشا وولد لافرائيم
نون ولنون يوشع فتى موسى عليه ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعد مصر ولم يزل بنو
بني اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف
والخطاب لرسول الله وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك خبران وما كنت لديهم
لدى بني يعقوب اذ اجمعوا امرهم عزموا على ما هموا به من القاء يوسف في البئر وهم يمكرون
بيوسف ويبغون له الغوائل والمعنى ان هذا النبا غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك
لم تحضر بني يعقوب حين اتفقوا على القاء اخيهم في البئر وما اكثر الناس ولو حرصت
بمؤمنين اراد العموم او اهل مكة اي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على ايمانهم
وما تسالهم عليه على التبليغ او على القرآن من اجر جعل ان هو الا ذكر ما القرآن الا عظة
من الله للعالمين وحث على طلب النجاة على لسان رسول الله من رسله وكاين من آية من علامة
ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الآيات
او على الارض ويشاهدونها وهم عنها عن الآيات معرضون لا يعتبرون بها والمراد ما يرون
من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون اي وما
يؤمن اكثرهم في اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة
الوثن الجمهور على انها نزلت في المشركين لانهم مقرون بان الله خالقهم ورازقهم واذا حزبهم
امر شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك ما يقوله القدرية من اثبات
قدرة التخليق للعبد والتوحيد المحض ما يقوله اهل السنة وهو ان لا خالق الا الله افامنوا
ان تاتيهم غاشية عقوبة تغشاهم وتشملهم من عذاب الله او تاتيهم الساعة القيمة بغتة حال
اي فجاة وهم لا يشعرون باتيانها قل هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد

سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله ادعو الى الله على بصيرة
اى ادعو الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء انا تاكيد المستتر فى ادعو ومن اتبعني عطف
عليه اى ادعو الى سبيل الله انا ويدعو اليها من اتبعني او انا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم
ومن اتبعني عطف على انا يخبر ابتداء بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وسبحان
الله وانزهه من الشركاء وما انا من المشركين مع الله غيره وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة او ليست فيهم امراة نوحي بالنون
حفص اليهم من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء
افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة اى ولدار
الساعة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك وآمنوا به افلا تعقلون وبالياء مكي وابو عمرو و حمزه
وعلي حتى اذا استيأس الرسل يئسوا من ايمان القوم وظنوا انهم قد كذبوا وايقن الرسل
ان قومهم كذبوهم وبالتخفيف كوفي اى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اى اخلفوا وظن
المرسل اليهم انهم كذبوا من الرسل اى كذبتهم الرسل فى انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه
جاءهم نصرنا للانبياء والمؤمنين بهم فجاءة من غير احتساب فنجي بنون واحدة وتشديد
الجيم وفتح الياء شامي وعاصم على لفظ الماضي المبني للمفعول والقائم مقام الفاعل من والباقون
فننجي من نشاء اى النبي ومن آمن به ولا يرد باسنا عذابنا عن القوم المجرمين الكافرين لقد
كان فى قصصهم اى فى قصص الانبياء واممهم او فى قصة يوسف واخوته عبرة لاولى
الالباب حيث نقل من غاية الحب الى غاية الجب ومن الحصير الى السرير فصارت
عاقبة الصبر سلامة وكرامة ونهاية المكر وخامة وندامة ما كان حديثا يفترى ما كان
القرآن حديثا مفترى كما زعم الكفار ولكن تصديق الذي بين يديه لكن كان تصديق الكتب
التى تقدمته وتفصيل كل شيء يحتاج اليه لانه القانون الذى يستند اليه السنة والاجماع والقياس
وهدى من الضلال ورحمة من العذاب لقوم يؤمنون بالله وانبيائه وما نصب بعد لكن
لكن معطوف على خبر كان عن رسول الله علموا ارقاكم سورة يوسف فايما عبد تلاها و
علمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما
قال الشيخ ابو منصور رحمه الله فى ذكر قصة يوسف واخوته تصبير لرسول الله على اذى
قريش كانه يقول ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه فى الدين ومع الاخوة عملوا بيوسف ما عملوا
من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت مع مخالفتهم اياك فى الدين احرى ان تصبر على اذاهم
وقال وهب ان الله تعالى ما انزل كتابا الا وفيه سورة يوسف تامة كما فى القرآن

سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر انا الله اعلم وارى عن ابن عباس رضي الله عنهما تلك اشارة الى آيات السورة آيات الكتاب اريد
بالكتاب السورة اى تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة فى بابها والذي انزل اليك من ربك القرآن
كله الحق خبر والذي ولكن اكثر الناس لا يؤمنون فيقولون تقوله محمد ثم ذكر ما يوجب الايمان
فقال الله الذى رفع السموات اى خلقها مرفوعة لا ان يكون موضوعة فرفعها والله مبتدأ والخبر
الذى رفع السموات بغير عمد حال وهو جمع عماد او عمود ترونها الضمير يعود الى السموات اى ترونها
كذلك فلا حاجة الى البيان او الى العمد فيكون فى موضع جر على انه صفة لعمد اى بغير عمد مرئية
ثم استوى على العرش استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان وسخر الشمس والقمر لمنافع عباده
ومصالح بلاده كل يجري لاجل مسمى وهو انقضاء الدنيا يدبر الامر امر ملكوته وربوبيته
يفصل الآيات يبين آياته فى كتبه المنزلة لعلكم بلقاء ربكم توقنون لان هذا التدبير لعلكم توقنون
والتفصيل لا بد لكم من رجوع اليه وهو الذى مد الارض بسطها وجعل فيها رواسي جبالا
ثوابت وانهارا جارية ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين اى الاسود والابيض
والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير
اسود مظلما بعدما كان ابيض منيرا يغشّي حمزة وعلي وابو بكر ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون
فيعلمون ان لها صانعا عليما حكيما قادرا وفى الارض قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها
متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وذلك دليل على قادر
مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وجنات معطوفة على قطع من اعناب وزرع ونخيل
صنوان وغير صنوان بالرفع مكي وبصري وحفص عطف على قطع غيرهم بالجر بالعطف
على اعناب والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وعن حفص بضم الصاد
وهما لغتان تسقى بماء واحد وبالياء عاصم وشامي ونفضل بعضها على بعض وبالياء حمزة
وعلي فى الاكل فى الثمر وبسكون الكاف نافع ومكي ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون عن الحسن مثل
اختلاف القلوب فى آثارها وانوارها واسرارها باختلاف القطع فى انهارها وازهارها وثمارها وثمارها
وان تعجب يا محمد من قولهم فى انكار البعث فعجب قولهم خبر ومبتدأ اى فقولهم
حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسر
فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ءاذا كنا ترابا ءانا لفي خلق جديد فى محل الرفع بدل من
قولهم قرأ عاصم وحمزة كل واحد بهمزتين اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الاغلال

المتمادون في كفرهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون دل تكرار اولئك على تعظيم
الامر ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية وذلك انهم سألوا رسول الله ان يأتيهم
بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين
فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزءوا والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء
سيئة سيئة مثلها وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله
الحال اي ظالمين لانفسهم قال السدي يعني المؤمنين وهي ارجى آية في كتاب الله حيث ذكر المغفرة
مع الظلم وهو بدون التوبة فان التوبة تزيلها وترفعها وان ربك لشديد العقاب على الكافرين او
جميعا في المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيهما اي يغفر لمن يشاء ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية
من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله عليه السلام عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى
وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله انما انت منذر انما انت رجل
ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح
به انك رسول منذر صحة الدعوى بها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين
ويدعوهم الى الله بآية خص بها لا بما يريدون ويتحكمون الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض
الارحام وما تزداد ما في هذه المواضع الثلاثة موصولة اي يعلم ما تحمله من الولد على اي
حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك
وما تغيضه الارحام اي وتعلم ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا وما تزداد
والمراد عدد الولد فانها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة واربعة او جسد الولد فانها تحمل
على واحد واثنين وثلاثة واربعة او جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا او مدة
الولادة فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عندنا والى اربع عند الشافعي
والى خمس عند مالك رحمه الله او مصدرية اي يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام
وازديادها وكل شيء عنده بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله انا كل شيء
خلقناه بقدر عالم الغيب والشهادة ما شاهد الكبير العظيم الشأن الذي كل شيء دونه
المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها وبالياء في الحالين
مكي سواء منكم من اسر القول ومن جهر به اي في نفسه ومن هو مستخف بالليل متوار وسارب
بالنهار ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا وسارب
عطف على من هو مستخف لا على مستخف او على مستخف على ان من في معنى الاثنين والضمير في له مردود
على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة

وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت والآيات كلها سواء في حصوله

تعتقب

تعتقب في حفظه والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف او هو مفعلات من عقبه اذا
جاء على عقبه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه من بين يديه ومن
خلفه اي قدامه ووراءه يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ
كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه او
يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة
حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي واذا اراد الله بقوم سوءا عذابا فلا مرد له فلا يدفعه
شيء وما لهم من دونه من وال من دون الله ممن يلي امرهم ويدفع عنهم هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا
انتصبا على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع اي ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين
وطامعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب
فتى كالسحاب الجون تخشى وترتجى يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق او يخاف المطر كاهل مصر
من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه
من له فيه نفع وينشئ السحاب هو اسم جنس والواحدة سحابة الثقال بالماء وهو جمع ثقيلة تقول
سحابة ثقيلة وسحاب ثقال ويسبح الرعد بحمده قيل يسبح سامعو الرعد من العباد الراجين
للمطر اي يصيحون سبحان الله والحمد لله وعن النبي عليه السلام الرعد ملك موكل بالسحاب معه
مخاريق من نار يسوق بها السحاب والصوت الذي يسمع زجره السحاب حتى ينتهي الى حيث امر
والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله ويرسل الصواعق فيصيب بها
من يشاء والصاعقة نار تسقط من السماء لما ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده
وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال وهم يجادلون في الله يعني الذين كذبوا رسول الله
في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من
يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الاجسام بقولهم
الملائكة بنات الله او الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد قال
لرسول الله حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة
البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتله اخبرني عن ربنا امن
نحاس هو ام من حديد وهو شديد المحال اي المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا
اذا تكلف لاستعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان والمعنى انه
شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون له دعوة الحق اضيفت الدعوة
الى الحق الذي هو ضد الباطل للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق ولها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله

والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤاله فكانت دعوة ملابسة للحق
لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء والضال شديد المحال وله دعوة الحق وما قبله على قصة اربد
وعامر لان اهلاك اربد بالصاعقة محال من الله ونكاية من حيث لا يشعر وقد دعا رسول الله
عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وعلى
الاول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسوله فيهم ان دعا عليهم
والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من دونه من دون الله لا يستجيبون لهم بشئ اى من
طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه الاستثناء من المصدر اى من الاستجابة التى دل عليها لا يستجيبون
لان الفعل بحروفه يدل على المصدر وبصيغته على الزمان وبالضرورة على المكان والحال والجماد
استثناء كل منهما من الفعل فصار التقدير لا يستجيبون استجابة الا استجابة كاستجابة باسط
كفيه اى كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط
كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد
لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم واللام فى ليبلغ متعلق بباسط كفيه
وما هو ببالغه وما الماء ببالغ فاه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال فى ضياع لا منفعة
فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الاصنام لم تستطع اجابتهم ولله يسجد من فى السموات
والارض سجود تعبد وانقياد طوعا حال يعنى الملائكة والمؤمنين وكرها يعنى المنافقين والكافرين
فى حال الشدة والضيق وظلالهم معطوف على من جمع ظل بالغدو جمع غداة كقنى وقناة
والاصال جمع اصيل قيل ظل كل شئ يسجد لله بالغدو والاصال فظل الكافر يسجد
طوعا وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع قل من رب السموات والارض قل الله حكاية
لاعترافهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله دليله قراءة
ابن مسعود وابى قالوا الله او هو تلقين اى فان لم يجيبوا فلقنهم فانه لا جواب الا هذا قل افاتخذتم
من دونه اولياء اى بعد ان علمتم رب السموات والارض اتخذتم من دونه الهة لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا ضرا عنها فكيف يستطيعون
لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا ضرا عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد اثرتموهم على الخالق الرازق
المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم قل هل يستوى الاعمى والبصير اى الكافر والمؤمن او من لا
يبصر شيئا ومن لا يخفى عليه شئ ام هل تستوى الظلمات والنور الكفر والايمان يستوى
كوفى غير حفص ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار خلقوا كخلقه خلقا مثل
خلقه وهو صفة لشركاء اى انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه

الخلق

الخلق عليهم فاشتبه عليهم مخلوقهم بمخلوق الله مخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق
كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما نعبده ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين
لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شئ
اى خالق الاجسام والاعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك فى الخلق فلا يكون له شريك
فى العبادة ومن قال ان الله لا يخلق افعال العباد وهم يخلقونها فقد شابه الخلق على قولهم وهو الواحد
المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور انزل اى الواحد المتوحد بالربوبية
القهار لا يغالب وهو الله سبحانه من السماء من السحاب ماء مطرا فسالت اودية جمع واد وهو
الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة وانما نكر لان المطر لا يأتى الا على طريق المناوبة بين البقاع
فيسيل بعض اودية الارض دون بعض بقدرها بمقدارها الذى علم الله انه نافع للممطور عليهم
غير ضار فاحتمل السيل اى رفع زبدا هو ما علا على وجه الماء من الرغوة والمعنى علاه رابيا منتفخا
مرتفعا على وجه السيل ومما توقدون عليه بالياء كوفى غير ابى بكر ومن لابتداء الغاية اى ومنه ينشأ
زبد مثل زبد الماء او للتبعيض اى وبعضه زبد فى النار حال من الضمير فى عليه اى ومما توقدون
عليه ثابتا فى النار ابتغاء حلية مفعول له وهو مصدر فى موضع الحال من الضمير فى توقدون اى
متاع من الحديد والنحاس والرصاص يتخذ منها الاوانى وما يتمتع به فى الحضر والسفر وهو
معطوف على حلية اى زينة من الذهب والفضة زبد خبث وهو مبتدأ مثله نعت له ومما توقدون
خبر له اى لهذه الفلزات اذا اغليت زبد مثل زبد الماء كذلك يضرب الله الحق والباطل اى مثل الحق
والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء حال اى متلاشيا وهو ما يقذفه القدر عند الغليان والبحر
عند الطغيان والجفء الرمى وجفأت الرجل صرعته واما ما ينفع الناس من الماء والحلى والاوانى
فيمكث فى الارض فيثبت الماء فى العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى فى الارض
مدة طويلة كذلك يضرب الله الامثال ليظهر الحق من الباطل فهذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل
وحزبه فمثل الحق واهله بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع
المنافع وبالفلز الذى ينتفعون به فى صوغ الحلى منه واتخاذ الاوانى والآلات المختلفة وان
ذلك ماكث فى الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء فى منافعه وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه
الباطل فى سرعة اضمحلاله ووشك زواله بزبد السيل الذى يرمى به وبزبد الفلز الذى يطفو فوقه اذا
اذيب وقال الجمهور هذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء القرآن نزل لحياة
الجنان كالماء للابدان والاودية القلوب ومعنى بقدرها بقدر سعة القلب وضيقه والزبد هو اجس
النفس ووساوس الشيطان والماء الصافى المنتفع به مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى

صفوًا لما لذلك تذهب هو اجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو وأما
حليه الذهب والفضة فمثل للاحوال السنية والاخلاق الزكية وأما متاع الحديد والنحاس
والرصاص فمثل للاعمال الممدة بالاخلاص للعدة الخلاص فان الاعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب
كما ان تلك الجواهر بعضها اداة النفع في الكسب وبعضها آلة الدفع في الحروب والزبد فالرياء والخلل
والملل والكسل واللام في للذين استجابوا متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين
استجابوا لربهم الحسنى وهي صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا
له اي وللكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين وقوله لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير المستجيبين اي لو ملكوا اموال الدنيا وملكوا معها مثلها
لبذلوه ليدفعوا عن انفسهم عذاب الله والوجه ان الكلام قد تم على الامثال وما بعده كلام مستأنف
والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا
مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه اولئك لهم سوء الحساب المناقشة فيه في الحديث من نوقش
في الحساب عذب ومأواهم جهنم ومرجعهم بعد المحاسبة النار وبئس المهاد المكان الممهد والمذموم
محذوف اي جهنم دخلت همزة الانكار على الفاء في افمن يعلم لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب
من المثل في ان حال من علم انما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي
لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله كمن هو اعمى كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز انما
يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله
مبتدأ والخبر اولئك لهم عقبى الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة وقيل
موصوفة لاولوا الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره
من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان
يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله عليه السلام وقرابة
المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم
والذب عنهم والشفقة عليهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم ومنه مراعاة حق الاصحاب
والخدم والجيران والرفقاء في السفر ويخشون ربهم اي وعيده كله ويخافون سوء الحساب
خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب
في النفوس والاموال ومشاق التكاليف ابتغاء وجه ربهم لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل
واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع واقاموا الصلوة داوموا على اقامتها وانفقوا مما رزقناهم

اي من الحلال وان كان الحرام رزقا عندنا سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل
والفرائض لان المجاهرة بها افضل نفيا للتهمة ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون بالحسن من الكلام
ما يرد عليهم من سيئ غيرهم او اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا واذا اذنبوا تابوا
واذا هربوا انابوا واذا راوا منكرا امروا بتغييره فهذه ثمانية اعمال تشير الى ثمانية ابواب الجنة اولئك
لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي ارادها الله تعالى ان يكون عاقبة الدنيا ومرجع
اهلها جنات عدن بدل من عقبى الدار يدخلونها ومن صلح اي آمن من آبائهم وازواجهم وذرياتهم
ومن صلح والمنع افصح ومن في محل الرفع بالعطف على الضمير في يدخلونها وساغ ذلك وان
لم يؤكد لان ضمير المفعول صار فاصلا واجاز الزجاج ان يكون مفعولا معه ووصفهم بالصلاح
ليعلم ان الانساب لا تنفع بنفسها والمراد ابوا كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب في قدر كل يوم وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرضا سلام
عليكم في موضع الحال اذ المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين بما صبرتم متعلق بمحذوف
تقديره هذا بما صبرتم اي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات او على امر الله او بسلام اي نسلم
عليكم ونكرمكم بصبركم والاول اوجه فنعم عقبى الدار الجنات والذين ينقضون عهد الله من
بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
ويفسدون في الارض بالكفر والظلم اولئك لهم اللعنة الابعاد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم
ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار وان يراد بالدار جهنم وبسوء عذابها الله يبسط
الرزق ويقدر دون غيره وفرحوا بالحيوة الدنيا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر
لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة وما الحيوة
الدنيا في الآخرة الا متاع وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به
كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات او شربة سويق ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه آية من ربه اي الآية المقترحة قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات
ويهدي اليه من اناب ويرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه الذين آمنوا هم الذين او محله نصب
بدل من من وتطمئن قلوبهم تسكن بذكر الله على الدوام او بالقرآن او بوعده الا بذكر الله تطمئن
القلوب بسبب ذلك تطمئن قلوب المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ طوبى لهم
خبر وهو مصدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع
كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك واللام في لك للبيان مثلها في سقيا لك والواو في
طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن والقراءة في وحسن مآب مرجع بالرفع والنصب تدل

على عملها كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها
امم اى ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء لتتلو عليهم الذي
اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون وحالهم انهم
يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء قل هو ربي لا اله الا هو ربي الواحد
المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي فيثيبني على مصابرتكم ماربي
وعنادي ومآلي في المجالس بعيوب ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض
حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير
ونهاية في الانذار والتخويف فجواب لو محذوف او معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع
الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية بل لله الامر جميعا
على القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها افلم ييأس الذين آمنوا افلم يعلم وهي لغة قوم
لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم بانه
لا يكون كما استعمل النسيان في معنى الترك لتضمنه ذلك دليله قراءة علي رضي الله عنه افلم يتبين
وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذه والله فرية ما فيها مرية ان لو
يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم
قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم و
اولادهم واموالهم او تحل قريبا من دارهم او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطاير اليهم شرارها
ويتعدى اليهم شرورها حتى يأتي وعد الله اي موتهم او القيامة او ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما
صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله كان يغير حول مكة ويتخطف
منهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله اي فتح مكة ان الله
لا يخلف الميعاد اي الخلف في موعده ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا
الاملاء الامهال وان يتركوا ملاوة من الزمان في خفض وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب
وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له افمن هو
قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو رقيب على كل نفس صالحة
او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاء كمن ليس كذلك ثم استانف فقال
وجعلوا لله شركاء اي الاصنام قل سموهم اي سموهم من هم ونبئوا باسمائهم ثم قال ام
تنبئونه بما لا يعلم في الارض على ان ام المنقطعة اي بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض
وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء والمراد نفي ان يكون له

شركاء ام بظاهر من القول بل انسموهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة
كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون الا اسماء سميتموها بل زين للذين كفروا مكرهم كيدهم للاسلام
بشركهم وصدوا عن السبيل عن سبيل الله بضم الصاد كوفي وبفتحها غيرهم ومعناه وصدوا المسلمين
عن سبيل الله ومن يضلل الله فما له من هاد من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل
والاسر وانواع المحن ولعذاب الآخرة اشق اشد لدوامه وما لهم من الله من واق من
حافظ من عذابه مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه مبتدأ والخبر
محذوف اي فيما يتلى عليكم مثل الجنة او الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر اكلها
دائم ثمرها دائم الوجود لا ينقطع وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك عقبى الذين
اتقوا اي الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعني منتهى امرهم وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب
يريد من اسلم من اليهود كابن سلام ونحوه ومن النصارى بارض الحبشة يفرحون بما انزل اليك
ومن الاحزاب اي ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة
ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الا ما
يخالف وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه السلام وغير ذلك
مما حرفوه وبدلوه من الشرائع قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكاركم لعبادة الله
تعالى وان لا يشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مآب مرجعي وانتم تقولون
مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده
والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب
وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله الى امور يشاركهم فيها فقيل ولئن اتبعت اهواءهم
بعد ما جاءك من العلم اي بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة ما لك من الله من
ولي ولا واق اي لا ينصرك ناصر ولا يقيك منه واق وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين
على الثبات في الدين وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله من
شدة الثبات بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج والولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون
النسخ فنزل ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا
وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله اي ليس في وسعهم اتيان بالآية على ما يقترحه قومه
انما ذلك الى الله لكل اجل كتاب لكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه
حكمته يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يشاء نسخه ويثبت بدله ما يشاء او يتركه غير منسوخ
او يمحو من ديوان الحفظة ما يشاء ويثبت غيره او يمحو كفر التائبين ويثبت ايمانهم او

يميت من حان اجله ويعكسه ويثبت ما فيه وحد ومثل ووحي وغير وعنده ام الكتاب
اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وإما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب
عليهم او توفيناك قبل ذلك فانما عليك البلاغ فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا
الحساب وعلينا حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم لا عليك فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم
يروا انا نأتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار
الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته
ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد
لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة
والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس ومحل لا معقب لحكمه النصب على الحال كانه قيل
والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وهو سريع
الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم اي كفار الامم
الخالية بانبيائهم والمكر ارادة المكروه في خفية ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال
فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى
الدار ثم فسر بعقبى العاقبة المحمودة لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه
ياتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم الكافر على ارادة الجنس حجازي وابو عمرو
ويقول الذين كفروا لست مرسلا المراد بهم كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود قالوا لست مرسلا
ولهذا قال عطاء هي مكية الا هذه الآية قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم لما اظهر من الادلة على رسالتي
والباء دخلت على الفاعل وشهيدا تمييز ومن عنده علم الكتاب قيل هو الله عز وجل
والكتاب اللوح المحفوظ دليله قراءة ومن عنده علم الكتاب اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من
فضله ولطفه وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم
وقال ابن سلام فيّ نزلت هذه الآية وقيل هو جبريل ومن في موضع الجر بالعطف على لفظ
الله او في موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور اذ التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدر
في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف صلة لمن ومن هنا بمعنى الذي والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب
وهذا لان الظرف اذا وقع صلة يعمل عمل الفعل نحو مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول
بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة الثانية يرتفع العلم بالابتداء

سورة ابراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم
الر كتاب هو خبر مبتدا محذوف اي هذا كتاب يعني السورة والجملة التي هي انزلناه اليك في موضع
الرفع صفة للنكرة لتخرج الناس بدعائك اياهم من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى باذن ربهم
بتيسيره وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من التوفيق الى صراط
بدل من النور بتكرير العامل العزيز الغالب بالانتقام الحميد المحمود على الانعام الله بالرفع مدني وشامي
على هو الله وبالجر غيرهما على انه عطف بيان للعزيز الحميد الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا
وملكا ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل وهو نقيض
الوأل وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك فقال وويل للكافرين من عذاب شديد وهو مبتدا وخبر
وصفه الذين يستحبون يختارون ويؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله
دينه ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا والاصل ويبغون لها فحذف
الجار واوصل الفعل الذين مبتدا وخبره اولئك في ضلال بعيد عن الحق ووصف الضلال بالبعد
من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن طريق الحق فوصف
فعله كما تقول جد جده او مجرور صفة للكافرين او منصوب على الذم او مرفوع على اعني
الذين او هم الذين وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا متكلما بلغتهم ليبين لهم ما هو مبعوث
به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به فان قلت ان رسولنا عليه السلام بعث
الى الناس جميعا لقوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة
فان لم يكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا
حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعين ان ينزل بلسان
واحد وكان لسان قومه اولى بالتعيين لانهم اقرب اليه ولانه ابعد من التحريف والتبديل فيضل
الله من يشاء من آثر سبب الضلالة ويهدي من يشاء من آثر سبب الاهتداء وهو العزيز فلا يغلب
على مشيئته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولقد ارسلنا موسى باياتنا التسع ان اخرج بان
اخرج او اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج قومك من الظلمات الى النور
وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت
على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها او بايام الانعام حيث ظلل
عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار على البلايا شكور
على العطايا كانه قال لكل مؤمن اذ الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذ قال موسى
لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب اذ ظرف
للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت او بدل اشتمال من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم

يسومونكم يذيقونكم ... يبغونكم

ويذبحون ابناءكم ذكر في البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون بلا واو وهاهنا مع الواو والحاصل
ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح من
حيث انه زاد على جنس العذاب كانه جنس آخر ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم
عظيم الاشارة الى العذاب والبلاء المحنة او الى الانجاء والبلاء النعمة ونبلوكم بالشر والخير
فتنة واذ تأذن ربكم اي آذن ونظير تأذن وآذن توعد واوعد ولا بد في تفعل من زيادة معنى
ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال
موسى لقومه وانتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
واذكروا حين تأذن ربكم والمعنى واذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة
الانجاء وغيره لأزيدنكم نعمة الى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل اذا سمعت
النعمة نغمة الشكر فتأهب للمزيد وقال ابن عباس لئن شكرتم بالجد والطاعة لأزيدنكم بالجد
في المثوبة ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي اما في الدنيا فسلب
النعم واما في العقبى فتوالي النقم وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض جميعا والناس
كلهم فان الله لغني عن شكركم حميد وانه محمود في ذاته وانكم ضررتم انفسكم حيث حرمتموها
الخير الذي لا بد لكم منه الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى لقومه
او ابتداء خطاب لاهل عصر محمد عليه السلام والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا
وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض
والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون
ابا لا يعرفون وروي انه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية كذب النسابون جاءتهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات فردوا ايديهم في افواههم الضميران يعودان الى الكفرة اي اخذوا انا
باسنانهم تعجبا او عضوها تغيظا او الثاني يعود الى الانبياء اي رد القوم ايديهم في افواه
الرسل كيلا يتكلموا بما ارسلوا به وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه
من الايمان بالله والتوحيد مريب موقع في الريبة قالت رسلهم أفي الله شك ادخلت همزة
الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة
وهو جواب قولهم وانا لفي شك فاطر السموات والارض يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم من ذنوبكم
اذا آمنتم ولم يجئ مع من الا في خطاب الكافرين كقوله واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا
اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة
الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك مما يعرف الاستقراء

وكان

وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد ويؤخركم الى اجل
مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم
ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا من الاصنام
فأتونا بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات وانما ارادوا بالسلطان المبين آية
قد اقترحوها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم انهم بشر مثلهم ولكن
الله يمن على من يشاء من عباده بالايمان والنبوة كما من علينا وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان
الا باذن الله جواب لقولهم فأتونا بسلطان مبين والمعنى ان الاتيان بالآية التي اقترحتموها
ليس الينا ولا في استطاعتنا وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم
للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل
على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وايذائكم الا ترى الى قوله وما لنا ألا نتوكل على الله ومعناه
واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق
لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين قال ابو تراب التوكل طرح البدن في
العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر على البلاء ولنصبرن على ما آذيتمونا
جواب قسم مضمر اي حلفوا على الصبر على اذاهم وان لا يمسكوا عن دعائهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون
اي فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرارا وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا من ديارنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين
اخراجكم او عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب وخوطب به
كل رسول ومن آمن معه فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين
القول مضمر او اجري الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارض الظالمين
وديارهم وفي الحديث من آذى جاره ورثه الله داره ذلك الاملاك والاسكان اي ذلك الامر
حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب او المقام مقحم او خاف قيامي عليه بالعلم
كقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى ان ذلك حق للمتقين وخاف وعيد عذابي
وبالياء يعقوب واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم وهو معطوف على فأوحى اليهم وخاب
كل جبار وخسر كل متكبر بطر عنيد مجانب للحق معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل
جبار عنيد وهم قومهم وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم
على الحق والرسل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه من بين يديه
جهنم وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف

حال في الآخرة حين يبعث ويوقف ويسقى معطوف على محذوف تقديره من ورائه
جهنم يلقى ويسقى من ماء صديد ما يسيل من جلود اهل النار وصديد عطف بيان لماء لانه مبهم
فبين بقوله صديد يتجرعه يشربه جرعة جرعة ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف
تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اى لم يقرب من رويتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان
اى اسباب الموت من كل جهة او من كل مكان من جسده وهذا تفظيع لما يصيبه من الالام اى لو كان
ثمه موت لكان كل واحد منها مهلكا وما هو بميت لانه لو مات لاستراح ومن ورائه ومن بين يديه
عذاب غليظ اى في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس
وحبسها في الاجساد مثل الذين مبتدا محذوف الخبر اى فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا بربهم
والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سوال سايل
يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الرياح مدني في يوم عاصف جعل العصف
لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك يوم ماطر واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام
وعتق الرقاب وفداء الاسرى وعقر الابل للاضياف وغير ذلك شبهها في حبوطها لبنائها
على غير اساس وهو الايمان بالله تعالى برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة
مما كسبوا من اعمالهم على شيء اى لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح
على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب الم تر
الم تعلم الخطاب لكل احد ان الله خلق السموات والارض خالق مضاف حمزة وعلي الحق
بالحكمة والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد اى هو قادر على
ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما بانه قادر على
اعدام الموجود وايجاد المعدوم وما ذلك على الله بعزيز بممتنع وبرزوا لله جميعا ويبرزون
يوم القيامة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه
ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار وغير ذلك ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يخفى
عنه شيء حتى يبرزوا له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية
او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فقال الضعفاء في الراي وهم السفلة والاتباع
وكتب بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا
وهم السادة والرؤساء الذين استغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم انا كنا
لكم تبعا تابعين جمع تابع كخادم وخدم وغايب وغيب او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال
تبعه تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء فهل تقدرون على دفع شيء مما نحن فيه ومن

الاولى

الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل فهل انتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب
الله او هما للتبعيض اى فهل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله اى بعض بعض
عذاب الله ولما كان قول الضعفاء توبيخا لهم وعتابا على استغوائهم لانهم علموا انهم
لا يقدرون على الاغناء عنهم قالوا لهم مجيبين معتذرين لو هدانا الله لهديناكم اى لو هدانا الله
الى الايمان في الدنيا لهديناكم اليه او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اى لاغنيناكم عنه وسلكنا بكم
اليه طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر
والهمزة وام للتسوية وروي انهم يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا
ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر ثم يقولون سواء
علينا اجزعنا ام صبرنا واتصاله بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا
لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا
مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فايدة في الجزع كما لا فايدة في الصبر ما لنا من
محيص منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين
جميعا وقال الشيطان لما قضي الامر حكم بالجنة والنار لاهليهما وفرغ من الحساب ودخل
اهل الجنة الجنة واهل النار النار روي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر
من نار فيقول يا اهل النار ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى
لكم بما وعدكم ووعدتكم ان لا بعث ولا حساب ولا جزاء فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان
من تسلط واقتدار الا ان دعوتكم لكني دعوتكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني والاستثناء منقطع
لان الدعاء ليس من جنس السلطان فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني لان من تجرد
للعداوة لا يلام اذا دعا الى امر قبيح مع ان الرحمن قد قال لكم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة
ولوموا انفسكم حيث اتبعتموني بلا حجة وبرهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان هو
الذي يختار الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان
الا التزيين باطل لقوله لو هدانا الله اى الى الايمان لهديناكم كما مر ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي
لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة بمصرخي حمزة اتباعا للخاء غيره
بفتح الياء لئلا يجتمع الكسرة والياءان كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الاولى ياء الجمع والثانية ضمير
المتكلم اني كفرت بما اشركتمون وبالياء بصري وما مصدرية من قبل متعلق باشركتمون اى
كفرت اليوم باشراككم اياي مع الله من قبل هذا اليوم اى في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم
ومعنى كفره باشراكهم اياه تبريه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم

ان الظالمين

او من قبل متعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي
اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول اشركني فلان اي جعلني له شريكا ومعنى اشراكهم الشيطان
بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله
ان الظالمين لهم عذاب اليم قول الله عز وجل وقيل هو من تمام كلام ابليس وانما حكى
الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها عطف على برزوا باذن ربهم متعلق بادخل
اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره تحيتهم فيها سلام هو تسليم بعضهم على بعض في الجنة
او تسليم الملائكة عليهم الم تر كيف ضرب الله مثلا اي وصفه وبينه كلمة طيبة وهو تفسير لقوله
ضرب الله مثلا طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا نحو شرف الامير زيدا كساه حلة
وحمله على الفرس او انتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها
مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة طيبة اصلها ثابت اي في الارض
ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها ورأسها في السماء والكلمة الطيبة كلمة التوحيد اصلها
تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان واكلها عمل الاركان وكما ان الشجرة شجرة وان لم تكن
حاملا فالمؤمن مؤمن وان لم يكن عاملا ولكن الاشجار لا تراد الا للثمار فما اقوات النار الا
الاشجار اذا اعتادت الاخضاد في عهد الاثمار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة
التين ونحو ذلك والجمهور على انها النخلة فعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم
ان الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا
فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله ان اقولها وانا اصغر القوم فقال رسول الله الا انها النخلة
فقال عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين كل وقت
وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون
لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني ومثل كلمة خبيثة كلمة الكفر كشجرة خبيثة
هي كل شجرة لا يطيب ثمرها وفي الحديث انها شجرة الحنظل اجتثت من فوق الارض استؤصلت
جثتها وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها وهو في مقابلة اصلها ثابت ما لها من قرار اي
استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض
غير ثابت يثبت الله الذين آمنوا اي يديمهم عليه بالقول الثابت هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله
في الحيوة الدنيا حتى اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود وغير ذلك
وفي الآخرة الجمهور ان المراد به في القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب فعن البراء ان رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه
في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد عليه السلام
فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
ثم يقول الملكان عشت سعيدا ومت حميدا نم نومة العروس ويضل الله الظالمين فلا يثبتهم
على القول الثابت في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شيء وهم في الآخرة اضل وازل ويفعل
الله ما يشاء فلا اعتراض عليه في تثبيت المؤمنين واضلال الظالمين الم تر الى الذين بدلوا
نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر
الى الكفر وبدلوه تبديلا وهم اهل مكة اكرمهم بنبيه محمد عليه السلام فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر
واحلوا قومهم الذين تابعوهم على الكفر دار البوار دار الهلاك جهنم عطف بيان يصلونها يدخلونها وبئس
القرار وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا امثالا في العبادة او في التسمية ليضلوا عن سبيله
بفتح الياء مكي وابو عمرو قل تمتعوا في الدنيا والمراد به الخذلان والتخلية قال ذو النون التمتع
ان يقضي العبد ما استطاع من شهوته فان مصيركم الى النار مرجعكم اليها قل لعبادي الذين آمنوا
خصهم بالاضافة اليه تشريفا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم المقول محذوف لان قل
يقتضي مقولا وهو اقيموا وتقديره قل لهم اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا فحذف
لانه امر وهو المقول والتقدير ليقيموا ولينفقوا فحذف اللام لان الامر الذي قبله دل عليه ولو قيل يقيموا
الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز سرا وعلانية انتصبا على الحال اي ذوي سر وعلانية
بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية
والمعنى اخفاء التطوع واعلان الواجب من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه
بمبايعة ولا مخالة والخلال المخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله بنصبهما مكي وبصري والباقون بالرفع
والتنوين الله مبتدا الذي خلق السموات والارض خبر وانزل من السماء ماء من السحاب
مطرا فاخرج به من الثمرات رزقا لكم من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو الثمرات
او من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حال من المفعول وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم
الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وهو حال من الشمس والقمر اي يدابان في سيرهما
وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل
والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع
ما سألتموه او آتاكم من كل شيء سألتموه ولم تسألوه فما موصوفة والجملة صفتها وحذفت الجملة الثانية
لان الباقي يدل على المحذوف كقوله سرابيل تقيكم الحر من كلٍ عن الحسن وما سألتموه نفي ومحله النصب

على الحال اى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه او ما موصولة اى وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه فكأنكم
سألتموه او طلبتموه بلسان الحال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تطيقوا عدها ولا تبلغ آخرها
هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يعلمه الا الله ان الانسان لظلوم كفار يظلم النعمة
باغفال شكرها او شديد الكفران لها او ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس
فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه واذ قال ابراهيم واذكر اذ قال ابراهيم رب اجعل
هذا البلد يعني البلد الحرام آمنا ذا امن والفرق بين هذه وبين ما في البقرة انه قد سأل فيها ان يجعله من جملة
البلاد التي يأمن اهلها وفي هذه ان يخرجه من صفة الخوف الى الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا
واجنبني وبني وبعدني واياهم وادمني على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك اى ثبتنا
على الاسلام وبني اولاده من صلبه ان نعبد الاصنام من ان نعبد رب انهن اضللن كثيرا من
الناس جعلن مضلات على طريق التسبيب لان الناس ضلوا بسببهن فكأنهن اضللنهم فمن تبعني
على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اى بعضي لفرط اختصاصه بي ومن عصاني فيما دون الشرك
فانك غفور رحيم او ومن عصاني عصيان شرك فانك غفور رحيم ان تاب وآمن ربنا
اني اسكنت من ذريتي بعض ذريتي وهم اسمعيل ومن ولد منه بواد بمكة غير ذي زرع لا يكون
فيه شئ من زرع قط عند بيتك المحرم هو بيت الله سمي به لان الله حرم التعرض له والتهاون
به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل عتيقا يخافه كل جبار او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها
او لانه حرم على الطوفان اى منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه ربنا ليقيموا الصلوة اللام متعلقة باسكنت
اى ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك فاجعل
افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض لما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتهم
عليه فارس والروم والترك والهند وللابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكأنه قيل افئدة ناس
وتنكير المضاف اليه في التمثيل لتنكير افئدة لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة تهوي اليهم تسرع
اليهم وتطير نحوهم شوقا وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شئ منها بان تجلب اليهم من
البلاد الشاسعة لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات في واد ليس فيه نجم ولا ماء
ربنا النداء المكرر دليل التضرع واللجأ الى الله تعالى انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما
تعلم العلن وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء من كلام الله عز وجل لتصديقه ابراهيم
عليه السلام او من كلام ابراهيم ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى عليه شئ ما الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر على بمعنى مع وهو في موضع الحال اى وهب لي وانا كبير اسمعيل واسحق
روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة

سنة

سنة وروي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة
الولد فيها اعظم لانها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من اجل النعم
ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابراهيم ان ربي لسميع الدعاء لمجيب الدعاء
من قولك سمع الملك كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حمده وكان قد
دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكره لله على ما اكرمه به من اجابته واضافة
السميع الى الدعاء اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة
ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا رحيم اباه رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي
وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في
ذريته كفار عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يزال من ولد ابراهيم ناس على الفطرة الى ان تقوم الساعة
ربنا وتقبل دعائي بالياء في الوصل والوقف بزي وافقه ابو عمرو وحمزة في الوصل الباقون
بلا ياء اى استجب دعائي او عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله ربنا اغفر لي ولوالدي
اى آدم وحواء او قاله قبل النهي واليأس عن ايمان ابويه وللمؤمنين يوم يقوم الحساب اى يثبت
او اسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا مثل واسأل القرية ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون تسلية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لغير الرسول صلى الله عليه وسلم وان كان
للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن
من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله
وقيل المراد به الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شئ وانه معاقبهم على قليله وكثيره
على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم انما يؤخرهم اى يؤخر عذابهم ليوم تشخص فيه
الابصار اى ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي مقنعي رؤسهم
رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء صفر من الخير
لا تعي شيئا من الخوف والهواء الخلاء الذي لم يشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء
اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة وقيل جوف لا عقول لهم وانذر الناس يوم يأتيهم
العذاب اى يوم القيمة ويوم مفعول ثان لانذر لا ظرف اذ الانذار لا يكون في ذلك اليوم فيقول
الذين ظلموا اى الكفار ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اى ردنا الى الدنيا
وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال
لهم اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال اقسمتم في الدنيا انكم اذا متم لا تزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون
الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وما لكم جواب القسم

وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال او أريد باليوم يوم
هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى فانهم يسألون
يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم بالكفر لان السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديته بفي كقولك قر في الدار
واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان
يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والعسف
لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم
بالاخبار والمشاهدة وفاعل تبين مضمر دل عليه الكلام اي تبين لكم حالهم وكيف ليس بفاعل لان
الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وانما نصب بقوله كيف فعلنا بهم اي اهلكناهم وانتقمنا منهم وضربنا لكم
الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم
اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوه لتأييد الكفر وبطلان الاسلام وعند الله
مكرهم هو مضاف الى الفاعل كالاول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر
هو اعظم منه او الى المفعول اي وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يأتيهم من حيث
لا يشعرون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بكسر اللام الاولى ونصب الثانية والتقدير وان
وقع مكرهم لزوال امر النبي عليه السلام فعبر عن امر النبي بالجبال لعظم شأنه وكان تامة وان نافية واللام
مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات
الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا ويدل عليه قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وفتح اللام
الاولى ورفع الثانية على اي وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها
فان مخففة من ان واللام مؤكدة فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا
كتب الله لاغلبن انا ورسلي مخلف مفعول ثان لتحسب واضاف مخلف الى وعده وهو المفعول
الثاني له والاول رسله والتقدير مخلف رسله وعده وانما قدم المفعول الثاني على الاول
ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف
وعده احدا فكيف يخلف رسله الذين هم خيرته وصفوته ان الله عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه
من اعدائه وانتصاب يوم تبدل الارض غير الارض والسموات على الظرف للانتقام او على اضمار اذكر
والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وتبدل السموات غير السموات
وانما حذف لدلالة ما قبله عليه والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير
وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل واختلف

في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافهما فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى
فلا يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير وتبدل
السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها الوانا وقيل تخلق بدلها
ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود رضي الله عنه تحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها
احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وبرزوا وخرجوا
من قبورهم لله الواحد القهار هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد
غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره كان الامر في غاية الشدة وترى المجرمين الكافرين يومئذ
يوم القيامة مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين
في الاصفاد متعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد او غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاد
القيود او الاغلال سرابيلهم قمصهم من قطران هو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل
الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته وهو من شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وهو اسود اللون منتن
الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم لذع القطران وحرقته
واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت
بين النارين وكل ما وعده الله تعالى او وعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر
قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة نعوذ بالله من سخط الله وعذابه وقرئ من قطرآن
زبد يعني نحاس مذاب بلغ حره اناه وتغشى وجوههم النار تعلوها باشتعالها وخص
الوجه لانه اعز موضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذا قال تطلع على الافئدة ليجزي الله كل نفس
ما كسبت اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس مجرمة او مطيعة
لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المؤمنين لطاعتهم ان الله سريع الحساب
يحاسب جميع العباد في اسرع من لمح البصر هذا اي ما وصف من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع
الحساب بلاغ للناس كفاية لهم في التذكير والموعظة ولينذروا به بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف
اي لينصحوا ولينذروا وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة
الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله وليذكر اولوا الالباب ذووا العقول

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن
المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كأنه
قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان ربما بالتخفيف نافع وعاصم وبالتشديد

يد مون غيرها وماى الكاد لانها حرف تجي بابعده وتختص بالاسم المنكر فاذا كفت وقع بعده الفعل الماضي والماجاز يود الذين كفروا لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود وودادتهم تكون عند النزع او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين او اذا راوا المسلمين يخرجون من النار فيتمنى الكافر لو كان مسلما كذا عن ابن عباس لو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله لافعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كانوا مسلمين لكان حسنا وانما قلل برب لان اهوال القيمة تشغلهم عن التمني فاذا افاقوا من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقول من قال ان رب يعنى به التكثير سهو لانه ضد ما يعرفه اهل اللغة لانها وضعت للتقليل ذرهم امر اهانة اي اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكر والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم املهم وامانيهم عن الايمان فسوف يعلمون سوء صنيعهم وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف اذ الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو فجيء بالواو تاكيد لذلك والوجه ان تكون من الجملة حالا للقرية لكونها في حكم الموصوف كانه قيل وما اهلكنا قرية من القرى لا وصفا وقوله كتاب معلوم اي مكتوب معلوم واجلها الذي كتب في اللوح المحفوظ وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وما يستاخرون اي عنه وحذف لانه معلوم وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقالوا اي الكفار يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي القرآن انك لمجنون يعنون محمدا عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم شائع ومنه فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد والمعنى انك لتقول قول المجانين حيث تدعي ان الله نزل عليك الذكر لوما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين لو ركبت مع لا وما لامتناع الشيء لوجود غيره او للتحضيض وهل ركبت مع لا للتحضيض فحسب والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا ما ننزل الملائكة كوفي غير ابي بكر تنزل الملائكة ابو بكر تنزل الملائكة تتنزل غيرهم الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة وما كانوا اذا منظرين اذن جواب لهم وجزاء الشرط

مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر اي القرآن وانا له للقرآن لحافظون وهو رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع وانه هو الذي نزله محفوظا من الشياطين وهو حافظ في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فوقع التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه وقد جعل قوله وانا له لحافظون دليلا على انه منزل من عنده آية اذ لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه او الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين اي ولقد ارسلنا من قبلك رسلا في الفرق الاولين والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال من رسول الا كانوا به يستهزءون يعزي نبيه عليه السلام كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اي كما سلكنا الكفر والاستهزاء في شيع الاولين نسلكه اي الكفر والاستهزاء في قلوب المجرمين من امتك من اختار ذلك يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها وهو حجة على المعتزلة في الاصلح وخلق الافعال لا يؤمنون به بالله او بالذكر وهو حال وقد خلت سنة الاولين مضت طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم ولو فتحنا عليهم بابا من السماء ولو اظهرنا لهم اوضح آية وهو فتح باب السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون لقالوا انما سكرت ابصارنا حيرت او حبست من الابصار من السكر او من السكر سكرت مكي اي حبست كما يحبس النهر من الجري والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك او الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار ولقد جعلنا في السماء خلقنا فيها بروجا نجوما او قصورا فيها الحرس او منازل النجوم وزيناها اي السماء للناظرين وحفظناها اي السماء من كل شيطان رجيم ملعون او مرمي بالنجوم الا من استرق السمع اي السرق ومن في محل النصب على الاستثناء فاتبعه شهاب نجم ينقض فيعود مبين ظاهر للمبصرين قيل كانوا لا يحجبون عن السموات كلها فلما ولد عيسى منعوا من ثلث السموات كلها والارض مددناها

حفظناها من تحت الكتبة والجهود على انه تعالى عدها على وجه الملك والقينا فيها رواسي في الارض
جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل شي موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه
لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب المنفعة والنعمة او ما يوزن
كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وخص ما يوزن لانتهاء
الكيل الى الوزن وجعلنا لكم فيها في الارض معايش ما يعاش به من المطاعم جمع معيشة
وهي بياء صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فان تصريح اليا فيها خطأ ومن لستم له برازقين
من في محل النصب بالعطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش
وجعلنا لكم من لستم له برازقين او جعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال
والمماليك والخدم الذين يظنون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقكم
واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب ونحو ذلك ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير
المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار وان من شي
الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شي ينتفع
العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم
فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور وارسلنا الرياح لواقح جمع لاقحة اي وارسلنا
الرياح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب في جوفها كانها لاقحة بها من لقحت الناقة
حملت وضدها العقيم الريح حين فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا
وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شي الا عندنا خزائنه كانه
قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما
انتم عليه بقادرين دلالة على قدرته وعجزهم وانا لنحن نحيي بالايجاد ونميت بالافناء
او نميت عند انقضاء الآجال ونحيي لجزاء الاعمال على التقديم والتاخير اذ الواو للجمع
المطلق ونحن الوارثون الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة
من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ولقد علمنا المستقدمين منكم
ولقد علمنا المستاخرين من تقدم ولادة وموتا ومن تاخر او من خرج من اصلاب
الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام او في الطاعة او في صف الجماعة او في
صف الحرب ومن تاخر وان ربك هو يحشرهم اي هو وحده يقدر على حشرهم و
يحيط بحصرهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم ولقد خلقنا الانسان اي آدم من صلصال
كائن من حماء اي طين اسود متغير مسنون مصور وفي الاول كان ترابا فعجن بالماء فصار

طينا

طينا فمكث فصار حماء فخلص فصار سلالة فصور ويبس فصار صلصالا فلا تناقض
والجان ابا الجن كآدم للناس او هو ابليس وهو منصوب بفعل مضمر يفسره خلقناه من قبل
من قبل آدم من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين
جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا
من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته اتممت خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها ونفخت فيه من
روحي وجعلت فيه الروح واحييته وليس ثم نفخ وانما هو تمثيل والاضافة للتخصيص
فقعوا له ساجدين هو امر من وقع يقع اي اسقطوا على الارض يعني اسجدوا له والفاء في فقعوا
لانه جواب اذا وهو دليل على انه يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل فسجد الملائكة كلهم اجمعون
فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص كلهم وذكر الكل احتمال وقيل التفرق فقطع بقوله اجمعون
الا ابليس ظاهر الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة فلما غير المامور لا يتصف بالترك
ملعونا وقال في الكشاف كان بينهم الا منفذا ابى ان يكون مع الساجدين امتنع ان يكون معهم
وله استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل له ذلك واستكبر عنه وقيل
معناه ولكن ابليس ابى قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين حرف الجر مع ان محذوف
تقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين اي اي غرض لك في ابائك السجود قال لم اكن لاسجد
اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني ان اسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون قال فاخرج
منها من السماء او من الجنة او من جملة الملائكة فانك رجيم مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لان اللعن
هو الطرد من الرحمة والابعاد منها وان عليك اللعنة الى يوم الدين ضرب يوم الدين حدا للعنة لانه
ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم او المراد به انك مذموم مدعو عليك باللعن في السموات والارض
الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه قال رب فانظرني
فاخرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يوم الدين ويوم يبعثون
ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة
وقيل انما سال الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث
احد فلم يجب الى ذلك فانظر الى آخر ايام التكليف قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما
مصدرية وجواب القسم لازينن لهم والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي والحق
بما اغويتني لازينن لهم فبعزتك لاغوينهم فانه اقسم الا ان احدهما اقسام بصفة الذات والثاني
اقسام بصفة الفعل وقد فرق الفقهاء فقال العراقيون الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة
والعزة يمين والحلف بصفات الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين والاصح ان الايمان مبنية على

العرف فما تعارف الناس الحلف به يكون يمينا وما لا فلا والآية حجة على المعتزلة في خلق الافعال
وحملهم على التسبيب عدول عن الظاهر في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور واراد اني اقدر
على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض
اقدر ولأغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وبكسر اللام بصري ومكي وشامي استثنى المخلصين
لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك من الغاوين اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي
الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقيل معنى علي الي علي يعقوب من علو الشرف والفضل
وان جهنم لموعدهم اجمعين الضمير للغاوين لها سبعة ابواب لكل باب منهم من اتباع ابليس
جزء مقسوم نصيب معلوم مفرز قيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين
يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين
والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين ان المتقين في جنات وعيون
وبضم العين مدني وبصري وحفص المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه
وقال في الشرح ان دخل اهل الكبائر في قوله لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم فالمراد بالمتقين
الذين اتقوا الكبائر والا فالمراد به الذين اتقوا الشرك ادخلوها اي يقال لهم ادخلوها بسلام حال
اي سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة آمنين من الخروج منها والآفات فيها وهو حال
اخرى ونزعنا ما في صدورهم من غل هو الحقد الكامن في القلب اي ان كان لاحدهم غل في الدنيا
على آخر نزع الله ذلك في الجنة من قلوبهم فطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات
في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب اخوانا حال على سرر متقابلين كذلك قيل
تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضا لا يمسهم
فيها نصب في الجنة تعب وما هم منها بمخرجين فتمام النعمة بالخلود ولما اتم ذكر الوعد والوعيد
اتبعه نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم تقريرا لما ذكر وتمكينا له
في النفوس قال عليه السلام لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه
في العبادة ولما اقدم على ذنب وعطف ونبئهم واخبرهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل
من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان
عذابه هو العذاب الاليم عن ضيف ابراهيم اي اضيافه وهو جبريل مع احد عشر ملكا والضيف
يكون واحدا وجمعا لانه مصدر ضافه اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت

سلاما

سلاما قال ابراهيم انا منكم وجلون خائفون لامتناعهم من الاكل او لدخولهم بغير اذن
وبغير وقت قالوا لا توجل لا تخف انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل
اي انك مبشر آمن فلا توجل وبالتخفيف وفتح النون حمزة بغلام عليم هو اسحق لقوله وبشرناه
باسحق قال ابشرتموني على ان مسني الكبر اي ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي
ان الولادة امر مستنكر عادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه
قيل فبأي اعجوبة تبشرون وبكسر النون والتشديد مكي والاصل تبشرونني فادغم نون الجمع في نون
العماد ثم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها تبشرون بالتخفيف نافع والاصل تبشرونني
فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين والباقون بفتح النون وحذف
المفعول والنون نون الجمع قالوا بشرناك بالحق باليقين الذي لا لبس فيه فلا تكن من القانطين
من الآيسين من ذلك قال اي ابراهيم ومن يقنط وبكسر النون بصري وعلي من رحمة ربه الا الضالون
الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
اي لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها قال فما خطبكم فما شأنكم
ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اي قوم لوط الا آل لوط يريد اهله المؤمنين و
الاستثناء منقطع لان القوم موصوفون بالاجرام والمستثنى ليس كذلك او متصل فيكون استثناء
من الضمير في مجرمين كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم والمعنى مختلف
باختلاف الاستثناءين لان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال يعني انهم ارسلوا الى القوم
المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال السهم الى
المرمي في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم
واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال يعني ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا
هؤلاء واذا انقطع الاستثناء جرى انا لمنجوهم اجمعين مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى
لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كأن ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط
فقالوا انا لمنجوهم الا امرأته مستثنى من الضمير المجرور في لمنجوهم وليس باستثناء من الاستثناء لان
الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه بان يقول اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته وهنا
قد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته تعلق بمنجوهم فكيف
يكون استثناء من استثناء لمنجوهم بالتخفيف حمزة وعلي قدرنا وبالتخفيف ابوبكر انها لمن الغابرين
الباقين في العذاب قيل لو لم يكن اللام في خبرها لوجب فتح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا
ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون وانما اسند الملائكة فعل التقدير الى انفسهم ولم يقولوا

قدر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والآمر هو الملك فلما جاء آل لوط المرسلون
قال انكم قوم منكرون اى لا اعرفكم اذ ليس عليكم زي السفر ولا انتم من اهل الحضر فاخاف ان
تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك
بما فيه سرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله
فيمترون فيه اي يشكون ويكذبونك واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون
في الاخبار بنزوله بهم فاسر باهلك بقطع من الليل في آخر الليل او بعد ما يمضي شيء صالح
من الليل واتبع ادبارهم وسر خلفهم لتكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم ولا يلتفت منكم
احد لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وجعل النهي عن الالتفات
كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى
وقفة وامضوا حيث تؤمرون حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر وقضينا
اليه ذلك الامر وعدي قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفي ذلك الامر
بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر ودابرهم آخرهم اى يستاصلون
عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين وقت دخولهم في الصبح وهو حال من هؤلاء
وجاء اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور يستبشرون بالملائكة طمعا
منهم في ركوب الفاحشة قال لوط ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء
الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله ولا تخزون ولا تذلوني باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان
وبالياء فيهما يعقوب قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم فانهم كانوا
يتعرضون لكل احد وكان عليه السلام يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه
وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين او عن ضيافة الغرباء قال هؤلاء بناتي فانكحوهن
وكان نكاح المومنات من الكفار جائزا ولا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين ان كنتم تريدون قضاء
الشهوة فيما احل الله دون ما حرم فقالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم اى في
غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به
عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويلتفتون الى نصحك
او الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط تعظيما له والعمر والعمر
واحد وهو البقاء الا انهم خصوا القسم بالمفتوح ايثارا للاخف فيه لكثرة دوره على السنتهم ولذا
حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمي فاخذتهم الصيحة صيحة جبرئيل عليه السلام مشرقين داخلين
في الشروق وهو بزوغ الشمس فجعلنا عاليها سافلها رفعها جبرئيل الى السماء ثم قلبها وامطرنا عليهم

من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفرسين المتاملين كانهم يعرفون باطن الشيء بسمة ظاهره وانها
وان هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار
وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل ان في ذلك لآية للمؤمنين لانهم المنتفعون
بذلك وان كان اصحاب الايكة وان الشان كان اصحاب الايكة اى الغيضة لظالمين
وهم قوم شعيب عليه السلام فانتقمنا منهم فاهلكناهم لما كذبوا شعيبا وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة
لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به
ولقد كذب اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني
صالحا لان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فمن كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا
او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه واتيناهم آياتنا
فكانوا عنها معرضين اى اعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا اى
ينقبون في الجبال ابنية من الحجارة آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تنهدم ومن
نقب اللصوص والاعداء او آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم
الصيحة العذاب مصبحين في اليوم الرابع وقت الصبح فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء
البيوت الوثيقة واقتناء الاموال النفيسة وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
الا خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان
الساعة اى القيمة لتوقعها كل ساعة لآتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على
حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح الصفح الجميل
فاعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء قيل هو منسوخ باية السيف وان اريد به المخالقة
فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم العليم بحالك وحالهم فلا يخفى
عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم ولقد آتيناك سبعا اى سبع آيات وهي الفاتحة او سبع سور وهي
الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما
وقيل سورة يونس او اسباع القرآن من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان الفاتحة
مما تكرر في الصلاة او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله تعالى الواحد مثناة او مثنية واما
السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء
كانها تثني على الله تعالى فاذا جعلت السبع مثاني فمن للتبيين واذا جعلت القرآن مثاني فمن للتبعيض
والقرآن العظيم هذا ليس بعطف الشيء على نفسه لانه اذا اريد بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراءهن ينطلق
عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف

واذا اريد به الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع
لهذين النعتين وهو الثنية او الثناء والعظم ثم قال لرسوله لا تمدن عينيك اي لا تطمح ببصرك
طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار كاليهود والنصارى
والمجوس يعني قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة وهي القرآن العظيم
فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن
وحديث ابي بكر من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد
صغر عظيما وعظم صغيرا ولا تحزن عليهم اي لا تمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا
فيتقوى بمكانهم الاسلام والمسلمون واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لمن معك
من فقراء المسلمين المؤمنين وطب نفسا عن ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير المبين
انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم كما انزلنا متعلق بقوله ولقد آتيناك
اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن
عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء
حيث قالوا بعنادهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فا
قتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة
البقرة لي ويقول آخر سورة آل عمران لي او اريد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه
فاليهود اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل و
كذبت ببعض ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اي انذر
المعضين الذين يجزؤون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين
وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين
لينفروا الناس عن الايمان برسول الله عليه السلام يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه
ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله ولا تمدن عينيك على الوجه
الاول اعتراض بينهما لانه لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم
وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف
على كفرهم ومن الامر بان يقبل بكليته على المؤمنين فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا
يعملون اقسم بذاته وربوبيته لرسوله ليسألن يوم القيامة واحدا واحدا من هؤلاء المقتسمين عما
قالوه في رسول الله صلى الله عليه وسلم او في القرآن او في كتب الله فاصدع بما تؤمر فاجهر به
واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا من الصديع وهو الفجر او فاصدع فافرق بين
الحق

الحق والباطل من الصدع في الزجاجة وهو الابانة بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله
امرتك الخير فافعل ما امرت به واعرض عن المشركين اي وهو من سهامهم انا كفيناك المستهزئين
الجمهور على انها نزلت في خمسة نفر كانوا يبالغون في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به
فاهلكهم الله وهم الوليد بن المغيرة مر بنبال فتعلق بثوبه سهم فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات
والعاص بن وائل دخل في اخمصه شوكة فانتفخت رجله فمات والاسود بن عبد المطلب عمي
والاسود بن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والحارث
بن قيس امتخط قيحا ومات الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم
يوم القيامة ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فيك او في القرآن او في الله فسبح بحمد ربك
وكن من الساجدين فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك
ويكشف عنك الغم واعبد ربك ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت يعني ما دمت
حيا فاشتغل بالعبادة وكان النبي عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة

[illegible] ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد
فقيل لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه سبحانه
وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك وعن اشراكهم فما موصولة او مصدرية واتصال
هذا باستعجالهم من حيث ان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك ينزل الملائكة وبالتخفيف
مكي وابو عمرو بالروح بالوحي او بالقرآن لان كلا منهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد فيحيي القلوب
القلوب الميتة بالجهل من امره على من يشاء من عباده ان انذروا ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي
فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا فاتقون اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته
والمعنى اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون فخافون وبالياء يعقوب ثم دل على وحدانيته وانه
لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وهو قوله خلق السموات والارض
بالحق تعالى عما يشركون وبالتاء في الموضعين حمزة والكسائي وخلق الانسان وما يكون منه وهو قوله
خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين اي فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم
مبين لحجته بعد ما كان نطفة لا حس بها ولا حراك او فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل
من يحيي العظام وهي رميم وهو وصف للانسان بالوقاحة والتمادي في كفران النعمة وخلق
ما لا بد منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وهو قوله والانعام خلقها لكم
من الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه

او بالعطف على الانسان اى خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اى ما خلقها الا لكم يا جنس الانسان

فيها دفء هو اسم ما يدفا به من لباس معمول من صوف او وبر او شعر ومنافع ونسلها ودرها

ومنها تاكلون قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يوكل من غيرها لان الاكل منها هو

الاصل الذى يعتمده الناس فى معايشهم واما الاكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر

فكغير المعتد به وكالجارى مجرى التفكه ولكم فيها جمال حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها

بالعشى وحين تسرحون ترسلونها بالغداة الى مسارحها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها

لانه من اغراض اصحاب المواشى لان الرعيان اذا روحوها بالعشى وسرحوها بالغداة فزينت

بارواحها وتسريحها الافنية وفرحت اربابها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس وانما قدمت

الاراحة على التسريح لان الجمال فى الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع وتحمل اثقالكم

احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وبفتح الشين ابو جعفر وهما لغتان فى معنى المشقة

وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع

واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد والمعنى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا

بالغيه لو لم تخلق الابل الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم اومعناه لم تكونوا بالغيها

الا بشق الانفس وقيل اثقالكم ابدانكم ومنه الثقلان للجن والانس ومنه واخرجت الارض

اثقالها اى بنى آدم ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح

والخيل والبغال والحمير لتركبوها ونصبها عطف على الانعام اى وخلق هذه للركوب والزينة وقد

احتج ابو حنيفة رحمه الله على حرمة اكل لحم الخيل لانه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل

لحم الخيل لانه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره فى الانعام ومنفعة الاكل اقوى

والاية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم ان يذكر فى موضع المنة ادنى النعمتين ويترك اعلاهما

وانتصاب زينة على المفعول له عطفا على محل لتركبوها ويخلق ما لا تعلمون من اصناف خلائقه وهو له

ويخلق ما لا تعلمون ومن هذا وصفه يتعالى ان يشرك به غيره وعلى الله قصد السبيل المراد بالجنس

ولذا قال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اى

مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان هداية الطريق الموصل الى

الحق عليه كقوله ان علينا للهدى وليس ذلك للوجوب اذ لا يجب على الله شئ ولكن يفعل ذلك تفضلا

وفضلا منه وقال الزجاج معناه وعلى الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء اليه بالحجج

ومنها جائر ومن السبيل مائل عن الاستقامة ولو شاء لهداكم اجمعين الى ما يليه اللطف بالتوفيق والانعام بعد الهدى العام هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب لكم متعلق بانزل

تشربون به

او

او خبر لشراب وهو ما يشرب ومنه شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى فيه تسيمون من سامت الماشية

اذا رعت فهى سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات

فى الارض ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ولم يقل كل الثمرات

لان كلها لا يكون الا فى الجنة وانما انبت فى الارض بعض من كلها للتذكرة ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون

فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والاية الدلالة الواضحة وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم

مسخرات بامره بنصب الكل على وجعل النجوم مسخرات شامى على الابتداء والخبر ان فى ذلك لايات

لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء

والعظمة وما ذرا لكم فى الارض معطوف على الليل والنهار اى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك

مختلفا حال الوانه ان فى ذلك لاية لقوم يذكرون يتعظون وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا

هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيوكل سريعا طريا خيفة الفساد ولذا لا يحنث

بالاكل اذا حلف لا ياكل لحما لان مبنى الايمان على العرف ومن قال للغلام اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك

كان حقيقا بالانكار وتستخرجوا منه حلية هى اللؤلؤ والمرجان تلبسونها المراد بلبسهم لبس نسائهم

ولكنهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم وترى الفلك مواخر فيه جوارى تجرى جريا وتشق الماء

شقا والمخر شق الماء بحيزومها فيه ولتبتغوا وابتغاء الفضل التجارة ولعلكم تشكرون الله على ما

انعم به عليكم والقى فى الارض رواسى جبالا ثوابت ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب ولئلا

تميد بكم لكن حذف للصاف الكوفى قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر احد

على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا لان القى فيه معنى جعل وسبلا

طرقا لعلكم تهتدون الى مقاصدكم او الى توحيد ربكم وعلامات هى معالم الطرق وكل ما يستدل به

السابلة من جبل وغير ذلك وبالنجم هم يهتدون المراد بالنجم الجنس او هو الثريا والفرقدان وبنات

نعش والجدى فان قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم

كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كان لهم قريش اهتداء

بالنجوم فى مسايرهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم

لهم فخصصوا افمن يخلق اى الله تعالى كمن لا يخلق اى الاصنام وجئ بمن الذى هو لاولى العلم لزعمهم

حيث سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولى العلم ولان المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق

من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده وانما لم يقل فمن لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره

اياه لكونه الزاما للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله لانهم حين جعلوا غير الله مثل الله

فى تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن

كمن لا يخلق

يخلق وهو حجة على المعتزلة في خلق الافعال أفلا تذكرون فتعرفوا فساد ما انتم عليه وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا عن ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر ولما اتبع
ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراء ما لا ينحصر ولا يعد ان الله لغفور رحيم يتجاوز عن تقصيركم
في اداء شكر النعم ولا يقطعها عنكم لتفريطكم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اقوالكم وافعالكم وهو وعيد
والذين يدعون بالياء والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وبالتاء حفص وعاصم لا يخلقون شيئا وهم
يخلقون أموات اي هم اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون نفى عنهم خصائص الالهية
بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم
مخلوقون اموات جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا
احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت وامرهم بالعكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي
لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت جزاء منهم على عبادتهم
وفيه دلالة على انه لا بد من بعث الهكم اله واحد اي ثبت بما مر ان الالهية لا تكون لغير الله وان معبودكم
واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها
لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اي سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب
المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين واذا قيل لهم لهؤلاء الكفار ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين
ماذا منصوب بانزل اي اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء اي اي شيء انزل ربكم واساطير خبر مبتدأ
محذوف قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا سألهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله قالوا اساطير الاولين اي احاديث الاولين واباطيلهم
واحدها اسطورة واذا رأوا اصحاب رسول الله يخبرونهم بصدقه وانه نبي فهم الذين قالوا خيرا
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا
اوزار ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان
واللام للتعليل بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال الا ساء ما يزرون محل
ما بعد قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد اي من جهة القواعد وهي الاساطين وهذا
تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم
بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فأتي البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف
وهلكوا والجمهور على ان المراد به نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع
وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا فأتى الله اي امر بالاستيصال فخر عليهم
السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون

ثم يوم

ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي سوى ما عذبوا به في الدنيا ويقول اين شركائي
على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم الذين كنتم تشاقون
فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم تشاقون نافع اي تشاقونني لان مشاقة
المؤمنين كانها مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء من اممهم الذين
كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويشاقونهم ذلك شماتة بهم او هم
الملائكة ان الخزي اليوم الفضيحة والسوء العذاب على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة و
بالياء حمزة وكذا ما بعده ظالمي انفسهم بالكفر بالله فألقوا السلم اي الصلح والاستسلام اي اخبتوا
وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا
ما وجد منهم من الكفران والعدوان فرد عليهم اولو العلم وقالوا بلى ان الله عليم بما كنتم
تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خالدين
فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا الشرك ماذا انزل ربكم قالوا
خيرا وانما نصب هذا ورفع اساطير لان التقدير هنا انزل خيرا فاطبقوا الجواب
على السؤال وثمة التقدير هو اساطير الاولين فعدلوا بالجواب عن السؤال للذين احسنوا
في هذه الدنيا اي آمنوا وعملوا الصالحات اي قالوا لا اله الا الله حسنة بالرفع اي ثواب
وأمن وغنيمة وهو بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه
تسميته خيرا ثم حكاه او هو كلام مستأنف عدة للقائلين وجعل قولهم من جملة احسانهم
ولدار الآخرة خير اي لهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره جنات
عدن خبر مبتدأ محذوف او هي المخصوص بالمدح لتقدم ذكره جنات عدن يدخلونها
تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة
طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم قيل
اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فيقول السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام
ويبشره بالجنة ويقال لهم في الآخرة ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون بعملكم هل ينظرون ما ينتظر
هؤلاء الكفار الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وبالياء حمزة وعلي او يأتي امر ربك
اي العذاب المستأصل او القيمة كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين
من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما استحقوا
به التدمير فاصابهم سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن

ما حاط بهم جزاء استهزائهم وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء
نحن ولا اباؤنا هذا الكلام صدر منهم استهزاء ولو قالوا اعتقادا لكان صوابا ولا حرمنا من
من دونه من شيء يعني البحيرة والسائبة ونحوهما كذلك فعل الذين من قبلهم اي كذبوا الرسل
وهو من الضلال وقالوا مثل قولهم استهزاء فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا ان يبلغوا
الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله
بان وحدوه واجتنبوا الطاغوت الشيطان يعني طاعته فمنهم من هدى الله لاختيارهم الهدى
ومنهم من حقت عليه الضلالة اي لزمت لاختيارهم اياها فسيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين حيث اهلكهم الله واخلى ديارهم عنهم ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ايمانهم واعلمه انهم من قسم من حقت عليهم الضلالة فقال ان تحرص على
هداهم فان الله لا يهدي من يضل بفتح الياء وكسر الدال كوفي الباقون بضم الياء وفتح الدال ولا وجه
فيه ان من يضل مبتدا ولا يهدي خبره وما لهم من ناصرين ينصرونهم من جهة ان حكم الله
عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذي اعده لهم واقسموا بالله جهد ايمانهم معطوف على وقال
الذين اشركوا لا يبعث الله من يموت بلى هو اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وعدا عليه حقا
هو مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الوعد حق
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان وعده حق او انهم يبعثون ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى
اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين والكافرين الذي يختلفون فيه
هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لا يبعث الله من يموت انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اي فهو يكون وبالنصب شامي وعلي عطف على نقول قولنا
مبتدا وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا
وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف وهذا عبارة عن سرعة الايجاد
يبين ان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المامور به عند امر الآمر
المطاع اذا ورد على المامور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى
بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات والذين هاجروا
في الله في حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله
منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة لنبوئنهم
في الدنيا حسنة صفة لمصدر اي تبوئة حسنة او لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث
آواهم اهلها ونصروهم ولاجر الآخرة اكبر الوقف لازم عليه لان جواب لو كانوا يعلمون

محذوف

محذوف والضمير للكفار اي لو علموا ذلك لرغبوا في الدين او للمهاجرين اي لو كانوا يعلمون لزادوا
في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا اي هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا
على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم
وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله وعلى ربهم يتوكلون اي يفوضون الامر الى ربهم ويرضون بما
اصابهم في دين الله ولما قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا نزل وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا يوحى اليهم على السنة الملائكة نوحي حفص فاسألوا اهل الذكر اي اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث
الى الامم السالفة الا بشرا وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ان كنتم لا تعلمون بالبينات
والزبر اي بالمعجزات والكتب والباء متعلق برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات او بارسلنا
مضمرا كانه قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات او بيوحى اي يوحى اليهم بالبينات او بلا تعلمون وقوله فاسألوا
اهل الذكر اعتراض على الوحي للتعقيد وانزلنا اليك الذكر القرآن لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر
مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا به واوعدوا ولعلهم يتفكرون في تنبيهاته فيتنبهوا افأمن الذين
مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله ان يخسف الله بهم
الارض كما فعل بمن تقدمهم او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون اي بغتة او يأخذهم
في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف متخوفين
وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف
قوله من حيث لا يشعرون فان ربكم لرؤوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم
مع استحقاقكم والمعنى انه اذا لم يأخذكم مع ما فيكم فانما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم اولم يروا
وبالتاء حمزة وعلي وابو بكر الى ما خلق الله ما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤا ظلاله
اي يرجع من موضع الى موضع وبالتاء بصري عن اليمين اي الايمان والشمائل جمع شمال سجدا
لله حال من الظلال عن مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء وهم داخرون صاغرون
وهو حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو والنون
لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى او لم يروا الى ما
خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي ترجع الظلال من جانب الى
جانب منقادة لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة
ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها غير ممتنعة ولله يسجد ما في السموات وما في الارض
من دابة من بيان لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا يدبون فيها
كما يدب الاناسي في الارض او بيان لما في الارض وحده والمراد بما في السموات ملائكتهن

وبقوله والملائكة الارض من الحفظة وغيرهم قبيل الولاة بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم
وبسجود غيرهم انقياده لارادته ومعنى الانقياد يجمعهما فلم يختلفا فلذا جاز ان يعبر عنهما بلفظ
واحد وجئ بما لانه صالح للعقلاء وغيرهم ولو جئ بمن لتناول العقلاء خاصة وهم لا يستكبرون
يخافون ربهم هو حال من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين من فوقهم
ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه
فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده ويفعلون ما يؤمرون وفيه
دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي وانهم بين الخوف والرجاء وقال الله
لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء
الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص
فاما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد
ورجلان اثنان قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية
والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعنى به منهما هو العدد شفع بما يؤكده فدل به
على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل
انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وهو من
طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله فاياه فارهبوه فارهبون مبني يعقوب وله
ما في السموات والارض وله الدين اي الطاعة واصبا واجبا ثابتا لان كل نعمة منه فالطاعة
واجبة له على كل منعم عليه وهو حال عمل فيه الظرف او وله الجزاء دائما يعني الثواب والعقاب
افغير الله تتقون وما بكم من نعمة واي شئ اتصل بكم من نعمة عافية وغنى وخصب فمن الله
فهو من الله ثم اذا مسكم الضر المرض والفقر والجدب فاليه تجارون فما تتضرعون
الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم
بربهم يشركون الخطاب للمشركين فقوله منكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم
انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما اتيناهم من نعمة
الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ثم اوعدهم فقال فتمتعوا فسوف تعلمون
هو عدول الى الخطاب على التهديد ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم اي لالهتهم
ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها الهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك
لانها جماد لا تنفع ولا تضر او الضمير في لا يعلمون للالهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر
اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم تالله

لتسألن وعيد عما كنتم تفترون انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها ويجعلون لله البنات كانت
خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب
من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز في ما الرفع على الابتداء ولهم الخبر والنصب
على العطف على البنات وسبحانه اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه اي وجعلوا
لانفسهم ما يشتهون من الذكور واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا صار فظل
وامسى واصبح وبات تستعمل بمعنى الصيرورة ولان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مسود
الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المرأة يتوارى من القوم من سوء
ما بشر به يستخفي منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسكه على
هون ايمسك ما بشر به على هوان وذل ام يدسه في التراب ام يئده الا ساء ما يحكمون حيث
يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف للذين
لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن
خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو
العزيز الغالب في تنفيذ ما اراد الحكيم في امهال العباد ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعا
صيهم ما ترك عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين عن ابي هريرة ان
الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره
بذنب ابن آدم وعن ابن عباس رضي الله عنهما من دابة من مشرك يدب عليها ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى اي اجل كل احد او وقت تقتضيه الحكمة او القيامة فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون ما يكرهونه لانفسهم من البنات ومن شركاء
في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم ويجعلون له اراذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف
السنتهم الكذب مع ذلك اي ويقولون الكذب ان لهم الحسنى عند الله وهي الجنة ان كان البعث حقا كقوله
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وان لهم الحسنى بدل من الكذب لا جرم ان لهم النار
وانهم مفرطون مفرطون نافع مفرطون ابو جعفر فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون
اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته او منسيون متروكون من افرطت
فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط
في الطاعات اي التقصير فيها تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك اي ارسلنا رسلا الى من تقدمك
من الامم فزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والتكذيب بالرسل فهو وليهم اليوم
اي قرينهم في الدنيا تولى اضلالهم بالغرور او الضمير لكفار قريش اي زين للكفار قبلهم اعمالهم

فهو وليهم اليوم لانهم منهم او هو على حذف المضاف اى فهو ولى امثالهم اليوم ولهم عذاب اليم في القيمة
وما انزلنا عليك الكتاب القرآن الا لتبين لهم للناس الذى اختلفوا فيه هو البعث لانه كان
فيهم من يؤمن به ومنهم من يكذب وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما
فعلا الذى انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل لقوم يؤمنون
والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون سماع انصاف
وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه لا يسمع وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وبفتح
النون نافع وشامي وابو بكر قال الزجاج سقيته واسقيته بمعنى واحد ذكر سيبويه الانعام
في الاسماء المفردة الواردة على افعال ولذا رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين
فلان معناه الجمع وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقال نسقيكم مما في بطونه من بين
فرث ودم لبنا خالصا اى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما
برزخ لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة
العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة
على هذه الاصناف الثلثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش
ثم ينحدر وفي ذلك عبرة لمن اعتبر وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز
اللبن من بين فرث ودم سائغا للشاربين سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن
قط ومن الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية لابتداء الغاية ويتعلق
ومن ثمرات النخيل والاعناب بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب
اى من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف
عن كنه الاسقاء او بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد والضمير في منه يرجع الى
المضاف المحذوف الذى هو العصير والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا
وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا ثم فيه وجهان احدهما ان تكون الاية سابقة على
تحريم الخمر فتكون منسوخة وثانيهما ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ
وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد و
هو حلال عند ابى حنيفة رحمه الله وابي يوسف رحمه الله الى حد السكر ويحتجان بهذه الاية و
بقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ورزقا حسنا
هو الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ان في ذلك لاية لقوم يعقلون واوحى
ربك الى النحل والهمها ان اتخذي من الجبال بيوتا هي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول

قال

قال الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتانيث باعتبار المعنى في الجبال ومن
الشجر ومما يعرشون يرفعون من سقوف البيت او ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت
من الاماكن التي تتعسل فيها ومن للتبعيض لانها لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش و
في يعرشون للناس وبضم الراء شامي وابو بكر ثم كلي من كل الثمرات اى ابني البيوت ثم كلي من كل ثمرة
تشتهيها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك فادخلي الطريق التي الهمك وافهمك في عمل العسل او اذا اكلت
الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تضلين فيها ذللا جمع
ذلول وهي حال من السبل لان الله تعالى ذللها وسهلها او من الضمير في فاسلكي اى وانت ذلل منقادة
لما امرت به غير ممتنعة يخرج من بطونها شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف
الوانه منه ابيض واصفر واحمر من الشباب والكهول والشيب او على الوان اغذيتها فيه شفاء
للناس لانه من جملة الادوية النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس
الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان فيه بعض
الشفاء لان النكرة في الاثبات تخص وشكى رجل استطلاق بطن اخيه فقال عليه السلام اسقه
عسلا فجاء وقال زاده شرا فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن اخيك اسقه عسلا فسقاه
فصح وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم
بالشفائين القرآن والعسل ومن بدع الروافض ان المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم انه
قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما
يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون في عجيب امرها فيعلم ان الله اودعها علما بذلك وفطرها كما اولى اولى
العقول عقولهم والله خلقكم ثم يتوفيكم بقبض ارواحكم من ابدانكم ومنكم من يرد الى
ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة او ثمانون او تسعون لكيلا يعلم
او لئلا يعلم بعد علم شيئا لينسى ما يعلم او لئلا يعلم زيادة علم على علمه ان الله عليم بحكمة
التحويل الى الارذل من الاكمل والى الافناء من الاحياء قدير على تبديل ما يشاء كما يشاء من الاشياء
والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اى جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق
مماليككم وهم بشر مثلكم فما الذين فضلوا في الرزق يعني الملاك برادي رزقهم على ما ملكت
ايمانهم فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى يتساووا في الملبس والمطعم فهم فيه
سواء جملة اسمية وقعت في موضع جملة فعلية لانه جواب النفي بالفاء وتقديره فما الذين فضلوا
برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا مع عبيدهم في الرزق وهو مثل ضربه للذين جعلوا له

شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم فتجعلونهم فيه شركاء
ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء افبنعمة الله يجحدون
بالتاء ابو بكر فجعل ذلك من جملة جحود النعمة والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم
وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة
ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد واختلف فيه فقيل هم الاختان على البنات
وقيل هم اولاد الاولاد او البنين وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم
ويعينونكم ورزقكم من الطيبات اي بعضها لان كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا
انموذج منها افبالباطل يؤمنون هو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وشفاعتها وبنعمة
الله اي الاسلام هم يكفرون او الباطل الشيطان والنعمة محمد عليه السلام او الباطل ما يسول
لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم ويعبدون من دون
الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا اي الصنم جماد لا يملك ان يرزق
شيئا فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئا
اي لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه اي قليلا ومن السموات
والارض صلة للرزق ان كان مصدرا اي لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض
نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الالهة بعد
ما قال لا يملك على اللفظ والمعنى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتاتى ذلك فيهم فلا تضربوا
لله الامثال فلا تجعلوا لله مثلا فانه لا مثل له اي فلا تجعلوا له شركاء ان الله يعلم انه لا مثل له
من الخلق وانتم لا تعلمون ذلك او ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك
والوجه الاول ثم ضرب المثل فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا بدل من مثلا مملوكا لا يقدر
على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا مصدران في موضع الحال
اي مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين
حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء وقيد بالمملوك
ليميزه من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا اذ هما من عباد الله وبلا يقدر على شيء ليمتاز
من المكاتب والماذون فهما يقدران على التصرف ومن موصوفة اي وحرا رزقناه ليطابق عبدا
او موصولة هل يستوون جمع الضمير لارادة الجمع اي لا يستوي القبيلان الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون
ان الحمد والعبادة لله ثم زاد في البيان فقال وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على
شيء الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره

ويعوله اينما يوجهه لا يات بخير حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم
يات بنجح هل يستوي هو ومن يامر بالعدل اي ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد
وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم
وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من اثار رحمته ونعمه وللاصنام التي هي اموات لا تضر
ولا تنفع ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه
او اراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع
عليه احد منهم وما امر الساعة في قرب كونها وسرعة قيامها الا كلمح البصر كرجع طرف وانما ضرب به المثل
لانه لا يعرف زمان اقل منه او هو اي الامر اقرب وليس هذا لشك المخاطب ولكن المعنى كونها
في كونها على هذا الاعتبار وقيل بل هو اقرب ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة
ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم
وبكسر الالف وفتح الميم علي اتباعا لكسرة النون وبكسرهما حمزة والهاء مزيدة في امهات للتوكيد
كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة لا تعلمون شيئا حال اي غير
عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم
تشكرون اي وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب
العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب
وهو من جمع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة لعدم السماع في غيرها الم يروا وبالتاء شامي
وحمزة الى الطير مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية
لذلك في جو السماء هو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو ما يمسكهن في قبضهن و
بسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته وفيه نفي لما تصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بان الخلق لا غنى به عن الخالق والله جعل لكم من بيوتكم
سكنا هو فعل بمعنى مفعول اي ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف وجعل لكم
من جلود الانعام بيوتا هي قباب الادم تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض
والنقل يوم ظعنكم بسكون العين كوفي وشامي وبفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين
وسكونها الارتحال ويوم اقامتكم قراركم في منازلكم والمعنى انها خفيفة عليكم في اوقات
السفر والحضر على ان اليوم بمعنى الوقت ومن اصوافها اي اصواف الضأن واوبارها اوبار
الابل واشعارها اشعار المعز اثاثا متاع البيت ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين
مدة من الزمان والله جعل لكم مما خلق ظلالا كالاشجار والسقوف وجعل لكم من الجبال

الكتان اجر كن وسرابيل ومما ستركم من كهف وغار وجعل لكم سرابيل اى القمصان والثياب
من الصوف والكتان والقطن تقيكم الحر وهى تقى البرد ايضا الا انه اكتفى باحد الضدين
ولان الوقاية من الحر اهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا وسرابيل تقيكم باسكم والدروع
من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم فى قتالكم والباس شدة الحرب والسربال عام يقع
على ما كان من حديد او غيره كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اى تنظرون فى نعمه
السابغة فتؤمنون به وتنقادون له فان تولوا اعرضوا عن الاسلام فانما عليك البلاغ
المبين اى فلا تبعة عليك فى ذلك لان الذى عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت يعرفون
نعمة الله التى عددناها باقوالهم فانهم يقولون انها من الله ثم ينكرونها بافعالهم حيث عبدوا
غير المنعم او فى الشدة ثم فى الرخاء واكثرهم الكافرون اى الجاحدون غير المعترفين
او نعمة الله نبوة محمد عليه السلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون
بقلوبهم وثم يدل على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة
ان يعترف لا ان ينكر ويوم انتصابه باذكر نبعث نحشر من كل امة شهيدا نبيها يشهد لهم
وعليهم بالتصديق والتكذيب والايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار والمعنى
لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون
اى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم انهم يمنون بعد شهادة
الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم فى القاء معذرة
ولا ادلاء بحجة واذا راى الذين ظلموا كفروا العذاب فلا يخفف عنهم اى العذاب بعد الدخول
ولا هم ينظرون يمهلون قبله واذا راى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التى عبدوها قالوا
ربنا هؤلاء شركاؤنا اى الهتنا التى جعلناها شركاء الذين كنا ندعو من دونك اى نعبد
فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اى اجابوهم بالتكذيب لانها كانت جمادا لا تعرف
من عبدها ويحتمل انهم كذبوهم فى تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله عن الشرك والقوا يعنى
الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم القوا السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار
فى الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا فى انفسهم وصدوا عن سبيل الله وحملوا غيرهم
على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب اى عذابا بكفرهم وعذابا بصدهم عن سبيل الله بما
كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بالصد ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم
يعنى نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا

عليك الكتاب تبيانا بيانا بليغا لكل شىء من امور الدين اما فى الاحكام المنصوصة فظاهر وكذا فيما
ثبت بالسنة او بالاجماع او بقول الصحابة او بالقياس لان مرجع الكل الى الكتاب حيث امرنا فيه باتباع
رسوله وطاعته بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وحثنا على الاجماع فيه بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين
وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع اصحابه بقوله اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد والقياس مع انه امرنا به بقوله فاعتبروا
يا اولى الابصار فكانت السنة والاجماع وقول الصحابة والقياس مستندة الى تبيان الكتاب فتبين
انه كان تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ودلالة الى الحق ورحمة لهم وبشارة بالجنة
لهم ان الله يامر بالعدل بالتسوية فى الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وايصال كل ذى حق الى
ذى حقه والاحسان الى من اساء اليكم او هما الفرض والندب لان الفرض لا بد من ان يقع فيه
تفريط فيجبره الندب وايتاء ذى القربى واعطاء ذى القرابة وهو صلة الرحم وينهى عن الفحشاء
عن الذنوب المفرط فى القبح والمنكر ما تنكره العقول والبغى طلب التطاول بالظلم والكبر يعظكم حال
او مستانف لعلكم تذكرون تتعظون بمواعظ الله وهذه الاية سبب اسلام عثمان بن مظعون
فانه قال ما كنت اسلمت الا حياء منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض على الاسلام ولم يستقر
الايمان فى قلبى حتى نزلت هذه الاية وانا عنده فاستقر الايمان فى قلبى فقراتها على الوليد بن المغيرة
فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما هو بقول البشر
وقال ابو جهل ان الهه ليامره بمكارم الاخلاق وهى اجمع اية فى القران للخير والشر ولهذا يقرؤها
كل خطيب على المنبر فى اخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مامور ومنهى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
هى البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة
بعد توكيدها بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغة والهمز بدل منها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا
ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ان الله يعلم ما تفعلون من البر والحنث
فيجازيكم به ولا تكونوا فى نقض الايمان كالتى نقضت غزلها من بعد قوة كالمراة التى انحت
على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هى ريطة و
كانت حمقاء تغزل هى وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون
ايمانكم حال كانكاثا دخلا احد مفعولى تتخذ اى ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اى مفسدة
وخيانة ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعنى جماعة قريش هى اربى ازيد عددا واوفر اموالا
من جماعة المؤمنين هى اربى مبتدا وخبر فى موضع الرفع صفة لامة وامة فاعل تكون وهى تامة
وهى ليست بفصل لوقوعها بين نكرتين انما يبلوكم الله به الضمير للمصدر اى انما يختبركم بكونهم

انفسه لينظروا اتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدتم من ايمان البيعة لرسول الله عليه السلام ام
تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون
اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب وفيه تحذير عن مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة حنيفية مسلمة ولكن يضل من يشاء من علم منه اختيار الضلال ويهدى
من يشاء من علم منه اختيار الهداية ولتسئلن عما كنتم تعملون يوم القيمة فتجزون به ولا تتخذوا
ايمانكم دخلا بينكم كرر النهى عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظمه فتزل
قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وانما وحد القدم
ونكر للاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام
كثيرة وتذوقوا السوء في الدنيا بما صددتم بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم عن الدين
او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا اتخذ نقضها سنة لغيرهم يستنون
بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله عليه السلام
ثمنا قليلا عوضا من الدنيا يسيرا كان قوما ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم عما راوا
من غلبة قريش واستضعافهم للمسلمين ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا
ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله انما عند الله اى انما عند الله من ثواب الآخرة
هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته
باق لا ينفد ولنجزين وبالنون مكى وعاصم الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر او انثى بينهم ليتناول النوعين
الا ان ذاتى للتذكير فبين بقوله من ذكر او انثى ليعم الوعد النوعين جميعا وهو مؤمن شرط الايمان
لان اعمال الكفار غير معتد بها وهو يدل على ان العمل ليس من الايمان فلنحيينه حيوة طيبة اى
في الدنيا ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وعد الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله
فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او
معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة
والرضى بقسمة الله تعالى واما الفاجر فامره بالعكس ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فالحرص
لا يدعه ان يتهنا بعيشه وقيل الحيوة الطيبة القناعة او حلاوة الطاعة او المعرفة بالله وصدق
المقام مع الله وصدق الوقوف على امر الله والاعراض عما سوى الله تعالى فاذا قرات القرآن فاذا
اردت قراءة القرآن فاستعذ بالله فعبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لانها سبب له والفاء للتعقيب
ان القراءة المحدثة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور من الشيطان يعنى ابليس الرجيم المطرود

الملعون

الملعون قال ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ
بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لى قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه
جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له لابليس سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون فان المؤمن المتوكل لا يقبل منه وساوسه انما سلطانه على الذين يتولونه يتخذونه
وليا ويتبعون وساوسه والذين هم به مشركون الضمير يعود الى ربهم او الى الشيطان اى بسببه
واذا بدلنا آية مكان آية بتبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله بما ينسخ الشرائع بالشرائع بحكمة ما
وهو معنى قوله والله اعلم بما ينزل وبالتخفيف مكى وابو عمرو قالوا انما انت مفتر هو جواب اذا
وقوله والله اعلم بما ينزل اعتراض كانوا يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه
غدا فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق بل اكثرهم
لا يعلمون الحكمة في ذلك قل نزله روح القدس اى جبريل عليه السلام اضيف الى القدس وهو الطهر
كما يقال حاتم الجود والمراد الروح المقدس المطهر من المآثم من ربك من عنده وامره بالحق حال اى نزله
ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة لانه حكيم
لا يفعل الا ما هو حكمة وصواب حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب وهدى و
بشرى معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة للمسلمين
وفيه تعريض بحصول اضدادها من الخصال لغيرهم ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر اراد
غلاما كان لحويطب قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان صاحب كتب
او هو جبر غلام رومى لعامر بن الحضرمى او عبدان جبر ويسار كانا يقرآن التورية والانجيل فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن او سلمان الفارسى لسان الذى يلحدون اليه وينظر اليه
حرف وعلى اعجمى وهذا لسان عربى مبين اى لسان الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة
اليه لسان اعجمى غير بين وهذا القرآن عربى مبين ذو بيان وفصاحة رد لقولهم وابطال لطعنهم
وهذه الجملة اعنى قوله لسان الذى يلحدون اليه اعجمى لا محل لها لانها استئناف جواب لقولهم واللسان
اللغة ويقال لحد القبر ولحد وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم
استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا لحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه
عن الاديان كلها ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اى القرآن لا يهديهم الله ما داموا مختارين للكفر
ولهم عذاب اليم في الآخرة على كفرهم انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله اى انما
يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه وهو رد لقولهم انما انت مفتر واولئك
اشارة الى الذين لا يؤمنون اى واولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب

آيات الله اعظم الكذب او واولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر جوزوا ان يكون
من كفر بالله من بعد ايمانه شرطا مبتدا وحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه
قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ساكن به ولكن من شرح
بالكفر صدرا اى طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم
وان يكون بدلا من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا
بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره
فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وان
يكون بدلا من المبتدا الذى هو اولئك اى ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر
الذى هو الكاذبون اى واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه وان ينتصب على الذم روى ان
ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد
للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية فقتلا وهما اول قتيلين في الاسلام فقيل يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه
ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله عليه السلام يمسح عينيه وقال
مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وما فعل ابواه افضل لان في الصبر على القتل اعزازا
للاسلام ذلك اشارة الى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم بانهم استحبوا آثروا
الحيوة الدنيا على الآخرة اى بسبب ايثارهم الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدى القوم الكافرين
ما داموا مختارين للكفر اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فلا يتدبرون
ولا يصغون الى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون
ثم ان ربك ثم للدلالة على تباعد حال هؤلاء عن حال اولئك للذين هاجروا من بعد اى انه لهم لا عليهم
يعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا
غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر فتنوا شامى اى بعد ما عذبوا المؤمنين
ثم اسلموا ثم جاهدوا المشركين بعد الهجرة وصبروا على الجهاد ان ربك من بعدها من بعد هذه
الافعال وهى الهجرة والجهاد والصبر لغفور لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية
رحيم لا يعذبهم على ما قالوا في حالة الاكراه يوم تأتى منصوب برحيم او باذكر كل نفس تجادل
عن نفسها ولذا اضيفت النفس الى النفس اذ يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره
والنفس الجملة كما فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتي كل انسان

يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم
هؤلاء اضلونا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا الآية والله ربنا ما كنا مشركين وتوفى كل نفس
ما عملت تعطى جزاء عملها وافيا وهم لا يظلمون في ذلك وضرب الله مثلا قرية اى جعل القرية
التى هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان تراد
قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا
من مثل عاقبتها كانت آمنة من القتل والسبي مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن والانزعاج
والقلق مع الخوف يأتيها رزقها رغدا واسعا من كل مكان من كل بلد فكفرت بانعم الله جمع نعمة على
ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
بما كانوا يصنعون الاذاقة واللباس استعارتان والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار
ووجه صحة ذلك ان الاذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس
الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر
والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان
والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع
عبارة عما يغشى منها ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولقد جاءهم
رسول منهم اى محمد عليه السلام فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اى حال
التباسهم بالظلم وقالوا انه القتل بالسيف يوم بدر روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجه الى اهل مكة في سنى القحط بطعام ففرق فيهم فقال الله لهم بعد ان اذاقهم الجوع فكلوا مما
رزقكم الله على يدى محمد حلالا طيبا بدل ما كنتم تأكلونه حراما خبيثا من الاموال المأخوذة
بالغارات والغصوب وخبائث الكسوب واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون
او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله
ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم فقال انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به
فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم انما الحصر اى المحرم هذه دون البحيرة واخواتها
وباقى الآية قد مر تفسيره ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هو منصوب بلا تقولوا اى
ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحى او الى القياس المستنبط
منه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام
بدل من الكذب ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال

وهذا حرام بلا تقولوه اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب
اي ولا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم وتجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة
ولكن قول ساذج ودعوى بلا برهان وقوله ونصف السنتكم الكذب من فصيح الكلام
جعل قولهم كانه عين الكذب فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته
بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر واللام في لتفتروا على الله الكذب
من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع
قليل ولهم عذاب اليم هو خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال
الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك
من قبل في سورة الانعام يعني وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية وما
ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فحرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم
ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين
غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لا عصيان المولى
ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم
ان ابراهيم كان امة انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله
وليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مومنا وحده والناس
كلهم كفار او كان امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير قانتا لله هو
القائم بما امر الله وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان معاذا كان امة قانتا لله فقيل
له انما هو ابرهيم عليه السلام فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله
وكان معاذ كذلك وقال عمر رضي الله عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة قانت لله
ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون حنيفا مائلا عن الاديان الى ملة الاسلام
ولم يك من المشركين نفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش لزعمهم انهم على ملة ابيهم ابرهيم و
حذف النون للتشبيه بحروف اللين شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا بضيف
فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم
الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني
وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام
وآتيناه في الدنيا حسنة نبوة واموالا واولادا او تنويه الله بذكره فكل اهل دين يتولونه

وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين في ثم تعظيم منزلة نبينا عليه السلام
واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا ملته
انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه اي فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه
وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون روي ان موسى عليه السلام امرهم
ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم
الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا
بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة
فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم
بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما هو اهله ادع الى سبيل ربك الى الاسلام
بالحكمة بالمقالة الصحيحة المحكمة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي
التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها او بالقرآن اي ادعهم بالكتاب الذي
هو حكمة وموعظة حسنة او الحكمة المعرفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة ان يخلط الرغبة
بالرهبة والانذار بالبشارة وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق
المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة او بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو
العقول وهو رد على من يابى المناظرة في الدين ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين اي هو اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل ومن لا خير فيه عجزت عنه
الحيل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمي الفعل الاول عقوبة والعقوبة هي الثانية
لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فالثانية ليست بسيئة والمعنى ان صنع
بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين
يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فراى النبي عليه السلام حمزة مبقور البطن فقال اما
والذي احلف به لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف
في تحريم المثلة لورود الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
الضمير للصبر اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله
عليهم لانهم صابرون على الشدائد ثم قال لرسوله عليه السلام واصبر وهو امر له بالصبر وما صبرك
الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكفار ان لم يؤمنوا او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون
فانهم وصلوا الى مطلوبهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ضيق مكي والضيق اي في امر ضيق وبضيق

وان بعضهم اختاروا وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت

لهو خير للصابرين الضمير لهو يرجع الى مصدر صبرتم

منصور ان يكونوا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اى هو ولى الذين اجتنبوا
السيئات وولى العاملين بالطاعات وقيل من اتقى في افعاله واحسن في اعماله كان الله معه
في احواله وبقيته نصرته في الدنيا وعصمته عن الخطيئة

سورة [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره
تقديره سبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ الذى
اسرى بعبده محمد عليه السلام وسرى واسرى لغتان ليلا نصب على الظرف وقيد بالليل
والاسراء لا يكون الا بالليل للتاكيد او ليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به
في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة من المسجد الحرام قيل اسرى به من دار
ام هانى بنت ابى طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن
عباس رضى الله عنهما الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فقد قال
عليه السلام بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتانى جبريل
بالبراق وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد اخبر
قريشا عن عيرهم وعدد جمالها واحوالها واخبرهم ايضا بما راى في السماء من العجائب وانه لقى
الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الاسراء قبل الهجرة بسنة وكان في اليقظة وعن عائشة
رضى الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله عليه السلام ولكن عرج بروحه وعن معاوية
مثله وعلى الاول الجمهور اذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنائم الى المسجد الاقصى هو بيت المقدس لانه لم يكن
حينئذ وراءه مسجد الذى باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء ومهبط
الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة لنريه اى محمدا عليه السلام من آياتنا الدالة
على وحدانية الله وصدق نبوته برؤيته السموات وما فيها من الآيات انه هو السميع للاقوال
البصير بالافعال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم انه هو
وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة وآتينا موسى الكتاب وجعلناه اى الكتاب وهو
التوراة هدى لبنى اسرائيل الا تتخذوا اى لا تتخذوا وبالياء ابو عمرو اى لئلا يتخذوا من دونى
وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او على النداء فيمن
قرأ لا تتخذوا بالتاء على النهى اى قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح
انه اى نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا في السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة بالثناء على
المنعم وروى انه كان لا ياكل ولا يشرب ولا يلبس الا قال الحمد لله فانتم ذرية من آمن به وحمل معه

فاجعلوه

فاجعلوه اسوتكم كما جعله اباؤكم اسوتهم واية توبيخ للابناء بصحة الاقتداء بسنة الاباء وقدح فيهم
حال الآباء هنالك مكونوا اتها الابناء كذلك وقضينا الى بنى اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض
واوحينا اليهم وحيا مقضيا اى مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة والكتاب التوراة
ولتفسدن جواب قسم محذوف او جرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له
كانه قال واقسمنا لتفسدن مرتين اوليهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارميا عليه السلام حين انذرهم
سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى عليهم السلام ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن
عن طاعة الله من قوله ان فرعون علا في الارض والمراد به البغى والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين
فاذا جاء وعد اوليهما اى وعد عقاب اوليهما بعثنا عليكم سلطنا عليكم عبادا لنا اولى باس
شديد اشداء في القتال يعنى سنحاريب وجنوده او بخت نصر او جالوت قتلوا علماءهم
واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فجاسوا خلال الديار ترددوا
للغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشيء بالاستقصاء وكان وعدا مفعولا وكان وعد العقاب
وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اى الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم
عن الفساد والعلو [illegible] قتل بخت نصر واستنقاذ بنى اسرائيل اسراءهم واموالهم
ورجوع الملك اليهم وقيل اعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقتل داود جالوت وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها قيل اللام بمعنى على كقوله وعليها ما اكتسبت
والصحيح انها على بابها لان اللام للاختصاص والعامل مختص بجزاء عمله حسنة كانت او سيئة
يعنى ان الاحسان والاساءة مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن على رضى الله عنه
ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوءوا
اى هؤلاء وجوهكم وحذف لدلالة ذكر اولاهما عليه اى ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها
كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ليسوء شامى وحمزة وابو بكر والضمير لله عز وجل او للوعد
او للبعث لنسوء على وليدخلوا المسجد بيت المقدس كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا
ما علوا مفعول ليتبروا اى ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم
بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصى وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم
وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن ابن عباس رضى
الله عنهما سلط عليهم المؤمنين الى يوم القيامة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا يقال للسجن
محصر وحصير ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم للحالة التى هى اقوم الحالات واسدها وهى توحيد الله

والايمان برسله والعمل بطاعته او للحالة او للطريقة ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ويبشر وعلى ان لهم بان لهم اجرا كبيرا اى الجنة وان الذين وبان لا يؤمنون
بالاخرة اعتدنا اى اعددنا وهيأنا لهم عذابا اليما يعنى النار والآية ترد القول بالمنزلة
بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة
ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير ويطلب النفع العاجل وان قل بالضرر الآجل وان
جل وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه
تأني المتبصر او اريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما
يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعنى ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا
الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدع في
الخط على موافقة اللفظ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار
مبصرة اى الليل والنهار آيتان في انفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين
كاضافة العدد الى المعدود اى فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية
التي هي النهار مبصرة او وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل
التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس
ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى التصرف
في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين والحساب يعنى حساب
الآجال ومواسم الاعمال ولو كانا مثلين والنهار وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم
فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه يعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل للعنق لا ينفك عنه ونخرج له يوم
القيامة كتابا يلقاه موصوفة لكتابا يلقاه منشورا حال من يلقاه يعنى غير مطوي ليمكنه قراءته
او هما صفتان للكتاب ونقول اقرأ كتابك اى كتاب اعمالك وكل يبعث قارئا كفى بنفسك
اليوم عليك الباء زائدة اى كفى نفسك حسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك
حسب عليه كذا او بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه
وانما ذكر حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامين لان الغالب ان يتولى هذه الامور الرجال
فكأنه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا او تأول النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي
لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها اى فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال ولا تزر وازرة وزر

اخرى اى كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا وما صح منا ان نعذب قوما عذاب استئصال في الدنيا الا بعد ان نبعث اليهم رسولا
فتلزمهم الحجة واذا اردنا ان نهلك قرية اى اهل قرية امرنا مترفيها متنعميها وجبابرتها بالطاعة عن
لدعوة والزجاج ففسقوا فيها اى خرجوا عن الامر كقولك امرته فعصى لو امرنا كثرنا دليله قراءة
يعقوب آمرنا ومنه الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اى كثيرة النسل فحق عليها
القول فوجب عليها الوعيد فدمرناها تدميرا فاهلكناها اهلاكا وكم اهلكنا من القرون
بيان لكم من بعد نوح يعنى عادا وثمود وغيرهما وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا وان اخفوها
في الصدور بصيرا وان ارخوا عليها الستور من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لا ما
يشاء لمن نريد بدل من له باعادة الجار وهو بدل البعض من الكل اذ الضمير يرجع الى من اى من
كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد
المعجل بمشيئته والمعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون
الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة
واما المؤمن التقي فقد اختار غنى الآخرة فان اوتي حظا من الدنيا فبها والا فربما كان الفقر خيرا له
ثم جعلنا له جهنم في الآخرة يصلاها يدخلها مذموما ممقوتا مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن
اراد الآخرة وسعى لها سعيها هو مفعول به اى حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة وهو
مؤمن مصدق لله في وعده ووعيده فاولئك كان سعيهم مشكورا مقبولا عند الله مثابا عليه
عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب
وتلا الآية فانه شرط فيها ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة والسعي فيما كلف
والايمان الثابت كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض عن المضاف اليه وهو منصوب
بقوله نمد هؤلاء بدل من كلا اى نمد هؤلاء وهؤلاء اى من اراد العاجلة ومن اراد الآخرة من عطاء
ربك رزقه ومن يتعلق بنمد والعطاء اسم للمعطى اى نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا
للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا
عن عباده وان عصوا انظر بعين الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض في المال والجاه والسعة
والكمال وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا روى ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا
بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا
من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعنى الى الاسلام فاسرعوا وابطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت
في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر لا تجعل مع الله الها آخر

الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به امته فتقعد مذموما مخذولا فتصير جامعا على نفسك الذم
والخذلان وقيل مشتوما بالاهانة محروما عن الاعانة اذ الخذلان ضد النصر والعون دليله
قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده حيث
ذكر الخذلان بمقابلة النصر وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا الا اياه ان مفسرة
ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا او بان
تحسنوا بالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها
ولذا دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا
يكرمك ولكن اما تكرمنه احدهما فاعل يبلغن وهو قراءة غير حمزة وعلي يبلغان بدل من
الف الضمير الراجع الى الوالدين او كلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدلا فلا تقل لهما أف
مدني وحفص أفّ مكي وشامي أفٍّ غيرهم وهو صوت يدل على تضجر فالكسر على اصل التقاء الساكنين
والفتح للتخفيف والتنوين لارادة التنكير اي اتضجر تضجرا وتركه لقصد التعريف اي اتضجر
التضجر المعلوم ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر اخوان وقل لهما بدل
التافيف والنهر قولا كريما جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب او بان تقول يا ابتاه
يا اماه ولا تدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها
نحلني ابو بكر كذا وفائدة عندك انهما اذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه
وذلك اشق عليه فهو مامور بان يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما
أف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان
اليهما بتوحيده ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر
ومع احوال لا يكاد يصبر الانسان معها واخفض لهما جناح الذل اي اخفض لهما جناحك
كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض
لهما جناحك الذليل من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى
من كان افقر خلق الله اليهما بالامس وقال الزجاج وألن جانبك متذللا لهما من مبالغتك في الرحمة
لهما وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان
يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك والمراد
بالخطاب غيره والدعاء مختص بالابوين المسلمين وقيل اذا كانا كافرين له ان يسترحم
لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا
الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل

العاق

العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق
الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم
ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين ربكم اعلم بما في نفوسكم
بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين ومن الغلظ والكرامة في خدمتهما ان تكونوا صالحين
قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدي
الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم منها فانه كان للاوابين غفورا الاواب الذي اذا اذنب
بادر الى التوبة وجاز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج
تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه
اي النفقة اذا كانوا محارم فقراء والمسكين وابن السبيل اي وآت هؤلاء حقهم من الزكاة
ولا تبذر تبذيرا ولا تسرف اسرافا قيل التبذير تفريق المال في غير الحل والمحل فعن
مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه
لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم
يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي
ان يطاع لانه لا يدعو الا الى مثل فعله واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين
وابن السبيل حياء من الرد ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا اي وان
اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجوا ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا
فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء
مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس
فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله كان معناه قولا ذا ميسور وهو
اليسر اي دعاء فيه يسر وابتغاء مفعول له او مصدر في موضع الحال وترجوها حال ايضا ولا
تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط كل نصب على المصدر لاضافته اليه وهذا
تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير فتقعد
ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا
وحرمني ويقول الغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما
فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا اثر فيه اثرا بلغا او عاريا من
حسر اذا ... وقد خاطرت مسلمة ضرها اليهودية في انه اجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها

فسأله قميصه الذي عليه فدفعه وقعد عريانا فاقيمت الصلوة فلم يخرج للصلوة فنزلت ثم سلى رسوله
بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان بسط الارزاق وقدرها
مفوض الى الله تعالى فقال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يوسعه ويضيق
فلا لوم عليك انه كان بعباده خبيرا بمصالحهم فيمضيها بصيرا بحوائجهم فيقضيها ولا تقتلوا او
لادكم قتلهم اولادهم وأدهم بناتهم خشية املاق فقر نحن نرزقهم واياكم نهاهم عن ذلك وضمن
ارزاقهم ان قتلهم كان خطأ كبيرا اثما عظيما يقال خطئ خطأ كأثم اثما خطأ يزيد وهو ضد الثواب
اسم من اخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر خطاء مكي ولا تقربوا الزنا بالقصر فيه
الشيء بالمد لغة وقد قرئ به وهو نهي عن دواعي الزنا كالمس والقبلة ونحوهما ولو اريد النهي
عن نفس الزنا لقال ولا تزنوا انه كان فاحشة معصية مجاوزة حد الشرع والعقل وساء سبيلا
وبئس طريقا طريقه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق اى بارتكاب ما يبيح الدم ومن قتل
مظلوما غير مرتكب ما يبيح الدم فقد جعلنا لوليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه فلا يسرف
في القتل الضمير للولي اى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية او الاسراف
المثلة او للقاتل الاول فلا تسرف حمزة وعلي على خطاب الولي او قاتل المظلوم انه كان منصورا
الضمير للولي اى حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك والمظلوم
اى الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب او للذي يقتله الولي
بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف وظاهر الآية يدل على ان القصاص
يجري بين الحر والعبد وبين المسلم والذمي لان انفس اهل الذمة والعبيد داخلة في الآية
لكونها محرمة ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي الحفظة
او الطريقة التي حفظه عليه وتثميره حتى يبلغ اشده اى ثماني عشرة سنة واوفوا بالعهد باوامر الله ونواهيه
ان العهد كان مسؤلا مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او ان صاحب العهد كان مسؤلا
واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس وبكسر القاف حمزة وعلي وحفص وهو كل ميزان صغر
او كبر من موازين الدراهم وغيرها وقيل هو القرسطون المستقيم ذلك خير في الدنيا واحسن تاويلا
عاقبة تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف ما ليس لك به علم ولا تتبع ما لا تعلم لا تقل
رايت وما رايت وسمعت وما سمعت وعن ابن الحنفية لا تشهد بالزور وعن ابن عباس
لا ترم احدا بما لا تعلم ولا يصح التشبث به لمبطل الاجتهاد لان ذا نوع من العلم فان [illegible]
واقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به كما في الشهادات ولنا في العمل بخبر الواحد كما
ذكرنا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد

لان

الوأد زنده در گور کردن دختران

لان اولئك كما يكون اشارة الى العقلاء يكون اشارة الى غيرهم كقول جرير ذم المنازل
بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اى كل واحد
منها كان مسؤلا عنه فمسؤل مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في غير المغضوب عليهم
يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت
على ما لم يحل لك العزم عليه كذا في الكشاف وفيه نظر لبعضهم لان الجار والمجرور انما يقومان مقام
الفاعل اذا تأخرا عن الفعل فاما اذا تقدما فلا ولا تمش في الارض مرحا هو حال اى ذا مرح
انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئك ولن تبلغ الجبال
طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال ولن تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل او المفعول كل ذلك
كان سيئه كوفي وشامي على الاضافة سيئة الحجازي كل سيئة عند ربك مكروها ذكر مكروها
لان السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار لتانيثها الا ترى
تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فان قلت الخصال المذكورة بعضها سيء وبعضها حسن
ولذلك قرأ سيئه بالاضافة اى ما كان من المذكور سيئا كان عند الله مكروها فاما من قرأ
سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك اشارة
الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية مما اوحى اليك ربك من الحكمة
مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس باسوته ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما
مدحورا مطرودا من الرحمة عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثماني عشرة آية كانت في الواح
موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر وآخرها مدحورا ولقد جعلت فاتحتها النهي عن
الشرك لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه حكمه وان بذ فيها الحكماء وحك
بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم ثم خاطب
الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله افاصفاكم ربكم بالبنين فالهمزة للانكار يعني اخصكم ربكم على وجه
الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا واتخذ ادونهم وهي البنات
وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم فالعبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها ويكون
اردؤها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما حيث اضفتم اليه الاولاد وهي من خواص
الاجسام ثم فضلتم عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ولقد صرفنا في هذا القرآن اى
التنزيل والمراد ولقد صرفنا اى هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم
ليذكروا وبالتخفيف حمزة وعلي اى كررناه ليتعظوا وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وكان الثوري
اذا قراها يقول زادني لك خضوعا ما زاد اعداك نفورا قل لو كان معه آلهة كما تقولون

الخرق دريدن وزمين بريدن
من قرأه
وخافتها
ساوده
وهو اطلاق اضافة البنات

وبالياء كي" وحفص اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا
بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او ليتقربوا اليه لقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة واذن دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو سبحانه
وتعالى عما يقولون وبالتاء حمزة والكسائي علوا اى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة كبيرا وصف
العلو بالكبر مبالغة في معنى البراءة والبعد عما وصفوه به تسبح وبالتاء عراقي غير ابي بكر له السموات السبع
والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده اى يقول سبحان الله وبحمده عن السدي قال
عليه السلام ما اصطيد حوت في البحر ولا طير يطير الا بما يضيع من تسبيح الله ولكن لا تفقهون
تسبيحهم لاختلاف اللغات او لتعسر الادراك او ينسب لتسبيح انه ناظر اليه والدال على الخير كفاعله
والوجه الاول انه كان حليما عن جهل العباد غفورا لذنوب المؤمنين واذا قرأت القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ذا ستر او حجابا لا يرى فهو مستور وجعلنا على قلوبهم
اكنة جمع كنان وهو الذى يستر الشئ ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا ثقلا يمنع عن الاستماع
واذا ذكرت ربك في القرآن وحده يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة
فهو مصدر سد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا ولوا على ادبارهم رجعوا على اعقابهم نفورا
مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اى يحبون ان تذكر معه الهتهم لانهم يشركون فاذا سمعوا
بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما يستمعون به اى نحن اعلم بالحال او طريقة التى يستمعون القرآن به والنزال
من الهزء وهو محذوف وبه حال وبيان لما اى يستمعون القرآن هازئين لا جادين والواجب
عليهم ان يستمعوا جادين اذ يستمعون اليك نصب باعلم اى اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم
نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذو نجوى اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر
فجن انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا فلا يستطيعون سبيلا الى فضلوا
في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدرى ما يصنع وقالوا
اى منكروا البعث ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اى مجددا مخلوقا حال اى نحو قبر
قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اى السموات والارض فانها تكبر عندكم عن قبول الحياة
فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم
ويرده الى حال الحياة بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمدة خلقه الذى يبنى
عليه سائره فليس ببدع ان يرده الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم ابعد شئ من الحياة وهو ان
تكونوا حجارة او حديدا لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحي فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها
نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو اى البعث استبعادا له ونفيا قل عسى ان يكون قريبا اى هو قريب

وعسى للوجوب يوم يدعوكم الى المحاسبة وهو يوم القيمة فتستجيبون بحمده اى تجيبون بحمده
حامدين والباء للحال عن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم
وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا اى لبثا قليلا او زمانا قليلا في الدنيا او في القبور وقل لعبادى
وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التى هى احسن ولين ولا يخاشنوهم وعن ان يقولوا يهديكم
الله ان الشيطان ينزغ بينهم يلقى بينهم الفساد ويغرى بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاقة و
والنزغ ايقاع الشر وافساد ذات البين وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان ان الشيطان كان للانسان
عدوا مبينا ظاهر العداوة او فسر التى هى احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالهداية
والتوفيق او ان يشأ يعذبكم بالخذلان اى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم
من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ
بينهم اعتراض وما ارسلناك عليهم وكيلا حافظا لاعمالهم وموكولا اليك امرهم
وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة وربك اعلم بمن في السموات
والارض وباحوالهم وبما يستأهل كل واحد منهم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
فيه اشارة الى تفضيل رسول الله عليه السلام وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وانه
خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وامته ولم يعرف الزبور
هنا وعرفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه كالعباس وعباس والفضل وفضل قل ادعوا الذين
زعمتم انهم الهتكم من دونه من دون الله وهم الملائكة او عيسى وعزير او نفر من الجن عبدهم
ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اى ادعوهم
فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد
الى آخر اولئك مبتدا الذين يدعون صفته اى يدعونهم آلهة او يعبدونهم والخبر يبتغون
الى ربهم الوسيلة يعنى ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة الى الله عز وجل ايهم بدل
من واو يبتغون واى موصولة اى يبتغى من هو اقرب منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب
او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك
بالطاعة وازدياد الخير ويرجون رحمته ويخافون عذابه كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون
انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبى
مرسل فضلا عن غيرهم وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا
شديدا قيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة كان ذلك في الكتاب في اللوح

وقيل ان التراب يسبح ما لم يبتل وان الورق يسبح ما دام على الشجر والماء يسبح ما دام جاريا وان الثوب يسبح ما دام جديدا او غسيلا معه

المضبوط مسطورا مكتوبا وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك في تفسيرها أما مكة فيخربها الحبشة
وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما
خراسان فعذابها ضروب أما بلخ فتصيبهم هدة فيهلك أهلها وأما بدخشان فيخربها أقوام وأما
ترمذ فأهلها يموتون بالطاعون وأما صغانيان إلى واشجرد فيقتلون بقتل ذريع وأما سمرقند
فيغلب عليها بنو قنطورا فيقتلون أهلها قتلا ذريعا وكذا فرغانة والشاش وإسبيجاب وخوارزم
وأما بخارا فهي أرض الجبابرة فيموتون قحطا وجوعا وأما مرو فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء
والعباد وأما هراة فيمطرون بالحيات فتأكلهم أكلا وأما نيسابور فيصيب أهلها رعد وبرق
وظلمة فيهلك أكثرهم وأما الري فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم وأما أرمينية وأذربيجان
فيهلكها سنابك الخيول والجيوش والصواعق والرواجف وأما همدان فالديلم يدخلها
ويخربها وأما حلوان فتمر بها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجال
من جهينة فيدخل مصر فويل لأهل مصر وويل لأهل دمشق وويل لأهل إفريقية وويل لأهل
الرملة ولا يدخل بيت المقدس وأما سجستان فيصيبهم ريح عاصف أياما ثم هدة تأتيهم
ويموت فيها العلماء وأما كرمان وأصبهان وفارس فيأتيهم عدو وصاحوا صيحة يخلع القلوب
ويموت الأبدان وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون استعير المنع لترك
إرسال الآيات وأن الأولى مع صلتها في موضع النصب لأنه مفعول ثان لمنعنا وأن الثانية
مع صلتها في موضع الرفع لأنه فاعل منعنا والتقدير وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين
والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن إحياء الموتى وغير ذلك
وسنة الله في الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال
فالمعنى وما منعنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع
على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل
وقد حكمنا أن نؤخرهم من بعثت إليهم إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأولون
ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لأن آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم
وواردهم فقال وآتينا ثمود الناقة باقتراحهم مبصرة آية بينة فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل
بالآيات إن أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها إلا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة
والمقدمة له فإن لم يخافوا وقع عليهم وإن أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن
وغيرها إلا تخويفا وإنذارا بعذاب الآخرة وهو مفعول له وإذ قلنا لك إن ربك أحاط
بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط

بقريش علما وقدرة فكلهم في قبضته فلا تبال بهم وامض لأمرك وبلغ ما أرسلت به أو
بشرناك بوقعة بدر وبالنصر عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على عادته
في إخباره ولعل الله تعالى أراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله
لكأني أنظر إلى مصارع القوم وهو يومئ إلى الأرض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان
فتسامعت قريش بما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدر وما أري في منامه من مصارعهم فكانوا
يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء والشجرة الملعونة في القرآن أي وما جعلنا
الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس فإنهم حين سمعوا بقوله إن شجرة الزقوم طعام
الأثيم جعلوها سخرية وقالوا إن محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر
وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ذلك فإنه لا يمتنع أن يجعل الله الشجر من جنس لا تأكله النار
فوبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل إذا اتسخت طرحت في النار
فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر فلا تضرها وخلق
في كل شجرة نارا فلا تحرقها والمعنى أن الآيات إنما نرسلها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب
الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال ونخوفهم
أي بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه
حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الإسراء والفتنة ارتداد من
استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الإسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية
وإنما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها استبعادا منهم كما سمى أشياء بأسما
ئها عند الكفرة كقوله فراغ إلى آلهتهم أين شركائي وقيل هي رؤياه أنه سيدخل مكة والفتنة الصد
بالحديبية فإن قلت ليس في القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعون
آكلوها وهم الكفرة لأنه قال فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون فوصفت بلعن أهلها على المجاز
ولأن العرب تقول لكل طعام مكروه وضار ملعون ولأن اللعن هو الإبعاد من الرحمة وهي في
أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس
قال أأسجد لمن خلقت طينا وهو تمييز أو حال من الموصول والعامل فيه أسجد على أأسجد له
وهو طين أي أصله طين قال أرأيتك هذا الذي الكاف لا موضع لها لأنها ذكرت للخطاب تأكيدا
هذا مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي أي فضلته لم كرمته علي وأنا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين فحذف ذلك اختصارا لدلالة ما تقدم عليه ثم ابتدأ فقال

لئن اخرتني وبلا ياء كوفي وشامي واللام موطئة للقسم المحذوف الى يوم القيمة لاحتنكن
ذريته لاستاصلنهم باغوائهم الا قليلا وهم المخلصون قيل هم من كل الف واحد وانما علم
الملعون ذلك بالاعلام او لانه راى انه خلق شهواني قال اذهب ليس من الذهاب الذي هو
ضد المجي وانما معناه امض لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية ثم عقبه بذكر ما جرى سوء
اختياره فقال فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم والتقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك
ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم وانتصب جزاء موفورا اي موفرا باضمار تجازون
واستفزز استزل او استخف استفزه اي استخفه والفز الخفيف من استطعت منهم بصوتك
بالوسوسة بالغناء او المزمار واجلب عليهم اجمع وصح بهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك
ورجلك بكل راكب وماش من اهل العيث فالخيل الخيالة والرجل اسم جمع للرجال ونظيره الركب
والصحب ورجلك حفص على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل
وهذا لان اقصى ما يستطاع في طلب الامور الخيل والرجل وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل
ورجال وشاركهم في الاموال والاولاد قال الزجاج كل معصية في مال وولد فابليس شريكهم
فيهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل
الى الاولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد شمس وعدهم المواعيد الكاذبة
من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وايثار العاجل على الاجل ونحو
ذلك وما يعدهم الشيطان الا غرورا هو تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ان عبادي الصالحين
ليس لك عليهم سلطان يد بتبديل الايمان ولكن بتسويل العصيان وكفى بربك
وكيلا لهم يتوكلون به من الاستعاذة منك او حافظا لهم عنك والكل امر تهديد
فيعاقب به او اهانة اي لا يتخلل ذلك بالكل ربكم الذي يزجي يجري ويسير لكم الفلك
في البحر لتبتغوا من فضله بعوا الربح في التجارة انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر في البحر اي
خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم كل من تدعونه في حوادثكم
الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه او ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده
هو الذي ترجونه على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص بعد الخلاص
وكان الانسان اي الكافر كفورا للنعم افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف
تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض ان يخسف بكم جانب البر انتصب جانب البر
يخسف مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر
اي يقلبه وانتم عليه والحاصل ان الجوانب كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا

سبب من اسباب الهلاك ليس جانب البحر وحده مختصا به بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي
جانب البر الخسف وهو تغيب تحت التراب والغرق تغيب تحت الماء فعلى العاقل
ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا في البر اي ريحا تحصب
اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح
يرسلها عليكم فيها الحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يعيدكم
فيه تارة اخرى فيرسل عليكم اي ام امنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان
ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا من الريح
وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد او هو الكاسر للفلك فيغرقكم بما كفرتم بكفران
النعمة وهو اعراضكم حين نجاكم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف
اي مطالبة والمعنى انا نفعل ذلك بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار
من جهتنا ان نخسف او نرسل ان نعيدكم فنغرقكم بالنون مكي وابو عمرو ولقد كرمنا بني آدم بالعقل
والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير
الاشياء وتناول الطعام بالايدي وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف
رحمه الله فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا
لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه وحملناهم في البر على الدواب
والبحر على السفن ورزقناهم من الطيبات باللذات او بما كسبت ايديهم وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلا اي على الكل كقوله واكثرهم كاذبون قال الحسن اي كلهم وقوله
وما يتبع اكثرهم الا ظنا ذكر في الكشاف ان المراد بالاكثر الجميع وعنه عليه السلام المؤمن اكرم على الله
من الملائكة وهذا لانهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة وفي البهائم شهوة بلا عقل وفي الآدمي
كلاهما فمن غلب عقله شهوته فهو اكرم من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم
ولانه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه يوم ندعو منصوب باذكر كل اناس بامامهم اي بالعمل
والتقدير مختلطين بامامهم اي بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال
يا اتباع فلان يا اهل دين كذا او كتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير و
يا اصحاب كتاب الشر فمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرءون
كتابهم وانما قيل اولئك لان من في معنى الجمع ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم
ادنى شيء ولم يذكر الكفار وايتاء كتبهم بشمالهم اكتفاء بقوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى
كذلك واضل سبيلا من الاعمى اي اضل طريقا الاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته

لمن لا يهتدى الى طريق النجاة اما فى الدنيا فلفقد النظر واما فى الآخرة فلانه لا ينفعه
الاهتداء اليه وقد جوّزوا ان يكون الثانى بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ ابو عمرو
الاول ممالا والثانى مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم الواقعة فى
وسط الكلم فلم يقبل الامالة واما الاول فلم يتعلق به شئ فكانت الفه واقعة فى الطرف فقبلت
الامالة وامالهما حمزة وعلى وفخمهما الباقون ولما قال قريش اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب
آية رحمة حتى نؤمن بك نزل وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها و
بين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اى يخدعوك فاتنين عن الذى اوحينا
اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفترى علينا غيره لتتقول علينا ما لم نقل
يعنى ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا واذا لاتخذوك خليلا اى ولو اتبعت
مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتى ولولا ان ثبتناك
ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لك لقد كدت تركن
اليهم لقاربت ان تميل الى مكرهم شيئا قليلا ركونا قليلا وهذا تهييج من الله وفضل
تثبيت اذا لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات لاذقناك
عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال يا نساء
النبى من يات منكن بفاحشة الآية واصل الكلام لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب
عذابان عذاب فى الممات وهو عذاب القبر مضاعفين وعذاب فى الحيوة الآخرة وهو عذاب النار
والعذاب يوصف بالضعف كقوله فآتهم عذابا ضعفا من النار اى مضاعفا فكان اصل الكلام
لاذقناك عذابا ضعفا فى الحيوة وعذابا ضعفا فى الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الممات ويجوز ان يراد
بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب
النار وفى ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف فى الدارين
دليل على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله ولما نزلت كان عليه السلام يقول
اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ثم لا تجد لك علينا نصيرا معينا لك يمنع عذابنا عنك وان كادوا
اى اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة ليخرجوك
منها واذا لا يلبثون لا يبقون خلفك بعدك اى بعد اخراجك خلافك كوفى وعن ابى بكر وشامى بمعناه
الا قليلا زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل او معناه
ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب

عن جميعهم

او من ارض المدينة سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا يعنى ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين
ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اى سن الله ذلك سنة ولا تجد لسنتنا تحويلا
تبديلا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها وعلى هذا الآية جامعة للصلوات الخمس او لغروبها وعلى هذا
يخرج الظهر والعصر الى غسق الليل الى الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقرآن الفجر صلوة الفجر سميت
قرآنا وهى القراءة لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو حجة على الاصم حيث زعم ان القراءة ليست
بركن او سميت قرآنا لطول قراءتها وهو عطف على الصلوة ان قرآن الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل
والنهار ينزل هولاء ويصعد هولاء فهو فى آخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين
فى العادة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد والتهجد ترك الهجود للصلوة وهو فى النوم ايضا
تهجد به بالقرآن نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوة الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة
زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوة المفروضة غنيمة
لك او فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا نصب
على الظرف اى عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمّن يبعثك معنى يقيمك وهو مقام
الشفاعة عند الجمهور ويدل عليه الاخبار او هو مقام يعطى فيه لواء الحمد وقل رب ادخلنى مدخل
صدق هو مصدر اى ادخلنى القبر ادخالا مرضيا على طهارة من الزلات واخرجنى مخرج صدق اى اخرجنى
منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من الملامة دليله ذكره على اثر ذكر البعث وقيل
نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة او هو عام فى كل ما يدخل فيه ويلابسه
به من امر او مكان واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرنى على من خالفنى او ملكا وعزا
قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه وقل جاء الحق الاسلام وزهق وذهب وهلك الباطل
الشرك او جاء القرآن وهلك الشيطان ان الباطل كان زهوقا كان مضمحلا فى كل اوان وننزل
وبالتخفيف ابو عمرو من القرآن من للتبيين ما هو شفاء من امراض القلوب ورحمة وتفريج
للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب للمؤمنين وفى الحديث من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه
الله ولا يزيد الظالمين الكافرين الا خسارا ضلالا لتكذيبهم به وكفرهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة
والسعة اعرض عن ذكر الله او عرضنا بالقلب اعرض ونأى بجانبه تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ ان
يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب ان يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك
من عادة المستكبرين ونأى بالامالة حمزة وعلى وبكسرهما على واذا مسه الشر الفقر والمرض او نازلة من النوازل
كان يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل اى كل احد يعمل على شاكلته على مذهبه وطريقته
التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد مذهبا وطريقة

شابه

ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي أي من الأمر الذي يعلمه ربي. الجمهور على أنه الروح الذي في الحيوان سألوا عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أي مما استأثر بعلمه. وعن ابن بريدة لقد مضى النبي عليه السلام وما يعلم الروح. وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد إنفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه، والحكمة في ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على أنه عن إدراك خالقه أعجز، ولذا رد ما قيل في حده أنه جسم رقيق هوائي في كل جزء من الحيوان. وقيل هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك. وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو جبريل عليه السلام دليله نزل به الروح الأمين على قلبك. وعن الحسن القرآن دليله وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا، ولأن به حياة القلوب. ومن أمر ربي أي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر. وروي أن اليهود بعثت إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي، فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم. وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعني أهو مخلوق أم لا، وقوله من أمر ربي دليل خلق الروح فكان هذا جوابا. وما أوتيتم من العلم إلا قليلا الخطاب عام، فقد روي أن رسول الله عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلا. وقيل هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي عليه السلام قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم إن علم التوراة قليل في جنب علم الله، فالقلة والكثرة من الأمور الإضافية، فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله تعالى فهي قليلة. ثم نبه على نعمة الوحي وعزاه بالصبر على أذى الجهال في السؤال بقوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على إن موطئة للقسم، والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا ثم لا تجد لك به علينا وكيلا أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظا مسطورا إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا أي إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد، أو يكون على الاستثناء المنقطع أي ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به. وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه. ونزل جوابا لقول النضر لو نشاء لقلنا مثل هذا قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا معينا ولا يأتون جواب

قسم

قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط لقوله: يقول لا غائب مالي ولا حرم، لأن الشرط وقع ماضيا. أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل القرآن في بلاغته وحسن نظمه وكمال معناه لعجزوا عن الإتيان بمثله. ولقد صرفنا رددنا وكررنا للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه فأبى أكثر الناس إلا كفورا وإنما جاز فأبى أكثر الناس إلا كفورا ولم يجز ضربت إلا زيدا لأن أبى متأول بالنفي كأنه قيل فلم يرضوا إلا كفورا. ولما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا وبالتخفيف كوفي من الأرض أي مكة ينبوعا عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع الماء. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر والتشديد هنا مجمع عليه لقوله الأنهار خلالها وسطها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا بفتح السين مدني وعاصم أي قطعا يقال أعطني كسفة من هذا الثوب وبسكون السين غيرهم جمع كسفة كسدرة وسدر يعنون قوله إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء أو تأتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريئا أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو كقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة أو يكون لك بيت من زخرف ذهب أو ترقى في السماء تصعد إليها ولن نؤمن لرقيك لأجل رقيك حتى تنزل علينا وبالتخفيف أبو عمرو كتابا أي من السماء تصديقك نقرؤه صفة كتاب قل مكي وشامي أي قال الرسول سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم عليه هل كنت إلا بشرا رسولا أي أنا رسول كسائر الرسل بشر مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهر الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إلي إنما هو إلى الله فما بالكم تتخيرونها علي. وما منع الناس يعني أهل مكة ومحل أن يؤمنوا نصب بأنه مفعول ثان لمنع إذ جاءهم الهدى النبي والقرآن إلا أن قالوا فاعل منع والتقدير وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد عليه السلام إلا قولهم أبعث الله بشرا رسولا أي إلا شبهة تمكنت في صدورهم وهي إنكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة في أبعث للإنكار وما أنكروه فقضيته حكمته ثم رد الله تعالى عليهم بقوله قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون على أقدامهم كما يمشي الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين حال أي ساكنين في الأرض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فأما الإنس فإنما يرسل الملك إلى مختار

وبسكونه

فيه م

فأما الإنس

منهم النبوة فيتوهم ذلك المختار بدعوتهم وان شاء دعوه ويترآءوا لهما حالان من رسولاً
قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به وانكم كذبتم وعاندتم شهيداً
تمييز انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيراً عالماً باحوالهم بصيراً
بافعالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله ووعيد للكفرة ومن يهد الله فهو المهتد
وبالياء يعقوب وسهل وافقهما ابو عمرو ونافع في الوصل اي من وفقه الله لقبول ما كان من
الهدى فهو المهتدي عند الله ومن يضلل اي ومن يخذله ولم يعصمه حتى قبل وساوس
الشيطان فلن تجد لهم اولياء من دونه اي انصاراً ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
اي يسحبون عليها لقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله كيف
يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عمياً وبكماً
وصماً كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم
في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما
يقبل منهم مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها زدناهم سعيراً توقداً ذلك
جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاماً ورفاتاً ائنا
لمبعوثون خلقاً جديداً اي ذلك العذاب بسبب انهم كذبوا بالاعادة بعد الافناء
فجعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تأكلها ثم يعيدها لا يزالون على ذلك
ليزيد في تحسرهم على تكذيبهم البعث اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات
والارض قادر على ان يخلق مثلهم من الانس وجعل لهم اجلاً لا ريب فيه وهو
الموت او القيامة فابى الظالمون الا كفوراً جحوداً مع وضوح الدليل قل لو انتم تملكون
تقديره لو تملكون تملكون لان لو تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل
بعدها فاضمر تملكون على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل
من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسير وهذا هو الوجه الذي تقتضيه علم
الاعراب واما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس
هم المختصون بالشح التام خزائن رحمة ربي رحمة ربه ونفقة وكان الانسان قتوراً
بخيلاً ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات عن ابن عباس رضي الله عنهما هي العصا واليد والجراد
والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن
الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور فاسأل بني اسرائيل فقلنا له
سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل وقوله اذ جاءهم متعلق بالقول

[Margin: اذا لامسكتم خشية الانفاق اي لبخلتم خشية ان يفنيه الانفاق]

المحذوف اي قلنا له سلهم حين جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحوراً
سحرت فتخبط عقلك قال اي موسى لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات الا رب السموات
والارض خالقها بصائر حال اي بينات مكشوفات ولكنك معاند وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلماً وعلواً وقرئ علمت على اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات
منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه بقوله واني لاظنك يا فرعون مثبوراً كانه قال
ان ظننتني مسحوراً فانا اظنك مثبوراً وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك
لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحوراً
قول كذب وقال الفراء مثبوراً مصروفاً عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك
فاراد فرعون ان يستفزهم يخرجهم اي موسى وقومه من الارض ارض مصر او ينفيهم عن ظهر الارض
بالقتل والاستئصال فاغرقناه ومن معه جميعاً فحاق به مكره بان استغرقه الله باغراقه مع قبطه
وقلنا من بعده من بعد فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها
فاذا جاء وعد الآخرة اي القيامة جئنا بكم لفيفاً جمعاً مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز
بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا
القرآن الا بالحكمة وما نزل الا ملتبساً بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير وما انزلناه من السماء
الا بالحق محفوظاً بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظاً بهم من تخليط الشياطين قال الراوي
اشتكى محمد بن السماك فاخذنا ماءه وذهبنا به الى طبيب نصراني فاستقبلنا رجل حسن الوجه
طيب الرائحة نقي الثوب فقال لنا الى اين قلنا الى فلان الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله
تستعينون على ولي الله بعدو الله اضربوه على الارض وارجعوا الى ابن السماك وقولوا له ضع يدك
على موضع الوجع وقل وبالحق انزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا الى ابن السماك
فاخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل وعوفي في الوقت وقال كان
ذلك الخضر عليه السلام وما ارسلناك الا مبشراً بالجنة ونذيراً من النار وقرآناً منصوب بفعل
يفسره فرقناه اي فصلناه او فرقنا فيه الحق من الباطل لتقرأه على الناس على مكث على تؤدة
وتثبت ونزلناه تنزيلاً على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا اي اختاروا لانفسكم النعيم
المقيم او العذاب الاليم ثم علل بقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اي التوراة من قبل القرآن اذا
يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجداً حال ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا
لمفعولاً لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا اي اعرض عنهم فانهم ان لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن
فان خيراً منهم وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب قد آمنوا به وصدقوا فاذا تلي عليهم خروا سجداً

وعجوا الله تعظيما لامن فلا يحان ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثه محمد عليه الصلوة
والسلام وانزل الفرقان عليه ومعاند بالوعد للذكر ان بمعنى انه وهي تاكد الفعل كما ان انّ
تاكد الاسم وكما لكيت ان باللام في انهم لمحضرون اكديت ان باللام في لمفعولا ويخرون للاذقان
يبكون ومعنى الخرور للذقن السقوط على الوجه وانما خص الذقن لان اقرب الاشياء من الوجه
الى الارض عند السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى ذقنه وخر لذقنه ولوجهه اما معنى على
فظاهر واما معنى اللام فكانه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به اذ اللام للاختصاص وكرر يخرون
للاذقان لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم
في حال كونهم باكين ويزيدهم القرآن خشوعا لين قلب ورطوبة عين قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن لما سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن قال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها
آخر نزلت وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التورية هذا الاسم فنزلت
والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء واو للتخيير اي سموا بهذا الاسم او بهذا او اذكروا اما هذا واما هذا
والتنوين في ايّا تدعوا عوض من المضاف اليه وما زيدت للتوكيد وايا نصب بتدعوا
وهو مجزوم باي اي اي هذين الاسمين ذكرتم وسميتم فله الاسماء الحسنى والضمير في فله يرجع
الى ذات الله تعالى والفاء لانه جواب الشرط اي ايّاما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله
الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن
الاسماء انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم ولا تجهر بصلوتك بقراءة صلوتك على
حذف المضاف لانه لا يلبس اذ الجهر والمخافتة تعتقبان على الصوت لا غير والصلوة افعال
واذكار كان رسول الله عليه السلام يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان
يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك وابتغ
بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا او معناه ولا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا
بان تجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار او بصلوتك بدعائك وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
كما زعمت اليهود والنصارى وبنو مليح ولم يكن له شريك في الملك كما زعم المشركون ولم يكن له ولي
من الذل اي لم يذل فيحتاج الى ناصر ولم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته وكبره
تكبيرا وعظمه وصفه بانه اكبر من ان يكون له ولد او شريك وعن النبي عليه السلام الآية آية العز
وكان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده محمد عليه السلام الكتاب القرآن لقن الله تعالى عباده وفقههم

كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على محمد عليه السلام
من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم ولم يجعل له عوجا اي شيئا من العوج والعوج في المعاني كالعوج في
الاعيان يقال في رايه عوج وفي عصاه عوج والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء
منه من الحكمة قيما مستقيما وانتصابه بمضمر وتقديره جعله قيما لانه اذا نفى
عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة وفائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى
عن الآخر التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند التصفح او قيما على
سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها لينذر انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا
فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا باسا عذابا شديدا وانما اقتصر على احد مفعولي
انذر لان المنذر به هو المسوق اليه فاقتصر عليه باسا شديدا من لدنه صادرا من عنده ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات ان لهم اي بان لهم اجرا حسنا الجنة ويبشر حمزة وعلي ماكثين حال
منهم في لهم فيه في الاجر وهو الجنة ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ذكر المنذرين دون
المنذر به بعكس الاول استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم
يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم
قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل
اليه او لانه في نفسه محال ولا لآبائهم المتقدمين كبرت كلمة نصب على التمييز وفيه معنى التعجب
كانه قيل ما اكبرها كلمة والضمير في كبرت يرجع الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون
القصيدة بها تخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم
فان كثيرا مما يوسوس الشيطان في قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به بل يكظمون
عليه فكيف بمثل هذا المنكر ان يقولون الا كذبا ما يقولون ذلك الا كذبا هو صفة لمصدر محذوف
اي قولا كذبا فلعلك باخع قاتل نفسك على آثارهم اي اثار الكفار شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به
وما تداخله من الاسف على توليهم برجل فارقه احبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه
وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن
والاسف المبالغة في الحزن والغضب انا جعلنا ما على الارض زينة لها اي ما يصلح ان يكون زينة
لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد
فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا ارضا ملساء
جرزا يابسا لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والمعنى نعيدها بعد عمارتها خرابا باماتة
الحيوان وتجفيف النبات والاشجار وغير ذلك ولما ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق

فوقها من الاحساس التى لا تحصى لها وان اذا ذلك كله كان لم يكن قال ام حسبت ان اصحاب الكهف
والرقيم يعنى ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وذكر احتجابهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع
في الجبل والرقيم اسم كلبهم او قريتهم او اسم كتاب كتب فيه شانهم او اسم الجبل الذى فيه الكهف كانوا من
اياتنا عجبا اى كانوا اية عجبا وصفا بالمصدر او على ذات عجب اذ اى اذكر اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا
ربنا اتنا من لدنك رحمة اى رحمة من خزائن رحمتك وهى المغفرة والرزق والامن من
الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذى نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين
او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منك اسدا او يسر لنا طريق رشد فضربنا على اذانهم في
الكهف اى ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعنى انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول
الذى هو الحجاب سنين عددا ذوات عدد فهو صفة لسنين قال الزجاج اى تعد عددا لكثرتها
لان القليل يعلم مقداره من غير عد فاذا كثر عد فاما دراهم معدودة فهى على القلة لانهم كانوا يعدون
القليل ويزنون الكثير ثم بعثناهم ايقظناهم من نومهم لنعلم اى الحزبين المختلفين منهم في مدة
لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد
تطاول او اى الحزبين المختلفين من غيرهم احصى لما لبثوا امدا غاية واحصى فعل ماض
وامدا ظرف لاحصى او مفعول له والفعل الماضى خبر للمبتدا وهو اى والمبتدا مع خبره سد مسد
مفعولى نعلم والمعنى ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم او احاط علما بامد لبثهم ومن قال احصى افعل
من الاحصاء وهو العد فقد زل لان بناءه من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس وانما قال لنعلم
مع انه تعالى لم يزل عالما بذلك لان المراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا
وليكون لطفا لمؤمنى زمانهم واية بينة لكفاره او المراد لنعلم اختلافهم موجودا كما علمناه قبل وجوده
نحن نقص عليك نباهم بالحق بالصدق انهم فتية جمع فتى والفتوة بذل الندى وكف الاذى وترك
الشكوى او اجتناب المحارم واستعمال المكارم وقيل الفتى من لا يدعى قبل الفعل ولا يزكى نفسه
بعد الفعل امنوا بربهم وزدناهم هدى يقينا وكانوا من خواص دقيانوس قد قذف في قلوبهم
الايمان خاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل اثنان اثنان منا فيظهر كل واحد ما يضمر لصاحبه ففعلوا فحصل
اتفاقهم على الايمان وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والفرار بالدين الى بعض الغيران
وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غير
مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها ولئن سميناهم الهة لقد قلنا اذا شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم

والابعاد

والابعاد فيه من شط ويشط اذا بعد هؤلاء مبتدا قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه الهة خبر
وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان
بين بحجة ظاهرة وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت
عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير اى واذ اعتزلتموهم واعتزلتم
معبوديهم الا الله استثناء متصل لانهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه غيره
كاهل مكة او منقطع اى واذ اعتزلتم الكفار والاصنام التى يعبدونها من دون الله او هو كلام
معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله فأووا الى الكهف صيروا
اليه او اجعلوا الكهف ماواكم ينشر لكم ربكم من رحمته من رزقه ويهيئ لكم
من امركم مرفقا مرفقا مدنى وشامى وهو ما يرتفق به اى ينتفع وانما قالوا ذلك ثقة
بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم او اخبرهم به نبى في عصرهم
وترى الشمس اذا طلعت تزاور بتخفيف الزاى كوفى تزور شامى تزاور غيرهما واصله
تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاى او حذفها والكل من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا
مال اليه والزور الميل عن الصدق عن كهفهم اى تميل عنه ولا يقع شعاعها
عليهم ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين واذا غربت تقرضهم
تقطعهم اى تتركهم وتعدل عنهم ذات الشمال وهم في فجوة منه في متسع من الكهف
والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع
منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل في متسع من غارهم ينالهم
فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من ايات الله اى ما صنعه
الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة اية من ايات الله يعنى ان ما كان
في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا بالكرامة وقيل باب الكهف
شمالى مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من ايات الله ان شانهم وحديثهم
من ايات الله من يهد الله فهو المهتد مثل ما مر في سبحان وهو ثناء عليهم بانهم جاهدوا
في الله واسلموا له وجوههم فارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية ومن يضلل فلن تجد له
وليا مرشدا اى من اضله فلا هادى له وتحسبهم بفتح السين شامى وحمزة وعاصم غير الاعشى
وغيرهم وهو خطاب لكل احد ايقاظا جمع يقظ وهم رقود نيام قيل عيونهم مفتحة
وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قيل لهم

تعليقتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشورا وكلبهم باسط ذراعيه
حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي بالوصيد بالفناء او العتبة لو اطلعت
عليهم لو اشرفت عليهم فنظرت اليهم لوليت منهم لاعرضت عنهم وهربت منهم
فرارا منصوب على المصدر لان معنى وليت منهم فررت منهم ولملئت منهم وبتشديد اللام حجازي
الملالة رعبا تمييز وبضم العين شامي وعلى وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملا.. وذلك
لما البسهم الله من الهيبة او لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وعن معاوية انه غزا الروم
فمر بالكهف فقال اريد ان ادخل فقال ابن عباس رضي الله عنهما لقد قيل لمن هو خير منك لوليت
منهم فرارا فدخلت جماعة بامره فاحرقتهم ريح وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك
ايقظناهم اظهارا للقدرة على الاماتة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم ليسال بعضهم بعضا ويتعرفوا
حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم
عليهم قال قائل منهم رئيسهم كم لبثتم مدة لبثكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني
على غالب الظن وفيه دليل جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
انكار عليهم من بعضهم كانهم قد علموا بالادلة او بالالهام ان المدة متطاولة وان مقدارها
لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا
انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك وقد استدل ابن عباس
رضي الله عنهما على ان الصحيح ان عددهم سبعة لانه قد قال في الاية قال قائل منهم كم لبثتم وهذا واحد
وقالوا في جوابه لبثنا يوما او بعض يوم وهو جمع واقله ثلاثة ثم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهذا قول
جمع اخرين فصاروا سبعة فابعثوا احدكم كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا
في شيء اخر مما يهمكم فابعثوا احدكم اي يمليخا بورقكم هي الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة وبسكون الراء
ابو عمرو وحمزة وابو بكر هذه الى المدينة هي طرسوس وحملهم الورق عند فرارهم دليل على ان حمل
النفقة وما يصلح المسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين على الانفاقات وعلى ما في
اوعية القوم من النفقات وعن بعض العلماء انه كان شديد الحنين الى بيت الله ويقول ما لهذا
السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن فلينظر ايها اي اي اهلها فحذف كما في
واسال القرية واي مبتدا وخبره ازكى احل واطيب او اكثر وارخص طعاما تمييز فلياتكم
برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف فيما باشر من امر المبايعة حتى لا يغبن او في
امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بنا من غير
قصد منه فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سببه والضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في

انهم ان يظهروا عليكم يطلعوا عليكم يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة او يعيدوكم في ملتهم
بالاكراه ولن تفلحوا اذا ابدا اذا يدل على الشرط اي ولن تفلحوا ان دخلتم في دينهم ابدا وكذلك
اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلموا اي الذين
اطلعناهم على حالهم ان وعد الله وهو البعث حق كاين لان حالهم في نومتهم وانتباههم
بعدها كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها فانهم يستدلون بامرهم على صحة البعث
اذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازع اهل ذلك الزمان بينهم امرهم
امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد
وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث
حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا
عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت
تربة رسول الله عليه السلام بالحظيرة ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا
امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة
ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم قال
الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن عليهم مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم والهاء فيه اجتماع الاحد والاتن حين
هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير وسين الاستقبال
وان دخل في الاول دون الاخريين فهما داخلان في حكم السين كقولك قد اكرم وانعم
تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا او اريد يفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له ثلاثة خبر
مبتدا محذوف اي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة رابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة
صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله
ويقذفون بالغيب اي ياتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم
اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والواو
الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة
حالا عن المعرفة في قولك جاءني رجل ومعه اخر ومررت بزيد وفي يده سيف وفائدتها
توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو
هي التي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجموا بالظن كما رجم
غيرهم دليله ان الله تعالى اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث
قوله قل ربي اعلم بعدتهم اي قل ربي اعلم بعدتهم وقد اخبرك بها بقوله سبعة وثامنهم

والبناء عليهم لنتخذن عليهم على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم ...

الا قليل

كلهم ما يعلمهم الا قليل قال ابن عباس رضي الله عنهما انا من ذلك القليل وقيل من اهل الكتاب والضمير
في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم
واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا مرآء ظاهرا
الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل
لهم او يشهد من الناس لتظهر صدقك ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسال احدا منهم عن قصتهم
سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده ولا سؤال مسترشد لان الله تعالى قد ارشدك
بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا
اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله ان تقول بان ياذن لك فيه او ولا تقولنه
الا ان يشاء الله اي الا بمشيئته وهو في موضع الحال اي الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وقال
الزجاج معناه ولا تقولن اني افعل ذلك الا بمشيئة الله لان قول القائل انا افعل ذلك ان شاء الله
معناه لا افعله الا بمشيئة الله وهذا نهي تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح
وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه
الوحي حتى شق عليه واذكر ربك اي مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك
نسيان ذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر عن الحسن ما دام
في مجلس الذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء
فاما الاستثناء المغير حكما فلا يصح الا متصلا وحكي انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة رضي الله عنه
خالف ابن عباس رضي الله عنهما في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال ابو حنيفة
رحمه الله هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فاستحسن
كلامه وامر الطاعن فيه باخراجه من عنده او معناه واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت
كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها او صل صلاة نسيتها اذا ذكرتها او اذا نسيت
شيئا فاذكره ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهديني ربي لاقرب من هذا رشدا يعني اذا نسيت
شيئا اخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ان يهديني ان يؤتيني
ان يوتيني ان تعلق بكلمة في الحالين وافقه ابو عمرو ومدني في الوصل ولبثوا في كهفهم
ثلثمائة سنين يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم هذه المدة وهو بيان ما اجمل في قوله فضربنا
على اذانهم في الكهف سنين عددا وسنين عطف بيان لثلثمائة ثلثمائة سنين بالاضافة حمزة
وعلي على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وازدادوا تسعا
اي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه وتسعا مفعول به لان زاد يقتضي مفعولين فازداد يقتضي

مفعولا واحدا قل الله اعلم بما لبثوا اي هو اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به
او هو حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم والجمهور على ان اخبار من الله سبحانه انهم
لبثوا في كهفهم كذا مدة له غيب السموات والارض ذكر اختصاصه بعلم ما غاب في السموات والارض
وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها ابصر به واسمع اي ما ابصره وما اسمعه والمعنى ما ابصره لكل موجود وما اسمعه
لكل مسموع ما لهم لاهل السموات والارض من دونه من ولي من متول لامورهم ولا يشرك
في حكمه في قضائه احدا منهم ولا تشرك على النهي شامي كانوا يقولون له ائت بقران غير هذا او بدله
فقيل له واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك اي من القران ولا تسمع لما يهذون به من طلب
التبديل فانه لا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك
هو وحده ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك ولما قال قوم من رؤساء
الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي وهم صهيب وعمار وخباب وسلمان
وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك نزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم واحبسها
معهم وثبتها بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت او بالغداة لطلب التوفيق والتيسير
والعشي لطلب عفو التقصير او بصلاتي الفجر والعصر بالغدوة شامي يريدون وجهه
رضا الله ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوز عداه اذا جاوزه وعدي بعن لتضمين عدا معنى
نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وفائدة التضمين اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى
فذ تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا من جعلنا
قلبه غافلا عن الذكر وهو دليل لنا على انه تعالى خالق افعال العباد واتبع هواه وكان امره
فرطا مجاوزا عن الحق وقل الحق من ربكم اي الاسلام او القران والحق خبر مبتدا محذوف
اي هو فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اي جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم
لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما
مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مامور بان يتخير ما شاء من النجدين ثم ذكر جزاء من
اختار الكفر فقال انا اعتدنا هيانا للظالمين للكافرين فقيد بالسياق كما ترك حقيقة
الامر والتخيير بالسياق وهو قوله انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها شبه
ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط او هو دخان يحيط
بالكفار قبل دخولهم النار او حائط من نار يطيف بهم وان يستغيثوا من العطش يغاثوا
بماء كالمهل هو دردي الزيت او ما اذيب من جواهر الارض وفيه تهكم بهم يشوي الوجوه اذا قدم
ليشرب انشوى الوجه من حرارته بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكا من المرفق

وهذا المعنى كلمة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء. من اختار الايمان
فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم
جنات عدن كلام مستانف بيان للاجر المبهم ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين
معا والمراد من احسن منهم عملا كقولك السمن منوان بدرهم ولان من احسن عملا والذين
امنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير تجرى من تحتهم
الانهار يحلون فيها من اساور من للابتداء وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن
من ذهب من للتبيين ويلبسون ثيابا خضرا من سندس ما رق من الديباج واستبرق
ما غلظ منه اي يجمعون بين النوعين متكئين فيها على الارائك خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك
على اسرتهم نعم الثواب الجنة وحسنت اي الجنة او الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا
رجلين ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما
كافر اسمه قطروس والاخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في والصافات في قوله
قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر
ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في
الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف
فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه
خدما ومتاعا بالف دينار فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم
اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله
جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل
محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة
يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول فتزيده الباء واحد.
مفعولا ثانيا وجعلنا بينهما زرعا جعلها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها
متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين
اتت اعطت حمل على اللفظ لان لفظ كلتا مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز اكلها ثمرها
ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو
اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو النهر الجاري وكان له ثمر
الجنتين ثمر انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال
الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما وعن مجاهد واحيط بثمره بفتح الميم والثاء عاصم وبضم الثاء وسكون

الميم

الميم ابو عمرو وبفتحهما غيرهما فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع
يعني قطروس اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما لملك من المال
دونه انا اكثر منك مالا واعز نفرا انصارا وحشما او اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون
الاناث ودخل جنته احدى جنتيه او سماها جنة لاتحاد الحائط وجنتين للنهر الجاري
بينهما وهو ظالم لنفسه ضار لها بكفره قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا اي تهلك هذه الجنة شك في بيدودة
جنته لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة وترى اكثر الاغنياء من المسلمين تنطق
السنة احوالهم بذلك وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا
منها اقسم منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض كما يزعم صاحبه ليجدن في الاخرة خيرا
من جنته في الدنيا ادعاء لكرامته ومكانته عنده منقلبا اي مرجعا وعاقبة قال له صاحبه
وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب
في خلقه فكان خلقا له ثم من نطفة اي خلقك من نطفة ثم سواك رجلا عدلك وكملك انسانا ذكرا
بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله لشكه في البعث لكنا بالالف في الوصل شامي ويعقوب
وبغير الالف في الوقف اتفاق اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن
فتلاقت النونان فادغمت الاولى في الثانية بعد ان سكنت هو الله ربي هو ضمير الشان الله
ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وهو استدراك لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر
بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرو حاضر وفيه حذف اي اقول هو الله ربي
عطف ولا اشرك بربي احدا ولولا وهلا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ما موصولة
مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع
والجزاء محذوف يعني اي شيء شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك
الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل ما فيها انما حصل بمشيئة الله وان امرها بيده ان شاء
تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها
هو بمعونته وتاييده من قرا ان ترن انا اقل منك مالا بنصب اقل فقد جعل انا فصلا ومن رفع
وهو الكسائي جعله مبتدا واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترن وولدا بنصب من فسر
النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في العقبى
ويرسل عليها حسبانا عذابا من السماء فتصبح صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها
او يصبح ماؤها غورا غائرا اي ذاهبا في الارض فلن تستطيع له طلبا فلا يتاتى منك طلبه فضلا عن
الوجود والمعنى ان ترن افقر منك فانا ارجو صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني

لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك ويخرب بستانك واحيط بثمره هو عبارة
عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك
فاصبح اي الكافر يقلب كفيه يضرب احديهما على الاخرى ندما وتحسرا وانما صار
تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض
الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها
اي في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت
فوقها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة كفره وطغيانه
فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمني اي في حال النزع ويجوز ان يكون توبة
من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان ولم تكن له فئة ينصرونه يقدرون على نصرته
من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لحكمة
وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله هنالك الولاية لله الحق بكسر الباء فالولاية بكسر الواو
حمزة وعلي فبالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك
الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون
الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل
مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره
ولولا ذلك لم يقلها او هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم يعني انه
نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل
عليها حسبانا من السماء ويؤيده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا لاوليائه او هنالك اشارة الى الاخرة
اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم لله الحق بالرفع ابو عمرو وعلي صفة للولاية او خبر مبتدا
محذوف اي هي الحق او هو الحق غيرهما بالجر صفة لله عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وبضمها
غيرهما وفي الشواذ عقبى على وزن فعلى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء
انزلناه من السماء اي هي كماء انزلناه فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى
خالط بعضه بعضا او نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي فاصبح هشيما يابسا متكسرا
الواحدة هشيمة تذروه الرياح تنسفه وتطيره الريح حمزة وعلي وكان الله على كل شيء
من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء
بحال النبات يكون اخضر ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن المال والبنون زينة الحيوة الدنيا
لا زاد القبر وعدة العقبى والباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان او الصلوات

الخمس

الخمس او سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا جزاء وخير
املا لانه وعد صادق واكثر الامال كاذبة يعني ان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في
الاخرة ويوم واذكر يوم نسير الجبال مكي وشامي وابو عمرو اي تسير في الجو او تذهب بها بان
تجعل هباء منبثا بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والاشجار وحشرناهم
اي الموتى فلم نغادر منهم احدا اي فلم نترك غادره اي تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره
السيل وعرضوا على ربك صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب
احد احدا شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لقد جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا
وهذا المضمر يجوز ان يكون عامل النصب في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة اي لقد
بعثناكم كما انشاناكم اول مرة او جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا وانما قال وحشرناهم
ماضيا بعد نسير وترى للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال
كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم
على السنة الانبياء من البعث والنشور او مكانا وعدنا للمحاسبة ووضع الكتاب اي صحف الاعمال
فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة اي لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاها حصرها وضبطها ووجدوا
ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد
في عقابه او يعذبه بغير جرم واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم سجود تحية او سجود انقياد فسجدوا
الا ابليس كان من الجن هو مستانف كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق
عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود وهو دليل على انه كان مامورا بالسجود مع الملائكة افتتخذونه
وذريته الهمزة للانكار والتعجيب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني
وتستبدلونهم بي ومن ذريته لاقيس موسوس الطهارة وولهان موسوس الصلوة والاعور صاحب الربوا وثبر صاحب
المصايب ومسوط صاحب الاراجيف وداسم يدخل ويخرج ويأكل مع من لم يسم الله تعالى وهم
لكم عدو اعداء بئس للظالمين بدلا بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته
ما اشهدتهم وذريته خلق السموات والارض يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة ولو كانوا شركاء لها
لكانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم
في خلقها او اشاورهم فيه اي تفردت بخلق الاشياء فافردوني في العبادة ولا خلق انفسهم اي ولا
اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين اي وما كنت متخذهم
عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق

فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة ويوم يقول اي الله للكفار وبالنون حمزة نادوا ادعوا بصوت
عال شركائي الذين زعمتم انهم شركائي ليمنعوكم من عذابي وعنى بهم الجن واضاف الشركاء اليه
على زعمهم توبيخا لهم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا مهلكا من وبق يبق
وبوقا اذا هلك او مصدرا كالموعد اي وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك
والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا او الملائكة وعزيرا وعيسى والموبق البرزخ البعيد
اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى المجرمون النار فظنوا
فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا معدلا
ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شيء جدلا
يتأتى له اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل
نعم ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي سببه
والكتاب والرسول ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم العذاب ان الاولى
نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار
ان تأتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة قبلا كوفي
اي انواعا جمع قبيل الباقون قبلا اي عيانا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين يوقف على
وبيناقب قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل بقولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء
الله لانزل ملائكة ونحو ذلك ليدحضوا به الحق ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوة واتخذوا آياتي
القرآن وما انذروا ما موصولة والراجع من صلة محذوف اي وما انذروا به من العقاب او مصدرية
اي انذارهم هزوا موضع استهزاء باسكان الزاي وبالهمزة حمزة وبابدال الهمزة واوا حفص وبضم
الزاي والهمزة غيرهما ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع الضمير اليها مذكرا
اليها مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه
من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم
ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم بقوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو الغطاء
ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ثقلا عن استماع الحق وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه
وان تدعهم الى الهدى اي الايمان فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة اذا جزاء وجواب ابدا
مدة التكليف كلها وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا
لعجل لهم العذاب اي ومن رحمته ترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسول الله
عليه السلام بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل اذا

نجا

نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى مبتدأ القرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس
والخبر اهلكناهم او تلك نصب باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب
القرى اهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم
موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته
وبفتح الميم وكسر اللام حفص وبفتحهما ابو بكر اي لوقت هلاكهم او هلاكهم والموعد وقت او مصدر واذ
واذكر اذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون وانما قال لفتاه لانه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم
لا ابرح لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه اما الاول فلانها كانت حال سفر واما
الثاني فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون
المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين وهو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر وهو
ملتقى بحري فارس والروم خضرا لانه اينما يصلي يخضر ما حوله او امضي حقبا او اسير زمانا
طويلا قيل ثمانون سنة روي انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد
هلاك القبط سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك
اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس
الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم
مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف
لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذ
هبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى
الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال
واني بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم
علمكه الله لا اعلمه انا فلما بلغا مجمع بينهما اي نسي احدهما وهو يوشع لانه كان صاحب الزاد دليله فلما
نسيت الحوت وقولهم نسوا زادهم وانما نسياه متزودا للزاد فقيل كان الحوت سمكة روح
الماء ويبس عاشت ووقعت في الماء فاتخذ سبيله في البحر اي اتخذ طريقه من البر الى
سربا نصب على المصدر اي سرب فيه سربا ودخل فيه واستتر به فلما جاوزا مجمع البحرين ثم نزلا
وسارا ما شاء الله قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا ولم يتعب
ولا جاع قبل ذلك قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة يعني موضع الموعد فاني نسيت الحوت
ثم اعتذر فقال وما انسانيه وبضم الهاء حفص الا الشيطان بالقاء الخواطر في القلب ان اذكره
بدل من الهاء في انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان واتخذ سبيله في البحر اتخاذا عجبا

مجمع البحرين نسيا حوتهما

مملوحة فنزلا ليلة على شاطئ عين الحياة ونام موسى فلما اصاب السمكة

وهو ان اتى بى الى حيث سار قال ذلك ما كنا نبغ نطلب وبالياء مكي وافقه ابو عمرو وعلي
ومدني في الوصل وبغير ياء مكي فيهما غيرها اتباعا لخط المصحف وذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا
اي ذلك الذي كنا نطلب لان ذهاب الحوت كان علما على لقاء الخضر عليه فارتدا على آثارهما
فرجعا في الطريق الذي جاآ فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا قال الزجاج
القصص اتباع الاثر فوجدا عبدا من عبادنا اي الخضر راقدا تحت ثوب او جالسا في البحر آتيناه
رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة او العلم او طول الحياة وعلمناه من لدنا علما يعني الاخبار
بالغيوب وقيل العلم اللدني ما حصل للعبد بطريق الالهام قال له موسى هل اتبعك على ان
تعلمن مما علمت رشدا اي علما ذا رشد ارشد به في ديني رشدا ابو عمرو وهما لغتان كالبخل
والبخل وفيه دليل على انه لا ينبغي لاحد ان يترك طلب العلم وان كان قد بلغ نهايته وان
يتواضع لمن هو اعلم منه قال انك لن تستطيع معي وبفتح الياء حفص وكذا ما بعده في
هذه السورة صبرا اي عن الانكار والسؤال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا
تمييز نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في
ظاهرها مناكير والرجل الصالح لا يتمالك ان لا يجزع اذا رأى ذلك فكيف اذا كان نبيا
قال ستجدني ان شاء الله صابرا عن الانكار والاعتراض ولا اعصي لك امرا في محل النصب
عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او هو عطف على ستجدني ولا محل له قال
فان اتبعتني فلا تسألني بفتح اللام وتشديد النون مدني وشامي وبسكون اللام وتخفيف
النون غيرهما والياء ثابتة فيهما اجماعا عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا اي فمن شرط اتباعك
لي انك اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فانكرته في نفسك ان لا تفاتحني
بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع
التابع فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة
فلما ركباها قال اهلها هما من اللصوص وقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء فحملوهما بغير نول
فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل
موسى يسد الخرق بثيابه ثم قال اخرقتها لتغرق اهلها ليغرق اهلها حمزة وعلي من غرق
لقد جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما من أمر الامر اذا عظم قال اي الخضر الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا فلما رأى موسى ان الخرق لا يدخله الماء ولم يخرج من السفينة قال لا تؤاخذني بما نسيت
بالذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي او اراد بالنسيان
الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني من امري عسرا

رهقه

الاغشاء

رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه اي ولا تعسر علي متابعتك
ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل ضرب برأسه
الحائط وقيل اضجعه ثم ذبحه بالسكين وانما قال فقتله بالفاء وقال خرقها بغير فاء لان خرقها جعل
جزاء الشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت نفسا وانما خولف بينهما
لان خرق السفينة لم يتعقبه الغرق وقد تعقب القتل لقاء الغلام زكية [illegible]
وابو عمرو وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت او لانها صغيرة لم تبلغ
الحنث بغير نفس اي لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري
كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله عليه السلام عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال
الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل لقد جئت شيئا نكرا وبضم الكاف حيث كان مدني وابو بكر
وهو المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة ومعناه
جئت شيئا انكر من الاول لان الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تدارك القتل قال الم اقل لك انك لن
تستطيع معي صبرا زاد لك هنا لان النكير فيه اكثر قال ان سألتك عن شيء بعدها بعد هذه الكرة او المسألة
فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا اعذرت فيما بيني وبينك في الفراق وبتخفيف النون مدني
وابو بكر فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية او الابلة وهي ابعد ارض الله من السماء استطعما اهلها
استضافا فابوا ان يضيفوهما ضيفه انزله وجعله ضيفه قال عليه السلام كانوا اهل قرية لئاما وقيل
شر القرى التي يبخل بالقرى فوجدا فيها في القرية جدارا طوله مائة ذراع يريد ان ينقض يكاد ان يسقط
استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك فاقامه بيده او مسحه بيده فقام
واستوى او نقضه وبناه كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لجأتهما الحاجة الى آخر كسب المرء
وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة قال لو شئت
لاتخذت عليه اجرا اي لطلبت على عملك جعلا حتى نستدفع به الضرورة لتخذت بتخفيف التاء وكسر
الخاء وادغام الذال في التاء غير مكي وحفص والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من
الاخذ في شيء قال هذا فراق بيني وبينك هذا اشارة الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق
والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرئ به فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به سأنبئك
بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل كانت لعشرة اخوة
منهم زمنى خمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك امامهم
او خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبر فاعلم الله به الخضر وهو جلندى ياخذ كل
سفينة غصبا اي ياخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها غصبا وان كانت معيبة تركها وهو مصدر او مفعول له

بصري وبالاظهار مكي وبتشديد التاء وفتح الخاء واظهار الذال حفص وبتشديد التاء وفتحها وادغام الذال

فان قلت ولم اردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب
قلت المراد به التاخير وانما قدم للعناية واما الغلام وكان اسمه الحيسن فكان ابواه مؤمنين فخشينا
ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخشينا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه و
سوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يعديهما بدائه وضلاله فيرتدا بسببه وهو من كلام الخضر والخشية
من الخضر هنا ذلك لانه علم اعلاما ولطلعه على سرائر وان كان من قول الله عز وجل فمعنى فخشينا فعلمنا ان عاش
ان يصير سببا للكفر والفتنة فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة طهارة ونقاء من الذنوب
واقرب رحما رحمة وعطفا ذكرا وزوجا نبيين روى انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا او ابدلهما
ابنا مؤمنا مثلهما [illegible] واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة في القرية
المذكورة وكان تحته كنز لهما اي لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت
لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب
كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله او مال مدفون
من ذهب وفضة او صحف فيها علم والاول اظهر وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة
عليهم واحلت لنا وكان ابوهما صالحا [illegible] عن الحسين بن علي انه قال لبعض
الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فاراد ربك ان يبلغا
اشدهما اي الحلم ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما ربك
وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن اجتهادي وانما فعلته بامر الله [illegible] يعود الى الكل او الى الجدار
ذلك اي الاجوبة الثلاثة تاويل ما لم تسطع عليه صبرا حذف التاء تخفيفا وقد ذل اقدام اقوام من الضلال
في تفضيل الولي على النبي وهو لعمري جهل حيث قالوا امر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولي والجواب ان الخضر
كان نبيا وان لم يكن كما زعم البعض فهذا ابتلاء في حق موسى عليه السلام على ان اهل الكتاب يقولون ان موسى
هذا ليس موسى بن عمران انما هو موسى بن ماثان ومن المحال ان يكون الولي وليا بايمانه بالنبوة ويكون النبي
دون الولي ولا غضاضة في طلب موسى العلم لان الزيادة في العلم مطلوبة وانما ذكروا ولا ما ردت لان فيه
من حيث القتل والعلم من حيث التبديل وقال الزجاج معنى فاردنا فاراد الله عز وجل ومثله في القران كثير
ويسالونك اي اليهود على جهة الامتحان او ابو جهل واشياعه عن ذي القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا
قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود وفي قصة
كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور
من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل ملكا من الملائكة وعن علي رضي الله عنه قال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا
صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي

ذا القرنين وفيكم مثله اراد نفسه قيل كان يدعوهم الى الاسلام والتوحيد فيقتلونه فيحييه الله
وقال عليه السلام سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان
او انقرض في وقته قرنان من الناس او لانه ملك الروم وفارس او الروم والترك او كان لتاجه
قرنان او على راسه ما يشبه القرنين او كان كريم الطرفين ابا واما وكان من الروم قل ساتلوا
عليكم منه من ذي القرنين ذكرا انا مكنا له في الارض جعلنا له فيها مكانة واسعة وآتيناه من كل شيء
اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه فاتبع سببا والسبب ما يتوصل به
الى المقصود من علم او قدرة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد بلوغ
السدين فاتبع سببا اتبع كوفي وشامي الباقون بوصل الالف وتشديد التاء عن الاصمعي اتبع لحق
واتبع اقتفى وان لم يلحق حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع قال
عليه السلام تبدو له اذ وجد في الكتب ان احدا من ولد سام يشرب من عين الحيوة فيخلد فجعل يسير
في طلبه والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين وجدها تغرب في عين حمئة
اي ذات حماة من حمئت البير اذا صارت فيها الحماة حامية شامي وكوفي غير حفص يعني حارة وعن ابي ذر
كنت رديف رسول الله عليه السلام على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب
هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية فقال معاوية لعبد الله بن عمرو وكيف تقرا امير المؤمنين
ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة فوافق
قول ابن عباس وهو ولا تنافي فجاز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا ووجد عندها عند
تلك العين قوما عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم ما لفظ البحر وكانوا كفارا قلنا
يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا ان كان نبيا فقد اوحى اليه بهذا والا فقد
اوحى الى نبي فامره النبي به او كان الهاما خيره بين ان يعذبهم بالقتل ان اصروا على امرهم وبين ان يتخذ
فيهم حسنا باكرامهم وتعليم الشرائع ان آمنوا او التعذيب القتل واتخاذ الحسن الاسر لانه بالنظر
الى القتل احسان قال ذو القرنين اما من ظلم فسوف نعذبه بالقتل ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا
نكرا في القيامة يعني اما من دعوته الى الاسلام فابى الا البقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذلك هو المعذب
في الدارين واما من آمن وعمل صالحا اي عمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى فله جزاء الفعلة
الحسنة التي هي كلمة الشهادة جزاء الحسنى كوفي غير ابي بكر اي فله الفعلة الحسنى جزاء وسنقول له من امرنا
يسرا اي ذا يسر اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكوة والخراج وغير ذلك
ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
من دون الشمس سترا اي ابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت

الشمس وطلوعها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم او ستر اللباس وعن مجاهد هم الاسود
الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اى امر ذى القرنين
كذلك اى كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات واسباب الملك خبرا
نصب على المصدر لان فى احطنا معنى خبرنا او بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اى كما بلغ مغربها او تطلع
على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم يعنى انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى
منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين
وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما السدين وسدا مكى وابو عمرو وحفص والسدين نافع
وابن عامر وابو بكر وحمزة وعلى على انه مفعوله كما مبلوغ كما انتصب بالاضافة فى هذا فراق بينى
وبينك وكما ارتفع فى لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التى يستعمل اسماء وظروفا وهذا المكان
فى منقطع ارض الترك مما يلى المشرق وجد من دونهما من ورائهما قوما هم الترك لا يكادون
يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها لا يفقهون حمزة وعلى اى لا
يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج
هما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ويهمزهما عاصم فقط وهما من ولد يافث او ياجوج من الترك
وماجوج من الجيل والديلم مفسدون فى الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا
يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه ولا يموت احدهم حتى ينظر
الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطوا الطول وقصار مفرطوا
القصر فهل نجعل لك خرجا خراجا حمزة وعلى اى جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال
على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى بالادغام وبفك فيه ربى خير اى ما جعلنى فيه مكينا
من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لى من الخراج فلا حاجة بى اليه فاعينونى بقوة بفعلة و
صناع يحسنون البناء والعمل وبالالات اجعل بينكم وبينهم ردما جدارا وحاجزا
حصينا موثقا والردم اكبر من السد آتونى زبر الحديد قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة
وقيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد
بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار
صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل
بعد ما بين السدين مائة فرسخ اذا ساوى بين الصدفين بين جانبى الجبلين لانهما يتصادفان
اى يتقابلان الصدفين ابو بكر قال انفخوا فيها اى قال للعملة انفخوا فى الحديد حتى
اذا جعله اى المنفوخ فيه وهو الحديد نارا كالنار قال آتونى اعطونى افرغ عليه قطرا

قيل ما كان سدّ وُدّ خلقة فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح والمنصب بين م

خراجا م

حتى م

الصدفين بلى وبصري وشامي م

وعلا حمزة وعلى وبضمها غير ... اى نافع وابو عمرو وابو ...

مكي م

بيعهم

نحاسا مذابا لانه يقطر وهو منصوب بافرغ وتقديره آتونى قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول
لدلالة الثانى عليه آتونى بوصل الالف حمزة واذا ابتدا كسر الالف اى جيئونى فما اسطاعوا بحذف
التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء ان يظهروه اى يعلوا السد وما استطاعوا له نقبا اى لا حيلة
لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته قال هذا رحمة من ربى اى هذا السد نعمة من الله ورحمة
على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربى فاذا دنا مجيء يوم القيمة وشارف
ان ياتى جعله اى السد دكا اى مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض وكل ما انبسط
بعد ارتفاع فقد اندك دكاء كوفى ارضا مستوية وكان وعد ربى حقا آخر حكاية قول
ذى القرنين وابتدا وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يومئذ يموج يختلط فى بعض اى يضطربون
ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير لياجوج وماجوج وانهم يموجون حين يخرجون
مما وراء السد مزدحمين فى البلاد وروى يأتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون
الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا فى
اقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون ونفخ فى الصور لقيام الساعة فجمعناهم اى جمع الخلائق للثواب
والعقاب جمعا تاكيد وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا واظهرناها لهم فراوها وشاهدوها
الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى عن آياتى التى ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن
وتامل معانيه وكانوا لا يستطيعون سمعا اى وكانوا صما عنه الا انه ابلغ اذ الاصم قد يستطيع السمع
اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع افحسب الذين كفروا
ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء اى افظن الكفار اتخاذهم عبادى يعنى الملائكة وعيسى عليه السلام اولياء
نافعهم بئس ما ظنوا وقيل ان بصلتها سد مسد مفعولى الحسب وعبادى واولياء مفعولا ان يتخذوا
وهذا اوجه يعنى انهم لا يكونون لهم اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا هو ما يقام للنزيل وهو
الضيف ونحو فبشرهم بعذاب اليم قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا تمييز والتاجر والعامل ان يكون
مفرد النوع الاهواء ومن اهل الكتاب او الرهبان الذين ضل سعيهم ضاع وبطل وهو فى محل
الرفع اى هم الذين فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات
ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار
ذلك جزاؤهم جهنم عطف بيان لجزاؤهم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا اى جزاؤهم
جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات
الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا تحولا الى غيرها رضى بما ذكرهم انفسهم الى اجمع للاغراض
والامانى وهذه غاية الوصف لان الانسان فى الدنيا فى اى نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه او المراد

قال م

لم م

يوله

ما لهم يقال حال من مكانه حولا اى لا مزيد عليها حتى م

ثمّ المحول وتأكيد الخلود قل لو كان البحر اي ماء البحر مدادا لكلمات ربي قال ابو عبيدة لنفد البحر
قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله البحر مددا امدادا النفد والكلمات غير نافد ومداد المبين
نحو لي مثله نحلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به ينفد حين ويلي وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة
من بحور كلمات الله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان
يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبولا او من كان يخاف سوء لقائه والمراد باللقاء القدوم عليه وقيل
رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على مذهبنا على حقيقته فليعمل عملا صالحا خالصا لا يريد به الا وجه ربه ولا
يخلط به غيره وعن يحيى بن معاذ هو ما لا يستحيى منه ولا يشرك بعبادة ربه احدا نهي عن الشرك او عن الرياء قال
عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء وقال عليه السلام من قرأ سورة الكهف فهو
معصوم ثمانية ايام من كل فتنة تكون فان خرج الدجال في تلك الثمانية عصمه الله فتنة الدجال وعن قرأ انما انا بشر
مثلكم الى اخرها عند مضجعه وان كان مضجعه بمكة فتلالأ كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور
ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ   الحمد لله الذي ... [illegible] الشريعة

في مسجد الجامع ... [illegible] يوم
الخميس ... [illegible] شهر المبارك ... [illegible]
وانا العبد الضعيف ... [illegible]
اللهم اغفر له ولوالديه ولمن
ولاقاربه ولمن قال آمين
يا رب العالمين

ايضا
يخاف سوء لقاء ربه
لا يستحيى
من ... مكة
حتى يستيقظ من مضجعه وان كان مضجعه بمكة فتلألأ كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه
[illegible]

سورة مريم ثمان او تسع وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص قال السدى هو اسم الله الاعظم وقيل هو اسم للسورة قرأ على ويحيى بكسر الهاء والياء ونافع بين الفتح
والكسر والى الفتح اقرب وابو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وحمزة بعكسه وغيرهما بفتحهما ذكر رحمة ربك خبر مبتدا اى هذا ذكر
عبده مفعول الرحمة زكريا بالقصر حمزة وعلى وحفص بدل عن عبده اذ ظرف الرحمة نادى ربه نداء خفيا دعاه دعاء سرا كما هو
المامور به وهو اقرب ابعد عن الرياء واقرب الى الصفا واخفاه لئلا يلام على طلب الولد في اوان الكبر لانه كان ابن خمس وسبعين
او ثمانين سنة قال رب هذا تفسير الدعاء واصله يا ربى فحذف حرف النداء والمضاف اليه اختصارا انى وهن العظم منى
ضعف وخص العظم لانه عمود البدن وبه قوامه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان
ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية والمراد ان هذا الجنس الذى هو العمود والقوام واشد ما تركب منه
الجسد قد اصابه الوهن واشتعل الرأس شيبا تمييز اى فشا فى رأسى الشيب واشتعل النار اذا تفرقت فى التهابها وصارت
شعلا فشبه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانتشاره فى الشعر واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ولا ترى كلاما افصح
من هذا الا ترى ان اصل الكلام يا ربى قد شخت اذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما واقوى منه
ضعف بدنى وشاب رأسى ففيه مزيد التقرير للتفصيل واقوى منه وهنت عظام بدنى ففيه عدول عن التصريح الى الكناية
فابلغ منه واقوى منه انى وهنت عظام بدنى واقوى منه انى وهنت العظام من بدنى ففيه سلوك طريق الاجمال والتفصيل
واقوى منه انى وهنت العظام منى ففيه ترك توسط البدن واقوى منه انى وهن العظم منى لشمول وهن العظام فردا فردا
باعتبار ترك جمع العظم الى الافراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد وهكذا تركت الحقيقة فى شاب رأسى
الى ابلغ وهى الاستعارة فحصل اشتعل شيب رأسى وابلغ منه اشتعل رأسى شيبا لاسناد الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته
وهو الرأس لافادة شمول الاشتعال الرأس اذ وزان اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا وزان اشتعل النار
فى بيتى واشتعل بيتى نارا والفرق نير ولان فيه الاجمال والتفصيل كما عرف فى طريق التمييز وابلغ منه واشتعل الرأس منى شيبا
لما مر وابلغ منه واشتعل الرأس شيبا ففيه اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا بقرينة العطف على وهن العظم منى ولم اكن
بدعائك مصدر مضاف الى المفعول اى بدعائى اياك رب شقيا اى كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا به غير شقى فيه
يقال سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقى اذا خاب ولم ينلها وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال انا الذى احسنت الى وقت كذا

فقال

فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا فقضى حاجته وانى خفت الموالى هم عصبته اخوته وبنو عمه وكانوا شرار بنى اسرائيل فخافهم
ان يغيروا الدين وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدى به فى احياء الدين من ورائى بعد موتى
وبالقصر وفتح الياء كهداى مكى وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لان وجود خوفه بعد موته لا يتصور ولكن بمحذوف او بمعنى
الولاية فى الموالى اى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائى او خفت الذين يلون الامر من ورائى وكانت
امرأتى عاقرا عقيما لا تلد فهب لى من لدنك اختراعا منك بلا سبب لانى وامرأتى لا تصلح للولادة وليا ابنا يلى امرك بعدى
يرثنى ويرث برفعهما صفة وليا اى هب لى ولدا وارثا منى العلم ومن آل يعقوب النبوة وبجزمهما ابو عمرو وعلى على انه جواب
للدعاء يقال ورثته وورثت منه من آل يعقوب ابن اسحاق واجعله رب رضيا مرضيا ترضاه او راضيا عنك وبحكمك
فاجاب الله تعالى دعاءه وقال يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى تولى الله تعالى تسميته تشريفا له نبشرك بالتخفيف حمزة
لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهذا دليل على ان الاسم الغريب جدير بالاثرة وقيل مثلا وشبيها
ولم يكن له مثل فى انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان حصورا فلما بشرته الملائكة به
قال رب انى كيف يكون لى غلام وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف انه باى طريق يكون او يوهب له وهو وامرأته بحالهما
بتلك الحال ام يحولان شابين وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا اى بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة
فى المفاصل والعظام كالعود اليابس من اجل الكبر والطعن فى السن العالية عتيا وصليا وبكيا بكسر الاوائل حمزة وعلى
وحفص الا فى بكيا قال كذلك الكاف رفع اى الامر كذلك تصديق له ثم ابتداء قال ربك او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم
يفسره هو على هين اى خلق يحيى من كبيرين سهل وقد خلقتك من قبل اى اوجدتك من قبل يحيى خلقناك حمزة
وعلى ولم تك شيئا لان المعدوم ليس بشئ قال رب اجعل لى آية علامة اعرف بها حبل امرأتى قال آيتك ان لا تكلم الناس
ثلث ليال سويا حال من ضمير تكلم اى حال كونك سوى الاعضاء واللسان يعنى علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه
وانت سليم الجوارح ما بك خرس ولا بكم ودل ذكر الليالى هنا والايام فى آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلثة
ايام ولياليهن او ذكر الايام يتناول ما بازائها من الليالى وكذا ذكر الليالى يتناول ما بازائها من الايام عرفا فخرج على قومه
من المحراب من موضع صلوته وكانوا ينتظرونه ولم يقدر ان يتكلم فاوحى اليهم اشار باصبعه ان سبحوا صلوا وان هى
المفسرة بكرة وعشيا صلوة الفجر والعصر يا يحيى اى وهبنا له وقلنا له بعد ولادته واوان الخطاب خذ الكتاب
التورية بقوة حال اى بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد وآتيناه الحكم الحكمة وهو فهم التورية والفقه فى الدين صبيا
حال قيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبى فقال ما للعب خلقنا وحنانا شفقة ورحمة لابويه وغيرهما عطفا على الحكم
من لدنا من عندنا وزكوة طهارة وصلاحا فلم يعمل بذنب وكان تقيا مسلما مطيعا وبرا بوالديه بارا بهما لا يعصيهما
ولم يكن جبارا متكبرا عصيا عاصيا لربه وسلام عليه امان من الله له يوم ولد من ان يناله الشيطان ويوم يموت من عذاب

فتان القبر ويوم يبعث حيا من الفزع الاكبر قال ابن عيينه انها اوحش المواطن واذكر يا محمد في الكتاب القران مريم
اي اقرا عليهم في القران قصة مريم ليقفوا عليها ويعلموا ما جرى عليها اذ بدل من مريم بدل اشتمال اذ الاحيان مشتملة
على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة انتبذت من اهلها اعتزلت مكانا
شرقيا اي تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت
في مشرقة للاغتسال من الحيض فاتخذت من دونهم حجابا جعلت بينها وبين اهلها حجابا يسترها لتغتسل وراءه
فارسلنا اليها روحنا جبرئيل عليه السلام والاضافة للتشريف وانما سمي روحا لان الدين يحيى به وبوحيه فتمثل لها
بشرا اي تمثل لها جبرئيل في صورة ادمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر سويا مستوي الخلق وانما تمثل لها في صورة
الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه قالت اني
اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اي ان كان يرجى منك ان تتقي الله فاني عائذة به منك قال جبرئيل انما انا رسول ربك
نبيا مما خافت واخبر انه ليس بادمي بل هو رسول من استعاذت به لاهب لك باذن الله تعالى او لاكون سببا في هبة
الغلام بالنفخ في الدرع ليهب لك اي الله ابو عمرو ونافع غلاما زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير والبركة قالت
انى يكون لي غلام ابن ولم يمسسني بشر زوج بالنكاح ولم اك بغيا فاجرة تبغي الرجال اي تطلب الشهوة من اي رجل
كان ولا يكون الولد عادة الا من احد هذين والبغي فعول عند المبرد اصله بغوي فقلبت الواو ياء وادغمت وكسرت
الغين اتباعا ولذا لم تلحق تاء التانيث كما لم تلحق في امراة صبور وشكور وعند غيره هي فعيل ولم تلحقها التاء
لانها بمعنى مفعولة وان كانت بمعنى فاعلة فهو يشبه به مثل ان رحمت الله قريب قال جبرئيل كذلك الامر كما قلت
لم يمسسك رجل نكاحا او سفاحا قال ربك هو علي هين اي اعطاء الولد للاب على سهل ولنجعله تعليل معلله
محذوف اي ولنجعله اية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله اية اي عبرة
وبرهانا على قدرتنا ورحمة منا لمن امن به وكان خلق عيسى امرا مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح فلما اطمانت الى قوله
دنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملته اي الموهوب وكان سنها ثلث عشرة سنة او عشرا
او عشرين فانتبذت به اعتزلت وهو في بطنها والجار والمجرور في موضع عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت مدة
الحمل ساعة واحدة كما حملته ولدته وقيل ستة اشهر وقيل سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع
لثمانية الا عيسى وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة مكانا قصيا بعيدا من وراء
الجبل وذلك لانها لما احست بالحمل هربت من قومها مخافة اللائمة فاجاءها جاء بها وقيل الجاءها وهو منقول
من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاء نيه زيد المخاض
وجع الولادة الى جذع النخلة اصلها وكانت يابسة وكان الوقت مشتاء وتعريفها مشعر بانها كانت نخلة معروفة

وجاز

وجاز ان يكون التعريف للجنس اي جذع هذه الشجرة كانه تعالى ارشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب لانه خرسة
النفساء اي طعامها ثم قالت جزعا مما اصابها يا ليتني مت قبل هذا هذا اليوم مدني وكوفي غير ابي بكر وغيرهم
بالضم يقال مات يموت ومات كات وكنت نسيا منسيا شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر بفتح النون حمزة وحفص
وبالكسر غيرهما ومعناهما واحد وهو الشيء الذي حقه ان يطرح وينسى لحقارته فناداها من تحتها اي الذي تحتها
فمن فاعل وهو جبرئيل عليه السلام لانه كان بمكان منخفض عنها او عيسى عليه السلام لانه خاطبها من تحت ذيلها
من تحتها مدني وكوفي سوى ابي بكر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام او جبرئيل والهاء في تحتها للنخلة وشدة
ما لقيت سليت بقوله الا تحزني تهتمي بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس وان بمعنى اي قد جعل ربك
تحتك بقربك او تحت امرك ان امرته ان يجري جرى وان امرته ان يقف وقف سريا نهرا صغيرا عند الجمهور وسئل
عن النبي عليه السلام عن السري فقال هو الجدول وعن الحسن سيدا كريما وهو عيسى عليه السلام وروي ان خالد بن
صفوان قال له ان العرب تسمي الجدول سريا فقال الحسن صدقت ورجع الى قوله وقال ابن عباس رضي الله عنهما
ضرب عيسى او جبرئيل عليه السلام بعقبه الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى النهر اليابس فاخضرت النخلة
واثمرت واينعت ثمرتها فقيل لها وهزي وحركي اليك الى جهتك بجذع النخلة قال ابو علي الباء زائدة اي هزي
جذع النخلة تساقط عليك بادغام التاء الاولى في الثانية مكي ومدني وشامي وابو عمرو وعلي وابو بكر وتتساقط
باظهار التائين وتساقط بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حمزة ويساقط بفتح الياء
والقاف وتشديد السين يعقوب وسهل وحماد ونصير وتساقط حفص من المفاعلة وتسقط ويسقط وتسقط
ويسقط التاء للنخلة والياء للجذوع فهي تسع قراءات رطبا تمييز او مفعول به على حسب القراءة جنيا طريا
وقالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل فكلي
من الجنى واشربي من السري وقري عينا بالولد الرضي وعينا تمييز اي طيبي نفسا بعيسى وارفضي عنك ما احزنك
فاما اصله ان ما فضمت ان الشرطية الى ما وادغمت فيها ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما
اي فان رايت ادميا يسالك عن حالك فقولي له اني نذرت للرحمن صمتا وامساكا عن الكلام كما يصومون
عن الاكل والشرب وقيل صياما حقيقة وكان صومهم فيه الصمت فكان التزامه التزامه وقد نهى رسول الله
عليه السلام عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخا فينا وانما امرت ان تنذر السكوت لان عيسى عليه السلام
يكفيها الكلام بما يبرئ بد ساحتها ولئلا تجادل السفهاء وفيه ان السكوت عن السفه واجب وما قدع سفيه
بمثل الاعراض وما قدح ولا اطلق عنانه بمثل العارض وانما اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقد تسمى الاشارة
كلاما وقولا الا ترى الى قول الشاعر في وصف القبور وتكلمت عن اوجه تبلى وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام

وسوغ لها هذا القدر بالنطق فلن اكلم اليوم انسيا آدميا فاتت به بعيسى عم قومها بعدما طهرت من نفاسها تحمله
حال منها اى اقبلت نحوهم حاملة اياه فلما راوه معها قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا عجيبا والفرى القطع كانه
يقطع العادة يا اخت هارون وكان اخاها من ابيها من افضل بنى اسرائيل وهو اخو موسى عم وكانت من اعقابه
وبينهما الف سنة وهذا كما يقال يا اخا همدان اى يا واحدا منهم او رجل صالح او طالح فى زمانها يسمونها به فى الصلاح
او سموها به ما كان ابوك امرأ سوء زانيا وما كانت امك بغيا زانية فاشارت اليه الى عيسى عليه السلام
ان يجيبهم وذلك ان عيسى عم هو كلوه ليجيبكم لها ان لا تحزنى واحيلى بالجواب على وقيل امرها
ولما اشارت اليه غضبوا وتعجبوا قالوا كيف نكلم من كان حدث ووجد فى المهد المعهود صبيا حال قال انى عبد الله
ولما سكتت بامر الله لسانها الناطق انطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن اربعين
ليلة او ابن يوم روى انه اشار بسبابته وقال بصوت رفيع انى عبد الله وفيه رد لقول النصارى آتانى الكتاب
الانجيل وجعلنى نبيا عن الحسن كان فى المهد نبيا وكلامه معجزة وقيل معناه ان ذلك سبق فى قضائه او جعل
الآتى لا محالة كانه وجد وجعلنى مباركا اينما كنت نفاعا حيث كنت او معلما للخير واوصانى وامرنى بالصلوة والزكوة
ان ملكت مالا وقيل صدقة الفطر او تطهير البدن ويحتمل واوصانى بان امركم بالصلوة والزكوة ما دمت حيا
نصب على الظرف اى مدة حيوتى وبرا بوالدتى عطفا على مباركا اى بارا بها اكرمها واعظمها ولم يجعلنى جبارا متكبرا
شقيا عاقا والسلام على يوم ولدت يوم ظرف والعامل فيه الخبر وهو على ويوم اموت ويوم ابعث حيا
اى ذلك السلام الموجه الى يحيى فى المواطن الثلثة موجه الى ان كان حرف التعريف للعهد وان كان للجنس فالمعنى
وجنس السلام على وفيه تعريض باللعنة على اعداء مريم وابنها لانه اذا قال وجنس السلام على فقد عرض بان
ضده عليكم اذ المقام مقام مناكرة وعناد فكان مئنة هذا التعريض ذلك مبتداء عيسى خبره ابن مريم نعته
او خبر ثان اى ذلك الذى قال انى عبد الله وكذا وكذا عيسى بن مريم لا كما قالت النصارى انه اله او ابن الله قول الحق كلمة
الله فالقول الكلمة والحق الله وقيل له كلمة الله لانه ولد بقوله كن بلا واسطة اب وارتفاع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتداء
محذوف او بدل ونصبه شامى وعاصم على المدح الذى فيه يمترون يشكون من المرية وهى الشك او يختلفون من المراء
فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة ما كان لله ما ينبغى له ان يتخذ من ولد جىء
بمن لتأكيد النفى سبحانه نزه ذاته عن اتخاذ الولد اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون بالنصب شامى اى كما قال
لعيسى كن فكان من غير اب ومن كان متصفا بهذا كان منزها ان يشبه الحيوان الوالد وان الله ربى وربكم فاعبدوه
بالكسر شامى وكوفى على الابتداء وهو من كلام عيسى يعنى كما انى عبده فانتم عبيده فعلى وعليكم ان نعبده ومن فتح
عطف على بالصلوة اى واوصانى بالصلوة وبالزكوة وبان الله ربى وربكم او علقه بما بعده اى ولان الله ربى وربكم

فاعبدوه

فاعبدوه هذا الذى ذكرت صراط مستقيم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا فاختلف الاحزاب الحزب الفرقة المنفردة
برايها عن غيرها وهم ثلث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية من بينهم من بين اصحاب عيسى او من بين قومه
او من بين الناس وذلك ان النصارى اختلفوا فى عيسى حين رفع ثم اتفقوا على ان يرجعوا الى قول ثلثة كانوا
عندهم اعلم اهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكا فقال يعقوب هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء
وقال نسطور كان ابن الله اظهره ما شاء ثم رفعه اليه وقال الثالث كذبوا كان عبدا مخلوقا نبيا فتبع كل واحد منهم
قوم فويل للذين كفروا من الاحزاب اذ الواحد منهم على الحق من مشهد يوم عظيم هو يوم القيامة او من شهودهم
هول الحساب والجزاء فى يوم القيامة او من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء
وجوارحهم بالكفر او من مكان الشهادة او وقتها او المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله عظيما لفظاعة
ما شهدوا به فى عيسى عم اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا الجمهور على ان لفظه امر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف
بالتعجب ولكن المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا فى الدنيا
قال قتادة رحمه الله ان عموا وصموا عن الحق فى الدنيا فما اسمعهم وما ابصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم وبهم مرفوع المحل
على الفاعلية كاكرم بزيد فمعناه كرم زيد جدا لكن الظالمون اليوم اقيم الظاهر مقام الضمير اى لكنهم اليوم فى الدنيا
بظلمهم انفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ووضعوا العبادة فى غير موضعها فى ضلال
عن الحق مبين ظاهر وهو اعتقادهم عيسى الها معبودا مع ظهور آثار الحدث فيه اشعار بان الظلم اشد ظلمهم
وانذرهم خوفهم يوم الحسرة يوم القيامة لانه يقع فيه الندم على ما فات وفى الحديث اذا راوا منازلهم فى الجنة
ان لو امنوا اذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة وهو مصدر قضى الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان
الى الجنة والنار وهم فى غفلة هنا عن الاهتمام لذلك المقام وهم لا يؤمنون لا يصدقون به وهم حالان اى
وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين انا نحن نرث الارض ومن عليها اى ننفرد بالملك والبقاء عند
تعميم الهلاك والفناء وذكر من لتغليب العقلاء والينا يرجعون بضم الياء وفتح الجيم وفتح الياء يعقوب
اى يردون فيجازون جزاء وفاقا واذكر فى الكتاب فى القران ابراهيم قصته مع ابيه انه كان صديقا نبيا بغير
همز ومهموز نافع قيل الصادق المستقيم فى الافعال والصديق المستقيم فى الاحوال فالصديق من ابنية المبالغة
ونظيره الضحيك والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله اى كان مصدقا
لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا فى نفسه وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين ابراهيم وبين ما هو بدل منه وهو
اذ قال وجاز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اى كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه بتلك
المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته فى الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم

نبأ ابرهيم والوفا منه عز وعلا هو ذاكره وموردة فى تنزيله لابيه يا ابت بكسر التاء وفتحها ابن عامر والتاء عوض
ياء الاضافة ولا يقال يا ابتى لئلا يجتمع بين العوض والمعوض منه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر المفعول فيهما منسى
غير منوى ويجوز ان يقدر اى لا يسمع شيئا ولا يبصر شيئا ولا يغنى عنك شيئا يحتمل ان يكون شيئا فى موضع المصدر
اى شيئا من الغناء وان يكون مفعولا به من قولك اغن عنى وجهك اى بعد يا ابت انى قد جاءنى من العلم الوحى او معرفة
الرب ما لم يأتك ما فى ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز ان يكون موصولة او موصوفة فاتبعنى اهدك ارشدك صراطا
سويا مستقيما يا ابت لا تعبد الشيطان لا تطعه فيما سول من عبادة الصنم ان الشيطان كان للرحمن عصيا عاصيا
يا ابت انى اخاف قيل اعلم ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا فى النار تليه ويليك فانظر
فى نصيحته اياه كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما امر فى الحديث اوحى الى ابراهيم انك خليلى حسن خلقك
ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فطلب منه اولا العلة فى خطائه طلب منبه على تماديه موقظ له لافراطه وتناهيه
لان من يعبد اشرف الخلق منزلة وهم الانبياء كان محكوما بالغى المبين فكيف بمن يعبد شجرا او حجرا لا يسمع ذكر
عابده ولا يرى هيئات عبادته ولا يدفع عنه بلاء ولا يقضى له حاجة ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا
فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معى شيئا من العلم ليس معك وذا علم الدلالة
على الطريق السوى فهب انى واياك فى مسيرة وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعنى انجك من ان تضل
وتتيه ثم ثلث بنهيه عما كان عليه بان الشيطان الذى عصى الرحمن الذى جميع النعم منه اوقعك فى عبادة الصنم
وزينها لك فانت عابده فى الحقيقة ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه مع مراعاة الادب حيث
لم يصرح بان العقاب لاحق به وان العذاب لاصق به بل قال اخاف ان يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتعليل
كانه قال انى اخاف ان يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة اشياعه
واوليائه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب منه نفسه وصدر كل نصيحة بقوله يا ابت توسلا
اليه واستعطافا واشعارا بوجوب احترام الاب وان كان كافرا ثم قال آزر توبيخا اراغب انت عن آلهتى
يا ابراهيم اى اترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا ابنى وقدم الخبر على المبتدا لانه كان اهم
عنده لئن لم تنته عن شتم الاصنام لارجمنك لاقتلنك او لاخربنك بها حتى تتباعد او لاشتمنك واهجرنى
عطف على محذوف يدل عليه لارجمنك تقديره فاحذرنى واهجرنى مليا ظرف اى زمانا طويلا من الملاوة قال
سلام عليك سلام توديع ومتاركة او تقريب وملاطفة ولذا وعده بالاستغفار بقوله ساستغفر لك ربى اى
ساسالك الله ان يجعلك من اهل المغفرة بان يهديك للاسلام انه كان بى حفيا ملطفا بعموم النعم او رحيما او مكرما
والحفاف الرافة والكرامة واعتزلكم اراد بالاعتزال المهاجرة من ارض بابل الى الشام وما تدعون من دون الله اى ما تعبدون

من اصنام

من اصنام وادعوا واعبد ربى ثم قال تواضعا وهضما للنفس ومعرضا بشقاوتهم بدعاء آلهتهم عسى
الا اكون بدعاء ربى شقيا اى كما شقيتم انتم بدعاء الاصنام فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله فلما اعتزل
الكفار ومعبودهم وهبنا له اسحاق ولدا ويعقوب نافلة ليستانس بهما وكلا اى وكل واحد منهما جعلنا
نبيا اى كما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه اولادا مؤمنين انبياء ووهبنا لهم من رحمتنا هى المال والولد
وجعلنا لهم لسان صدق ثناء حسنا وهو الصلوة على ابراهيم وآل ابراهيم فى الصلوة وعبر باللسان عما يوجد
باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهى العطية عليا رفيعا مشهورا واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا
كوفى غير المفضل اى اخلصه الله واصطفاه ومخلصا غيراى اخلص هو العبادة لله تعالى فهو مخلص بالمرسل السعادة
باصل الفطرة ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهمة وكان رسولا نبيا فالرسول الذى معه كتاب من الانبيا
والنبى الذى ينبئ عن الله عز وجل ولم يكن معه كتاب كيوشع وناديناه دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة من جانب
الطور هو جبل بين مصر ومدين الايمن من اليمين اى من ناحيته اليمنى والجمهور على ان المراد ايمن موسى عم
لان الجبل لا يمين له والمعنى انه حين اقبل من مدين يريد مصر نودى من الشجرة وكانت فى جانب الجبل على يمين
موسى عم وقربناه تقريب منزلة ومكانة دون منزل ومكان نجيا حال اى مناجيا كنديم بمعنى منادم ووهبنا له
من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترؤفنا عليه اخاه مفعول هارون بدل منه نبيا حال اى وهبنا له نبوة اخيه
والا فهارون كان اكبر سنا منه واذكر فى الكتاب اسمعيل هو ابن ابراهيم فى الاصح انه كان صادق الوعد وافى وعد
رجلا ان يقيم مكانه حتى يعود اليه فانتظره سنة فى مكانه حتى عاد وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى
وقيل لم يعد ربه موعدا الا انجزه وانما خصه بصدق الوعد وان كان موجودا فى غيره من الانبياء تشريفا له
وكانه المشهور من خصاله وكان رسولا الى جرهم نبيا مخبرا منذرا وكان يامر اهله امته لان النبى ابو امته واهل
بيته وفيه دليل انه لم يداهن غيره بالصلوة والزكوة يحتمل انه انما خصت هاتان العبادتان لانهما اما العبادات
البدنية والمالية وكان عند ربه مرضيا قرى مرضوا على الاصل واذكر فى الكتاب ادريس هو اخنوخ اول مرسل بعد
آدم وشيث عليهم السلام واول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر فى علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل
والاسلحة فقاتل بنى قابيل وقولهم سمى به لكثرة دراسته كتاب الله لا يصح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه
الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة انه كان صديقا نبيا انزل الله عليه
ثلثين صحيفة ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل معناه رفعته الملائكة الى السماء الرابعة
وقد راه النبى عليه السلام ليلة المعراج فيها وعن الحسن الى الجنة لا شىء اعلى من الجنة وذلك انه حبب لكثرة عبادته الى الملائكة
فقال لملك الموت اذقنى الموت يهن على ففعل باذن الله فحى وقال ادخلنى النار ازدد رهبة ففعل ثم قال ادخلنى

الجنة ازهدو رغبة ففعل فقال له اخرج قال قد ذقت الموت ووردت النار فما انا بخارج من الجنة فقال الله عز وجل
باذنى فعل وباذنى دخل فدعه اولئك اشارة الى المذكورين فى السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم من النبيين
من للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم من ذرية آدم من للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد ابى نوح
وممن حملنا مع نوح ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم اسمعيل واسحاق
ويعقوب واسرائل اى ومن ذرية اسرائل اى يعقوب وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى لان مريم من ذريته
وممن يحتمل العطف على من الاولى والثانية هدينا بجنس الاسلام واجتبينا من الانام او لشرح الشريعة وكشف
الحقيقة اذا تتلى عليهم ايات الرحمن اى اذا تليت عليهم كتب الله المنزلة من كلام مستأنف ان جعلت الذين خبر اولئك
وان جعلته صفة له كان خبرا يتلى بالياء قتيبة لوجود الفاصل مع ان التانيث غير حقيقى خروا سجدا سقطوا على وجوههم
ساجدين رغبة وبكيا باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود فى جمع ساجد وقاعد فى الحديث اتلوا القران وابكوا
فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المرى قرات القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا صالح هذه
القراءة فاين البكاء ويقول فى سجود التلاوة سبحان ربى الاعلى ثلثا فخلف من بعدهم فجاء بعد هؤلاء المفضلين
خلف اولاد سوء وبفتح اللام لعقب الخير عن ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود اضاعوا الصلوة تركوا الصلوة المفروضة
واتبعوا الشهوات ملاذ النفوس وعن على رضى الله عنه من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة
هو فى هذه الامة فسوف يلقون غيا جزاء غى وكل شر عند العرب غى وكل خير رشاد وعن ابن عباس وابن مسعود رضى
هو واد فى جهنم اعد للمصر على الزنا وشرب الخمر وآكل الربا والعاق وشاهد الزور الا من تاب رجع عن كفره
وآمن بشرطه وعمل صالحا بعد ايمانه فاولئك يدخلون الجنة بضم الياء وفتح الخاء مكى وبصرى وابو بكر ولا يظلمون
شيئا اى لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم او لا يظلمون شيئا من الظلم جنات
عدن بدل من الجنة لان الجنة تشتمل على جنات عدن لانها جنس او نصب على المدح لانه علم بمعنى العدن
وهو الاقامة وهو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة التى وعد الرحمن عباده اى عباده التائبين المؤمنين الذين
يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولاضافتهم اليه وهو للاختصاص وهؤلاء اهل الاختصاص بالغيب
اى وعدها وهى غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها انه ضمير الشان او ضمير الرحمن كان وعده
اى موعوده وهو الجنة ماتيا اى هم ياتونها لا يسمعون فيها فى الجنة لغوا فحشا او كذبا او ما لا طائل تحته من الكلام وهو
المطرح منه وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه داره التى لا تكليف فيها الا سلاما اى
لكن يسمعون سلاما من الملائكة او من بعضهم على بعض او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة
فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما كان اهل دار السلام اغنياء من الدعاء

بالسلامة

بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
اى يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفى النهار من الدنيا اذ لا ليل ولا نهار ثم لانهم فى النور ابدا وانما يعرفون مقدار النهار
برفع الحجب ومقدار الليل بارخائها فالرزق بالبكرة والعشى افضل العيش عند العرب فوصفه الله بذلك وقيل اراد
دوام الرزق كما يقول انا عند فلان بكرة وعشيا تريد الدوام تلك الجنة التى نورث من عبادنا اى نجعلها ميراث
اعمالهم يعنى ثمرتها وعاقبتها وقيل يرثون المساكن التى كانت لاهل النار لو امنوا لان الكفر موت حكما من كان تقيا
عن الشرك عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى عليه السلام قال يا جبرئل ما منعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا
فنزل وما نتنزل الا بامر ربك التنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاول
اليق هنا يعنى ان نزولنا فى الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك
وما كان ربك نسيا اى له ما بين قدامنا وما خلفنا من الاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من مكان الى مكان
الا بامر الملك ومشيته وهو العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الاحوال لا يجوز عليه النسيان
فانى لنا ان نتقلب فى ملكوته الا اذا اذن لنا فيه رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك او خبر مبتداء محذوف
رب السموات والارض ثم قال لرسوله عم كما عرفت انه متصف فاعبده فاثبت على عبادته
واصطبر لعبادته اى المعبود لعبادة المعبود او اصطبر على المشاق الخلوى او لتتمكن
من الاتيان بها هل تعلم له سميا شبها ومثلا او هل يسمى احد باسم الله غيره لانه مخصوص بالمعبود بالحق اى
اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها
فت ابى بن خلف عظما وقال انبعث بعد ما صرنا كذا فنزل ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا
والعامل فى اذا ما دل عليه الكلام وهو انبعث اى اذا ما مت ابعث وانتصابه باخرج ممتنع لان ما بعد لام الابتداء
لا يعمل فيما قبلها فلا يقول اليوم لزيد قائم ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال وتوكد مضمون
الجملة فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما فى اذا ما للتوكيد ايضا فكانه قال
احقا انا سنخرج من القبور احياء حين يتمكن فينا الموت والهلوك على وجه الاستنكار والاستبعاد وتقديم الظرف
وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء انكارهم اولا يذكر الانسان
خفيف شامى ونافع وعاصم من الذكر يذكر بتشديد الذال والكاف واصله يتذكر كقراءة ابى فادغمت التاء فى الذال
اى اولا يتدبر والواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف
يعنى ايقول ذلك ولا يتذكر حال النشاة الاولى حتى لا ينكر النشاة الاخرى فان تلك ادل على قدرة الخالق حيث
اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود واما الثانية فليس فيها الا تاليف الاجزاء الموجودة وردها ما كانت عليه

مجموعة بعد التفريق انا خلقناه من قبل من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه ولم يك شيئا هو دليل على ما بيّنا
وعلى ان المعدوم ليس بشيء خلافا للمعتزلة فوربك لنحشرنهم اى الكفار المنكرين للبعث والشياطين الواو
للعطف وبمعنى مع وهو اوقع اى يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان
فى سلسلة وفى اقسام الله باسمه مضافا الى رسوله تفخيم لشان رسوله ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا حال
جمع جاث اى بارك على الركب ووزنه فعول لان اصله جثو وكسجود وساجد اى يعتلون من المحشر الى شاطئ
جهنم عتلا على حالهم التى كانوا عليها فى الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم ثم لننزعن من كل شيعة
طائفة شاعت اى تبعت غاويا من الغواة ايهم اشد على الرحمن عتيا جراة او فجورا اى لنخرجن كل طائفة من طوائف
الغى اعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم فى النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم وقيل المراد باشدهم عتيا
الرؤساء لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال سيبويه ايهم مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التى هى صلته
وهو هو من هو اشد حتى لو جيء به لاعرب بالنصب اشد وهذا لان الصلة توضح الموصول وتبيّنه كما ان
المضاف اليه يوضح المضاف ويخصصه فكما ان حذف المضاف اليه فى قوله من قبل يوجب بناء المضاف وجب ان يكون
حذف الصلة او شيء منها موجبا للبناء وموضعها نصب بننزع وقال الخليل هى معربة وهى مبتداء واشد خبره وهو
رفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد على الرحمن عتيا ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة
كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اى لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وعلى يتعلق
بافعل اى عتوهم اشد على الرحمن ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها احق بالنار صليا تمييز اى دخولا والباء تتعلق باولى
وان منكم احد الا واردها داخلها والمراد النار والورود الدخول عند على وابن عباس رضى الله عنهم وعليه جمهور اهل
السنة لقوله تعالى فاوردهم النار ولقوله تع لو كان هولاء الهة ما وردوها ولقوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا اذ النجاة انما تكون
بعد الدخول ولقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت
على ابراهيم يطفا وتقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك اطفاء لهبى وقيل الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار
لقراة ابن عباس وان منهم وتحمل القراة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين
وقوله اولئك عنها مبعدون واجيب عنه بان المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط ممدود عليها
فيسلم اهل الجنة ويتقاذف اهل النار وعن المجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده فى الدنيا لقوله عليه السلام
الحمى حظ كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لاخر ايقنت بالورود قال نعم قال وايقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك
وفيم التثنا قل كان على ربك حتما مقضيا اى كان ورودهم واجبا كائنا محكوما به والحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمى به
الموجب كقولهم ضرب الامير ثم ننجى وعلى بالتخفيف الذين اتقوا عن الشرك وهم المؤمنون ونذر الظالمين فيها

جثيا

فيه دليل على دخول الكل لانه قال ونذر ولم يقل وندخل والمذهب ان صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو
لا محالة وقالت المرجئة الخبيثة لا يعاقب لان المعصية لا تضر مع الاسلام عندهم وقالت المعتزلة يخلد واذا تتلى
عليهم اياتنا اى القران بينات ظاهرات الاعجاز او حججا وبراهين حال مؤكدة لقوله وهو الحق مصدقا اذ ايات الله
لا يكون الا واضحة وحججا قال الذين كفروا اى مشركوا قريش وقد رجلوا شعورهم وتكلفوا فى زيهم للذين امنوا
للفقراء ورؤسهم شعثة وثيابهم خشنة اى الفريقين نحن ام انتم خير مقاما بالفتح وهو موضع القران القيام
والمراد المكان والمسكن وبالضم مكى وهو موضع الاقامة والمنزل واحسن نديا مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى
الاية ان الله تعالى يقول اذا انزلنا اية فيها دلائل وبراهين اعرضوا عن التدبر فيها الى الافتخار بالثروة والمال وحسن
المنزل والحال فقال تع وكم اهلكنا قبلهم من قرن كم مفعول اهلكنا ومن للتبيين لا بهامها اى كثيرا من القرون اهلكنا
وكل عصر قرن لمن بعدهم هم احسن فى محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركتهم كان احسن نصبا على الوصفية اثاثا
هو متاع البيت او ما جد من الفرش ورئيا منظرا وهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت وريا بغير همز مشدد نافع
وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الادغام او من الرى الذى هو النعمة قل من كان فى الضلالة
الكفر فليمدد له الرحمن مدا جواب من لانها شرطية وهذا الامر بمعنى الخبر اى من كفر مد له الرحمن يعنى امهله واملى له
فى العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما وانما اخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه
مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل ليقطع معاذير الضلال قوله حتى اذا راوا ما يوعدون هى متصلة بقوله خير
مقاما واحسن نديا وما بينهما اعتراض اى لا يزالون يقولون هذا القول الى ان يشاهدوا الموعود رأى عين
اما العذاب فى الدنيا وهو تعذيب المسلمين اياهم بالقتل والاسر واما الساعة اى القيامة وما ينالهم من الخزى
والنكال فيها بل الامر ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا منزلا واضعف جندا اى اعوانا وانصارا اى
فحينئذ يعلمون ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين
على خلاف صفتهم وجاز ان يتصل بما يليها والمعنى ان الذين فى الضلالة ممدود لهم فى ضلالتهم لا ينفكون عن ضلالتهم
الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة وحتى هى التى تحكى بعدها الجمل الا ترى ان الجملة الشرطية
واقعة بعدها وهى قوله اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون ويزيد الله الذين اهتدوا هدى معطوف على موضع فليمدد
لوقوعه موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مد له او يمد له الرحمن ويزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد
المهتدين اى المؤمنين هدى ثباتا على الاهتداء ويقينا وبصيرة بتوفيقه والباقيات الصالحات اعمال الاخرة كلها
او الصلوات الخمس او سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا مما يفتخر الكفار وخير مردا مرجعا
وعاقبة وفى التفضيل تهكم بالكفار لانهم قالوا للمؤمنين اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا افرايت الذى كفر

بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا بضم الواو وسكون اللام في اربعة مواضع هنا وفي الزخرف ونوح حمزة وعلي جمع
ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب ولما كانت روية الاشياء طريقا الى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا
ارايت في معنى اخبر والفاء افادت التعقيب كانه قال اخبر بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث
اولئك وقوله لاوتين جواب قسم مضمر اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه والهمزة للاستفهام
وهمزة الوصل محذوفة اي انظر في اللوح المحفوظة فراى منيته ام اتخذ عند الرحمن عهدا موثقا لن يوتيه ذلك
او العهد كلمة الشهادة عن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وايل فقد روي ان خبابا
الارت صاغ للعاص بن وايل حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة
فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ كلا ردع وتنبيه على الخطاء اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه فليرتدع عنه
سنكتب ما يقول اي قوله فالمراد سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله لانه كما قال كتب من غير تاخير قال الله تعالى ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد وهو كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي علم وتبين بالانتساب اني لست
بابن لئيمة ونمد له من العذاب ونزيده من العذاب كما يزيد في الافتراء والاجتراء من المدد يقال مده بمعنى
مده اكد بالمصدر لفرط غضبه تعالى ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الاخرة والمعنى مسمى ما يقول
وهو المال والولد ويأتينا فردا حال اي بلا مال ولا ولد كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى فما يجدي عليه تمنيه
وتاليه واتخذوا من دون الله الهة اي اتخذ هؤلاء المشركون اصناما يعبدونها ليكونوا لهم عزا ليتعززوا
بالهتهم ويكونون لهم شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم عما ظنوا سيكفرون بعبادتهم
الضمير للالهة اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون او للمشركين اي ينكرون
ان يكونوا قد عبدوها كقوله والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون اي المعبودون عليهم على المشركين ضدا خصماء
لان الله تعالى ينطقهم فيقول يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك والضد يقع على الواحد والجمع وهو
في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه اي يكونون عليهم
ذلا لا لهم عزا وان رجع الضمير في سيكفرون ويكونون الى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم اي اعداؤهم ضدا
اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها ثم ولينا تنبيهم بقوله الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين خليناهم
واياهم من ارسلت البعير اطلقته او سلطناهم عليهم بالاغواء تؤزهم ازا تغريهم على المعاصي اغراء والازو الهز
اخوان ومعناها التهييج وشدة الازعاج فلا تعجل عليهم بالعذاب انما نعد لهم عدا اي اعمالهم للجزاء او انفاسهم
للفناء وقرأها ابن السماك عند المامون فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما ينفد
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت ونسوق المجرمين

الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا اضل من الانعام الى جهنم وردا عطاشا لان من يرد الماء لا يرده الا للعطش وحقيقة
الورد المسير الى الماء فسمي به الواردون قالوا الوفد جمع وافد كركب وراكب والورد جمع وارد ونصب يوم بمضمر اي يوم
نسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف او اذكر يوم نحشر ذكر المتقون بانهم يسمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته كما يفد
الوفود على الملوك تبجيلا لهم والكافرون بانهم يساقون الى النار كانهم نعم عطاش يساقون الى الماء استخفافا بهم لا يملكون
الشفاعة حال والواو ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين بانهم على هذه القسمة ويجوز ان يكون
علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل من واو يملكون
او على الفاعلية او نصب على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا بان امن في الحديث من قال لا اله الا الله كان له عند الله عهد وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول
كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك
لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق
الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه
بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة ينادي مناد اين الذين كان لهم عند الرحمن عهد فيدخلون
الجنة او يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المامور بالشفاعة الماذون له فيها وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا اي النصارى واليهود ومن زعم ان الملائكة بنات الله لقد جئتم شيئا ادا خاطبهم بهذا الكلام بعد
الغيبة وهو التفات او امر نبيه عليه السلام بان يقول لهم ذلك الاد العجب والعظيم المنكر والادة الشدة وادني
الامر اثقلني وعظم علي اذا تكاد السموات تقرب وبالياء نافع وعلي ينفطرن وبالنون بصري وشامي وحمزة وخلف
وابو بكر الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه منه من عظم هذا القول وتنشق الارض تخسف
وتنفصل اجزاؤها وتخر الجبال وتسقط هدا كسرا او قطعا او هدما والهدة صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر
اي تهد هدا من سمع قولهم او مفعول له او حال اي مهدودة ان دعوا لان سموا ومحله جر بدل من الهاء في منه او نصب
او مفعول له علل الخرور بالهد والهد بدعائهم الولد للرحمن او رفع فاعل هدا اي هدها دعاؤهم للرحمن ولدا وما ينبغي
للرحمن ان يتخذ ولدا ينبغي مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتاتى له اتخاذ الولد وما يطلب لو طلب مثلا لانه محال
غير داخل تحت الصحة وهذا لان اتخاذ الولد لحاجة ومجانسة وهو منزه عنهما وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات
بيان انه الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره لان اصول النعم وفروعها منه فليتكشف عن بصرك غطاؤه
فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن

ان كل من من نكرة موصوفة صفتها في السموات والارض خبر كل الا آتي الرحمن ووحدت وآتيه حملا على لفظ كل وهو
اسم فاعل من اتى وهو مستقبل اي يأتيه عبدا حال اي خاضعا ذليلا منقادا والمعنى ما كل من في السموات والارض من
الملائكة والناس الا وهو يأتي الله يوم القيامة مقرا بالعبودية والعبودية والنبوة تتنافيان حتى لو ملك الاب
ابنه يعتق عليه ونسبة الجميع اليه نسبة العبد الى المولى فكيف يكون البعض ولدا والبعض عبدا وقرأ ابن مسعود
آت الرحمن على اصل قبل الاضافة لقد احصاهم وعدهم عدا اي حصرهم بعلمه واحاط بهم وكلهم آتيه يوم القيامة فردا
اي كل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا بلا مال ولا ولد وبلا معين وناصر ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا مودة في قلوب العباد قال الربيع يحبهم الله ويحببهم الى الناس وفي الحديث يعطى المؤمن مقة
في صدور الابرار ومهابة في قلوب الفجار وعن قتادة وهرم ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب
ما يستقر لعبد ثناء في الارض حتى يستقر له في السماء فانما يسرناه سهلنا القرآن بلسانك بلغتك حال لتبشر به
المتقين المؤمنين وتنذر به قوما لدا شدادا في الخصومة بالباطل اي الذين يأخذون في كل لديد اي شق من المراء
والجدال جمع الد يريد اهل مكة وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف لهم وانذار هل تحس منهم من احد اي هل تجد
او ترى او تعلم والاحساس الادراك بالحاسة او تسمع لهم ركزا صوتا خفيا ومنه الركاز اي لما اتاهم عذابنا لم يبق شخص
يرى ولا صوت يسمع يعني هلكوا كلهم فكذا هؤلاء ان اعرضوا عن تدبر ما انزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليس عليك امرهم

سورة طه مكية وهي مائة وخمس وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء ابو عمرو وامالهما حمزة وعلي وخلف وابو بكر وفخمهما على الاصل غيرهم
وما روي عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم ان معناه يا رجل فان صح فظاهر والا فالحق ما هو المذكور
في سورة البقرة ما انزلنا عليك القرآن ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما
للسورة احتملت ان يكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر اوقع موقع المضمر لانها قرآن وان يكون
جوابا لها وهي قسم لتشقى لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا او لقيام الليل فانه
روي انه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلنا
لتنهك نفسك بالعبادة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة الا تذكرة استثناء منقطع اي لكن انزلناه تذكرة او حال
لمن يخشى لمن يخاف الله او لمن يؤل امره الى الخشية تنزيلا بدل من تذكرة اذا جعل حالا ويجوز ان ينتصب بنزل
مضمرا او على المدح او بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله ممن خلق الارض والسموات من يتعلق
بتنزيلا صلة له العلى جمع العليا تأنيث الاعلى ووصف السموات بالعلى دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها الرحمن
رفع على المدح اي هو الرحمن على العرش خبر مبتدأ محذوف استوى استولى عن الزجاج ونبه بذكر العرش وهو

اعظم

اعظم المخلوقات على غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك
فقالوا استوى فلان على العرش اي ملك وان لم يقعد على السرير البتة وهذا كقولك يد فلان مبسوطة اي جواد
وان لم يكن له يد رأسا والمذهب قول علي رضي الله عنه الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول والايمان به واجب
والسؤال عنه بدعة لانه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان له ما في السموات وما في الارض
خبر ومبتدأ ومعطوف وما بينهما اي ذلك كله ملكه وما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين او هو الصخرة التي
تحت الارض السابعة وان تجهر بالقول ترفع صوتك به فانه يعلم السر ما اسررته الى غيرك واخفى منه وهو ما اخطرته
ببالك او ما اسررته في نفسك وما ستسره فيها الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى اي هو واحد بذاته وان افترقت
عبارات صفاته رد لقولهم انك تدعو آلهة حين سمعوا اسماءه تعالى والحسنى تأنيث الاحسن وهل اي وقد اتيك
حديث موسى خبره قفاه بقصة موسى ع م ليأتسي به في تحمل اعباء النبوة والصبر على المكاره لينال الدرجة
العليا كما نالها موسى اذ رأى ظرف لمضمر اي حين رأى نارا كان كيت وكيت او مفعول به لاذكر روي ان موسى ع م
استاذن امه شعيبا في الخروج الى اهله وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت
ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى عند ذلك نارا في زعمه وكان نورا فقال لاهله امكثوا اقيموا في مكانكم
اني آنست ابصرت نارا والايناس رؤية شيء يؤنس به لعلي آتيكم منها بنى الامر على الرجاء لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به
بقبس نار مقتبسة في رأس عود او فتيلة او اجد على النار هدى ذوي هدى اي قوما يهدوني الطريق ومعنى الاستعلاء
في على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها فلما اتيها اي النار وجد نارا بيضاء تتوقد في شجرة خضراء من اسفلها
الى اعلاها وكانت شجرة العناب او العوسج ولم يجد عندها احدا وروي انه كلما طلبها بعدت عنه فاذا تركها قربت منه ثم
نودي موسى يا موسى اني بكسر الهمزة اي نودي فقيل يا موسى اني او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته وبالفتح
مكي وابو عمرو اي نودي باني انا ربك انا مبتدأ او توكيد او فصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي
يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فعرف انه كلام الله عز وجل بانه سمعه من جميع جهات الست وسمع بجميع
اعضائه فاخلع نعليك انزعهما لتصيب قدميك بركة الوادي المقدس او لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ
او لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين والقرآن يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها فخلعهما
والقاهما من وراء الوادي انك بالواد المقدس المطهر او المبارك طوى حيث كان منون شامي وكوفي لانه اسم علم للوادي
وهو بدل منه وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة وقرأ ابو زيد بكسر الطاء بلا تنوين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة
وانا اخترناك حمزة فاستمع لما يوحى اليك اي للذي يوحى او للوحي واللام يتعلق فاستمع او باخترتك انني انا الله لا اله
الا انا فاعبدني وحدني واطعني واقم الصلوة لذكري لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار او لاني ذكرتها في الكتب

وامرت بها ولان اذكرك بالمدح والثناء اولذكرى خاصة لا يسوبه بذكر غيري اولتكون لى ذاكرا غير ناس اولاوقات ذكرى وهي مواقيت
الصلوة كقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها وفيه حذف المضاف
اى لذكر صلوتي وهذا دليل على انه للتوحيد اعظم منها ان الساعة اتية لا محالة اكاد الاخفش وقيل صلة
اخفيها قيل هو من الاضداد اى اظهرها او عن العباد فلا اقول هي اتية لارادتي اخفاها ولولا ما في الاخبار من اتيانها
مع تعيينه وقتها من الحكمة وهو انهم اذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها في كل وقت لما اخبرت به لتجزى متعلق باتية
كل نفس بما تسعى بسعيها من خير او شر فلا يصدنك عنها فلا يصرفنك عن العمل للساعة او عن اقامة الصلوة او عن
الايمان بالقيامة فالخطاب لموسى والمراد به امته من لا يؤمن بها لا يصدق بها واتبع هويه في مخالفة امره فتردى فتهلك
وما تلك بيمينك يا موسى ما مبتداء وتلك خبره وهي بمعنى هذه وبيمينك حال عمل فيها معنى الاشارة اى قالة
او ماخوذة بيمينك او تلك موصول صلته بيمينك والسوال للتنبيه ليقع المعجزة بها بعد التثبت فيها او للتوطين لئلا
يهوله انقلابها حية او للايناس ورفع الهيبة في المكالمة قال هي عصاى اتوكؤ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت
على راس القطيع وعند الطفرة واهش بها على غنمي اخبط ورق الشجرة على غنمي لتاكله ولي فيها مارب جمع مارية
بالحركات الثلاثة وهي الحاجة اخرى والقياس آخر انما قال اخرى رد الى الجماعة او لنسق الآى وكذا الكبرى ولما ذكر بعضها
شكرا اجمل الباقي حياء من التطويل او ليسال عنها الملك العلام فيزيد في الاكرام والمارب الاخرانها كانت بماشيه
وتحدثه وتحارب العدو والسباع وتصير رشاء فتطويل بطول البير وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين
بالليل وتحمل زاده ويركزها فتثمر ثمرة يشتهيها ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام والزيادة
على الجواب لتعاود النعم شكرا ولانها جواب سؤال آخر كانه لما قال هي عصاى قيل له ما تصنع بها فاخذ يعددها منافعها
قال القها يا موسى اطرح عصاك لتفرغ ما تنكى عليه فلا تسكن الا بنا وترى كنه ما فيها من المارب فتعتقد عليها الطالب
فالقيها فطرحها فاذا هي حية تسعى تمشي سريعا قيل انقلبت ثعبانا يبتلع الصخر والشجر فلما راها يبتلع كل شيء خاف
وانما وصفت بالحية هنا وبالثعبان في موضع اخر وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق في غيرها لان الحية
اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وجاز ان ينقلب حية صفراء دقيقة ثم تتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا
فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها او لانها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل كان بين لحييها اربعون
ذراعا ولما قال له ربه خذها ولا تخف بلغ من ذهاب خوفه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها سنعيدها سنردها سيرتها
الاولى تانيث الاول والسيرة الحالة التي يكون عليها الانسان غريزية كانت او مكتسبة وهي في الاصل فعلة من السير
كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة وانتصب على الظرف اى سنعيدها في طريقتها الاولى اى في حال ما كانت
عصا والمعنى نردها عصا كما كانت واري ذلك موسى عند المخاطبة لئلا يفزع منها اذا انقلبت حية عند فرعون ثم نبه

على اية اخرى فقيل واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت العضد وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه
جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمعنى ادخلها تحت عضدك تخرج بيضاء لها شعاع
كشعاع الشمس يغشي البصر من غير سوء برص اية اخرى لنبوتك بيضاء واية حالان معا ومن غير سوء من صلة
بيضاء كقولك ابيضت من غير سوء وجاز ان تنتصب اية بفعل محذوف يتعلق به لام لنريك من اياتنا الكبرى اى
خذ هذه الاية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بها تين الايتين بعض اياتنا الكبرى العظمى او لنريك بهما الكبرى من اياتنا
او المعنى فعلنا ذلك لنريك من اياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية وكامره
بالذهاب الى فرعون الطاغي وعرف انه كلف امرا عظيما يحتاج الى صدر فسيح قال رب اشرح لي صدري وسعه
ليحتمل الوحي والمشاق وردى الاخلاق من فرعون وجنده ويسر لي امري وسهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة
الى فرعون واشرح لي صدري اكد صدري لانه تكرير للمعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل لانه بقوله اشرح لي
ويسر لي علم ان ثم مشروحا وميسرا ثم رفع الابهام بذكر الصدر والامر واحلل عقدة من لساني وكان في لسانه رتة
للجمرة التي وضعها على لسانه في حال صباه وذلك لان موسى اخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة في صغره فاراد
قتله فقالت اسية ايها الملك انه صغير لا يعقل فجعلت في طست نارا وفي طست يواقيت ووضعتهما لدى موسى
فقصد اليواقيت فامال الملك يده الى النار فرفع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لكنة منها وروى ان يده
احترقت واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرا ولما دعاه قال الى اى رب تدعوني قال الى الذى ابرا يدي وقد عجزت
عنها ومن لساني صفة لعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني وهذا يشعر بانه لم تزل العقدة بكمالها واكثرهم على ذهابها
جميعها يفقهوا قولي عند تبليغ الرسالة واجعل لي وزيرا ظهيرا اعتمد عليه من الوزر الثقل لانه يحتمل من الملك وزاره
ومؤنه او من الوزر الملجاء لان الملك يعتصم برايه ويلتجى اليه في اموره او معينا من الموازرة وهي المعاونة فوزيرا
مفعول اول لاجعل والثاني من اهلي او لي وزيرا مفعولاه وقوله هارون عطف بيان لوزيرا وقوله اخي بدل او عطف
بيان اخر او وزيرا وهارون مفعولاه وقدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة اشدد به ازري قو به ظهري
وقيل الازر القوة واشركه في امري اجعله شريكي في النبوة والرسالة واشدد واشركه على حكاية النفس شامي وعلى الجواب
والباقون على الدعاء والسؤال كي نسبحك نصلي لك وننزهك تسبيحا كثيرا ونذكرك كثيرا في الصلوة وخارجها
انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا فاجابه الله تعالى حيث قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اعطيت مسؤلك فالسؤال
الطلبة فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز سؤلك بلا همزة ابو عمرو ولقد مننا انعمنا عليك مرة اخرى قبل هذه
ثم فسرها فقال اذ اوحينا الى امك ما يوحى الهاما او مناما حين ولدت وكان فرعون يقتل امثالك واذ ظرف لمننا وفسر
ما يوحى بقوله ان اقذفيه القيه في التابوت وان مفسرة لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم النيل فليلقه اليم

بالساحل للجانب وسمي ساحلا لان الماء يسحله اى يقشره والصيغة امر ليناسب ما تقدم ومعناه الاخبار اى يلقيه
اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له يعني فرعون والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت
يفضي الى تنافر النظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان هو التابوت لكن موسى بالرسل وتولى اعرض عن الايمان
وهي ارجى اى القران لانه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شئ فأتياه وأديا الرسالة
وقالا له ما امرا به قال فمن ربكما يا موسى خاطبهما ثم نادى احدهما لان موسى هو الاصل في النبوة وهارون تابعه
قال ربنا الذي اعطى كل شئ خلقه خلقه اول مفعولي اعطى اى اعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما
اى اعطى كل شئ صورته الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل
الذي يوافق الاستماع وكذا الانف والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة بها وقرأ نصير خلقه صفة للمضاف
او للمضاف اليه اى اعطى كل شئ مخلوق عطاءه ثم هدى عرف كيف يرتفق بما اعطي للمعيشة في الدنيا والسعادة في العقبى
قال فما بال القرون الاولى فما حال الامم الخالية والرمم البالية سأله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقي
منهم وسعادة من سعد قال موسى مجيبا علمها عند ربي مبتدأ وخبر في كتاب اى اللوح خبر ثان اى هذا سؤال عن الغيب
وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب
عند الله في اللوح المحفوظ لا يضل ربي لا يخطئ شيئا يقال ضللت الشئ اذا اخطأته في مكانه فلم تهتد له اى لا يخطئ
في سعادة الناس وشقاوتهم ولا ينسى ثوابهم وعقابهم وقيل لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن لتعلم الملائكة ان معلول
الخلق يوافق معلومه الذي مرفوع صفة لربي او خبر مبتدأ محذوف او منصوب على المدح جعل لكم الارض مهدا كوفي وغيرهم
مهادا وهما لغتان لما يبسط ويفرش وسلك اى جعل لكم فيها سبلا طرقا وانزل من السماء ماء مطرا فأخرجنا به بالماء
نقل الكلام من الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع للافتنان وقيل تم كلام موسى ثم اخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فاخرجنا
وقيل هذا كلام موسى اى فاخرجنا نحن بالحراثة والغرس ازواجا اصنافا من نبات هو مصدر سمي به النابت فاستوى
فيه الواحد والجمع شتى صفة للازواج او للنبات جمع شتيت كمريض ومرضى اى انها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة
والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم ومن نعمته تعالى ان ارزاقنا تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله تعالى علفها
مما يفضل عن حاجتنا مما لا نقدر على اكله قائلين كلوا وارعوا انعامكم حال من الضمير في فاخرجنا والمعنى اخرجنا
اصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين ان تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها ان في ذلك في الذي ذكرت لآيات
لدلالات لأولي النهى لذوي العقول واحدها نهية لانها تنهى عن المحظور او تنتهي اليها في الامور منها من الارض خلقناكم
اى اباكم آدم عم وقيل يعجن كل نطفة بشئ من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معا او لان النطفة من الاغذية
وهي من الارض وفيها نعيدكم اذا متم فدفنتم ومنها نخرجكم عند البعث تارة اخرى والمراد باخراجهم انه يؤلف اجزاءهم

المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث
جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاءوا وانبت فيها اصناف النبات
التي منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا وهي كفاتهم اذا ماتوا ولقد اريناه
اى فرعون آياتنا كلها وهي تسع آيات العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل فكذب
الآيات وأبى قبول الحق قال فرعون أجئتنا لتخرجنا من ارضنا مصر بسحرك يا موسى فيه دليل على انه خاف منه خوفا
شديدا وقوله بسحرك تعلل والا فاي ساحر يقدر ان يخرج ملكا من ارضه فلنأتينك بسحر مثله فلنعارضنك بسحر
مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف اى مكان موعد والضمير في لا نخلفه
للموعد قرأ يزيد بالجزم على جواب الامر وغيره بالرفع على الوصف للموعد نحن ولا انت مكانا هو بدل من المكان المحذوف
ويجوز ان لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه وانتصب مكانا بالمصدر او بفعل يدل عليه
المصدر سوى بالكسر حجازي وابو عمرو وعلي وغيرهم بالضم وهو نعت لمكانا اى منصفا بيننا وبينك وهو
من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية قال موعدكم يوم الزينة مبتدأ وخبر وهو يوم عيد كان لهم
او يوم النيروز او يوم عاشوراء وانما استقام الجواب بالزمان وان كان السؤال عن المكان على التأويل الاول لان اجتماعهم
يوم الزينة يكون في مكان لا محالة فبذكر الزمان علم المكان وعلى الثاني تقديره وعدكم وعد يوم الزينة وان يحشر الناس اى
يجمع في موضع رفع او جر عطف على يوم الزينة ضحى اى وقت الضحوة ليكون ابعد عن الريبة وابين لكشف الحق وليشيع
في جميع اهل الوبر والمدر فتولى فرعون ادبر عن موسى معرضا فجمع كيده مكره وسحرته وكانوا اثنين وسبعين
او اربعمائة او سبعين الفا ثم اتى للموعد قال لهم موسى اى للسحرة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا لا تدعوا آياته ومعجزاته
سحرا فيسحتكم كوفي غير ابي بكر يهلككم ومنه السحت لانه مهلك الاخير فيه وغيرهم بفتح الياء والحاء والسحت
والاسحات بمعنى الاعدام وانتصب على جواب النهي بعذاب عظيم وقد خاب من افترى من كذب على الله فتنازعوا
اى اختلفوا اى السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة او لا تفتروا على الله كذبا
الآية امرهم بينهم واسروا النجوى اى تشاوروا في السر وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر والنجوى
يكون مصدرا واسما ثم اتفقوا هذا الكلام يعني قالوا ان هذان لساحران يعني موسى وهرون قرأ ابو عمرو ان هذين
لساحران وهو ظاهر ولكن مخالف للامام وابن كثير وحفص والخليل وهو اعرف بالنحو واللغة ان هذان لساحران
بتخفيف ان مثل قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية وان المخففة من الثقيلة وقيل هي بمعنى
ما واللام بمعنى الا اى ما هذان الا ساحران دليله قراءة ابي ان هذان الا ساحران وغيرهم ان هذان لساحران قيل هي لغة
حارث بن كعب وخثعم ومراد وكنانة فالتثنية في لغتهم بالالف ابدا فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب كعصا وسعدى

قال له اباها وابا اباها قد بلغا في المجد غايتاها وقال الزجاج ان بمعنى نعم قال الشاعر ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت
فقلت انه اى نعم والهاء للوقف وهذان مبتداء وساحران خبر مبتداء محذوف واللام داخلة على المبتداء المحذوف تقديره
هذان لهما ساحران فيكون دخولها في موضعها الموضوع لها وهو الابتداء وقد يدخل اللام في الخبر كما يدخل في المبتداء قال أمّ الحليس
لانت ومن جرير خاله وقال وقيل عرضته على المبرد فرضيه وقد زيفه ابو علي يريدان ان يخرجاكم من ارضكم مصر بسحرهما ويذهبا
بطريقتكم بدينكم وشريعتكم المثلى الفضلى تانيث الامثل وهو الافضل فاجمعوا فاحكموا اى اجعلوا مجمعا عليه حتى تختلفوا
فاجمعوا ابو عمرو ويعضده فجمع كيده كيدكم هو ما يكاد به ثم ائتوا صفا مصطفين حال امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور
الرائين وقد افلح اليوم من استعلى وقد فاز من غلب وهو اعتراض قالوا اى السحرة يا موسى اما ان تلقى عصاك اولا واما
ان نكون اول من القى ما معنا وموضع ان مع ما بعده فيهما نصب بفعل مضمر او رفع بانه خبر مبتداء محذوف معناه اختر
احد الامرين او الامر القاؤك والقاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وكانه تعالى الهمهم ذلك وقد وصل
اليهم بركته وعلم موسى اختيار القائهم اولا حتى قال بل القوا انتم اولا ليبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويظهر الله سلطانه
ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر فيمحقه فتصير اية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين فالقوا
فاذا حبالهم وعصيهم يقال في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق انها اذا الكاينة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف
اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير والتقدير ففاجاء
موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي يخيل وبالتاء ابن ذكوان
اليه الى موسى من سحرهم انها تسعى رفع بدل اشتمال من الضمير في تخيل اى تخيل الملقى روى انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت
عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك فاوجس في نفسه خيفة موسى اضمر في نفسه خوفا ظنا منه انها تقصده
للجبلة البشرية او خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف انك انت الاعلى الغالب القاهر وفي ذكر ان وانت
وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة والق ما في يمينك تلقف بسكون اللام والفاء
وتخفيف القاف حفص تلقف ابن ذكوان الباقون تلقف ما صنعوا زوروا وافتعلوا اى اطرح عصاك تبتلع عصيهم
وحبالهم ولم يقل عصاك تعظيما لها اى لا تحتفل بما صنعوا فان ما في يمينك اعظم منها او تحقيرا اى لا تبال بكثرة
حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الذى هو في يمينك فانه بقدرتنا يتلقفها على وحدته وكثرتها انما صنعوا
كيد ساحر سحر كوفي غير عاصم بمعنى ذى سحر او ذوى سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر وكيد بالرفع على ان
وما موصولة او مصدرية وانما وحد ساحر ولم يجمع لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع
لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اى هذا الجنس حيث اتى اينما كان فالقى موسى عصاه فتلقفت
ما صنعوا فلعظم ما راوا من الاية دفعوا الى السجود فلذلك قوله فالقى السحرة سجدا قال الاخفش من سرعة ما سجدوا

كانهم

كانهم القوا فما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين
الالقائين روى انهم راوا الجنة ومنازلهم فيها في السجود فرفعوا رؤسهم ثم قالوا امنا برب هرون وموسى وانما قدم
هارون هنا واخر في الشعراء محافظة للفاصلة ولان الواو لا توجب ترتيبا قال ءامنتم بخبر مد حفص وبهمزة
ممدودة بصرى وشامى وحجازى وبهمزتين غيرهم له قبل ان اذن لكم اى لموسى يقال امن له وامن به انه لكبيركم الذى
علمكم السحر لعظيمكم او لمعلمكم يقول اهل مكة للمعلم امرني كبيرى فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف القطع
من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين يخالف الاخر بان هذا يد وذاك رجل
وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدئ وناشئ من مخالفة العضو العضو ومحل الجار والمجرور
النصب على الحال اى لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب
في الجذع بتمكن المظروف في الظرف فلذا قال ولاصلبنكم في جذوع النخل وخص النخل لطول جذوعها ولتعلمن اينا
اشد عذابا انا على ايمانكم بي او رب موسى على ترك الايمان به وقيل يريد نفسه لعنه الله وموسى عم بدليل
قوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وابقى وادوم قالوا لن نؤثرك
لن نختارك على ما جاءنا من البينات القاطعة الدالة على صدق موسى والذى فطرنا عطف على ما جاءنا اى لن نختارك
على الذى جاءنا ولا على الذى خلقنا او قسم وجوابه لن نؤثرك مقدم على القسم فاقض ما انت قاض فاصنع ما انت
صانع من القتل والصلب قال وعليهما مشروحتان قضاهما اى صنعهما او احكم ما انت حاكم انما تقضى هذه الحيوة الدنيا
اى في هذه الحيوة الدنيا فانتصب على الظرف اى انما تحكم فينا مدة حيوتنا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما
اكرهتنا عليه ما موصولة منصوبة بالعطف على خطايانا من السحر حال من ما روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى
قائما فنفعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر لان الساحر اذا نام بطل سحره فكرهوا معارضته خوف الفضيحة
فاكرههم فرعون على الاتيان بالسحر انظر كيف نفعهم علمهم بالسحر وضر اجهله به فكيف بعلم الشرع والله خير لمن اطاعه
وابقى عقابا لمن عصاه وهو رد لقول فرعون ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى انه هو الضمير الشان من يات ربه مجرما
كافرا فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح بالموت ولا يحيى حيوة ينتفع بها ومن ياته مؤمنا مات على ايمانه
قد عمل الصالحات بعد الايمان فاولئك لهم الدرجات العلى جمع العليا جنات عدن بدل من الدرجات تجرى من تحتها
الانهار خالدين دائمين فيها وذلك جزاء من تزكى تطهر من الشرك بقول لا اله الا الله قيل هذه الايات الثلاث حكاية
قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو الظاهر ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى لما اراد الله تعالى
اهلاك فرعون وقومه امر موسى ان يخرج بهم من مصر ليلا وياخذ بهم طريق البحر فاضرب لهم طريقا في البحر اى اجعل
لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما يبسا اى يابسا وهو مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا لا تخاف حال الضمير

فى فاضرب اى اضرب لهم طريقا غير خايف لا تخف حمزة على الجواب دركا هو اسم من الادراك اى لا يدركك فرعون وجنوده
ولا يلحقونك ولا تخشى الغرق وعلى قراءة حمزة ولا تخشى استينافا اى وانت لا تخشى او يكون الالف للاطلاق كما
فى وتظنون بالله الظنونا فخرج بهم موسى من اول الليل وكانوا سبعين الفا وقد استعاروا حليهم فركب فرعون فى ستمائة
الف من القبط تقص اثرهم فذلك قوله فاتبعهم فرعون بجنوده وهو حال اى خرج خلفهم ومعه جنوده فغشيهم من اليم
ناصابهم من البحر ما غشيهم هو من جوامع الكلم التى تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة اى غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله عز وجل
واضل فرعون قومه عن سبيل الرشاد وما هدى وما ارشدهم الى الحق والسداد وهذا رد لقوله وما اهديكم الا سبيل
الرشاد ثم ذكر منته على بنى اسرائيل بعدما انجاهم من البحر واهلك فرعون وقومه بقوله يا بنى اسرائيل اى واوحينا الى موسى
ان اسر بعبادى وقلنا يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم اى من فرعون وواعدناكم بايتاء الكتاب جانب الطور
الايمن وذلك ان الله عز وجل وعد موسى ان ياتى هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التورية
وانما نسب اليهم المواعدة لانها كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التى قام بها شرعهم ودينهم والايمن نصب
لانه صفة جانب وقرى بالجر على الجوار ونزلنا عليكم المن والسلوى فى التيه وقلنا لكم كلوا من طيبات حلالات
ما رزقناكم انجيتكم وواعدتكم ورزقتكم كوفى غير عاصم ولا تطغوا فيه ولا تتعدوا حدود الله فيه بان تكفروا النعم
وتنفقوها فى المعاصى او لا يظلم بعضكم بعضا فيه فيحل عليكم غضبى عقوبتى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى
هلك او سقط سقوطا لا نهوض بعده واصله ان يسقط من جبل فيهلك وتحقيقه سقط من شرف الايمان الى حفرة من حفر
النيران قرا على فيحل ويحلل والباقون بكسرهما فالمكسور فى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه والمضموم
فى معنى النزول وانى لغفار لمن تاب عن الشرك وامن وحد الله تعالى وصدقه فيما انزل وعمل صالحا ادى الفرايض ثم اهتدى
ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح وما اعجلك من اى شىء عجل بك عن قومك يا موسى
اى عن السبعين الذين اختارهم وذلك انه مضى معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه
وامرهم ان يتبعوه فقال الله تعالى وما اعجلك واى شىء اوجب عجلتك استفهام انكار وما مبتداء واعجلك الخبر قال هم
اولاء على اثرى اى هم خلفى يلحقوننى وليس بينى وبينهم الا مسافة يسيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال وعجلت اليك
اى الى الموعد الذى وعدت رب لترضى لتزداد عنى رضا وهذا دليل على جواز الاجتهاد قال فانا قد فتنا قومك القيناهم
فى فتنة من بعدك من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هارون واضلهم السامرى بدعائه اياهم
الى عبادة العجل واجابتهم له وهو منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان فاتخذ
عجلا واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى من مناجاة ربه الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب او حزينا
قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا وعدهم الله ان يعطيهم التورية التى فيها هدى ونور وكانت الف سورة كل سورة

الف اية يحمل اسفارها سبعون جملا ولا وعدا احسن من ذلك افطال عليكم العهد اى مدة مفارقتى اياكم والعهد الزمان
يقال طال عهدى بك اى طال زمانى بسبب مفارقتك ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم اى اردتم ان تفعلوا
فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم فاخلفتم موعدى وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا
موعده باتخاذ العجل قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بفتح الميم مدنى وعاصم وبضمها حمزة وعلى وبكسرها غيرهم
اى ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اى لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفنا موعدك ولكنا غلبنا من جهة
السامرى وكيده ولكنا حملنا بالضم والتشديد حجازى وشامى وحفص وبفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم اوزارا
من زينة القوم اثقالا من حلى القبط او اوزارا واثاما وتبعات لانهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر
بعلة ان غدا لنا عيد فقال السامرى انما حبس موسى لشوم حرمتها لانهم كانوا معهم فى حكم المستامنين فى دار الحرب وليس
للمستامن ان ياخذ مال الحربى على ان الغنايم لم تكن تحل حينئذ فاحرقوها فخبانى حفرة النار قالب عجل فاضاعت
عجلا مجوفا فخار بدخول الريح فى بجار منه اشباه العروق وقيل نفخ فيه تراب موضع قوايم فرس جبرئيل عم
يوم الغرق وهو فرس حيوة فحى فخار ومال طباعهم الى الذهب فعبدوه فقذفناها فكذلك القى السامرى ما معه من حلى
فى النار او ما معه من التراب الذى اخذه من اثر حافر فرس جبرئيل عم فاخرج لهم السامرى من الحفرة عجلا خلقه
الله تعالى من الحلى التى سبكتها النار ابتداء جسدا مجسدا له خوار صوت وكان يخور كما تخور العجاجيل فقالوا اى
السامرى واتباعه هذا الهكم واله موسى فاجاب عامتهم الا اثنى عشر الفا فنسى اى فنسى موسى ربه هنا
وذهب يطلبه عند الطور او هو ابتداء كلام من الله تعالى اى نسى السامرى ربه وترك ما كان عليه من الايمان
الظاهر او نسى السامرى الاستدلال على ان العجل لا يجوز ان يكون الها بدليل قوله افلا يرون الا يرجع اى انه
لا يرجع فان مخففة من الثقيلة اليهم قولا اى لا يجيبهم ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا اى هو عاجز عن الخطاب
والضر والنفع فكيف يتخذونه الها وقيل انه ما خار الا مرة ولقد قال لهم لمن عبد العجل هارون من قبل
من قبل رجوع موسى اليهم يا قوم انما فتنتم به ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه وان ربكم الرحمن لا العجل فاتبعونى
كونوا على دينى الذى هو الحق واطيعوا امرى فى ترك عبادة العجل قالوا لن نبرح عليه عاكفين اى لن نزال مقيمين
على العجل وعبادته حتى يرجع الينا موسى فننظر هل يعبده كما عبدنا وهل صدق السامرى ام لا فلما رجع موسى
قال يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعنى بالياء فى الوصل والوقف مكى وافقه ابو عمرو
ونافع فى الوصل وغيرهم بلا ياء اى ما دعاك الى ان لا تتبعنى لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشىء وبين الداعى
الى تركه وقيل لا مزيدة والمعنى اى شىء منعك ان تتبعنى حتى لم يقبلوا قولك وتلحق بى وتخبرنى او ما منعك ان
تتبعنى فى الغضب لله وهلا قاتلت من كفر بمن امن ومالك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا

افعصيت امرى الذى امرتك به من القيام بمصالحهم ثم اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا عليه لان
الغيرة فى الله ملكته قال يا ابن ام وبخفض الميم شامى وكوفى غير حفص وكان اخاه لابيه وامه عند الجمهور ولكنه
ذكر الام استعطافا وترقيقا لا تاخذ بلحيتى ولا براسى ثم ذكر عذره فقال انى خشيت ان تقول اذ قاتلت بعضهم ببعض
فرقت بين بنى اسرائيل او خفت ان تقول انى فارقتهم واتبعتك ولحق فى فريق وتبع السامرى فريق فرقت بين بنى اسرائيل
ولم ترقب ولم تحفظ قولى واخلفنى فى قومى واصلح وفيه دليل على جواز الاجتهاد ثم اقبل موسى على السامرى منكرا عليه
حيث قال فما خطبك ما امرك الذى تخاطب عليه يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به وبالتاء حمزة وعلى قال الزجاج
بصر علم وابصر نظر اى علمت ما لم يعلمه بنو اسرائيل قال موسى وما ذاك قال رايت جبريل على فرس الحيوة فالقى فى نفسه
ان اقبض من اثره فما القيته على شىء الا صار له روح ولحم ودم فقبضت قبضة القبضة المرة من القبض واطلاقها على
المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرى فقبصت قبصة بالصاد فالضاد لجميع الكف والصاد باطراف
الاصابع من اثر الرسول اى من اثر فرس الرسول وقرى بها فنبذتها فطرحتها فى جوف العجل وكذلك سولت زينت لى نفسى
ان افعله ففعلته اتباعا لهواى وهو اعتراف بالخطاء واعتذار منه قال له موسى فاذهب من بيننا طريدا فان لك
فى الحيوة ما عشت ان تقول لمن اراد مخالطتك جاهلا بحالك لا مساس اى لا يمسنى احد ولا امسه فمنع من مخالطة
الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته واذا اتفق ان يماس احدا حم الماس والممسوس وكان يهيم
فى البرية يصيح لا مساس ويقال ان ذلك موجود فى اولاده الى الآن وقيل اراد موسى ان يقتله فمنعه الله سبحانه
وان لك موعدا لن تخلفه لن يخلفك الله موعده الذى وعدك على الشرك والفساد فى الارض ينجزه لك فى الآخرة بعد
ما عاقبك فى ذلك فى الدنيا لن تخلفه مكى وابو عمرو وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وانظر الى الهك الذى
ظلت عليه واصله ظللت فحذف اللام الاولى تخفيفا وكراهة التضعيف ونقلوا حركتها الى الظاء عاكفا مقيما لنحرقنه
بالنار ثم لننسفنه لنذرينه فى اليم نسفا فحرقه وذراه فى البحر فشرب بعضهم من مائه حبا له فظهرت على شفاههم
صفرة الذهب انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما تمييز اى وسع علمه كل شىء ومحل الكاف من كذلك نقص
اى مثل ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامم الماضية تكثيرا
لبيناتك وزيادة فى معجزاتك وقد اتيناك اعطيناك من لدنا من عندنا ذكرا قرانا فهو ذكر عظيم وقران كريم فيه
النجاة لمن اقبل عليه وهو مشتمل على الاقاصيص والاخبار والحقيقة بالتفكر والاعتبار من اعرض عنه عن هذا
الذكر وهو القران ولم يؤمن به فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب
وصعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذى ينقض ظهره ويلقى عليه بهرة او لانها جزاء الوزر وهو الاثم خالدين حال
من الضمير فى يحمل وانما جمع على المعنى ووحد فى فانه حملا على اللفظ من فيه فى الوزر اى فى جزاء الوزر وهو العذاب

وساءلهم

وساء لهم يوم القيمة حملا وساء فى حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك
والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الحمل حملا وزرهم يوم ينفخ بدل من يوم القيمة
ننفخ ابو عمرو فى الصور القران وهو جمع صورة اى ننفخ الارواح فيها دليله قراءة قتادة فى الصور بفتح الواو جمع صورة
ونحشر المجرمين يومئذ زرقا حال اى عميا كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهذا لان حدقة من يذهب
نور بصره تزراق يتخافتون يتسارون بينهم اى يقول بعضهم لبعض سرا لهول ذلك اليوم ان لبثتم ما لبثتم فى القبور
او فى الدنيا الا عشرا اى عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم فى القبور او فى الدنيا لما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم
ايام النعمة والسرور فيتاسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار او لانها ذهبت عنهم والذاهب
وان طالت مدته قصير بالانتهاء او لاستطالتهم الآخرة لانها ابد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها
فيها بالقياس الى لبثهم فى الآخرة وقد رجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم بقوله نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم
طريقة اعدلهم قولا ان لبثتم الا يوما وهو كقوله قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسال العادين ويسالونك عن الجبال
سالوا النبى صلى الله عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيامة وقيل لم يسال وتقديره ان سالوك فقل ولذا قرن بالفاء
بخلاف سائر السؤالات مثل قوله ويسالونك عن المحيض قل هو اذى ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم
خير يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير يسالونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها يسالونك عن
الروح قل الروح من امر ربى يسالونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا لانها سؤالات تقدمت فورد
جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء ينسفها ربى نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها فيها
كما تذرى الطعام وقال الخليل يقلعها فيذرها فيذر مقارها او يجعل الضمير للارض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها
قاعا صفصفا مستوية ملساء لا ترى فيها عوجا انخفاضا ولا امتا ارتفاعا والعوج بالكسر وان كان فى المعانى
كما ان المفتوح فى الاعيان والارض عين ولكن لما استوت الارض استواء لا يمكن ان يوجد فيها اعوجاج بوجه ما
وان دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعانى يومئذ اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال اى يوم اذ نسفت ويجوز
ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة يتبعون الداعى الى المحشر اى صوت الداعى وهو اسرافيل حين ينادى
على صخرة بيت المقدس ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلمى الى عرض الرحمن فيقبلون
من كل اوب الى صوته لا يعدلون عنه لا عوج له اى لا عوج لدعائه بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته
وخشعت وسكنت الاصوات للرحمن هيبة واجلالا فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا كتحريك الشفاه وقيل
هو من هميس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اى لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر يومئذ
لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن محل من رفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اى لا ينفع الشفاعة

الا شفاعة من اذن له الرحمن اى اذن للشافع فى الشفاعة ورضى له قولا اى رضى قوله لاجله بان يكون المشفوع له
مسلما او نصب على انه مفعول تنفع يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه
ولا يحيطون به علما اى بما احاط به علم الله فيرجع الضمير الى ما او يرجع الضمير الى الله تعالى لانه تعالى ليس بمحاط وعنت
خضعت وذلت ومنه قيل للاسير عان الوجوه اى اصحابها للحى الذى لا يموت فكل حيوة يتعقبها الموت فهى
كان لم تكن القيوم الدائم القائم على كل نفس بما كسبت او القائم بتدبير الخلق وقد خاب يئس من رحمة الله من حمل
ظلما من حمل الى موقف القيامة شركا لان الظلم وضع الشى فى غير موضعه ولا ظلم اشد من جعل المخلوق شريك
من خلقه ومن يعمل من الصالحات الطاعات وهو مؤمن مصدق بما جاء به محمد عليه السلام وفيه دليل
انه يستحق اسم الايمان بدون الاعمال الصالحة وان الايمان شرط قبولها فلا يخاف اى فهو لا يخاف فلا يخف
على النهى مكى ظلما ان يزاد فى سيئاته ولا هضما ولا ينقص من حسناته واصل الهضم النقص والكسر وكذلك
عطف على كذلك اى ومثل ذلك الانزال انزلناه قرانا عربيا بلسان العرب وصرفنا كررنا فيه من الوعيد
لعلهم يتقون يجتنبون الشرك او يحدث لهم الوعيد او القران ذكرى عظة او شرفا بايمانهم به وقيل او بمعنى
الواو فتعالى الله ارتفع عن فنون الظنون واوهام الافهام وتنزه عن مضاهاة الانام ومشابهة الاجسام
الملك الذى احتاج اليه الملوك الحق المحق فى الالوهية ولما ذكر القران وانزاله قال استطرادا واذا لقنك جبرئيل
ما يوحى اليك من القران فان عليك ريثما يسمعك ويفهمك ولا تعجل بالقران بقراته من قبل ان يقضى اليك
وحيه من قبل ان يفرغ جبرئيل من الابلاغ وقل رب زدنى علما بالقران ومعانيه وقيل ما امر الله رسوله بطلب
الزيادة فى شئ الا فى العلم ولقد عهدنا الى آدم اى اوصينا اليه ان لا يأكل من الشجرة يقال فى اوامر الملوك ووصاياهم
تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه فعطفت قصة آدم على وصرفنا فيه من الوعيد والمعنى واقسم
قسما لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة من قبل من قبل وجودهم فخالف الى ما نهى عنه كما انهم
يخالفون يعنى ان اساس امر بنى آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه فنسى العهد اى النهى والانبياء عليهم السلام
يواخذون بالنسيان الذى لو تكلفوه لحفظوه ولم نجد له عزما قصدا الى الخلاف لامره او لم يكن آدم من اولى
العزم والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له عزما او بمعنى نقيض العدم اى وعدمنا له عزما وله يتعلق بنجد واذ
منصوب باذكر قلنا للملائكة اسجدوا لآدم قيل هو السجود اللغوى الذى هو الخضوع والتذلل او كان آدم كالقبلة
لضرب تعظيم له فيه فسجدوا الا ابليس عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ابليس كان ملكا من جنس المستثنى منهم
وقال الحسن الملائكة لباب الخليقة من الارواح لا يتناسلون وابليس من نار السموم وانما صح استثناؤه منهم
لانه كان يصحبهم ويعبد الله معهم ابى جملة مستانفة كانه جواب لمن قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول

وهو

وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك
ولزوجك حيث لم يسجد لك ولم يرض فضلك فلا يخرجنكما من الجنة فلا يكونن سببا لاخراجكما فتشقى
فتتعب فى طلب القوة ولم يقل فتشقيا اكتفاء لرؤس الآى او دخلت تبعا ولان الرجل هو الكافل لخفقة المراة وروى
انه اهبط الى آدم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه ان لك ان لا تجوع فيها فى الجنة ولا تعرى عن الملابس
لانها معدة ابدا فيها وانك بالكسر نافع وابو بكر عطفا على ان الاولى وغيرهما بالفتح عطفا على ان لا تجوع ومحله نصب
بان وجاز للفصل كما يقول ان فى على انك جالس لا تظمؤ فيها لا تعطش لوجود الاشربة ولا تضحى لا يصيبك حر الشمس
اذ ليس فيها شمس فاهلها فى ظل ممدود فوسوس اليه الشيطان اى انهى اليه الوسوسة كاسر اليه قال يا آدم هل ادلك
على شجرة الخلد اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خالد بزعمه ولا يموت وملك لا يبلى لا يفنى فاكلا اى
آدم وحواء منها فبدت لهما سوآتهما عوراتهما وطفقا طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو كاد فى وقوع الخبر فعلا
مضارعا الا انه للشروع فى اول الامر وكاد للدنو منه يخصفان عليهما من ورق الجنة اى يلزقان الورق بسوآتهما للتستر
وهو ورق التين وعصى آدم ربه فغوى ضل عن الراى وعن ابن عيسى خاب والحاصل ان العصيان وقوع الفعل على خلاف
الامر والنهى وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد لا يكون عمدا فيكون زلة ولما وصف فعله بالعصيان خرج فعله من ان يكون
رشدا فكان غيا لان الغى خلاف الرشد وفى التصريح بقوله وعصى آدم ربه فغوى والعدول عن قوله وزل آدم مزجرة
بليغة وهو عظة كافية للمكلفين كانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبى المعصوم حبيب الله زلته بهذه
الغلظة فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلا عن الكبائر ثم اجتبيه ربه قربه اليه واصطفاه وقربه واصل
الكلمة الجمع يقال جبى الى كذا فاجتبيته فتاب عليه قبل توبته وهدى وهداه الى الاعتذار والاستغفار قال
اهبطا منها جميعا يعنى آدم وحواء بعضكم يا ذرية آدم لبعض عدو بالتحاسد فى الدنيا والاختلاف فى الدين فاما
ياتينكم منى هدى كتاب وشريعة فمن تبع هداى فلا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى العقبى قال ابن عباس رضى الله
لمن اتبع القران ان لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة يعنى ان الشقاء فى الآخرة هو عقاب من ضل فى الدنيا عن طريق الدين
فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجى من الضلال ومن عقابه ومن اعرض عن ذكرى عن القران
فان له معيشة ضنكا ضيقا وهو مصدر يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث عن ابن جبير فسلبه القناعة حتى لا يشبع
فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فيكون حيوته طيبة ومع الاعراض الحرص والشح فعيشه ضنك وحاله مظلمة
كما قالت المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ونحشره يوم القيامة اعمى
عن الحجة وعن ابن عباس اعمى البصر وهو كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهو الوجه قال رب لم حشرتنى
اعمى وقد كنت بصيرا فى الدنيا قال كذلك اى مثل ذلك فعلت انت ثم فسر فقال اتتك آياتنا واضحة فنسيتها

وكذلك اليوم تنسى اى اتتك اياتنا واضحة فلم تنظر اليها بعين المعتبر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك
على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك وكذلك نجزى من اسرف ولم يؤمن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد
وابقى لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك فى الدنيا وحشره اعمى فى العقبى ختم ايات الوعيد
بقوله ولعذاب الاخرة اشد وابقى اى وللحشر على العمى الذى لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضى افلم يهد لهم
اى الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون حال من الضمير المجرور فى لهم فى مساكنهم
يريد ان قريشا يمشون فى مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويعاينون اثار هلاكهم ان فى ذلك لايات لاولى النهى لذوى
العقول اى اذا تفكروا وعلموا ان استيصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا ولولا كلمة سبقت من ربك بحكم بتاخير
العذاب عن امة محمد صلى الله عليه وسلم لكان لزاما لازما فاللزام مصدر لازم فوصف به واجل مسمى القيامة وهو
معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتاخير العذاب عنهم واجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم
فى الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة فاصبر على ما يقولون فيك وسبح وصل بحمد ربك فى موضع الحال اى وانت
حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليك قبل طلوع الشمس يعنى صلوة الفجر وقبل غروبها يعنى الظهر والعصر
لانهما واقعتان فى النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار اى
وتعمد اناء الليل اى ساعته واطراف النهار مختصا لها بصوتك وقد تناول التسبيح فى اناء الليل صلوة العتمة وفى
اطراف النهار صلوة المغرب فصلوة الفجر على التكرار لارادة الاختصاص كما اختصت فى قوله والصلوة الوسطى
عند البعض وانما جمع واطراف النهار وهما طرفان لامن الالباس وهو عطف على ما قبل لعلك ترضى لعل للمخاطب
اى اذكر الله فى هذه الاوقات رجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وترضى على وابو بكر اى يرضيك
ربك ولا تمدن عينيك اى نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وفيه
ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك ان يبادره الشئ بالنظر ثم يغض الطرف ولقد شدد المتقول فى وجوب
غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة فى ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا الى دقدقة هماليج
الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة
فالناظر اليها محصل لغرضهم ومغولهم على اتخاذها الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب
حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة
الحيوة الدنيا زينتها وبهجتها وانتصب على الذم او على ابداله من محل به او على ابداله من ازواجا على تقدير ذوى زهرة
لنفتنهم فيه لنبلوهم حتى استوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم ليستحقوا ولنعذبهم فى الاخرة بسببه ورزق
ربك ثوابه وهو الجنة او الحلال الكافى خير وابقى مما رزقوا وامر اهلك امتك واهل بيتك بالصلوة واصطبر عليها

انت

انت اى داوم عليها لا نسالك رزقا اى لا نسالك ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم فلا تهتم لامر الرزق
وفرغ بالك لامر الاخرة لان من كان فى عمل الله كان الله فى عمله ومن عروة بن الزبير انه كان اذا راى ما عند السلاطين قراء
ولا تمدن عينيك الاية ثم ينادى الصلوة رحمكم الله وكان بكر بن عبد الله المزنى اذا اصاب اهله خاصة قال قوموا فصلوا بهذا
امر الله رسوله وعن مالك بن دينار مثله وفى بعض المسانيد انه عم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه
الاية والعاقبة للتقوى اى وحسن العاقبة لاهل التقوى بحذف المضافين وقالوا اى الكافرون لولا ياتينا باية من ربه
هلا ياتينا محمد باية من ربه تدل على صحة نبوته اولم تاتهم مدنى وبصرى وحفص بينة ما فى الصحف الاولى اى الكتب
المتقدمة يعنى انهم اقترحوا على عادتهم فى التعنت اية على النبوة فقيل لهم اولم تاتكم اية هى ام الايات واعظمها فى باب
الاعجاز يعنى القران من قبل ان القران برهان ما فى سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات
فهى مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل الرسول والقران لقالوا ربنا لولا
هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع بالنصب لانه جواب الاستفهام بالفاء اياتك من قبل ان نذل بنزول العذاب
ونخزى فى العقبى قل كل اى كل واحد منا ومنكم متربص منتظر للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا
انتم فستعلمون اذا جاءت القيامة من اصحاب مبتدا وخبر ومحلها النصب الصراط السوى المستقيم ومن اهتدى
الى النعيم المقيم قال عم لا يقراء القران اهل الجنة الا طه ويس سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية كوفى واحدى
عشرة الباقون بسم الله الرحمن الرحيم
اقترب دنا للناس اللام صلة لاقترب عن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون لان تعقيبه ما يتلوه بعده من صفات
المشركين حسابهم وقت محاسبة الله اياهم ومجازاته على اعمالهم يعنى يوم القيامة وانما وصفه بالاقتراب لقلة ما بقى
بالاضافة الى ما مضى ولان كل آت قريب وهم فى غفلة عن حسابهم وعما يفعل بهم ثم معرضون عن التاهب لذلك اليوم
فالاقتراب عام والغفلة والاعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين فرب غافل عن حسابه لاستغراقه فى دنياه
واعراضه عن مولاه ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه فى مولاه واعراضه عن دنياه فى ولا يفيق الا بروية المولى
والاول انما يفيق فى عسكر الموتى فالواجب عليك ان تحاسب نفسك قبل ان تحاسب وتتنبه للعرض قبل
ان تنبه وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق اجمعين لتفوز بلقاء رب العالمين ما ياتيهم من ذكر
من ربهم شئ من القران محدث فى تنزيل اتيانه مبتداء تلاوته قريب عهده باستماعهم والمراد به الحروف المنظومة
ولا خلاف فى حدوثها الا استمعوه من النبى عم او غيره ممن يتلوه وهم يلعبون يستهزؤن لاهية حال من ضمير
يلعبون او وهم يلعبون ولاهية حالان من الضمير فى استمعوه ومن قرا لاهية بالرفع يكون خبرا بعد خبر لقوله
وهم وارتفعت قلوبهم بلاهية وهى من لهى عنه اذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد بها ومنها وقال

ابو بكر الوراق القلب اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الاخرة واهوالها واسروا وبالغوا في الخفاء
النجوى وهي اسم من التناجي ثم ابدل الذين ظلموا من واو اسروا ايذانا بانهم الموسومون بالظلم فيما اسروا به او جاء على لغة
من قال اكلوني البراغيث او هو مجرور المحل لكونه صفة او بدلا عن الناس او منصوب المحل على الذم او هو مبتدا خبره
اسروا النجوى فقدم عليه اي والذين ظلموا اسروا النجوى هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون هذا
الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا والمعنى انهم اعتقدوا
ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا
على سبيل الانكار افتحضرون السحر وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر قال ربي حمزة وعلي وحفص اي قال محمد
وغيرهم قل ربي اي قل يا محمد للذين اسروا النجوى يعلم القول في السماء والارض اي يعلم قول كل قائل هو في السماء
والارض سرا كان او جهرا وهو السميع لاقوالهم العليم بما في ضمايرهم بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر
اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام رآها في نومه فتوهمها وحيا من الله اليه ثم الى انه كلام مفترى من عنده
ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل رجاع غير ثابت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا في دعواه
وليس الامر كما تظن فليأتنا باية بمعجزة كما ارسل الاولون كما ارسل من قبله باليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه
واحياء الموتى وصحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالايات لان ارسال الرسل
متضمن للاتيان بالايات الا ترى انه لا فرق بين قولك ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة فرد الله عليهم قولهم
بقوله ما امنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها صفة لقرية عند مجيء الايات المقترحة لانهم طلبوها تعنتا
افهم يؤمنون اي اولئك لم يؤمنوا بالايات لما اتتهم افيؤمنون هولاء المقترحون لو اتيناهم بما اقترحوا مع انهم اعتى
منهم والمعنى ان اهل القرى المهلكة اقترحوا على انبيائهم الايات وعهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا
وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطينا هولاء ما يقترحون لنكثوا ايضا وما ارسلنا من قبلك الا رجالا هذا جواب
قولهم هل هذا الا بشر مثلكم يوحى اليهم نوحي حفص فاسالوا اهل الذكر العلماء بالكتابين فانهم يعرفون ان الرسل الموحى
اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة وكان اهل مكة يعتمدون على قولهم ان كنتم لا تعلمون ذلك ثم بين انه كمن تقدمه
من الانبياء بقوله وما جعلناهم جسدا وحد الجسد لارادة الجنس لا ياكلون الطعام صفة لجسدا يعني وما
جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين وما كانوا خالدين كانهم قالوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما
معتقدين ان الملائكة لا يموتون او مسمين بقاءهم الممتد وحيوتهم المتطاولة خلودا ثم صدقناهم الوعد بانجائهم
والاصل في الوعد مثل واختار موسى قومه اي من قومه فانجيناهم مما حل بقولهم ومن نشاء هم المؤمنون بهم
واهلكنا المسرفين المجاوزين للحد بالكفر ودل الاخبار باهلاك المسرفين على ان من نشاء غيرهم لقد انزلنا

اليكم

اليكم يا معشر قريش كتابا فيه ذكركم شرفكم ان عملتم به او لانه بلسانكم او فيه ذكر دينكم ودنياكم والجملة اي فيه ذكركم
صفة لكتابا افلا تعقلون ما فضلتكم به على غيركم فتؤمنون به وكم نصب بقوله قصمنا اي اهلكنا من قرية اهلها
بدليل قوله كانت ظالمة كافرة وهي واردة عن غضب شديد وسخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي
يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم فانه كسر بلا ابانة وانشانا خلقنا بعدها قوما اخرين فسكنوا مساكنهم
فلما احسوا اي المهلكون باسنا عذابنا اي علموا علم حس ومشاهدة اذا هم منها من القرية واذا للمفاجاة وهم مبتدا
والخبر يركضون يهربون مسرعين في الارض والركض ضرب الدابة بالرجل فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين
من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب او شبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم
لا تركضوا والقائل بعض الملائكة وارجعوا الى ما اترفتم فيه نعمتم فيه من الدنيا ولين العيش قال الخليل المترف الموسع
عليه عيشه القليل فيه همه ومساكنكم لعلكم تسالون اي يقال لهم استهزاء بهم ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم
تسالون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم فتجيبوا السايل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم
حتى يسالكم عبيدكم ومن ينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون وكيف ناتي ونذر كعادة المنعمين المخدومين
او يسالكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب او يسالكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب
اكفكم او قال بعضهم لبعض لا تركضوا وارجعوا الى منازلكم واموالكم لعلكم تسالون مالا وخراجا فلا تقبلون فنودي
من السماء بالثارات الانبياء واخذتهم السيوف فثم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اعترفوا حين لا ينفع الاعتراف
فما زالت تلك هي اشارة الى يا ويلنا دعويهم دعاؤهم وتلك مرفوع على انه اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز العكس
حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد اي الزرع المحصود ولم يجمع كما لم يجمع المصدر خامدين ميتين خمود النار
وحصيدا خامدين مفعول ثان لجعلنا اي جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود كقولك جعلته حلوا حامضا
اي جعلته جامعا للطعمين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اللعب فعل يروق اوله ولا ثبات له
ولاعبين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما
من اصناف الخلق للهو واللعب وانما سويناها ليستدل بها على قدرة مدبرها ولنجازي المحسن والمسيء على
ما يقتضيه حكمتنا ثم نزه ذاته عن سمات الحدث بقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا اي ولدا او امراة كانه رد على من قال
عيسى ابنه ومريم صاحبته لاتخذناه من لدنا من الولدان او الحور ان كنا فاعلين اي ان كنا ممن يفعل ذلك ولسنا
ممن يفعله لاستحالته في حقنا وقيل هو نفي كقوله وان ادري اي ما كنا فاعلين بل نقذف بل اضراب عن اتخاذ
اللهو وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو بل من سنتنا ان نقذف اي نرمي ونسلط بالحق
بالقران على الباطل على الشيطان او بالاسلام على الشرك او بالجد على اللعب فيدمغه فيكسره ويمحق الباطل

وهذه استعارة لطيفة لان اصل استعمال القذف والدمغ في الاجسام ثم استعير الى القذف لايراد الحق على الباطل
والدمغ لاذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي فكانه قيل بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوي
على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله ابطال الجسم القوي الضعيف فاذا هو اي الباطل زاهق هالك وذاهب
ولكم الويل مما تصفون الله من الولد ونحوه وله من في السموات والارض خلقا وملكا فاني يكون شيء منه ولدا له
وبينهما تنافي ويوقف على الارض لان ومن عنده منزلة ومكانة لا منزلا ومكانا يعني الملائكة مبتدا خبره لا يستكبرون
لا يتعظمون عن عبادته ولا يستحسرون ولا يعيون يسبحون الليل والنهار لا يفترون حال من فاعل يسبحون اي
تسبيحهم متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل اخر فتسبيحهم جار مجرى التنفس منا ثم اضرب
عن المشركين منكرا عليهم وموبخا فجاء بام التي بمعنى بل والهمزة فقال ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون يحيون
الموتى ومن الارض صفة لالهة لان الهتهم كانت متخذة من جواهر الارض كالذهب والفضة والحجر وتعبد في الارض فنسبت
اليها كقولك فلان من المدينة اي مدني او متعلق باتخذوا ويكون فيه بيان ابتداء غاية الاتخاذ وفي قولهم ينشرون
زيادة توبيخ وان لم يدعوا ان اصنامهم يحيي الموتى وكيف يدعون ومن اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات لانه
يلزم من دعوى الالوهية لها دعوى الانشار لها لان العاجز عنه لا يصح ان يكون الها اذ لا يستحق هذا الاسم الا القادر
على كل مقدور والانشاء من جملة المقدورات وقراء الحسن ينشرون بفتح الياء وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها اي
احياها لو كان فيهما الهة الا الله اي غير الله وصفت الهة بالا كما وصفت بغير كما لو قيل الهة غير الله ولا يجوز رفعه على البدل
لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تع ولا يلتفت منكم احد
الا امراتك ولا يجوز نصبه استثناء لان الجمع اذا كان منكرا لا يجوز ان يستثنى منه عند المحققين لانه لا عموم له بحيث
يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء والمعنى لو كان يدبر امر السموات والارض الهة شيء غير الواحد الذي هو فاطرهما
لفسدتا لخربتا لوجود التمانع وقد قررناه في اصول الكلام ثم نزه ذاته فقال فسبحان الله رب العرش عما يصفون
من الولد والشريك لا يسأل عما يفعل لانه المالك على الحقيقة ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التجانس
وجواز الخطاء عليه وعدم الملك الحقيقي لاستقبح ذلك وعد سفها فمن هو مالك الملوك ورب الارباب وفعله
صواب كله اولى بان لا يعترض عليه وهم يسألون لانهم مملوكون خطاؤن فما اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء
فعلوه وقيل وهم يسألون يرجع الى المسيح والملائكة اي هم مسؤلون فكيف يكونون الهة والالوهية تنافي المسؤلية
ام اتخذوا من دونه الهة الاعادة لزيادة الافادة فالاول للانكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل اي وصفتم
الله تعالى بان له شريكا فقيل لمحمد ع م قل هاتوا برهانكم حجتكم على ذلك وذا عقلي وهو يأباه كما مر ونقلي وهو يلي وهو
ايضا يأباه فانكم لا تجدون كتابا من الكتب السماوية الا وفيه توحيده وتنزيهه عن الانداد هذا اي القران ذكر من معي

يعني

يعني امته وذكر من قبلي يعني امم الانبياء من قبلي وهو وارد في توحيد الله ونفي الشركاء عنه معي حقيق فلما لم يمتنعوا
عن كفرهم اضرب عنهم فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق اي القران وهو نصب بيعلمون وقرئ الحق اي هو الحق فهم لاجل
ذلك معرضون عن النظر فيما يجب عليهم وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه الا نوحي كوفي غير ابي بكر وحماد
انه لا اله الا انا فاعبدون وحدوني فهذه الاية مقررة لما سبقها من اي التوحيد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه نزلت
في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد بقوله بل عباد مكرمون اي بل هم
عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا باولاد اذ العبودية تنافي الولادة لا يسبقونه بالقول اي بقولهم فانيب
اللام مناب الاضافة والمعنى انهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم وهم بامره يعملون
اي كما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما قدموا
واخروا من اعمالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى لمن رضي الله عنه وقال لا اله الا الله وهم من خشيته مشفقون
خائفون ومن يقل منهم من الملائكة اني اله من دونه من دون الله اني مدني وابو عمرو فذلك مبتدا اي فذلك
القائل خبره نجزيه جهنم وهما جواب الشرط كذلك نجزي الظالمين الكافرين الذين وضعوا الالهية في غير موضعها
وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقق عصمتهم وقال ابن عباس وقتادة والضحاك قد تحقق الوعيد في ابليس
وانه ادعى الالهية لنفسه ودعا الى طاعة نفسه وعبادته اولم ير الذين كفروا الم ير مكي ان السموات والارض كانتا
اي جماعة السموات وجماعة الارض فلذلك لم يقل كن رتقا بمعنى المفعول اي كانتا مرتوقتين وهو مصدر فلذا صلح
ان يقع موقع مرتوقتين ففتقناهما فشققناهما والفتق الفصل بين الشيئين والرتق ضد الفتق فان قيل
متى راوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلنا انه وارد في القران الذي هو معجزة فقام مقام المرئي المشاهد
ولان الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الارض والسماء وتباينهما جائزان في العقل والاختصاص بالتباين دون التلاصق
لا بد له من مخصص وهو القديم جل جلاله ثم قيل ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما ففتقناهما اي
فصلنا بينهما بالهواء وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها الله وجعلها سبع سموات وكذلك الارض
كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع ارضين وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا
لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات وجعلنا من الماء كل شيء حي اي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى
والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان
من عجل افلا يؤمنون يصدقون بما يشاهدون وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت من رسا اذا ثبت ان تميد بهم
لئلا تضطرب بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في لئلا يعلم اهل الكتاب
وجعلنا فيها سبلا فجاجا طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع ونصب على الحال مقدمة فان قلت اي فرق

بين قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا وبين هذه قلت الاول للاعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني لبيان انه
حين خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة لعلهم يهتدون اي ليهتدوا بها الى البلاد المقصودة وجعلنا السماء
سقفا محفوظا في موضعه عن السقوط كما قال ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه او محفوظا بالشهب عن
الشياطين كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم وهم اي الكفار عن اياتها عن الادلة التي فيها كالشمس والقمر
والنجوم معرضون غير متفكرين فيها فيؤمنون وهو الذي خلق الليل لتسكنوا فيه والنهار لتتصرفوا فيه والشمس
لتكون سراج النهار والقمر ليكون سراج الليل كل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه اي كلهم والضمير للشمس والقمر
والمراد بهما جنس الطوالع وجمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة في فلك عن ابن عباس رضي الله عنهما
الفلك السماء والجمهور على ان الفلك موج مكفوف تحت السماء وتجري فيه الشمس والقمر والنجوم وكل مبتدا خبره
يسبحون يسيرون اي يدورون والجملة في محل النصب على الحال من الشمس والقمر وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد البقاء الدائم افاين مت بكسر الميم مدني وكوفي غير ابي بكر فهم الخالدون والفاء الاول لعطف جملة على جملة والثاني
لجزاء الشرط وكانوا يقدرون انه سيموت فنفى الله عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا فان مت انت
ايبقى هؤلاء كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم ونختبركم سمي ابتلاء وان كان عالما بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم
لانه في صورة الاختبار بالشر بالفقر والضر والخير الغنى والنفع فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم والينا ترجعون فنجازيكم
على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وعن ابن ذكوان يرجعون واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك ما يتخذونك
الا هزوا مفعول ثان ليتخذونك نزلت في ابي جهل مر به النبي عم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف اهذا الذي
يذكر يعيب الهتكم والذكر يكون بخير وبخلافه فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم وهم بذكر الرحمن
اي بذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية هم كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك
فانك محق وهم مبطلون وقيل بذكر الرحمن اي بما انزل عليك من القران هم كافرون جاحدون والجملة في موضع
الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله وكرر هم للتاكيد او لان الصلة حالت
بينه وبين الخبر فاعيد المبتدا خلق الانسان من عجل فسر بالجنس وقيل نزلت حين كان النضر بن الحارث يستعجل
بالعذاب والعجل والعجلة مصدران وهو تقديم الشيء على وقته والظاهر ان المراد الجنس وانه ركب فيه العجلة فكانه خلق
من العجل ولانه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع
عليها ثم منع وزجر كانه قال ليس ببدع منه ان يستعجل فانه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته فقد ركب فيه
وقيل العجل الطين بلغة حمير قال الشاعر والنبع في الصخرة الصماء منبته والنخل تنبت بين الماء والعجل وانما منع عن الاستعجال
وهو مطبوع عليه كما امر بقمع الشهوة وقد ركبها فيه لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ومن عجل

حال

حال اي عجلوا ساريكم اياتي نقماتي فلا تستعجلون بالاتيان بها وهو بالياء عند يعقوب وافقه سهل وعباس في الوصل ويقولون
متى هذا الوعد اي اتيان العذاب او القيامة ان كنتم صادقين قيل هو احد وجهي استعجالهم لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي
يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على رفعها ومنعها
عن انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي
هونه عندهم بل تاتيهم الساعة بغتة فجاءة فتبهتهم فتحيرهم اي لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم فلا يستطيعون ردها
فلا يقدرون على دفعها ولا هم ينظرون يمهلون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق فحل ونزل بالذين سخروا منهم
جزاء ما كانوا به يستهزؤن سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في الانبياء اسوة وان ما يفعلونه
يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا قل من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن اي من عذابه
ان اتيكم ليلا او نهارا بل هم عن ذكر ربهم معرضون اي بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا
باسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالي وصلحوا للسوال عنه والمعنى انه امر رسوله بسوالهم عن الكالي
ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بقوله ام لهم الهة تمنعهم من دوننا
لما في ام من معنى بل وقال لهم الهة يمنعهم من العذاب يتجاوز منعنا وحفظنا ثم استانف بقوله لا يستطيعون نصر
انفسهم ولا هم منا يصحبون فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتاييد
كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر اي ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما
هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلاناهم واباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحيوة الدنيا وامهالا كما متعنا
غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد فقست قلوبهم وظنوا انهم دائمون على ذلك وهو امل كاذب
افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها اي تنقص ارض الكفر ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها
واظهارهم على اهلها وردها دار الاسلام وذكر ناتي يشير بان الله يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم كانت
تغزو ارض المشركين وتاتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها افهم الغالبون اي فكفار مكة يغلبون بعد ان نقصنا
من اطراف ارضهم اي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله واصحابه صلى الله عليه وسلم بنصرنا قل انما انذركم بالوحي
اخوفكم من العذاب بالقران ولا يسمع الصم الدعاء بفتح الياء والميم ورفع الصم ولا تسمع الصم شامي على خطاب
النبي صلى الله عليه وسلم اذا ما ينذرون يخوفون واللام في الصم للعهد وهو اشارة الى هؤلاء المنذرين والاصل
لا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا ما انذروا
ولئن مستهم نفحة دفعة يسيرة من عذاب ربك صفة لنفحة ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين اي ولئن مستهم

من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء لذلوا ودعوا بالويل على انفسهم واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا وقد
يولغ حيث ذكر المس والنفحة لان النفح يدل على القلة يقال نفحه بعطية رضخه بها مع ان بناءها للمرة ونضع الموازين جمع
ميزان وهو ما يوزن به الشيء فيعرف كميته وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وانما جمع الموازين لتعظيم شانها كما في قوله
يا ايها الرسل والوزن لصحايف الاعمال في قول القسط وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانها في انفسها
قسط او على حذف المضاف اي ذوات القسط ليوم القيامة لاهل يوم القيامة اي لاجلهم فلا تظلم نفس شيئا من الظلم
وان كان مثقال حبة اي وان كان الشيء مثقال حبة مثقال بالرفع مدني وكذا في لقمان على كان التامة من خردل صفة لحبة
اتينا بها احضرناها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه وكفى بنا حاسبين عالمين حافظين
عن ابن عباس رضي الله عنه لان من حسب شيئا علمه وحفظه ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا قيل
هذه الثلاثة هي التورية فهي فرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به الى سبيل النجاة وذكر اي شرف
او وعظ وتنبيه او ذكر ما يحتاج الناس اليه في مصالح دينهم ودخلت الواو على الصفات كما في قوله وسيدا وحصورا
ونبيا وتقول بزيد الكريم والعالم والصالح ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله للمتقين ومحل الذين جر
على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه يخشون ربهم يخافونه بالغيب حال اي يخافونه في الخلاء وهم من الساعة
القيامة واهوالها مشفقون خائفون وهذا اي القران ذكر مبارك كثير الخير غزير النفع انزلناه على محمد افانتم له
منكرون استفهام توبيخ اي جاحدون انه منزل من عند الله ولقد اتينا ابراهيم رشده هداه من قبل من قبل
موسى وهارون او من قبل محمد عم وكنا به بابراهيم وبرشده عالمين علمنا انه اهل لما اتيناه اذ اما يتعلق باتينا
او برشده قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل اي الاصنام المصورة على صورة السباع والطيور والانسان وفيه تجاهل لهم
ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها التي انتم لها عاكفون لاجل عبادتها مقيمون فلما عجزوا عن الاتيان بالدليل
على ذلك قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فقلدناهم قال ابراهيم لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين اراد ان المقلدين
منخرطون في سلك ضلال ظاهر لا يخفى على عاقل واكد بانتم ليصح العطف لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل
ممتنع قالوا اجئتنا بالحق بالجد ام انت من اللاعبين اي اجاد انت فيما تقول ام انت لاعب استعظاما منهم انكاره
عليهم واستبعادا ان يكون ما هم عليه ضلالا فثم اضرب عنهم مخبرا بانه جاد فيما قال غير لاعب مثبتا للربوبية لمالك
العالم وحدوث الاصنام بقوله قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي التماثيل فانى يعبد المخلوق ويجحد
الخالق وانا على ذلكم المذكور من التوحيد شاهد من الشاهدين وتالله اصله والله وفي التاء معنى التعجب كانه تعجب من تسهل
الكيد على يده مع صعوبته وتعذره لقوة سلطنة نمرود لاكيدن اصنامكم لاكسرنها بعد ان تولوا مدبرين بعد ذهابكم
الى عيدكم قال ذلك سرا من قومه فسمعه رجل واحد فعرض بقوله اني سقيم ليتخلف فرجع الى بيت الاصنام فجعلهم

جذاذا

جذاذا قطعا من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج جذاذا بالكسر علي جمع جذيذ اي مجذوذ كخفيف وخفاف
الا كبيرا لهم للاصنام او للكفار اي فكسرها كلها بفاس في يده الا كبيرها فعلق الفاس في عنقه لعلهم اليه الى الكبير
يرجعون فيسالونه عن كاسرها فيتبين لهم عجزه او الى ابراهيم ليحتج عليهم او الى الله لما راوا عجز الهتهم قالوا اي الكفار حين
رجعوا من عيدهم وراوا ذلك من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اي ان من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجرأته على الالهة
الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم الجملتان صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم
اي يعيبهم لا بد منه ليسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع بخلاف الثاني وارتفاع
ابراهيم بانه فاعل يقال فالمراد الاسم لا المسمى اي الذي يقال له هذا الاسم قالوا اي نمرود واشراف قومه فاتوا به
احضروا ابراهيم على اعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه
او بما فعله كانهم كرهوا عقابه بلا بينة او يحضرون عقوبتنا له فلما احضروه قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم
قال ابراهيم بل فعله عن الكسائي انه يقف عليه اي فعله من فعله وفيه حذف الفاعل وانه لا يجوز وجاز ان يكون
الفعل مسندا الى الفتى المذكور في قوله سمعنا فتى يذكرهم او الى ابراهيم في قوله يا ابراهيم ثم قال كبيرهم هذا وهو مبتدا
وخبر والاكثر انه لا وقف والفاعل كبيرهم وهذا وصف او بدل ونسب الفعل مسندا الى كبيرهم وقصده تقريره لنفسه
واثباته لها على اسلوب تعريضي تبكيتا لهم والزاما للحجة عليهم لانهم اذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وانه
لا يصلح الها وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق انيق ءانت كتبت هذا وصاحبك امي فقلت له
بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي لان اثباته للعاجز
منكما والامر دائر بينكما استهزاء به واثبات للقادر ويمكن ان يقال غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة
وكان غيظ كبيرها اشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لان الفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل
عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق
من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا ويحكى انه قال غضب ان تعبد هذه الصغار معه وهو اكبر منها فكسرهن
او هو متعلق بشرط لا يكون وهو نطق الاصنام فيكون نفيا للمخبر به اي بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون وقوله
فاسالوهم اعتراض وقيل عرض بالكسر نفسه وانما اضاف نفسه اليهم لاشتراكهم في الحضور فاسالوهم عن حالهم
ان كانوا ينطقون وانتم تعلمون عجزهم عنه فرجعوا الى انفسهم فرجعوا الى عقولهم وتفكروا بقلوبهم لما اخذ
بمخانقهم فقالوا انكم انتم الظالمون على الحقيقة بعبادة من لا ينطق لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بالهتنا
انه لمن الظالمين فان من لا يدفع عن راسه الفاس كيف يدفع عن عابديه الباس ثم نكسوا على رؤسهم فقال اهل
التفسير اجرى الله الحق على لسانهم في القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة اي ردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم

بالظلم يقال نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وما اى استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا
عن تلك الحالة فاخذوا فى المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تامرنا بسؤالها
والجملة سدت مسد مفعولى علمت والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسالهم قال محتجا عليهم افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئا فى موضع المصدر اى نفعا ما ولا يضركم ان لم تعبدوه اف لكم ولما تعبدون من دون
الله اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق
فتافف بهم واللام لبيان المتافف به اى لكم ولالهتكم هذا التافف اف مدنى وحفص اف مكى وشامى اف غيرهم افلا تعقلون
ان من هذا وصفه لا يجوز ان يكون الها فلما الزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه بالنار لانها اهول ما يعاقب به
واقطعه وانصروا الهتكم بالانتقام منه ان كنتم فاعلين اى ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات
وهو الاحراق والا فرطتم فى نصرتها والذى اشار باحراقه نمروذ او رجل من اكراد فارس وروى انهم حين هموا باحراقه حبسوه
ثم بنوا بيتا بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق فى الجو من وهجها ثم وضعوه فى المنجنيق
مقيدا مغلولا فرموا به فيها وهو يقول حسبى الله ونعم الوكيل وقال له جبرئيل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل
ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى وما احرقت النار الا وثاقه وعن ابن عباس رضى الله عنهما انما نجا بقوله حسبى الله
ونعم الوكيل قلنا يا نار كونى بردا وسلاما اى ذات برد وسلامة على ابراهيم اراد ابردى فيسلم منك ابراهيم وعن
ابن عباس رضى الله عنه لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها والمعنى ان الله تع نزع عنها طبعها من الحر والاحراق وابقاها
على الاضاءة والاشراق كما كانت وهو على كل شئ قدير وارادوا به كيدا احراقا فجعلناهم الاخسرين فارسل على نمرود
وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضة فى دماغ نمرود فاهلكته ونجيناه اى ابراهيم
ولوطا ابن اخته هاران من العراق الى الارض التى باركنا فيها للعالمين اى ارض الشام وبركتها ان اكثر الانبياء منها
فانتشرت فى العالمين اثارهم الدينية وهى ارض خصبة يطيب فيه عيش الغنى والفقير وقيل ما من ماء عذب
فى الارض الا وينبع اصله من صخرة بيت المقدس وروى انه نزل بفلسطين ولوط بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم
وليلة وقال عليه السلام انها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم ووهبنا له اسحاق ويعقوب
نافلة قيل هى مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق اى وهبناه هبة وقيل هى ولد الولد وقد سال ولدا
فاعطيته واعطى يعقوب نافلة اى زيادة وفضلا من غير سؤال وهى حال من يعقوب وكلا اى ابراهيم واسحاق
ويعقوب وهو المفعول الاول لقوله جعلنا والثانى صالحين فى الدين او النبوة وجعلناهم ائمة يقتدى بهم فى الدين
يهدون الناس بامرنا بوحينا واوحينا اليهم فعل الخيرات وهى جميع الاعمال الصالحة اصله ان يفعل الخيرات ثم فعلا
الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة والاصل واقامة الصلوة الا ان المضاف اليه جعل بدلا من الهاء

وكانوا لنا

وكانوا لنا عابدين لا للاصنام فانتم يا معشر العرب اولاد ابراهيم فاتبعوه فى ذلك ولوطا انتصب بفعل يفسره اتيناه
حكما حكمة وهى ما يجب وفعله او فصلا بين الخصوم او نبوة وعلما فقها ونجيناه من القرية من اهلها وهى سدوم التى
كانت تعمل الخبائث اللواطة والضراطة وحذف المارة بالحصا وغيرها انهم كانوا قوم سوء فاسقين خارجين عن طاعة
الله وادخلناه فى رحمتنا فى اهل رحمتنا او فى الجنة انه من الصالحين اى جزاء له على صلاحه كما اهلكنا قومه عقابا على
فسادهم ونوحا اى اذكر نوحا اذ نادى اى دعا على قومه بالهلاك من قبل من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له
اى دعاءه فنجيناه واهله اى المؤمنين به من ولده وقومه من الكرب العظيم من الطوفان وتكذيب اهل الطغيان
ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا منعناه منهم او من اذاهم انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين صغيرهم
وكبيرهم وانثاهم وداود وسليمان اى واذكرهما اذ بدل منهما يحكمان فى الحرث الزرع او الكرم اذ ظرف يحكمان نفشت
دخلت فيه غنم القوم ليلا فاكلته وافسدته والنفش انتشار الغنم ليلا بلا راعى وكنا لحكمهم ارادهما والمتحاكمين اليهما
شاهدين اى كان ذلك بعلمنا ومراى منا ففهمناها اى الحكومة والفتوى سليمان وفيه دليل على ان الصواب كان مع
سليمان صلوات الله عليه وقصته ان الغنم رعت الحرث وافسدته بلا راع ليلا فتحاكما الى داود فحكم بالغنم لاهل الحرث
ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى رب الغنم حتى يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال
القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان فى شريعتهم واما فى شريعتنا فلا ضمان عند
ابى حنيفة واصحابه رضى الله عنهم بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد وعند الشافعى رحمه الله يجب الضمان
بالليل وقال الجصاص انما ضمنوا لانهم ارسلوها او نسخ الضمان بقوله عليه السلام العجماء جبار وقال مجاهد كان
هذا صلحا وما فعله داود حكما والصلح وكلا من داود وسليمان اتينا حكما نبوة وعلما معرفة بموجب الحكم وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن هو حال بمعنى مسبحات او استيناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن
والطير معطوف على الجبال او مفعول معه وقدمت الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها اعجب واغرب
وادخل فى الاعجاز لانها جماد روى انه كان يمر بالجبال مسبحا وهى تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار وكنا
فاعلين بالانبياء مثل ذلك وان كان عجبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس لكم اى عمل الدروع واللبوس اللباس
والمراد الدرع لتحصنكم شامى وحفص اى الصنعة وبالنون ابو بكر وحماد اى الله عز وجل وبالياء غيرهم اى اللبوس
او الله عز وجل من باسكم من حرب عدوكم فهل انتم شاكرون استفهام بمعنى الامر اى فاشكروا الله على ذلك ولسليمان
الريح اى وسخرنا الريح عاصفة حال اى شديدة الهبوب ووصفت فى موضع اخر بالرخاء لانها تجرى باختياره
فكانت فى وقت رخاء وفى وقت عاصفة لهبوبها على حكم ارادته تجرى بامره بامر سليمان الى الارض التى باركنا فيها
بكثرة الانهار والاشجار والثمار والمراد الشام فكان منزله وتحمله الريح من نواحى الارض اليها وكنا بكل شئ عالمين

وقد احاط علمنا بكل شئ فتجرى الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا ومن الشياطين اى وسخرنا منهم من يغوصون له
فى البحار بامره لاستخراج الدرر ومايكون فيها ويعملون عملا دون ذلك اى سوى الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل
والقصور والقدور والجفان وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون
فيه وايوب اى واذكر اذ نادى ربه انى اى دعا بانى مسنى الضر الضر بالفتح الضرر فى كل شئ وبالضم الضرر فى النفس
من مرض او هزال وانت ارحم الراحمين الطف فى السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية
الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكانه قال انت اهل ان ترحم وايوب اهل ان يرحم فارحمه واكشف عنه الضر الذى
مسه عن انس اخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض للصلوة ولم يشتك وكيف يشكو من قيل له انا وجدناه
صابرا نعم العبد وقيل انما اشتكى اليه تلذذا بالنجوى لا منه تضررا بالشكوى والشكاية اليه غاية القرب كما ان الشكاية
منه غاية البعد فاستجبنا له اجبنا نداءه فكشفنا ما به من ضر كشفنا ضره انعاما عليه وآتيناه اهله ومثلهم
معهم روى ان ايوب عم كان روميا من ولد اسحاق بن ابراهيم عليهما السلام وله سبعة بنين وسبع بنات
وثلثة الاف بعير وسبعة الاف شاة وخمس مائة فدان يتبعها خمس مائة عبد لكل عبد امراة وولد فابتلاه الله تع
بذهاب ولده وماله وبمرض فى بدنه ثمانى عشر سنة او ثلث عشرة سنة او ثلث سنين وقالت له امراته يوما
لو دعوت الله عز وجل فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيى من الله ان ادعوه وما بلغت مدة
بلائى مدة رخائى فلما كشف الله عنه احيى ولده باعيانهم ورزقه مثلهم معهم رحمة من عندنا هو مفعول له وكذلك
وذكرى للعابدين يعنى رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه واسماعيل
بن ابراهيم وادريس بن شيث بن آدم وذا الكفل اى اذكرهم وهو الياس او زكريا او يوشع بن نون وسمى به
ذو الحظ من الله والكفل الحظ كل من الصابرين اى هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر وادخلناهم
فى رحمتنا اى نبوتنا او النعمة فى الآخرة انهم من الصالحين اى ممن لا يشوب صلاحهم كدر الفساد وذا النون
اى اذكر صاحب الحوت والنون الحوت فاضيف اليه اذ ذهب مغاضبا حال اى مراغما لقومه ومعنى مغاضبته
لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها روى انه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يتعظوا
او اقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وبغضا للكفر واهله وكان عليه
ان يصابر وينتظر الاذن من الله فى المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت فظن ان لن نقدر عليه لن نضيق عليه وعن ابن
عباس انه دخل يوما على معاوية فقال لقد ضربتنى امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسى خلاصا
الا بك قال وما هى يا معاوية فقرا الآية وقال او يظن نبى الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة فنادى
فى الظلمات اى فى الظلمة الشديدة المتكاثفة فى بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات او ظلمة الليل

والبحر

والبحر والبطن ان اى بانه لا اله الا انت او بمعنى اى سبحانك انى كنت من الظالمين لنفسى فى خروجى من قومى قبل
ان ياذن لى فى الحديث ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه
بالظلم فاستجبنا له ونجيناه من الغم غم الزلة والوحشة والوحدة وكذلك ننجى المؤمنين اذا دعونا واستغاثوا بنا
نجى شامى وابو بكر بادغام النون فى الجيم عند البعض لكون النون لا تدغم فى الجيم وقيل تقديره نجى النجاء المؤمنين
فسكن الياء تخفيفا واسند الفعل الى المصدر ونصب المؤمنين بالنجاء لكن فيه اقامة المصدر مقام الفاعل
مع وجود المفعول وهذا لا يجوز وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات وقيل اصله ننجى من التنجية فحذفت
النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت احدى التائين فى تنزل الملائكة وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا
سال ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين اى فان
لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى فانك خير وارث اى باق فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ولدا واصلحنا له زوجه
جعلناها صالحة للولادة بعد عقرها او حسنة الخلق وكانت سيئة الخلق انهم اى الانبياء المذكورون كانوا
يسارعون فى الخيرات اى انهم انما استحقوا الاجابة الى طلباتهم لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم فى تحصيلها
ويدعوننا رغبا ورهبا اى طمعا وخوفا كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران فى موضع الحال
او المفعول له اى للرغبة فينا والرهبة منا وكانوا لنا خاشعين متواضعين خائفين والتى اى واذكر التى احصنت
فرجها حفظته من الحلال والحرام فنفخنا فيها من روحنا اى اجرينا فيها روح المسيح او امرنا جبريل فنفخ فى جيب درعها
فاحدثنا بذلك النفخ عيسى فى بطنها واضافة الروح اليه تع لتشريف عيسى وجعلناها وابنها آية مفعول ثان
للعالمين وانما لم يقل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهى
ولادتها اياه من غير فحل او التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك فآية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه ويدل عليه
قراءة من قرأ آيتين ان هذه امتكم امة واحدة الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام وهى ملة جميع الانبياء
وامة واحدة حال اى متوحدة غير متفرقة والعامل ما دل عليه اسم الاشارة اى ان ملة الاسلام هى ملتكم التى
تجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا ربكم فاعبدون اى ربيتكم اختيارا
فاعبدونى شكرا وافتخارا والخطاب للناس كافة وتقطعوا امرهم بينهم اصل الكلام وتقطعتم الا ان الكلام صرف
الى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا فصاروا فرقا واحزابا ثم توعدهم
بان هؤلاء الفرقة المختلفة كل الينا راجعون فنجازيهم على اعمالهم فمن يعمل من الصالحات شيئا وهو مؤمن
بما يجب الايمان به فلا كفران لسعيه اى فان سعيه مشكور مقبول والكفران مثل فى حرمان الثواب كما ان الشكر
مثل فى اعطائه وقد نفى نفى الجنس ليكون ابلغ وانا له للسعى اى الحفظة بامرنا كاتبون فى صحيفة عمله اى اهله به

وحرام وحرم كوفي غير حفص وخلف وهما لغتان كحل وحلال وزنا وضده معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده على قرية
اهلكناها انهم لا يرجعون والمعنى وممتنع على كل مهلك غير ممكن ان لا يرجع الى الله بالبعث او وحرام على قرية اهلكناها
اى قدرنا اهلاكهم او حكمنا باهلاكهم ذلك وهو المذكور في الاية المتقدمة من عمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور
انهم لا يرجعون اى لانهم لا يرجعون من الكفر الى الاسلام حتى هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط
والجزاء اعني اذا وما في حيزها فتحت ياجوج وماجوج اى فتح سدها فحذف المضاف كما حذف المضاف الى القرية فتحت
بالتشديد شامي وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج وهم
راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد من كل حدب نشز من الارض
اى ارتفاع ينسلون يسرعون واقترب الوعد الحق اى القيمة وجواب اذا فاذا هي وهي اذا المفاجاة وهي تقع في المجازاة
سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل
فهي شاخصة او اذا هي شاخصة كان شديدا وهي ضمير مبهم توضحه الابصار وتوضح شاخصة ابصار الذين كفروا اى
مرتفعة الاجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم فيه يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون
حال من الذين كفروا قد كنا في غفلة من هذا اليوم بل كنا ظالمين بوضعنا العبادة في غير موضعها انكم وما تعبدون
من دون الله يعني الاصنام وابليس واعوانه ولانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم حصب حطب
وقرئ حطب جهنم انتم لها واردون فيها داخلون لو كان هؤلاء الهة كما زعمتم ما وردوها ما دخلوا النار وكل اى
العابد والمعبود فيها في النار خالدون لهم للكفار فيها زفير انين وبكاء وعويل وهم فيها لا يسمعون شيئا ما لانهم
صاروا صما وفي السماع نوع انس فلم يعطوا ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث
الاحسن وهي السعادة او البشرى بالثواب او التوفيق للطاعة نزلت جوابا لقول ابن الزبعرى عند تلاوته عم
على صناديد قريش انكم وما تعبدون من دون الله الى قوله خالدون اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح
وبنو كليح الملائكة على ان قوله وما يعبدون لا يتناولهم لان ما لمن لا يعقل الا انهم اهل عناد فدخل في البيان اولئك
يعني عزيرا والمسيح والملائكة عنها عن جهنم مبعدون لانهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى جميع المؤمنين لما روي ان عليا رضي الله عنه قرا هذه الاية قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال الجنيد رحمه الله سبقت لهم منا العناية في البداية فظهرت لهم الولاية
في النهاية لا يسمعون حسيسها صوتها الذي يحس وحركة تلهبها وهذه مبالغة في الابعاد عنها اى لا يقربونها
حتى يسمعوا صوتها وصوت من فيها وهم فيما اشتهت انفسهم من النعم خالدون مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة
لا يحزنهم الفزع الاكبر اى النفخة الاخرة وتتلقاهم الملائكة اى تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة يقولون

هذا

هذا يومكم الذي كنتم توعدون اى هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم في الدنيا والعامل في يوم نطوي السماء لا يحزنهم
او تتلقاهم يطوى السماء يزيد وطيها تكوير نجومها ومحو رسومها او هو ضد النشر اى نجمعها ونطويها كطي السجل
الصحيفة للكتب حمزة وعلي وحفص اى للمكتوبات اى لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وغيرهم الكتاب اى كما يطوى
الطومار للكتابة اى ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب وقيل السجل
ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله عليه السلام والكتاب على هذا اسم الصحيفة
المكتوب فيها والطي مضاف الى الفاعل وعلى الاول الى المفعول كما بدانا اول خلق نعيده انتصب الكاف بفعل مضمر يفسره
نعيده وما موصولة اى نعيد مثل الذي بدانا نعيده واول خلق ظرف لبدانا اى اول ما خلق او حال من ضمير الموصول
الساقط من اللفظ الثابت في المعنى واول الخلق ايجاده اى فكما اوجده اولا يعيده ثانيا تشبيها للاعادة بالابداء
في تناول القدرة لهما على السواء والتنكير في خلق مثله في قولك هو اول رجل جاء في تريد اول الرجال ولكنك وحدته
ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع
وعدا مصدر موكد لان قوله نعيده عدة للاعادة علينا اى وعدا كائنا لا محالة انا كنا فاعلين ذلك اى محققين هذا
الوعد فاستعدوا له وقدموا صالح الاعمال للخلاص من هذه الاهوال ولقد كتبنا في الزبور كتاب داود من بعد
الذكر التورية ان الارض اى الشام يرثها عبادي ساكنة الياء حمزة وغيره بفتح الياء الصالحون اى امة محمد عليه السلام
او الزبور بمعنى المزبور اى المكتوب يعني ما انزل على الانبياء من الكتب بعد اللوح لان الكل اخذ منه دليله قراءة
حمزة وخلف بضم الزاء على جمع الزبر بمعنى المزبور والارض ارض الجنة ان في هذا اى في القران او في المذكور في هذه السورة
من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ لبلاغا لكفاية واصله ما تبلغ به البغية لقوم عابدين موحدين وهم امة محمد عليه السلام
وما ارسلناك الا رحمة قال عليه السلام انما انا رحمة مهداة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن لم يتبع فانما
اوتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل هو رحمة للمؤمنين في الدارين وللكافرين في الدنيا بتاخير العقوبة منها
وقيل هو رحمة للمؤمنين والكافرين في الدنيا بتاخير الاستيصال والمسخ والخسف ورحمة مفعول له او حال اى ذا رحمة
قل انما انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم انما زيد قائم وانما يقوم زيد وفاعل يوحى الى انما الهكم اله
واحد والتقدير يوحى الى وحدانية الهي ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الى فيكون ما موصولة فهل انتم مسلمون
استفهام بمعنى الامر اى اسلموا فان تولوا عن الاسلام فقل اذنتكم اعلمتكم ما امرت به على سواء اى مستوين في الاعلام
ولم اخصص بعضكم وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون اى لا ادري متى
يكون يوم القيمة لان الله تعالى لم يطلعني عليه والكني اعلم بانه كائن لا محالة او لا ادري متى يحل بكم العذاب ان لم تؤمنوا
انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اى انه عالم بكل شيء يعلم ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام وما تكتمونه

في صدوركم من الاعتقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وان ادرى لعله فتنة لكم وما ادرى لعل تاخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع لكم الى الموت ليكون ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل او بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال اشدد وطاءتك على مضر قال رب حفص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب احكم يزيد ربي احكم زيد عن يعقوب وربنا الرحمن العاطف على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان يكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب امالهم ونصر رسول الله والمؤمنين وخذلهم

سورة الحج مكية وهي اربع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم امر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة بقوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدايد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي يؤمنهم من تلك الافزاع والزلزلة شدة التحريك والازعاج واضافة الزلزلة الى الساعة اضافة المصدر الى فاعله كانها هي التي تزلزل الارض على المجاز الحكمي او الى الظرف لانها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار ووقتها تكون يوم القيامة او عند طلوع الشمس من مغربها ولا حجة فيها للمعتزلة في تسمية المعدوم شيئا فان هذا اسم لها وجودها وانتصب يوم ترونها اي الزلزلة او الساعة بقوله تذهل تغفل والذهول الغفلة كل مرضعة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل وقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا حدث وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة اذ المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به وتضع كل ذات حمل اي حبلى حملها ولدها قبل تمامه عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام وترى الناس ايها الناظر سكارى على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبي نفسي نفسي وما هم بسكارى على التحقيق ولكن عذاب الله شديد فخوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب سكرى فيهما بالامالة حمزة وعلي وهو كعطشى وعطشان روي انه نزلت الايتان ليلا في غزوة بني المصطلق فقراهما النبي عم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة ومن الناس من يجادل في الله في دين الله بغير علم حال نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلي او هي عامة في كل من يخاصم في الدين بالهوى ويتبع في ذلك كل شيطان مريد عات مستمر في الشر ولا وقف على مريد لان ما بعده

صفة

صفة كتب عليه قضي على الشيطان انه ان الامر والشان وهو فاعل كتب من تولاه تبعه اي تبع الشيطان فانه فان الشيطان يضله عن سواء السبيل ويهديه الى عذاب السعير النار قال الزجاج الفاء في فانه للعطف وان مكررة للتاكيد ورد عليه ابو علي وقال ان من كان للشرط فالفاء دخل لجزاء الشرط وان كان بمعنى الذي فالفاء دخل على خبر المبتداء والتقدير فالامر انه يضله قال والعطف والتاكيد يكون بعد تمام الاول والمعنى كتب على الشيطان اضلال من تولاه وهدايته الى النار ثم الزمهم الحجة على منكري البعث فقال يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث اي ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم وقد كنتم في الابتداء ترابا وماء وليس سبب انكاركم البعث الا هذا وهو صيرورة الخلق ترابا وماء فانا خلقناكم اي اباكم من تراب ثم خلقكم من نطفة ثم من علقة اي قطعة دم جامدة ثم من مضغة اي لحمة صغيرة قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة المخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب كان الله عز وجل يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا مناسبة بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه ونقر بالرفع عند غير المفضل مستانف بعد وقف اي نحن نثبت في الارحام ما نشاء ثبوته الى اجل مسمى اي وقت الولادة وما لم نشأ ثبوته اسقطته الارحام ثم نخرجكم من الرحم طفلا حال وافرد به الجنس فلذا لم يجمع او اريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلا ثم لتبلغوا تقديره ثم نربيكم لتبلغوا اشدكم كمال عقلكم وقوتكم وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله او بعده ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي لكيلا يعلم من بعد ما كان يعلمه او لكيلا يستفيد علما وينسى ما كان عالما به ثم ذكر دليلا اخر على البعث فقال وترى الارض هامدة ميتة يابسة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وربأت حيث كان يزيد ارتفعت وانبتت من كل زوج صنف بهيج حسن سار للناظر منه ذلك مبتداء خبره بان الله هو الحق اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم حاصل بهذا الحكم وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود وانه يحيي الموتى كما احيى الارض وانه على كل شيء قدير قادر وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور اي انه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد ومن الناس من يجادل في الله في صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت في ابي جهل بغير علم اي ضروري ولا هدى اي استدلالي لانه يهدي الى المعرفة ولا كتاب منير اي وحي والعلم للانسان من احد هذه الوجوه الثلاثة ثاني عطفه حال اي لاويا عنقه عن طاعة الله كبرا وخيلاء

ليضل تعليل للمجادلة ليضل مكي وابو عمرو عن سبيل الله دينه له في الدنيا خزي اي القتل يوم بدر ونذيقه يوم القيامة
عذاب الحريق اي جمع له عذاب الدارين ذلك بما قدمت يداك اي السبب في عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر
والتكذيب وكنى عنها باليد لان اليد آلة الكسب وان الله ليس بظلام للعبيد فلا يأخذ احدا بغير ذنب ولا بذنب غيره
وهو عطف على ما اي بان الله وذكر الظلام بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد ولان قليل الظلم منه مع علمه
بقبحه واستغنائه كالكثير منا ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم
على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة وهو حال اي مضطربا فان اصابه خير صحة في جسمه وسعة في
معيشته اطمان به سكن واستقر بالخير الذي اصابه او بالدين فيعبد الله وان اصابته فتنة بلاء في جسده وضيق
في المعيشة انقلب على وجهه جهته اي ارتد ورجع الى الكفر كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة
قر واطمان والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة مهاجرين فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت
فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان
وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب عن دينه خسر الدنيا والآخرة حال وقد مقدرة دليله قراءة روح
وزيد خاسر الدنيا والآخرة والخسران في الدنيا بالقتل فيها وفي الآخرة بالخلود في النار ذلك اي خسران الدنيا هو الخسران
المبين اي الظاهر الذي لا يخفى على احد يدعوا من دون الله يعني الصنم فانه بعد الردة يفعل كذلك ما لا يضره اي ان
لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده ذلك هو الضلال البعيد عن الصواب يدعو لمن ضره اقرب من نفعه والاشكال
انه تع نفى الضر والنفع عن الاصنام قبل هذه الآية واثبتهما لها هنا والجواب ان المعنى اذا فهم ذهب هذا الوهم
وذلك ان الله تع سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه انه يشفعه ثم قال يوم القيامة
يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى اثر الشفاعة لمن ضره اقرب من نفعه
لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب او كرر يدعو كانه قال يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال
لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار ان الله يفعل ما يريد هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبده على حرف من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا
والآخرة المعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن ظن من اعاديه غير ذلك فليمدد بسبب بحبل الى السماء اي سماء
بيته ثم ليقطع ثم ليختنق به وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وبكسر اللام بصري وشامي
فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ اي الذي يغيظه او ما مصدرية اي غيظه والمعنى فليصور في نفسه انه ان فعل
ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي فعله كيدا على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به
نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظه وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله

ايات

ايات بينات واضحات وان الله يهدي من يريد اي ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم لا يومنون او يثبت
الذين امنوا ويزيدهم هدى انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
والذين اشركوا قيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة
ان الله يفصل بينهم يوم القيامة في الاحوال والاماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم في موطن واحد وخبر
ان الذين آمنوا ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيدا ان اباه قائم ان الله على كل شيء شهيد عالم به حافظ له فلينظر
كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو ابلغ وعيد الم تر الم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان ان الله يسجد له من في
السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قيل ان الكل يسجد له ولكنا لا نفقه
عليه كما لا نفقه على تسبيحها قال الله تع وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقيل سميت
مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث فيه من افعاله وتسخيره له سجودا له تشبيها لمطاوعته بسجود المكلف
الذي كل خضوع دونه وكثير من الناس اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة او هو مرفوع على
الابتداء ومن الناس صفة له والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه قوله وكثير حق عليه العذاب اي وكثير منهم
حق عليه العذاب بكفره وابائه السجود ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم بالسعادة ان الله يفعل ما يشاء
من الاكرام والاهانة وغير ذلك وظاهر هذه الآية والتي قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون شاء اشياء
ولم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء هذان خصمان اي فريقان مختصمان فالخصم صفة وصف بها الفريق وقوله اختصموا
للمعنى وهذان للفظ والمراد المومنون والكافرون قال ابن عباس رضي الله عنهما رجع الى اهل الاديان المذكورة
فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم في ربهم في دينه وصفاته ثم بين جزاء كل خصم بقوله فالذين كفروا وهو فصل
الخصومة المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم ثياب من نار كان الله يقدر لهم نيرانا على مقادير
جثثهم تشتمل عليهم كما يقطع الثياب الملبوسة واختير لفظ الماضي لانه كائن لا محالة فهو كالثابت المتحقق يصب
من فوق رؤسهم بكسر الهاء والميم بصري وبضمهما حمزة وعلي وخلف وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم الحميم الماء
الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر يذاب به بالحميم ما في بطونهم والجلود
اي يذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم فيوثر في الظاهر والباطن ولهم مقامع سياط مختصة بهم
من حديد يضربون بها كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم بدل الاشتمال من منها باعادة الجار والاولى
لابتداء الغاية والثانية بمعنى من اجل يعني كلما ارادوا الخروج من النار من اجل غم يلحقهم فخرجوا والعامل في كلما
اعيدوا فيها بالمقامع ومعنى الخروج عند الحسن ان النار تضربهم بلهبها فتلقيهم الى اعلاها فضربوا بالمقامع فهووا
فيها سبعين خريفا فالمراد اعادتهم الى معظم النار لا انهم ينفصلون عنها بالكلية ثم يعودون اليها وذوقوا اي قيل لهم

ذوقوا عذاب الحريق هو الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ثم ذكر جزاء الخصم الاخر فقال ان الله يدخل الذين
امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور جمع اسورة جمع سوار من ذهب ولؤلؤا
بالنصب مدني وعاصم على ويؤتون لؤلؤا وبالجر غيرهم عطفا على من ذهب وبترك الهمزة الاولى في كل القران ابو بكر
ولباسهم فيها حرير ابريسم وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد اي ارشد هؤلاء في الدنيا الى كلمة التوحيد
والى صراط الحميد اي الاسلام وهداهم الله في الاخرة والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة
والحميد الله المحمود بكل لسان ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون عن الدخول في الاسلام ويصدون
حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون اي الصدود منهم مستمر دائم كما يقال فلان يحسن الى الفقراء فانه يراد به استمرار
وجود الاحسان منه لا الحال والاستقبال والمسجد الحرام اي ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه الذي جعلناه
للناس مطلقا من غير فرق بين حاضر وباد فان اريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على انه لا يباع دور مكة
وان اريد به البيت فالمعنى انه قبلة لجميع الناس سواء بالنصب حفص مفعول ثان لجعلناه اي جعلناه مستويا
العاكف المقيم فيه والباد وغير المقيم بالياء مكي وافقه ابو عمرو في الوصل وغيره بالرفع على انه خبر والمبتدا مؤخر
اي العاكف فيه والباد سواء والجملة مفعول ثان وللناس حال ومن يرد فيه في المسجد الحرام بالحاد بظلم حالان
مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما فالالحاد
العدول عن القصد نذقه من عذاب اليم في الاخرة وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا
ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك واذ بوانا لابراهيم مكان
البيت واذكر يا محمد حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وقد رفع البيت
الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابراهيم مكانه بريح ارسلها فكنست مكان البيت فبناه على اسه
القديم ان هي المفسرة للقول المقدر اي قائلين له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاقذار وبفتح الياء
مدني وحفص للطائفين لمن يطوف به والقائمين والمقيمين بمكة والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد
واذن في الناس بالحج ناد فيهم والحج هو القصد البليغ الى مقصد منيع روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس
حجوا بيت ربكم فاجاب من قدر له ان يحج من الاصلاب والارحام بلبيك اللهم لبيك وعن الحسن انه خطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع والاول اظهر وجواب الامر ياتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام
وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كانه قال رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول وقدم الرجال على الركبان اظهارا
لفضيلة المشاة كما ورد في الحديث ياتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرا عبد الله ياتون صفة للرجال والركبان
من كل فج طريق عميق بعيد قال محمد بن ياسين قال لي شيخ في الطواف من اين انت قلت من خراسان قال كم بينكم

وبين

وبين البيت قلت مسيرة شهرين او ثلثة قال فانتم جيران البيت فقلت انت من اين جئت قال من مسيرة خمس سنوات
خرجت وانا شاب فاكتهلت قلت هذه والله هي الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فضحك وقال زر من هويت وان شطت بك
الدار وحال من دونه حجب واستار لا يمنعك بعد من زيارته ان المحب لمن يهواه زوار واللام في ليشهدوا ليحضروا
ويتعلق باذن او بياتوك منافع لهم نكرها لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية لا توجد في غيرها من العبادات
وهذا لان العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلوة والصوم او بالمال كالزكوة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل
الاثقال وركوب الاهوال وخلع الاسباب وقطيعة الاصحاب وهجرة البلاد والاوطان وفرقة الاولاد والخلان والتنبيه
على ما يستمر عليه اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء فالحاج اذا دخل البادية لا يتكل فيها الا على عبادة ولا ياكل الا من
زاده فكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحيوة عتاده وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته الا ما سعى في معاشه لمعاده ولا يونس
وحشته الا ما كان يانس به من اوراده وغسل من يحرم وتاهبه ولبسه غير المخيط وتطيبه مرآة لما سياتي عليه من وضعه
على سريره لغسله وتجهيزه مطيبا بالحنوط ملففا في كفن غير مخيط ثم المحرم يكون اشعث حيران فكذا يوم الحشر
يخرج من القبر لهفان ووقوف الحجيج بعرفات املين رغبا ورهبا سائلين خوفا وطمعا وهم من بين مقبول
ومخذول كموقف العرصات عرفات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد والاضافة الى المزدلفة بالمساء وهو
السوق لفصل القضاء ومنى هو موفق المنى للمذنبين الى شفاعة الشافعين وحلق الراس والتنظيف كالخروج
من السيئات بالرحمة والتخفيف والبيت الحرام الذي من دخله كان امنا من الايذاء والقتال انموذج لدار السلام
التي من نزلها بقي سالما من الفناء والزوال غير ان الجنة حفت بالمكاره والنفس العادية كما ان الكعبة حفت بمتالف البادية
فمرحبا بمن جاوز مهالك البوادي شوقا الى اللقاء يوم التنادي ويذكروا اسم الله عند الذبح في ايام معلومات هي عشر
ذي الحجة عند ابي حنيفة رضي الله عنه واخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس واكثر المفسرين رضي الله عنهما وعند صاحبيه
هي ايام النحر وهو قول ابن عمر على ما رزقهم من بهيمة الانعام اي على ذبحه وهو بعيد قولهما والبهيمة مبهمة في كل ذات
اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز فكلوا منها من لحومها والامر للاباحة ويجوز الاكل
من هدي التطوع والمتعة والقران لانه دم نسك فاشبه الاضحية ولا يجوز الاكل من بقية الهدايا واطعموا البائس الذي
اصابه بؤس اي شدة الفقير الذي اضعفه الاعسار ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا عنهم ادرانهم كذا قاله نفطويه وقيل
قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ والمراد قضاء ازالة التفث وقال
ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم قضاء التفث مناسك الحج كلها وليوفوا نذورهم مواجب حجهم والعرب تقول لكل
من خرج عما وجب عليه وفى بنذره وان لم ينذر او ما ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليوفوا بسكون اللام والتشديد
ابو بكر وليطوفوا طواف الزيارة الذي هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل اللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عامر

وانما عرف بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس بناه آدم ثم جدده ابراهيم او الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها
وعتاق الرقيق الخروج من ذل العبودية الى كرم الحرية او لانه اعتق من الغرق لانه رفع زمن الطوفان او من ايدي الجبابرة
كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله او من الملاك فلم يملك قط وهو مطاف اهل الغبراء كما ان العرش مطاف اهل السماء
فان الطالب اذا هاجته هيعة الطرب وجذبته جواذب الطلب جعل يقطع مناكب الارض مراحل ويتخذ مسالك
المهالك منازل فاذا عاين البيت لم يزده التسلي به الا اشتياقا ولم يفده التشفي باستلام الحجر الا احتراقا فيذيبه
الوسف لهفان ويردده اللهف حوله في الدوران وطواف الزيارة آخر فرائض الحج الثلاثة واولها الاحرام وهو عقد
الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الاسلام حتى لا ينتقض بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده وينافيه
كما ان عقد الاسلام لا ينحل بازدحام الاثام ويرتفع الفحوبه بتوبة وثانيها الوقوف بعرفات بسمة الابتهال وصفة
الاستقبال وصدق الاعتزال منه مع الاشكال على مراتب الاعمال وشواهد الاحوال ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر
ذلك او تقديره ليفعلوا ذلك ومن يعظم حرمات الله الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من
مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت
الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام فهو اي التعظيم خير له عند ربه معنى التعظيم العلم بانها
واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها واحلت لكم الانعام اي كلها الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله حرمت عليكم
الميتة الاية والمعنى ان الله تعالى قد احل لكم الانعام الا ما بين في كتابه فحافظوا على حدوده ولا تحرموا شيئا مما احل كتحريم
البعض البحيرة ونحوها ولا تحلوا ما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغيرهما ولما حث على تعظيم حرماته اتبعه الامر
باجتناب الاوثان وقول الزور بقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور لان ذلك من اعظم الحرمات
واسبقها ومن الاوثان بيان للرجس لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان
وسمى الاوثان رجسا على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم ان تنفروا عنها وجمع بين الشرك
وقول الزور اي الكذب والبهتان او شهادة الزور وهو من الزور وهو الانحراف لان الشرك من باب الزور اذ المشرك
زاعم ان الوثن تحق له العبادة حنفاء لله مسلمين غير مشركين به حال حنفاء ومن يشرك بالله فكانما خر سقط
من السماء الى الارض فتخطفه الطير اي تسلبه بسرعة فتخطفه اي تختطفه مدني او تهوي به الريح او تسقطه والهوي
السقوط في مكان سحيق بعيد يجوز ان يكون هذا تشبيها مركبا ويجوز ان يكون مفرقا فان كان تشبيها مركبا فكانه
قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته
الطير فتفرق قطعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه
الايمان في علوه بالسماء والذي اشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء المردية بالطير المختطفة والشيطان الذي

يوقع

يوقعه في الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة ذلك اي الامر ذلك ومن يعظم شعائر الله
تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان فانها من تقوى
القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات وانما ذكرت القلوب لانها مراكز
التقوى لكم فيها منافع من الركوب عند الحاجة وشرب البانها عند الضرورة الى اجل مسمى الى ان تنحر ثم محلها اي وقت
وجوب نحرها منتهية الى البيت العتيق والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت اذ الحرم حريم البيت ومثله في الاتساع
قولك بلغت البلد وانما اتصل مسيرك بحدوده وقيل الشعائر المناسك كلها وتعظيمها اتمامها ومحلها الى البيت
العتيق يأباه ولكل امة جماعة مؤمنة قبلكم جعلنا منسكا حيث بكسر السين بمعنى الموضع علي وحمزة اي
موضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر اي اراقة الدماء وذبح القرابين ليذكروا اسم الله دون غيره على ما رزقهم
من بهيمة الانعام اي عند نحرها وذبحها فالهكم اله واحد اي اذكروا على الذبائح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد
وفيه دليل على ان ذكر اسم الله شرط للذبح يعني ان الله تعالى شرع لكل امة ان ينسكوا له اي يذبحوا على وجه التقرب
وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه وعلى النسائك فله اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه
له سالما اي خالصا لا تشوبوه باشراك وبشر المخبتين المطمئنين بذكر الله او المتواضعين الخاشعين من الخبت
وهو المطمئن من الارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقيل تفسيره ما بعده
اي الذين اذا ذكر الله وجلت خافت قلوبهم منه هيبة والصابرين على ما اصابهم من المحن والمصائب والمقيمي الصلوة
في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون يتصدقون والبدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وفي الشريعة يتناول الابل
والبقر وقرئ برفعها وهو كقوله والقمر قدرناه جعلناها لكم من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله
واضافها الى اسمه تعظيما لها ومن شعائر الله ثاني مفعولي جعلنا لكم فيها خير النفع في الدنيا والاجر في العقبى فاذكروا
اسم الله عليها عند نحرها صواف حال من الهاء اي قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن فاذا وجبت جنوبها وجوب
الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط اي اذا سقطت جنوبها على الارض بعد نحرها وسكنت حركتها
فكلوا منها ان شئتم واطعموا القانع السائل من قنعت اليه اذا خضعت له وسألته قنوعا والمعتر الذي يريك نفسه
ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بالسؤال
كذلك سخرناها لكم اي كما امرناكم بنحرها سخرناها لكم او هو كقوله ذلك ومن يعظم ثم استانف فقال سخرناها لكم اي
ذللناها لكم مع قوتها وعظم اجرامها لتتمكنوا من نحرها لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا انعام الله عليكم لن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي لن يتقبل الله اللحم والدماء ولكن يتقبل التقوى او لن يصيب رضى الله
اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمتقربون ربهم الا براعات

النية والاخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت
ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كذلك سخرها لكم اى البدن لتكبروا الله لتسموا الله عند
الذبح او لتعظموا الله على ما هديكم على ما ارشدكم اليه وبشر المحسنين الممتثلين اوامره بالثواب ان الله يدافع مكى
وبصرى وغيرهما يدافع اى يبالغ فى الدفع عنهم عن الذين امنوا اى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه انا
لننصر رسلنا والذين امنوا ثم علل ذلك بقوله ان الله لا يحب كل خوان فى امانة الله كفور لنعمة الله اى لا يحب
اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها اذن
مدنى وبصرى وعاصم وحفص قوله للذين يقاتلون بفتح التاء مدنى وشامى وحفص والمعنى اذن لهم فى القتال
فحذف الماذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله عليه السلام
كان مشركوا مكة يوذونهم اذى شديدا وكانوا ياتون رسول الله من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم
اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الاية وهى اول اية اذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف
وسبعين اية وان الله على نصرهم على نصر المؤمنين لقدير قادر وهى بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله
ان الله يدافع عن الذين امنوا الذين فى محل جر بدل من الذين او نصب باعنى او رفع باضمارهم اخرجوا من ديارهم
بمكة بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله اى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى ان يكون موجب التمكين لا موجب
الاخراج ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله ومحل ان يقولوا جر بدلا من حق والمعنى ما اخرجوا من ديارهم الا بسبب
قولهم ولولا دفع الله دفاع مدنى ويعقوب الناس بعضهم ببعض لهدمت وبالتخفيف حجازى صوامع وبيع
وصلوات ومساجد اى لولا اظهاره وتسليطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة
فى ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات اى كنايس
وسميت الكنيسة صلوة لانه يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد او لغلب المشركون فى امة محمد عليه السلام على المسلمين
وعلى اهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجودا او لقربها
من التهديم يذكر فيها اسم الله كثيرا فى المساجد او فى جميع ما تقدم ولينصرن الله من ينصره اى ينصر دينه واولياءه
ان الله لقوى على نصر اوليائه عزيز على انتقام اعدائه الذين محله نصب بدل من ينصره او جر تابع للذين اخرجوا ان مكناهم
فى الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر هو اخبار من الله عما سيكون عليه سيرة المهاجرين
ان مكنهم فى الارض وبسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وفيه دليل صحة خلافة الخلفاء الراشدين
لان الله عز وجل اعطاهم التمكن ونفاذ الامر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم امة محمد عم ولله عاقبة الامور
اى مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم وان يكذبوك هذه تسلية لمحمد

من تكذيب

من تكذيب اهل مكة اياه اى لست باوحد فى التكذيب فقد كذبت قبلهم قبل قومك قوم نوح نوحا وعاد هودا
وثمود صالحا وقوم ابراهيم ابراهيم وقوم لوط لوطا واصحاب مدين شعيبا وكذب موسى كذبه فرعون والقبط
ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه او كانه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم
رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وظهور معجزاته فما ظنك بغيره فامليت للكافرين امهلتهم واخرت
عقوبتهم ثم اخذتهم عاقبتهم على كفرهم فكيف كان نكير انكارى وتغييرى حيث ابدلتهم بالنعم نقما وبالحيوة هلاكا
وبالعمارة خرابا نكيرى بالياء فى الوصل والوقف يعقوب فكاين من قرية اهلكناها اهلكتها بصرى وهى ظالمة
حال اى واهلها مشركون فهى خاوية ساقطة من خوى النجم اذا سقط على عروشها يتعلق بخاوية والمعنى انها ساقطة
على سقوفها اى خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ولا محل لفهى خاوية من الاعراب
لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وهذا اذا جعلنا كاين منصوب المحل على تقدير كثيرا
من القرى اهلكناها وبئر معطلة اى متروكة لفقد دلوها ورشائها او رفض تفقدها او هى عامرة فيها الماء
ومعها الات الاستقاء الا انها عطلت اى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقصر مشيد مجصص من الشيد
الجص او مرفوع البنيان من شاد البناء رفعه والمعنى كم قرية اهلكناها وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر
مشيد اخليناه عن ساكنه اى اهلكنا البادية والحاضرة جميعا فخلت القصور عن اربابها والابار عن واردها
والاظهر ان البئر والقصر على العموم افلم يسيروا فى الارض هذا حث على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله
بكفرهم ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها اى يعقلون ما يجب
ان يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه من الوحى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التى فى الصدور والضمير فى فانها ضمير القصة او ضمير مبهم تفسيره الابصار اى فما عميت ابصارهم عن الابصار
بل قلوبهم عن الاعتبار ولكل انسان اربع اعين عينان فى راسه عينان فى قلبه فان ابصر ما فى القلب وعمى ما
فى الراس لم يضره وان ابصر ما فى الراس وعمى ما فى القلب لم ينفعه وذكر الصدور لبيان ان محل العلم القلب
ولئلا يقال ان القلب يعنى به غير هذا العضو كما يقال القلب لب كل شىء ويستعجلونك بالعذاب الاجل
استهزاء ولن يخلف الله وعده كانه قال لم يستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد
من يجوز عليه الخلف والله لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وان يوما عند ربك كالف سنة مما
تعدون يعدون مكى وكوفى غير عاصم اى كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه فى طول الف سنة
من سنيكم لان ايام الشدائد طوائل وكاين من قرية امليت لها وهى ظالمة اى وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين
قد انظرتهم حينا ثم اخذتها بالعذاب والى المصير اى المرجع الى فلا يفوتنى شىء وانما كانت الاولى اى فكاين معطوفة

بالفاء وهذه اى وكاين بالواو لان الاولى وقعت بدلا عن فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من
الجملتين المعطوفتين بالواو وهما ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير
مبين وانما لم يقل بشير ونذير لذكر الفريقين بعده لان الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم
وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنين وثوابهم ليغاظوا او تقديره نذير مبين
وبشير فبشر اولا فقال فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم اى حسن ثم انذر فقال
والذين سعوا سعى في امر فلان اذا افسده بسعيه في اياتنا اى القران معاجزين حال معجزين حيث كان مكى
وابو عمرو عاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى
سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير مسابقين في زعمهم وتقديرهم
طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم اولئك اصحاب الجحيم اى النار الموقدة وما ارسلنا من قبلك من لابتداء
الغاية من رسول من زيادة لتاكيد النفى ولا نبى هذا دليل بين على ثبوت التغاير بين الرسول والنبى بخلاف
ما يقوله البعض انهما واحد وسئل النبى عليه السلام عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا
قيل فكم الرسل منهم فقال ثلاث مائة وثلثة عشر والفرق بينهما ان الرسول من جمع الى معجزة الكتاب المنزل عليه والنبى
من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله وقيل الرسول واضع شرع والنبى حافظ شرع غيره الا اذا
تمنى قراءة قال تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل القى الشيطان فى امنيته تلاوته قالوا انه عليه السلام
فى نادى قومه يقرا والنجم فلما بلغ قوله ومنات الثالثة الاخرى جرى على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبرئيل م فاخبرهم ان ذلك كان من الشيطان وهذا
القول غير مرضى لانه لا يخلو اما ان تكلم النبى م بها عمدا وانه لا يجوز لانه كفر ولانه بعث طاعنا للاصنام لا مادحا لها
او اجرى الشيطان ذلك على لسان النبى م جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهو ممتنع لان الشيطان لا يقدر
على ذلك فى حق غيره لقوله تع ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ففى حقه اولى او جرى على لسانه سهوا وغفلة
وهو مردود ايضا لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه فى حال تبليغ الوحى ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله
ولانه تع قال فى صفة المنزل عليه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق الا وجه واحد وهو انه م سكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى فتكلم الشيطان
بهذه الكلمات متصلا بقراءة النبى م فوقع عند بعضهم انه م هو الذى تكلم بها ويكون هذا القاء فى قراءة النبى م
وكان الشيطان يتكلم فى زمن النبى م ويسمع كلامه فقد روى انه نادى يوم احد الا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر
لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يذهب به ويبطله ويخبر انه من الشيطان

ثم يحكم

ثم يحكم الله اياته اى يثبتها ويحفظها عن لحوق الزيادة من الشيطان والله عليم بما اوحى الى نبيه وبقصد الشيطان
حكيم لا يدعه حتى يكشفه ويزيله ثم ذكر ان ذلك ليفتتن الله تع به قوما بقوله ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة محنة
وابتلاء للذين فى قلوبهم مرض ونفاق والقاسية قلوبهم هم المشركون المكذبون فيزدادوا به شكا وظلمة وان
الظالمين اى المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم لفى شقاق خلاف
بعيد عن الحق وليعلم الذين اوتوا العلم بالله وبدينه وبالايات انه ان القران الحق من ربك فيؤمنوا به بالقران
فتخبت فتطمئن له قلوبهم وان الله لهادى الذين امنوا الى صراط مستقيم فيتاولوا ما يتشابه فى الدين
بالتاويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المجمل الذى يقتضيه الاصول المحكمة حتى لا يلحقهم حيرة ولا
تعتريهم شبهة ولا يزال الذين كفروا فى مرية شك منه من القران او من الصراط المستقيم حتى تاتيهم الساعة
بغتة فجاءة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يعنى يوم بدر فهو عقيم عن ان يكون للكافرين فيه فرج وراحة كالريح
العقيم لا تاتى بخير او شديد لا رحمة فيه او لا مثل له فى عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة
وان المراد بالساعة مقدماته الملك يومئذ اى يوم القيامة والتنوين عوض عن الجملة اى يوم يؤمنون او يوم
يزول مريتهم لله فلا منازع له فيه يحكم بينهم اى يقضى ثم بين حكمه فيهم بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات فى
جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين ثم خص قوما من الفريق الاول بفضيلة
فقال والذين هاجروا فى سبيل الله خرجوا من اوطانهم مجاهدين ثم قتلوا فى الجهاد وقتلوا شامى او ماتوا
حتف انفهم ليرزقنهم الله رزقا حسنا قيل الرزق الحسن الذى لا ينقطع ابدا وان الله لهو خير الرازقين لانه
المخترع للخلق بلا مثال المتكفل للرزق بلا ملال ليدخلنهم مدخلا وبفتح الميم مدنى والمراد الجنة يرضونه
لان فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وان الله لعليم باحوال من قضى نحبه مجاهدا وامال من مات وهو
ينتظر معاهدا حليم باهمال من قاتلهم معاندا وروى ان طوائف من اصحاب النبى م قالوا يا نبى الله هؤلاء الذين
قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله
هاتين الايتين ذلك اى الامر ذلك وما بعده مستانف ومن عاقب بمثل ما عوقب به سمى الابتداء بالجزاء
للملابسة له من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه ثم بغى عليه لينصرنه الله اى من جازى بمثل ما فعل به
من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله ان ينصره ان الله لعفو يمحو اثار الذنوب غفور يستر انواع العيوب وتقريب
الوصفين بسياق الاية ان المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله فمن عفى واصلح فاجره
على الله وان تعفوا اقرب للتقوى فحين لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك الافضل فكانه مذنب فعنى العفو
انه لا يلومه على ترك الافضل وهو ضامن لنصرته فى الكرة الثانية اذا ترك العفو وانتقم من الباغى عليه وعرض

مع ذلك بما كان اولى به من العفو بذكرها بين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على عقوبة اذ لا يوصف
بالعفو الا القادر على ضده كما قيل العفو عند القدرة ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع
بصير اى ذلك النصر للمظلوم بسبب انه قادر على ما يشاء ومن الايات وقدرته انه يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل اى يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجرى
فيهما على ايدى عباده من الخير والشر والبغى والانصاف وانه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وان اختلفت
في النهار الاصوات بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستتر عنه بشيء في الليالي وان توالت الظلمات ذلك بان
الله هو الحق وان ما تدعون يدعون عراقي غير ابى بكر من دونه هو الباطل وان الله هو العلى الكبير اى ذلك الوصف
بخلق الليل والنهار واحاطته بما يجرى فيهما وادراكه كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الالهية وان كل ما
يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء مطرا فتصبح
الارض مخضرة بالنبات بعد ان كانت مسودة يابسة وانما صرف الى لفظ المضارع ولم يقل فاصبحت ليفيد
بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم على فلان فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت
لم يقع ذلك الموقع وانما رفع فتصبح ولم ينصب جوابا للاستفهام لانه لو نصب لبطل الغرض وهذا لان معناه
اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفى الاخضرار كما تقول لصاحبك الم تر انى انعمت عليك فتشكر ان نصبته
نفيت شكره وشكوت من تفريطه فيه وان رفعته اثبت شكره ان الله لطيف واصل علمه او فضله الى كل شيء خبير
بمصالح الخلق ومنافعهم او اللطيف المختص بدقيق التدبير الخبير المحيط بكل قليل وكثير له ما في السموات
وما في الارض ملكا وملكا وان الله لهو الغنى المستغنى بكمال قدرته بعد فناء ما في السموات وما في الارض الحميد
المحمود بنعمته قبل ثناء من في السموات ومن في الارض الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض من البهائم مذللة للركوب
في البر والفلك تجرى في البحر بامره اى ومن المراكب جارية في البحر ونصب الفلك عطفا على ما وتجرى حال لها
اى وسخر لكم الفلك في حال جريها ويمسك السماء ان تقع على الارض اى يحفظها من ان تقع على الارض الا باذنه
بامره او بمشيته ان الله بالناس لرءوف بتسخير ما في الارض رحيم بامساك السماء لئلا تقع على الارض عدد
الاءه مقرونة باسمائه ليشكروه على الائه ويذكروه باسمائه وعن ابى حنيفة رضى الله عنه ان الاسم الاعظم في الايات
الثماني يستجاب لقاريها البتة وهو الذى احياكم في ارحام امهاتكم ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم
لايصال جزائكم ان الانسان لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم ودفع عنه صنوف النقم او لا يعرف
نعمة الانشاء المبقى للوجود ولا الافناء المقرب الى الموعود ولا الاحياء الموصل الى المقصود لكل امة اهل
دين جعلنا منسكا من بيانه وهو رد لقول من يقول ان الذبح ليس بشريعة الله اذ هو شريعة كل امة هم ناسكوه

هم عاملوه

هم عاملوه به فلا ينازعنك فلا يجادلنك والمعنى فلا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك في الامر
امر الذبائح او الدين نزلت حين قال المشركون للمسلمين ما لكم لا تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعنى الميتة
وادع الناس الى ربك الى عبادة ربك انك لعلى هدى مستقيم طريق قويم ولم يذكر الواو في لكل امة بخلاف
ما تقدم لان تلك وقعت مع ما يناسبها من الاى الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها وهذه وقعت
مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا وان جادلوك مراء وتعنتا كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك ان لا يكون بينك
وبينهم تنازع وجدال فقل الله اعلم بما تعملون اى فلا تجادلهم ولا تدافعهم بهذا القول والمعنى ان الله اعلم باعمالكم وبما
تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين وتاديب يجاب به كل متعنت
الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون هذا خطاب من الله للمؤمنين والكافرين اى يفصل بينكم بالثواب
والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض وكيف
يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض ان ذلك الموجود فيهما
في كتاب في اللوح المحفوظ ان ذلك على الله يسير اى علمه بجميع ذلك عليه يسير ثم اشار الى جهالة الكفار بعبادتهم
غير المستحق لها بقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به بنزل مكى وبصرى سلطانا حجة وبرهانا وما ليس لهم به
علم اى لم يتمسكوا في عبادتهم لها ببرهان سماوى من جهة الوحى ولا حملهم عليها دليل عقلى وما للظالمين من نصير
وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعنى القران
تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار بالعبوس والكراهة والمنكر مصدر يكادون يسطون يبطشون
والسطو الوثب والبطش بالذين يتلون عليهم اياتنا هم النبى عم واصحابه قل افانبئكم بشر من ذلكم
من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما يتلى عليكم النار خبر مبتدا
محذوف كان قائلا قال وما هو فقيل النار اى هو النار وعدها الله الذين كفروا استيناف كلام وبئس
المصير النار ولما كانت دعواهم بان لله تعالى شريكا جارية في الغرابة والشهرة مجرى الامثال المسيرة قال الله تعالى
يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له لضرب هذا المثل ان الذين تدعون يدعون سهل ويعقوب من دون الله
الهة لن يخلقوا ذبابا لن لتاكيد نفى المستقبل وتاكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل كانه قال
محال ان يخلقوا وتخصيص الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره ويسمى ذبابا لانه كلما ذب لاستقذاره آب
لاستكباره ولو اجتمعوا له لخلق الذباب ومحله النصب على الحال كانه قال مستحيل منهم ان يخلقوا الذباب مشروطا
عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزل في تجهيل قريش حيث وصفوا بالالهية التى
تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن اخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان يقدر على اقل

ما خلق الله واذاله ولو اجتمعوا لذلك وان يسلبهم الذباب شيئا شيئا ثانى مفعولى يسلبهم لا يستنقذوه منه
اى هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وعن ابن عباس رضى الله عنه
انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل فاذا سلبه الذباب عجز الاصنام عن اخذه ضعف الطالب
اى الصنم بطلب ما سلب منه والمطلوب الذباب بطلب ما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب فى الضعف
ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف فالذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب ما قدروا
الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكا له ان الله لقوى عزيز ان الله قادر
غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به او لقوى بنصر اوليائه عزيز ينتقم من اعدائه الله يصطفى يختار
من الملائكة رسلا كجبرئيل وميكائيل واسرافيل وغيرهم ومن الناس رسلا كابرهيم وموسى وعيسى ومحمد
وغيرهم عليهم السلام هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملك
وبشر وقيل نزلت حين قالوا أانزل عليه الذكر من بيننا ان الله سميع لقولهم بصير لمن يختاره لرسالته
او سميع لاقوال الرسل فيما يقبله العقول بصير باحوال الامم فى الرد والقبول يعلم ما بين ايديهم ما مضى وما
خلفهم ما لم يات او ما عملوه وما سيعملونه او امر الدنيا وامر الاخرة والى الله ترجع الامور اى اليه مرجع الامور
كلها والذى هو بهذه الصفات لا يسال عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه فى حكمه وتدابيره واختيار رسله
ترجع شامى وحمزة وعلى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اى فى صلوتكم وكانوا اول ما اسلموا يصلون بلا ركوع
وسجود فامروا ان يكون صلوتهم بركوع وسجود وفيه دليل على ان الاعمال ليست من الايمان وان هذه
السجدة للصلوة لا للتلاوة واعبدوا ربكم واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الصنم وافعلوا الخير
قيل لما كان للذكر مزية على غيره من الطاعات دعا المؤمنين الى الصلوة التى هى ذكر خالص لقوله تع واقم الصلوة
لذكرى ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج وغيرهما ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل اريد به صلة
الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اى كى تفوزوا وافعلوا هذا كله وانتم راجعون للفلاح غير
مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وجاهدوا امر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر
او هو كلمة حق عند امير جائر فى الله اى فى ذات الله فمن اجله حق جهاده وهو ان لا يخاف فى الله لومة لائم
يقال هو حق عالم وجد عالم اى عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه
ولكن الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن
اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع فى الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا هو اجتباكم اختاركم
لدينه ولنصرته وما جعل عليكم فى الدين من حرج ضيق بل رخص لكم فى جميع ما كلفكم من الطهارة والصلوة والصوم

والحج

والحج بالتيمم والايماء وبالقصر والافطار بعذر السفر والمرض وعدم الراحلة ملة ابيكم ابراهيم اى اتبعوا ملة ابيكم
او نصب على الاختصاص اى اعنى بالدين ملة ابيكم وسماه ابا وان لم يكن ابا للامة كلها لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان ابا لامته لان امة الرسول فى حكم اولاده قال عم انما انا لكم مثل الوالد للولد هو سماكم المسلمين اى الله بدليل قراءة
ابى الله سماكم من قبل فى الكتب المتقدمة وفى هذا اى فى القران اى فضلكم على سائر الامم وسماكم بهذا الاسم للاكرام
ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم رسالة ربكم وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل رسالات الله اليهم
واذا خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاقيموا الصلوة بواجباتها واتوا الزكوة بشرايطها واعتصموا بالله وثقوا بالله وتوكلوا
عليه لا بالصلوة والزكوة هو موليكم مالككم وناصركم ومتولى اموركم فنعم المولى حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم ونعم
النصير هو حيث اعانكم على طاعتكم وقد افلح من هو مولاه وناصره سورة المؤمنون مكية وهى ثمانى عشرة آية
كوفى وتسع عشرة للباقوت بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون قد نقيضة لما هى تثبت المتوقع ولما تنفيه وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة وهى الاخبار
بثبات الفلاح فهم خوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب اى فازوا
بما طلبوا ونجوا عما هربوا والايمان فى اللغة التصديق والمؤمن المصدق لغة وفى الشرع كل من نطق بالشهادتين
مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن قال عم خلق الله الجنة فقال لها تكلمى فقالت قد افلح المؤمنون ثلاثا انا حرام على كل
بخيل مراء لانه بالرياء ابطل العبادات البدنية وليس له عبادة مالية الذين هم فى صلوتهم خاشعون خائفون بالقلب
ساكنون بالجوارح وقيل الخشوع فى الصلوة جمع الهمة لها والاعراض عما سواها وان لا يتجاوز بصره مصلاه وان لا يلتفت
ولا يعبث ولا يسدل ولا يفرقع اصابعه ولا يقلب الحصا ونحو ذلك وعن ابى الدرداء هو اخلاص المقال واعظام
المقام واليقين التام وجمع الاهتمام واضيفت الصلوة الى المصلين لا الى المصلى له لانتفاع المصلى بها وحده وهى عدته
وذخيرته واما المصلى له فغنى عنها والذين هم عن اللغو معرضون اللغو كل كلام ساقط حقه ان يلغى كالكذب والشتم
والهزل يعنى ان بهم من الجد ما شغلهم عن الهزل ولما وصفهم بالخشوع فى الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو
ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس الذين هما قاعدتا بناء التكاليف والذين هم للزكوة فاعلون مؤدون
ولفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف مؤدون قيل الزكوة اسم مشترك تطلق على العين وهو القدر الذى يخرجه
المزكى من النصاب الى الفقير وعلى المعنى وهو فعل المزكى الذى هو التزكية وهو المراد هنا فجعل المزكين فاعلين له
لان لفظ الفعل يعم جميع الافعال كالضرب والقتل ونحوهما فيقول للضارب والقاتل والمزكى فاعل الضرب والقتل
والتزكية ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء ودخل اللام لتقدم المفعول وضعف اسم
الفاعل فى العمل فانك تقول هذا ضارب لزيد ولا تقول ضرب لزيد والذين هم لفروجهم حافظون الفرج يشتمل سوءة

الرجل والمرأة الا على ازواجهم في موضع الحال اى الاوالين على ازواجهم وقوامين عليهن من قولك كان زياد على البصرة
اى واليا عليها والمعنى انهم لفروجهم حافظون في جميع الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على محذوف يدل
عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اى يلامون على كل مباشرة الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه
وقال الفراء الا من ازواجهم اى زوجاتهم او ما ملكت ايمانهم اى اماءهم ولم يقل من لان المملوك يجرى مجرى غير العقلاء
ولهذا يباع كما يباع البهائم فانهم غير ملومين اى لا لوم عليهم ان لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم واماءهم فمن ابتغى
وراء ذلك اى طالب قضاء شهوة من غير هذين فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان وفيه دليل تحريم المتعة
والاستمناء باليد لارادة الشهوة والذين هم لاماناتهم وعهدهم لاماناتهم مكى سمى الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه
امانة وعهدا ومنه قوله تع ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وانما يؤدى العيون لا المعانى والمراد به العموم
في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق راعون حافظون والراعى القائم على الشئ بحفظ
او اصلاح كراعى الغنم والذين هم على صلواتهم صلوتهم كوفى غير عاصم يحافظون يداومون في اوقاتها واعادة ذكر
الصلوة لانها اهم ولان الخشوع فيها غير المحافظة عليها ولانها وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اى صلوة
كانت وجمعت اخرا لتفاد المحافظة على انواعها من الفرايض والواجبات والسنن والنوافل اولئك الجامعون لهذه
الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون من الكفار
في الحديث ما منكم من احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل الجنة ورث اهل النار منزله
وان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله الفردوس هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وقال قطرب
هو اعلى الجنان هم فيها خالدون انث الفردوس بتاويل الجنة ولقد خلقنا الانسان اى ادم عم من سلالة من
للابتداء والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وقيل انما سمى التراب الذى خلق ادم منه سلالة لانه سل
من كل تربة من طين من للبيان كقوله من الاوثان ثم جعلناه اى نسله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لان
ادم عم لم يصر نطفة وهو كقوله وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقيل الانسان
بنو آدم والسلالة النطفة والعرب يسمى النطفة سلالة اى ولقد خلقنا الانسان من سلالة يعنى من نطفة مسلولة
من طين اى من مخلوق من طين وهو آدم عم نطفة ماء قليلا في قرار في مستقر يعنى الرحم مكين حصين ثم خلقنا النطفة
اى صيرناها بدلالة تعديته الى مفعولين والخلق يتعدى الى مفعول واحد علقة قطعة دم والمعنى اجعلنا النطفة
البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة لحما قدر ما يمضغ فخلقنا المضغة عظاما فصيرناها عظاما فكسونا العظام
لحما فانبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس عظما العظم شامى وابو بكر عظما العظام زيد عن يعقوب عظاما العظم
عن ابى زيد وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس اذ الانسان ذو عظام كثيرة ثم انشأناه الضمير يعود الى الانسان

اوالى المذكور

اوالى المذكور خلقا اخر اى خلقا مباينا للخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وسميعا وبصيرا وكان
بضد هذه الصفات ولهذا قالنا اذا غصب بيضة فافرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق اخر سوى
البيضة فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن بدل او خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة لانه نكرة وان اضيف
لان المضاف اليه عوض من الخالقين اى المقدرين اى احسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين
عليه وقيل ان عبد الله بن سعد بن ابى سرح كاتب النبى عم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله عم اكتب هكذا
نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبى يوحى الى فارتد ولحق بمكة ثم اسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية
غير صحيحة لان ارتداده كان بالمدينة وهذه السورة مكية وقيل القايل عمر او معاذ رضى الله عنهما ثم انكم بعد ذلك
بعد ما ذكرنا من امركم لميتون عند انقضاء آجالكم ثم انكم يوم القيامة تبعثون تحيون للجزاء ولقد خلقنا فوقكم
سبع طرائق جمع طريقة وهى السموات لانها طرق للملائكة ومتقلباتهم وما كنا عن الخلق غافلين اراد بالخلق
السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح
عليهم الارزاق والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم وانزلنا من السماء ماء مطرا بقدر بتقدير يسلمون
معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا من حاجتهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض
وقيل جعلناه ثابتا في الارض فماء الارض كله من السماء ثم استادى شكرهم بقوله وانا على ذهاب به لقادرون
اى كما قدرنا على انزاله فقدرنا على اذهابه فقيدوا هذه النعمة بالشكر فانشأنا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم
فيها في الجنات فواكه كثيرة سوى النخيل والاعناب ومنها تاكلون اى من الجنات اى من ثمارها ويجوز ان يكون هذا
من قولهم فلان ياكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يعملها اى انها طعمة وجهة التى منها يحصل رزقه كانه قال وهذه
الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون وتتعيشون وشجرة عطف على جنات وهى شجرة الزيتون تخرج
من طور سيناء طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان
يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال
مكسور السين كقراءة الحجازى وابى عمرو للتعريف والعجمة او مفتوحها كغيرهم لان الالف للتانيث كصحراء تنبت
بالدهن قال الزجاج الباء للحال اى تنبت ومعها الدهن ينبت مكى وابو عمرو اما لان انبت بمعنى نبت كقوله حتى اذا
انبت البقل او لان مفعوله محذوف اى ينبت زيتونها وفيه الدهن وصبغ للآكلين اى ادام لهم قال مقاتل جعل الله
في هذه اداما ودهنا فالادام الزيتون والدهن الزيت وقيل هى المنافع وان لكم في الانعام جمع نعم وهو الابل والبقر
والغنم لعبرة نسقيكم وبفتح النون شامى ونافع وابو بكر سقى واسقى لغتان مما في بطونها اى تخرج لكم من بطونها
لبنا سائغا ولكم فيها منافع كثيرة سوى الالبان وهى منافع الاصواف والاوبار والاشعار ومنها تاكلون اى لحومها

وعليها وعلى الانعام فى البر وعلى الفلك فى البحر تحملون فى اسفاركم وهذا يشير الى ان المراد بالانعام والابل
لانها هى المحمول عليها فى العادة ولذا قرنها بالفلك التى هى السفاين لانها سفاين البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت
خدى زمامها يريد ناقته ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله وحدوه مالكم من اله معبود غيره
بالرفع على المحل وعلى بالجر على اللفظ والجملة استيناف تجرى مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون
عقوبة الله الذى هو ربكم وخالقكم اذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة فى شى فقال الملاء الذين
كفروا من قومه اى اشرافهم لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم ياكل ويشرب يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب
الفضل عليكم ويترأس ولو شاء الله ارسال رسول لانزل ملائكة لارسل ملائكة ما سمعنا بهذا بارسال
بشر رسولا او بما يامرنا به من التوحيد ورفض الهتنا والعجب منهم انهم رضوا بالالوهية بالحجر ولم يرضوا بالنبوة
للبشر فى اباينا الاولين ان هو الا رجل به جنة جنون فتربصوا به حتى حين فانتظروا واصبروا عليه الى زمان
حتى يتجلى امره فان افاق من جنونه والا قتلتموه قال رب انصرنى بما كذبون فلما ايس من ايمانهم دعا الله
بالانتقام منهم والمعنى اهلكهم بسبب تكذيبهم اياى اذ فى نصرته اهلاكهم او انصرنى بدل ما كذبونى كقولك
هذا بذلك اى بدل ذلك والمعنى ابدلنى من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم فاوحينا اليه اى اجبنا دعاءه
فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا اى تصنعه وانت واثق بحفظ الله لك ورؤيته اياك منه او بحفظنا وكلائتنا
كان معك من الله حفظا يكلؤنك بعيونهم لئلا يتعرض لك ولا يفسد عليك مفسد ومنه قولهم عليه من الله
عين كالئة ووحينا امرنا وتعليمنا اياك صنعتها روى انه اوحى اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطاير فاذا جاء
امرنا اى عذابنا بامرنا وفار التنور اى فار الماء من تنور الخبز اى اخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون ابلغ
فى الانذار والاعتبار روى انه قيل لنوح اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك فى السفينة
فلما نبع الماء من التنور اخبرته امرأته فركب انت ومن معك اى وكان تنور آدم فصار الى نوح وكان من حجارة
واختلف فى مكانه فقيل فى مسجد الكوفة وقيل بالشام وقيل بالهند فاسلك فيها فادخل فى السفينة من كل
زوجين من كل امتين زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين من
زوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روى انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض من كل حفص والمفضل اى من كل امة
زوجين اثنين واثنين تاكيد وزيادة بيان واهلك ونساءك واولادك الا من سبق عليه القول من الله
بهلاكه وهو ابنه واحدى زوجتيه فجئ بعلى مع سبق الضار كما جئ باللام مع سبق النافع فى قوله ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحو لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ولا
تسالنى نجاة الذين كفروا فانى اغرقهم فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فاذا تمكنتم عليها راكبين فقل الحمد لله

الذى

الذى نجانا من القوم الظالمين امر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا وان كان فاذا استويت انت
ومن معك فى معنى فاذا استويتم لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة وقل
حين ركبت على السفينة او حين خرجت منها رب انزلنى منزلا مباركا اى انزالا او موضع انزال منزلا ابو بكر اى مكانا وانت
خير المنزلين والبركة فى السفينة النجاة فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخيرات ان فى ذلك فيما فعل بنوح وقومه
لايات لعبر ومواعظ وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشان والقصة
كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر
كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم انشأنا خلقنا من بعدهم من بعد قوم نوح قرنا قوما آخرين هم عاد
قوم هود ويشهد له قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجئ قصة هود على اثر قصة نوح
فى الاعراف وهود والشعراء فارسلنا فيهم الارسال يعدى بالى ولم يعد بفى هنا وفى قوله تع كذلك ارسلناك
فى امة وما ارسلنا فى قرية ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كقول رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام
رسولا هود منهم من قومهم ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون ان مفسرة لارسلنا اى قلنا لهم على
لسان الرسول اعبدوا الله وقال الملاء من قومه ذكر مقال قوم هود فى جوابه فى الاعراف وهو بغير واو لانه
على تقدير سوال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وههنا مع الواو لانه عطف لما قالوا على ما قاله
الرسول ومعناه انه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبى متصل بكلامه فلم يكن بالفاء
وجئ بالفاء فى قصة نوح لانه جواب لقوله واقع عقيبه الذين كفروا صفة للملاء او لمن قومه وكذبوا بلقاء
الآخرة اى بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك واترفناهم وانعمناهم فى الحيوة الدنيا بكثرة
الاموال والاولاد ما هذا اى النبى الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون اى منه فحذف لدلالة
ما قبله عليه اى من اين يدعى رسالة الله من بينكم وهو مثلكم ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم به وينهاكم عنه
انكم اذا اى الواقع فى جزاء الشرط وجواب الذين قاولوهم من قومهم لخاسرون بالانقياد لمثلكم ومن حمقهم انهم
ابوا اتباع مثلهم وعبدوا اعجز منه ايعدكم انكم اذا متم بالكسر نافع وحمزة وعلى وحفص غيرهم بالضم وكنتم ترابا
وعظاما انكم مخرجون مبعوثون للسوال والحساب والثواب والعقاب وثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين
الاول والثانى بالظرف ومخرجون خبر عن الاول والتقدير ايعدكم انكم مخرجون اذا متم وكنتم ترابا وعظاما هيهات
هيهات وبكسر التاء يزيد وروى عنه بالكسر والتنوين فيهما والكسائى يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم
للفعل واقع موقع بعد وفاعلها مضمر اى بعد التصديق او الوقوع لما توعدون من العذاب او فاعلها ما توعدون
واللام زائدة اى بعد ما توعدون من البعث ان هى هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة

الاحياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها ويبينها والمعنى لاحيوة الا هذه الحيوة التي نحن فيها ودنت
منا وهذا لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي لنفي الجنس نموت ونحيا
اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن اخر وفيه تقديم وتاخير اي نحيا ونموت وهو قراءة ابي وابن مسعود
رضي الله عنهما وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو الا رجل افترى على الله كذبا اي ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من
استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني بما كذبون فاجاب الله دعاء
الرسول بقوله قال عما قليل ما زائدة او بمعنى شيء او زمن وقليل بدل منها وجواب القسم المحذوف ليصبحن نادمين
اذا عاينوا ما يحل بهم فاخذتهم الصيحة اي صيحة جبرئيل عم صاح عليهم فدمرهم بالحق بالعدل من الله يقال فلان يقضي
بالحق اي بالعدل فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان فبعدا
فهلاكا يقال بعد بعدا اي هلك وهو من المصادر المنصوبة بافعال لا يستعمل اظهارها للقوم الظالمين بيان لمن
دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ثم انشأنا من بعدهم قرونا اخرين قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق
من امة من صلة اي ما تسبق امة اجلها المكتوب لها او الوقت الذي حد لهلاكها وكتب وما يستأخرون لا يتأخرون عنه
ثم ارسلنا رسلنا تترى فعلى والالف للتانيث كسكرى لان الرسل جماعة ولذا لا ينون لانه غير منصرف تترى
مكي وابو عمرو ويزيد على ان الالف للالحاق كارطى وهو نصب على الحال في القراءتين اي متتابعين واحدا بعد
واحد وتاؤها فيهما بدل من الواو والاصل وترى من الوتر وهو الفرد فقلبت الواو تاء كتترات كلما جاء امة رسولها
كذبوه الرسول يلابس المرسل والمرسل اليه والاضافة تكون بالملابسة فتصح اضافته اليهما فاتبعنا الامم والقرون
بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث
ومنه احاديث النبي عم وتكون جمعا للاحدوثة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا فبعدا
لقوم لا يؤمنون به ثم ارسلنا موسى واخاه هارون بدل من اخاه باياتنا التسع وسلطان مبين وحجة ظاهرة
الى فرعون وملائه فاستكبروا عن قبول الايمان ترفعا وتكبرا وكانوا قوما عالين متكبرين مترفعين فقالوا انؤمن
لبشرين مثلنا البشر يكون واحدا وجمعا ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وقومهما اي
بنو اسرائيل لنا عابدون خاضعون يطيعون وكل من دان لملك فهو عابد له عند العرب فكذبوهما فكانوا من
المهلكين بالغرق ولقد اتينا موسى اي قوم موسى الكتاب التورية لعلهم يهتدون يعملون بشرائعها ومواعظها
وجعلنا ابن مريم وامه اية تدل على قدرتنا على ما نشاء لانه خلق من غير نطفة ووحد لان الاعجوبة فيهما
واحدة او المراد وجعلنا ابن مريم آية وامه آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها واويناهما جعلنا ماويهما
اي منزلهما الى ربوة شامي وعاصم ربوة غيرهما ارض مرتفعة وهي بيت المقدس او دمشق او الرملة او مصر ذات

قرار

قرار مستقر اي الارض مستوية منبسطة او ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ومعين
وماء ظاهر جار على وجه الارض وانه مفعول اي مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه او فعيل
لانه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهي المنفعة يا ايها الرسل كلوا من الطيبات هذا النداء والخطاب
ليسا على ظاهرهما لانهم ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي
بذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه
او هو خطاب لمحمد عم لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه وكان ياكل من الغنائم او لعيسى عم لاتصال الاية
بذكره وكان ياكل من غزل امه وهو الطيب الطيبات والمراد من الطيبات ما حل والامر للتكليف او ما يستطاب
ويستلذ والامر للترفيه والاباحة واعملوا صالحا موافقا للشريعة اني بما تعملون عليم فاجازيكم على اعمالكم
وان هذه كوفي على الاستيناف وان حجازي وبصري بمعنى ولان اي فاتقون لان هذه وهو معطوف
على ما قبله اي بما تعملون عليم وبان هذه او تقديره واعلموا ان هذه امتكم اي ملتكم وشريعتكم التي انتم عليها
امة واحدة ملة واحدة وهي شريعة الاسلام وانتصاب امة على الحال والمعنى وان الدين دين واحد وهو
الاسلام ومثله ان الدين عند الله الاسلام وانا ربكم وحدي فاتقون فخافوا عقابي في مخالفتكم امري
فتقطعوا امرهم بينهم تقطع بمعنى قطع اي قطعوا امر دينهم زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا
دينهم اديانا وقيل تفرقوا في دينهم فرقا كل ينتحل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا وحرفوه وقرئ
زبرا جمع زبرة اي قطعا كل حزب كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم بما لديهم من الكتاب
والدين او من الهوى والراي فرحون مسرورون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم جهالتهم وغفلتهم
حتى حين اي ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين ما بمعنى الذي وخبر ان نسارع لهم
في الخيرات والعائد من خبر ان الى اسمها محذوف اي نسارع لهم به والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى
المعاصي وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم وهذه الاية حجة
على المعتزلة في مسالة الاصلح لانهم يقولون ان الله تعالى لا يفعل باحد من الخلق الا ما هو الاصلح له في الدين وقد اخبر ان
ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا اصلح بل لا يشعرون بل استدراك بقوله ايحسبون اي بل هم اشباه البهائم لا شعور لهم
حتى يتاملوا في ذلك انه استدراج او مسارعة في الخيرات ثم بين ذكر اوليائه فقال ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون خائفون والذين هم بايات ربهم يؤمنون اي بكتب الله كلها لا يفرقون بين كتبه كالذين تقطعوا امرهم
بينهم وهم اهل الكتاب والذين هم بربهم لا يشركون كمشركي العرب والذين يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوا من الزكوات
والصدقات وقرئ ياتون ما اتوا بالقصر اي يفعلون ما فعلوا وقلوبهم وجلة خائفة ان لا يقبل منهم لتقصيرهم

انهم الى ربهم راجعون للجمهور على ان التقدير لانهم وخبر ان الذين اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات
فيبادرونها وهم لها سابقون اى لاجل الخيرات سابقون الى الجنات او لاجلها سبقوا الناس ولا نكلف نفسا الا
وسعها اى طاقتها يعنى ان الذى وصف به الصالحون غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلف عباده
وهو رد على من جوز تكليف ما لا يطاق ولدينا كتاب اى اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق وهم لا يظلمون
لا يقرؤن منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم احد بزيادة عقاب
او نقصان ثواب او بتكليف ما لا وسع له بل قلوبهم في غمرة من هذا بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها مما عليه
هؤلاء الموصوف من المؤمنين ولهم اعمال من دون ذلك اى ولهم اعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك
اى لما وصف به المؤمنين هم لها عاملون وعليها مقيمون لا يقطعون عنها حتى ياخذهم الله بالعذاب حتى اذا
اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم
او قتلهم يوم بدر وحتى هي التي يبتداء بعدها الكلام والكلام للجملة الشرطية اذا هم يجارون يصرخون استغاثة
والجوار الصراخ باستغاثة فيقال لهم حينئذ لا تجاروا اليوم فان الجوار غير نافع لكم انكم منا لا تنصرون من جهتنا
لا يلحقكم نصر ومعونة قد كانت اياتى تتلى عليكم اى القران فكنتم على اعقابكم تنكصون ترجعون القهقرى والنكوص
ان يرجع القهقرى وهو انتح مشية لانه لا يرى ما وراءه مستكبرين متكبرين على المسلمين حال من ينكصون به
بالبيت او بالحرم لانهم يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذى سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت
او باياتى لانها في معنى كتابى ومعنى استكبارهم بالقران تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى
تعديته او يتعلق الباء بقوله سامرا اى تسمرون بذكر القران وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون
وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسمية سحرا وشعرا والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمار
او بقوله تهجرون وهو من الهجر الهذيان تهجرون نافع من اهجر في منطقه اذا افحش افلم يدبروا القول افلم يتدبروا القران
ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين بل اجاءهم ما لم يات اباءهم الاولين
فلذلك انكروه واستبدعوه ام لم يعرفوا رسولهم محمدا بالصدق والامانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الاخلاق
اى عرفوه بهذه الصفات فهم له منكرون بغيا وحسدا ام يقولون به جنة جنون وليس كذلك لانهم يعلمون انه ارجحهم
عقلا واثقبهم ذهنا بل جاءهم بالحق الابلج والصراط المستقيم وبما خالف شهواتهم واهواءهم وهو التوحيد والاسلام
ولم يجدوا له مردا ومدفعا فلذلك نسبوه الى الجنون واكثرهم للحق كارهون وفيه دليل على ان اقلهم ما كان كارها للحق
بل كان تاركا للايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صباء وترك دين ابائه كابى طالب ولو اتبع الحق
اى الله اهواءهم فيما يعتقدونه من الالهة لفسدت السموات والارض كما قال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ومن فيهن

خفض

خفض العقلاء بالذكر لان غيرهم تبع بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذى هو ذكرهم اى وعظهم او شرفهم لان الرسول
منهم والقران بلغتهم او بالذكر الذى كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين الاية فهم عن ذكرهم معرضون
بسوء اختيارهم ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير حجازى وبصرى وعاصم خرجا فخرج شامى خراجا فخراج على وحمزة
وهو ما يخرجه الى الامام من زكوة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله والخرج اخص من الخراج يقول خراج الكردة
من زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولهذا حسنت القراءة الاولى يعنى ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق
مال كثير من عطاء الخالق خير وهو خير الرازقين افضل المعطين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام
فحقيق ان يستجيبوا وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط
المستقيم ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر لما اخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول
الله ص م فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف
والابناء بالجوع فنزلت الاية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذى اصابهم برحمته عليهم ووجدوا
الخصب للجوا لتمادوا في طغيانهم يعمهون يترددون يعنى لعادوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله
والمؤمنين لذهب عنهم هذا التملق بين يديه ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون استشهد
على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت بعد ذلك
منهم استكانة اى خضوع ولا تضرع وقوله وما يتضرعون عبارة عن دوام حالهم اى وهم على ذلك بعد ولذا لم يقل
وما تضرعوا ووزن استكان استفعل من الكون اى انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال
حتى اذا فتحنا فتحنا يزيد عليهم بابا ذا عذاب شديد اى باب الجوع الذى هو اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه
مبلسون متحيرون ايسون من كل خير وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة
من القتل والجوع فما روى فيهم ابو معاذة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم
الساعة يبلس المجرمون وهو الذى انشا لكم السمع والابصار والافئدة خصها بالذكر لانه يتعلق بها من المنافع
الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها قليلا ما تشكرون اى تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى
حقا والمعنى انكم لم تعرفوا عظم هذه النعم وضيعتموها عن مواضعها فلم تعملوا ابصاركم واسماعكم في ايات الله وافعاله
ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم ولا تشركوا به شيئا وهو الذى ذراكم خلقكم وبثكم بالتناسل في الارض واليه
تحشرون تجمعون في القيامة بعد تفرقكم وهو الذى يحيى ويميت اى يحيى النسم بالانشاء ويميتها بالافناء
وله اختلاف الليل والنهار اى يجئ احدهما عقيب الاخر او اختلافهما في الظلمة والنور او في الزيادة والنقصان وهو
مختص به ولا يقدر على تصريفهما غيره افلا تعقلون فتعرفوا قدرتنا على البعث او فتستدلوا بالصنع على الصانع

فتؤمنوا بل قالوا اى اهل مكة مثل ما قال الاولون اى الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله قالوا ائذا متنا وكنا ترابا
وعظاما ائنا لمبعوثون متنا نافع وحمزة وعلى وحفص لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا اى البعث من قبل من قبل
محمد عم ان هذا الا اساطير الاولين جمع اسطار جمع سطر وهى ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة
اوفق ثم امر نبيه عم باقامة الحجة على المشركين بقوله قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون فانهم سيقولون لله
لانهم مقرون بانه الخالق فاذا قالوها قل افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها كان قادرا على اعادة
الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه فى الربوبية افلا تذكرون بالتخفيف حمزة وعلى وحفص وبالتشديد
غيرهم قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون افلا تخافونه فلا يشركوا به
او افلا يتقون فى جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الاشياء قل من بيده ملكوت
كل شئ الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة فينبئ عن عظم الملك وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون
اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعنى وهو يغيث من يشاء ولا يغيث احد منه احدا سيقولون
الله قل فانى تسحرون تخدعون عن الحق وعن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى الاول لله بالاجماع
اذ السؤال لمن وكذا الثانى والثالث عند غير اهل البصرة على المعنى لانك اذا قلت من رب هذا فمعناه لمن هذا
فيجاب لفلان كقول الشاعر اذا قيل من رب المزالف والقرى ورب الجياد الجرد قيل لخالد اى لمن المزالف ومن
قراء بحذف فعلى الظاهر لانك اذا قلت من رب هذا فجوابه فلان بل اتيناهم بالحق بان نسبة الولد اليه محال
والشريك باطل وانهم لكاذبون فى قولهم اتخذ الله ولدا وادعائهم الشريك ثم اكذبهم بقوله ما اتخذ الله من ولد
لانه منزه عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه وما كان معه من اله وليس معه شريك فى الالوهية اذا لذهب
كل اله بما خلق لانفرد كل واحد من الالهة بالذى خلقه واستبد به ولتميز ملك كل واحد منهم عن الاخر ولعلا
بعضهم على بعض ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا
اثرا لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شئ ولا يقال اذن لا يدخل الا على كلام هو جزاء
وجواب وههنا وقع لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لان الشرط محذوف تقديره ولو كان
معه الهة لذلوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن حاجه من المشركين سبحان الله عما يصفون من الانداد
والاولاد عالم بالجر صفة لله وبالرفع مدنى وكوفى غير حفص خبر مبتدا محذوف الغيب والشهادة السر والعلانية
فتعالى عما يشركون من الاصنام وغيرها قل رب اما تريني ما يوعدون ما والنون موكدتان اى ان كان لابد من
ان تريني ما يعدهم من العذاب فى الدنيا او فى الاخرة رب فلا تجعلني فى القوم الظالمين اى فلا تجعلني قرينا لهم
ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبره الله ان له فى امته نقمة ولم يخبره بوقتها فامره ان يدعو بهذا الدعاء ويجوز ان يسال

النبى

النبى المعصوم ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واستغفاره
اذا قام من مجلسه سبعين مرة لذلك والفاء فى فلا لجواب الشرط ورب اعتراض بينهما للتاكيد وانا على ان نريك
ما نعدهم لقادرون كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم
فما وجه هذا الانكار ادفع بالتى هى احسن السيئة هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من
التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى اصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان وعن ابن
عباس هى شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك او الفحش بالسلام او المنكر بالموعظة وقيل هى منسوخة
باية السيف وقيل محكمة اذ المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين نحن اعلم بما يصفون من الشرك
او بوصفهم لك وسوء ذكرهم فنجازيهم عليه وقل اعوذ بك من همزات الشياطين من وساوسهم ونخساتهم
والهمز النخس والهمزات جمع الهمزة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يهمزون الناس على المعاصى
كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشى واعوذ بك رب ان يحضرون امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل
المرتبة المكرر لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا او عند تلاوة القران او عند النزع حتى اذا جاء احدهم الموت
حتى يتعلق بيصفون اى لا يزالون يشركون الى وقت مجئ الموت او لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت
وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله
عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم قال رب ارجعون ردونى الى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب
الملوك لعلى اعمل صالحا فيما تركت فى الموضع الذى تركت وهو الدنيا لانه ترك الدنيا وصار الى العقبى قال قتادة
ما تمنى ان يرجع الى اهل ولا الى عشيرة ولكن ليتدارك ما فرط لعلى ساكنة الياء كوفى وسهل ويعقوب كلا
ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد انها كلمة المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض
وهو قوله رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة
والندم عليه ومن ورائهم اى امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا الى يوم يبعثون
ولم يرد انهم يرجعون الى الدنيا يوم البعث وانما هو اقناط كلى لما علم ان لا رجوع بعد البعث الا الى الاخرة فاذا
نفخ فى الصور قيل انها النفخة الثانية فلا انساب بينهم يومئذ وبالادغام ابو عمرو لاجتماع المثلين وان كانا
من كلمتين يعنى يقطع التقاطع بينهم حيث يتفرقون متباينين ومعاقبين ولا يكون التواصل بينهم بالانساب
اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وانما يكون بالاعمال ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون
فى الدنيا لان كلا مشغول عن سؤال صاحبه بحاله ولا تناقض بين هذا وبين قوله واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون فللقيامة مواطن ففى موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون وفى موطن يفيقون فيتساءلون

فمن ثقلت موازينه جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله تع من قوله
فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه بالسيئات والمراد الكفار فاولئك
الذين خسروا انفسهم غبنوها في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة
لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتداء محذوف تلفح اي تحرق وجوههم النار وهم فيها كالحون عابسون
فيقال لهم الم تكن اياتي اي القران تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون وتزعمون انها ليست من الله قالوا
ربنا غلبت علينا اي ملكتنا شقوتنا شقاوتنا حمزة وعلي وكلاهما مصدر اي شقينا باعمالنا السيئة التي
عملناها وقول اهل التاويل غلبت علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصح لانه انما يكتب ما يفعل العبد
وما يعلم انه يختاره ولا يكتب غير الذي علم انه يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل وهذا لانهم انما يقولون
ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التفريط في امر فلا يحتمل ان يطلبوا لانفسهم عذرا فيما كان منهم وكنا قوما
ضالين عن الحق والصواب ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى الكفر والتكذيب فانا ظالمون لانفسنا
قال اخسئوا فيها اسكتوا سكوت ذلة وهوان ولا تكلمون في رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف قيل
هو اخر كلام يتكلمون به ثم كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير ان يحضرون لي رجعون ولا تكلمون بالياء
في الوصل والوقف يعقوب وغيره بلا ياء انه ان الامر والشان كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا
وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا مفعول ثان وبالضم مدني وحمزة وعلي وكلاهما مصدر سخر
كالسخر الا ان في ياء النسبة مبالغة قيل هم الصحابة رضي الله عنهم وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم
هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اي كان التشاغل بهم
سببا لنسيانكم ذكري وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا بصبرهم انهم اي لانهم هم
الفائزون ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا اي جزيتهم اليوم فوزهم الزجري يتعدى الى اثنين وجزاهم
بما صبروا جنة انهم حمزة وعلي على الاستيناف اي انهم هم الفائزون لا انتم قال اي الله او المامور بسؤالهم
من الملائكة قل مكي وحمزة وعلي امر للملك ان يسالهم كم لبثتم في الارض الدنيا عدد سنين اي كم عدد سنين لبثتم
فكم نصب بلبثتم وعدد بكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم
ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة فاسئل العادين الحساب
او الملائكة الذين يعدون اعمار العباد واعمالهم فسل بلا همز مكي وعلي قال ان لبثتم الا قليلا اي ما لبثتم الا زمنا
قليلا او لبثا قليلا لو انكم كنتم تعلمون صدقهم الله تع في مقالهم لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها
قال ان حمزة وعلي افحسبتم انما خلقناكم عبثا حال اي عابثين او مفعول له اي للعبث وانكم الينا لا ترجعون

وبفتح

وبفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلي ويعقوب وهو معطوف على انما خلقناكم او على عبثا اي للعبث ولترككم
غير مرجوعين بل خلقناكم للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء فتعالى
الله عن ان يخلق عبثا الملك الحق الذي يحق له الملك لا اله الا هو رب العرش الكريم وصف العرش بالكرم لان الرحمة
تنزل منه او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ شاذا برفع الكريم صفة للرب ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان
اي لا حجة له اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه او صفة
لكرمه جيء بها للتوكيد كقوله يطير بجناحيه لان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان له فانما حسابه
اي جزاؤه وهذا جزاء الشرط عند ربه اي فهو يجازيه لا محالة انه لا يفلح الكافرون جعل فاتحة السورة قد افلح
المؤمنون وخاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله
وقل رب اغفر ثم قال وانت خير الراحمين لان رحمته اذا ادركت احدا اغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه
عن رحمته سورة النور مكية وهي اربع وستون اية بسم الله الرحمن الرحيم
سورة خبر مبتداء محذوف اي هذه سورة انزلناها صفة لها وقراءة طلحة سورة على زيد اضمر تبيّنا او على اتل
سورة والسورة الجامعة لجملة ايات بفاتحة لها وخاتمة واشتقاقها من سور المدينة وفرضناها اي فرضنا احكامها
التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها مقطوعا وبالتشديد مكي وابو عمرو للمبالغة في الايجاب وتوكيده
او لان فيها فرائض شتى او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم وانزلنا فيها ايات بينات اي
دلائل واضحات لعلكم تذكرون لكي تتعظوا وبتخفيف الذال حمزة وعلي وحفص وضمن ثم فصل احكامها
فقال الزانية والزاني ورفعهما على الابتداء والخبر محذوف اي فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما او الخبر
فاجلدوا ودخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما
كما يقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقراءة عيسى
بن عمر بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة الجلد ضرب الجلد وفيه اشارة الى انه لا يبالغ ليصل الالم الى اللحم والخطاب للائمة لان اقامة الحد
من الدين وهي على الكل الا انهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الامام منابهم وهذا حكم حر ليس بمحصن اذ حكم المحصن
الرجم وشرائط احصان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والتزويج بنكاح صحيح والدخول وهذا دليل
على ان التغريب غير مشروع لان الفاء انما يدخل على الجزاء وهو اسم للكافي والتغريب المروي منسوخ بالاية
كما نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فاذوهما بهذه الاية ولا تاخذكم بهما رافة رحمة
والفتح لغة وهو قراءة مكي وقيل الرافة في دفع المكروه والرحمة في ايصال المحبوب والمعنى ان الواجب على المؤمنين

ان يتصلبوا في دين الله ولا يأخذهم اللين في استيفاء حدوده فيعطلوا الحدود او يخففوا الضرب في دين الله اي
في طاعته او حكمه ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط
مضمر اي فاجلدوا ولا تعطلوا الحد وليشهد عذابهما وليحضر موضع حدهما وتسميته عذابا دليل على انه عقوبة
طائفة فرقة يمكن ان تكون حلقة ليعتبروا ويتزجروا واقلها ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول
الشيء وعن ابن عباس اربعة الى اربعين رجلا من المؤمنين من المصدقين بالله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اي الخبيث الذي من شانه الزنى لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب
في خبيثة من شكله او في مشركة والخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وانما يرغب فيها من هو
من شكلها من الفسقة او المشركين فالاية تزهيد في نكاح البغايا اذ الزنا عديل الشرك في القبح والايمان قرين
العفاف والتحصن وهو نظير قوله الخبيثات للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرما في اول الاسلام ثم نسخ بقوله
وانكحوا الايامى منكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لان غير الزاني يستقذر الزانية ولا يشتهيها وهو صحيح ولكنه
يفضي الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وسئل النبي عم عمن زنى بامراة ثم تزوجها
فقال اوله سفاح واخره نكاح ومعنى الجملة الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفايف ولكن في الفواجر
ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان وقدمت الزانية
على الزاني اولا لان تلك الاية سيقت لعقوبتهما على ما جنيا والمراة هي المادة التي نشأت تلك الجناية لانها لو لم تطمع
الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدئ بذكرها واما الثانية فمسوقة
لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه الخاطب ومنه يبدأ الطلب وقرئ لا ينكح بالجزم على النهي وفي المرفوع ايضا معنى
النهي ولكن ابلغ واكد ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المومن ان لا يدخل نفسه
تحت هذه العادة ويتصون منها وحرم ذلك على المؤمنين اي الزنا او نكاح البغايا لقصد التكسب بالزنا او لما فيه
من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهم والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة ومجالسة الخاطئين كم فيها من التعرض
لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب والذين يرمون المحصنات وبكسر الصاد علي اي يقذفون بالزنا
الحرائر العفايف المسلمات المكلفات والقذف يكون بالزنا وبغيره والمراد هنا قذفهن بالزنا بان يقول يا زانية
لذكر المحصنات عقيب الزواني ولاشتراط اربع شهداء بقوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء اي ثم لم ياتوا باربعة شهود
يشهدون على الزنا لان القذف بغير الزنا بان يقول يا فاسق يا آكل الربوا يكفي فيه شاهدان وعليه التعزير وشروط
احصان القذف الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والعفة عن الزنا والمحصن كالمحصنة في وجوب حد القذف فاجلدوهم
ثمانين جلدة ان كان القاذف حرا ونصب ثمانين نصب المصادر كانصب مائة جلدة وجلدة نصب على التمييز ولا تقبلوا لهم

شهادة

شهادة ابدا نكر شهادة في موضع النفي فتعم كل شهادة ورد الشهادة من الحد عندنا يتعلق باستيفاء الحد او بعضه على ما عرف
وعند الشافعي يتعلق رد شهادته بنفس القذف فعندنا جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة على التابيد
وهو مدة حيوتهم واولئك هم الفاسقون كلام مستانف غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين
عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية وقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك اي القذف واصلحوا احوالهم استثناء
من الفاسقين ويدل عليه فان الله غفور رحيم اي يغفر ذنوبهم ويرحمهم وحق الاستثناء ان يكون منصوبا فهذا
لانه عن موجب وعند من جعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم ما ذكر حكم
قذف الاجنبيات وهذا بيان حكم الزوجات فقال والذين يرمون ازواجهم اي يقذفون زوجاتهم بالزنا
ولم يكن لهم شهداء اي لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به الا انفسهم رفع على البدل من شهداء
فشهادة احدهم اربع بالرفع كوفي غير ابي بكر على انه خبر والمبتدا فشهادة احدهم وغيرهم بالنصب لانه في حكم
المصدر بالاضافة الى المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم وعلى هذا خبره محذوف تقديره
فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا والخامسة لا خلاف في رفع
الخامسة هنا في المشهور والتقدير والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه فهو مبتدا وخبره ان كان من الكاذبين
فيما رماها به من الزنا ويدرؤا عنها العذاب ويدفع عنها الحبس وفاعل يدرا ان تشهد اربع شهادات بالله انه
اي الزوج لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا والخامسة ان غضب الله عليها ان كان اي الزوج من الصادقين
فيما رماني من الزنا نصب حفص الخامسة عطفا على اربع وغيره رفعها بالابتداء وان غضب الله هو خبره وخفف
نافع ان لعنة الله وان غضب الله بكسر الضاد وهما في حكم المثقلة وان غضب الله سهل ويعقوب وخص الغضب
في جانبها لان النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث وربما يجترين على الاقدام لكثرة جري اللعن على السنتهن
وسقوط وقعه عن قلوبهن فذكر الغضب في جانبهن ليكون رادعا لهن والاصل ان اللعان عندنا شهادات موكدات
بالايمان مقرونة باللعن قائمة مقام حد القذف في حقه ومقام حد الزنا في حقها لان الله تعالى سماه شهادة فاذا قذف
الزوج زوجته بالزنا وهما من اهل الشهادة صح اللعان بينهما واذا التعنا كما بين في النص لا تقع الفرقة حتى يفرق
القاضي بينهما وعند زفر يقع الفرقة بتلاعنهما والفرقة تطليقة باينة وعند ابي يوسف وزفر والشافعي فهي
تحريم ونزلت اية اللعان في هلال بن عويمر حيث قال وجدت على بطن امراتي خولة بنت عاصم شريك بن سحماء
فكذبته فلاعن النبي عم بينهما ولولا فضل الله تفضله عليكم ورحمته نعمته وان الله تواب حكيم جواب محذوف
اي لفضحكم او لعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاءوا بالافك هو ابلغ ما يكون من الكذب واصله الافك وهو القلب
لانه قول مافوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها قالت عائشة فقدت عقدا في غزوة بني

المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلو الهودج لخفتي فلما ارتحلوا اناخ لي صفوان بن المعطل بعيره وساقه حتى اتاهم
بعد ما نزلوا فهلك في من هلك فاعتللت شهرا وكان ع م يسال كيف انت ولا ارى منه لطفا كنت اراه حتى عثرت
خالة ابي ام مسطح فقالت تعس مسطح فانكرت عليها فاخبرتني بالافك فلما سمعت ازددت مرضا وبت عند ابوي
لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم وهما يظنان ان الدمع فالق كبدي حتى قال ع م ابشري يا حميراء فقد انزل الله براءتك
فقلت بحمد الله لا بحمدك عصبة جماعة من العشرة الى الاربعين واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي راس
النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم منكم من جماعة المسلمين
وهم ظنوا ان الافك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين لا تحسبوه اي الافك شرا لكم عند الله بل هو خير لكم
لان الله اثابكم عليه وانزل في البراءة عليه ثماني عشرة آية والخطاب لرسول الله وابي بكر وعائشة وصفوان ومن ساءه
ذلك من المؤمنين لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي على كل امرئ من العصبة جزاء اثمه على مقدار خوضه فيه وكان
بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت والذي تولى كبره اي عظمه والذي تولاه عبد الله بن ابي منهم له عذاب
عظيم اي جهنم يحكى ان من العصبة صفوان من يقود جملها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة
فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها ثم وبخ الخائضين فقال لولا هلا اذ سمعتموه اي الافك ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم بالذين منهم فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله ولا تلمزوا انفسكم خيرا عفافا وصلاحا
وذلك نحو ما يروى ان عمر رض قال لرسول الله ع م انا قاطع بكذب المنافقين لان الله عصمك عن وقوع الذباب
على جلدك لانه يقع على النجاسات ليتلطخ بها فلما عصمك عن ذلك القدر فكيف لا يعصمك عن صحبة من تكون
متلطخة بمثل هذه الفاحشة وقال عثمان رض ايضا ان الله ما اوقع ظلك على الارض لئلا يضع انسان قدمه
على ذلك الظل فلما لم يمكن احدا من وضع القدم على ظلك كيف يمكن احدا من تلويث عرض زوجتك وكذا قال علي رض
ان جبرئيل اخبرك ان على نعلك قذرا وامرك باخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القذر فكيف لا يامرك
باخراجها بتقدير ان يكون متلطخة بشيء من الفواحش وروي ان ابا ايوب الانصاري قال لامراته الا ترين ما يقال
فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرم رسول الله سوءا قال لا قال ولو كنت انا بدل عائشة قالت ما خنت
رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل ظننتم
بانفسكم خيرا وقلتم ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليدل التصريح بلفظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضي
ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به
والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيعه باخوات وقالوا هذا افك مبين كذب ظاهر لا يليق بهما
لولا جاءوا عليه باربعة شهداء هلا جاءوا على القذف لو كانوا صادقين باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء الاربعة

فاولئك

فاولئك عند الله اي في حكمه وشريعته هم الكاذبون اي القاذفون لان الله تع جعل التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب
ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة لم يكن لهم بينة على قولهم وكانوا كاذبين ولولا فضل
الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره
بخلاف ما تقدم اي ولولا اني قضيت ان الفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة
وان اترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما افضتم فيه من حديث الافك يقال افاض
في الحديث وخاض واندفع اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه باخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقفه بالسنتكم
اي ان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه
وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم انما قيد بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم لان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب
ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا اي خوضكم في عائشة هينا صغيرة وهو عند الله عظيم كبيرة وجزع
بعضهم عند الموت فقيل له في ذلك فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم ولولا وهلا اذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا فصل بين لولا وقلتم بالظرف لان للظروف شانا وهو تنزلها من الاشياء
منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها وفائدة تقديم الظرف انه كان
الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم قدم والمعنى هلا وقلتم
اذ سمعتم الافك ما يصح لنا ان نتكلم بهذا سبحانك للتعجب من عظم الامر ومعنى التعجب في كلمة التسبيح ان الاصل
ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى يستعمل في كل متعجب منه او لتنزيه الله من ان يكون حرم نبيه
فاجرة وانما جاز ان يكون امرأة النبي ع م كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة لان النبي ع م مبعوث
الى الكفار ليدعوهم فيجب ان لا يكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات
هذا بهتان زور يبهت من يسمع عظيم وذكر فيما تقدم هذا افك مبين فيجوز ان يكونوا امروا بهما مبالغة
في التبري يعظكم الله ان تعودوا اي في ان تعودوا او المثله لمثل هذا الحديث من القذف واستماع حديثه ابدا ما دمتم
احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الايمان الصاد عن كل
قبيح ويبين الله لكم الآيات الدلالات الواضحات او الاحكام والشرايع والآداب الجميلة والله عليم بكم وباحوالكم
حكيم يجزي على وفق اعمالكم او علم صدق نزاهتها وحكم براءتها ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة اي ما قبح جدا
والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة ومحبة لها في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا بالحد وقد
ضرب النبي ع م عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا الحد والآخرة بالنار وغيرها والله يعلم بواطن الامور وسرايرها

الصدور وانتم لا تعلمون اى انه قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه عليها ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لعجل لكم العذاب وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة في المنة عليهم والتوبيخ لهم وان
الله رءوف حيث اظهر براءة المقذوف واثاب رحيم بغفرانه جناية القاذف اذا تاب يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان اى اثاره ووساوسه بالاصغاء الى الافك والقول ومن يتبع خطوات الشيطان فانه فان
الشيطان يامر بالفحشاء بما افرط قبحه والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه ولولا فضل الله
عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد اخر الدهر
من دنس اثم الافك ولكن الله يزكى من يشاء يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها والله سميع لقولهم
عليم بضمائرهم واخلاصهم ولا ياتل ولا يحلف من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو اولوا
الفضل منكم في الدين والسعة في الدنيا ان يؤتوا اى على ان لا يؤتوا ان كان من الالية اولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله
اى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء
لجناية اقترفوها وليعفوا وليصفحوا العفو الستر قال م ان الله عفو يحب العفو والصفح الاعراض اى وليتجاوزوا
عن الجناية وليعرضوا عن العقوبة الا تحبون ان يغفر الله لكم فليفعلوا بهم ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة
خطاياهم والله غفور رحيم فتادبوا بادب الله واغفروا وارحموا نزلت في ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف
ان لا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه في عايشة رضى الله عنها وكان مسكينا بدريا مهاجرا ولما قراها النبى م على ابى بكر
قال بلى احب ان يغفر الله لى ورد الى مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات العفايف الغافلات السليمات الصدور
النقيات اللاتى ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور المؤمنات بما يجب الايمان به عن ابن عباس رض هن
ازواجه عليه السلام وقيل هن جميع المؤمنات اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب وقيل اريدت عايشة
وحدها وانما جمع لان من قذف واحدة من نساء النبى م فكانه قذفهن لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب
عظيم جعل القذفة ملعونين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الاخرة ان لم يتوبوا والعامل في يوم تشهد
عليهم يعذبون وبالياء حمزة وعلى السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون اى بما افكوا وبهتوا والعامل في يومئذ
يعذبون يوفيهم الله دينهم الحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء اى يوفيهم جزاءهم الحق الثابت الذى هم اهله
وقراه مجاهد بالرفع صفة لله كقراءة ابى يوفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز ان يكون الحق وصفا
لله بان ينتصب على المدح ويعلمون عند ذلك ان الله هو الحق المبين لانقطاع الشكوك وحصول العلم الضرورى
ولم يغلظ الله تعالى في القران في شىء من المعاصى تغليظه في افك عايشة فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل
واكد وكرر وما ذلك الا لامر وعن ابن عباس من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عايشة رض

وهذا

وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله تعالى اربعة باربعة برأ يوسف م بشاهد من اهلها وموسى م
من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعايشة بهذه الآى العظام في كتابه المعجز المتلو
على وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذلك الا لاظهار علو منزلة رسوله والتنبيه
على انافة محله صلى الله عليه وعلى اله الخبيثات من القول يقال للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون
للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤون مما يقولون اى فيهم واولئك اشارة
الى الطيبين وانهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعايشة رضى الله عنها
وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤون
مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اى الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث
وكذلك اهل الطيب لهم مغفرة للطيبين مستانف او خبر بعد خبر ورزق كريم في الجنة ودخل ابن عباس على
عايشة في مرضها وهى خايفة من القدوم على الله فقال لا تخافى فانك لا تقدمين الا على مغفرة ورزق كريم وتلا
الاية فغشى عليها فرحا بما تلا وقالت عايشة رض لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة نزل جبرئيل بصورتى في راحته
حين امر عليه السلام ان يتزوجنى ولقد تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى وتوفى عليه السلام وراسه في حجرى وقبره
في بيتى وينزل عليه الوحى وانا في لحافه وانا ابنة خليفته وصديقه ونزل عذرى من السماء وخلقت طيبة عند
طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما وقال حسان رضى الله عنه معتذرا في حقها حصان رزان ما تزن بريبة • وتصبح غرثى
من لحوم الغوافل • حليلة خير الناس دينا ومنصبا • نبى الهدى والمكرمات الفواضل • عقيلة حى من لوى بن
غالب • كرام المساعى مجدها غير زائل • مهذبة قد طيب الله خيمها • وطهرها من كل شين وباطل • يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم اى بيوتا لستم تملكونها ولا تسكنونها حتى تستانسوا تستاذنوا من ابن عباس رض
وقد قرئ به والاستيناس في الاصل الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشىء اذا ابصره ظاهرا
مكشوفا اى حتى تستعلموا ايطلق لكم الدخول ام لا وذلك بتسبيحة او تكبيرة او تحميدة او تنحنح وتسلموا على اهلها
والتسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع وقيل ان تلاقيا يقدم التسليم و
الا فالاستيذان ذلكم اى الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن
وكان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب
الرجل مع امراته في لحاف واحد لعلكم تذكرون اى قيل لكم هذا لكى تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب
الاستيذان فان لم تجدوا فيها في البيوت احدا من الاذنين فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى تجدوا من ياذن لكم
او فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها لان التصرف في ملك الغير لا بد

من ان يكون برضاه وان قيل لكم ارجعوا اى اذا كان فيها قوم فقالوا ارجعوا فارجعوا ولا تلحقوا فى اطلاق
الاذن ولا تلحقوا فى اطلاق الاذن ولا تلجوا فى تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب لان هذا مما يجلب الكراهة
ويقدح فى قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوى مروة ومرتاضين بالاداب الحسنة واذا نهى عن ذلك لادايه
الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما ادى اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك وعن
ابى عبيد ما قرعت بابا على عالم قط هو ازكى لكم اى الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور
والبعد عن الريبة او انفع وانمى خيرا والله بما تعملون عليم وعيد للمخاطبين بانه عالم بما ياتون وما يذرون
مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا اى ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة استثنى من
البيوت التى يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها كالخانات والربط وحوانيت التجار فيها متاع لكم
اى منفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرجال والسلع والشرى والبيع وقيل الخربات يتبرز فيها
والمتاع التبرز والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل
الريبة قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم من للتبعيض والمراد غض البصر عما لا يحل والاقتصار به على ما يحل
ويحفظوا فروجهم عن الزنى ولم يدخل من هنا لان الزنى لا رخصة فيه بوجه ويجوز النظر الى وجه الاجنبية
وكفيها وقدميها فى رواية والى راس المحارم والصدر والساقين والعضدين ذلك اى غض البصر وحفظ
الفرج ازكى لهم اى اطهر من دنس الاثم ان الله خبير بما يصنعون فيه ترغيب وترهيب يعنى انه خبير باحوالهم
وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم ويعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه
على تقوى وحذر فى كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن امرن بغض الابصار
فلا يحل للمراة ان تنظر من الاجنبى الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها راسا ولا تنظر الى المراة الا
الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى بها وانما قدم غض الابصار على حفظ الفروج لان النظر بريد
الزنى ورايد الفجور فبذر الهوى طموح العين ولا يبدين زينتهن الزينة ما تزينت به المراة من حلى او كحل او خضاب
والمعنى ولا يظهرن مواضع الزينة اذ اظهار عين الزينة وهى الحلى ونحوها مباح فالمراد بها مواضعها او اظهارها وهى
فى مواضعها لا اظهارها اعيانها ومواضعها الراس والاذن والعنق والصدر والعضد والذراع والساق فهى للاكليل
والقرط والقلادة والوشاح والدملج والسوار والخلخال الا ما ظهر منها اى الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره وهو
الوجه والكفان والقدمان ففى سترها حرج بين فان المراة لا تجد بدا من مناولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف
وجهها خصوصا فى الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشى فى الطرقات بظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن
وليضربن وليضعن من قولك ضربت بيدى على الحائط اذا وضعتها عليه بخمرهن جمع خمار على جيوبهن بضم الجيم مدنى

وبصرى

وبصرى وعاصم كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة
فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى تغطيها ولا يبدين زينتهن اى مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والراس
ونحوها الا لبعولتهن لازواجهن جمع بعل او ابائهن ويدخل فيهم الاجداد او اباء بعولتهن فقد صار المحارم ايضا
او ابنائهن ويدخل فيهم النوافل او ابناء بعولتهن فقد صاروا محارم ايضا او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن
ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالاعمام والاخوال وغيرهم دلالة او نسائهن اى الحرائر لان مطلق هذا اللفظ
يتناول الحرائر او ما ملكت ايمانهن اى اماؤهن ولا يحل لعبدها ان ينظر الى هذه المواضع منها خصيا كان او فحلا وقال
سعيد بن المسيب رحمه الله لا يغرنكم سورة النور فانها فى الاماء دون الذكور وهذا هو الصحيح وعن عائشة انها
اباحت النظر اليها لعبدها او التابعين غير بالنصب شامى ويزيد وابو بكر على الاستثناء او الحال وغيرهم بالجر
على البدل او على الوصفية اولى الاربة الحاجة الى النساء قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم
الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء والعنين او الخصى او المخنث وفى الاثر انه المجبوب
والاول الوجه من الرجال حال او الطفل الذين هو جنس فصلح ان يراد به الجمع لم يظهروا على عورات النساء اى لم يطلعوا
لعدم الشهوة من ظهر على الشئ اذا اطلع عليه او لم يبلغوا اوان القدرة على الوطى من ظهر على فلان اذا قوى عليه وقدر
عليه ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المراة تضرب الارض برجلها اذا مشت لتسمع قعقعة
خلخالها فتعلم انها ذات خلخال فنهين عن ذلك اذ اسماع صوت الزينة كاظهارها ومنه سمى صوت الحلى وسواسا
وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون ايه شامى اتباعا للضمة قبلها بعد حذف الالف لالتقاء الساكنين وغيره على فتح
الهاء لان بعدها الفا فى التقدير لعلكم تفلحون العبد لا يخلو عن سهو وتقصير فى اوامره ونواهيه وان اجتهد
فلذا وصى المؤمنين جميعا بالتوبة وبتاميل الفلاح اذا تابوا وقيل احوج الناس الى التوبة من توهم انه ليس له حاجة
الى التوبة فظاهر الاية يدل على ان العصيان لا ينافى الايمان وانكحوا الايامى منكم الايامى جمع ايم وهو من لا زوج له رجلا
كان او امراة بكرا كان او ثيبا واصله ايايم فقلب والصالحين اى المتقين او المؤمنين والمعنى زوجوا من تايم منكم
من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من عبادكم وامائكم اى من غلمانكم وجواريكم والامر للندب اذ النكاح مندوب
اليه ان يكونوا فقراء من المال يغنهم الله من فضله بالكفاية والقناعة او باجتماع الرزقين وفى الحديث التمسوا الرزق
بالنكاح وعن عمر رضه مثله والله واسع غنى ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
وقيل فى الاية دليل على ان تزويج النساء والايامى الى الاولياء كما ان تزويج العبيد والاماء الى الموالى قلنا الرجل
لا يلى على الرجل الا باذنه وكذا لا يلى على المراة الا باذنها لان الايم ينتظمهما وليستعفف الذين وليجتهد فى العفة
كان المستعفف طالب من نفسه العفاف لا يجدون نكاحا استطاعة تزوج من المهر والنفقة حتى يغنيهم الله من فضله

حتى يقدرهم على المهر والنفقة قال عليه السلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض
للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء فانظر كيف رتب هذه الاوامر فامر اولا بما يعصم
من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين المغني عن الحرام ثم بعزف النفس
الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يقدر عليه والذين يبتغون الكتاب مما ملكت
ايمانكم اى المماليك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء او منصوب بفعل يفسره فكاتبوهم وهو الذي
ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول لمملوكه كاتبتك على الف درهم
فان اديتها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك ان تفى بذلك او كتبت
عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لاطلاق الامر ان علمتم فيهم خيرا
قدرة على الكسب او امانة او ديانة والندبية متعلقة بهذا الشرط واتوهم من مال الله الذى اتيكم امر للمسلمين على وجه
الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة لقوله تع وفى الرقاب وعند الشافعى رح معناه حطوا من بدل
الكتابة ربعا وهذا عندنا على وجه الندب والقول الوجه لان الايتاء هو التمليك فلا يقع على الحط سال صبيح مولاه حويطبا
ان يكاتبه فابى فنزلت واعلم ان العبيد اربعة قن مقتنى للخدمة ومأذون فى التجارة ومكاتب وابق فمثال الاول ولى
العزلة الذى حصل العزلة بايثار الخلق وترك العشرة والثانى ولى العشرة فهو بحى الحضرة يخالط الناس للخبرة بنظر
اليهم بالعبرة ويأمرهم بالغيرة وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم ويحكم الله ويأخذ لله ويعطى فى الله ويفهم عن الله ويتكلم
مع الله فالدنيا سوق تجارته والعقل راس بضاعته والعدل فى الغضب والرضاء ميزانه والقصد فى الفقر والغنى عنوانه
والعلم مفزعه ومنجاه والقران كتاب الاذن من مولاه فهو كاين فى الناس بظواهر باين منهم بسرائره فقد هجرهم فيما له
عليهم فى الله باطنا ثم وصلهم فيما لهم عليه لله ظاهرا وما هو منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام يأكل مما يأكلون
ويشرب مما يشربون وما يدريهم انه ضيف الله يرى السموات والارض قايمات بامره فكانه قيل فيه فان تفق الانام
وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال فحال ولى العزلة اصفى واحلى وحال ولى العشرة اوفى واعلى ونزل الاول
من الثانى فى حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزير عند السلطان اما النبى فهو كريم الطرفين ومعدن الشرفين
ومجمع الحالين ومنبع الدلالين فباطن احواله مهتدى ولى العزلة وظاهر احواله مقتدى ولى العشرة والثالث المجاهد
المحاسب العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب فى اليوم والليلة خمس وفى المائتين خمسة وفى السنة شهر
وفى العمر زورة وكانه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فيسعى فى فكاك رقبته خوفا من البقاء فى ربقة العبودية
وطمعا فى فسحة الحرية ليسرح فى رياض الجنة فيتمتع بمناه ويفعل ما يشاء ويهواه والرابع الاباق فما اكثرهم فمنهم
القاضى الجائر والعالم غير العامل والقراء المرائى والواعظ الذى لا يفعل ما يقول ويكون اكثر اقواله الفضول وعلى كل

من لا ينفعه

من لا ينفعه يصول فضلا عن السارق والزانى والغاصب فعنهم اخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان الله ليشطر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم
فى الاخرة ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء كان لابن ابى ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة
يكرههن على البغاء وضرب عليهن الضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة
عن العبد والامة والبغاء الزنا للنساء خاصة وهو مصدر البغى ان اردن تحصنا تعففا عن الزنا وانما قيده بهذا
الشرط لان الاكراه لا يكون الا مع ارادة التحصن فامر المطيعة للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها ولانها نزلت على سبب
فوقع النهى على تلك الصفة وفيه توبيخ بالموالى اى اذا رغبن فى التحصن فانتم احق بذلك لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا
اى لتبتغوا باكراههن على الزنا اجورهن واولادهن ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اى
لهن وفى مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول لهن والله ولعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة وهو
الذى يخاف منه التلف فكانت اثمة او لهم اذا تابوا ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات بفتح الياء حجازى وبصرى
وابو بكر وحماد والمراد الايات التى بينت فى هذه السورة واوضحت فى معانى الاحكام والحدود وجاز ان يكون
الاصل مبينا فيها فاتسع فى الظرف وبكسرها غيرهم اى بينت هى الاحكام والحدود وجعل الفعل لها مجازا او من
بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى عينين ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم
او قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعنى قصة عايشة رض وموعظة ما وعظ به من الايات والمثل
من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا
للمتقين اى هم المنتفعون بها وان كانت موعظة للكل نظيره قوله الله نور السموات والارض مع قوله مثل نوره
ويهدى الله لنوره كقولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات ونور السموات
والارض الحق شبهه بالنور فى ظهوره وبيانه كقوله الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اى من
الباطل الى الحق واضاف النور اليهما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضىء له السموات والارض او
جاز ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اى صفة نوره العجيبة الشان فى الاضاءة
كمشكوة كصفة مشكاة وهى الكوة فى الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب المصباح فى زجاجة فى قنديل
من زجاج شامى انه الزجاجة كانها كوكب درى منسوب بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه
وبالكسر والهمز ابو عمرو وعلى كانه يدرأ الظلام بضوئه وبالضم والهمز ابو بكر وحمزة شبهه فى زهرته باحد الكواكب
الدرارى كالمشترى والزهرة ونحوهما يوقد بالتخفيف حمزة وعلى وابو بكر اى الزجاجة ويوقد بالتخفيف
شامى ونافع وحفص وتوقد بصرى ومكى اى هذا المصباح توقد من شجرة اى ابتداء ثقوبه من زيت شجرة الزيتون
يعنى رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها نبتت فى الارض التى بارك فيها للعالمين وقيل بارك

فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم «م زيتونة» بدل من شجرة نعتها «لا شرقية ولا غربية» اى نبتها بالشام يعنى ليست من المشرق
ولا من المغرب بل فى الوسط منهما وهو الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل ليست من المشرق مما تطلع عليه الشمس
فى وقت شروقها او غروبها بل يصيبها بالغداة والعشى جميعا فهى شرقية غربية «يكاد زيتها» دهنها «يضئ ولو لم تمسسه
نار» وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلالؤه يكاد يضئ من غير نار «نور على نور» اى هذا النور الذى شبه به الحق
نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق بقية مما يقوى النور وهذا لان المصباح
اذا كان فى مكان متضايق كالمشكاة كان اجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل اعون
شئ على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وضرب المثل يكون بدنى محسوس معهود لعلى غير معاين ولا مشهور
فابو تمام لما قال فى المامون اقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم احنف فى ذكاء اياس قيل له ان الخليفة فوق من مثلتهم
فقال مرتجلا لا تنكروا واضربى له من دونه مثلا شرودا فى الندا والباس فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة
والنبراس «يهدى الله لنوره» اى لهذا النور الثاقب «من يشاء» من عباده اى يوفق لاصابة الحق من يشاء من عباده
بالهام من الله وبنظره فى الدليل «ويضرب الله الامثال للناس» تقريبا الى افهامهم ليعتبروا فيؤمنوا «والله بكل شئ
عليم» فيبين كل شئ بما يمكن ان يعلم به وقال ابن عباس مثل نوره اى مثل نور الله الذى هدى به المؤمن وقرأ ابن
مسعود مثل نوره فى قلب المؤمن كمشكوة وقرأ ابى مثل نور المومن «فى بيوت» يتعلق بمشكاة اى كمشكوة فى بعض
بيوت الله وهى المساجد كانه قيل مثل نوره كما ترى فى المسجد نور المشكاة التى من صفتها كيت وكيت او بتوقد اى توقد
فى بيوت او بيسبح اى يسبح له رجال فى بيوت وفيها تكرير فيه توكيد نحو زيد فى الدار جالس فيها او بمحذوف اى سبحوا
فى بيوت «اذن الله» اى امر «ان ترفع» تبنى كقوله بناها رفع سمكها فسويها واذ يرفع ابراهيم القواعد او تعظم من الرفعة
وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم «ويذكر فيها اسمه» يتلى فيها كتابه او هو عام فى كل ذكر «يسبح له
فيها بالغدو والاصال» اى يصلى له فيها بالغداة صلوة الفجر وبالاصال صلوة الظهر والعصر والعشاءين وانما وحد الغدو
لان صلوته واحدة وفى الاصال صلوات والاصال جمع اصل جمع اصيل وهو العشى «رجال» فاعل يسبح يسبح شامى وابو بكر
ويسند الى احد الظروف الثلاثة اعنى له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح اى يسبح له «لا تلهيهم» لا تشغلهم
«تجارة» فى السفر «ولا بيع» فى الحضر وقيل التجارة الشرى اطلاقا لاسم الجنس على النوع او خص البيع بعد ما عم لانه اوغل
فى الالهاء من الشرى لان الربح فى البيعة الرابحة يقين وفى الشرى مظنون «عن ذكر الله» باللسان والقلب «واقام الصلوة»
اى وعن اقامة الصلوة التاء فى اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال اذ الاصل اقوام فلما قلبت الواو الفا اجتمع الفان
فحذفت احديهما لالتقاء الساكنين فبقى اقاما فادخلت التاء عوضا عن المحذوف فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام التاء
فاسقطت «وايتاء الزكوة» اى وعن ايتاء الزكوة والمعنى لا تجارة لهم حتى تلهيهم كاولياء العزلة او يبيعون ويشترون

ويذكرون

ويذكرون الله مع ذلك واذا حضرت الصلوة قاموا اليها غير متثاقلين كاولياء العشرة «يخافون يوما» اى يوم القيمة
ويخافون حال من الضمير فى تلهيهم او صفة اخرى لرجال «تتقلب فيه القلوب» ببلوغها الى الحناجر «والابصار» بالشخوص
والزرقة او تقلب القلوب الى الايمان بعد الكفران والابصار الى العيان بعد الطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد «ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله» اى يسبحون ويخافون ليجزيهم الله احسن جزاء
اعمالهم اى ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلا «والله يرزق من يشاء بغير حساب»
اى يثيب من يشاء ثوابا لا يدخل فى حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فاما الذين ضلوا عنه فالمذكورون
بقوله «والذين كفروا اعمالهم كسراب» هو ما يرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة ينسرب على وجه الارض
كانه ماء يجرى «بقيعة» بقاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الارض كجيرة من جار «يحسبه الظمآن» يظنه العطشان
«ماء حتى اذا جاءه» اى جاء الى ما توهم انه ماء «لم يجده شيئا» اى لم يجده كما ظنه «ووجد الله» اى جزاء الله كقوله لوجدوا الله
غفورا رحيما اى مغفرته ورحمته «عنده» عند الكافر «فوفاه حسابه» اى اعطاه جزاء عمله وافيا كاملا او وحد بعد تقدم الجمع
حملا على كل واحد من الكافر الكفار «والله سريع الحساب» لانه لا يحتاج الى عد وعقد ولا يشغله حساب عن حساب
او قريب حسابه لان ما هو آت قريب شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التى يحسبها
تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب فى العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه
عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه
الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة
بن امية كان يترهب ملتمسا الدين فى الجاهلية فلما جاء الاسلام كفر «او كظلمات فى بحر» وهذا كا وفى كصيب «لجى» عميق
كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر «يغشاه» يغشى البحر «من فوقه» اى يعلوه ويغطيه «موج» هو المرتفع من الماء
«من فوقه موج» اى من فوق الموج موج اخر «من فوقه سحاب» من فوق الموج الاعلى سحاب «ظلمات» اى هذه ظلمات ظلمة
السحاب وظلمة الامواج وظلمة البحر «بعضها فوق بعض» ظلمة الموج على ظلمة البحر فظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب
على الموج «اذا اخرج يده» اى الواقع فيه «لم يكد يريها» مبالغة فى لم يرها اى لم يقرب ان يريها فضلا عن ان يريها شبه اعمالهم
اولا فى فوات نفعها وحصول ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة كغيره من السراب
حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار وشبهها ثانيا فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى خلوها عن نور الحق
بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب «ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور» اى من لم يهده الله لم يهتد وما جاء
فى الحديث خلق الله الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل «الم تر»
الم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان فى الاتقان «ان الله يسبح له من فى السموات والارض والطير» عطف على من «صافات»

حال من الطير اي يصففن اجنحتهن في الهواء كل قد علم صلوته وتسبيحه والضمير في علم لكل او لله وكذا في صلوته وتسبيحه
والصلوة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطيور دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون
اليها والله عليم بما يفعلون لا يعزب عن علمه شيء ولله ملك السموات والارض لانه خالقهما ومن ملك شيئا فتمليكه
اياه والى الله المصير مرجع الكل الم تر ان الله يزجي يسوقه الى حيث يريده سحابا جمع سحابة دليله ثم يؤلف بينه وتذكيره
اللفظ اي يضم بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه
ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وينزّل وينزل مكي وبصري من السماء لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء من جبال
للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي فيها في السماء من برد للبيان او الاوليان للابتداء والاخيرة للتبعيض
ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال اي بعض جبال ومعنى من جبال
فيها من برد ان يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر او يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان
يملك جبالا من ذهب فيصيب به بالبرد من يشاء اي يصيب الانسان وزرعه ويصرفه عمن يشاء فلا يصيبه
او يعذب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء فلا يعذب به يكاد سنا برقه ضوءه يذهب بالابصار ويخطفها يذهب
يزيد على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار يصرفهما في الاختلاف طولا وقصرا والتعاقب ان في ذلك في ازجاء
السحاب وانزال الودق والبرد وتقليب الليل والنهار لعبرة لاولي الابصار لذوي العقول وهذا من تعديد الدلائل
على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وما يطير بينهما ودعاءهم له وتسخير السحاب الى اخر ما ذكر
فهي براهين لائحة على وجوده ودلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر ثم بين دليلا اخر فقال والله خلق كل خالق
كل حمزة وعلي دابة كل حيوان يدب على وجه الارض من ماء من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او من ماء مخصوص
وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها اناسي وهو كقوله يسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الاكل وهذا دليل على ان لها خالقا مدبرا والا لم يختلف لاتفاق الاصل وانما عرف الماء
في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي لان المقصود ثم ان اجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وانه هو الاصل
وان تخللت بينه وبينها وسايط قالوا ان اول ما خلق الله الماء فخلق منه النار والريح والطين فخلق من النار
الجن ومن الريح الملائكة ومن الطين آدم ودواب الارض ولما كانت الدابة تشمل المميز وغيره غلب المميز فاعطي
ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم من يمشي على بطنه كالحية والحوت وسمي الزحف على البطن
مشيا استعارة كما يقال في الامر المستمر قد مشى هذا الامر او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين ومنهم من يمشي
على رجلين كالانسان والطير ومنهم من يمشي على اربع كالبهائم وقدم ما هو اعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي
من ارجل او غيرها ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع يخلق الله ما يشاء كيف يشاء ان الله على كل شيء قدير لا يتعذر

عليه

عليه شيء لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء بلطفه ومشيئته الى صراط مستقيم دين الاسلام الذي يوصل
الى جنته والآيات لا تلزم حجته لما ذكر انزال الآيات ذكر بعدها افتراق الناس الى ثلث فرق فرقة صدقت ظاهرا
وكذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون وفرقة كذبت ظاهرا وباطنا وهم
الكافرون على هذا الترتيب وبدا بالمنافقين فقال ويقولون آمنا بالله وبالرسول بالسنتهم واطعنا الله والرسول
ثم يتولى يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله فريق منهم من بعد ذلك اي من بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول واطعنا
وما اولئك بالمؤمنين اي المخلصين وهو اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى الفريق المتولي وحده وفيه اعلام من الله
بان جميعهم منتف عنهم الايمان لاعتقادهم ما يعتقد هؤلاء والاعراض وان كان من بعضهم فالرضى بالاعراض من كلهم
واذا دعوا الى الله ورسوله اي الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ليحكم الرسول بينهم اذا فريق
منهم معرضون اي فاجأ من فريق منهم الاعراض نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل
اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وان يكن
لهم الحق اي اذا كان الحق لهم على غيرهم يأتوا اليه الى الرسول مذعنين حال اي مسرعين في الطاعة طلبا لحقهم لا رضا
بحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت
يمتنعون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا ينتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم
اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما وجب لهم في ذمة الخصم افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون
ان يحيف الله عليهم ورسوله قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بان يكونوا مرضى القلوب منافقين
او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون
ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم وذلك شيء لا يستطيعونه
في مجلس رسول الله فمن ثم يأبون المحاكمة اليه انما كان قول المؤمنين وعن الحسن قول بالرفع والنصب اقوى لان اولى
الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل بخلاف قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم
النبي ليحكم بينهم اي ليفصل الحكم بينهم بحكم الله الذي انزل عليه ان يقولوا سمعنا واطعنا امره واولئك هم المفلحون
الفائزون ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فاولئك
هم الفائزون وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية وهي جامعة لاسباب الفوز ويتقه
بسكون الهاء ابو عمرو وابو بكر بنية الوقف وبسكون القاف وكسر الهاء مختلسة حفص وبكسر القاف والهاء غيرهم
واقسموا بالله جهد ايمانهم اي حلف المنافقون بالله وهو جهد اليمين لانهم بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه مستعار
من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس من قال

بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد اليمين اقسم بجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا
الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن اى لئن
امرتهم بالخروج الى الغزو لغزونا او بالخروج من ديارنا لخرجنا قل لا تقسموا لا تحلفوا كاذبين لانه معصية طاعة
معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة مبتداء محذوف الخبر او خبر مبتداء محذوف اى الذى يطلب منكم
طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم
على خلافها ان الله خبير بما تعملون يعلم ما فى ضمائركم ولا يخفى عليه شئ من سرايركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم
على نفاقكم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول صرف الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ فى تبكيتهم
فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس
عليه الا ما حمله الله تع وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من
التلقى بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم بسخط الله وعذابه وان تطيعوه تهتدوا
اى وان اطعتموه فيما يامركم وينهاكم فقد احرزتم نصيبكم من الهدى فالضرر والنفع عايدان اليكم وما على الرسول
الا البلاغ المبين وما على الرسول الا ان يبلغ ما له نفع فى قبولكم ولا عليه ضرر فى توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء
بمعنى التادية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالايات والمعجزات ثم ذكر المخلصين فقال وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات الخطاب للنبى عم ولمن معه ومنكم للبيان وقيل المراد به المهاجرون ومن للتبعيض ليستخلفنهم
فى الارض اى ارض الكفار وقيل ارض المدينة والصحيح انه عام لقوله عم ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه
الليل كما استخلف استخلف ابو بكر الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم وليبدلنهم
بالتخفيف مكى وابو بكر من بعد خوفهم امنا وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها
خلفاء كما فعل ببنى اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام
وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذى كانوا عليه وذلك ان رسول الله عم واصحابه
مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا وكانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل
ما ياتى علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فنزلت فقال عم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملاء العظيم
محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعده بلاد المشرق والمغرب ومزقوا
ملك الاكاسرة وملكوا خزاينهم واستولوا على الدنيا والقسم المتلقى باللام والنون فى ليستخلفنهم محذوف تقديره
وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله فى تحقيقه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه اقسم الله ليستخلفنهم
يعبدوننى ان جعلته استينافا فلا محل له كانه قيل ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدوننى وان جعلته حالا

عن وعدهم

عن وعدهم اى وعدهم الله ذلك فى حال عبادتهم فمحله النصب لا يشركون بى شيئا حال من فاعل يعبدوننى اى
يعبدوننى موحدين ويجوز ان يكون حالا بدلا من الحال الاولى ومن كفر بعد ذلك اى بعد الوعد والمراد كفران
النعمة فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون هم الكاملون فى فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها
قالوا اول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضه فاقتتلوا بعد ما كانوا اخوانا وزال عنهم الخوف والاية اوضح دليل على صحة
خلافة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم لان المستخلفين الذين امنوا وعملوا الصالحات هم هم واقيموا الصلوة معطوف
على اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا يبعد الفصل وان طال واتوا الزكوة واطيعوا الرسول فيما يدعوكم اليه وكررت
طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها لعلكم ترحمون لكى ترحموا فانها من مستجلبات الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال لا تحسبن
الذين كفروا معجزين فى الارض اى فائتين الله بان لا يقدر عليهم فيها فالتاء خطاب للنبى عم وهو الفاعل والمفعولان
الذين كفروا معجزين وبالياء شامى وحمزة والفاعل النبى عم لتقدم ذكره والمفعولان الذين كفروا معجزين ومأويهم
النار معطوف على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأويهم النار ولبئس المصير
اى المرجع النار يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم امر بان يستأذن العبيد والاماء والذين لم يبلغوا
الحلم منكم والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وقرئ بسكون اللام تخفيفا ثلاث مرات فى اليوم والليلة وهى من قبل
صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وحين تضعون ثيابكم
من الظهيرة وهى نصف النهار فى القيظ لانها وقت وضع الثياب للقيلولة ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد
من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثلث عورات لكم اى هى اوقات ثلث عورات فحذف المبتداء والمضاف
وبالنصب كوفى غير حفص بدلا عن ثلث مرات اى اوقات ثلث عورات وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة
لان الانسان يختل تستره فيها والعورة الخلل ومنها الاعور المختل العين دخل غلام من الانصار يقال له مدلج بن عمرو
على عمر رضه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر وددت ان الله تع نهى عن الدخول فى هذه الساعات
الا باذن فانطلق الى النبى عم وقد نزلت عليه الاية ثم عذرهم فى ترك الاستيذان وراء هذه المرات بقوله ليس عليكم
ولا عليهم جناح بعدهن اى لا اثم عليكم ولا على المذكورين فى الدخول بغير استيذان بعدهن ثم بين العلة فى ترك الاستيذان
فى هذه الاوقات بقوله طوافون عليكم اى هم طوافون لحوائج البيت بعضكم مبتداء خبره على بعض تقديره بعضكم
طائف على بعض فحذف لدلالة طوافون عليه فيجوز ان يكون الجملة بدلا من التى قبلها وان تكون مبينة مؤكدة يعنى ان بكم
وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان
فى كل وقت لافضى الى الحرج وهو مدفوع فى الشرع بالنص كذلك يبين الله لكم الايات اى كما بين حكم الاستيذان يبين لكم غيره
من الايات التى احتجتم الى بيانها والله عليم بمصالح عباده حكيم فى بيان مراده واذا بلغ الاطفال منكم اى من الاحرار

دون المماليك الحلم الاحتلام اى اذا بلغوا واراد والدخول عليكم فليستأذنوا فى جميع الاوقات كما استأذن
الذين من قبلهم اى الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم فى قوله يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الاية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم فى الدخول بغير اذن الا فى العورات
الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام او بالسن وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا
على ان يستأذنوا فى جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن والناس عن هذا
غافلون وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثلث ايات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وقوله واذا حضر القسمة وعن سعيد بن جبير يقولون هى منسوخة والله ما هى بمنسوخة كذلك يبين الله لكم
اياته والله عليم بما يبين من الاحكام حكيم بمصالح الانام والقواعد جمع قاعد لانها من الصفات المختصة بالنساء
كالطالق والحائض اى اللاتى قعدن عن الحيض والولد لكبرهن من النساء حال اللاتى لا يرجون نكاحا اى
لا يطمعن فيه فى محل الرفع صفة للمبتداء وهى القواعد والخبر فليس عليهن جناح اثم ودخلت الفاء لما فى المبتدأ
من معنى الشرط بسبب الالف واللام ان يضعن فى ان يضعن ثيابهن اى الظاهرة كالملحفة والجلباب الذى
فوق الخمار غير حال متبرجات بزينة اى غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ونحو
ذلك اى لا يقصدن بوضعها التبرج ولكن التخفيف وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه وان
يستعففن ان يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن وهو مبتداء وخبره ليس خير لهن والله سميع
لما يقلن عليم بما يقصدن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج قال سعيد بن المسيب
كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبى صلعم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والمريض والاعرج وعند اقاربهم
ويأذنونهم ان ياكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون نخشى ان لا تكون انفسهم بذلك طيبة فنزلت
الاية رخصة لهم ولا على انفسكم اى حرج ان تاكلوا من بيوتكم اى بيوت اولادكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه
ولذا لم يذكر الاولاد فى الاية وقد قال صلعم انت ومالك لابيك [illegible]
[illegible] او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت
اخوالكم او بيوت خالاتكم لان الاذن من هؤلاء ثابت دلالة او ما ملكتم مفاتحه جمع مفتح وهو ما يفتح به الغلق
قال ابن عباس هو وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته له ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته واريد
بملك المفاتيح كونها فى يده وحفظه وقيل اريد به بيت عبده لان العبد وما فى يده لمولاه او صديقكم يعنى او بيوت
اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وهو من يصدقك فى مودته وتصدقه فى مودتك وكان الرجل من السلف
يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فاذا حضر مولاها اعتقها سرورا بذلك

فاما الان

فاما الان فقد غلب الشح على الناس فلا يوكل الا باذن ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا مجتمعين او اشتاتا متفرقين
جمع شت نزلت فى بنى ليث بن عمرو كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد
من يواكله اكل ضرورة او فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم او تحرجوا عن الاجتماع على الطعام
لاختلاف الناس فى الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتأكلوا فسلموا على انفسكم
اى فابدؤا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة او بيوتا فارغة او مسجدا فقولوا السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين تحية نصب بسلموا لانها فى معنى تسليما نحو قعدت جلوسا من عند الله اى ثابتة بامره مشروعة من لدنه
او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحيوة للمسلم عليه والمحيا من عند الله مباركة طيبة وصفها بالبركة والطيب
لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون
لكى تعقلوا وتفهموا انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع اى الذى يجمع له الناس
نحو الجهاد والتدبير فى الحرب وكل اجتماع فى الله حتى الجمعة والعيدين لم يذهبوا حتى يستأذنوه اى ويأذن لهم
ولما اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذاهب من مجلس رسول الله صلعم بغير اذنه اذا كانوا معه
على امر جامع جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له
والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتداء مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر
الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب اخر وهو قوله ان الذين يستأذنونك
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا اخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين
وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا فاذا استأذنوك فى الانصراف لبعض شأنهم امرهم فأذن لمن شئت
منهم فيه رفع شأنه صلعم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الافضل
ان لا يستأذنوه قالوا وينبغى ان يكون الناس كذلك مع ائمتهم ومقدميهم فى العلم والدين يظاهرونهم ولا
يتفرقون عنهم الا بالاذن قيل نزلت يوم الخندق كالمنافقون يرجعون الى منازلهم من غير استيذان
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اى اذا احتاج رسول الله الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم
فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعى او لا
تجعلوا تسمية ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذى سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن
يا نبى الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض قد يعلم الله الذين يتسللون يخرجون قليلا
قليلا منكم لواذا حال اى ملاوذين واللواذ والملاوذة هو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا التى يتسللون عن
الجماعة فى الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض فليحذر الذين يخالفون عن امره اى الذين يصدون

عن امره دون المؤمنين وهم المنافقون يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه والضمير في امره لله سبحانه او للرسول عم والمعنى عن طاعته ودينه ومفعول يحذر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او قتل او للذل واهوال او تسليط سلطان جائر او قسوة القلب عن معرفة الرب او اسباغ النعم استدراجا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة والاية تدل على ان الامر للايجاب الا ان لله ما في السموات والارض الا تنبيه على ان لا يخالفوا امر من له ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها ويوم يرجعون اليه وبفتح الياء وكسر الجيم يعقوب اى ويعلم يوم يردون الى جزائه وهو يوم القيمة والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكون جميعا للمنافقين على طريقة الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين فينبئهم يوم القيمة بما عملوا يوم القيامة بما ابطنوا من سوء اعمالهم ويجازيهم حق جزائهم والله بكل شئ عليم فلا يخفى عليه خافية روى ان ابن عباس رضى الله عنهما قرا سورة النور على المنبر في الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم لاسلمت

سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك تفاعل من البركة وهى كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شئ وتعالى عنه في صفاته وافعاله وهى كلمة تعظيم لم يستعمل الا لله وحده والمستعمل منه الماضى فحسب الذى نزل الفرقان هو مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام او لانه لم ينزل جملة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبين بعض في الانزال الا ترى في قوله وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا على عبده محمد عم ليكون العبد او الفرقان للعالمين للجن والانس وعموم الرسالة من خصائصه عم نذيرا منذرا اى مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تع فكيف كان عذابى ونذر الذى رفع على انه خبر مبتدا محذوف او على الابدال من الذى نزل ويجوز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون لان المبدل منه صلة نزل وليكون تعليلا له فكان المبدل منه لم يتم الا به او نصب على المدح له ملك السموات والارض على الخلوص ولم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى في عزير والمسيح عليهما السلام ولم يكن له شريك في الملك كما زعمت الثنوية وخلق كل شئ اى احدث كل شئ وحده لا كما يقول المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان واهرمن ولا شبهة فيه لمن يقول ان الله شئ ولا لمن يقول بخلق القرآن لان الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولا له على ان لفظ شئ اختص بما يصح ان يخلق بقرينة وخلق وهذا اوضح دليل لنا على المعتزلة في خلق افعال العباد فقدره تقديرا فهياه لما يصلح له بلا خلل فيه كما انه خلق الانسان على هذا الشكل الذى نراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في الدين والدنيا او فقدره للبقاء الى امد معلوم واتخذوا الضمير للكافرين لاندراجهم تحت العالمين ولدلالة

نذيرا

نذيرا عليهم لانهم المنذرون من دونه الهة اى الاصنام لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اى انهم اثروا على عبادة من هو منفرد بالالوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة لا يقدرون على خلق شئ وهم مخلوقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع اليها ولا يملكون موتا اماتة ولا حيوة احياء ولا نشورا احياء بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها وقال الذين كفروا ان هذا ما هذا القرآن الا افك كذب افتريه اختلقه واخترعه محمد من عند نفسه واعانه عليه قوم اخرون اى اليهود او عداس ويسار وابو فكيهة الرومى قاله النضر بن الحارث فقد جاءوا ظلما وزورا هذا اخبار من الله تع ردا للكفرة فيرجع الضمير الى الكفار وجاء يستعمل في معنى فعل فيعدى تعديته او حذف الجار واوصل الفعل اى بظلم وزور وظلمهم ان جعلوا العربى يتلقن من العجمى الرومى كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو برئ منه اليه وقالوا اساطير الاولين اى هو احاديث المتقدمين وما سطروه كرستم وغيره جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها لنفسه فهى تملى اى تلقى عليه من كتابه بكرة اول النهار واصيلا اخره فيحفظ ما يملى عليه ثم يتلوه علينا قل يا محمد انزله اى القرآن الذى يعلم السر في السموات والارض اى يعلم كل سر خفى في السموات والارض يعنى ان القرآن لما اشتمل على علم الغيوب الذى يستحيل عادة ان يعلمها محمد من غير تعليم دل ذلك على انه من علام الغيوب انه كان غفورا رحيما فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وان استوجبوها بمكابرتهم وقالوا مال هذا الرسول وقعت اللام في المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا تغير وتسميتهم اياه بالرسول سخرية منهم كانهم قالوا اى شئ لهذا الزاعم انه رسول ياكل الطعام ويمشى في الاسواق حال والعامل فيها هذا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها اى ان صح انه رسول الله عليه السلام فما باله ياكل الطعام كما ناكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح الى ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا الى ان يكون مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا الى ان يكون رجلا له بستان ياكل منه كالمياسير او ناكل نحن كقراءة على وحمزة وحسن عطف المضارع وهو يلقى وتكون على انزل وهو ماض لدخول المضارع وهو فيكون بينهما وانتصب فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام واراد بالظالمين بقوله وقال الظالمون اياهم باعيانهم غير انه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فجن او ذا سحر وهو الرئة عنوا انه بشر لا ملك انظر كيف ضربوا بينوا لك الامثال الاشباه اى قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال من المفترى والمملى عليه والمسحور فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا فلا يجدون طريقا اليه تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا اى تكاثر خير الذى ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يجعل لك مثل ما وعدك في الاخرة من الجنات والقصور

وجنات بدل من خيرا من ذلك ويجعل بالرفع مكى وشامى وابو بكر لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز فى جزايه الرفع
والجزم بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة او متصل
بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك فى الآخرة
وهم لا يؤمنون بها واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا وهيانا للمكذبين بها نارا شديدة فى الاستعار اذا رأتهم
اى النار اى قابلتهم اذا رأتهم من مكان بعيد اى اذا كانت منهم بمراى الناظرين فى البعد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
اى سمعوا صوت غليانها فشبه ذلك بصوت المستغيظ والزافر او اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا
على الكفار واذا القوا منها من النار مكانا ضيقا ضيقا مكى الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذا وصفت
الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رضه انه يضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح مقرنين اى
وهم مع ذلك الضيق يسلسلون مقرنون فى السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم فى الاغلال او يقرن مع كل كافر شيطانه
فى سلسلة وفى ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك حينئذ ثبورا هلاكا اى قالوا واثبوراه اى تعال يا ثبور فهذا
حينك فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو
ثبور كثير قل اذلك خير اى المذكور من صفة النار خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون اى وعدها فالراجع الى الموصول
محذوف وانما قال اذلك خير ولا خير فى النار توبيخا للكفار كانت لهم جزاء ثوابا ومصيرا مرجعا وانما قيل كانت
لان ما وعده الله تعالى كانه كان لتحققه او كان ذلك مكتوبا فى اللوح قبل ان خلقهم لهم فيها ما يشاؤن اى ما يشاؤنه
خالدين حال من ضمير يشاؤن والضمير فى كان لما يشاؤن على ربك وعدا موعودا مسئولا مطلوبا وحقيقا ان يسال
او قد ساله المؤمنون والملائكة فى دعواتهم ربنا اتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة
ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ويوم نحشرهم للبعث عند الجمهور وبالياء مكى ويزيد ويعقوب وحفص
وما يعبدون من دون الله يريدون المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبى يعنى الاصنام ينطقها الله
وقيل عام يتناول العقلاء وغيرهم لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم فيقول وبالنون شامى ءانتم اضللتم
عبادى هؤلاء بدل من عبادى اى من المشركين ام هم ضلوا السبيل والقياس ضلوا عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه
فى هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وضل مطاوع اضله والمعنى ءانتم اوقعتموهم فى الضلال عن طريق الحق
بادخال الشبه ام هم ضلوا عنه بانفسهم وانما لم يقل اضللتم عبادى هؤلاء ام ضلوا السبيل وزيد انتم وهم لان السؤال
ليس عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه
حرف الاستفهام ليعلم انه المسؤل عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسؤل عنه ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم
بتكذيبهم اياهم فتزيد حسرتهم قالوا سبحانك تعجب منهم مما قيل لهم او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له

نبيا

نبيا وملك او غيرهما اندادا ثم قالوا ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اولياء اى ما كان يصح لنا ولا يستقيم ان نتولى
احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك نتخذ بضم النون يزيد واتخذ يتعدى الى مفعول واحد نحو اتخذ
وليا والى مفعولين نحو اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا الهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا
والقراءة الاولى من المتعدى الى واحد وهو من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد النفى والقراءة
الثانية من المتعدى الى مفعولين فالمفعول الاول ما بنى له الفعل والمفعول الثانى من اولياء ومن للتبعيض اى
لا نتخذ بعض اولياء لان من لا تزاد فى المفعول الثانى بل فى الاول تقول ما اتخذت من احد وليا ولا تقول ما اتخذت
احدا من ولى ولكن متعتهم واباءهم بالاموال والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب حتى نسوا الذكر اى ذكر الله
والايمان به او القران والشرايع وكانوا عند الله قوما بورا هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال للكفار بطريق الخطاب
عدولا عن الغيبة اليه فقد كذبوكم وهذه المفاجات بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها
الالتفات وحذف القول ونظيرها يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل الى قوله
فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا بما تقولون
بقولكم فيهم انهم الهة والباء على هذا كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون
وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اولياء والباء
على هذا كقولك كتبت بالقلم فما تستطيعون صرفا ولا نصرا اى فما يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ينصروكم
وبالتاء حفص اى فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصر انفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم
بقوله ومن يظلم منكم اى يشرك لان الظلم وضع الشىء فى غير موضعه ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم
ويؤيده قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم نذقه عذابا كبيرا فسر بالخلود فى النار وهو يليق بالمشرك دون
الفاسق الا على قول المعتزلة والخوارج وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
فى الاسواق كسرت ان لاجل اللام فى الخبر والجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك
احدا من المرسلين الا اكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اى من المرسلين ونحوه وما منا الا له
مقام معلوم اى وما منا احد قيل هو احتجاج على من قال مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق
وتسلية للنبى عم وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اى محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عما عيروه به من الفقر ومشيه فى الاسواق يعنى انه جعل الاغنياء فتنة للفقراء فيغنى من يشاء ويفقر من يشاء
اتصبرون على هذه الفتنة فتوجروا ام لا تصبرون فيزداد غمكم وحكى ان بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه فخرج
ضجرا فراى خصيا فى مواكب ومراكب فخطر بباله شىء فاذا بمن يقرأ هذه الاية فتنبه وقال جاء الجواب فقال

بل نصبر ربنا او جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت صاحب كنوز وجنان لكان طاعتهم لك للدنيا او ممزوجة
بالدنيا فانما بعثناك فقيرا ليكون طاعة من يتبعك خالصة لنا وكان ربك بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به
او بمن يصبر ويجزع وقال الذين لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة لا يؤمنون بالبعث او لا يخافون
عقابنا ولان الراجي قلق فيما يرجوه كالخائف او لان الرجاء في لغة تهامة الخوف لولا هلا انزل علينا الملائكة
رسلا دون البشر او شهودا على نبوته ودعوى رسالته او نرى ربنا جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه لقد
استكبروا في انفسهم اي اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم
عتوا كبيرا وصف العتو بالكبر فبالغ في افراطه اي انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية
الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف يوم يرون الملائكة اي يوم الموت او يوم البعث
ويوم منصوب بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى وقوله يومئذ مؤكد ليوم
يرون او باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملائكة ثم اخبر فقال لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب بيرون
لان المضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا ببشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنفي بلا لا يعمل
فيما قبل لا للمجرمين ظاهر في موضع ضمير او عام يتناولهم بعمومه وهم الذين اجترحوا الذنوب والمراد الكافرون
لان مطلق الاسماء يتناول اكمل المسميات ويقولون اي الملائكة حجرا محجورا حراما محرما عليكم البشرى
اي جعل الله ذلك حراما عليكم انما البشرى للمؤمنين والحجر مصدر والكسر والفتح لغتان وقرئ بهما وهو
من حجره اذا منعه وهو من المصادر المنصوبة بافعال متروك اظهارها ومحجورا للتاكيد معنى الحجر كما قالوا
موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا هو صفة لهباء ولا قدوم هنا ولكن مثلت حال
هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه
وعصاه فقدم الى اشيائه وقصد الى ما تحت يديه فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا والهباء ما يخرج من الكوة
مع ضوء الشمس شبيه بالغبار والمنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع
ثم بين فضل اهل الجنة على اهل النار فقال اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا تمييز والمستقر المكان الذي يكونون فيه
في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون واحسن مقيلا مكانا يأوون اليه للاسترواح الى ازواجهم ولا نوم
في الجنة ولكنه سمي مكان استرواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل
اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي لفظ الاحسن تهكم بهم ويوم واذكر يوم تشقق السماء والاصل تتشقق
فحذف كوفي وابو عمرو التاء وغيرهم ادغمها في الشين بالغمام لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام
كانه الذي تشق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة فانشق بها ونزل الملائكة تنزيلا وننزل الملائكة مكي ونزيلا

على هذا

على هذا مصدر من غير لفظ الفعل والمعنى ان السماء تنفتح بغمام ابيض يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي ايديهم
صحايف اعمال العباد الملك مبتدأ يومئذ ظرفه الحق نعته ومعناه الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ولا يبقى الا ملكه للرحمن
خبره وكان ذلك اليوم يوما على الكافرين عسيرا شديدا يقال عسر عليه فهو عسير وعسر فهو عسر ويفهم منه يسره على المؤمنين
ففي الحديث يهون يوم القيمة على المؤمنين حتى يكون عليهم اخف من صلوة مكتوبة صلوها في الدنيا ويوم يعض الظالم على يديه
عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة
الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة ما لا يجده عند لفظ المكني عنه واللام في الظالم للعهد واريد به عقبة
لما بيني او للجنس فيتناول عقبة وغيره من الكفار يقول يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول محمد عليه السلام سبيلا
طريقا الى النجاة او الجنة وهو الايمان يا ويلتى وقرئ يا ويلتي بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها
تعالي فهذه اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحارى ومدارى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا فلان كناية عن الاعلام فان
اريد بالظالم عقبة لما روي انه اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل
فقال له ابي بن خلف وهو خليله وجهي من وجهك حرام الا ان ترجع فارتد فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه
وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه وقيل هو كناية عن الشيطان
لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او القران او الايمان بعد اذ جاءني من الله وكان الشيطان اي خليله سماه شيطانا
لانه اضله كما يضله الشيطان او ابليس لانه الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول للانسان المطيع له خذولا هو مبالغة
من الخذلان اي من عادته ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الله عز وجل او كلام الظالم وقال الرسول اي محمد عليه السلام
في الدنيا يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القران مهجورا متروكا اي تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران وهو مفعول ثان
لاتخذوا وفي هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه
مسليا وواعدا للنصرة عليهم فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا اي كذلك كان
كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك به هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم والعدو يجوز ان يكون
واحدا وجمعا والباء زائدة اي وكفى ربك هاديا وهو تمييز وقال الذين كفروا اي قريش او اليهود لولا نزل عليه
القران جملة حال من القران اي مجتمعا واحدة يعني هلا انزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلثة وما له
انزل على التفاريق هذا فضول من القول ومماراة بالاباطيل بغير حجة لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله
جملة واحدة او مفرقا ونزل هنا بمعنى انزل والا كان متدافعا بدليل جملة واحدة وهذا اعتراض فاسد لانهم تحدوا
بالاتيان بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم حتى لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة وبذلوا المهج
وما مالوا الى الحجج كذلك جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا في عشرين سنة او في ثلث وعشرين وذلك في كذلك اشارة

الى مدلول قوله لولا انزل عليه القران جملة لان معناه لم انزل عليه القران مفرقا فاعلم ان ذلك لنثبت به فوادك لنقوى
بتفريقه فوادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء
ولو القى عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه او لنثبت به فوادك عن الضجر بتواتر الوصول وتتابع الرسول لان قلب المحب
يسكن بتواصل كتب المحبوب ورتلناه ترتيلا معطوف على الفعل الذى تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه
اى قدرناه اية بعد اية ووقفة عقيب وقفة او امرناه بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القران ترتيلا اى اقراه بترسل و
تثبت او بيناه تبيينا والترتيل التبيين فى ترسيل وتثبيت ولا ياتونك بمثل بسوال عجيب من سوالاتهم الباطلة كانه مثل
فى البطلان الا جئناك بالحق الا اتيناك بالجواب الحق الذى لا محيد عنه واحسن تفسيرا وبما هو احسن معنى ومودا من
مثلهم اى من سوالهم وانما حذف من مثلهم لان فى الكلام دليلا عليه كما لو قلت رايت زيدا وعمرا وكان عمرو احسن وجها
فيه دليل على انك تريد من زيد ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير
هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او ولا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا نزل عليك القران جملة
الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك فى حكمتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعنى
ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل فى الاعجاز من ان ينزل كله جملة الذين
يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر الذين مبتدا واولئك مبتدا ثان وشر خبر اولئك واولئك مع شر خبر
الذين او التقدير هم الذين او اعنى الذين واولئك مستانف مكانا اى مكانة ومنزلة او مسكنا ومنزلا واضل سبيلا واخطا
طريقا وهو من الاسناد المجازى والمعنى ان حاملكم على هذه السوالات انكم تضللون سبيله وتحقرون مكانه ومنزلته
ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل
من سبيله وفى طريقته قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية وعن النبى عم
يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على ارجلهم وصنف على وجوههم قيل يا رسول
الله كيف يمشون على وجوههم فقال عم الذى امشاهم على اقدامهم يمشيهم على وجوههم ولقد اتينا موسى الكتاب
التورية كما اتيناك القران وجعلنا معه اخاه هرون بدل او عطف بيان وزيرا هو فى اللغة من يرجع اليه ويتحصن برايه
من الوزر وهو الملجا والوزارة لا تنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد انبياء ويومرون بان يوازر بعضهم
بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا اى فرعون وقومه وتقديره فذهبا اليهم وانذرا فكذبوهما فدمرناهم
تدميرا التدمير الاهلاك بامر عجيب اراد اختصار القصة فذكر اولها واخرها لانهما المقصود من القصة اعنى الزام الحجة
ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وقوم نوح اى ودمرنا قوم نوح لما كذبوا الرسل يعنى نوحا وادريس
وشيثا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم اى وجعلنا اغراقهم او قصتهم

للناس

للناس اية عبرة يعتبرون بها واعتدنا وهيانا للظالمين لقوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه اراد تظليمهم فاظهر او هو
عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم لعمومه عذابا اليما اى النار وعادا ودمرنا عادا وثمود حمزه وحفص على تاويل القبيلة
وغيرهما وثمودا على تاويل الحى او لانه اسم الاب الاكبر واصحاب الرس هم قوم شعيب يعبدون الاصنام فكذبوا شعيبا
فبينا هم حول الرس وهو البير غير المطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا
او هم اصحاب الاخدود والرس الاخدود وقرونا واهلكنا امما بين ذلك المذكور كثيرا لا يعلمها الا الله ارسل اليهم الرسل
فكذبوهم فاهلكوا وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين وكلا تبرنا تتبيرا اى اهلكنا
اهلاكا وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ له
ولقد اتوا يعنى اهل مكة على القرية سدوم وهى اعظم قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله اربعا مع اهلها و
بقيت واحدة التى امطرت مطر السوء اى امطر الله عليها الحجارة يعنى ان قريشا مروا مرارا كثيرة فى متاجرهم الى الشام
على تلك القرية التى اهلكت بالحجارة من السماء ومطر السوء مفعول ثان والاصل امطرت القرية مطرا او مصدر محذوف
الزوايد اى امطار السوء افلم يكونوا يرونها اما شاهدوا ذلك بابصارهم عند سفرهم الى الشام فيتفكرون فيؤمنون
بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يخافون بعثا فلا يؤمنون او لا يأملون نشورا كما يامله
المؤمنون لطمعهم فى الوصول الى ثواب اعمالهم واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا ان نافية الا هزوا اتخذه هزوا فى معنى
استهزا به والاصل لتخذه موضع هزو او مهزوا به اهذا محكى بعد قول مضمر وهذا استصغار واستهزاء اى قايلين
اهذا الذى بعث الله رسولا والمحذوف حال والعايد الى الذى محذوف اى بعثه ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا
ان صبرنا عليها ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله عم فى دعوتهم وعرض
المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة الهتهم
وسوف يعلمون حين يرون العذاب هو وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال من اضل سبيلا
هو كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله عم الى الضلال اذ لا يضل غيره الا من هو ضال فى نفسه
ارايت من اتخذ الهه هواه اى من اطاع هواه فيما ياتى ويذر فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذى
لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى يروى ان الواحد من اهل الجاهلية كان يعبد الحجر فاذا
راى حجرا احسن منه ترك الاول وعبد الثانى وعن الحسن هو فى كل متبع هواه افانت تكون عليه وكيلا اى حفيظا
تحفظه عن متابعة هواه وعبادة ما يهواه افانت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه ان اليه
التبليغ فقط ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ام منقطعة معناه
بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التى تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهى كونهم مسلوبى الاسماع

والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التى هى مثل فى الغفلة والضلالة فقد ركبهم
الشيطان بالاستدلال لتركهم الاستدلال ثم هم ارجح ضلالة منها لان الانعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها
وتعرف من يحسن اليها ممن يسئ اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء
لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو
اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى
والعذب الروى وقالوا للملائكة روح وعقل وللبهائم نفس وهوى والآدمى مجمع الكل ابتلاء فان غلبته النفس والهوى
فضلته الانعام وان غلبه الروح والعقل فضلا الملائكة الكرام وانما ذكر الاكثر لان فيهم من لم يصده عن الاسلام
الا حب الرياسة وكفى به داء عضالا ولان فيهم من آمن الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته كيف مد الظل
اى بسطه فعم الارض كذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس فى قول الجمهور لانه ظل ممدود ولا شمس معه
ولا ظلمة وهو كما قال فى ظل الجنة وظل ممدود اذ لا شمس معه ولا ظلمة ولو شاء لجعله ساكنا اى دائما لا يزول
ولا تذهبه الشمس ثم جعلنا الشمس عليه على الظل دليلا لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل
فالاشياء تعرف باضدادها ثم قبضناه اى اخذنا ذلك الظل الممدود الينا اى حيث اردنا قبضا يسيرا سهلا غير
عسير او قليلا اى جزءا فجزءا بالشمس التى تأتى عليه وجاء بثم لتفاضل ما بين الامور وكان الثانى اعظم
من الاول والثالث اعظم من الثانى شبه تباعد ما بينهما فى الفضل بتباعد ما بين الحوادث فى الوقت وهو الذى
جعل لكم الليل لباسا جعل الظلام الساتر كاللباس والنوم سباتا راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم والسبت القطع
والنائم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته وقيل السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحيوة وهو كقوله
وهو الذى يتوفيكم بالليل ويعضده ذكر النشور فى مقابلته وجعل النهار نشورا ذا نشور اى انبعاث من النوم
كنشور الميت او ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان
فى الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفى النوم واليقظة المشبهين بالموت والحيوة عبرة لمن اعتبر
وقال لقمن لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذى ارسل الرياح الريح مكى والمراد به الجنس نشرا تخفيف
نشر جمع نشور بين يدى رحمته قدام المطر لانه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة وانزلنا من السماء ماء
طهورا بليغا فى طهارته والطهور صفة كقولك ماء طهور اى طاهر واسم كقولك لما يتطهر به طهور كالوضوء
والوقود لما يتوضأ به ويتوقد به النار ومصدر بمعنى التطهر كقولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله عم لا صلوة
الا بطهور اى بطهارة وما حكى عن ثعلب هو ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره وهو مذهب الشافعى رحمه ان كان هذا
زيادة بيان لطهارته فحسن ويعضده قوله تع وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل

فى شئ

فى شئ وقياسه على ما هو مشتق من الافعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد لان بناء الفعول للمبالغة فان كان
الفعل متعديا فالفعول متعد وان كان لازما فلازم لنحيى به بالمطر بلدة ميتا ذكر ميتا على ارادة البلد والمكان
ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا اى ونسقى الماء البهائم والناس ومما خلقنا حال من انعاما واناسى اى
انعاما مما خلقنا وسقى واسقى لغتان وقرأ المفضل والبرجمى ونسقيه والاناسى جمع انسى على القياس ككرسى وكراسى
او انسان واصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت النون ياء وادغمت وقدم احياء الارض على سقى الانعام والاناسى
لان حياتها سبب لحيوتهما فقدم ما هو سبب حيوتهما على سقيهما وتخصيص الانعام من بين الحيوان الشارب
لان عامة منافع الاناسى متعلقة بها فكان الانعام بسقى الانعام كالانعام بسقيهم وتنكير الانعام والاناسى ووصفها
بالكثرة لان اكثر الناس منيخون بالقرب من الاودية والانهار فبهم غنية عن سقى الماء واعقابهم وهم كثير يعيشون
بما ينزل الله من رحمته وتنكير البلدة لانه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء ولما كان سقى الاناسى
من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وبيانا انما من حقهم ان يؤثروا الطهارة فى بواطنهم وظواهرهم
لان الطهورية شرط للاحياء ولقد صرفناه بينهم ليذكروا ليذكروا حمزة وعلى بريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس
فى القرآن وفى سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال المطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا
حق النعمة فيه ويشكروه فابى اكثر الناس الا كفورا فابى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها او صرفنا
المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة
واهام فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رضه ما من عام
اقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية وروى ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره فى كل عام
لانه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من هنا جواب فى تنكير البلدة والاناسى ومن نسب الامطار الى الانواء
وجحد ان يكون هى والانواء من خلق الله كفر وان رأى ان الله خالقها وقد نصب الانواء امارات ودلالات عليها لم يكفر
ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين اى ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا
فى كل قرية نبيا ينذرها ولكن شئنا ان نجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة الى كافة العالمين فقصرنا الامر
عليك وعظمناك به فتكون وحدك ككلهم ولذا خوطب بالجمع يا ايها الرسل فقابل ذلك بالشكر والتشدد
والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم وكما آثرتك على جميع الانبياء فآثر رضاى
على جميع الاهواء واريد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم وجاهدهم به اى بالله يعنى بعونه وتوفيقه او بالقرآن
او بما دل لهم به وقرعهم بالعجز عنه جهادا كبيرا عظيما موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق ويجوز ان يرجع الضمير
فى به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجب

على كل نذير مجاهدة قريبة فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم
فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وهو الذى مرج البحرين خلاهما
متجاورين متلاصقين تقول مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وسمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين هذا اى احدهما
عذب فرات صفة لعذب اى شديد العذوبة حتى يقرب الى الحلاوة وهذا ملح اجاج صفة لملح اى شديد الملوحة
وجعل بينهما برزخا حائلا من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج فهما فى الظاهر مختلطان وفى الحقيقة منفصلان
وحجرا محجورا وسترا ممنوعا عن الاعين كقوله حجابا مستورا وهو الذى خلق من الماء اى النطفة بشرا انسانا فجعله
نسبا وصهرا اراد تقسيم البشر قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة
بنت فلان وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن وهو كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث
خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى وقيل فجعله نسبا اى قرابة وصهرا اى مصاهرة يعنى الوصلة بالنكاح
من باب الانساب لان التواصل يقع بها وبالمصاهرة لان التوالد يكون بها ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ان
عبدوه ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر على ربه على معصية ربه ظهيرا معينا ومظاهرا وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز
والظهير والمظاهر كالعوين والمعاون والمظاهرة المعاونة والمعنى ان الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان و
يعاونه على معصية الرحمن وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا منذرا للكافرين قل ما اسألكم عليه على التبليغ من اجر
جعل مثال الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذى شفقة عليك
قد سعى لك فى تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك
المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره بصورة الثواب كانه يقول ان حفظت مالك اعتد حفظك بمنزلة
الثواب لى ورضاى به كرضى المثاب بالثواب ولعمرى انه عم مع امته بهذا الصدد ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم
اليه بالايمان والطاعة او بالصدقة والنفقة وقيل المراد ولكن من شاء ان يتخذ بالانفاق الى رضاء ربه سبيلا
فليفعل وقيل تقديره لا اسألكم على ما ادعوكم اليه اجرا الا اتخاذ المدعو سبيلا الى ربه بطاعته فذلك اجرى
لان الله يأجرنى عليه وتوكل على الحى الذى لا يموت اتخذ من لا يموت وكيلا لا يهلك الى من يموت ذليلا يعنى ثق به واسند
امرك اليه فى استكفاء شرورهم ولا تتكل على حى يموت وقرأها بعض الصالحين فقال لا يصح لذى عقل ان يثق بعدها
بمخلوق والتوكل الاعتماد عليه فى كل امر وسبح ونزهه عن ان يكل الى غيره من توكل عليه بحمده بتوفيقه الذى يوجب الحمد
او قل سبحان الله وبحمده او نزهه عن كل العيوب بثناء تثنى عليه وكفى به بذنوب عباده خبيرا اى كفى الله خبيرا
بذنوب عباده يعنى انه خبير باحوالهم كاف فى اجزاء اعمالهم الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام يعنى
فى مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ ليل ولا نهار وعن مجاهد اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعة وانما خلقها

في ستة

فى ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها فى لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت ثم استوى على العرش الرحمن اى هو الرحمن فالرحمن
خبر مبتدأ محذوف او بدل من الضمير فى استوى او الذى خلق مبتدأ والرحمن خبره فاسأل به خبيرا هو مكى وعلى به صلة
سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما يكون عن صلته فى قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به
واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه او صلة خبيرا ويكون خبيرا مفعول سل اى فاسأل عنه رجلا عارفا
يخبرك برحمته او فاسأل رجلا خبيرا به وبرحمته او الرحمن اسم من اسماء الله مذكور فى الكتب المقدمة ولم يكونوا يعرفونه
فقيل فاسأل به هذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن
الا الذى باليمامة يعنى مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة واذا قيل لهم اى اذا قال محمد للمشركين اسجدوا للرحمن
صلوا لله واخضعوا له قالوا وما الرحمن اى لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا سؤال عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا
الاسم والسؤال عن المجهول بما او عن معناه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم انسجد
لما تأمرنا للذى تأمرنا بالسجود له او لامرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به يأمرنا على وحمزة كان بعضهم قال لبعض
انسجد لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وقد عاندوا لان معناه عند اهل اللغة ذو الرحمة التى
لا غاية بعدها فى الرحمة لان فعلان من ابنية المبالغة تقول رجل عطشان اذا كان فى نهاية العطش وزادهم قوله
اسجدوا للرحمن نفورا تباعدا عن الايمان تبارك الذى جعل فى السماء بروجا هى منازل الكواكب السبعة السيارة لكل
كوكب بيتان يقوى حاله فيهما وللشمس بيت وللقمر بيت الحمل والعقرب للمريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء
والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشترى والجدى والدلو
بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربع فيصيب كل واحد منها ثلثة بروج فالحمل والاسد والقوس
مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدى مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت
مثلثة مائية سميت بالبروج التى هى القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البروج من التبرج
لظهوره وعنه قال الحسن وقتادة ومجاهد البروج هى النجوم الكبار لظهورها وجعل فيها فى السماء سراجا يعنى الشمس
لتوقدها سرجا حمزة وعلى اى نجوما وقمرا منيرا مضيئا بالليل وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة فعلة من خلف كالركبة
من ركب وهى الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر والمعنى جعلهما ذوى خلفة يخلف احدهما الاخر
عند مضيه او يخلفه فى قضاء ما فاته من الورد لمن اراد ان يذكر يتدبر فى تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبرهما يذكر
حمزة وخلف اى يذكر الله والمنسى فيقضى او اراد شكورا اى يشكر نعمة ربه عليه فيهما وعباد الرحمن مبتدأ خبره الذين
يمشون او اولئك يجزون والذين يمشون وما بعده صفته والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وصفا وليده
بعبدها وصف امداده على الارض هونا حال او صفة للمشى اى هينين او مشيا هينا والهون الرفق واللين اى يمشون

بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر فلا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا
ولذا كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق وشريعة واسلم للعرض والورع واذا
خاطبهم الجاهلون اى السفهاء بما يكرهون قالوا سلاما سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم او تسلما
منكم نتارككم ولا نجاهلكم فاقيم السلام مقام التسلم وقيل نسختها اية القتال ولا حاجة الى ذلك فالاغضاء عن
السفهاء مستحسن شرعا ومروة هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا جمع ساجد
وقياما جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدرك الليل نمت اولم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القران في الصلوة
وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم
باحياء الليل او اكثره والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما هلاكا لازما ومنه الغريم
لملازمته اى يطلبه حقه وكل غريم يفارق غريمه الا النار وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر
دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم انها ساءت مستقرا
ومقاما اى ان جهنم وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت
مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها او بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا
حال او تمييز ويصح ان يكون التعليلان اى متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا الحد في النفقة او لم ياكلوا للتنعم ولم يلبسوا للتصلف وعن ابن عباس لم ينفقوا في المعاصي
فالاسراف مجاوزة حد الامر لا مجاوزة القدر وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وقال ع م
من منع حقا فقد قتر ومن اعطى في غير حق فقد اسرف ولم يقتروا بضم التاء كوفي وبضم الياء وكسر التاء مدني وشامي
وبفتح الياء وكسر التاء مكي وبصري والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف وكان اى انفاقهم
بين ذلك اى الاسراف والاقتار قواما عدلا بينهما فالقوام العدل بين الشيئين والمنصوبان اى بين ذلك قواما خبران
وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر عليه السلام ولا تجعل يدك مغلولة الاية وسال عبد الملك
بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه
الاية وقيل اولئك اصحاب محمد ص كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابا للجمال والزينة ولكن لسد
الجوعة وستر العورة ودفع الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اكله والذين لا يدعون
مع الله الها اخر اى لا يشركون ولا يقتلون النفس التي حرم الله اى حرمها يعني حرم قتلها الا بالحق بقود او رجم او ردة
او شرك او سعي في الارض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون ونفي هذه الكبائر عن عباده
الصالحين تعريض بما كان عليه اعداؤهم من قريش وغيرهم كانه قيل والذين طهرهم الله مما انتم عليه ومن يفعل ذلك

اى المذكور

اى المذكور يلق اثاما جزاء الاثم يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هي لقاء الاثام كقوله
متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا فجزم تلمم لانه بمعنى تاتنا اذ الاتيان هو الالمام يضعف
مكي ويزيد ويعقوب يضعف شامي يضاعف ابو بكر على الاستيناف او على الحال ومعنى يضاعف له العذاب يوم القيامة
اى يعذب على مرور الايام في الاخرة عذابا على عذاب وقيل اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك
وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه ويخلد جزمه جازم يضاعف ورفعه رافعه لانه معطوف
عليه فيه في العذاب فيهي مكي وحفص بالاشباع وانما خص حفص الاشباع بهذه الكلمة مبالغة في الوعيد والعرب
تمد للمبالغة مع ان الاصل في هاء الكناية الاشباع مهانا حال اى ذليلا الا من تاب عن الشرك وهو استثناء
من الجنس في موضع النصب وآمن بمحمد عليه السلام وعمل عملا صالحا بعد توبته فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات اى يوفقهم للمحاسن بعد القبائح او يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة ولم يرد به
ان السيئة بعينها تصير حسنة ولكن المراد ما ذكرنا يبدل مخففا البرجمي وكان الله غفورا يكفر السيئات رحيما
يبدلها بالحسنات ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا اى ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح
فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب والذين لا يشهدون الزور اى الكذب
يعني ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله اذ مشاهدة الباطل
شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به
وسبب وجود الزيادة فيه وفي مواعظ عيسى عليه السلام اياكم ومجالسة الخطائين او لا يشهدون شهادة الزور على حذف
المضاف وعن قتادة المراد مجالس الباطل وعن ابن الحنفية لا يشهدون اللهو والغناء واذا مروا باللغو بالفحش وكل
ما ينبغي ان يلقى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن
التلوث به كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وعن الباقر اذا ذكروا الفروج كنوا عنها والذين اذا ذكروا بايات ربهم
اى قرئ عليهم القران او وعظوا بالقران لم يخروا عليها صما وعميانا هذا ليس بنفي للخرور بل هو اثبات له ونفي للصمم
والعمى ونحوه لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء يعني انهم اذا ذكروا بها خروا سجدا وبكيا سامعين باذان
واعية مبصرين بعيون راعية لما امروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين واشباههم دليله قوله تعالى ومن هدينا
واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا من للبيان
كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة
اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا اى انت اسد او للابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا
من طاعة وصلاح وذريتنا ابو عمرو وكوفي غير حفص والارادة للجنس وغيرهم ذرياتنا قرة اعين وانما نكر لاجل تنكير

لقوة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا و فرحا وانما قال اعين على القلة
دون عيون لان المراد اعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور
ويجوز ان يقال فى تنكير اعين انها اعين خاصة وهى اعين المتقين والمعنى انهم سالوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا
عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وقيل ليس شئ اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله
وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الولد اذا راه يكتب الفقه واجعلنا للمتقين اماما اى ائمة يقتدى بنا فى الدين فاكتفى
بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس او واجعل كل واحد منا اماما وقيل فى الاية ما يدل على ان الرياسة فى الدين
يجب ان يطلب ويرغب فيها اولئك يجزون الغرفة اى الغرفات وهى العلالى فى الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال
على الجنس دليله قوله وهم فى الغرفات امنون بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم
وعلى الفقر وغير ذلك ويلقون فيها ويلقون كوفى غير حفص تحية دعاء بالتعمير وسلاما ودعاء بالسلامة يعنى ان
الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليهم خالدين فيها حال حسنت اى الغرفة مستقرا
ومقاما موضع قرار واقامة وهى فى مقابلة ساءت مستقرا ومقاما قل ما يعبا بكم ربى لولا دعاؤكم ما متضمنة لمعنى الاستفهام
وهى فى محل النصب ومعناه ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام او لولا عبادتكم له اى انه خلقكم لعبادته كقوله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى الاعتبار عند ربكم لعبادتكم او ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة
وهو كقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم فقد كذبتم رسولى يا اهل مكة فسوف يكون العذاب لزاما اى ذا لزام
او ملازما وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل وقال الضحاك ما يعبا ما يبالى بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه الها اخر
سورة الشعراء مكية الا والشعراء يتبعهم الغاوون الى اخر السورة وهى مكيتان سبع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
طسم وطس ويس وحم ممال كوفى غير الاعشى والبرجمى وحفص ويظهر النون عند الميم يزيد وحمزة وغيرهما يدغمها
تلك ايات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة والقران والمعنى ايات هذا المؤلف
من الحروف المبسوطة تلك ايات الكتاب المبين لعلك باخع قاتل ولعل للاشفاق نفسك من الحزن يعنى اشفق
على نفسك ان تقتلها حسرة وحزنا على ما فاتك من اسلام قومك الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم
او خيفة ان لا يؤمنوا ان نشا ايمانهم ننزل عليهم من السماء اية دلالة واضحة ملجئة الى الايمان وعطف على ننزل فظلت
اى فتظل لان الجزاء يقع فيه لفظ الماضى فى معنى المستقبل تقول ان زرتنى اكرمتك اى اكرمك كذا قاله الزجاج اعناقهم
رؤساؤهم ومقدموهم او جماعاتهم يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم لها خاضعين منقادين وعن ابن عباس رضى
نزلت فينا وفى بنى امية فستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة وما
ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه

وكفرابه

وكفرا به فقد كذبوا محمد فيما اتاهم به فسياتيهم فسيعلمون انباء اخبار ما كانوا به يستهزؤن وهذا وعيد لهم وانذار
بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر ويوم القيمة ما الشئ الذى كانوا يستهزؤن به وهو القران وسياتيهم
انباؤه واحواله التى كانت خافية عليهم اولم يروا الى الارض كم انبتنا كم نصب بانبتنا فيها من كل زوج صنف من النبات
كريم محمود كثير المنفعة ياكل منه الناس والانعام كالرجل الكريم الذى نفعه عام وفائدة الجمع بين كلمتى الكثرة والاحاطة
ان كلمة كل تدل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم يدل على ان هذا المحاط متكاثر مفرط الكثرة وبه نبه
على كمال قدرته ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين اى ان فى انبات تلك الاصناف لاية على ان منبتها قادر على احياء
الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم وان ربك لهو العزيز فى انتقامه من الكفرة الرحيم
لمن آمن منهم ووحد آية على الاخبار بكل واحد من تلك الازواج
لاية اى آية واذ مفعول به اى اذكر اذ نادى ربك موسى ان ائت ان بمعنى اى القوم الظالمين انفسهم بالكفر
وبنى اسرائيل بالاستعباد وذبح الاولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف قوم فرعون عليهم عطف البيان كان معنى القوم
الظالمين وترجمة قوم فرعون وكانهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد الا يتقون اى ائتهم زاجرا فقد آن لهم
ان يتقوا وهى كلمة حث واغراء ويحتمل انه حال من الضمير فى الظالمين اى يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت
همزة الانكار على الحال قال رب انى اخاف الخوف غم يلحق الانسان لامر سيقع ان يكذبون ويضيق صدرى بتكذيبهم
اياى مستانف او عطف على اخاف ولا ينطلق لسانى بان تغلبنى الحمية على ما ارى من المحال واسمع من الجدال
وبنصبهما يعقوب عطفا على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير وبالتكذيب وحده بتقدير الرفع
فارسل الى هارون اى ارسل اليه جبرئيل واجعله نبيا يعيننى على الرسالة وكان هارون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام
ولم يكن هذا الالتماس من موسى توقفا فى الامتثال بل التماس عون فى تبليغ الرسالة وتمهيد العذر فى التماس المعين
على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ولهم على ذنب اى تبعة
ذنب بقتل القبطى فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما يسمى جزاء السيئة سيئة فاخاف ان يقتلون به
قصاصا وليس هذا تعللا ايضا بل استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة ولهذا وعده بالكلاءة
والدفع بكلمة الردع وجمع له الاستجابتين معا فى قوله قال كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن
الخوف والتمس منه رسالة اخيه فاجابه بقوله اذهبا اى جعلته رسولا معك فاذهبا وعطف فاذهبا على الفعل الذى
يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهارون باياتنا مع اياتنا وهى اليد والعصا وغير ذلك
انا معكم اى معكما بالعون والنصرة ومع من ارسلتما اليه بالعلم والقدرة مستمعون خبران او معكم لغو او هما خبران اى
فالاستماع فى غير هذا الاصغاء للسماع يقال استمع الى حديثه اى اصغى اليه ولا يجوز حمله هنا على ذلك فحمل على السماع

فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ولم يثن الرسول كما ثنى في قوله انا رسولا ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل
وبمعنى الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنية وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوى في الوصف به الواحد والتثنية
والجمع ولانهما لتعاضدهما واتفاقهما على شريعة واحدة كانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منهما ان ارسل بمعنى ارسل
لتضمن الرسول معنى الارسال وفيه معنى القول معنا بنى اسرائيل يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكان مسكنهما
فاتيا بابه فلم يوذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ايذن له لعلنا نضحك
منه فاديا اليه الرسالة فعرف فرعون موسى فعند ذلك قال الم نربك فينا وليدا وانما حذف فأتيا فرعون فقال له ذلك
اختصارا والدليل الصبى لقرب عهده من الولادة اى الم تكن صغيرا فربيناك ولبثت فينا من عمرك سنين قيل ثلثين
سنة وفعلت فعلتك التى فعلت يعنى قتل القبطى فعرض اذ كان ملكا وانت من الكافرين بنعمتى حيث قتلت خبازى
او كنت على ديننا الذى تسميه كفرا وهذا افتراء منه عليه لانه معصوم من الكفر وكان يعايشهم بالتقية قال فعلتها اذا اى
اذ ذاك وانا من الضالين الجاهلين بانها تبلغ القتل والضال عن الشئ هو الذاهب عن معرفته او الناسين من قوله
ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى فدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكافرين واذا جواب وجزاء معا
وهذا الكلام وقع جوابا لفرعون وجزاء لان قول فرعون وفعلت فعلتك معناه انك جازيت نعمتى بما فعلت فقال له
موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما للقول لان نعمته كانت جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء ففررت منكم الى مدين لما خفتكم
ان تقتلونى وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج الاية فوهب لى ربى حكما
نبوة وعلما فزال عنى الجهل والضلالة وجعلنى من المرسلين من جملة رسله وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل كدر
على امتنانه عليه بالتربية فابطلها من اصلها وابى ان تسمى نعمة الا نعمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بنى اسرائيل
لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته ولو تركهم لرباه ابواه فكان فرعون امتن على موسى
بتعبيد قومه واخراجه من حجر ابويه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا ووحد الضمير فى تمنها وعبدت
وجمع فى منكم وخفتكم لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملأه المؤتمرين بقتله بدليل قوله
ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذا التعبيد وتلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى
ما هى الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك اى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على قال فرعون وما رب
العالمين اى انك تدعى انك رسول رب العالمين فما صفته لانك اذا اردت السؤال عن صفة زيد تقول ما زيد تعنى
اطويل ام قصير افقيه ام طبيب نص عليه صاحب الكشاف وغيره قال موسى مجيبا له على وفق سؤاله رب السموات
والارض وما بينهما اى وما بين الجنسين ان كنتم موقنين اى ان كنتم تعرفون الاشياء بالدليل فكفى خلق هذه الاشياء
دليلا وان كان يرجى منكم الايقان الذى يودى اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع والايقان العلم

الذى

الذى يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن قال اى فرعون لمن حوله من اشراف قومه وهم خمسمائة رجل
عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون معجبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمهما وينكرون حدوثهما وان
لهما ربا فاحتاج موسى الى ان يستدل بما شاهدوا حدوثه وفناءه فاستدل حيث قال ربكم ورب ابائكم الاولين
اى هو خالقكم وخالق ابائكم فان لم تستدلوا بغيركم فبانفسكم وانما قال ورب ابائكم لان فرعون كان يدعى الربوبية
على اهل عصره دون من تقدمهم قال اى فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون حيث يزعم ان فى الوجود الها
غيرى وكان ينكر الصنعة غيره قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فتستدلون بما اقول فتعرفون
ربكم وهذا غاية الارشاد حيث عم اولا بخلق السموات والارض وما بينهما ثم خصص من العام للبيان انفسهم و
اباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولده وما شاهده من احواله من وقت ميلاده الى وقت
وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها فى الاخر على تقدير مستقيم فى فصول
السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء
والاماتة على نمرود بن كنعان وقيل سأله فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله فلما اجاب موسى بحقيقة
الجواب وقع عنده ان موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يجيب عن ربوبيته واثار صنعه فقال معجبا لهم
من جواب موسى الا تستمعون فعاد موسى الى مثل قوله الاول فجننه فرعون زاعما انه حائد عن الجواب فعاد ثالثا
الى مثل كلامه الاول مبينا ان الفرد الحقيقى انما يعرف بالصفات وان السؤال عن الماهية محال واليه الاشارة فى قوله
ان كنتم تعقلون اى ان كان لكم عقل علمتم انه لا يمكن معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم يتهيأ له ان يدفع
ظهور اثار صنعه قال لئن اتخذت الها غيرى اى غيرى الها لاجعلنك من المسجونين اى لاجعلنك واحدا ممن عرفت
حالهم فى سجونى وكان من عادته ان يأخذ من يريد سجنه فيطرحه فى هوة ذاهبة فى الارض بعيدة العمق فردا
لا يبصر فيها ولا يسمع وكان ذلك اشد من القتل ولو قيل لاسجننك لم يؤد هذا المعنى وان كان اخصر قال
اولو جئتك الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام اى اتفعل بى ذلك ولو جئتك بشئ مبين اى جائيا بالمعجزة
قال فأت به بالذى يبين صدقك ان كنت من الصادقين ان لك بينة وجواب الشرط مقدر اى فأحضره فالقى موسى
عصاه فاذا هى ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شئ يشبه الثعبان كما يكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر
وروى انها ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرنى بما شئت ويقول فرعون
اسألك بالذى ارسلك الا اخذتها فاخذ فعادت عصا ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين فيه دليل على ان بياضها
كان شيئا تجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه من العادة وكان بياضها نوريا روى ان فرعون لما ابصر الاية الاولى قال
فهل غيرها فاخرج يده فقال لفرعون ما هذه قال فرعون يدك فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى

الابصار ويسد الافق قال اى فرعون للملأ حوله هو منصوب بمضمر نصب فى اللفظ والعامل فيه ما يقدر فى الظرف
ونصب فى المحل وهو النصب على الحال من الملأ اى كائنين حوله والعامل فيه قال ان هذا لساحر عليم بالسحر ثم اغرى
قومه على موسى بقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا منصوب لانه مفعول به من قولك امرتك الخير تامرون
تشيرون فى امره من حبس او قتل من المؤامرة وهى المشاورة او من الامر الذى هو ضد النهى لما تحير فرعون
برؤية الآيتين وزال عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه خوفا
طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم او جعلهم امرين ونفسه مأمورا قالوا ارجه واخاه اخر امرهما و
لا تعاجل قتلهما خوفا من الفتنة وابعث فى المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان
هذا لساحر عليم بقولهم يأتوك بكل سحار عليم فجاؤوا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه فجمع السحرة
لميقات يوم معلوم اى يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى من يوم الزينة فى قوله تعالى
موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اى حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام
وقيل للناس هل انتم مجتمعون اى اجتمعوا وهو استبطاء لهم فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم لعلنا نتبع السحرة
فى دينهم ان كانوا هم الغالبين اى ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى فى دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض
الكلى ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى فلما جاء السحرة قالوا
لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وبكسر العين على وهما لغتان وانكم اذا لمن المقربين اى قال فرعون
نعم لكم اجر عندى وتكونون مع ذلك من المقربين عندى فى المرتبة والجاه فتكونون اول من يدخل على واخر من يخرج
ولما كان قوله ائن لنا لاجرا فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه دخلت
اذا قارة فى مكانها الذى يقتضيه من الجواب والجزاء قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون من السحر فسوف ترون
عاقبته فالقوا حبالهم سبعين الف حبل وعصيهم سبعين الف عصا وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين الفا
وكذا العصى وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته وقوته وهى من ايمان الجاهلية فالقى موسى
عصاه فاذا هى تلقف تبتلع ما يأفكون ما يقلبون عن وجهه وحقيقته بسحرهم ويزورونه فيخيلون فى حبالهم
وعصيهم انها حيات تسعى فالقى السحرة ساجدين عبر عن الخرور بالالقاء بطريق المشاكلة لانه ذكر مع الالقاءات
ولانهم لسرعة ما سجدوا صاروا كانهم القوا قالوا امنا برب العالمين عن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء
رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا ان يعزلوه وقيل ان فرعون
لما سمع منهم امنا برب العالمين قال اياى عنيتم قالوا رب موسى وهرون قال امنتم له قبل ان اذن لكم بذلك
انه لكبيركم الذى علمكم السحر وقد تواطأتم على امر ومكر فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم ثم صرح فقال لاقطعن

ايديكم

ايديكم وارجلكم من خلاف من اجل خلاف ظهر منكم ولاصلبنكم اجمعين كانه اراد به تعذيب العلامة ليلا يتبعوهم فى الايمان
قالوا لا ضير لا ضرر وخبر لا محذوف اى فى ذلك او علينا انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا
لان كنا اول المؤمنين من اهل المشهد او من رعية فرعون اراد والا ضير علينا فى ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا
فى الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب
الموت والقتل اهون اسبابه وارجاها او لا ضير علينا فى قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع فى مغفرته
ويرجو رحمته ولما رزقنا من السبق الى الايمان واوحينا الى موسى ان اسر بوصل الهمزة من سرى بعبادى بنى اسرائيل
وسماهم عباده لايمانهم بنبيه اى سر بهم وهذا بعد سنين من ايمان السحرة انكم متبعون يتبعكم فرعون وقومه علل
الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده اثارهم يعنى انى بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا
مدخلكم من طريق البحر فاهلكهم وروى انه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج
موسى بقومه وروى ان الله اوحى الى موسى ان اجمع بنى اسرائيل كل اربعة ابيات فى بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها
على ابوابكم فانى سامر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسامرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم
ثم اسر بعبادى حتى ينتهى الى البحر فياتيك امرى فارسل فرعون فى المدائن حاشرين جامعين الناس بعنف فلما
اجتمعوا قال ان هؤلاء لشرذمة قليلون والشرذمة الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف
ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذى هو للقلة او اراد بالقلة الذلة لا قلة العدد اى انهم
لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وانما استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا لكثرة من معه
فعن الضحاك كانوا سبعة الاف الف وانهم لنا لغائظون اى انهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا وهو خروجهم
من مصرنا وحملهم حلينا وقتلهم ابكارنا وانا لجميع حاذرون شامى وكوفى وغيرهم حذرون فالحذر اليقظ والحاذر
الذى يجدد حذره وقيل المؤدى فى السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه يعنى ونحن قوم من عادتنا
التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها
الى اهل المدائن لئلا يظن به العجز والفتور فاخرجناهم من جنات بساتين فيها وعيون وانهار جارية وكنوز
واموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها فى طاعة الله تعالى ومقام ومنزل كريم بهى بهيج
وعن ابن عباس المنابر كذلك يحتمل النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفنا والرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف اى الامر كذلك واورثناها بنى اسرائيل عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا واخذوا ديارهم واموالهم فاتبعوهم
فلحقوهم فاتبعوهم زيد مشرقين حال اى داخلين فى وقت شروق الشمس وهو طلوعها اى ادرك قوم فرعون موسى
وقومه وقت طلوع الشمس فلما تراءى الجمعان اى تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنو اسرائيل والقبط قال

اصحاب موسى انا لمدركون اى قرب ان يلحقنا عدونا وامامنا البحر قال موسى ثقة بوعد الله اياه كلا ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم ان معى ربى حفص سيهدين اى سيهديني طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم سيهديني بالياء يعقوب فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر اى القلزم او النيل فانفلق اى فضرب فانفلق وانشق فصار اثنى عشر فرقا على عدد الاسباط فكان كل فرق اى كل جزء تفرق منه كالطود كالجبل المنطاد فى السماء العظيم وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الاخرين قوم فرعون اى قربناهم من بنى اسرائيل او من البحر وانجينا موسى ومن معه اجمعين من الغرق ثم اغرقنا الاخرين فرعون وقومه وفيه ابطال القول بتاثير الكواكب فى الاجال وغيرها من الحوادث فانهم اجتمعوا فى الهلاك مع اختلاف طوالعهم روى ان جبرئيل عم كان بين بنى اسرائيل وبين آل فرعون وكان يقول لبنى اسرائيل ليلحق اخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق اخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال يوشع لموسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك ال فرعون وقال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى عم قال عند ذلك يا من كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ اجعل لنا مخرجا فانشق البحر ان فى ذلك اى فيما فعلنا بموسى وفرعون لاية لعبرة عجيبة لا توصف وما كان اكثرهم اى المصريين مؤمنين قالوا لم يؤمن منهم الا آسية وخربيل مؤمن آل فرعون ومريم التى دلت موسى على قبر يوسف وان ربك لهو العزيز بالانتقام من اعدائه الرحيم بالانعام على اوليائه واتل عليهم على مشركى قريش نبأ ابراهيم خبره اذ قال لابيه وقومه قوم ابراهيم او قوم الاب ما تعبدون اى شئ تعبدون وابراهيم عم يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سألهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس بمستحق العبادة قالوا نعبد اصناما وجواب ما تعبدون اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق لانه سوال عن المعبود لا عن العبادة وانما زادوا نعبد فى الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها ولذا عطفوا على نعبد فنظل لها عاكفين فنقيم على عبادتها طول النهار وانما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل او معناه الدوام قال اى ابراهيم هل يسمعونكم هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف لدلالة اذ تدعون عليه او ينفعونكم ان عبدتموها او يضرون ان تركتم عبادتها قالوا بل اضراب اى لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا نعبدها بشئ من ذلك ولكن وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فقلدناهم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون الاولون فانهم اى الاصنام عدو لى العدو والصديق يجيئان فى معنى الواحد والجماعة يعنى لو عبدتهم لكانوا اعداء لى يوم القيامة كقوله تعالى سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب اى فانى عدو لهم وفى قوله عدو لى دون لكم زيادة نصح ليكون ادعى لهم الى القبول ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة الا رب العالمين استثناء منقطع لانه لم يدخل تحت الاعداء كانه قال لكن رب العالمين الذى خلقنى بالتكوين فى القرار المكين فهو يهدين لمناهج الدنيا ولمصالح الدين والاستقبال فى يهدين مع سبق العناية بالهداية لانه يحتمل

يهديني للاصلح الافضل والاتم الاكمل والذى خلقنى لاسباب خدمته فهو يهدينى الى ابواب خلته والذى هو يطعمنى اصناف الاطعام الحلول الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام ويسقين قال ابن عطاء هو الذى يحيينى بطعامه ويرويني بشرابه واذا مرضت وانما لم يقل امرضنى لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف اليه ما يقتضى الضر ابن عطاء اذا مرضت برؤية الخلق فهو يشفين بمشاهدة الحق الصادق اذا مرضت برؤية الافعال فهو يشفينى بكشف منة الافضال والذى يميتنى ثم يحيين ولم يقل اذا امت لانه الخروج من حبس البلاء ودار الفناء الى روض البقاء بوعد اللقاء وادخل ثم فى الاحياء لتراخيه عن الافناء وادخل الفاء الى روض البقاء فى الهداية والشفاء لانهما يعقبان الخلق والمرض لا معا والذى اطمع طمع العبيد فى الموالى بالافضال لا على الاستحقاق وبالسوال ان يغفر لى خطيئتى قيل هو قوله انى سقيم بل فعله كبيرهم هذا ربى للمبالغ فى اخطى لسارة هى اختى وما هى الا معاريض جائزة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار واستغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم وتعليم للامم فى طلب المغفرة يوم الدين يوم الجزاء رب هب لى حكما حكمة او حكما بين الناس بالحق او نبوة لان النبى ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والحقنى بالصالحين اى الانبياء ولقد اجابه حيث قال وانه فى الاخرة لمن الصالحين واجعل لى لسان صدق فى الاخرين اى ثناء حسنا وذكرا جميلا فى الامم التى تجئ بعدى فاعطى ذلك فكل اهل دين يتولونه ويثنون عليه ووضع اللسان موضع القول لان القول يكون به واجعلنى من من يتعلق بمحذوف اى وارثا من ورثة جنة النعيم اى من الباقين فيها واغفر لابى اجعله اهل المغفرة باعطاء الاسلام وكان وعده الاسلام يوم فارقه انه كان من الضالين الكافرين ولا تخزنى الاخزاء من الخزى وهو الهوان او من الخزاية وهو الحياء وهذا نحو الاستغفار كما بيننا يوم يبعثون الضمير فيه للعباد لانه معلوم او للضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه اى ولا تخزنى فى يوم يبعث الضالون وابى فيهم يوم لا ينفع مال هو بدل من يوم الاول ولا بنون احدا الا من اتى الله بقلب سليم عن الكفر والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى فى قلوبهم مرض اى ان المال اذا صرف فى وجوه البر وبنوه صالحون فانه ينتفع به وبهم سليم القلب او جعل المال والبنون فى معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما ان غناه فى دنياه بماله وبنيه وقد جعل من مفعولا لينفع اى لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه فى طاعة الله تعالى ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرايع ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين وقد صوب الجليل استثناء الخليل اكراما له ثم جعله صفة له فى قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وما احسن ما رتب عم كلامه مع المشركين حيث سألهم اولا عما يعبدون سوال مقرر مستهزئ ثم اقبل على الهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم اباءهم الاقدمين فاخرجه من ان يكون شبهة فضلا عن ان يكون حجة ثم صور

المسألة فى نفسه دونهم حتى يخلص منها الى ذكر الله تعالى فعظم شأنه وعدد نعمه من حين انشائه الى وقت وفاته
مع ما يرجى فى الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر
يوم القيمة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى
الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا وازلفت الجنة للمتقين اى قربت عطف على جاء اى تزلف من موقف السعداء ينظرون
اليها وبرزت الجحيم اى اظهرت حتى يكاد يأخذهم لهيبها للغاوين للكافرين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله
هل ينصرونكم او ينتصرون يدعون على شركهم فيقال لهم اين الهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم
بانتصارهم لانهم والهتهم وقود النار فكبكبوا نكسوا او طرح بعضهم على بعض فيها فى الجحيم هم اى الالهة والغاوون
وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى كانه اذا
القى فى جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فى قعرها نعوذ بالله منها وجنود ابليس اجمعون شياطينه او متبعوه
من عصاة الجن والانس قالوا وهم فيها يختصمون يجوز ان الله ينطق الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم
ويجوز ان يجرى ذلك بين العصاة والشياطين تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم نعدلكم ايها الاصنام برب العالمين
فى العبادة وما اضلنا الا المجرمون اى رؤساؤهم الذين اضلوهم او ابليس وجنوده ومن سن الشرك فما لنا
من شافعين كالمؤمنين من الانبياء والاولياء والملائكة ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء اذ لا يتصادق
فى الآخرة الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم التعادى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين اى فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون فى اصنامهم انهم شفعاؤهم
عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس والحميم من الاحتمام وهو الذى يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى
الخاصة وهو الصديق الخاص وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة واما الصديق وهو الصادق
فى ودادك الذى يهمه ما اهمك فقليل وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم لا معنى له وجاز ان يراد بالصديق الجمع
فلو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا فنكون من المؤمنين وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت او لو فى مثل هذا
للتمنى كانه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقى ان فى ذلك فيما ذكرنا من الانبياء لآية لعبرة لمن اعتبر
وما كان اكثرهم مؤمنين فيه ان فريقا منهم آمنوا وان ربك لهو العزيز المنتقم ممن كذب بابراهيم بنار الجحيم الرحيم
المسلم كل ذى قلب سليم الى جنة النعيم كذبت قوم نوح المرسلين القوم يذكر ويؤنث قيل ومن ولد نوح فى زمان
آدم عليهما السلام ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عم قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة
او برد او كانوا ينكرون بعث الرسل اصلا فلذا جمع ولان من كذب واحدا منهم فقد كذب الكل لان كل رسول يدعو
الناس الى الايمان بجميع الرسل وكذا جميع ما فى هذه السورة اذ قال لهم اخوهم نسبا لا دينا نوح الا تتقون خالق

الانام

الانام فتتركوا عبادة الاصنام انى لكم رسول امين كان مشهورا بالامانة فيهم كمحمد عم فى قريش فاتقوا الله
واطيعون فيما امركم به وادعوكم اليه من الحق وما اسألكم عليه على هذا الامر من اجر ان اجرى بالفتح مدنى وشامى
وابو عمرو وحفص الا على رب العالمين فذلك اريده فاتقوا الله واطيعون كرر ليقرره فى نفوسهم مع تعليق كل
واحد منهما بعلة فعلة الاول كونه امينا فيما بينهم وعلة الثانى حسم طمعه منهم كانه قال اذا عرفتم رسالتى وامانتى
فاتقوا ثم اذا عرفتم احترازى عن الاجر فاتقوا قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الواو للحال وقد مضمرة بعدها دليل قراءة
يعقوب واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال الارذلون السفلة والرذالة الخسة والدناءة
وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية والصناعة لا تزرى
بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب التقوى ولا يجوز ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا
وما زالت اتباع الانبياء كذلك قال وما علمى واى شىء علمى بما كانوا يعملون من الصناعات انما اطلب منهم الايمان
وقيل انهم طعنوا مع استرذالهم فى ايمانهم وقالوا ان الذين آمنوا بك ليس فى قلوبهم ما يظهرونه فقال وما على الا اعتبار
الظواهر دون التفتيش عن السرائر ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون ان الله يحاسبهم على ما فى قلوبهم وما انا بطارد
المؤمنين اى ليس من شأنى ان اتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا فى ايمانكم ان انا الا نذير مبين ما على الا ان انذركم انذارا
بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشأنكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من
المرجومين من المقتولين بالحجارة قال رب ان قومى كذبون ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب اعلم
ولكنه اراد انهم كذبونى فى وحيك ورسالتك فافتح بينى وبينهم فتحا فاحكم بينى وبينهم حكما والفتاحة الحكومة
والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمى فيصلا لانه يفصل بين الخصومات ونجنى ومن معى وبالفتح حفص
من المؤمنين من عذاب عملهم فانجيناه ومن معه فى الفلك السفينة وجمعه فلك فالواحد بوزن قفل والجمع
بوزن اسد المشحون المملوء منه شحنة البلد اى الذى يملؤه كفاية ثم اغرقنا بعد بعد انجاء نوح ومن آمن معه
الباقين من قومه ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز المنتقم باهانة من جحدوا
الرحيم المنعم باعانة من وحد واقر كذبت عاد المرسلين هى قبيلة وفى الاصل اسم رجل هو ابو القبيلة اذ قال لهم
اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله فى تكذيب الرسول الامين واطيعون وما اسألكم عليه
من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع مكان مرتفع آية برج حمام او بناء يكون لارتفاعه كالعلامة
تعبثون تلعبون بمن مر بهم وتتخذون مصانع مآخذ الماء او قصورا مشيدة او حصونا لعلكم
تخلدون ترجون الخلود فى الدنيا واذا بطشتم اخذتم اخذ العقوبة بطشتم جبارين قتلا بالسيف وضربا
بالسوط والجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب فاتقوا الله فى البطش واطيعون فيما ادعوكم اليه واتقوا الذى

امدكم بما تعلمون من النعم ثم عددها عليهم فقال امدكم بانعام وبنين قرن البنين بالانعام لانهم يعينونهم
على حفظها والقيام عليها وجنات وعيون انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان عصيتمونى قالوا سواء علينا
اوعظت ام لم تكن من الواعظين اى لا يقبل كلامك ودعوتك وعظت ام سكت ولم يقل ام لم تعظ لرؤس
الآى ان هذا الا خلق الاولين ماهذا الذى نحن عليه من الحيوة والموت واتخاذ الابنية الا عادة الاولين
اوماهذا الذى نحن عليه دين الاولين الا خلق الاولين مكى وبصرى ويزيد وعلى اى ماجئت اختلاق
الاولين وكذب المتنبئين قبلك كقولهم اساطير الاولين اوخلقنا كخلق الاولين نموت ونحيى وما
نحن بمعذبين فى الدنيا ولا بعث ولا حساب فكذبوه اى هودا فاهلكناهم بريح صرصر عاتية ان فى ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح
الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين
اتتركون انكار لان يتركوا مخلدين فى نعيمهم لا يزالون عنه فيما هاهنا فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم
امنين من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله فى جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل وزروع
ونخل وعطف نخل على جنات مع ان الجنة يتناول النخل اول شىء تفضيل النخل على ساير الشجر طلعها هو ما يخرج
من النخل كنصل السيف هضيم لين نضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره وتنحتون تنقبون من الجبال بيوتا
فارهين شامى وكوفى حاذقين حال وغيرهم فرهين اشرين والفراهة الكيس والنشاط فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المسرفين الكافرين او التسعة التى عقروا الناقة جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمى والمراد الامر
وهو كل جملة اخرجت الحكم المستفاد بها عن موضوعه فى العقل والضرب من التاول كقولهم انبت الربيع البقل
الذين يفسدون فى الارض بالظلم والكفر ولا يصلحون بالايمان والعدل والمعنى ان فسادهم فساد مصمت
ليس معه شىء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح قالوا انما انت من المسحرين
المسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر للرية وانه بشر ما انت الا بشر مثلنا فات باية
ان كنت من الصادقين فى دعوى الرسالة قال هذه ناقة لها شرب نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه ولكم شرب
يوم معلوم لا تزاحمكم هى فيه روى انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح
يتفكر فقال له جبرئيل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة ونتجت سقبا مثلها فى العظم
وصدرها ستون ذراعا واذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله واذا كان يوم شربهم لا تشرب فيه الماء
وهذا دليل على جواز المهاياة لان قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم من المهايات ولا تمسوها بسوء بضرب
او عقر او غير ذلك فياخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم بحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف

العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد فعقروها عقرها قدار ولكن هم راضون به فاضيف
اليهم روى ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المراة فى خدرها فيقولون اترضين
فتقول نعم وكذلك صبيانهم فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من نزول العذاب لا ندم توبة او ندموا حين لا ينفع
الندم وذلك عند معاينة العذاب او على ترك الولد فاخذهم العذاب المتقدم ذكره ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين
اراد بالعالمين الناس اى اتطؤن الذكور من الناس مع كثرة الاناث او اتطؤن انتم من بين من عداكم من العالمين
الذكران اى انتم مختصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ما ينكح من الحيوان وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم
من تبيين لما خلق او تبعيض والمراد بما خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل
تحريم ادبار الزوجات والمملوكات ومن اجازه فقد اخطا خطا عظيما بل انتم قوم عادون العادى المتعدى فى ظلمه
المتجاوز فيه الحد بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة قالوا لئن لم تنته يالوط
عن انكارك علينا وتقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا
ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوء حال قال انى لعملكم من القالين هو ابلغ من ان يقول قال فقولك فلان
من العلماء ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بانه مساهم لهم فى العلم والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلى الفؤاد
والكبد وفيه دليل على عظم المعصية لان القلى من حيث الدين رب نجنى واهلى مما يعملون من عقوبة عملهم فنجيناه
واهله اجمعين يعنى بناته ومن آمن معه الا عجوزا هى امراة لوط وكانت راضية بذلك والراضى بالمعصية فى حكم
العاصى واستثناء الكافرة من الاهل وهم مؤمنون للاشتراك فى هذا الاسم وان لم تشاركهم فى الايمان فى الغابرين
صفة لها اى فى الباقين فى العذاب فلم تنج منه والغابر فى اللغة الباقى كانه قيل الا عجوزا غابرة اى مقدرا غبورها
اذ الغبور لم يكن صفتها وقت تنجيتهم ثم دمرنا الاخرين والمراد تدميرهم الايتفاك بهم وامطرنا عليهم مطرا
عن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وقيل لم يرض بالايتفاك حتى اتبعه مطرا
من حجارة فساء فاعله مطر المنذرين والمخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم
بل المراد جنس الكافرين ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب
الايكة بالهمزة والجر هى غيضة ناعم الشجر عن الخليل ليكة حجازى وشامى وكذا فى ص علم البلد قيل اصحاب الايكة هم
اهل مدين التجاوالى غيضة اذ الح عليهم الوهج والاصح انهم غيرهم نزلوا غيضة بعينها بالبادية واكثر شجرهم المقل بدليل
انه لم يقل هنا اخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب اهل مدين فى الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل

اليهم ولا اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين ولا ينقصوا حقوقهم
فالكيل وفى وهو مامور به وطفيف وهو منهى عنه وزايد وهو مسكوت عنه فتركه دليل على انه ان فعله فقد احسن
وان لم يفعله فلا عليه وزنوا بالقسطاس المستقيم وبكسر القاف كوفى غير ابى بكر وهو الميزان او القبان فان
كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعى ولا تبخسوا الناس يقال
بخسته حقه اذا نقصته اياه اشياءهم دراهمهم ودنانيرهم بقطع اطرافها ولا تعثوا فى الارض مفسدين ولا تبالغوا
فيها فى الافساد وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون مع ذلك انواع الفساد
فنهوا عن ذلك يقال عثى فى الارض اذا افسد وعثى فى الارض لغة فى عثى واتقوا الذى خلقكم والجبلة الخلق
عطف على كم اى واتقوا الذى خلقكم وخلق الجبلة الاولين الماضين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر
مثلنا ادخال الواو هنا مفيد ان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وترك الواو فى قصة ثمود ليفيد معنى
واحدا وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم وان نظنك لمن الكاذبين ان مخففة من الثقيلة واللام دخلت
للفرق بينها وبين النافية وانما تفرقا على فعل الظن وثانى مفعوليه لان اصلهما ان يتفرقا على المبتداء والخبر
كقولك ان زيد المنطلق فلما كان بابا كان وظننت من جنس باب المبتداء والخبر فعل ذلك فى البابين فقيل
ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا فاسقط علينا كسفا حفص وهما جمعا كسفة وهى القطعة وكسف قطع
من السماء اى السحاب او المظلة ان كنت من الصادقين اى ان كنت صادقا انك نبى فادع الله ان يسقط علينا
كسفا من السماء اى قطعا من السماء عقوبة قال ربى بفتح الياء حجازى وابو عمرو وبسكونها غيرهم اعلم بما
تعملون اى ان الله اعلم باعمالكم وبما تستحقون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء
فعل وان اراد عقابا بامر فاليه الحكم والمشية فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة هى سحابة اظلتهم بعد حبس
عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة ايام فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فامطرت عليهم نارا فاحترقوا
انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وتكرير هذه
السورة فى اول كل قصة واخرها ما كرر تقريرا للمعانى فى الصدور ليكون ابلغ فى الوعظ والزجر ولان كل قصة منها
كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما فى غيرها فكانت جديرة بان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم
بما اختتمت به وانه يعنى القران لتنزيل رب العالمين منزل منه نزل به مخفف الفاعل الروح الامين اى جبريل
لانه امين على الوحى الذى فيه الحيوة حجازى وابو عمرو وزيد وحفص وغيرهم بالتشديد ونصب الروح والفاعل
هو الله تعالى اى جعل الله الروح نازلا به والباء على القراءتين للتعدية على قلبك اى حفظك وفهمك اياه واثبته

فى قلبك

فى قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى لتكون من المنذرين بلسان عربى بلغة قريش وجرهم مبين
مصحح عما صحفته العامة والباء اما ان يتعلق بالمنذرين اى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح
وشعيب واسمعيل عليهم السلام او بنزل اى نزله بلسان عربى لتنذر به لانه لو نزله بلسان اعجمى لتجافوا عنه اصلا
ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفى هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزيل له
على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف
لا تفهم معانيها ولا   يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم باللغة التى نشأ عليها لم يكن قلبه الا الى
المعانى الكلام وان كلم بغيرها كان نظره اولا فى الفاظها ثم فى معانيها وان كان ماهرا بمعرفتها فهذا تقرير انه نزل
على قلبه لنزوله بلسان عربى وانه وان القران لفى زبر الاولين يعنى ذكره مثبت فى سائر الكتب السماوية وقيل
ان معانيه فيها وفيه دليل على ان القران قران اذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القران بالفارسية
فى الصلوة اولم تكن لهم اية شامى جعلت اية اسم كان وخبره ان يعلمه اى القران لوجود ذكره فى التورية وقيل
فى تكن ضمير القصة واية خبر مقدم والمبتداء ان يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان تامة والفاعل اية وان يعلمه
بدل منها او خبر مبتداء محذوف اى اولم يحصل لهم اية وغيره يكن بالتذكير واية بالنصب على انها خبره وان يعلمه
هو الاسم وتقديره اولم يكن لهم علم علماء بنى اسرائيل اية علماء بنى اسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى
واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين وخط فى المصحف علموا بواو قبل الالف ولو
نزلناه على بعض الاعجمين جمع اعجم وهو الذى لا يفصح وكذلك الاعجمى الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد
ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا اعجم واعجمى شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين والعجمى الذى
من جنس العجم افصح او لم يفصح وقرأ الحسن الاعجميين وقيل الاعجمين تخفيف الاعجميين كما قالوا الاشعرون اى الاشعريون
بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع السلامة لان مؤنثه عجماء فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين
والمعنى انا انزلنا هذا القران على رجل عربى بلسان عربى مبين فسمعوه وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز وانضم اليه ذلك
اتفاق علماء اهل الكتب قبله على البشارة بانزاله وصفته فى كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها
من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هذا من افتراء
محمد ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذى لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا معجزا
لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه اى ادخلناه التكذيب او الكفر
وهو مدلول قوله ما كانوا به مؤمنين فى قلوب المجرمين الكافرين الذين علمنا منهم اختيار الكفر والاصرار
عليه يعنى مثل هذا السلك سلكناه فى قلوبهم وقررناه فيها فكيف ما فعل بهم وعلى اى وجه دبر امرهم فلا سبيل

الى ان تغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب له كما قال ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وهو حجتنا على المعتزلة فى خلق افعال العباد خيرها وشرها وموقع قوله
لا يؤمنون به بالقرآن من قوله سلكناه فى قلوب المجرمين موضع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا
مجحودا فى قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد
ويجوز ان يكون حالا اى سلكناه فيها غير مؤمن به حتى يروا العذاب الاليم والمراد به معاينة العذاب عند الموت
ويكون ذلك ايمان ياس فلا ينفعهم فياتيهم بغتة فجاة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا وفياتيهم معطوفان
على يروا هل نحن منظرون يسالون النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون اليها افبعذابنا يستعجلون توبيخ لهم
وانكار عليهم قولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك قال يحيى بن معاذ اشد الناس
غفلة من اغتر بحيوته والتذ بمراداته وسكن الى مالوفاته والله تعالى يقول افرايت ان متعناهم سنين قيل
هى سنو مدة الدنيا ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون به فى تلك السنين فالمعنى
ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال فى سلامة
وامن فقال الله تعالى افبعذابنا يستعجلون اشرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر
كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم
وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقى الحسن فى الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظنى فلم يزده
على تلاوة هذه الاية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يقرؤها عند جلوسه
للحكم وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون رسل ينذرونهم ولم تدخل الواو على الجملة بعد الا كما فى وما اهلكنا
من قرية الا ولها كتاب معلوم لان الاصل عدم الواو اذ الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة
بالموصوف ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة او حال من
الضمير فى منذرون اى ينذرونهم ذوى تذكرة او مفعول له اى ينذرون لاجل التذكرة والموعظة او مرفوعة
على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذووا ذكرى وتكون
ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال
المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك
قوما غير ظالمين ولما قال المشركون ان الشياطين تلقى القرآن على محمد نزل وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى
لهم وما يستطيعون وما يتسهل لهم ولا يقدرون عليه انهم عن السمع عن استراقه لمعزولون لممنوعون بالشهب
فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين تهديد لغيره على التعريض وتحريك له على زيادة الاخلاص وانذر

عشيرتك

عشيرتك الاقربين خصهم لنفى التهمة اذ الانسان يساهل قرابته او ليعلموا انه لا يغنى عنهم من الله شيئا وان النجاة
فى اتباعه دون قربه ولما نزلت صعد الصفا ونادى الاقرب فالاقرب وقال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم
يا بنى عبد مناف يا عباس عم النبى يا صفية اعنى عمة رسول الله انى لا املك لكم من الله شيئا واخفض جناحك
وان جانبك وتواضع واصله ان الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحيه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع
جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا فى التواضع ولين الجانب لمن اتبعك من المؤمنين من عشيرتك
وغيرهم فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون يعنى انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك
فان عصوك ولم يتبعوك فتبرا منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على العزيز الرحيم اى على الذى
يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره
الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية
الله وقال الجنيد التوكل ان يقبل بالكلية على ربك وتعرض بالكلية عما دونه فان حاجتك اليه فى الدارين فتوكل
مدنى وشامى عطف على فقل افلا تدع الذى يراك حين تقوم متهجدا وتقلبك اى ويرى تقلبك فى الساجدين
فى المصلين اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه
للتهجد وتقلبه فى تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ليعلم انهم كيف يعبدون
الله ويعملون لاخرتهم وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة وتقلبه فى الساجدين تصرفه فيما بينهم
لقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سال ابا حنيفة رضى الله عنه هل تجد الصلوة بالجماعة
فى القرآن فقال لا يحضرنى فتلا له هذه الاية انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله هون عليه معاناة
مشاق العبادات حيث اخبر برؤيته له اذ لا مشقة على من يعلم انه بمراى مولاه وهو كقوله بعينى ما يتحمل المتحملون
من اجلى ونزل جوابا لقول المشركين ان الشياطين تلقى السمع على محمد هل انبئكم هل اخبركم ايها المشركون على من
تنزل الشياطين ثم نبا فقال تنزل على كل افاك كذاب اثيم مرتكب للاثام وهم الكهنة والمتنبئة كشطيح وطليحة
ومسيلمة ومحمد يشتم الافاكين ويذمهم فكيف تنزل الشياطين عليه يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا
بالرجم يستمعون الى الملا الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم
ويلقون حال اى تنزل ملقين السمع او صفة افاك لانه فى معنى الجمع فيكون فى محل الجر او استيناف فلا يكون
له محل كانه قيل لم تتنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم
يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اى المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع
الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون

يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والافاك الذى يكثر الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك
فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى واكثرهم مفتر عليه وعن الحسن وكلهم وانما فرق بين
وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين وهن اخوات لانه اذا فرق بينهن
بايات ليست منهن ثم رجع اليهن مرة بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما اذا احدثت بحديث وفى صدرك
اهتمام بشئ فتعيد ذكره ولا تنفك عن الرجوع اليه ونزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد واتبعهم
غواة من قومهم يستمعون اشعارهم والشعراء مبتدأ خبره يتبعهم الغاوون اى لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق
الاعراض والقدح فى الانساب ومدح من لا يستحق المدح والهجاء ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاوون اى السفهاء او الراوون
او الشياطين او المشركون قال الزجاج اذا مدح او هجا شاعر بما لا يكون واحب ذلك قوم وتابعوه فهم الغاوون يتبعهم
نافع الم تر انهم فى كل واد من الكلام يهيمون خبر ان اى فى كل فن من الكذب يتحدثون او فى كل لغو وباطل يخوضون والهائم
الذاهب على وجهه لا مقصد له وهو تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضلوا اجبن الناس
على عنترة واشحهم على حاتم وعن الفرزدق ان سليمن بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبى مصرعات وبت افض اغلاق
الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عنى الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون حيث وصفهم
بالكذب والخلف فى الوعد ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات كعبد الله
ابن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك وذكروا الله كثيرا اى كان ذكر الله وتلاوة القران اغلب
عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والاداب ومدح رسول
صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الامة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب وقال ابو يزيد الذكر الكثير ليس بالعدد والغفلة
لكنه بالحضور وانتصروا وهجوا من بعد ما ظلموا هجوا اى ردوا هجاء من هجا رسول الله والمسلمين واحق الخلق
بالهجاء من كذب رسول الله وهجاه وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده
لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة بما يقطع اكباد المتدبرين وهو
قوله للذين ظلموا واطلاقه وقوله اى منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر رضى الله عنه حين عهد اليه وكان
السلف يتواعظون بها قال ابن عطا سيعلم المعرض عنا ما الذى فاته منا واى منصوب بينقلبون على المصدر لا بسيعلم
لان اسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها اى ينقلبون اى انقلاب سورة النمل مكية وهى ثلث وتسعون اية
بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك ايات القران وكتاب مبين اى وايات كتاب مبين وتلك
اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة
او القران وابانته انه يبين ما اودع فيه من العلوم والحكم فيه على هذا عطفه على القران كعطف احدى الصفتين

على الاخرى نحو هذا فعل السخى والجواد ونكر الكتاب ليكون افخم له وقيل انما نكر الكتاب هنا وعرفه فى الحجر وعرف القران
هنا ونكره لان القران والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد عم ووصفان له لانه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف
فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف هدى وبشرى فى محل النصب على الحال من ايات اى هادية ومبشرة
والعامل فيها ما فى تلك من معنى الاشارة او الجر على انه بدل من كتاب او صفة له او الرفع على هى هدى وبشرى وعلى البدل
من ايات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر لتلك اى تلك ايات وهادية من الضلالة ومبشرة بالجنة وقيل هدى لجميع
الخلق وبشرى للمؤمنين خاصة الذين يقيمون الصلوة يديمون على فرايضها وسننها ويؤتون الزكوة يؤدون زكوة
اموالهم وهم بالاخرة هم يوقنون من جملة صلة موصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده وهو استيناف كانه قيل وهؤلاء الذين
يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالاخرة ويدل عليه انه عقد جملة اسمية
وكرر فيها المبتدأ الذى هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل
الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم بخلق الشهوة فيهم حتى
راوا ذلك حسنا كما قال افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فهم يعمهون يترددون فى ضلالتهم كما يكون حال الضال
عن الطريق اولئك الذين لهم سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر بما كان منهم من سوء الاعمال وهم فى الاخرة هم
الاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو امنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب
الله وانك لتلقى القران لتؤتاه وتلقنه من لدن حكيم عليم من عند اى حكيم واى عليم وهذا معنى تنكيرهما وهذه الاية
بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما فى ذلك من لطايف حكمته ودقايق علمه اذ منصوب
باذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من اثار حكمته وعلمه قصة موسى قال موسى لاهله لزوجته ومن معه عند مسيره
من مدين الى مصر انى انست ابصرت نارا ساتيكم منها بخبر عن حال الطريق لانه كان قد ضله او اتيكم بشهاب بالتنوين
كوفى اى شعلة مضيئة قبس نار مقبوسة بدل او صفة وغيرهم بشهاب قبس على الاضافة لانه يكون قبسا وغير
قبس ولا تدافع بين قوله ساتيكم هنا ولعلى اتيكم فى القصص مع ان احدهما ترج والاخر تيقن لان الراجى اذا قوى
رجاؤه يقول سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة ومجيئه بسين التسويف عدة لاهله انه ياتيهم به
وان ابطا او كانت المسافة بعيدة وباو لانه بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما
اما هداية الطريق واما اقتباس النار ولم يدر انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين وهما عز الدنيا والاخرة واختلاف
الالفاظ فى هاتين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز الصلوة بالفارسية
وجواز النكاح بغير لفظ النكاح والتزويج لعلكم تصطلون تستدفئون بالنار من البرد الذى اصابكم والطاء
بدل من تاء افتعل لاجل الصاد فلما جاءها اى النار التى ابصرها نودى موسى ان بورك مخففة من الثقيلة

وتقديره نودى موسى بانه بورك والضمير ضمير الشان وجاز ذلك من غير عوض وان منعه الزمخشرى لان قوله
بورك دعا والدعاء يخالف غيره فى احكام كثيرة او مفسرة لان فى النداء معنى القول اى قيل له بورك اى قدس
او جعل فيه البركة والخير من فى النار ومن حولها اى بورك من فى مكان النار وهم الملائكة ومن حول مكانها اى موسى
بحدوث امر دينى فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه وسبحان الله رب العالمين
هو من جملة ما نودى فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم الضمير فى انه
للشان والشان انا الله مبتدا وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر او يرجع الى ما دل عليه ما قبله اى ان مكلمك انا
والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهو تمهيد لما اراد ان يظهر على يده من المعجزات والق عصاك
لتعلم معجزتك فتانس بها وهو عطف على بورك لان المعنى نودى من فى النار والق عصاك كلاهما تفسير لنودى
والمعنى قيل له بورك من فى النار وقيل له الق عصاك ويدل عليه ما ذكر فى سورة القصص وان الق عصاك بعد قوله
ان يا موسى انى انا الله على تكرير حرف التفسير فلما راها تهتز تتحرك حال من الهاء فى راها كانها جان حية صغيرة
حال من الضمير فى تهتز ولى موسى مدبرا ادبر عنها وجعلها يلى ظهره خوفا من وثوب الحية عليه ولم يعقب لم يلتفت
او لم يرجع يقال قد عقب فلان اذا رجع يقاتل بعد ان ولى فنودى يا موسى لا تخف اى لا يخاف لدى المرسلون
اى لا يخاف عندى المرسلون حال خطابى اياهم او لا يخاف لدى المرسلون من غيرى الا من ظلم اى ليكن
من ظلم من غيرهم لان الانبياء لا يظلمون او لكن من ظلم منهم اى من زل من المرسلين بما صدر عنه مما اذنت له مما
يجوز على الانبياء كما فرط من آدم ويونس وداود وسليمان عليهم السلام والصلوة ثم بدل حسنا اى اتبع توبة
بعد سوء زلة فانى غفور رحيم اقبل توبته واغفر زلته وارحمه فاحقق امنيته وكانه تعريض بما قال موسى حين
قتل القبطى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له وادخل يدك فى جيبك جيب قميصك واخرجها تخرج
بيضاء نيرة تغلب نور الشمس من غير سوء برص وبيضاء ومن غير سوء حالان فى تسع ايات كلام مستانف
وفى يتعلق بمحذوف اى اذهب فى تسع ايات او والق عصاك وادخل يدك فى جملة تسع ايات الى فرعون وقومه
اى يتعلق بمحذوف اى مرسلا الى فرعون وقوله انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن امر الله كافرين فلما جاءتهم
اياتنا معجزاتنا مبصرة حال اى ظاهرة بينة جعل الابصار لها وهو فى الحقيقة لمتاملها لملابستهم اياها بالنظر والتفكر
فيها او جعلت كانها تبصر فتهدى لان العمى لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدى غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة
عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوى قالوا هذا سحر مبين ظاهر لمن تامله وقد قوبل بين المبصرة والمبين
وجحدوا بها قيل الجحود لا يكون الا من علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح لان الجحود هو الانكار وقد يكون الانكار للشئ
للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا كذا فى شرح التاويلات وذكر فى الديوان يقال جحد حقه وبحقه بمعنى والواو للحال

فى واستيقنتها

فى واستيقنتها للحال وقد بعدها مضمرة والاستيقان ابلغ من الايقان انفسهم اى جحدوها بالسنتهم واستيقنوها
فى قلوبهم وضمائرهم ظلما حال من الضمير فى جحدوا اى ظلم الفحش من ظلم من استيقن انها ايات من عند الله ثم سماها
سحرا بينا وعلوا تكبرا وترفعا عن الايمان بما جاء به موسى عم فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق هنا
والاحراق ثم ولقد اتينا اعطينا داود وسليمان علما طائفة من العلم او علما سنيا عزيزا والمعاد علم الدين والحكم
وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين والاية حجة لنا على المعتزلة فى ترك الاصلح وهنا محذوف ليصح
عطف الواو عليه ولولا تقدير المحذوف لكان الوجه الفاء كقولك اعطيته فشكر وتقديره اتيناهما علما فعملا به وعلماه
وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الذى فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يوت علما او من لم يوت مثل علمهما وفيه انهما
فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفى الاية دليل على شرف العلم وتقدم حملته واهليه وان نعمة العلم من اجل النعم
وان من اوتيه فقد اوتى فضلا على كثير من عباده وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم
لهم فى الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة ان يحمدوا الله على ما اوتوه
وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر رضه كل الناس افقه من عمر وورث
سليمان داود ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر قالوا وفى النبوة مثل ابيه وكانه ورثه
والا فالنبوة لا تورث وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير تشهير لنعمة الله واعترافا بمكانها ودعاء للناس
الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد
وكان سليمان عم يفهم عنها كما يفهم بعضها من بعض روى انه صاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا
وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح خطاف
فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال يقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمر
فاخبر انه يقول سبحان ربى الاعلى ويحكى كشاف انه على بلبل فى شجرة تحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه
اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم فقال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء الدروس وذهاب الاثر وقيل
العفاء التراب وفى حديث صفوان اذا دخلت بيتى واكلت رغيفا وشربت عليه فعلى وقال الحداة يقول كل شئ هالك
الا الله والقطاة يقول من سكت سلم والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت
اخرك الموت والعقاب يقول فى البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس واوتينا من كل
شئ والمراد به كثرة ما اوتى كما تقول فلان يعلم كل شئ ومثاله واوتيت من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين
قول وارد على سبيل الشكر كقوله عم انا سيد ولد آدم ولا فخر اى اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا والنون فى علمنا
واوتينا نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا وكلم اهل طاعته على الحالة التى كان عليها وليس التكبر من لوازم

ذلك وحشر وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير روى ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ
خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له
الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب
وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعد عليه وحوله ستمائة
الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول
الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة
شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض
انى قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي ال داود
ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انى مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم
قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتي ال داود فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم اي يوقف سلاف
العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين وذلك للكثرة العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضه ما يزع
السلطان اكثر مما يزع القران حتى اذا اتوا على وادي النمل اي ساروا حتى اذا بلغوا وادي النمل وهو واد بالشام
كثير النمل وعدي بعلى لان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء قالت نملة عرجاء تسمى طاخية او منذرة
وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فسأله ابو حنيفة رضه وهو شاب عن
نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فافحم فقال ابو حنيفة رضه كانت انثى فقيل له بم عرفت فقال لقوله تعا قالت نملة
ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة في وقوعها على الذكر والانثى فتميز بينهما بعلامة
نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ولم يقل ادخلن لانه لما جعلها قائلة والنمل
مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجرى خطابهن مجرى خطابهم لا يحطمنكم لا يكسرنكم والحطم الكسر وهو نهي مستانف
وهو في الظاهر نهي لسليمان عن الحطم وفي الحقيقة نهي لهن عن البروز والوقوف على طريقه لا ارينك هاهنا
اي لا تحضر هذا الموضع وقيل هو جواب الامر وهو ضعيف يدفعه نون التاكيد لانه من ضرورات الشعر سليمان
وجنوده قيل اراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ وهم لا يشعرون لا يعلمون بمكانكم اي لو شعروا
لم يفعلوا قالت ذلك على وجه العذر واصفة سليمان وجنوده بالعدل فسمع سليمان قولها من ثلثة اميال
فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا من حذرها واهتدائها لمصالحها ونصيحتها للنمل او فرحا لظهور عدله وضاحكا
حال مؤكدة لان تبسم بمعنى ضحك واكثر ضحك الانبياء التبسم كذا قاله الزجاج وقال رب اوزعني الهمني
وحقيقته كفني عن الاشياء الا عن شكر نعمتك ان اشكر نعمتك التي انعمت علي من النبوة والملك والعلم

وعلى

وعلى والدي لان الانعام على الوالدين انعام على الولد وان اعمل صالحا ترضاه في بقية عمري وادخلني برحمتك اي
وادخلني الجنة برحمتك لا بصالح عملي اذ لا يدخل الجنة احد الا برحمته كما جاء في الحديث في عبادك الصالحين اي في زمرة
انبيائك المرسلين او مع عبادك الصالحين روي ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان
الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة وتفقد الطير فقال ما لي مكي وعلى وعاصم وغيرهم
بسكون الياء والتفقد طلب ما غاب عنك لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ام بمعنى بل والمعنى انه تعرف الطير
فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب
فاضرب عن ذلك واخذ يقول بل هو غائب وذكر ان سليمان لما حج خرج الى اليمن فوافى صنعاء وقت
الزوال فنزل ليصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء
في الزجاجة فيستخرج الشياطين الماء فتفقده لذلك وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمان
وقع فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد
الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله فتركته فلما قرب من سليمان
ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض وقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه
لاعذبنه عذابا شديدا بنتف ريشه والقائه في الشمس او بالتفريق بينه وبين الفه او بالزامه خدمة اقرانه او بالحبس
مع اضداده وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد او بايداعه القفص او بطرحه بين يدي النمل لياكله
وحل له تعذيب الهدهد لما راى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له
الطير ولم يتم التسخير الا بالتاديب حل له التاديب والسياسة او لاذبحنه او لياتيني بالنون المثقلة ليشاكل
قوله لاعذبنه وحذف نون العماد للتخفيف ليأتينني بنونين مكي الاولى للتاكيد والثانية للعماد بسلطان مبين
بحجة له فيها عذر ظاهر على غيبته والاشكال انه حلف على احد ثلثة اشياء اثنان منها فعله ولا مقال فيه والثالث فعل
الهدهد وهو مشكل لانه من اين درى انه ياتي بسلطان حتى قال والله لياتيني بسلطان والجواب
ان معنى كلامه ليكونن احدى الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما
وليس في هذا ادعاء دراية فمكث الهدهد بعد تفقد سليمان اياه وبفتح الكاف غير عاصم وسهل ويعقوب وهما
لغتان غير بعيد اي مكثا غير طويل او غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه
خوفا من سليمان فلما رجع ساله عما لقي في غيبته فقال احطت علمت شيئا من جميع جهاته بما لم تحط به الهم الله الهدهد
فكافح سليمان بهذا الكلام مع ما اوتي من فضل النبوة والعلوم الجمة ابتلاء له في علمه وفيه دليل بطلان قول
الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه وجئتك من سبا غير منصرف ابو عمرو وجعله

اسما للقبيلة او للمدينة وغيره بالتنوين جعله اسما للحي او للاب الاكبر بنبأ يقين النبا الخبر الذى له شان وقوله
من سبأ بنبأ من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع لفظا ومعنى هاهنا الا ترى انه لو وضع
مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح فى النبأ من الزيادة التى يطابقها وصف الحال انى وجدت امرأة
هى بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها
مجوسا يعبدون الشمس والضمير فى تملكهم راجع الى سبأ على تأويل القوم او اهل المدينة واوتيت حال وقد
مقدرة من كل شىء من اسباب الدنيا ما يليق بحالها ولها عرش سرير عظيم كبير قيل كان ثمانين ذراعا فى ثمانين
ذراعا وطوله فى الهواء ثمانون ذراعا وكان من ذهب وفضة وكان مرصعا بانواع الجواهر وقوائمه من ياقوت احمر
واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق واستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم
عرشها لذلك وقد اخفى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة راها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب ع م وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل اى سبيل التوحيد
فهم لا يهتدون الى الحق ولا يبعد من الهدهد التهدى الى معرفة الله ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس الهاما
من الله له كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التى لا يكاد العقلاء الرجاج العقول يهتدون لها
الا يسجدوا بالتشديد اى فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان وادغمت النون فى اللام
ويجوز ان يكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا وبالتخفيف يزيد وعلى وتقديره
الا يا هؤلاء اسجدوا فالا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف فمن شدد لم يقف الا على العرش العظيم
ومن خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتداء الا يا اسجدوا او وقف على الا يا ثم ابتداء اسجدوا وسجدة
التلاوة واجبة فى القرائتين جميعا بخلاف ما يقوله الزجاج انه لا يجب السجود مع التشديد لان مواضع
السجدة اما امر بها او مدح للاتى بها او ذم لتاركها فاحدى القرائتين امر والاخرى ذم للتارك لله الذى يخرج الخبء
سمى بالخبء بالمصدر فى السموات والارض قتادة خبء السماء المطر وخبء الارض النبات ويعلم ما يخفون وما يعلنون
وبالتاء فيهما على وحفص الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وصف الهدهد عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى
سائر ما خلق من السموات والارض ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك
والى هاهنا كلام الهدهد فلما فرغ من كلامه قال سليمان للهدهد سننظر من النظر الذى هو التامل اصدقت
فيما اخبرت ام كنت من الكاذبين وهذا ابلغ من ام كذبت لانه اذا كان معروفا بالانخراط فى سلك الكاذبين كان
كاذبا بالاستحالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبد الله
سليمان بن داود الى بلقيس ملكة الطبع بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا على

وأتونى

وأتونى مسلمين وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابى هذا فالقه بسكون الهاء تخفيفا ابو عمرو
وعاصم وحمزة ويختلسها بكسر اليدل الكسرة على الياء المحذوفة يزيد وقالون ويعقوب فالقهى باثبات الياء غيرهم
اليهم الى بلقيس وقومها لانه ذكرهم معها فى قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس وبنى الخطاب فى الكتاب على لفظ
الجمع لذلك ثم تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون ما يقولونه بمسمع منك فانظر
ماذا يرجعون ما الذى يردونه من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب
على نحرها وهى راقدة وتولى فى الكوة فانتبهت فزعت او اتاها والجنود حولها فرفرف ساعة فالقى الكتاب فى حجرها
وكانت قارئة فلما رات الخاتم قالت لقومها خاضعة خائفة يا ايها الملأ انى وبفتح الياء مدنى القى الى كتاب كريم
حسن مضمونه وفيه او مختوم قال ع م كرم الكتاب ختمه وقيل من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به او مصدر
ببسم الله الرحمن الرحيم او لانه من عند ملك كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم هو تبيين لما القى اليها
كانها لما قالت انى القى كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وان فى الا
ان لا تعلوا لا تترفعوا على ولا تتكبروا كما يفعل الملوك مفسرة كقوله تعالى وانطلق الملأ منهم ان امشوا يعنى اى امشوا
واتونى مسلمين مؤمنين او منقادين وكتب الانبياء ع م مبنية على الايجاز والاختصار قالت يا ايها الملأ
افتونى فى امرى اشيروا على فى الامر الذى نزل بى والفتوى الجواب فى الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة
من الفتاء فى السن والمراد هاهنا الاشارة عليها بما عندهم من الدالى وقصدها بالرجوع الى استشارتهم
تطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها ما كنت قاطعة امرا فاصلة او مقضية حكما حتى تشهدون بكسر النون
والفتح لحن لان النون انما يفتح فى موضع الرفع وهذا موضع النصب واصله تشهدوننى فحذفت النون الاولى
للنصب والياء لدلالة الكسرة عليها وبالياء فى الوصل والوقف يعقوب اى تحضرونى او تشيروا وتشهدوا
انه صواب اى لا ابت امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كل واحد
على عشرة الاف قالوا مجيبين لها نحن اولوا قوة واولوا باس شديد ارادوا بالقوة قوة الاجساد
والالات وبالباس النجدة والبلاء فى الحرب والامر اليك فانظرى ماذا تامرين اى هو موكول اليك ونحن
مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب
لا من ابناء الدالى والمشورة وانت ذات الدالى والتدبير فانظرى ماذا ترين نتبع رايك فلما احست منهم
الميل الى المحاربة مالت الى المصالحة ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه واريتهم الخطاء فيه حيث قالت
ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها خربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اذلوا اعزتها واهانوا
اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم سوء مغبة الحرب ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة

التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورات ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رات
من الراي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها واحتج الساعي في الارض بالفساد بهذه الاية ومن استباح
حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقران على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين وانى مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة رسلا
بهدية فناظرة فنظرة بم اي بما والاصل الالف تحذف مع حرف الجر في ما الاستفهامية يرجع المرسلون بقبولها ام بردها
لانها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم فان كان ملكا قبلها وانصرف وان كان نبيا ردها ولم يرض
منا الا ان نتبعه على دينه فبعثت خمس ماية غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة
اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمس ماية جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة
وتاجا مكللا بالدرر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رسلا وامرت عليهم المنذر بن
عمرو بدليل قوله بم يرجع المرسلون وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا وقالت فيه ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء
والوصائف واخبر بما في الحقة وانقب الدرة ثقبا مستويا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك
فلا يهولنك منظره وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان الخبر كله فامر سليمان الجن فضربوا
لبنات الذهب والفضة وفرشوها في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه
من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبنات وامر باولاد
الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين
صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحوش والسباع والطيور والهوام كذلك
فلما دنى القوم وراوا الدواب تروث على اللبن رموا بما معهم من الهدايا ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم سليمان بوجه
طلق فاعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين ... فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة واخذت دودة بيضاء
الخيط بفيها ونفذت فيها ودعا بالماء وكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام
كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فلما جاء رسولها المنذر بن عمرو سليمان قال اتمدونن
بمال بنونين واثبات الياء في الوصل والوقف مكي وسهل وافق مدني وابو عمرو في الوصل اتمدوني حمزة ويعقوب
في الحالين وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما والخطاب للرسل فما اتاني الله من النبوة والملك والنعمة وبفتح الياء مدني
وابو عمرو وحفص خير مما اتيكم من زخارف الدنيا بل انتم بهديتكم تفرحون الهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى
فتضاف الى المهدى والمهدى اليه تقول هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها او اهديت اليه والمعنى ان ما عندي خير
مما عندكم وذلك ان الله تعالى اتاني الدين فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع واتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف
يرضى مثلي بان يمد بمال بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم

لان ذلك

لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما ارضى منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية والفرق
بين قولك اتمدونني بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله بالفاء اني اذا قلته بالواو جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى
وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه
الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد فما اتاني الله ووجه الاضراب انه لما انكر عليهم الامداد وعلل
انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضى ولا فرح الا ان يهدى
اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ارجع خطاب للرسول او للهدهد محملا كتابا اخر اليهم الى بلقيس وقومها
فلناتينهم بجنود لا قبل لا طاقة لهم بها وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم ولنخرجنهم منها
من سبا اذلة وهم صاغرون الذل ان يذهب منهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد
فلما رجع اليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو نبي وما لنا به طاقة ثم جعلت عرشها في اخر سبعة
ابيات وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه وبعثت الى سليمان اني قادمة اليك لانظر ما الذي
تدعو اليه وشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف فلما بلغت على راس فرسخ من سليمان
قال يا ايها الملؤا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين اراد ان يريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من
اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ع م او اراد ان ياخذه قبل
ان تسلم لعلمه انها اسلمت لم يحل له اخذ مالها وهذا بعيد عند اهل التحقيق او اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر
اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها قال عفريت من الجن وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك
مجلس حكمك وقضائك واني عليه على حمله لقوي امين اتي به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله فقال سليمان ع م
اريد اعجل من هذا قال الذي عنده علم من الكتاب اي ملك بيده كتاب المقادير ارسله الله تعالى عند قول العفريت
او جبرئيل ع م والكتاب على هذا اللوح المحفوظ او الخضر او اصف بن برخيا كاتب سليمان وهو الاصح وعليه الجمهور
وكان عنده اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب وهو يا حي يا قيوم او يا ذا الجلال والاكرام او يا الهنا واله
كل شيء الها واحدا لا اله الا انت وقيل كان له علم بمجاري الغيوب الهاما انا اتيك به بالعرش واتيك في الموضعين يجوز
ان يكون فعلا واسم فاعل ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت
العرش بين يديك ويروى ان اصف قال لسليمان ع م مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن
فدعا اصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بقدرة الله تع قبل ان يرتد طرفه فلما راه اي العرش مستقرا
عنده ثابتا لديه غير مضطرب قال هذا اي حصول مرادي وهو حضور العرش في مدة ارتداد الطرف من فضل ربي
علي واحسانه الي بلا استحقاق مني بل هو فضل خال عن الغرض صاف عن العرض ليبلوني ليمتحنني ءاشكر انعامه ام اكفر

ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويستجلب به المزيد ويرتبط به
النعمة فالشكر قيد للنعم الموجودة وصيد للنعم المفقودة وفي كلام بعضهم ان كفران النعم بوار وقلما اقشعت
نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص
عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا اي لم تشكر لله نعمه ومن كفر بترك الشكر على النعم فان ربي غني عن الشكر
كريم بالانعام على من يكفر نعمه قال الواسطي ما كان منا من الشكر فهو لنا وما كان منه من النعم فهو الينا فله المنة
والفضل علينا قال نكروا لها عرشها غيروه اي اجعلوا مقدمه موخره واعلاه اسفله ننظر بالجزم على الجواب اتهتدى
الى معرفة عرشها او للجواب الصواب اذا سئلت عنه ام تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت بلقيس قيل اهكذا
عرشك ها للتنبيه والكاف للتشبيه وذا اسم الاشارة ولم يقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون
تلقينا قالت كانه هو فاجابت احسن جواب فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع
في المحتمل للامرين او لما شبهوا عليها بقولهم اهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها كانه هو مع انها علمت عرشها واوتينا
العلم من قبلها من كلام بلقيس اي واوتينا العلم بقدرة الله وبصحة نبوتك بالايات المتقدمة من امر الهدهد
والرسل من قبل هذه المعجزة اي احضار العرش او من قبل هذه الحالة وكنا مسلمين منقادين لك مطيعين لامرك
او من كلام سليمان وملائه عطفوا على كلامها قولهم واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده
قبل علمها واوتينا العلم باسلامها ومجيئها طايعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين موحدين خاضعين وصدها ما
كانت تعبد من دون الله متصل بكلام سليمان عم اي وصدها عن العلم بما علمناه او عن التقدم الى الاسلام
عبادة الشمس ونشوؤها بين ظهراني الكفرة ثم بين نشاها بين الكفرة بقوله انها كانت من قوم كافرين او كلام
مبتدا اي قال الله تع وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل او وصدها الله او سليمان عما
كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل اليه قيل لها ادخلي الصرح القصر او صحن الدار فلما راته حسبته
لجة ماء عظيما وكشفت عن ساقيها بالهمز مكي روي ان سليمان عم امر قبل قدومها فبني له على طريقها
قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه
وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحقيقها للنبوة وقيل ان الجن
كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له فطنة
الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين
ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنها فاذا هي
احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء فصرف بصره ثم قال لها انه صرح ممرد مملس مستو ومنه الامرد من قوارير

من الزجاج

من الزجاج واراد سليمان تزوجها فكره شعرها فعملت لها الشياطين النورة فازالته فنكحها سليمان واحبها
واقرها في ملكها وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلثة ايام وولدت له قالت رب اني ظلمت نفسي
بعبادة الشمس واسلمت مع سليمان لله رب العالمين قال المحققون لا يحتمل ان يحتال سليمان لينظر الى ساقيها
وهي اجنبية فلا يصح القول بمثله ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم في النسب صالحا بدل ان اعبدوا الله بكسر النون في الوصل
عاصم وحمزة وبصري وبضم النون غيرهم اتباعا للباء والمعنى بان اعبدوا الله اي وحدوه فاذا للمفاجاة هم مبتدا
فريقان خبر يختصمون صفة وهي العامل في اذا والمعنى فاذا قوم صالح فريقان مومن به وكافر به يختصمون فيقول
كل فريق الحق معي وهو مبين في قوله قال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم اتعلمون
ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مومنون قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون وقال الفريق
الكافر يا صالح ايتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعذاب الذي توعدونه
قبل الحسنة قبل التوبة لولا هلا تستغفرون الله تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والايمان قبل نزول العذاب بكم
لعلكم ترحمون بالاجابة قالوا اطيرنا بك تشاءمنا بك لانهم قحطوا عند مبعثه لتكذيبهم ونسبوه الى مجيئه
والاصل تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء في الطاء وزيدت الالف لسكون الطاء وبمن معك من المومنين
قال طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته او عملكم مكتوب
عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه كل انسان الزمناه طائره في عنقه اصله ان المسافر اذا مر
بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما
من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة بل انتم قوم تفتنون تختبرون او تعذبون
بذنبكم وكان في المدينة مدينة وهي الحجر تسعة رهط هو جمع لا واحد له فلذا جاز تمييز التسعة به فكانه قيل تسعة
انفس وهو من الثلثة الى العشرة عن ابن دريد راسهم قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا
ابناء اشرافهم يفسدون في الارض ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح
كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح وعن الحسن يظلمون الناس ولا يمنعون الظالمين من الظلم
وعن ابن عطا يتبعون معايب الناس ولا يسترون عوراتهم قالوا تقاسموا بالله تحالفوا خبر في محل الحال باضمار
قد اي قالوا متقاسمين او امر اي امر بعضهم بعضا بالقسم لنبيتنه لنقتلنه بياتا اي ليلا واهله ولده وتبعه ثم
لنقولن لوليه لولي دمه لتبيتنه بالتاء وضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء وضم اللام حمزة وعلي ما شهدنا
ما حضرنا مهلك اهله حفص مهلك ابو بكر وحماد المفضل من هلك فالاول موضع الهلاك والثاني المصدر
ومهلك غيرهم من اهلك وهو الاهلاك او مكان الاهلاك اي لم نتعرض لاهله فكيف تعرضنا له او ما حضرنا

موضع هلاكه فكيف نوليناه وانا لصادقون فيما ذكرنا ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون مكرهم ما اخفوه
من تدبير القتل لصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبهه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي انه
كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلث
فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم
فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانهم
ونجا صالحا ومن معه فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم بفتح الالف كوفي وسهل وبكسرها غيرهم على الاستيناف
ومن فتحه رفعه على انه بدل من العاقبة او خبر مبتداء محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه
خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار وقومهم اجمعين بالصيحة فتلك بيوتهم خاوية ساقطة منهدمة من خوى النجم
اذا سقط او خالية من الخوى وهي حال عمل فيها ما دل عليه تلك بما ظلموا بظلمهم ان في ذلك فيما فعل بثمود لاية لقوم
يعلمون قدرتنا فيتعظون وانجينا الذين امنوا بصالح وكانوا يتقون ترك اوامره وكانوا اربعة الاف نجوا
مع صالح من العذاب ولوطا اذ قال اي واذكر لوطا واذ بدل من لوطا اي واذكر وقت قول لوط لقومه اتاتون
الفاحشة اي اتيان الذكور وانتم تبصرون تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها من بصر القلب او يرى ذلك بعضهم
من بعض لانهم كانوا يرتكبونها في ناديهم معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض مجانة وانهماكا في المعصية او تبصرون
اثار العصاة قبلكم وما نزل بهم ثم صرح فقال ائنكم بهمزتين كوفي وشامي لتاتون الرجال شهوة للشهوة من دون
النساء اي ان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر والانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته بل انتم
قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او اريد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا
عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبة في قوله بل انتم قوم تجهلون وبل انتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة
لانه اقوى اذ الاصل ان يكون الكلام بين الحاضرين فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط اي لوطا ومتبعيه
فخبر كان جواب واسمه ان قالوا من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن القاذورات فينكرون هذا العمل
القذر ويغيظنا انكارهم وقيل هو استهزاء كقوله انك لانت الحليم الرشيد فانجيناه فخلصناه من العذاب الواقع
بالقوم واهله الا امراته قدرناها بالتشديد سوى حماد وابي بكر اي قدرنا كونها من الغابرين من الباقين في العذاب
الواقع بالقوم وامطرنا عليهم مطرا حجارة مكتوبا عليها اسم صاحبها فساء مطر المنذرين الذين لم يقبلوا
الانذار قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله محمد عليه السلام بتحميده ثم بالسلام على المصطفين من عباده
توطية لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء وهو تعليم لكل متكلم في كل امر ذي بال بان يتبرك بهما
ويستظهر بمكانهما او هو خطاب للوط عم وان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه

منهلكهم

من هلكهم وعصمه من ذنوبهم الله خير اما يشركون بالياء بصري وعاصم ولا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن
بينه وبين من هو خالق كل شيء وانما هو الزام لهم وتهكم بحالهم وذلك انهم اثروا عبادة الاصنام على عبادة الله
ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير
فيما اثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطاء المفرط والجهل المورط وليعلموا ان الايثار
يجب ان يكون للخير الزائد وكان عليه السلام اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع
التي هي اثار رحمته وفضله فقال امن خلق السموات والارض والفرق بين ام وام في اما تشركون وامن خلق ان
تلك متصلة اذ المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة ولما قال الله خير ام الالهة قال بل امن خلق السموات
والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وانزل لكم من السماء ماء مطرا
فانبتنا صرف الكلام عن الغيبة الى التكلم تاكيدا لمعنى اختصاص الفعل بذاته وايذانا بان انبات الحدائق المختلفة
الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسنها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده به بالماء حدائق بساتين
والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة ذات ولم يقل ذوات لان المعنى جماعة حدائق كما تقول
النساء ذهبت بهجة حسن لان الناظر يبتهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها
ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تاتي ذلك محال من غيره االه مع الله اي اغيره يقرن به ويجعل شريكا له بل هم قوم
يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رايهم امن جعل الارض
وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها وجعل خلالها ظرف اي وسطها
وهو المفعول الثاني والاول انهارا وبين البحرين مثله وجعل لها للارض رواسي جبالا تمنعها عن الحركة وجعل
بين البحرين اي العذب والمالح حاجزا مانعا ان يختلطا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون التوحيد فلا يؤمنون امن
يجيب المضطر اذا دعاه الاضطرار افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة الى اللجاء يقال اضطره الى كذا والفاعل
والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله تعالى او المذنب
اذا استغفر او المظلوم اذا دعا او من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر ويكشف السوء
الضر او الجور ويجعلكم خلفاء الارض اي فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة
الملك والتسلط االه مع الله قليلا ما تذكرون وبالياء ابو عمرو وبالتخفيف حمزة وعلي وحفص وما مزيدة اي
تذكرون تذكرا قليلا امن يهديكم يرشدكم بالنجوم في ظلمات البر والبحر ليلا وبعلامات في الارض نهارا ومن
يرسل الرياح الريح مكي وحمزة وعلي بشرا من البشارة وقدمر بين يدي رحمته قدام المطر االه مع الله تعالى
الله عما يشركون امن يبدؤ الخلق ينشئ الخلق ثم يعيده وانما قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون للاعادة لانه ازيحت

علمهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار ومن يرزقكم من السماء المطر والارض اى ومن
الارض النبات ءاله مع الله قل هاتوا برهانكم حجتكم على اشراككم ان كنتم صادقين في دعواكم ان مع الله الها اخر قل
لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله من فاعل يعلم والغيب وهو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق
مفعوله والله بدل من من والمعنى لا يعلم احد الغيب الا الله نعم ان الله يتعالى عن ان يكون ممن في السموات والارض
ولكنه جاء على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب والبدل في المنقطع
كما في المتصل يقولون ما في الدار احد الا حمار وقالت عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله
الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقيل نزلت في المشركين حين سالوا
رسول الله عن وقت الساعة وما يشعرون وما يعلمون ايان متى يبعثون ينشرون بل ادارك مكي وبصري ويزيد
المفضل اى انتهى وتكامل من ادركت الفاكهة تكاملت نضجا بل ادرك عن الاعشى افتعل بل ادارك غيرهم اى استحكم
واصله تدارك فادغمت التاء في الدال وزيد الف الوصل ليمكن التكلم بها علمهم في الاخرة اى في شان الاخرة ومعناها
والمعنى ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيمة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون
وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون والاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وتكرير لجهلهم وصفهم
اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه
والازالة مستطاعة ثم بما هو اسوء حالا وهو العمى وقد جعل الاخرة مبدا عماهم ومنشاه فلذا عداه بمن دون
عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي منعهم عن التدبر والتفكر ووجه ملائمة مضمون هذه الاية وهو
وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من معرفته بما قبله وهو اختصاصه تعالى
بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه انه لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب كان هذا بيانا لعجزهم ووصفا
لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد من كونه وهو وقت جزاء
اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به وجاز ان يكون وصفهم باستحكام العلم
وتكامله تهكما بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي
الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته ويجوز ان يكون ادرك بمعنى انتهى
وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك
بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وقال الذين كفروا ءاذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون من قبورنا احياء وتكرير
حرف الاستفهام في اذا وانا في قراءة عاصم وحمزة وخلف انكار بعد انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد
مبالغ فيه والعامل في اذا ما دل عليه لمخرجون وهي تخرج لان لا اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الاستفهام او ان او لام

الابتدا

الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف اذا اجتمعن والضمير في انا لهم ولابائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم واباءهم لكنه غلبت
الحكاية بعنى حكاية النفس على الغائب واباؤنا عطف على الضمير في كنا لان المفعول جرى مجرى التوكيد لقد وعدنا هذا
اى البعث نحن واباؤنا من قبل من قبل محمد قدم هنا هذا على نحن واباؤنا وفي المؤمنين قدم نحن واباؤنا على هذا
ليدل على ان المقصود بالذكر هو البعث هنا وثم المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين ما هذا الا احاديثهم واكاذيبهم
قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين اى اخر امر الكافرين وفي ذكر الاجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم
كقوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم اغرقوا ولا تحزن عليهم لاجل انهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا
ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما يمكرون من مكرهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا
بالفتح وهو قراءة غير ابن كثير وبالكسر وهو قراءته ويقولون متى هذا الوعد اى وعد العذاب ان كنتم صادقين ان
العذاب نازل بالمكذب قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى
ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى
باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق
الامر وجده فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل اى افضال على الناس بترك المعاجلة بالعذاب
ولكن اكثرهم لا يشكرون اى اكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم وان ربك ليعلم
ما تكن تخفى صدورهم وما يعلنون يظهرون من القول فليس تاخير العذاب عنهم لخفاء حالهم ولكن له وقت مقدر
او انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه
وقرئ تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين سمي
الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية والتاء فيهما كالتاء في العافية والعاقبة ونظائرهما الرمية والذبيحة والنطيحة
في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة الا
وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة ان هذا القران يقص
على بني اسرائيل اى يبين لهم اكثر الذي هم فيه يختلفون فانهم اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم
التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القران ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا
يريد اليهود والنصارى وانه وان القران لهدى ورحمة للمؤمنين لمن انصف منهم وامن اى من بني اسرائيل او منهم
ومن غيرهم ان ربك يقضي بينهم بين من امن بالقران ومن كفر به بحكمه اى بعدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمى المحكوم به
حكما او بحكمته ويدل عليه قراءة من قرا بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له ومن يقضي
عليه او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين فتوكل على الله امره بالتوكل على الله قلة

المبالاة باعداء الدين انك على الحق المبين وعدل التوكل بانه على الحق الابلج وهو الدين الواضح الذى لا يتعلق به شك وفيه
بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق على الله وبنصرته انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى
العمى عن ضلالتهم لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس وبالصم الذين ينعق بهم
فلا يسمعون وبالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة وبصراء الا الله عز وجل ثم اكد الاصم
بقوله اذا ولوا مدبرين لانه اذا تباعد عن الداعى بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكى وكذا
فى الروم وما انت تهدى العمى وكذا فى الروم حمزة ان تسمع الا من يؤمن باياتنا اى ما يجدى اسماعك الا على الذين علم الله
انهم يؤمنون باياته اى يصدقون بها فهم مسلمون مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله يعنى جعله سالما لله خالصا له
واذا وقع القول عليهم سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله
والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم هى الجساسة فى الحديث
طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وقيل لها راس
ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير
وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون
اى لا يوقنون بخروجى لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين او تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى
دين الاسلام او بان هذا مؤمن وهذا كافر وفتح ان كوفى وسهل على حذف الجار اى تكلمهم بان وغيرهم كسر لان
الكلام بمعنى القول او باضمار القول اى تقول الدابة ذلك ويكون المعنى بايات ربنا وهى حكاية لقول الله تعالى عند
ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال ويوم نحشر من كل امة فوجا من للتبعيض اى واذكر يوم نجمع من كل امة
من الامم زمرة ممن يكذب من للتبيين باياتنا المنزلة على انبيائنا فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم حتى
يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة
حتى اذا جاؤوا حضروا موقف الحساب والسؤال قال لهم تعالى تهديدا اكذبتم باياتى المنزلة على رسلى ولم تحيطوا بها
علما الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادى الرأى من غير فكر ولا نظر يؤدى الى احاطة العلم بكنهها وانما حقيقة
بالتصديق او بالتكذيب اماذا كنتم تعملون حيث لم تتفكروا فيها فانكم لم تخلقوا عبثا ووقع القول عليهم بما ظلموا
فهم لا ينطقون اى يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فيشغلهم عن النطق
والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا حال جعل الابصار
للنهار وهو لاهله والتقابل مراعا من حيث المعنى لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب فى المكاسب
ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون يصدقون فيعتبرون وفيه دليل على صحة البعث لان معناه الم يعلموا انا جعلنا

الليل

الليل والنهار قواما لمعاشهم فى الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب
فاذا لم يكونا فى هذه الدار فلا بد من دار اخرى للثواب والعقاب ويوم واذكر يوم ينفخ فى الصور هو قرن او جمع صورة
والنافخ اسرافيل ففزع من فى السموات ومن فى الارض واختير فزع على يفزع للاشعار بتحقق الفزع وثبوته
وانه كائن لا محالة والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه من الملائكة
قالوا هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش
ومن جابر منهم موسى لانه صعق مرة ومثله ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء
الله وكل اتوه حمزة وحفص وخلف اتوه غيرهم آتوه واصله اتيوه داخرين حال اى صاغرين ومعنى الاتيان
حضورهم الموقف او رجوعهم الى امره وانقيادهم له وترى الجبال تحسبها بفتح السين شامى وحمزة ويزيد
وعاصم وبكسرها غيرهم حال من المخاطب جامدة واقفة ممسكة عن الحركة من جمد مكانه اذا لم يبرح وهى تمر
حال من الضمير المنصوب فى تحسبها مر السحاب اى مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رايت الجبال وقت النفخة
ظننتها ثابتة فى مكان واحد لعظمها وهى تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربته الريح وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة
العدد اذا تحركت لا يكاد يتبين حركتها كما قال النابغة فى صفة جيش بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب
تهملج صنع الله مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لان مرورها كمر السحاب من صنع الله فكانه قيل صنع ذلك صنعا واذكر
اسم الله لانه لم يذكر قبل الذى اتقن كل شىء اى احكم خلقه انه خبير بما يفعلون مكى وبصرى غير سهل وابو بكر غير يحيى
وغيرهم بالتاء اى انه عالم بما يفعل العباد فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة اى بقول
لا اله الا الله عند الجمهور فله خير منها اى فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون خير بمعنى افضل ويكون
منها فى موضع رفع صفة لخير اى بسببها وهم من فزع كوفى اى من فزع شديد مفرط الشدة وهو خوف النار او من
فزع ما وان قل وبغير تنوين غيرهم يومئذ كوفى ومدنى وبكسر الميم غيرهم والمراد يوم القيامة آمنون امن يعدى
بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة بالشرك فكبت القيت وجوههم فى النار يقال كببت
الرجل القيته على وجهه اى القوا على رؤسهم فى النار او عبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالراس والرقبة عنها اى القوا
فى النار ويقال لهم تبكيتا عند الكب هل تجزون الا ما كنتم تعملون فى الدنيا من الشرك والمعاصى انما امرت ان اعبد
رب هذه البلدة مكة الذى حرمها جعلها حرما آمنا يامن فيها اللاجى اليها ولا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها
ولا ينفر صيدها وله كل شىء مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والاخرة وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين له
وان اتلو القران من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك امر رسوله بان يقول امرت ان اخص
الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو

القران لا عرف الحلال والحرام وما يقتضيه الاسلام وخص مكة من بين ساير البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب
بلاده اليه واعظمها عنده واشار اليها بقوله هذه اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه
ووصف ذاته بالتحريم الذى هو خاص وصفها وجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها
تحتها فمن اهتدى باتباعه اياى فيما انا بصدده من توحيد الله ونفى الشركاء عنه والدخول فى الملة الحنيفية واتباع
ما انزل على من الوحى فانما يهتدى لنفسه فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الى ومن ضل فقل انما انا من المنذرين
اى ومن ضل ولم يتبعنى فلا على وما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ المبين وقل الحمد لله سيريكم
اياته فتعرفونها ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التى لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله
من اياته فى الاخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نقمات الله تع فى الدنيا وما ربك
بغافل عما تعملون بالتاء مدنى وشامى وحفص ويعقوب خطاب لاهل مكة وبالياء غيرهم اى كل عمل يعملونه
فالله عالم به وغير غافل عنه فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه سورة القصص مكية وهى ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين يقال بان الشئ وابان بمعنى
واحد ويقال ابنته فابان لازم ومتعد مبين خيره وبركته او مبين للحلال والحرام والوعد والوعيد والاخلاص
والتوحيد نتلوا عليك نقرأ عليك اى يقرؤه جبرئيل بامرنا ومفعول نتلوا من نبإ موسى وفرعون اى نتلوا
عليك بعض خبرهما بالحق حال اى محقين لقوم يؤمنون لمن سبق فى علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء
دون غيرهم ان فرعون جملة مستانفة كالتفسير للمجمل كان قائلا قال وكيف كان نباهما فقال ان فرعون علا
طغى وجاوز الحد فى الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسى العبودية فى الارض ارض مملكته يعنى مصر وجعل
اهلها شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوى عنقه او فرقا مختلفة يكرم طائفة
ويهين اخرى فاكرم القبطى واهان الاسرائيلى يستضعف طائفة منهم هم بنو اسرائيل يذبح ابناءهم ويستحيى
نساءهم اى يترك البنات احياء للخدمة وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرائيل
يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم ينفعه القتل وان كذب فما معنى
القتل ويستضعف حال من الضمير فى وجعل او صفة لشيعا او كلام مستانف ويذبح بدل من يستضعف
انه كان من المفسدين فيه ان القتل ظلما انما هو فعل المفسدين اذ لا طائل تحته صدق الكاهن او كذب ونريد ان نمن
نتفضل وهو دليل لنا فى مسئلة الاصلح وهذه الجملة معطوفة على ان فرعون علا فى الارض لانها نظيرة تلك فى وقوعها
تفسير النبإ موسى وفرعون واقتصاصا له او حال من يستضعف اى يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن
عليهم وارادة الله تع كائنة فجعلت كالمقارنة لاستضعافهم على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة فى الخير

اودعاة الى الخير او ولاة وملوكا ونجعلهم الوارثين اى يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن لهم مكن له
اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد ومعنى التمكين لهم فى الارض ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم
ويسلطهم وينفذ امرهم ونرى فرعون وهامان وجنودهما بضم النون ونصب فرعون وما بعده وبالياء ورفع
فرعون وما بعده على وحمزة اى يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم ونرى نصب
عطف على المنصوب قبله كقراءة النون او رفع على الاستيناف منهم من بنى اسرائيل ويتعلق بنرى دون يحذرون
لان الصلة لا تتقدم على الموصول من بنى اسرائيل ما كانوا يحذرون الحذر التوقى من الضرر واوحينا الى ام موسى
بالالهام او بالرؤيا او باخبار ملك كما كانت لمريم وليس هذا وحى رسالة فلا تكون هى رسولا ان ارضعيه ان بمعنى
اى او مصدرية فاذا خفت عليه من القتل بان يسمع الجيران صوته فينموا عليه فالقيه فى اليم البحر قيل نيل مصر و
ولا تخافى من الغرق والضياع ولا تحزنى بمفارقته انا رادوه اليك بوجه لطيف لتربيه وجاعلوه من المرسلين
وفى هذه الاية امران ونهيان وخبران وبشارتان والفرق بين الخوف والحزن ان الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع
والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما وبشرت برده اليها وجعله من المرسلين وروى
انه ذبح فى طلب موسى تسعون الفا وليد وروى انها حين ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى
بنى اسرائيل مصافية لها فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ما جئتك
الا لاقبل مولودك واخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت القابلة جاء
عيون فرعون فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا
فخرجوا وهى لا تدرى مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما
فلما الح فرعون فى طلب الولدان اوحى الله اليها بالقائه فى اليم فالقته فى اليم بعد ان ارضعته ثلثة اشهر فالتقطه
آل فرعون اخذه قال الزجاج كان فرعون من اهل فارس من اصطخر ليكون لهم عدوا اى ليصير الامر الى ذلك
لانهم اخذوه لهذا كقولهم للموت ما تلد الوالدة وهى لم تلد لان يموت ولدها ولكن المصير الى ذلك كذا قاله
الزجاج وعن هذا قال المفسرون ان هذه لام العاقبة والصيرورة قال صاحب الكشاف هى لام كى التى معناها
التعليل كقولك جئتك لتكرمنى ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له
شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذى هو نتيجة المجئ وحزنا وحُزنا على وحمزة
وهما لغتان كالعَدم والعُدم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين خاطين تخفيف خاطئين ابو جعفر
اى كانوا مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم او كانوا خاطئين فى كل شئ
فليس خطاؤهم فى تربية عدوهم ببدع منهم وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك روى انهم حين التقطوا

التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته
ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت الى وجهه فبرئت فقالت الغواة
من قومه هو الذي تحذر منه فاذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي
وفي الحديث لو قال كما قلت لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض اي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية
لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت وقرة خبر مبتدا محذوف اي هو قرة ولي ولك صفتان لقرة لا تقتلوه خاطبته
خطاب الملوك او خاطبت الغواة عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما عاينت من النور
وبرء البرصاء او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل لان يكون ولدا للملوك وهم لا يشعرون حال وذو حالها آل فرعون
وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امراة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على
خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف
والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم وما احسن نظم هذا الكلام عند اصحاب المعاني والبيان واصبح وصار
فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه في يد فرعون ان كادت لتبدي
لتظهر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها قيل لما رات الامواج تلعب بالتابوت كادت تصيح
او تقول يا ابناه وقيل لما سمعت ان فرعون اخذ التابوت لم تشك انه يقتله وكادت تقول وا ابناه شفقة عليه
وان مخففة من الثقيلة اي انها كادت لولا ان ربطنا على قلبها لولا ربطنا على قلبها والربط على القلب تقويته
بالهام الصبر لتكون من المؤمنين من المصدقين اي لتبديه بوعدنا وهو انا رادوه اليك وجواب لولا محذوف
اي لابدته او فارغا من الهم حين سمعت ان آل فرعون تبنوه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا
وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقها الذي حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين
بوعد الله لا بتبني فرعون قال يوسف بن الحسين امرت ام موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت
ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي اثره لتعلمي خبره
فبصرت به اي ابصرته عن جنب عن بعد حال من الضمير في به او من المضمر في بصرت وهم لا يشعرون انها اخته
وحرمنا عليه المراضع تحريم منع لا تحريم شرع اي منعناه ان يرضع ثديا غير ثدي امه فكان لا يقبل ثدي مرضع
حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع
من قبل من قبل قصصها اثره او من قبل ان نرده على امه فقالت اخته وقد دخلت داره بين المراضع وهو لا يقبل
ثديا هل ادلكم ارشدكم على اهل بيت يكفلونه اي موسى لكم وهم له ناصحون النصح اخلاص العمل من شائب الفساد
روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فخذوها حتى تخبر بقصة هذا الغلام فقالت

انما

انما اردت وهم للملك ناصحون فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو
يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي
الا ثديك قالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به
الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله فرددناه الى امه
كي تقر عينها بالمقام معه ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق اي وليثبت علمها مشاهدة كما علمت خبرا
وقوله لا تحزن معطوف على تقر وانما حل لها ما تاخذه من الدنيا لكل يوم كما قال السدي رحمه الله مال حربي لا انها
اجرة على ارضاع ولدها ولكن اكثرهم لا يعلمون هو داخل تحت علمها اي لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انه حق فيرتابون ويشبه هذا التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت ولما بلغ اشده بلغ موسى نهاية
القوة وتمام العقل وهو جمع شدة كنعمة وانعم عند سيبويه واستوى واعتدل وتم استحكامه وهو اربعون سنة
ويروى انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة آتيناه حكما نبوة وعلما فقها او علما بمصالح الدارين وكذلك نجزي
المحسنين اي كما فعلنا بموسى وامه نفعل بالمؤمنين قال الزجاج جعل الله تع اتباء العلم والحكمة مجازاة على العمل
لانهما يؤديان الى الجنة التي هي جزاء المحسنين والعالم الحكيم من يعمل بعلمه تع قال ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا
يعلمون فجعلهم جهالا اذ لم يعملوا بالعلم ودخل المدينة اي مصر على حين غفلة من اهلها حال من الفاعل اي مختفيا
وهو ما بين العشائين او وقت القائلة يعني انتصاف النهار وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم
فاخافوه فلا يدخل المدينة الا على تغفل فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل
وقيل هو السامري وهذا من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وقيل فيهما هذا وهذا وان كانا غائبين
على جهة الحكاية اي اذا نظر اليهما الناظر قال هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه فاستنصره الذي من شيعته
على الذي من عدوه فوكزه موسى ضربه بجمع كفه او باطراف اصابعه فقضى عليه فقتله قال هذا اشارة الى القتل الحاصل
بغير قصد من عمل الشيطان وانما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما للنفس واستغفر منه لانه كان مستامنا
فيهم فلا يحل له قتل الكافر الحربي او لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر انه
عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب يا رب اني ظلمت نفسي بفعل صار قتلا فاغفر لي زلتي فغفر له زلته انه هو
الغفور باقالة الزلل الرحيم بازالة الخجل قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا معينا للمجرمين للكافرين وبما انعمت
على قسم جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف
كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين
صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد فاصبح في المدينة خائفا

على نفسه من قتل القبطي ان يؤخذ به يترقب حال اي يتوقع المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه
وقال ابن عطاء خائفا على نفسه يترقب نصرة ربه وفيه دليل على انه لا باس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض
الناس انه لا يسع الخوف من دون الله فاذا الذي اذا للمفاجاة وما بعدها مبتدأ استنصره اي موسى بالامس
يستصرخه يستغيثه والمعنى ان الاسرائيلي الذي خلصه موسى استغاث به ثانيا من قبطي آخر قال له موسى
اي للاسرائيلي انك لغوي مبين اي ضال عن الرشد ظاهر الغي فقد قاتلت بالامس رجلا فقتلته بسببك والرشيد
في التدبير لا يفعل فعلا يفضي الى البلاء على نفسه وعلى من يريد نصرته فلما ان اراد موسى ان يبطش بالذي بالقبطي
الذي هو عدو لهما لموسى والاسرائيلي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل قال الاسرائيلي لموسى وقد توهم
انه اراد اخذه لا اخذ القبطي اذ قال له انك لغوي مبين يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا يعني القبطي بالامس
ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا قتالا بالغضب في الارض ارض مصر وما تريد ان تكون من المصلحين في كظم الغيظ
وكان قتل القبطي بالامس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما افشى على موسى علم القبطي ان قاتله موسى عم فاخبر فرعون
فهموا بقتله وجاء رجل من اقصى المدينة مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون يسعى صفة لرجل او حال من رجل لانه
وصف بقوله من اقصى المدينة قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك اي يأمر بعضهم بعضا بقتلك او يتشاورون
بسببك والائتمار التشاور يقال الرجلان يتأمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر
فاخرج من المدينة اني لك من الناصحين لك بيان وليس بصلة الناصحين لان الصلة لا يتقدم على الموصول كانه
قال اني من الناصحين ثم اراد ان يبين فقال لك كما يقال سقيا لك ومرحبا بك فخرج موسى منها من المدينة خائفا
يترقب التعرض له في الطريق او ان يلحقه من يقتله قال رب نجني من القوم الظالمين اي قوم فرعون ولما توجه تلقاء
مدين نحوها والتوجه الاقبال على الشيء ومدين قرية شعيب عم سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان
فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج ولم يكن له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه
قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي وسطه ومعظم نهجه فجاءه ملك فانطلق به الى مدين ولما ورد وصل ماء مدين
ماءهم الذي يسقون منه وكان بئرا وجد عليه على جانب البئر امة جماعة كثيرة العدد من الناس من اناس مختلفين
يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تطردان غنمهما عن الماء لان على الماء
من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي او لئلا يختلط اغنامهما باغنامهم والذود الطرد والدفع قال ما خطبكما
ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا قالتا لا نسقي غنمنا حتى يصدر الرعاء
مواشيهم يصدر شامي ويزيد وابو عمرو اي يرجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام وابونا شيخ لا يمكنه سقي الاغنام
كبير في حاله او في السن لا يقدر على رعي الغنم ابانتا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما

رغبة

رغبة في المعروف واغاثة للملهوف روي انه نحى القوم عن رأس البئر وسألهم دلوا فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها
وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وترك المفعول في يسقون وتذودان ولا نسقي
لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما
غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذا في لا نسقي ونسقي لان المقصود هو السقي لا المسقي ووجه مطابقة جوابهما سؤاله انه
سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان مستورتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرجال
ونستحيي من الاختلاط بهم فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وانما رضي شعيب عم لابنتيه بسقي الماشية لان
الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه واما المروة فعادات الناس في ذلك متباينة واحوال العرب فيه خلاف احوال
العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة ثم تولى الى الظل اي ظل
سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله بعض المتقشفة ولما طال البلاء عليه آنس بالشكوى
الى المولى فقال رب اني لما اي لاي شيء انزلت الي من خير قليل او كثير غث او سمين فقير محتاج وعدي فقير باللام لانه
ضمن معنى سائل وطالب قيل كان لم يذق طعاما سبعة ايام وقد لصق بطنه بظهره ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا
لاجل ما انزلت الي من خير الدارين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل
السني وفرحا به وشكرا له وقال ابن عطاء نظر من العبودية الى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من الانوار
فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا على استحياء في موضع الحال اي
مستحيية وهذا دليل كمال ايمانها وشرف عنصرها لانها كانت تدعوه الى ضيافتها ولم تعلم ايجيبها ام لا فاتته مستحيية
قد استترت بكم درعها وما في ما سقيت مصدرية اي جزاء سقيك روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس
واغنامهما حفل قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها
موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما جاءه وقص عليه
القصص اي قصته واحواله مع فرعون والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال لا تخف نجوت من القوم
الظالمين اذ لا سلطان لفرعون بارضنا وفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا او انثى والمشي مع الاجنبية
مع ذلك الاحتياط والتورع واما اخذ الاجر على البر والمعروف فقيل انه لا باس به عند الحاجة كما كان لموسى عم
على انه روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك وانما اجابها لئلا يخيب قصدها لان للقاصد حرمة ولما وضع شعيب
الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب الست جائعا قال بلى ولكن اخاف ان يكون عوضا مما سقيت لهما وانا اهل
بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا ناخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فاكل قالت
احداهما يا ابت استأجره اتخذه اجيرا لرعي الغنم روي ان كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هي التي

ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهى التى تزوجها ان خير من استاجرت القوى الامين فقال وما علمك بقوته
وامانته فذكرت نزع الدلو وامرها بالمشى خلفه وورود الفعل بلفظ الماضى للدلالة على ان امانته وقوته امران
متحققان وقولها ان خير من استاجرت القوى الامين كلام جامع لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية
والامانة فى القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقيل القوى فى دينه الامين فى جوارحه وقد استغنت بهذا
الكلام الجارى مجرى المثل عن ان تقول استاجره لقوته وامانته وعن ابن مسعود رضى الله عنهما افرس الناس ثلثة
بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر فى عمر قال انى اريد ان انكحك اى ازوجك احدى ابنتى
هاتين قولها هاتين يدل على انه كانت له غيرها وهذه مواعدة منه ولم يكن ذلك عقد النكاح اذ لو كان عقدا لقال
قد انكحتك على ان تاجرنى تكون اجيرا لى من اجرته اذا كنت له اجيرا ثمانى حجج ظرفه والحجة السنة وجمعها حجج والتزوج
على رعى الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بامور الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة فان
اتممت عشرا اى عمل عشر حجج فمن عندك اى فذلك تفضل منك ليس بواجب عليك او فاتمامه من عندك
ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع وما اريد ان اشق عليك بالالزام اتم الاجلين وحقيقة
قولهم شققت عليه وشق عليه الامر ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين يقول تارة اطيقه وطورا
لا اطيقه ستجدنى ان شاء الله من الصالحين فى حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز ان يراد الصلاح على العموم
ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشية الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته
لا انه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل قال موسى ذلك مبتدا وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب والخبر بينى وبينك
يعنى ذلك الذى قلته وعاهدتنى فيه وشارطتنى عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت
على ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال ايما الاجلين قضيت اى اى اجل قضيت من الاجلين يعنى العشر او الثمانى
واى نصب بقضيت وما زائدة موكدة لابهام اى وهى شرطية وجوابها فلا عدوان على اى لا يعتدى على فى طلب
الزيادة عليه قال المبرد قد علم انه لا عدوان عليه فى اتمهما ولكن جمعهما ليجعل الاقل كالاتم فى الوفاء وكما ان طلب
الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل والله على ما نقول وكيل هو من وكل اليه الامر وعدى بعلى
لانه استعمل فى موضع الشاهد والمثبت روى ان شعيبا كانت عنده عصى الانبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل
ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فاخذ عصا هبط بها ادم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت
الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع فى يده الا هى سبع مرات فعلم ان له شانا ولما اصبح
قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلاء وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك
وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين

تداقبل

تداقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع
الى شعيب مس الغنم فوجدها ملاء البطون وغزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا
وقال له انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحى اليه فى المنام ان اضرب بعصاك مستقى
الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه فلما قضى موسى الاجل قال ام قضى اوفاهما وتزوج
صغراهما وهذا خلاف الرواية التى مرت وسار باهله بامراته نحو مصر قال ابن عطاء لما تم اجل المحنة ودنا ايام
الزلفة وظهر انوار النبوة سار باهله ليشركه معه فى لطايف صنع ربه انس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا
انى انست نارا لعلى اتيكم منها بخبر عن الطريق لانه قد ضل الطريق او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها
نودى من شاطئ الواد الايمن بالنسبة الى موسى فى البقعة المباركة بتكليم الله تع فيها من الشجرة العناب والعوسج
ان يا موسى ان مفسرة او مخففة من الثقيلة انى انا الله رب العالمين قال جعفر ابصر نارا دلته على الانوار لانه راى
النور على هيئة النار فلما دنى منها شملته انوار القدس واحاطت به جلابيب الانس فخاطب بالطف خطاب واستدعى منه
احسن جواب فصار بذلك مكلما شريفا اعطى ما سال وامن مما خاف الجذوة باللغات الثلث وقرى بهن فعاصم
بفتح الجيم وحمزة وخلف بضمها وغيرهم بكسرها العود الغليظ كانت فى راسه نار اولم تكن من الاولى والثانية لابتداء
الغاية اى اتاه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطئ الوادى بدل اشتمال لان الشجرة
كانت نابتة على الشاطئ اى الجانب وان الق عصاك ونودى ان الق عصاك فالقاها فقلبها الله ثعبانا فلما راها تهتز
تتحرك كانها جان حية فى سعيها وهى ثعبان فى جثتها ولى مدبرا ولم يعقب لم يرجع فقيل له يا موسى اقبل ولا تخف انك
من الامنين اى امنت من ان ينالك مكروه من الحية اسلك ادخل يدك فى جيبك جيب قميصك تخرج بيضاء لها شعاع
كشعاع الشمس من غير سوء برص واضمم اليك جناحك من الرهب حجازى وبصرى الرهب حفص الرهب غيرهم ومعنى
الكل الخوف والمعنى واضمم يدك الى صدرك يذهب ما بك من فرق لاجل الحية وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل خائف
اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل معنى ضم الجناح ان الله تع لما قلب العصا حية فزع موسى واتقاها بيده كما يفعل
الخائف من الشئ فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك
تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة
اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدى الانسان بمنزلة جناحى الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى
فقد ضم جناحه اليه واريد بضم جناحيه اليه تجلده وضبط نفسه عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب
استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومعنى من الرهب
من اجل الرهب اى اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا

وعلة بما امره من ضم جناحيه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك واسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد
ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين اذ الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب
ومعنى واضمم يدك الى جناحك في طه ادخل يمناك في يسراك فذانك مخففا مثنى ذلك ومشددا مكي وابو عمرو مثنى
ذلك فاحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا برهانان حجتان نيرتان بينتان وسميت
الحجة برهانا لانارتها من قولهم للمراة البيضاء برهرهة من ربك الى فرعون وملئه اي ارسلناك الى فرعون وملئه
بهاتين الايتين انهم كانوا قوما فاسقين كافرين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بغير ياء به
وبالياء يعقوب واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي معض ردا حال اي عونا يقال ردأته اعنته و
بلا همزة مدني يصدقني بالرفع عاصم وحمزة صفة اي ردا مصدقا لي وغيرهما بالجزم جواب لارسله ومعنى تصديقه
موسى اعانته اياه بزيادة البيان في مظان الجدال ان احتاج اليه ليثبت دعواه لا ان يقول اصدقت الاترى
الى قوله هو افصح مني لسانا فارسله معي وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت فسحبان
وباقل فيه يستويان اني اخاف ان يكذبون يكذبوني في الحالين يعقوب قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به
اذ اليد تشتد بشدة العضد لانه قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور ونجعل لكما سلطانا غلبة
وتسلطا وهيبة في قلوب الاعداء فلا يصلون اليكما باياتنا الباء يتعلق بيصلون اي لا يكون لهم اليكما سبيل بسبب اياتنا وتم
الكلام او نجعل لكما سلطانا اي تسلطا بآياتنا او بمحذوف اي اذهبا باياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة او قسم
جوابه لا يصلون مقدما عليه انتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى باياتنا بينات واضحات قالوا ما هذا
الا سحر مفترى اي سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند
الله وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين في اباينا حال منصوبة عن هذا اي كائنا في زمانهم يعني ما حدثنا بكونه فيهم
وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون اي ربي اعلم منكم بحال
من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا
مفتريا لما اهله لذلك لانه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار
هي العاقبة المحمودة لقوله اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن تجري والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها ان يختم للعبد بالرحمة
والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى والغفران قال موسى بغير واو مكي وهو حسن لان الموضع موضع سؤال وبحث
عما اجابهم موسى عند تسميتهم مثل تلك الايات العظام سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى
هذا ليوازن الناظر بين القول والفعل ويتبصر فساد احدهما وصحة الاخر ربي اعلم حجازي وابو عمرو ومن يكون حمزة وعلي
وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري قصد بنفي علمه باله غيره نفي وجوده اي ما لكم من اله غيري او هو على ظاهره

وان الها

وان الها غيره غير معلوم عنده فاوقد لي يا هامان على الطين اصنع لي الاجر اتخذه وانما لم يقل مكان الطين هذا لانه
اول من عمل الاجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة ولانه افصح واشبه بكلام الجبابرة اذ امره هامان وهو وزيره
بالايقاد على الطين مناديا باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر فاجعل لي صرحا قصرا عاليا لعلي اطلع اي
اصعد والطلوع والاطلاع الصعود الى اله موسى حسب انه في مكان كما كان هو في مكان واني لاظنه اي موسى من
الكاذبين في دعواه ان له الها وانه ارسله الينا رسولا وقد تناقض المخذول فانه قال ما علمت لكم من اله غيري ثم اظهر
حاجته الى هامان واثبت لموسى اله واخبر انه غير متيقن بكذبه وكانه تحصن من عصا موسى فلبس وقال
لعلي اطلع الى اله موسى روي ان هامان جمع خمسين الف بناء وبنى صرحا لم يبلغه بناء احد من الخلق فضرب الصرح
جبرئيل بجناحه فقطعه ثلث قطع قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل وقطعة في البحر وقطعة
في المغرب ولم يبق احد من عماله الا هلك واستكبر هو وجنوده تعظم في الارض ارض مصر بغير الحق اي بالباطل فالاستكبار
بالحق لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة اي المتبالغ في كبرياء الشان كما حكى رسولنا عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة
ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون
لا يرجعون نافع وحمزة وعلي وخلف ويعقوب فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة
شانه شبههم استقلالا لعددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات اخذهن اخذ بكفه فطرحهن في البحر فانظر يا محمد كيف
كان عاقبة الظالمين وحذر قومك فانك منصور عليهم وجعلناهم ائمة قادة يدعون الى النار اي الى عمل اهل النار
او هو اشارة الى قوله يقدم قومه يوم القيمة والى قوله ثم لننزعن من كل شيعة الاية قال ابن عطاء نزع عن اسرارهم التوفيق
وانوار التحقيق فهم في ظلمات نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد وفيه دلالة خلق افعال العباد ويوم القيمة لا ينصرون
من العذاب واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة الزمناهم طردا وابعادا عن الرحمة وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس
اياهم بعدهم ويوم القيمة هم من المقبوحين المطرودين المبعدين او المهلكين او المشوهين بسواد الوجوه وزرقة
العيون ويوم ظرف للمقبوحين ولقد اتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قوم نوح وهود
وصالح ولوط عليهم السلام بصائر للناس حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد والسعادة
كما ان البصر نور العين الذي يبصر به الاجساد يريد اتيناه التورية انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف
حقا من باطل وهدى وارشادا لانهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لمن اتبعها لانهم اذا عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة
لعلهم يتذكرون يتعظون وما كنت يا محمد بجانب الغربي وهو المكان الواقع في شق الغرب وهو الذي وقع فيه
ميقات موسى اذ قضينا الى موسى الامر اي كلمناه وقربناه نجيا وما كنت من الشاهدين اي من جملة الشاهدين
للوحي اليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى في ميقاته ولكنا انشانا بعد موسى قرونا فتطاول عليهم العمر

اى طال عليهم اعمارهم وفترت النبوة وكادت الاخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف فى كثير منها فارسلناك مجددا
لتلك الاخبار مبينا ما وقع فيه التحريف واعطيناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهدا
لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحى الذى هو اطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارا
فاذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا مقيما فى اهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به
تتلوا عليهم اياتنا تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الايات التى فيها قصة شعيب وقومه تتلوا فى موضع نصب خبر
ثان او حال من الضمير فى ثاويا ولكنا كنا مرسلين ولكنا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها وما كنت بجانب الطور
اذ نادينا موسى ان خذ الكتاب بقوة ولكن علمناك وارسلناك رحمة للرحمة من ربك لتنذر قوما ما اتيهم من
نذير من قبلك فى زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمس مائة وخمسون سنة لعلهم يتذكرون ولولا ان تصيبهم
مصيبة عقوبة بما قدمت ايديهم من الكفر والظلم ولما كان اكثر الاعمال تزاول بالايدى نسبت الاعمال الى الايدى وان
كانت من اعمال القلوب تغليبا للاكثر على الاقل فيقولوا عند نزول العذاب ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
ونكون من المؤمنين لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الاولى للعطف والفاء الثانية
جواب لولا لكونها فى حكم الامر اذ الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل فى جواب الامر
والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصى هلا ارسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك
لما ارسلنا اليهم يعنى ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هى السبب فى الارسال لا القول لدخول لولا
الامتناعية عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا للارسال ولكن العقوبة لما كانت سببا للقول وكان
وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال فادخلت عليها لولا وجئ بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية
معنى السببية ويؤل معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا فلما جاءهم الحق من عندنا
اى القران والرسول المصدق بالكتاب المعجز قالوا اى كفار مكة لولا اوتى هلا اعطى مثل ما اوتى موسى من الكتاب المنزل
جملة واحدة اولم يكفروا يعنى ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة فى زمن موسى
بما اوتى موسى من قبل من قبل القران قالوا فى موسى وهارون ساحران تظاهرا تعاونا سحران كوفى اى ذوا سحر
او جعلوهما سحرين مبالغة فى وصفهما بالسحر وقالوا انا بكل بكل واحد منهما كافرون وقيل ان اهل مكة لما كفروا بمحمد
وبالقران فقد كفروا بموسى والتورية وقالوا فى موسى ومحمد ساحران تظاهرا او فى التورية والقران سحران تظاهرا
وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسالونهم عن محمد فاخبروهم انه فى كتابهم فرجع الرهط الى قريش
فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما انزل

على موسى

على موسى ومما انزل على اتبعه جواب فاتوا ان كنتم صادقين فى انهما ساحران فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون
اهواءهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم يبق لهم حجة الا اتباع الهوى
ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اى لا احد اضل ممن اتبع فى الدين هواه بغير هدى حال اى مخذولا
مخلى بينه وبين هواه ان الله لا يهدى القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون التوصيل تكثير
الوصل وتكريره يعنى ان القران اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ليتذكروا فيفلحوا
الذين اتيناهم الكتاب من قبله من قبل القران وخبر الذين هم به بالقران يؤمنون نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب واذا يتلى
القران عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله من قبل نزول القران مسلمين كائنين على دين الاسلام مؤمنين
بمحمد وقوله انه تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله انا بيان لقوله امنا لانه يحتمل ان يكون
ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا بان ايمانهم به متقدم اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا بصبرهم على الايمان
بالتورية والايمان بالقران او بصبرهم على الايمان بالقران قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين
واهل الكتاب ويدرؤن بالحسنة السيئة يدفعون بالطاعة المعصية او بالحلم الاذى ومما رزقناهم ينفقون يزكون
واذا سمعوا اللغو الباطل والشتم من المشركين اعرضوا عنه وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم امانا
منا لكم بان نقابل لغوكم بمثله لا نبتغى الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم انك لا تهدى من احببت لا تقدر ان تدخل
فى الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم ولكن الله يهدى من يشاء بخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء
وهو اعلم بالمهتدين بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلائل والايات قال الزجاج اجمع المفسرون على انها
نزلت فى ابى طالب وذلك انه قال عند موته يا معشر بنى هاشم صدقوا محمدا تفلحوا فقال عليه السلام يا عم تامرهم بالنصيحة
ولا تنفعهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخى قال اريد منك ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال
يا ابن اخى قد علمت انك صادق ولكن اكره ان يقال جزع عند الموت وان كانت الصيغة عامة والاية حجة على المعتزلة
لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس اجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل ان وراء البيان
ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا
او لم نمكن لهم حرما امنا قالت قريش نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك ان يتخطفونا
من ارضنا فالقمهم الله بانه الحجر بانه مكن لهم فى الحرم الذى امنه بحرمة البيت وامن قطانه بحرمته والثمرات تجبى اليهم
من كل اوب وهم كفرة فانى يستقيم ان يعرضهم للتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد
الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز يجبى اليه وبالتاء مدنى ويعقوب وسهل اى تجلب وتجمع ثمرات كل شئ
معنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شئ رزقا من لدنا هو مصدر لان معنى يجبى اليه يرزق او مفعول له او حال

من الثمرات ان كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المخصصة بالصفة ولكن اكثرهم لا يعلمون
متعلق بمن لدنا اى قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا انه
من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا امنوا به وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها
هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا فى مثل حالهم بانعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر
فاهلكوا وكم نصب باهلكنا ومعيشتها بحذف الجار وايصال الفعل اى فى معيشتها والبطر سوء احتمال الغنى
وهو ان لا تحفظ حق الله فيه فتلك مساكنهم منازلهم باقية الآثار تشاهدونها فى الاسفار كبلاد ثمود وقوم
شعيب وغيرهم لم تسكن حال والعامل فيها الاشارة من بعدهم الا قليلا من السكنى اى لم يسكنها الا المسافر
ومار الطريق يوما او ساعة وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اى لا يملك التصرف
فيها غيرنا وما كان ربك مهلك القرى فى كل وقت حتى يبعث فى امها وبكسر الهمزة حمزة وعلى اى فى القرية التى هى
امها اى اصلها ومعظمها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة او وما كان فى حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى فى الارض
حتى يبعث فى ام القرى يعنى مكة لان الارض دحيت من تحتها رسولا يعنى محمدا عم يتلوا عليهم اياتنا اى القران وما كنا
مهلكى القرى الا واهلها ظالمون اى وما اهلكناهم بالانتقام الا واهلها مستحقون للعذاب وهو اصرارهم على كفرهم
وعنادهم ومكابرتهم بعد الاعذار اليهم وما اوتيتم من شىء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها واى شىء اصبتموه من اسباب
الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهو مدة الحيوة الفانية وما عند الله وهو ثوابه خير فى نفسه من ذلك وابقى
لانه دائم افلا تعقلون ان الباقى خير من الفانى وخير ابو عمرو بين الياء والتاء والباقون بالتاء لا غير وعن ابن عباس رضه
ان الله تع خلق الدنيا وجعل اهلها ثلثة اصناف المومن والكافر والمنافق فالمومن يتزود والمنافق يتزين والكافر
يتمتع ثم قرئ هذه الاية بقوله افمن وعدناه وعدا حسنا اى الجنة فلا شىء احسن منها لانها دائمة ولذا سميت الجنة
بالحسنى فهو لاقيه اى رائيه ومدركه ومصيبه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين
من الذين احضروا النار ونحوه فكذبوه فانهم لمحضرون نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى جهل لعنه الله
او فى على وحمزة وابى جهل او فى المومن والكافر ومعنى الفاء الاولى انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وما عند
الله عقبه بقوله افمن وعدناه اى بعد هذا التفاوت الجلى يسوى بين ابناء الدنيا وابناء الاخرة والفاء الثانية للتسبيب
لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد وثم لتراخى حال الاحضار عن حال التمتع ثم هو على كما قيل عضد فى عضد شبه المنفصل
بالمتصل ويوم يناديهم يناديهم الله الكفار نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركائى
بناء على زعمهم الذين كنتم تزعمون ومفعولا تزعمون محذوفان تقديره كنتم تزعمونهم شركائى ويجوز حذف المفعولين
فى باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على احدهما قال الذين حق عليهم القول اى الشياطين او ائمة الكفر ومعنى حق عليهم القول

وجب

وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ربنا هؤلاء مبتداء الذين اغوينا اى دعوناهم
الى الشرك وسولناه لهم الخبر صفته والراجع الى الموصول محذوف والخبر اغويناهم والكاف فى كما غوينا صفة مصدر محذوف
تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغوا الا باختيارنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم
لم يكن الا وسوسة وتسويلا فلا فرق اذا بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان فى مقابلته
دعاء الله لهم بالايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب وهو كقوله
وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا انفسكم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه
من الكفر ما كانوا ايانا يعبدون بل يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما
مقررتين لمعنى الجملة الاولى وقيل للمشركين ادعوا شركاءكم اى الاصنام لتخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم
فلم يجيبوهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون وجواب لو محذوف اى لما راوا العذاب ويوم يناديهم فيقول ماذا
اجبتم المرسلين الذين ارسلوا اليكم حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمة الكفر عند
توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الالهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم ثم ما يشبه الشماتة لهم من
استغاثتهم الهتهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل فعميت
عليهم الانباء يومئذ خفيت عليهم الحجج او الاخبار وقيل خفى عليهم الجواب فلم يدروا ماذا يجيبون اذ لم يكن عندهم
جواب فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا من العذر والحجة رجاء ان يكون عنده عذر وحجة لانهم يتساوون
فى العجز من الجواب فاما من تاب عن الشرك وامن بربه وبما جاء من عنده وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين
اى فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة للمسلمين على الاسلام وترغيب للكافرين على
الايمان ونزلت جوابا لقول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعنى نفسه وابا مسعود
وربك يخلق ما يشاء وفيه دلالة خلق الافعال ويوقف على ويختار اى وربك يخلق ما يشاء وربك يختار
ما يشاء ما كان لهم الخيرة اى ليس لهم ان يختاروا على الله شيئا ما وله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف فى ما كان لهم
الخيرة لانه بيان لقوله ويختار اذ المعنى ان الخيرة لله وهو اعلم بوجوه الحكمة فى افعاله فليس لاحد من خلقه ان يختار
عليه ومن وصل على معنى ويختار الذى لهم فيه الخيرة فقد ابعد بل ما لنفى اختيار الخلق تقريرا لاختيار الحق ومن
قال معناه ويختار للعباد ما هو خير لهم واصلح فهو مائل الى الاعتزال والخيرة من التخير تستعمل بمعنى المصدر وهو
التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه سبحان الله وتعالى عما يشركون اى الله برئ من اشراكهم
وهو منزه عن ان يكون لاحد عليه اختيار وربك يعلم ما تكن تخفى صدورهم من عداوة رسول الله وحسده
وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره فى النبوة وهو الله وهو المستاثر بالالهية المختص بها

لا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي له الحمد في الاولى الدنيا والاخرة هو قولهم الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد على وجه اللذة لا الكلفة وله الحكم القضاء بين
عباده واليه ترجعون بالبعث والنشور وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب قل ارايتم ارايتم بحذف الهمزة علي ان جعل
الله عليكم الليل سرمدا هو مفعول ثان لجعل اي دايما من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلثة سرد
وواحد فرد والميم مزيد ووزنه فعمل الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون والمعنى اخبروني من يقدر
على هذا قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون
ولم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي يتعلق به متكاثرة
ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك
ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوايده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره
انت من السكون ونحوه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله اي لتسكنوا في الليل ولتبتغوا
من فضل الله في النهار فيكون من باب اللف والنشر ولعلكم تشكرون الله على نعمه وقال الزجاج يجوز ان يكون معناه
لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من فضل الله فيهما ويكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون كرر التوبيخ باتخاذ الشركاء ليوذن بان لا شيء اجلب لغضب
الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا يعني نبيهم لان انبياء
الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول
فعلموا حينئذ ان الحق التوحيد لله وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضايع ما كانوا يفترون من الوهية غير الله
والشفاعة لهم ان قارون لا ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرنت الشيء لانصرف كان من قوم موسى
كان اسرائيليا ابن عم لموسى فهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وكان
يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرأ بني اسرائيل للتورية ولكنه نافق كما نافق السامري فبغى عليهم من البغي الظلم
قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم او من البغي الكبر تكبر عليهم بكثرة ماله وولده وزاد عليهم في الثياب شبرا
واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه ما بمعنى الذي في موضع نصب باتينا ان واسمها وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت
ان والمفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به او مفتح بالفتح وهو الخزانة والاصوب انها المقاليد لتنوء بالعصبة لتثقل
العصبة فالباء للتعدية يقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون
بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود اولي القوة اذ قال له قومه اي المؤمنون وقيل
القايل موسى م ومحل اذ نصب بتنوء لا تفرح لا تبطر بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا بما اتاكم ولا يفرح بالدنيا الا من رضيها

واطمان

واطمان وامامن قلبه الى الاخرة ويعلم انه يتركها عن قريب فلا يفرح بها ان الله لا يحب الفرحين البطرين بالمال وابتغ
فيما اتاك الله الدار الاخرة من الغنى والثروة بان تتصدق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف الى ابواب الخير ولا تنس
نصيبك من الدنيا وهو ان تاخذ منه ما يكفيك ويصلحك وقيل معناه اطلب بدنياك اخرتك فان ذلك حظ المؤمن منها
واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك او احسن بشكرك وطاعتك بخالق الانام كما احسن اليك بالانعام ولا تبغ
الفساد في الارض بالظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين قال انما اوتيته اي المال على علم عندي اي على استحقاق
لما في من العلم الذي فضلت به الناس وهو علم التوراة او علم الكيمياء وكان ياخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما
ذهبا او العلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندي صفة لعلم قال سهل ما نظر احد الى نفسه فافلح
والسعيد من صرف بصره عن افعاله واقواله وفتح له سبيل رؤية منة الله عليه في جميع الافعال والاقوال والشقي
من زين في عينيه افعاله واقواله واحواله فافتخر بها وادعاها لنفسه فشومه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى
لنفسه فضلا اولم يعلم قارون ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة هو اثبات لعلمه بان
الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى لانه قد قراه في التورية كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده
من العلم هذا حتى لا يغتر به بكثرة ماله وقوته او نفي لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندي قيل اعنده
مثل ذلك العلم الذي ادعاه وراى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع
الهالكين واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير
حساب او يعترفون بها بغير سوال او يعرفون بسيماهم فلا يسالون او لا يسالون ليعلم من جهتهم بل يسالون سوال
توبيخ او لا يسال عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الامة فخرج على قومه في زينته في الحمرة والصفرة وقيل
خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى
خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثماية غلام وعن يساره ثلثماية جارية بيض عليهن الحلي والديباج وفي زينته
حال من فاعل خرج اي متزينا قال الذين يريدون الحيوة الدنيا قيل كانوا مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار
كعادة البشر وقيل كانوا كفارا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون قالوا غبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة
صاحبه من غير ان تزول عنه كهذه الاية والحاسد هو الذي يتمنى ان يكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضر الغبطة قال لا الا كما يضر العضاه الخبط
انه لذو حظ عظيم الحظ الجد وهو البخت والدولة وقال الذين اوتوا العلم بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء
العقبى للغابطين قارون ويلكم اصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى
وفي التبيان في اعراب القران هو مفعول فعل محذوف اي الزمكم الله ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا الاية بلغها

اي لا يلقن هذه الكلمة وهي ثواب الله خير الا الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ما قسم
الله من القليل عن الكثير فخسفنا به وبداره الارض كان قارون يوذي موسى عم كل وقت وهو يداريه للقرابة
التي بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه على كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره
فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا فمر بما شئت قال
نطلب بنو حب المال عده من باب طلب حسبانا فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها
الف دينار او طبقا من ذهب او حليا فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن
افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا
قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل التورية ان
تصدق فقال جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك
فاغضب لي فاوحى الله تع اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون
كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم
فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون
الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فقال الله تع
لموسى استغاث بك مرارا فلم ترحمه فوعظمتي لو استرحمني فوعزتي مرة لرحمته فقال بعض بني اسرائيل انما اهلكه
ليرث ماله فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه فما كان له من فئة جماعة ينصرونه من دون الله يمنعونه من عذاب الله
وما كان من المنتصرين من المنتقمين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر
اي منعه فامتنع واصبح وصار الذين تمنوا مكانه منزلته من الدنيا بالامس ظرف لتمنوا ولم يرد به اليوم الذي
قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر وهي
منفصلة عن كان عند البصريين قال سيبويه هي كلمة تنبيه على الخطاء ويندم يستعملها النادم باظهار ندامته يعني
ان القوم قد تنبهوا على خطاهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وتندموا لولا ان من الله علينا
بصرف ما كنا تتمناه بالامس لخسف بنا بفتحتين حفص ويعقوب وسهل وفيه ضمير الله تعالى ويكانه لا يفلح الكافرون
اي تندموا ثم قالوا كانه لا يفلح الكافرون تلك الدار الاخرة تلك تعظيم لها وتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت
بذكرها وبلغك وصفها وقوله نجعلها خبر تلك والدار نعتها للذين لا يريدون علوا في الارض بغيا ابن جبير والضحاك
الضحاك او كبيرا ولا فسادا عملا بالمعاصي او قتل النفس او دعاء الى عبادة غير الله ولم يعلق الموعد بترك العلو
والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون ،

وعن علي رض ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قراها
ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض وقال بعضهم حقيقة التقوى عن متابعة
فرعون وقارون متثبتا بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض والعاقبة المحمودة للمتقين من جاء
بالحسنة فله خير منها مر في النمل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات معناه فلا يجزون لوضع الذين
عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين بحالهم وزيادة تبغيض السيئة
الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم ان لا يجزي السيئة الا بمثلها
ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة ان الذي فرض عليك القران اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل
بما فيه لرادك بعد الموت الى معاد اي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر ولذا نكره او المراد به مكة والمراد
رده اليها يوم الفتح وانما نكره لانها كانت في ذلك اليوم معادا له شان ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله وقهره
لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الاية نزلت بالجحفة لا بمكة
ولا بالمدينة حين اشتاق الى مولده ومولد اباءه ولما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء
بالهدى يعني نفسه وما له من الثواب في المعادة ومن هو في ضلال مبين يعني المشركين وما يستحقونه
من العقاب في معادهم من في محل النصب بفعل مضمر اي يعلم وما كنت ترجوا ان يلقى يوحى اليك الكتاب اي القران
الا رحمة من ربك هو محمول على المعنى اي وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك او الا بمعنى لكن للاستدراك
اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك فلا تكونن ظهيرا للكافرين معينا لهم على دينهم ولا يصدنك عن ايات الله
هو على الجمع اي لا يمنعك هولاء عن العمل بايات الله اي القران بعد اذ انزلت اليك الايات اي بعد وقت
انزاله واذ يضاف اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ وادع الى ربك توحيده وعبادته ولا تكونن من المشركين
ولا تدع مع الله الها اخر قال ابن عباس رض الخطاب في الظاهر للنبي عم والمراد به اهل دينه ولان العصمة لا تمنع
النهي والوقف على اخر لازم لانه لو وصل لصار لا اله الا هو صفة لاله اخر وفيه من الفساد ما فيه كل شيء هالك الا وجهه
الا اياه والوجه يعبر به عن الذات وقال مجاهد يعني علم العلماء اذا اريد به وجه الله له الحكم القضاء في خلقه واليه ترجعون
وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون اية بسم الله الرحمن الرحيم
الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون الحسبان قوة احد النقيضين على الاخر كالظن بخلاف
الشك فهو الوقوف بينهما والعلم فهو القطع على احدهما ولا يصح تعليقهما بمعاني المفردات ولكن بمضامين
الجمل فلو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى يقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا
لان قولك زيد عالم والفرس جواد كلام دال على مضمون فاذا اردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك

على وجه يتم الظن لا اليقين اذ دخلت على شطرى الجملة فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك والكلام الدال على المضمون الذى يقتضيه الحسبان هنا ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وذلك لان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول مفعولى حسب ولقولهم امنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذى هو بمعنى التصيير كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجئ بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم امنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام وهو استفهام توبيخ والفتنة الامتحان بشدايد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعدا وساير الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفقر والقحط وانواع المصايب فى الانفس والاموال ومصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وروى انها نزلت فى ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من اذى المشركين او فى عمار وكان يعذب فى الله ولقد فتنا اى اختبرنا وهو موصول باحسب او بلا يفتنون الذين من قبلهم بانواع الفتن فمنهم من يوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ومنهم من يمشط بامشاط الحديد ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا فى الايمان وليعلمن الكاذبين فيه ومعنى علمه تع وهو عالم بذلك فيما لم يزل ان يعلمه موجودا عند وجوده كما علمه قبل وجوده انه يوجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب قال ابن عباس عطا يتبين صدق العبد من كذبه فى اوقات الرخاء والبلاء فمن شكر فى ايام الرخاء وصبر فى ايام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر فى ايام الرخاء وجزع فى ايام البلاء فهو من الكاذبين ام حسب الذين يعملون السيئات اى الشرك والمعاصى ان يسبقونا ان يفوتونا يعنى ان الجزاء يلحقهم لا محالة واشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه وقالوا الاول فى المؤمنين وهذا فى الكافرين ساء ما يحكمون ما فى موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم او نصب على معنى ساء حكما يحكمون والمخصوص بالذم محذوف اى بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا من كان يرجو لقاء الله اى يامل ثوابه او يخاف حسابه فالرجاء يحتملهما فان اجل الله المضروب للثواب والعقاب لات لا محالة فليبادر العمل الصالح الذى يصدق رجاءه ويحقق امله وهو السميع لما يقوله عباده العليم بما يفعلونه فلا يفوته شئ منه وقال الزجاج من الشرط ويرتفع بالابتداء وجواب الشرط فان اجل الله لات كقولك ان كان زيد فى الدار فقد صدق الوعد ومن جاهد نفسه بالصبر على طاعة الله او الشيطان بدفع وساوسه او الكفار فانما يجاهد لنفسه لان منفعة ذلك يرجع اليها ان الله لغنى عن العالمين وعن طاعتهم ومجاهدتهم وانما امره ونهيه رحمة لعباده والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم اى الشرك والمعاصى بالايمان والتوبة ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون اى احسن جزاء اعمالهم فى الاسلام ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصى حكمه حكم امر فى معناه وتصرفه يقال وصيت

زيدا

زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه قوله تع ووصى بها ابرهيم بنيه اى وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا اى فعلا ذا حسن او ما هو فى ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما فى الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان يوقف على بوالديه ويبتدى حسنا احسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا وان جاهداك ايها الانسان لتشرك بى ما ليس لك به علم اى لا علم لك بالهيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كانه قال لتشرك بى شيئا لا يصح ان يكون الها فلا تطعهما فى ذلك فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق الى مرجعكم مرجع من امن منكم ومن اشرك فانبئكم بما كنتم تعملون فاجازيكم حق جزائكم وفى ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتهما على الشرك وحث على الثبات والاستقامة فى الدين روى ان سعد بن ابى وقاص لما اسلم نذرت امه ان لا تاكل ولا تشرب حتى يرتد فشكى الى النبى م فنزلت هذه الاية والتى فى لقمان والتى فى الاحقاف والذين امنوا وعملوا الصالحات وهو مبتدا والخبر لندخلنهم فى الصالحين فى جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى الانبياء فقال سليمان م وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال يوسف م توفنى مسلما والحقنى بالصالحين او فى مدخل برحمتك فى عبادك الصالحين وهو الجنة ونزلت فى المنافقين ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذى فى الله اى اذا مسه اذى من الكفار جعل فتنة الناس كعذاب الله اى جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اى واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اى متابعين لكم فى دينكم ثابتين عليه ثباتكم فاعطونا نصيبا من المغنم او ليس الله باعلم بما فى صدور العالمين اى هو اعلم بما فى صدور العالمين من العالمين المؤمنين بما فى صدورهم و من ذلك ما فى صدور هؤلاء من النفاق وما فى صدور العالمين من الاخلاص ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين اى حالهما ظاهرة عند من يملك الجزاء عليهما وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم امروهم باتباع سبيلهم وهى طريقتهم التى كانوا عليها فى دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران فى الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع اى ان تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان كان ذلك فانا نحمل عنكم الاثم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشئ وفى قلوبهم

نية للخلق وليحملن اثقالهم اى اثقال انفسهم يعنى اوزارهم بسبب كفرهم واثقالا مع اثقالهم اى اثقالا اخر غير الخطايا
التى ضمنوا للمؤمنين حملها وهى اثقال الذين كانوا سببا فى ضلالهم وهو كما قال ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار
الذين يضلونهم بغير علم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون يختلقون من الاكاذيب والاباطيل ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما كان عمره الفا وخمسين سنة بعث على راس اربعين ولبث فى قومه
تسعماية وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش الفا واربعماية سنة فقال له ملك الموت يا اطول
الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت وخرجت ولم يقل تسعماية وخمسين سنة لانه لو قيل كذلك
لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على الكثرة وهذا التوهم زايل هنا وكانه قيل تسعماية وخمسين سنة كاملة وافية
العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملا بالفايدة ولان القصة سيقت لذكر ما ابتلى به نوح عم من امته وما كابده
من طول المصابرة تسلية لنبينا عم وتثبيتا له وكان ذكر الالف افخم واوصل الى الغرض وجئ بالمميز اولا بالسنة ثم بالعام
لان تكرار لفظ واحد فى كلام واحد حقيق بالاجتناب فى البلاغة فاخذهم الطوفان هو ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة
من سيل او ظلام ليل او نحوهما وهم ظالمون انفسهم بالكفر فانجيناه اى نوحا واصحاب السفينة وكانوا ثمانية وسبعين
نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وجعلناها اى السفينة او الحادثة
او القصة اية عبرة وعظة للعالمين يتعظون بها وابراهيم نصب باضمار اذكر وابدل عنه اذ قال لقومه بدل اشتمال
لان الاحيان تشتمل على ما فيها او معطوف على نوحا اى وارسلنا ابراهيم واذ ظرف لارسلنا يعنى ارسلناه حين بلغ
من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه ويامرهم بالعبادة والتقوى وقرا ابراهيم النخعى وابو حنيفة رضه
وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم من الكفر ان كنتم تعلمون
ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم انما تعبدون من دون الله اوثانا اصناما وتخلقون وتكذبون
او تفتعلون وقرا ابو حنيفة والسلمى رضى الله عنهما وتخلقون من خلق لمعنى التكثير فى خلق افكا وقرئ افكا
وهو مصدر نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما واختلاقهم الافك تسميتهم
الاوثان الهة وشركاء الله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا
من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون
فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على انعمه وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم
وما على الرسول الا البلاغ المبين اى وان تكذبونى فلا تضروننى بتكذيبكم فان الرسل قبلى قد كذبتهم اممهم وما
ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم واما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ
المبين الذى زال معه الشك وهو قرانه بايات الله ومعجزاته لا ولم لان كنت مكذبا فيما بينكم فلى فى ساير الانبياء

اسوة

اسوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الاية والايات التى بعدها الى قوله
فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابراهيم عم لقومه والمراد بالامم قبله قوم شيث وادريس
ونوح وغيرهم وان تكون ايات وقعت معترضة فى شان رسول الله صلى الله عليه وسلم وشان قريش بين اول قصة ابراهيم
واخرها فان قلت فالجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه فلا تقول مكة وزيد قائم خير
بلاد الله قلت نعم وبيانه ان ايراد قصة ابراهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان
تكون مسلاة له بان اباه ابراهيم عم كان مبتلى بنحو ما ابتلى به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض
بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله
فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى اعتراض متصل ثم ساير الايات بعدها
من توابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلايله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه
ووضوح حجته وبرهانه اولم يروا وبالتاء كوفى غير حفص كيف يبدئ الله الخلق اى قد راوا ذلك وعلموه وقوله
ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت
كما وقع النظر فى قوله كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة على البدء دون الانشاء بل هو معطوف على جملة
قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ان ذلك اى الاعادة على الله يسير سهل قل يا محمد وان كان من كلام ابراهيم
فتقديره اوحينا اليه ان قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدا الخلق على كثرتهم واختلاف احوالهم لتعرفوا عجايب
فطرة الله بالمشاهدة وبدا وابدا بمعنى ثم الله ينشئ النشاة الاخرة اى البعث وبالمد حيث كان مكى وابو عمرو
وهذا دليل على انهما نشاتان وان كل واحدة منهما انشاء اى ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود غير ان الاخرة
انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك والقياس ان يقال كيف بدا الله الخلق ثم ينشئ النشاة الاخرة
وانما قيل كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة لان الكلام معهم وقع فى الاعادة فلما قررهم فى الابداء
بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا لم يعجزه الابداء وجب ان لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذلك
الذى انشا النشاة الاولى هو الذى ينشئ النشاة الاخرة وللتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدا
ان الله على كل شئ قدير قادر يعذب من يشاء بالخذلان ويرحم من يشاء بالهداية او بالحرص والقناعة او بسوء
الخلق وحسنه او بالاعراض عن الله وبالاقبال عليه او بمتابعة البدع وبملازمة السنة واليه تقلبون تردون و
ترجعون وما انتم بمعجزين ربكم اى لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه فى الارض الفسيحة ولا فى السماء التى هى افسح
منها وابسط لو كنتم فيها وما لكم من دون الله من ولى يتولى اموركم ولا نصير ولا ناصر يمنعكم من عذابى والذين كفروا
بايات الله بدلايله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه اى البعث اولئك يئسوا من رحمتى جنتى واولئك لهم عذاب

اليم فما كان جواب قومه قوم ابراهيم حين دعاهم الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه الى الايمان قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا فى حكم القائلين فاتفقوا على تحريقه فانجاه الله من النار حين قذفوه فيها ان فى ذلك فيما فعلوه به وفعلنا لايات لقوم يؤمنون روى انه لم ينتفع فى ذلك اليوم بالنار يعنى يوم القى ابراهيم فى النار وذلك لذهاب حرها وقال ابراهيم لقومه انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا حمزة وحفص مودة بينكم مدنى وشامى وحماد ويحيى وخلف مودة بينكم مكى وبصرى وعلى مودة بينكم الشمونى والرجى فالنصب على وجهين على التعليل اى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه وما كافة اى اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم اى مودودة بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفى الرفع وجهان ان يكون خبر ان وما موصولة وان يكون خبر مبتدا محذوف اى هى مودة بينكم والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اى مودودة او سبب مودة ومن اضاف المودة جعل بينكم اسما لا ظرفا كقوله شقاق بينكم ومن نون مودة ونصب بينكم فعلى الظرف ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض يتبرأ الاصنام من عابديها ويلعن بعضكم بعضا اى يوم القيامة يكون بينكم التلاعن فيلعن الاتباع القادة ومأويكم النار اى مأوى العابد والمعبود والتابع والمتبوع وما لكم من ناصرين ثم فامن له لابراهيم عم لوط هو ابن اخت ابراهيم عم وهو اول من آمن له حين راى النار لم تحرقه وقال ابراهيم انى مهاجر من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين وهى من برية الشام ومن ثم قالوا لكل نبى هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه فى هجرته لوط وسارة وقد تزوجها ابراهيم عم الى ربى الى حيث امرنى بالهجرة اليه انه هو العزيز الذى يمنعنى من اعدائى الحكيم الذى لا يامرنى الا بما فيه صلاحى ووهبنا له اسحاق ولدا ويعقوب ولد ولده ولم يذكروا اسماعيل لشهرته وجعلنا فى ذريته النبوة اى فى ذرية ابراهيم فانه شجرة الانبياء والكتاب والمراد به الجنس يعنى التورية والانجيل والزبور والفرقان واتيناه ابرهيم اجره الثناء الحسن والصلوة عليه اخر الدهر ومحبة اهل الملل او هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره فى الدنيا فيه دليل على انه تعالى قد يعطى الاجر فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين اى من اهل الجنة عن الحسن ولوطا اى واذكر لوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة الفعلة البالغة فى القبح وهى اللواطة ما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستانفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل بالقتل واخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وتاتون فى ناديكم مجلسكم ولا يقال للمجلس ناد الا ما دام فيه اهله المنكر اى المضارطة والمجامعة

والسباب

والسباب والفحش فى المزاح والحذف بالحصا ومضغ العلك والفرقعة والسواك بين الناس فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب انكم ائنكم شامى وحفص وهو الموجود فى الامام وكل واحد اخره بهمزتين كوفى غير حفص آينكم بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة ابو عمرو اينكم بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد قال رب انصرنى بانزال العذاب على القوم المفسدين كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصى والفواحش ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بالبشارة لابرهيم بالولد والنافلة يعنى اسحق ويعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية اضافة مهلكوا لم تفد تعريفا لانها بمعنى الاستقبال والقرية سدوم التى قيل فيها اجور من قاضى سدوم وهذه القرية تشعر بانها قريبة من موضع ابراهيم عم قالوا انها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع ابراهيم عم ان اهلها كانوا ظالمين اى الظلم قد استمر منهم فى الايام السالفة فهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وانواع معاصيهم قال ابرهيم ان فيها لوطا اى اتهلكونهم وفيهم من هو برئ من الظلم وهو لوط قالوا اى الملائكة نحن اعلم منك بمن فيها لننجينه لننجينه يعقوب وكوفى غير عاصم واهله الا امراته كانت من الغابرين الباقين فى العذاب ثم اخبر عن مصير الملائكة الى لوط بعد مفارقتهم ابراهم بقوله ولما ان جاءت رسلنا لوطا سئ بهم ساءه مجيئهم وان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما على الاخر كانهما وجدا فى جزء واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجاته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه ان ياتوا ولوهم بالفجور سى بهم مدنى وشامى وعلى وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اى طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا فى العجز والقدرة وهو نصب على التمييز وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك و بالتخفيف مكى وكوفى غير حفص واهلك الكاف فى محل الجر فنصب اهلك بفعل محذوف اى وننجى اهلك الا امراتك كانت من الغابرين انا منزلون منزلون شامى على اهل هذه القرية رجزا عذابا من السماء بما كانوا يفسقون بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله ولقد تركنا منها اية اى من القرية بينة هى اثار منازلهم الخربة وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم يتعلق بتركنا او ببينة يعقلون والى مدين واى وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر وافعلوا ما ترجون به الثواب فى العاقبة او خافوه ولا تعثوا فى الارض مفسدين قاصدين الفساد فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة او صيحة جبرئيل لان القلوب رجفت لها فاصبحوا فى دارهم فى بلدهم وارضهم او فى ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه فى معنى الاهلاك وثمود حمزة وحفص

وسهل ويعقوب من غير تنوين وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصف من اهلاكهم من مساكنهم من جهة مساكنهم
اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر
والمعاصي فصدهم عن السبيل الذي امروا بسلوكه ان سلكوا وهو الايمان بالله ورسله وكانوا مستبصرين عقلاء
متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا وقارون وفرعون وهامان اي واهلكناهم ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه فكلا اخذنا بذنبه
فيه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا هي ريح عاصف فيها حصباء وهي لقوم لوط
ومنهم من اخذته الصيحة هي لمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض يعني قارون ومنهم من اغرقنا يعني قوم
نوح وفرعون وما كان الله ليظلمهم ليعاقبهم بغير ذنب ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر والطغيان مثل
الذين اتخذوا من دون الله اولياء اي آلهة يعني مثل من اشرك بالله الاوثان في الضعف وسوء الاختيار كمثل
العنكبوت اتخذت بيتا اي كمثل العنكبوت فيما تتخذه لنفسها من بيت فان ذلك البيت لا يدفع عنها الحر والبرد
ولا يق البيوت فكذلك الاوثان لا ينفعهم في الدنيا والاخرة جعل جائز اتخذت حالا وان اوهن البيوت لبيت
العنكبوت لا بيت اوهن من بيتها عن علي رضه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه يورث الفقر لو كانوا
يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وقيل معنى الاية مثل المشرك الذي يعبد الوثن
بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا بآجر وجص او ينحته
من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا
عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون وقال الزجاج في جماعة تقدير الاية مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء لو كانوا
يعلمون كمثل العنكبوت ان الله يعلم ما يدعون بالياء بصري وعاصم غير الاعشى والبرجمي وما بمعنى الذي وهو
مفعول يعلم ومفعول يدعون مضمر اي يدعونه يعني يعبدونه من دونه من شيء من في من شيء للتبيين وهو
العزيز الغالب الذي لا شريك له الحكيم في ترك المعاجلة بالعقوبة وفيه تجهيل لهم حيث عبدوا جمادا لا علم له ولا قدرة
وتركوا عبادة القاهر القادر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير وتلك الامثال الامثال نعت
والخبر نضربها نبينها للناس كان سفهاء قريش وجهلتهم يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت
ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون به وباسمائه وصفاته اي لا يعقل صحتها وحسنها ولا يفهم
فائدتها الا العلماء لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المستورة حتى تبرزها وتصورها للافهام كما صور
هذا التشبيه للفرق بين حال المشرك وبين حال الموحد وعن النبي عم انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله
فعمل بطاعته واجتنب سخطه ودلت الاية على فضل العلم على العقل خلق الله السموات والارض بالحق اي محقا

يعني

يعني لم يخلقها باطلا بل لحكمة وهي ان يكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى
اى قوله ان في ذلك لاية للمؤمنين وخصهم بالذكر لانتفاعهم بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءة
كلامه ولتقف على ما امر به ونهى عنه واقم الصلوة اي دم على اقامة الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء اي
الفعلة القبيحة كالزنى مثلا والمنكر هو ما ينكره العقل والشرع قيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان
ينتهي عن السيئات يوما ما فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل
فقال ان صلوته لتردعه وروي ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوة ولا يدع شيئا من الفواحش فوصف له
فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وقال ابن عوف ان الصلوة تنهى اي اذا كنت فيها فانت في معروف وطاعة
وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فليست صلوته
بصلوة وهي وبال عليه ولذكر الله اكبر اي والصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وانما قال ولذكر الله ليستقل
بالتعليل كانه قال والصلوة اكبر لانها ذكر الله وعن ابن عباس رضه ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم
اياه بطاعته وقال ابن عطاء ذكر الله لكم اكبر من ذكركم له لان ذكره بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والاماني
ولان ذكره لا يفنى سلمان ذكر الله اكبر من كل شيء وافضل فقد قال عم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند
مليككم وارفعها في درجاتكم وخير من اعطاء الذهب والفضة وان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم قالوا وما
ذلك يا رسول الله قال ذكر الله وسئل اي الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله
او ذكر الله اكبر من ان تحويه افهامكم وعقولكم او ذكر الله اكبر من ان تبقى معه معصية او ذكر الله اكبر في النهي
عن الفحشاء والمنكر من غيره والله يعلم ما تصنعون ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالحلم
كما قال ادفع بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم فافرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق
فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله او الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله
مغلولة او معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة
ومنعوا الجزية فجادلوهم بالسيف والاية تدل على جواز المناظرة مع الكفرة في الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام
الذي به يتحقق المجادلة وقوله وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له
مسلمون من جنس المجادلة بالاحسن وقال عم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا
بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك
الكتاب اي انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية او كما انزلنا الكتب اي من قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين

اتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن هؤلاء اى من اهل مكة من يؤمن به او اراد
بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله م من اهل الكتاب ومن هؤلاء الذين كانوا فى زمان النبى م
وما يجحد باياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة الا الكافرون الا المستوغلون فى الكفر المصمون عليه ككعب بن الاشرف
واضرابه وما كنت تتلوا من قبله من قبل القران من كتاب ولا تخطه بيمينك خص اليمين لان الكتابة غالبا يكون
باليمين اى ما كنت قرات كتابا من الكتب ولا كنت كاتبا اذا اى لو كان شىء من ذلك اى من التلاوة والخط
لارتاب المبطلون من اهل الكتاب وقالوا الذى نجده فى كتبنا امى لا يكتب ولا يقرأ وليس به او لارتاب مشركوا
مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده وسماهم مبطلين لانكارهم نبوته وعن مجاهد والشعبى ما مات النبى م حتى
كتب وقرأ بل هو اى القران آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم فى صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصايص
القران كون اياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا فى الصدور بخلاف ساير الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت
تقرأ الا من المصاحف وما يجحد باياتنا الواضحة الا الظالمون المتوغلون فى الظلم وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه
آية بغير الف مكى وكوفى غير حفص اراد وا هلا انزل عليه آيات مثل الناقة والعصا ومائدة عيسى ونحو ذلك
قل انما الايات عند الله ينزل ايتها شاء ولست املك منها شيئا وانما انا نذير مبين كلفت الانذار وابانته
بما اعطيت من الايات وليس لى ان اقول انزل على اية كذا دون اية كذا مع علمى ان المراد من الاية ثبوت الدلالة
والايات كلها فى حكم اية واحدة فى ذلك او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم اى الم يكفهم آية مغنية عن
ساير الايات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القران الذى يدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلا يزال
معهم اية ثابتة لا تزول كما تزول كل اية بعد كونها وتكون فى مكان دون مكان ان فى ذلك اى فى مثل هذه الاية الموجودة
فى كل مكان وزمان الى اخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وتذكرة لقوم يؤمنون دون المتعنتين قل كفى بالله
بينى وبينكم شهيدا اى شاهدا بصدق ما ادعيه من الرسالة وانزال القران على وبتكذيبكم يعلم ما فى السموات
والارض فهو مطلع على امرى وامركم وعالم بحقى وباطلكم والذين امنوا بالباطل باليهودية او بالشرك او بابليس
منكم وما يعبد من دون الله وكفروا بالله واياته اولئك هم الخاسرون المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا
الكفر بالايمان لان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين وروى ان كعب
بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر
علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى وهو القيامة او يوم بدر او وقت فنائهم باجالهم والمعنى ولولا الاجل
قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذابهم والحكمة تقتضى تاخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم
العذاب فى الاجل المسمى بغتة فجاة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين

اى ستحيط بهم

350

اى ستحيط بهم يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل ولا وقف على بالكافرين لان يوم ظرف احاطة النار بهم ويقول بالياء كوفى ونافع ذوقوا ما كنتم تعملون
اى جزاء اعمالكم يا عبادى بسكون الياء بصرى وكوفى غير عاصم الذين امنوا ان ارضى واسعة بفتح الياء
شامى يعنى ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة فى بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه
فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة والبقاع متفاوتة فى ذلك تفاوتا كثيرا وقالوا لم نجد اعون على قهر النفس
واجمع للقلب واحث على القناعة واطرد للشيطان وابعد من الفتن واضبط للامر الدينى من مكة حرسها
الله وعن سهل اذا ظهرت المعاصى والبدع فى ارض فاخرجوا منها الى ارض المطيعين وعن رسول الله عليه السلام
من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة فاياى فاعبدون وبالياء يعقوب
وتقديره فاياى فاعبدوا فاعبدون وجىء بالفاء فى فاعبدون لانه جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضى
واسعة فان لم تخلصوا العبادة لى فى ارض فاخلصوها لى فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم
المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص ثم شجع المهاجرين بقوله كل نفس ذائقة الموت اى
واجدة مرارته وكربه كما تجد الذائق طعم المذوق لانها اذا تيقنت بالموت سهل عليها مفارقة وطنها ثم الينا
ترجعون بعد الموت للثواب والعقاب ترجعون على يعقوب والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة
غرفا لننزلنهم من الجنة علالى لنثوينهم كوفى غير عاصم من الثواء وهو النزول للاقامة وثوى غير متعد فاذا تعدى
بزيادة الهمزة لم يتجاوز مفعولا واحدا والوجه فى تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم
ونبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم
اجر العاملين ويوقف على العاملين على ان الذين صبروا خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين صبروا على مفارقة
الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصايب وعلى الطاعات وعن المعاصى والوصل ليكون الذين نعتا
للعاملين وعلى ربهم يتوكلون ولم يتوكلوا فى جميع ذلك الا على الله ولما امر رسول الله م من اسلم بمكة بالهجرة
خافوا الفقر والضيعة فنزلت وكاين من دابة اى وكم من دابة وكائن بالمد والهمزة مكى والدابة كل نفس دبت
على وجه الارض عقلت او لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمل بضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم اى لا يرزق
تلك الدواب الضعاف ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه
لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التى لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره
انما تصبح فيرزقها الله وقيل لا يدخر شىء من الحيوان قوتا الا ابن ادم والفارة والنملة وهو السميع لقولكم
نخشى الفقر والضيعة العليم بما فى ضمايركم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر

اى ولئن سالت هؤلاء المشركين من خالق السموات والارض على كبرهما وسعتهما ومن الذى سخر الشمس
والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله مع اقرارهم بهذا كله الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له اى فكيف يصرفون عن توحيد الله مع اقرارى لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء
لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه ان الله بكل شئ عليم
يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم فى الحديث ان من عبادى من لا يصلح ايمانه الا الغنى لو افقرته لافسده ذلك
وان من عبادى من لا يصلح ايمانه الا الفقر لو اغنيته لافسده ذلك ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء
فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله اى هم مقرون بذلك قل الحمد لله على انزاله الماء لاحياء الارض او على انه
ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين بل اكثرهم
لا يعقلون لا يتدبرون بما فيهم من العقول فيما نريهم من الايات ونقيم عليهم من الدلالات او لا يعقلون ما تريد
بقولك الحمد لله وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب اى ما هى لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب
الصبيان ساعة ثم يتفرقون وفيه ازدراء بالدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهى لا تزن عنده جناح
بعوضة واللهو ما يتلذذ به الانسان فيلهيه ساعة ثم ينقضى وان الدار الاخرة لهى الحيوان اى الحيوة اى ليس فيها
الا حيوة مستمرة دائمة لا موت فيها فكانها فى ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيى وقياسه حييان فقلبت الياء
الثانية واوا ولم يقل لهى الحيوة لما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب والحيوة حركة والموت سكون
فمجيئه على بناء دال على الحركة مبالغة فى معنى الحيوة ويوقف على الحيوان لان التقدير لو كانوا يعلمون حقيقة
الدارين لما اختاروا اللهو الفانى على الحيوان الباقى ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقا مشروطا بعلمهم ذلك
وليس كذلك فاذا ركبوا فى الفلك هو متصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم
على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كاينين فى صورة من
يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها اخر فلما نجاهم الى البر وامنوا
اذا هم يشركون عادوا الى حال الشرك ليكفروا بما اتيناهم من النعمة قيل هى لام كى وكذا فى وليتمتعوا فيمن
قراها بالكسر اى لكى يكفروا ولكى يتمتعوا والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة
النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة فانهم يشكرون
نعمة الله اذا انجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وعلى هذا لا يوقف على يشركون
ومن جعلها لام الامر متشبثا بقراءة ابن كثير وحمزة وعلى وليتمتعوا بسكون اللام على وجه التهديد كقوله فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وتحقيقه فى اصول الفقه يخفى عليه فسوف يعلمون سوء تدبيرهم عند تدميرهم

اولم يروا

351

اولم يروا اى اهل مكة انا جعلنا بلدهم حرما ممنوعا مصونا امنا يامن داخلوه ويتخطف الناس من حولهم
يسلبون قتلا او سبيا افبالباطل يؤمنون اى بالشيطان والاصنام وبنعمة الله يكفرون اى بمحمد والاسلام
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان جعل له شريكا او كذب بالحق بنبوة محمد ﷺ والكتاب لما جاءه اى لم يتلعثموا
فى تكذيبه حين سمعوه اليس فى جهنم مثوى للكافرين هذا تقرير لثوائهم فى جهنم لان همزة الانكار اذا
دخلت على النفى صار ايجابا يعنى الا يثوون فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق هذا
التكذيب اذ لم يصح عندهم ان فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة وذكر المثوى فى مقابلة
لنبوئنهم يؤيده قراءة التاء والذين جاهدوا اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته
من النفس والشيطان واعداء الدين فينا فى حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا سبلنا
ابو عمرو اى لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا وعن الدارانى والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا
فقد قيل من عمل بما علم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذى نرى من جهلنا بما لا يعلم انما هو لتقصيرنا فيما نعلم
وعن فضيل والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وعن سهل والذين جاهدوا فى اقامة
السنة لنهدينهم سبل الجنة وعن ابن عطاء جاهدوا فى رضانا لنهدينهم الوصول الى محل الرضوان وعن ابن
عباس جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وعن الجنيد جاهدوا فى التوبة لنهدينهم سبل الاخلاص
او جاهدوا فى خدمتنا لنفتحن عليهم سبل المناجاة معنا والانس بنا او جاهدوا فى طلبنا تحريا لرضانا
لنهدينهم سبل الوصول الينا وان الله لمع المحسنين بالنصرة والمعونة فى الدنيا
وبالثواب والمغفرة فى العقبى

Süleym[illegible]
Kısım AMCA ZADE HÜSEYİN P.
Yeni 37
Eski kayıt